DUE DATE

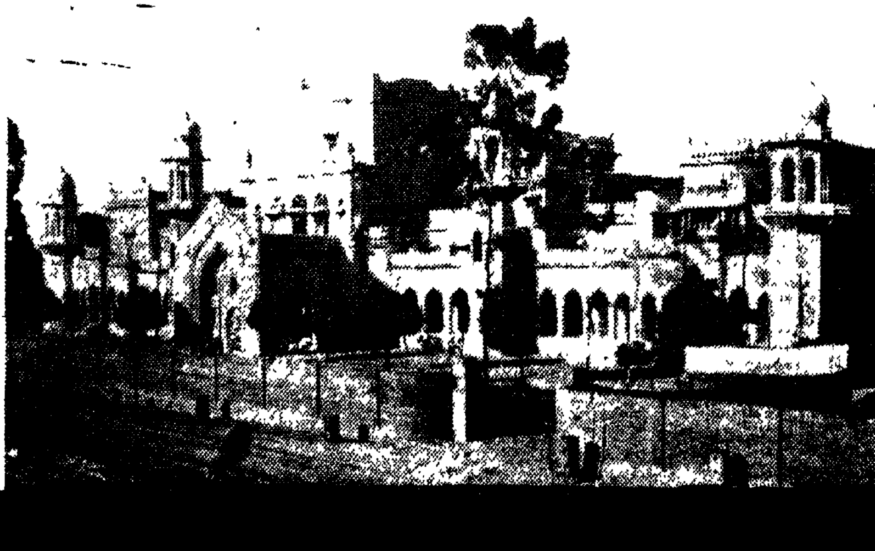
Cl. No. ______________ *Acc. No.* ______________

Late Fine Ordinary books 25 p. per day, Text Book Re. 1/- per day, Over night book Re. 1/- per day.

شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

العدد الأول المجلد ٣٣ ، رمضان ١٤٠٨هـ

البعث الإسلامي



تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء ص.ب ٩٣، لكهنؤ (الهند)

نداء إلى قرائنا الكرام

بمناسبة افتتاح المجلد الثالث و الثلاثين

نفتتح - بعون الله تعالى و تأييده - المجلد الثالث و الثلاثين بهذا العدد ، و نحمد الله سبحانه على هـــذا التوفيق الغالى الكريم الذى أكرمنا به على قلة بضاعتنا و ضآلة إمكانياتنا و وسائلنا ؛ و نرجو الله سبحانه أن يثبتنا على الدرب ، وأن يأخذ بأيدينا للصمود فى هذه الجبهة الدقيقة التى نريد أن نكون فيها مرابطين على الثغر، ونودى واجبنا فيها بكل أمانة ودقة، وبروح وثابة من الاخلاص والوفاء.

و بالمناسبة نرجو منك - أيها القارئ الكريم - أن تشعر ببعض واجبك نحو مجلتك و تتطوع ببذل شئ من وقتك و مالك فى سبيلهـا ، و ذلك بتوفير اشتراكات و كسب عدد من القراء أو إنشاء وكالة لها فى لدك و مجتمعك الذى تعيش فيه ، أوبأى طريق مما تراه مفيداً للجلة ، فسيكون ذلك تعاوناً كبيراً منك فى سبيل دعم الكلمـة و نشر العقيدة وتأييد الحق ، و تشجيعاً منك لاخوة لك فى العقيدة والدين ، يعيشون معك على طول الخط على بعد الديار وتنائى الأمصار .

نرجو أن لا يفوتك الاهتمام بهذا الموضوع الاسلامى المهم و تتصل بنـا على العنوان التالى ! و جزاؤك على الله الذى لا تنفد خزائنه .

الاشتراكات السنوية :

- ★ فى الهند : / ٥٠ روبية ، ثمن النسخة خمس روبيات .
- ★ فى العالم العربى :/١٥ دولاراً بالبريد السطحى ،/٣٠ دولاراً بالبريد الجوى.
- ★ فى أوربا و أمريكا و إفريقيا :/١٥ دولاراً بالبريد العادى ، / ٥٠ دولاراً بالبريد الجوى .
- ★ فى باكستان و بنغلاديش ودول شرق آسيا : ١٥ دولاراً بالبريد السطحى، /٣٠ دولاراً بالبريد الجوى .

المراسلات : مكتب البعث الاسلامى ، مؤسسة الصحافة و النشر

ندوة العلماء ص . ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

A L B A A S E L I S L A M I - C/o NADWAT UL ULAMA
P. O. Box, 93. Lucknow (INDIA)

أنشاها :

فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني ر

في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

المجلد الثالث والثلاثون

البعث الإسلامي

العدد الأول

رمضان ١٤٠٨هـ - ابريل و مايو ١٩٨٨م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الاسلامي ، مؤسسة الصحافة والنشر ، ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama,

P. O. Box 93. Lucknow (India)

في هذا العدد

الافتتاحيـــــــة :

المسلمون و الواقع المعاش !

أبدع المسلمون فى كل فن من فنون الحياة طرقاً و أساليب بارعة لم يكن للناس بها عهد ولا قبل ، إنهم نقلوا كل شئ مما كان يتعلق بالحياة و الانسان من مفهومه الارتجالى التقليدى الضيق إلى المفهوم الأصيل المتقن الواسع ، لقد كان الاسلام فى الحقيقـــة قفزة لها مغزى عميق إلى ساحة الواقع و العمل و الجدية و التفكير ، و وضع الأمور كلها فى مواضعها الطبيعية ، و كان يعنى إنقاذ الانسان من موبقات الأهواء النفسية و الشهوات المادية الرخيصـــة التى كانت تطغى على الحياة ، وفعلا تنفس الناس مع بزوغ شمس الهداية فى جو من الشفافية والطهر ، و فى محيط من العدالة و المساواة و السعادة وسمو النفس ، كأن غياهب الشقاء تبددت عن آخرها ، وحل محلها نور ساطع من سعادة الأمل و التطلع إلى مستقبل لامع بعيد ، فحلت المحبـــة محل العداوات ، و الأخوة الخـالصة محل الخلافات و الحزازات ، و الوحدة فى موضع الفرقة ، و التواضع محل الأنانية ، و العدل محل الظلم ، و المساواة محل التفاوت الطبقى و التفاضل القبلى ، و ذلك ما من الله به على الانسان وعبر عنه بالانقاذ من شفا حفرة من النار (و كنتم على شفـا حفرة من النار فأنقذكم منها) .

مضى المسلمون على درب الهداية و النور يضيئون الطريق ، و يبددون الظلمات ، و ينشرون العدل و يبثون الحب و الرحمة ، و يزيلون أنقاض الجاهلية

و يقيمون عليها منائر العقيدة و الايمان ، و أوغلوا من مركز إشعاعهم إلى أعماق الأقطار و البلدان التى رحبت بالرسالة التى حملوها ، و اعتنقت بالدين الذى وجهوه إليها ، كأنها كانت منه على ميعاد ، و إليه فى شوق وحنين ، ذاك أن أمنية غالية عاشها الانسان و راودته طويلا تتحقق اليوم ، وهى أن تعود الحياة إلى حالتها الطبعية ، و يذوق الناس حلاوة العيش ولذة البقاء وطعم الحب والايمان ، ويحلوا لغز الانسانية و يعرفوا أن الخلق كلهم عيال الله ، و أنه لا تفاضل فيما بينهم إلا بنسبة التقرب إلى الله و الانتماء إلى ذاته ، فكلما كان المرء أتقى لله كان أكرم عليه و أفضل عنده ، ولا تأثير فى ذلك لأى شئ من الأنساب و الألوان ، ولا للجاه و المال ، ولا للوطن والجنس و التراب ، وما هذه الظواهر إلا للتعارف فحسب ، لا للتفاضل و التفاخر « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى ، و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

كان الاسلام نعمة عظيمة تلقفتها الأيدى و تسابقت إليها القلوب ، و تواضعت على تقديرها و الاغتباط بها ، و برزت على أساسه حياة إسلامية تتميز بكل صفات الطهر و النزاهة والسمو و الايثار ، وجميع الأخلاق المرضية ، فقام مجتمع أفضل عاش فيه الانسان المسلم على قمة عالية من السيرة الانسانية المثالية و القدوة الحسنة التى ملأت الدنيا نوراً وبهاءاً ، و عدلا و رحمة ، وسار المسلمون على درب العقيدة و العمل ، و الايمان و الشريعة ، يطبقون على حياتهم تعاليم الاسلام كاملة غير منقوصة ، ويسلكون مسالكه فى كل صغيرة وكبيرة مأة فى المأة ، حتى إن الله تعالى قد شهد بصدق إيمانهم و ثبات عقيدتهم و كمال صبرهم و جهادهم فى سبيل الله و أشاد بهم قائلا : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ، ثم لم يرتابوا ، و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » إذ ليس الاسلام

كسائر الديانات الأخرى زمنياً ، أو ديناً مؤقتاً أو محدوداً يقبل كل ما يأتى من صاحبه من فج ناقص أو أجزاء متقاطعة فى أوقات متبـاينة ، ولـكنه دين كامل خالد يشمل جميع قضايا الحياة والـكون و الانسان فى كل زمان و مكان ، وهو يغطى جميع مشكلات الحياة مهما كانت و يقدم لها حلولا فى كل حين .

بهذه العقيدة الراسخة كان المسلمون يعيشون و يتعاملون ، لا يرضون بأى نقيصة فى الدين و السلوك ، لا يتركون العمل بأى جزء من دينهم ولايتهاونون فى أداء واجب دينى ، و لا يتكاسلون فى امتثال الاوامر و أخذها بشدة والعمل بها ، و الامتناع عن المناهى و الفرار عنهـا ، لقد كان لهم فى رسول الله أسوة حسنة ، فما آتاهم أخذوه و ما نهاهم عنه فانتهوا ، دون تريث أو اختيار ، و اعتبروا أنفسهم مسلمين فى معنى الكلمة ، و عاملين بالأمر الالهى بالدخول فى السلم كافة « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » فاذا همسهم هامس ذنب أو خروج عن الطاعة الكاملة سرعان ما انتبهوا إليه وتابوا إلى الله و استغفروه علماً منهم بأن الاسلام لا يتحمل القلة و الـكثرة ولا النقصان و الزيادة بل إنه يطالب الايمان بعقيدته كاملا و يطـالب العمل بشريعته كاملا بغير أى نقص أو تأجيل ، لذلك ليس من الاسلام أن يعمل المرء ببعض الأحكام و يترك البعض ، أو يعمل بكامل الاسلام ويطبق الشريعة بكل جزء على الحياة ولـكنه يسمح لنفسه بالمعاصى و يرضى ببعض المنكرات ، وهل يتصور أن المسلم يأتى الفواحش أو يشرب الخمر أو يبيح لنفسه المحظورات و المنكرات رغماً من أن يدعى الاسلام ويزعم الانتماء إلى الشريعة الاسلامية .

هل كان النبي ﷺ قد أذن لمن دخل فى الدين بممارسة الفاحشة ولو مرة واحدة حينما طلب منه الصحابى المشهور حاطب بن أبى بلتعة أن يأذن له بالزنا ،

نظراً إلى أنه لايكاد يقلع عن هذه الجريمة حيث إن نفسه قد تعودت عليها دون أن تصبر عنها ، وهل سمح لبقاء الأوثان و الوثنية فى أهل الطائف الذين طلبوا منه أن يترك فيهم اللات ، الوثن الذى كانوا قد ألفوه ، و كان يشق عليهم أن يفارقوه البتة ، ولكنه لم يأذن لهم بذلك و لا للحظة واحدة ، على أن مصلحة الدعوة فى ذلك الحين كانت تقتضى أن ينظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القضية ويسمح لهم بالرؤية إليه من غير خضوع له و لا عبادة لمدة من الوقت ، و لكن ذلك يعارض نص الدخول فى السلم كافة ، و يتنافى روح العقيدة و يضاد أصالة الايمان .

إلى هذا المدى الأخير كانت رؤية النبي ﷺ نحو هذا الدين و شريعته وعقيدته ، وبلغت غيرته عليه مبلغاً لا يمكن أن تتدخل فيه مصلحة أو قضية ذات خطورة بالغة ، أو حكمة سياسية ، ذاك أن قضية العقيدة بالغة فى الوضوح و الغلبة إلى أقصى حد ممكن ، فلا مسالمة فيها من أى جهة و لا مصلحة ولا سياسة ، و لا مساومة فيها مع أى قوة أو حزب أو جماعة ، أو نظرية و فلسفة ، إنها قضية العقيدة و اللاعقيدة و قضية الايمان والكفر ، و قضية الدخول فى السلم كافة أو عدمه ، أما أن تكون بين بين فلا عبرة بها ولا قيمة لها ، إذ لا يجتمع الايمان وتقدير الأوثان فى قلب ، ولا تلتق العقيدة مع تعظيم بعض العادات الجاهليـــة فى أى حال ، ولا شأن للدين مع إباحة بعض المنكرات و تهوين خطب المعاصى فى ظروف غير عادية ، وحيثما تفقدنا تاريخ المسلمين الراسخين فى الايمان و العلم ، وجدناهم ثابتين على قواعد الايمان و العمل ، و محافظين على الشريعة بأحكامها و تعاليمها و آدابها و قوانينها « أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة و أجر عظيم » .

وننتقل الآن إلى عصر المسلمين الحاضر ، و نستعرض واقعهم الديني ، فاذا

هم بين إفراط و تفريط ، وغلو و تشديد ، يدعون بالاسلام و يعتزون بالانتماء إلى أسرة المسلمين و لكن حياتهم الاسلامية ينقصها شئ كثير مما يقضيه الاسلام و تتطلبه منهم شريعـــة الله ، تراهم يواظبون على الصلوات و يمارسون العبادات و يتظاهرون بالأشكال و المظاهر الدينية ولكنهم لا يبالون بما إذا واجههم أمر مما يغاير العقيدة ويتحدى الغيرة الايمانية أن يكونوا متصلبين عليها ، ولا يلينوا فيها ، وقد يوجد ناس ـ حتى من الخاصة ـ لا يقيمون وزنا كبيراً لحسن الاجتماع والمعاشرة و أمانة المعاملات ، ولا يعتنون بحقوق العباد رغم اعتنائهم الكبير بالحقوق التى تعنى بهم و بأهلهم و أولادهم ، ولا يميزون كثيراً بين ما يجوز و ما لا يجوز ، و بين ما هو حلال و ما هو حرام فى شريعة الله ، و كذلك نجد مفارقات كبيرة بين القول والفعل ، و بين النظرية و التطبيق ، و قد نرى أن واحداً منهم يشدد فى اتباع أوامر الشريعة ، ويتصلب فى حدود الله ما دام الأمر يتعلق بغيره من الأجانب و البعداء ، غير أنه إذا أدرك موضع ضعف و اطلع على جريمة توجب تنفيذ حدود الله و تفرض الخضوع لمعاقبة الشريعة و تعزيراتها فى أهله و أقربائه أو من يواليه و يليه بنسب من القربى أو العمل أو الصداقـــة ، فاذا هو يعرض عنها كشحا و يتغافل و يتغابى ، وأحيانا يعتمد على التأويلات الفارغة و يبذل جهوده فى إلقاء الستار على الجانى و إخفاء أمره على الناس ، وهو يتناسى فى ذلك الوقت أسوة الرسول ﷺ الذى قال : والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها .

أين المسلمون اليوم من تعاليم الكتاب و السنة و من شريعة الله ؟ أين هم من تصلب فى العقيدة و الايمان ، و إلحاح على العمل و القدوة التى تمثل الاسلام فى الحياة والمجتمع حياً نشيطاً متحركاً نافذاً ، ومتكفلا بالسعادة والعزة ، و الهيبة ، و الثقل فى موازين الأخلاق والسلوك و الاجتماع و السياسة و الحضارة

وجميع شئون الحياة ، لقد صنع المسلمون السابقون بالتزامهم الكامل القوى بالاسلام تاريخا سامقاً مشرقاً للعلم والايمان والقوة و الصلابة و مركزاً سامياً قوياً فى مجال الاجتماع و السياسة والحضارة و الأخلاق و الأدب والعلوم و الابداعات و الاكتشافات ، لقد توافرت فيهم خصائص الحياة الاسلامية بكاملها و تزينت حياتهم بالقدوة الاسلامية فى جميع المناحى و الجوانب و فى المنشط و المكره ، فى السلم و الحرب ، فى السعادة و الشقاء ، فى الشدة و الرخاء، فمثلوا الاسلام الذى تغلب على جميع المبادىء و النظرات ، وتغلغلت العقيدة الاسلامية فى اللحم و الدم ، و فى كل خلية من خلايا الحياة ، فدانت الدنيا لها ، و أدت ضرائب الخضوع و الامتثال للاسلام ، ولم تكن هناك قوة تفوق الاسلام ، فى أى جزء من أجزاء المعمورة .

ولا يزال الاسلام اليوم هو الذى كان بالأمس، إلا أنه يترقب من الأمة الاسلامية التى تنتمى إليه أن تتبناه كلياً و تنفذه فى الحياة و المجتمع بجميع فروعه و أصوله، و عقائده وعباداته و أخلاقه و سلوكه، و شريعته و أحكامها و تعاليمها ، حتى تعود إليها مكانة القيادة العالمية و تستحق بكل جدارة أن ترفع راية الحق و النصح و البناء ، وتعمر الأرض بكل ما يحتاج إليه الانسان من توفير وسائل السعادة و الأمن و الرفاهية و أداء المسئولية ، و من الثقة و الايمان و المركز القوى ، فذلك هو الطريق الآمن لانقاذ هذا العالم من مستنقعات الشقاء بكل أنواعه ، ولحل ما يعيشه من قضايا معقدة من الحروب و العداوات و وسائل التدمير الواسعة التى صنعها الانسان المتمرد اليوم بيده وعاث بها فساداً فى الأرض

فهل نحن فاعلون ، أم فى الغفلة ساهون ؟ ! ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

الاسلام و العلم الحديث

سماحة الشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

[هذه محاضرة ألقاها سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى جامعة التكنالوجيا بمدينة كوالالمبور بماليزيا ، أمام نخبة من علماء و أساتذة العلم الحديث ، و بجموعة كبيرة من أساتذة الجامعة و طلابها ، و ذلك فى اليوم ٧ / من شهر ابريل سنة ١٩٨٧م ، ننشرها لتعميم النفع] [التحرير]

إخوانى أساتذة الجامعة و طلبتها و الدارسين فيها ! تعلمون جميعاً بل يؤمن كلكم أن القرآن هو كتاب الله المنزل من السماء ، وهو كتاب عقيدة و عبادة ، وهو الكتاب الذى يربط الخلق بالخالق و يبين للخلق كيف يرضون الخالق و كيف يتقربون إليه ، وكيف ينالون رضاه و يستحقون رحمته ، لذلك فان القرآن ليس كتاب هندسة ولا كتاب صناعة يعلم الصناعات أو يشير إلى العلوم التكنالوجية ، إنه لا يذكر فقط أن الله خلق الزجاج وخلق الحديد ، لا بل يقول : و أنزلنا الحديد ، إن هذا التعبير و نسبة الفعل إلى الله تبارك وتعالى تدل على أن للحديد أهمية و مكانة ، ثم من المعلوم أن الحديد يستخرج من المعادن ، ويولد ويتكون فى طبقات الأرض و يستخرج من المعادن ،فكيف قال الله تعالى : وأنزلنا الحديد، معنى ذلك أن قدرة الله تناولت الحديد و اتجهت إلى الحديد فخلقه الله فى كمية كبيرة و فى قوة عظيمة و لفائدة جليلة و فى نفع عام، فان الله سبحانه يضيف صيغة الانزال إلى الكتب السماوية و إلى النعمة الكبيرة ، و لكن نفس التعبير جاء للحديد فقال : و أنزلنا الحديد ، يعنى كان وجود الحديد بارادة الله تعالى،

و إرادته عالية قاهرة غالبة ، وقادرة على كل شئ ، فالتعبير يدل على أن للحديد أهمية و مكانة و أنه شئ قد اتجهت إليه إرادة الله تبارك و تعالى لخلقه كأنه أنزله من السماء ، فيقول ، و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد » و هذا تعبير قرآنى ، و لى مشاركة باللغــة العربيـــة كما أشار إلى ذلك الذى تولى تعريفى و ذكر أساتذتى ، و أكثرهم من العرب ، و لـكنى أقول بسبب معرفتى للغة العربية وشغفى بها : إن التعبير : فيه بأس شديد ، هذا تعبير قرآنى معجز ، ومهما قيل ، فيه بأس شديد تصنع منه الأسلحة ، تصنع منه الآلات ، تصنع منه المفاتيح ، و لـكن لم يفد شئ من هذا المعنى الذى فى قوله تعالى : فيه بأس شديد، لأن كلمة البأس بليغة جداً و جامعة تشمل الحروب و تشمل الدفاع و تشمل ما يمنع و ما فيه شوكة و صولة و قوة ، و لذلك قال « و أنزلنـا الحديد فيه بأس شديد » ثم قال : « و منافع للناس » فجعلها نكرة و لم يذكر منافع خاصة ولو ذكر منافع خاصة كان خاصة بعصر دون عصر ، و بلد دون بلد ، و لـكن مهما تقدم علم التكنالوجيا ، ومهما تقدم علم الصناعة ، ومهما تقدم فن الحرب و الاستراتيجية ، فان الآية تشمل كل هذا ، لأن الله يقول : « فيه بأس شديد و منافع للناس » لأن الفوائد لم يحصرها الله تعالى ولم يعدها عداً ، فهذه قطعة قرآنية رائعة تستحق التأمل ، ونحن نعرف ما نشتغل به ، فاذا كانت بيئتنا حسنة و إذا كانت جامعة تكنالوجية فى أى بلد أنشأهـا المسلمون ليكونوا أقوياء ليكونوا علماء ليـكونوا عارفين بأسرار الله تبارك وتعالى ، أسرار قدرة الله تعالى ، ويستعملوها لصالح الانسانية و يستخدموها لسعادة البشرية فيكون ذلك فى محله .

لقد كان موقف رسول الله ﷺ نفس موقف القرآن من العلوم ، و من الطاقات و من الوسائل و الآلات ، و هو أول نبى و آخر نبى كان يعرف قيمة العلم و كان حريصاً على أن يتعلم الناس و يقرأوا و يكـتبوا مع أنه كان أمياً ولـكنه كان حريصاً على أن يتعلم المسلمون ، فقد جاء فى السيرة النبوية و التاريخ

الاسلامى أن أسارى بدر منهم من كان لا يملك ما يفتدى به فجعل الرسول ﷺ فديته أن يعلم الكتابة عشرة من الاطفال و يعلم عشرة من المسلمين، يعلمهم الكتابة والقراءة، وكان يعرف قيمة الأسلحة الحربية وقيمة ما يدافع به الانسان عن نفسه، و قد جاء فى حديث معناه أن الرسول ﷺ قال إرموا بنى اسماعيل فان أباكم كان رامياً، و قال: من علم الرمى ثم تركه فليس منا، أو قال: قد عصى.

فليس من الدين وليس من الزهادة وليس من التقدم الروحى وليس من الصلاح و التقوى أن يكون المسلم جاهلا و أن يكون المسلم عازلا ضعيفاً، و قد جاء فى حديث: المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف و فى كل خير، ولكن القوى خير من المؤمن الضعيف.

أنا مسرور جداً أن فى هذا البلد المسلم و فى هذا الشعب المسلم تقوم مثل هذه الجامعة التى تعنى بالعلوم التكنالوجية، ولكن المهم يا إخوانى أن نتعلم ذلك بنية صالحة أن نكون مخلصين فى تعلمنا، حتى يكون لنا أجر تعلم العلوم النافعة التى تنفع الناس فى الدنيا و الآخرة فالذى ينوى أنه يتعلم هذا العلم و يدرس فى هذه الجامعة ليخدم المسلمين ويخدم الاسلام ربما يكون أفضل من ذلك الذى يتعلم فى جامعة دينية خالصة و لكن نيته أن يبارى بعلمه العلماء و السفهاء، و من الاحاديث المشهورة « إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى إمرأة ينكحها أو يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه » و إن الامام البخارى أمير المؤمنين فى الحديث محمد بن اسماعيل افتتح كتابه بهذا الحديث، فأول شئ، النية، يعنى أن تكون نيتكم أن لا تتعلموا هذه العلوم لتملأوا بطونكم و تتهيأ لكم بها وسيلة المعاش، أو تولوا وظيفة فقط، هذا صحيح جائز مباح، ربما يكون فيه الثواب و لكن انووا أنكم ستنفعون بهذه العلوم التكنالوجية المسلمين و النظام الاسلامى و المجتمع الاسلامى، فالشئ الاول و المهم: النية، كان المسلمون

أساتذة فی جمیع العلوم ، کانوا أساتذة العالم فی علم الطبیعة وفی علوم الریاضیات وفی الکیمیاء ، و کان منهم حکماء و فلاسفة مثل الشیخ بو علی سینا و ابن الهیثم، هؤلاء کلهم کانوا أساتذة الغرب ، و من الأندلس الاسلامیة العربیة التی یسمونها الآن أسبانیا ، من أسبانیا المسلمة العربیة انتقلت العلوم و التیار العلمی و الفکری إلی الغرب کله ، والمسلمون هم الذین قدموا للعالم علم الاستقراء کما اعترف به علماء الغرب، کلهم یعترفون أن « باکون Bacon » الذی ینسب إلیه أنه هو الداعی إلی الاستقراء کان تلمیذاً علی الذین خرجوا من أسبانیا و الذین درسوا فی أسبانیا ، و علم الاستقراء خلق هذا التیار العلمی ، فأقبل الناس علی الاطلاع علی الجزئیات و بالاستقراء تقدمت أوربا و وصلت إلی ما وصلت ، و قد اعترف بذلك خبراء التاریخ و خبراء العلم ، و قالوا إن أوربا إنما حدثت فیها ثورة عقلیة علمیة بعد ما أخذت علم الاستقراء من الأساتذة العرب ، فکان المسلمون الأساتذة وبقی العالم عالة علیهم قرونا کثیرة ، کان علماء الغرب عالة علی المسلمین یقتبسون منهم العلوم و یتلقون منهم التجارب و الخبرات ، و لکن بعد ذلك حدث غیر ذلك ، یعنی انقلب التیار و أصبح المسلمون سری فیهم الکسل ودب الیهم النوم ، دبت إلیهم الغفلة ، و صاروا ملوکاً مترفین و أغنیاء و أمراء فانتقلت الامامة فی العلوم النافعة المفیدة من الشرق المسلم المؤمن بالله تبارك و تعالی إلی الغرب الملحد ، و هذا کان شؤماً فی حق الانسانیة ، ولما تولی الغرب الرئاسة فی العلوم کان من واجب المسلمین أن یتجهوا إلی هذه العلوم ، فان الحکمة ضالة المؤمن حیث وجدها فهو أحق بها ، کما جاء فی الحدیث ، فالمسلمون أحق بهذه الحکمة لأن یستخدموها لسعادة الانسانیة ، و لصالح العالم کله ، لیس لصالح أوربا ، و لا لصالح المعسکر الشرقی و المعسکر الغربی .

فقط فلما انتقلت الامامة إلى الغرب كان من واجب المسلمين في البلاد الاسلامية المجاورة لأوربا أن يتعلموا من الغرب ما ينفعهم و يصبغوه بصبغة إسلامية فيخضعوه لصالح المسلمين و لغايات صالحة ، لا ليتنعموا و يربحوا و يجلبوا أموالا كثيرة ، و كان لا بد أن تكون لهم شخصية مستقلة في مجال هذه العلوم كذلك ، فيجب أن يكون عندنا بارعون أصحاب اختصاص ، يجب أن يكون عندنا من يصنع القنبلة الذرية ، لأن هذا يعد من قبيل « و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » فيجب علينا أن نعد للاعداء ما يرهبون به و لا يجرؤا علينا ، فأنا مسرور جداً بقيام مثل هذه الجامعات في العالم الاسلامي إذا كانت في باكستان إذا كانت في مصر إذا كانت في السعودية فعشر مرات أهلا وسهلا ، و إذا كانت في بلدنا المسلم هذا ، في ما ليزيا فرحباً ، و أنا مسرور كذلك ممن قد انتسبوا إلى هذه الجامعة وهم يأتون إلى الجامع أيضاً ، جمعوا بين الجامعة والجامع وقلما يوجد من يجمع بين الجامعة والجامع ، والذين يجمعون بين الجامعة والجامع هم الذين يعملون بقول الله تعالى « ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » فنعم هذا ، حينما دخلت هذا المسجد في صلاة المغرب وجدت هنالك أن أكثر المصلين من طلبة الجامعة ، فما أحسن إذا اجتمع الدين و الدنيا معاً .

و أرجو أن يوجد هنا في هذه الجامعة التعاون للجامعة مع الجامع ، فأنا مسرور بهذه الرؤية ، و أرجو أن تكونوا بارعين فائقين حتى تنالوا « جائزة نوبل » و هذا يكون بشارة للمؤمنين و يفرح المسلمون في أنحاء العالم على أن ينال المسلم الجائزة ، ولا نعرف في هذا إلا اسما واحداً أو اثنين ، فيجب أن يناله عشرات من المسلمين في العلوم الرياضية ، في الطاقة الذرية ، و في العلوم الكيمياوية ،

و أنا أحثكم يا أبنائى ، يا تلاميذ الجامعـــة على أن تخترعوا شيئاً جديداً ، و أن تفتحوا منفذاً جديداً فى العلوم ، فيكون لكم مركز عال ممتـاز حتى يستحق بعض زملائكم أن ينالوا هذه الجائزة .

هنالك فى العالم الاسلامى مؤلفون ، هنالك أدباء يعرف فضلهم العلماء الكبار فى أوربا و أمريكا ، هنالك علماء الدين ، هنالك الفقهاء ، و لكن العباقرة المجتهدين فى العلوم العصرية قليلون نادرون ، فأرجوا أن تتخرجو من هذه الجامعـــة حتى تشرفوا العالم الاسلامى و المسلمين فى شبه القارة الهندية ، إذا سمع غير المسلمين فى بلادنا مثلا أن شابا مسلماً فى ماليزيا نال جائزة نوبل ، فهم ينظرون إلى المسلمين فى الهنـــد باحترام وتقدير ، لأنه فرد من أفراد هذه الأمة ، فلا تستهينوا بقيمتكم و لا ننيتكم ، فان العبرة بالنية و الاخلاص ، فاذا كنتم مخلصين فى دراستكم لهذه العلوم تنالون من الله تبارك وتعالى فى هذه الدنيا وفى الآخرة من الأجر ما يناله كثير من العلماء و الزهاد .

اكتفى بهذا و أدعوا الله لكم بالنجاح ، و أن يشرف بكم الاسلام و أن يبيض وجه المسلمين ، وهم قد فقدوا الشئ الكثير مما كانوا يتمتعون به من شرف ومكانة وعزة ، فالله على كل شئ قدير ، والنية الخالصة مع بذل المجهودات سر النجاح ، قال الله تعالى « وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيكم سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » يعنى ثلاثة أشياء ، ليس للانسان إلا ما سعى ، فالموئل الأول هو السعى ، ثم لم يقل إن سعيه سيرى ، بل قال سوف ، و سوف للتأكيد ، فاذا لم يكن النجاح فى وقت قريب فلا تيئسوا ، ثم قال : إنه سيجزيهم الجزاء الأوفى و لم يقل الجزاء فقط بل الجزاء الأوفى ، فتدبروا .

أكرمنا الله بالتوفيق و الاخلاص و السداد ، و السلام عليكم و رحمـــة الله و بركاته .

من مهمات الاعلام الاسلامى

بقلم : الدكتور محمد سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » (الرياض)

كلما نشط المسلمون ، و بدأوا يستيقظون من سباتهم ، بدأت أمم الأرض تهتم بدراسة أحوالهم ، و تستقصى معلومات عن دينهم ، لأن النفس البشرية تتطلع إلى استقاء المعلومات عن أى حدث جديد برز ، و تتبع كل معلومات عن كل دين يتعلق بالوجدان ، فيبدأ أرباب القلم ، و أدعياء الفهم فى تلبية حاجة الناس ، و محاولة الاجابة على تساؤلاتهم ، ليتعرفوا ببعض الطرائف عن تلك الأمة ، و جوانب ذلك الحدث .

و الدارسون للاسلام يصدمون بعقبة كأداء ، هى تناقض فكر ، و غلبة هوى أرباب القلم الذين هم أعداؤه ، فلا يريدون توضيح مكانته ، و لا شرح ما تنطوى عليه تعليماته ، فيبدأون فى محاوله تشويه صورته ، و الكذب على بعض حوادثه التاريخية ، و اختلاق المسببات حول حامل لوائه محمد ﷺ ، الذى يعتبره المستشرقون و رجال الكنيسة عدوهم الأول .

فتحت ستار العلم ، وخلف الرغبة فى البحث العلمى كانت كتابات المستشرقين الغربيين تثير كوامن الحقد على الاسلام، والتعصب لجذورهم وعقائدهم الصليبية ، وقد كشفت الأيام كذب ادعاء المنهج العلمى الذى قام به بعضهم مثل جولد زيهر الألمانى ، و مرجليوث الانجليزى ، و أميل ردمنحم الفرنسى ، و غيرهم كثير ، ممن أوهم بدراسته أنه يريد التقريب بين المسيحية و الاسلام فى خداع بعض المسلمين بما يقدم من فكر ، و ما يناقش من أمور جاءت بمفهومه هو لا بمفهوم الاسلام و نظرته .

وقد سار فى هذا الطريق كثير من أبناء المسلمين، الذين تبنوا ذلك الفكر، و تحمسوا لما طرح أساتذتهم من وجهات نظر، لقصر نظرهم، وقلة فهمهم.

ولقد أشار «إتيان رينيه» بعد اسلامه بصراحة عما تأصل فى فهمه حول المستشرقين، وما يدعون إليه بقوله: إنه من المستحيل أن يتحرر المستشرقون عن عواطفهم المختلقة تجاه الاسلام، و حرصهم على تشويه صورته فى الأوساط الثقافية، و من أجل ذلك بلغ تحريف بعضهم سيرة الرسول ﷺ مبلغاً غطى على الواقع و أخفى الصورة الحقيقية لتاريخه الصحيح.

مع أن فيهم من يعترف بصحة السيرة التى كتبها مؤرخو العرب، و أنها مرجع مهم لمن يريد الانصاف بالكتابة بتجرد، فهذا الدكتور، بورند باسوت سميث، يقول من ضمن كلام له منصف: قد لا نعلم عن سير الأنبياء إلا شذرات، أما الاسلام فأمره واضح، ليس فيه سر مكتوم عن أحد، ولا غمة ينبهم أمرها على التاريخ، ففى أيدى الناس تاريخه الصحيح، وهم يعلمون فى أمر محمد كالذى يعلمونه فى أمر لوثر وملتن، و إنك لا تجد فيما كتبه المؤرخون الاولون الأساطير، ولا أوهاماً و لا مستحيلات، و إذا عرض الك طرف من ذلك أمكنك تمييزه عن الحقائق التاريخية الراهنة، كأنه شمس الضحى فى رابعة النهار، تجد تحت نورها كل شئ.

و إذا كان بعض المستشرقين الذين يرجعون لأصل يهودى قد حاولوا طمس معالم الاسلام و تشويه صورته، و الكذب على محمد ﷺ بقصد و دراية، ليوهموا من يريد معرفة شئ عن الاسلام بادراكهم لخفاياه و أنهم كتبوا من واقع دراستهم.

فان هذا ليس بغريب فقد كان هذا دأب اليهود مع نبيهم موسى عليه السلام، وهو الذى أخرجهم من ظلم طاغوت مصر و فرعونها الذى كان يسومهم

سوء العذاب، يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم، و بعد أن أغرقه الله فى اليم هو وجنوده.

ثم زادوا الأمر كذباً و عصياناً لرسل الله بعد موسى، و حاولوا قتل عيسى بعد أن وقفوا فى عناد مستمر ضد ديانة عيسى، و فى عداء متجدد مع النصرانية، و ازداد الأمر بعد خروج محمد ﷺ برسالته فى نقاش و شبهات، و عناد و مكابرة حتى كانت آخر هزيمة لهم فى خيبر ثم أخرجهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من جزيرة العرب بعد ما تأكد لديه قول رسول الله ﷺ: « لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب ».

فاليهود فى كل عصر يلبسون وجهاً يحاربون به رسالات الله، وشرعه الذى أنزل على عباده، ففى عهد نفوذ النصرانية استبطنوا الخداع و المراوغة لافساد النصرانية، حتى أدرك بعض زعمائها ذلك عنهم فعقدوا مؤتمراً كنسياً فى إحدى مدن الروم فى ذلك الوقت عام ٣٨٥ بعد الميلاد، فى تركيا المسلمة حالياً، لمخالفتهم بأمور فرضوها على أنفسهم من أجل معاندة اليهود فقط، و هذا التاريخ سابق للبعثة المحمدية بما يقرب من ٣٠٠ سنة.

و فى عهد رسول الله ﷺ سلكوا طريق الشبهات وطرح التساؤلات من باب التعجيز لخسروا الموقف. ثم فى عهد عثمان و ما بعده سلكوا منهج الباطن و إفساد العقيدة فنشأت الفرق السبائية نسبة إلى عبد الله بن سبا اليهودى الذى دخل الاسلام من أجل إفساده، و تفريق صف المسلمين.

و فى عصر النهضة الحديثة لاوروبا دخلوا ميدان الاستشراق، و قد عرف منهم رجال سعوا بجهدهم للاضرار بالاسلام مثل: جولد زيهر الالمانى و صموئيل زويمر الانجليزى.

وحتى لا نظلم جميع المستشرقين فقد كان بعضهم ممن لا يمت لأصل يهودى يقول الحق لكلمة الحق، و قد أنصف الاسلام و رسالة [illegible] كثير منهم،

و بقيت كلماتهم المرصودة شهادات حق يستنير بها من ليس فى قلبـــه مرض ، و الاعلام الاسلامى عليه واجب التعريف بهؤلاء القوم و أعمالهم ، و نماذج من حقدهم على الاسلام ومحاولاتهم التضليل ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى و لئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » .

[سورة البقرة الآية / ١٢٠]

الآيدز يثير الرعب فى بلاد الغرب :

مرض خطير انتشر فى بلاد الغرب منـذ عام أو عامين ، أو على الأصح ثارت ضجة عندهم بعد ما أعلن الأطباء استعصاء هذا المرض الذى يصيب الجسم بفقدان المناعة ، و آخر ما نشر من أخبـاره على لسان طبيب عربى هو الدكتور سـامى فتحى رئيس قسم الفيروسات بالمختبر الاقليمى و بنك الدم بالدمام ، فى محاضرة ألقاها ، بأن عدد المصابين بهذا المرض فى أوروبا و أميركا قد يصل لربع مليون ، وأعاد السبب للاتصالات الجنسية الشاذة ، مما جعل نقل الدم من شخص لشخص يمثل مشكلة كبيرة لدى المرضى و الأطباء على السواء .

و عند ما نقف عند ناحيتين من قول هذا الدكتور : هما : الاتصـالات الجنسية الشاذة ، و العدد الذى يبلغ ربع مليون .

فـلا شك أن هذا ينبئ عن انحطاط فى المستوى الأخلاقى ، تسبب عن لاتصالات الشاذة ، و هذا مظهر من مظاهر حضارة القرن العشرين ، الذى يمثل حرية العلاقات الجنسية و الحرية الشخصية للشباب - ذكوراً وإناثاً - مما تأنف به الحيوانات بأنواعها ، فكيف رضى الانسان لنفسه الانحطاط لمستوى أقل مكانة من أدنى الحيوانات منزلة .

هكذا زين اليهود الذين قاد فكرهم هــذه الحضارة ، فأوقعوا المجتمعات الغربيـة فى مشكلات عـديدة أزعجت العقــلاء ، بدأها اليهود و تجار الرقيق الأبيض بالصور الخليعـة و نوادى العرى و اللعب الليليـة ، و الأفـلام المزرية ، وأنواع مختلفة من تلك الأعمال التى أوقعت المجتمعات فى حيص و بيص ، فضاعت القيم ، و اختفى الحياء فخرجت إحصائيات عديدة عن :

— الأمراض المنتشرة بسبب ذلك وتفتك بالناس : كالزهرى والسلفس والقرحات ، و الأمراض الجلدية المختلفة .

و ظنوا أنهم وجدوا لذلك علاجاً ، و أسباباً تكافح ذلك ، فلم يرتدعوا .

— ثم كثر اللقطاء و ضجت المدارس الثانوية و الجامعات من كثرة المواليد ، ومن حالات الحمل و الاسقاط غير الشرعيين و لدى المراهقين و المراهقات بصفة خاصة ، فصم كثير منهم آذانهم عن ذلك باعتباره حالة تحصل فى مثل هذه السن و تناسوا الأرقام المخيفة التى أرهبت ذوى الحجـا و البصـائر ، الذين صاحوا منبهين ، و لكن لا مجيب .

— ثم كثر التمرد الأسرى و انزعاج الأولياء من تصرفات و شــذوذ أبنـائهم المخزى ، فجاء من يقف إلى جانب هؤلاء الأحداث ، و سن لهم مواد فى القوانين تحميهم وتصرفاتهم . . مما نتج عنه أرقام مخيفة فى جرائم الأحداث و الاعتداء و التسلط ، فازداد الأمر وباء على وباء .

— وكثر رواد مستشفيات الأمراض العقلية من الشباب بنوعيهم بعوامل نفسية ، نتيجة لهــذه الأوضاع المضطربة و الضياع الذى أحاط بهم . . و كانوا يتصورون الخروج من هذه المشكلات بمحاولة نسيانها بأشياء زينت لهم ، وهى المخدرات والمسكرات ، فلما أسرفوا فيها أدركوا أنهم فى عملهم هذا كمن يطفئ النار بالزيت ، فهو يزيدها اشتعالا بدل أن يكون مطفئاً لها .

- و أخيراً جاء هذا المرض الذى أقلق راحتهم و فتك بمترفيهم ، كما تطالعنا أخبارهم فى الصحف صباح مساء .

كل هذا لعل القلوب ترتدع و الأفئدة تثوب إلى رشدها ، و هذه عبرة و عظة للسلمين ليعلموا أن سلامة النفوس ، و وقاية المجتمعات لا تكون إلا فى السلوك الحسن و السير وفق منهج الاسلام الذى تحمى تعليماته النفس و المجتمع من كل ضرر قريب أو بعيد .

و من أمثال هذه العبر ندرك نحن معاشر المسلمين عندما نتفقه فى ديننا :

- لماذا حرم الله الزنا ؟
- و لماذا شدد الله و رسوله فى عمل قوم لوط ؟
- و لماذا جاء النهى عن شرب الخمر ، أو تعاطى كل مسكر و مفتر ؟
- و العلل الكثيرة حول إباحة الطيبات ، و تحريم الخبائث ؟

و هذه النذر التى نلمس بعضها فيما استعرضناه ما هى إلا إشارات حمراء ، على طريق طويل يحس به المرء فى هذه الحياة ، و يدرك بعض أسراره بما يرى و يلمس ، و بما يظهر له فيما يحيط به ، خاصة فى هذا العصر الذى أصبح العالم فيه كتلة واحدة يأخذ بعضهم أخبار بعض ، و يتصل بعضهم ببعض بسرعة من أقصى الدنيا إلى أقصاها .

و قد أبان الله عن هذه النذر بقوله عز وجل فى كتابه الكريم : «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء قدير » .

فالعظات و العبر يسوقها الله للفئة المؤمنة ، التى تدرك باحساسها و تعى بقلوبها ، فتعرف أن المصيبة التى حلت ، و الكارثة التى نزلت جاءت بذنب اقترف ، و على شأن لم يأذن الله به قد تساهل به الناس .

والمسلم يجب أن يدرك من منطوق الآية العظة و العبرة ، فيكون على نفسه محاسباً ، و لمجتمعه داعياً و موجهاً .

يقول بعض السلف : كنت إذا أذنبت ذنباً عرفت ذلك فى خلق زوجتى و ولدى ، و فى تصرفات دابتى .

و قد أخذ ذلك من قول الله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

إن ما نرى و نسمع حولنا سيحل بنا إذا سرنا كسيرهم ، وقلدناهم فى أعمالهم و تصرفاتهم ، فالاسلام أعطى شخصية مميزة للفرد فيه ، تحفظ عليه نفسه بالصحة ، و مجتمعه بالأمن ، و ماله بالنماء ، و بيئته بالراحة .

و هذه الأمور مطالب تتوق إليها النفوس السليمة ، و المدخل إليها سهل وميسر قد رسمه الاسلام و وضع على جنباته الحواجز التى تردع الغافل ، وترشد طالب المعرفة ، و توجه الناسى ، و تعلم الجاهل .

و التعريف بذلك فى أعناق المسلمين نحو أنفسهم أولا ومن حولهم ثانياً ، و للامم فى أرض الله ثالثاً .

دفاع عن الرسول بأقلامهم :

الحكمة العربية تقول : « الحق ما شهدت به الأعداء » ولقد كتب كثير من أبناء الغرب أقوالا كثيرة هى خير رد على أعداء الاسلام من أبناء تلك الملل و النحل ننقل هنا قطوفاً من ذلك النبع الكثير كشاهد على ما حرفوا من الحق .

يقول دينسون فى كتابه : العاطفة كأساس للحضارة :

« وقفت حضارة العالم فى القرنين الخامس والسادس على شفا الهاوية ، وتعفنت جذورها ، و اختنق النظام و القانون ، و فى وسط هذه الاضطرابات ولد الرجل

الذی قدر له أن یوحد العالم المعروف وقتذاك بشرقه و غربه و جنوبه ، و کان هذا الرجل النبی محمد الذی کان فریداً فی شخصیته منذ البدایة و عظیماً فی أخلاقه و سلوکه ، و قد کان رقیقاً عطوفاً و مستقیماً عادلا ، و کانت له جاذبیـــة حلوة اختص بها ، إما فی أحادیثه و إما فی مسلکه ، و رغم أنه ولد بین أناس أشرار إلا أنه لم یتورط فی أی یوم من الأیام فی أی عمل غیر لائق ، و کان یشارك القوم أفراحهم و أتراحهم ، و کان علی استعداد دائم لأن یعین المحتاج و البائس و الفقیر و الضعیف والأرملة و الیتیم و العبد و عابر السبیل » .

ویقول سیرولیم میور : إن کل الناس یجمعون علی أن شباب محمد کان شباب تواضع فی سلوکه وصفاء ونقاء فی تصرفاته ، الأمر الذی ندر وجوده بمکة .

ویقول س. ب. سکوت ، فی «کتابه تاریخ الامبراطوریة المحمدیة فی أوربا » : لقد تمت إنجازات محمد دون أن یساورها أی إطماع ، وکان عقله قادراً علی حل أعتی و أعقد مشکلات السیاسة و کانت له حنکة و درایة سیاسیة لم تکن لدی من یطلق علیهم التاریخ اسم منشی الأمم .

أما و. مونتجومری وات ، فیقول فی کتابه : محمد النبی و رجل السیاسة : کان ماهراً و حصیفاً فی إدارته و کان حکیماً فی اختیار الرجل الذی کلفهم بأعباء الادارة ، و الواقع أنه إذا کانت إدارة شئون الناس إدارة خاطئـــة أو متعثرة ، فان من العسیر أن تقام مؤسسات وسیاسات سلیمة ، وحین مات محمد ﷺ مضت الدولة التی أنشأها فی طریقها الصحیح ، وکانت قادرة علی أن تصمد للصدمة التی واجهتها برحیله ، وما أن أفاقت الدولة من هذه الصدمة حتی راحت تمد حدودها بسرعـــة فائقـــة » .

معجزة الشريعة الاسلامية و تحدى العصر المعاصر

تطبيق الشريعة الاسلامية ضرورة كل عصر و مصر

الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى
رئيس تحرير مجلة « نداء الفرقان » بنغلور

إن الدراسة الشاملة لديانات العالم المختلفة و قوانينها لتدل على أنه لا يوجد قانون من القوانين الموجودة دون الشريعة الاسلامية يستطيع أن يدعى هداية جميع البشر و توجيهه ، و يضمن فلاحه و سعادته ، فان هذه الشريعة السمحة التى تحيط بكل جانب من جوانب الحياة الانسانية ليست متزنة مقتصدة فحسب بل وتتمكن من الدرجة العليا من المعقولية والواقعية ومليئة بالحكم والمصالح ، وبذلك هى مظهر من مظاهر رحمانية الله و عدله و شفقته على النوع البشرى ، فأحكام الشريعة الاسلامية كلها ليست معقولة و متسايرة مع العقل وحدها و إنما هى قائمة على أسس عليه محكمة ، وهى على المكانة العالية قانوناً سرمدياً خالداً ، و من هناك كان التبديل والتعديل فى شريعة الله مستحيلا ، ولكن التبجح بهذه الكلمات و مجرد دعوى بلا دليل لا يغنى شيئا ، بالنسبة للعصر الحاضر و متطلباته ، بل ويتحتم لاثبات عظمة الشريعة وتفوقها على غيرها بيان مصالحها وحكمها وأهميتها وحاجة الناس اليها فى ضوء الأدلة العلمية والعقلية أمام العالم المعاصر ، كما يتوجب تعريف القيم والأقدار الاسلامية الصحيحة التى عادت ملقاة وراء ظهورنا لتفريطنا عملياً .

ومما لا مراء فيه أن القرآن الكريم هو وحده صحيفة من الصحائف الربانية أكدت كثيراً على النظر و التأمل فى الشؤن الدينية و الأحكام الشرعية ،

و استخراج الحكم و المصالح العقليـــة من غضونها ، حتى تثبت معقولية الشريعة الاسلامية من جهة ، وتستبين عظمتها و معالم تفوقها من جهة أخرى ، فنى الدين الاسلامى من هذا الاعتبار أهمية قصوى للعقل و النظر ، و يكفى لتقدير أهميتها أن القرآن الكريم استعمل كلمة العلم و مشتقاته ٧٨٨ مرة ، و العقل ٥٠ مرة ، و التفكير ٢١ مرة ، و الفقه كذلك ٢١ مرة ، و كما أنه يدعو الانسان فى هذه المواضع إلى معرفة حكمة الخلق أو وجود الخالق وكيفية ربوبيته تعالى بعد التفكير و النظر فى الأشياء المختلفـــة فى الكون ، كذلك تماماً يحثهم على أيضاح حكم الشريعة ومصالحها العقلية و العلمية عن طريق التأمل و التروى فى أحكام الشريعة وأوامر الله تعالى ، فيقول فى غير واحد من الأمكنة عقب بيان أمور الشريعة: « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون، » ويقول فى موضع آخر : « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ، » و يتضح من ذلك جلياً أن الشريعـــة الاسلامية قانون مؤيد بالدلائل والشواهد العقليـة ، و لو لم يكن ذلك لم يسمح الاسلام بالنظر فى أحكامه ، كما هو طبيعة الأديان الأخرى التى لا تسمح مطلقاً باعمال العقل و النظر ، و هناك ميزات أخرى تنفرد بها القوانين الاسلامية فيما سواه ، نورد بعضها فيما يلى :

١ - الاسلام دستور متكامل ضابط للحياة ، (المائدة : ٣)

٢ - كله هدى و رحمة للناس ، (الأعراف : ٥٢)

٣ - هو قانون يتدفق بالحيوية و يبعث على الحياة ، (الأنفال : ٢٤)

٤ - يشتمل على المعروف والأمور المستحسنة و المعقولة (الأعراف : ١٥٧)

٥ - بعيد عن المنكر و الأمور القبيحة غير المعقولة ، (الأعراف : ١٥٧)

٦ - هو مجموعة من الطيبات ، (الأعراف : ١٥٧)

٧ - خال كليا من الخبائث ، (الأعراف : ١٥٧)

٨ - يتضمن القوانين العادلة المنزنة ، (النحل : ٩٠)

٩ - جميع قوانينه سهلة ميسرة ، (البقرة : ١٨٥)

١٠ - ليس فى القوانين الاسلاميـــة أى حرج و لا ضيق ، (المائدة : ٦ و الحج : ٧٨)

١١ - مليء بالحكم و المصالح . (الاسراء : ٣٩)

و بعد ذلك تبدو الشريعة الاسلامية لما يجمع بين المحاسن و الحكم العقلية من المعجزة الالهية ، ولكن الواقع أن المسلمين أنفسهم فضلا عن غيرهم يجهلون اليوم فضل الاسلام ومحاسن القانون الاسلامى حتى إنهم يجهلون إمكان وجودها فيه ، فاذا كان الأمر ذلك فكيف يمكنهم تفهيمها لمن دونهم ، و هذا هو سبب مذلة المسلمين اليوم فى الهند و إرغامهم على تعديل القوانين الاسلاميـة باعتبارها جائرة غاشمة ، وما قضية « شاه بانو » وحركات القانون المدنى الموحد - Uniform Civil Code) - إلا مظهراً من مظاهر تلك الغفلة والجهل ، ونتيجة لهذه الحركات الاعتدائية بلغ المسلمون الهنود من الذهول و الدهشـــة حداً أوقفهم فى الأخير موقف المدافع ، و لا يجدون لبقائهم سبيلا إلا المطالبة ببعض الاحتفـاظات القانونية ، بل أظلمت عليهم الدنيا و ضلت السبل أمامهم .

لو كان المسلمون عرفوا إخوانهم المتوطنين بالشريعة و القوانين الاسلامية على حجمها و أوضحوا دورها و محاسنها فى ضوء الأدلة العلمية و العقلية كما أرادها الله منهم ، ما وقعوا فى هذه الورطـــة و ما دهمهم هذا الأمر ، فهذه الحركات المعادية للشريعة و قوانينها جلها ناتجة عن جهلها التعاليم الاسلاميـة السامية أو أنها وليدة للمصالح السياسية و الدبلوماسية ، و لقلب اتجاه هذا التيار المعادى لا بد لنا من العمل على جهة صحيحة متمسكين بالتوجيهات الربانية .

و قد تهيأ لنا الجو إلى حد كبير بعد قضيــة « شاه بانو » لطرق هذا الباب المنغلق ، فنرى كثيراً من الهنادك المثقفين مستعدين لدراســة القانون الاسلامى

و البحث عن حقيقته بقلوب مفتوحة فى هذه الأيام ، فعلى المسلمين أن يستأنفوا أعمالهم بعزم جديد فى هذا المجال ، انتهازاً لهذه الفرصة الثمينة ، و باعتبارها مدداً غيبياً من الله تعالى ، حتى نتمكن من إقامة الحجة على سيادة القانون الاسلامى و تفوقه على جميع الديانات ، و من أكبر حاجات العصر إعداد المؤلفات فى شتى لغات الهند و خاصة فى اللغة الانكليزية تتحلى بالأدلة العقلية و العملية ، و لكن أكبر مشكلة لنا فى هذه الأيام أن زاوية تفكير المسلمين قد ضاقت إلى حد بعيد حتى إنهم لا يعطون أى أهمية وقيمة لحل قضاياهم بشكل ايجابى و أسلوب بناء ، بعد أن تمت قضية « شاه بانو » ولا يوقظهم من غفوتهم السيف المعلق على رؤوسهم ، سيف القانون المدنى الموحد ، فكان مسئوليتهم لا تتجاوز سوى بعض التظاهرات السياسية ، و الآن حيث تم تقنين عدم التدخل فى الأحوال الشخصيـة للمسلمين (قانون ضمان حقوق النساء المسلمات فيما بعد الطلاق) عام ١٩٨٦م ، فالخدمات العلميـة من هذا النوع إن هى إلا إضاعة للوقت ، و لا ينكر منصف أن هذه النظرية السخيفة و أسلوب التفكير الخاطئ لا بد من تغييرهما و اختيار مسلك الحتمانية المعقولة ، و إلا فلا يسامحنا الزمان المقبل أبداً ، فعلينا أن نكون منتبهين متيقظين دائماً بتقدير الأوضاع و تفرس التيارات الفكرية الجارفة المستجدة فى كل يوم ، مخافة أن يبيت علينا العدو ونؤخذ على غرة ، و كما يدل الحديث النبوى - على صاحبه الصلاة و التسليم - « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فالغلطة الأولى يمكن أن يصفح عنها ، ولكن الغفلة لمرة ثانية لا تستحق الصفح والغفران ، فالحاجة أكيدة أن نغير ما بأنفسنا قبل كل شىء ، و نحاول فهم القانون الالهى و القانون الطبيعى الذى يدور حولنا فهماً صحيحاً ، فلا تستطيع أمة أن تعيش على الضمانات الواهية ، و فى دولة كافرة معارضة لديننا الحنيف لا عهد لها و لا ميثاق ، و المسلمون فى الهند قد بلغ عددهم إلى مأة و خمسين مليون نسمة .

فان عزمنا على أن نعيش فى الهند كأمة حية يفترض علينا أن لا نألو جهداً فى التدبير للحصول على ضمان حياتنا الاجتماعية ، و أهم الواجبات التى نؤديها فى هذا الصدد أن نجعل غير المسلمين يعترفون بمعقولية الدين و الشريعة الاسلامية و نقدم أمامهم مميزات القانون الاسلامى و الحضارة الاسلامية التى تنفرد بها عن الحضارات و الديانات و القوانين الأخرى غير الاسلامية ، و ما دام هذا العمل لا يكتمل على أسس علمية و عقلية لا تتم الحجة على النوع البشرى من جهة العقل ، و قد قال عز من قائل : « قل فلله الحجة البالغة » و بديهى أن مسئولية تغليب حجة الله تعود على المسلمين المتمثلين لأوامره ، فاذا فشلنا فى تأدية هذا الواجب نعد من المجرمين عنده و المقصرين فى طاعته ، لأنه لا يأتى نبى جديد بعد سيدنا محمد ﷺ ، فقد ختم به النبيون إلى يوم القيامة ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء و عليهم مسئولية أداء هذا الواجب ، و لكن الصفقة لا تتم إلا من جانبين ، و التصفيق لا يحصل إلا بمتابعة الكفين ، فكان من الضرورى مؤازرة الموسرين الأسخياء للعلماء و الكتاب حتى يتمكنوا من بذل المجهود نحو أداء مسؤلياتهم الجسيمة .

والحق الذى لا يدع للشك مجالا أن مسئوليات العلماء وأصحاب الأقلام قد تضاعفت ، فعليهم أن يبذلوا طاقاتهم فى ميدان العمل و الجد بكل قوة ، ليرسخوا فى أذهان الناس عظمة الشريعة و تفوقها بالأدلة العقلية ، حتى لا يتجاسر أحد على القول بأن القوانين الاسلامية لا علاقة لها بالمعقولية و الاعتدال ، كما قال عزوجل : « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة » .

و هذه حاجة العصر الحديث الملحة ، بل هى نوع من أعمال التجديد الذى يتطلب التحقيق و البحث و التفانى و الاستماتة ، لأنه يحتاج إلى دراسة قوانين العالم و ثقافاته و حضاراته المختلفة ، اضافة إلى الاستعانة بالعلوم و الفنون و الحقائق

الجديدة ، و ذلك لأن محاسن الشريعة الاسلامية لا تظهر للعيان إلا بدراسة مقارنة للقوانين الاسلامية مع القوانين الأخرى ، ولا شك أن الشريعة الاسلامية لما أنها تتصف بالمعقولية و الاتزان و القسط فهى قانون خالد لا يقبل أى تغيير فى كل عصر ومصر ، و يبدو بذلك معجزة إلهية ، . لكن الناس فى عصر يوزن فيه أى شئ بميزان العقل لن يعترفوا بها كقانون متفوق ما لم تنكشف عليهم حقيقتها بوصفها قائمة على أسس متينة عقلانية ، و لذلك فان من أكبر تحديات العصر و حاجاته الماسة أن نتناول الشريعة الاسلامية و قوانينها بالشرح و التفهيم و مقارنتها بالأديان و قوانينها بأسلوب يثبتها معجزة و قانونا سرمدياً متفوقاً لا مناص منه للبشرية .

ولا يغيبن عن البال أن الحكم الخاطئ الذى أصدرته المحكمة العليا بخصوص قضية « شاه بانو » لم يكن من المصادفات أو المفاجآت ، بل كان هناك أخذ ورد منذ زمان ، وقد سبقته محاولات لتهيئة الجو عن طريق عقد المؤتمرات والمذاكرات ، فالمؤتمر الذى أقامه « معهد دراسة القوانين بالهند فى دهلى » على موضوع « القانون الاسلامى فى الهند المتحضرة » اعتبارا من ١٤ ـ ١٦ يناير ١٩٧٢م ، قدم فيها أحد المحامين فى المحكمة العليا وهو « دانيال لطيفى » مقالا على عنوان « القانون الاسلامى و حاجة التغيير فيه » استرعى فيه الانتباه إلى تعديل مستعجل فى قانون نفقة المطلقة المسلمة ، مستدلا على ذلك بتينك الآيتين الكريمتين من سورة البقرة (٢٤١-٢٤٢) اللتين قد صدر الحكم على أساسهما من المحكمة العليا بعد مرور ثلاث عشرة سنة فى ٢٣ / ٤ / ١٩٨٥م .

وذلك يفيدنا أن المقننين (العقلاء) هم السبب المباشر فى بدء الحركات العدائية للشريعة الاسلامية ، الذين يتقدمون إلى الحكومات أو المحاكم بقرارات مختلفة ، لادخال تغييرات و تطويرات من هذا النوع ، و بالتالى تقوم الدوائر الحكومية بتطبيقها وتنفيذها ، فيجب لغسل أدمغتهم قيام حركات تتولى الرد عليهم بكل قوة ودليل ، ليمكن

تحطيم هذه القوى وسد هذه الفتن على طريقة علمية صحيحة ، و قد أصبحت عادة المسلمين أن يتفزعوا أو يفيقوا من غفوتهم عندما تبيض هذه الحركات و تفرخ ، أو قد يحدث انفجار بسبب حصيلاتها .

و لذلك فلا يصلح للرد على حركة علمية على معنى أصح إلا حركة علمية موازية ، فان الحديد لا يقطعه إلا الحديد ، و من مستلزمات كل ذلك أن تكون الأمة الاسلامية يقظـة مستمدة على الدوام ، و توفر الدلائل على يقظتها بوقوفها مع صفوف الحركات الأولية و الحركات العلمية ، و تتخلص من حركات الاحتجاجات و المظاهرات التى هى من علائم الغفلة و الاهمال .

وبدافع هذا الشعور حملت الأكاديمية الفرقانية (بشرعية الوقف) على أكتافها مسئولية إدارة حركة علمية بتقنية جديدة حسب وسعها و طاقتها ، لتحقيق هـذا الغرض المطلوب ،ولتمهيد السبيل لتطبيق الشريعة، فصممت إعداد الكتب على هذا الموضوع بأسلوب حديث باللغات الأردية و العربية و الانجليزية و غيرها ، بعد الدراسة و البحث الدقيق ، مما يختلف عن مؤلفاتنا التى تتسم بالمنهجية التقليدية القديمة ، وقد تم إصدار بعض الكتب على هذا الموضوع، والأخرى تحت الطبع والنشر ، والاعداد والعمل ـ والحمد لله ـ مستمران ، ولكن الحاجة تدعو إلى إفراد قسم خاص بما يتعلق بالقضايا و المسائل الشرعية ليأتى العمل على حجمه كماً وكيفاً ، و يتفرغ لذلك علماء أكفاء يتولون تحقيق هذا الهدف ، فنناشد المحسنين و أهل الخير و نوجه اليهم نداء خالصاً و مؤكداً أن لا يدخروا وسعاً فى تأسيس مثل هذه الاكاديميات و تمويلها وتزويدها بمستلزماتها و مطالبها ، ليتسنى القيام بهذه الأعمال الجسيمة والخدمات الجلية نحو الأمة المسلمة فى جو من الهدوء و الطمأنينة .

و لنقرأ قول الله عزوجل : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » .

الدعوة الاسلامية فى مرآتها الصافية

بقلم : معالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى
مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (الرياض)

الحمد لله الذى أكمل الدين ، و أتم نعمتـه على المسلمين ، و رضى لهم الاسلام ديناً .

و الصلاة و السلام على الداعى إلى الله و السراج المنير سيدنا محمد و على آله و صحبه و من تبعهم باحسان .

لا يستطيع عاقل عليم سديد النظر و الحكم ، أن يصف واقع الانسانيـة اليوم بأنه واقع سعيد رشيد .

و قد علل هذا الواقع بعلل عديدة :

فمن المحللين المفسرين من قال بأن اضطراب الأوضاع الاقتصادية هى السبب .

و منهم من قال : إن القرار السياسى غير الحكيم هو : العلة .

ومنهم من قال : إن التفكك الاجتماعى هو : جرثومة الوضع العالمى المريض .

ومنهم من قال : إن التسابق على صنع الأسلحة الفتاكة المدمرة هو سبب القلق فى العالم .

وعلى الرغم من وجود أطنان من الكتب ، ومئـات الألوف من البحوث التى تدور حول الموضوع ، فان السؤال الرئيسى الذى ينبغى أن يلقى بقوة و دقة و وضوح هو :

لماذا حدث الاضطراب الاقتصادى والسياسى ، وحصل التفكك الاجتماعى و وقع التسابق المجنون على صناعة المبيدات البشرية ؟

هذا هو السؤال الجوهرى .

و هو سؤال لم تستطع تلك التعليلات أن تجيب عنه ، لأنها تعليلات لمحت مظاهر المشكلة فظنت أنها أسباب ثم بنت على ذلك حلولا ، فجاءت الحلول قشرية مغشوشة ، و من ثم بقيت المشكلات دون حل .

بل زادت رقعة الضلال و البؤس فى العالم .

و لا يزال السؤال قائماً :

لماذا هذا الاضطراب فى العالم ؟

لماذا يحرم الناس من حياة سعيدة رشيدة على الرغم من فنون التقدم العلمى ، و التيسيرات المادية التى لم تكن لأسلافهم ؟

إن الجواب الصحيح عن هذا السؤال الجوهرى هو : الزيغ العقدى و الانحراف الفكرى ، أو - فى جملة واحدة جامعة - هو : ضلال مصادر المعرفة فى أمهات المسائل المتعلقة بالانسان و هى : الاعتقاد ، و التشريع ، و العبادة و السلوك ، و الخلق .

و من المقطوع به ، من حيث الاعتقاد اليقينى ، و من حيث الاستقراء العلمى و الموضوعى لواقع الانسانية اليوم ، أنه لا توجد فى الأرض كلها ، وبين الأمم جميعاً ، مصادر يقينية تهدى الانسان إلى التى هى أقوم فى الاعتقاد ، والعبادة و التشريع ، و السلوك . . سوى مصادر الاسلام :

« أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين » .

فمن يعرف الناس بمصادر المعرفة الحقة ، و منابع السعادة و الرشد لحياتهم الخاصة و العامة ؟

من يدعوهم إلى ذالك ، دعوة لا تعرف البـطء ، و لا التأجيل ، و لا الانقطاع ؟

غير معقول أن يفعل ذلك أهل الكتاب .

و غير معقول أن يتولى هذه المهمة الشيوعيون .

و غير معقول أن ينهض لذلك عبدة الأوثان .

إن المحروم من الهدى لا يملك أن يهدى غيره إليه .

إذن ، فالمسلمون ـ وحدهم ـ هم المكلفون تبليغ دعوة الاسلام إلى الناس كافة ، نيابة عن نبيهم الخاتم ﷺ .

فانما بعث الرسول إلى الناس كافة .

و الأمة الاسلامية تحمل ـ بصفتها وريثـة النبوة ـ رسالة الاسلام إلى الناس كافة .

• • •

و إنما تحمل الدعوة بقصد نشرها .

❋ « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، و ربك فكبر ، و ثيابك فطهر ، و الرجز فاهجر و لا تمنن تستكثر ، و لربك فاصبر » .

❋ « ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته » .

❋ «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين» .

و انتشار الدعوة متعلق بصورتها لدى الآخرين .

و هذه قضية عظيمـة من قضايا الدعوة ينبغى أن يعلمها الدعاة حق العلم و أن يلتزموها على كل حال .

قضية تقديم الدعوة الاسلامية من خلال مرآتها الصافية التى لا شرخ فيها و لا غبار عليها .

فرؤية الآخرين الدعوة من خلال مرآة ملتاثة الوجه ، كثيرة البقع ، تقفهم على صورة للدعوة لا تدعو إلى نظر ، و لا تحفز على قبول .

لقد قدم القرآن الكريم الدعوة الاسلامية فى مرآتها الصافية النقية المجلوة الوضيئة .

- فالدعوة نور :

« قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم .

« أو من كان ميتاً فأحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

« و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا و إنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

و النور لا يرى من خلال مرآة تحجب سناه من فرط أو ضخامة الركام المكوم فوقها .

- و الدعوة حق :

« و بالحق أنزلناه و بالحق نزل » .

« قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد » .

« و الذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق » .

هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق » .

و الحق لا يقدم فى مرآة علتها أوساخ الباطل .

- و الدعوة خير :

❋ « و لتكن منكم أمـــة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون » .

❋ « و افعلوا الخير لعلكم تفلحون » .

❋ « و لو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم و أشد تثبيتاً » .

❋ « و من يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » .

❋ « و قيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً » .

و الخير لا يعرض فى مرآة تفجع الناس بصور الشر .

- و الدعوة رحمة :

❋ « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

❋ « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » .

❋ « و لقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى و رحمة لقوم يؤمنون » .

❋ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليـــه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

و الرحمة لا ترى من خلال مرآة متجهمة ، تجبـــه الناس بمنـــاظر القسوة و الغلظة ، و الجلافة ، و العبوس .

. . .

و قضية المرآة الصافية تشمل الدعاة أيضاً :

❋ « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً و لم يك من المشركين » .

❋ « إن إبراهيم لحليم أواه منيب » .

❋ « و اذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً » .

❋ « و لقد آتينا إبراهيم رشده من قبل و كنا به عالمين » .

❋ « و إبراهيم الذى وفى » .

وقدم القرآن الكريم ـ فى مرآته الصافية ـ نبياً محمداً ﷺ فى الصورة التالية :

❋ « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً ، وداعياً إلى الله باذنه و سراجا منيراً » .

❋ « و إنك لعلى خلق عظيم » .

❋ « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

❋ « و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » .

. . .

و العبرة العلمية و العملية من ذلك كله ، أمران :

- عرض الدعوة فى مرآتها الصافية .
- دفع التشويه عن دعوة الاسلام .

. . .

لقد ازين الباطل وتجمل بصنوف لا آخر لها من التحسينات والتجميلات .
و الحق هو الأجدر بأن يعرض بأساليب أجمل ، ووسائل أبهى و أملح .
إننا نقول : إن العالم فى حاجة شديدة إلى دعوة الاسلام و هداه .
و هذا صحيح .
بيد أن هذه الحاجة لن تلبى ـ بطريقة سليمة ـ إلا إذا أجاد الدعاة وسائل العرض ، و أساليب التقديم .
و للعرض الجميل الجذاب دعامتان :
الأولى : خلقية مبدئية . و الأخرى : فنية .
أما الدعامة الخلقية المبدئية فهى خصال الرحمة ، و الرفق ، و السماحة ، وسعة الأفق ، و التيسير ، التى ينبغى أن يتحلى بها الداعية فى شأنه كله .
أما الدعامة الفنية فهى إتقان فنون العرض و التقديم المعاصرة من صحافة و إذاعة ، و تلفزيون ، و ندوات ، و مؤتمرات ، و معارض . . و ما

يقتضيه ذلك من اكتساب المهارات فى الحوار ، و القدرة على الاقناع .

• • •

ولا يتم تمام حسن العرض للدعوة إلا بدفع التشويهات عنها بقوة ووعى وتخطيط .

فالذين يعملون على تشويه صورة الدعوة الاسلامية إنما يضعون اعتى العقبات فى طريقها و مستقبلها .

وهذه مسألة لا تنفك عن الحرص على منهج تقديم الدعوة على نحو سمح ومشرق .

لقد دأب المستشرقون منذ زمن بعيد على تشويه الدعوة الاسلامية بهدف الصد عن سبيل الله .

و نلحظ أن جهودهم قد ظهرت فى مجالين رئيسيين :

١ — المجال التعليمى ، حيث كانت مناهجهم التشويهية عماد المقررات الدراسية فى الشرق و الغرب ، وقاعدة التعامل مع الاسلام فى مراكز البحث العلمى .

٢ — المجال الاعلامى حيث أصبح ما كتبوه « مادة ضخمة » تغذى وسائل الاعلام فى معظم بلدان العالم بالصور والكلمات التى تشوه دعوة الاسلام .

بيد أن هذا كله يهون - على خطورته - بالنسبة لحركة التشويه الكبرى التى ماجت بها إيران فى السنوات الأخيرة ، و هى حركة الخمينى و من والاه ، و تتأتى خطورة هذه الحركة التشويهية :

- من جهة أنها محسوبة على الاسلام ، و رافعة لشعاره .
- ومن جهة أنها قائمة على مخطط كامل ، غرست عناصر التشويه فى نسيجة الأصلى .
- و من جهة أنها حجة بين يدى أعداء الاسلام ، حجة يتخذون منها مبرراً جديداً فى تجديد حملات التشويه للدعوة الاسلامية .
- و من جهة أنها أتت فى حقبة ارتقى فيها وعى الصحو الاسلامى ، و اتسع مداه ، و هما رقى و اتساع حملا تيارات عديدة فى الشرق و الغرب على

النظر الجدى فى الدعوة الاسلامية، ابتغاء التعرف عليها، والتعامل الموضوعى مع خيارات قبولها ديناً جديداً، و منهجاً منقذاً.

إن الحج ـ مثلا ـ موسم عظيم من مواسم الدعوة، خاصة فى هذا العصر الذى تميز بوسائل إعلام متقدمة تقنيا تستطيع أن تنقل ـ بسرعة وشمول ـ مناسك الحج، و مشاهده الرائعة إلى معظم بلدان العالم، فيتأثر الناس بهذه المشاهد الرائعة، فيتخذون منها مناسبة أومدخلا للاهتمام بالدعوة الاسلامية، و التفكير فى اعتناق دين الاسلام.

و لكن حين يشغب الخمينى فى الحج، و يحدث الهرج و الفتنة فيه، فانه ـ بهذا السلوك الصاد عن سبيل الله يشوه عرض الدعوة الاسلامية، ويلغو ـ بالباطل ـ فى الرسالة المبثوثة إلى العالم عبر الأقمار الصناعية.

إن الخمينى ـ بحركته التشويهية هذه ـ يخدم أعداء الاسلام جميعاً:

- يخدم حركات التنصير التى دأبت على تشويه الاسلام حتى تخلو لها الساحة، و تنفرد بالنشاط.
- و يخدم اليهودية العالمية التى تخصصت فى حملات تشويه الاسلام من أجل ألا يكون لهذا الدين وزن عالمى يحفظ التوازن فى الصراع فى الشرق الأوسط.
- و يخدم الوثنية التى تضيق بالتوحيد، وتدعى بأن فى الاسلام وثنية أيضاً، إن وثنيات خمينى فى عبادة الذات تحفز الوثنية على التشبث بما عندها من عبادات من هذا النوع.
- و تخدم الشيوعية التى لا تزال تزعم أن الدين خرافة.

إن الخمينى يؤكد ـ بحركته الخرافيــة التشويهية ـ مقولات الشيوعيين فى فى اتهام الدين بالخرافة.

و الحقيقة أنهم جميعاً مبطلون .

الذى جعل خرافته و حركته التشويهيـــة ديناً ، و الذى استغل ذلك فى اتهام دين الاسلام بالخرافة .

لقد اتضح أن تقديم الدعوة الاسلامية من خلال مرآتها الصافية قضية كبرى من قضايا الدعوة الاسلامية .

و اتضح - من خلال السياق - الواجب المنوط بالدعاة .

و هو واجب ذو مستويين :

١ـ المستوى الأول : قوة الاندفاع و السرعـة فى عرض الاسلام عرضاً صحيحاً قائماً على منهج أهل السنة والجماعة فى الاعتقاد ، والفهم ، والدعوة والعمل ، و السلوك .

٢ ـ المستوى الثانى : دفع ما يلصقه خمينى بالدعوة الاسلاميـــة من تشويهات و صور قبيحة و منكرة و منفردة فى العقيدة ، و الفكر السياسى ، و إرادة الدولة و العلاقات بين المسلمين ، السياسية الدولية .

نعم . إنه من الحق أن يقال : أن هناك آخرين يشوهون دعوة الاسلام .

و لكن من الحق أن يقال أيضاً : إن ترتيب المخاطر المحيطة بالدعوة أمر يوجبه منهج الدعوة ذاته .

و من المقطوع به أن حركة خمينى التشويهيـة هى الخطر الأول الذى تتعرض له الدعوة الاسلامية فى هذه الفترة .

• • •

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى ، و صفاته العلى ، أن ينصر دينه ، و يعلى كلمة ، و يظهر دعوته .

أهمية الاستعداد العلمى للنهضة الاسلامية

الأستاذ السيد جلال الدين العمرى
مدير معهد البحث و التصنيف الاسلامى بعليكراه (الهند)

تعريب : محمد رضى الاسلام الندوى

لم يزل المسلمون يمرون بأحرج عهد منذ خمسين سنة الماضية ، تغيرت أفكارهم لأجل سيطرة الأفكار الغربيـــة ، و جهلهم بالاسلام ، و حدث تقلب عظيم فى أسلوب فكرهم ، و تبدلت مقاييس الخير والشر ، فأصبح الخير شراً والشر خيراً ، تقلص ظل سيادة الغرب السياسية من العالم الاسلامى و لكن لم يحل محلها نظام سياسى محكم ، فعم الاضطراب و الفوضى فى سائر الأطراف ، و ضيعت أكبر الأمم فى العالم قواها فى الخلاف و الصراع فيما بينهـــا ، و تورطت فى فريسة مشكلات عادية صغيرة ، و لم تستطع أن تقوم بمأثرة فكرية و عمليـــة تذكر ، و تمنحها من الأهمية ما يكون ملحوظاً فأصبحت كفاءتها موضع شك لوى الناس و انحطت مكانتهـا من بين أمم العالم .

و لكن هناك حقيقة أخرى و هى أنه نشأ فى الأمة بأسرها فى نفس المدة شعور باقامة الدين و تجديد الاسلام ، فجعل الناس يصدعون على مرأى من الناس و مسمع بالأمر الذى كانوا يترددون فى النطق به ، و هو أن الانسان كل لا يتجزأ ، و إذا تجزأ تعرضت حياته لتناقض مشين ، والاسلام يقتضى أن يحكم هذا الكل ، فلتكن جميع نواحى الحياة خاضعة له ، الاسلام هو الذى يدل على طرق العبادة ، ويرشد إلى تعاليم خلقية ، ومنه تستنبط مبادىء الاجتماع والاقتصاد ويخضع الحكم والسياسة لشريعته ، و ما أنزل إلا ليغلب ، فليكن ظاهراً على كل فكرة للعالم و على كل ناحية من نواحى الحياة ، فالمؤلفات القيمة التى ظهرت بهذا الصدد فى

هذه المدة فسرت - بالاضافة إلى قضايا أخرى للحياة - هذه المصطلحات التى تحمل إقامة الدين و تجديد الاسلام من أهداف الأمة ، تفسيراً جيداً قوياً ، هذا التفسير فى الأغلب خاضع للاغراض الدعوية ، و لا شك فى أن ذلك حاجة اليوم كما أنه حاجة الأمس ، فان ذلك يوقظ عاطفة السعى للاسلام ، و يحدث رغبة وحيننا إلى إقامته و إظهاره ، و لكن الجانب الدعوى سيطر عليه من حيث خفيت وراءه متطلبات علمية له ، فاقامة الدين عمل دقيق متعقد للغاية ، و قد ازدادت من خطورته وتعقده فى العصر الراهن، وأصبحت متطلباته العلمية عظيمة.

يمكن دراسة القرآن و السنة فى هذا الموضوع من نواح عديدة ، و هنا أحاول ببعض المصطلحات التى وردت فى القرآن الكريم بصدد إقامة الدين و إظهاره أن أكشف اللثام عن متطلباته العلمية .

الدعوة إلى الله :

خذوا أولا مصطلح « الدعوة و التبليغ » فهى المرحلة الأولى و الأساسية لاقامة الدين ، ليست الدعوة أن يلح الداعى على دعوى بلا حجة ، فان آمن المخاطب بدعواه اعتبره سعيداً و اعتبر نفسه ناجحة ، و إن لم يؤمن بها قرره جامحاً متمرداً لالقاء الستار على خيبته وعدم أهليته ، بل الدعوة عبارة عن إخراج العالم من الظلمات إلى النور ، و هى تتطلب بصيرة علمية عظيمة ، فكما تجلو البصارة عالم المحسوسات ، كذلك تكشف البصيرة عن عالم الأفكار و الآراء ، و يكون الداعى فى موقف أن يميز بين الحق و الباطل ، و يدحض الباطل ويحق الحق بقوة الاستدلال ، بهذه البصيرة يقوم رسل الله بواجب الدعوة .

« قل هذه سبيلى ، أدعو إلى الله على بصيرة ، أنا و من اتبعنى » (١) .

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

هذه الآية تدل بوضوح على أن رسول الله عليه الصلاة و السلام وأصحابه المخلصين كانوا يقومون بواجب الدعوة على بصيرة كاملة ، و هذه شهادة من الله سبحانه على أن البصيرة التى كان رسول الله يتمتع بها فى سبيل الدعوة ، كانت تسعد بها كذلك تلك الجماعة المباركة التى كانت توازره فيها ، و الحق أنه لا يمكن لأى طائفة أن تؤدى هذا الواجب بدون بصيرة ، يقول العلامة ابن كثير و هو يفسر هذ الآية :

« يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الجن و الانس ، آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله إى طريقته و مسلكه و سنته ، و هى الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة و يقين وبرهان ، هو و كل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة و يقين و برهان عقلى و شرعى » (١) .

و يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله :

« و إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد و أجلها و أفضلها ، فهى لا تحصل إلا بالعلم الذى يدعو به و إليه ، بل لا بد فى كمال الدعوة من البلوغ فى العلم إلى حد أقصى يصل إليه السعى ، و يكفى هذا فى شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام ، و الله يؤتى فضله من يشاء » (٢) .

وقد ذكر القرآن الكريم الحكمة أولا حيث أوضح كيف ينهض بعمل الدعوة و ما هى الطرق التى تستخدم فى سبيلها : «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة» (٣).

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٩٥–٤٩٦ .

(٢) التفسير القيم ص /٢١٩ بالاشارة إلى مفتاح دار السعادة ١/١٦٣ .

(٣) سورة النحل الآية : ١٣٥ .

معنى الحكمة فى هذه الآية إيضاح الدين بالحجج القاطعة ، يقول الزمخشرى :

« . . . بالحكمة ، بالمقالة المحكمة الصحيحة و هى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة » (١) و مثل ذلك فسر الحكمة القاضى البيضاوى فى تفسيره .

و بذلك يكون أنبياء الله — بعد إيضاح الدين تماما بالحجج و البراهين — فى موقف أن يعلنوا : « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، و ما أنا عليكم بحفيظ » (٢) كلمة « البصائر » فى الآية هى جمع بصيرة ، عبر عن الحجج و البراهين التى يقنع بها الرسول الناس ، بالبصائر ، لأنها تفتح عيون المخاطب ، فيميز بين الحق و الباطل ، و يستطيع أن يحكم فى ضوء النهار ، إلى أين يذهب ؟ و أى مصير يلقاه ؟

الانذار و التبشير :

و خذوا مصطلحاً آخر و هو « الانذار و التبشير » ، لقب القرآن رسول الله ﷺ مراراً بالتبشير و النذير :

« إنا أرسلناك بالحق بشيراً و نذيراً » (٣) و الانذار معناه أن ينذر الانسان من المصير الوخيم على موقفه الخاطئ ، و التبشير أن يبشر بالمصير المحمود على موقفه الصحيح المطلوب ، أحياناً يبدو أن المثقفين من الناس أيضاً يعتبرون الانذار و التبشير فى معنى الموعظة والنصيحة بدون الحجة ، و الترغيب والترهيب المحض ، مع أن ذلك ليس بعمل سهل بسيط ، بل هو إقرار الحق و دحض الباطل ، فاذا قام أحد بواجب الانذار و التبشير بين أمة ابتدأ صراع فيما بينهم بين الحق و الباطل ، وتطرح الأدلة من قبل الجانبين على بساط البحث والجدل ، و يبدأ المخالفون — بعد انهزامهم فى مجال الأدلة — يستهزءون بالدعاة ، ويتخذون

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل فى تفسير الآية .
(٢) سورة الأنعام الآية : ١٠٤ . (٣) سورة البقرة الآية : ١١٩ .

آيات الله هزواً ، هـــذه الأمور كلها مراحل — و فى تعبير آخر مقتضيات — لا بد منها فى سبيل الانذار والتبشير ،وهذا ما بينه القرآن الكريم فى هذه الآية:

« و ما نرسل المرسلين إلا مبشرين و منذرين ، و يجـادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ، و اتخذوا آياتى و ما أنذروا هزواً » (١) .

و بالانذار و التبشير يقيم رسل الله الحجة على الأعداء حيث يبقون عزلا مجردين فى مجال الأدلة ، و لا يصدهم شئ للثبات على الباطل ، فان لم تؤمن أمة بعد ذلك استوجبت عذاب الله فى الدنيا ، و أغلقت لهـا جميع أبواب الاعتذار فى الآخرة :

« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» (٢)

و بالانذار والتبشير أقام رسول الله ﷺ الحجة على أهل الكتاب ، حيث يقول القرآن : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير و لا نذير فقـــد جاءكم بشير و نذير ، و الله على كل شئ قدير » (٣) .

و لا بد لاتمام الحجة من أن تؤدى فريضة الانذار والتبشير بحيث لا تبقى أى شبهة للمخاطب ، و تنكشف جميع المعضلات ، و يتضح الحق وضوح الشمس فى رابعة النهار ، و لا يمكن لأحد أن يدحضـــه بدليل ، و لا يبقى للمخالف إلا الاصرار والتمرد ، فاذا أدى رسول الله واجب الانذار والتبشير لزم على المخاطبين أن يقبلوه و يقوموا لنصرته و الدفاع عنه ، و يعتبر التخلف عنــه ذنباً عظيماً ، تجلت هذه الحقيقة بمناسبة صلح الحديبية .

« إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً ، لتؤمنوا بالله و رسوله ، وتعزروه

(١) سورة الكهف الآية : ٥٦ . (٢) سورة النساء الآية ١٦٥ .
(٣) سورة المائدة الآية : ١٩ .

و توقروه و تسبحوه بكرة و أصيلا ، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » (١) .

يقدر بذلك ضخامة المقتضيات التي يحملها واجب الانذار و التبشير .

و لا يكفى لهذا العمل علم بسيط و معارف عادية ، بل لا بد للداعى من أن يتحلى بالتفقه، والتفقه عبارة عن الحصول على بصيرة عميقة فى الدين وإدراك روحه ، و هذه النعمة لا يسعد بها إلا أولئك السعداء الذين يريد الله بهم الخير « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » (٢) ، و لا بد للانذار و التبشير أن يوجد فى كل قرية أصحاب تفقه كما يقول القرآن : « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين. ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون(٣) .

و هذا ما سماه القرآن الكريم جهاداً كبيراً حيث قال :

« و لو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيراً ، فلا تطع الكافرين ، و جاهدهم به جهاداً كبيراً » (٤) ، يقول الرازى فى تفسير هذه الآية : « المراد و لو شئنا لخففنا عنك أعباء الرسالة إلى كل العالمين ، و لبعثنا فى كل قرية نذيراً ، و لكنا قصرنا الأمر عليك ، وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل ، فقابل هذا الاجلال بالتشدد فى الدين » (٥) .

هاتان الآيتان من سورة الفرقان التى نزلت بمكة ، و لم يوجب الجهاد بالسيف فى العهد المكى بل أمر بمحاربة الكفر و الشرك بأسلحة الأدلة ، فالجهاد لا يكون بالسيف فحسب بل يكون بالأدلة والبراهين كذلك، فقد جاء فى الحديث النبوى الشريف .

(١) سورة الفتح الآيات : ٧-١٠ . (٢) رواه الستة . (٣) سورة التوبة الآية : ١٢٢ .
(٤) سورة الفرقان الآيتان : ٥١-٥٢ . (٥) التفسير الكبير ٦/٣٨٦ .

« جاهــدوا المشركين بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم » (١) و قال الامام راغب : « المجاهدة تكون باليد و اللسان » ، و أضاف إليه العلامة رشيد رضـا المصري : « و الجهاد بالألسنة إقامة البرهان و الحجة » (٢) و حرب الأدلة هذه جرت في مكة حيث أصبح معارضو القرآن عزلا ، أعلن القرآن مراراً :

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن و إن أنتم إلا تخرصون » (٣) ، فلم يكن في وسعهم أن يردوا على هذا التحدي .

و لا يمكن أن نرفع راية هذا الجهـاد إلا بالاستعداد الكامل في مجـال العلم و الفكر ، و لا بد لذلك من أن نتسلح بالأسلحة العلمية ، ليمكننا أن نرد كل هجمة للباطل بل نهزمه بالهجوم المعاكس .

الشهادة على الناس :

و يستخدم كذلك مصطلح آخر و هو مصطلح « الشهادة على الناس » ، الشهادة إنما تكون على أساس العلم ، فلا تستطيعون أن تشهدوا على أحـد بدون العلم ، و لا يكفي لذلك إلا العلم القطعي الذي لا يقبل الشك ، ولا تستطيعون أن تشهدوا إلا إذا استعرضتم الأوضاع بدقة و تفصيل ، و كنتم على معرفة تامة بالذي هو على الحق والذي هو على الباطل ؟ لا تستطيعون أن تشهدوا على الناس حق الشهــادة إذا كان في عملكم و دراستكم أدنى خطأ أو وقعتم فريسة الريب و التذبذب ، يبعث رسل الله شاهدين على دين الله فهم يشهدون على أممهم حيث يتضح الحق جلياً وتظهر جميع نقائص الباطل ، فان لم تقبل أممهم الحق بعد هذه الشهادة أيضاً و بقيت متمسكة بالباطل قضى عليها بالزوال :

« إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنـا إلى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا » (٤) .

(١) رواه أبوداوٗد و النسائي و الدارمي . (٢) تفسير المنار ٣٠٦/١٠ .
(٣) سورة الأنعام الآية : ١٤٨ . (٤) سورة المزمل الآيتان : ١٥-١٦ .

و على أساس هذه الشهادة سوف يحكم بين الأمم يوم القيامة ، و هنالك يعلم الذين يواصلون نشاطاتهم ضد الرسل و يجعلون عوائق فى سبيلهم، أن الحجة كانت بيد الرسل ، و كانوا يخالفونهم ، و لم يكن يسندهم أى دليل :

«يوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لايوذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون» (١) .

هـــذا هو الواجب الذى يجب على الأمة الاسلامية أن تقوم به اليوم ، إزاء الدين الذى أنزله الله لعباده فى جانب ، و نظريات اختلقها الناس فى جانب آخر ، فعليها أن تقيم الدليل على أن دين الله هو الدين الحق ، و ما سواه من النظريات التى توجد فى العالم من أقصاه إلى أقصاه نظريات باطلة تماما ، و لذلك يتحتم عليها أن تطلع على نقائص هذه النظريات و مواضع الضعف فيها بالاضافة إلى محاسن الدين الحق ، و عرضه فى الأسلوب الحديث المعاصر :

« ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس » (٢) .

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر :

و فى نفس المعنى يستخدم مصطلح « الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر » يشمل هذا المصطلح الدين بتمامه إيجاباً ونفياً ، فالمعروف هو نظام الأفكار والأعمال الذى يسنده الكتاب والسنة ، و ما لا يسندانه من الأفكار والأعمال فهو منكر، و هـــذا المصطلح يشمل الدين بأكمله من الدعوة و التبليغ إلى تأسيس الدولة الاسلامية و وظيفتها ، ولا يكفى لذلك العلم العميق الواسع للدين فحسب بل لا بد لذلك من معرفة تامة للافكار و النظريات المضادة للدين ، وإلا لم يستطع الداعى أن يطوى هذه الرحلة الطويلة .

« و من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر نصرة الدين باقامة الحجـــة على المعارضين » (٣) .

(١) سورة النحل الآية : ٨٤ . (٢) سورة الحج الآية : ٧٨ .

(٣) أحكام القرآن ١/ ١٢٢ ، راجعوا البحث مفصلا فى هـــذا الموضوع فى كتاب « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » لكاتب هذه السطور .

إظهار الدين :

و هناك مصطلح آخر بهذا الصدد وهو إظهار الدين ، أعلن القرآن الكريم أن الله سيظهر هذا الدين على الأديان كلها، وتحققت بهذا الاعلان لاظهار الدين ناحيتان ، أولاهما سيادته على الصعيد السياسى و الأخرى سيطرته بالأدلة ، و لا يغلب الدين سياسياً إلا إذا تأكدت حقانيته بالأدلة، والجهود العلمية والاستدلالية هي تمهد طريق الغلبة السياسية ، و أحياناً يرى الناس الغلبة السياسية لنظرية بعزلها من الغلبة العلميـــة ، و لكن ذلك خطأ فكرى لأن هناك فرقا بين وصول فرد أو طائفة إلى كرسى الحكم ، و بلوغ نظرية إلى السلطة ، فربما يحتل فرد أو طائفة السلطة بدون خلفية علمية وفكرية ، و لكن النظرية تتقاضى خلفية علمية محكمة، و لا يمكنها أن تغلب سياسياً بدون غلبتها العلميـــة ، كذلك لا يحرز الاسلام سيادته السياسية إلا إذا قامت له سيادة علميـــــة ، فقد ذكر القرآن الكريم من النعم التى يتكرم بها الله سبحانه على رسله ، العلم و الحكم بصفة خاصة ، قال عن موسى عليه السلام :

« و لما بلغ أشده و استوى ، آتيناه حكما و علماً » (١) .

و قال عن يوسف عليه السلام :

« و لما بلغ أشده آتيناه حكما و علما » (٢) .

و قال عن داوؤد و سليمان عليهما السلام :

« كلا آتينا حكما و علماً » (٣) .

و بهاتين الصفتين خص لوط عليه السلام أيضاً (٤) .

أشار القرآن الكريم بذكر العلم و الحكم معاً إلى الرابطـــة العميقة بينهما ،

(١) سورة القصص الآية : ١٤ .
(٢) سورة يوسف الآية : ٢٢ .
(٣) سورة الأنبيا الآية : ٧٩ .
(٤) سورة الأنبياء الآية : ٧٤ .

و الحكم معناه القضاء قوة و فعلا ، و هو يتصل بالقانون و السياسة ، و المراد بذكر العلم مع الحكم أن السياسة منوطة بالعلم، لو لا العلم لما خلت أحكام الانسان عن الأخطاء ، و إذا لم ينحصر الأمر فى الشئون الفردية بل تجاوز إلى تقرير مصير الأمم و الشعوب ، و اتخاذ خطوات اجتماعية و سياسية عظيمة ، أصبح هنالك دور العلم أساسياً ، و لا يمكن الرجل أن يتقدم خطوة فى هذا الطريق بدون العلم ، و ذلك إن دل على شئ فانما يدل على أن الدولة الاسلامية تقوم على أساس العلم و يتولى السلطة فيها العلماء ، يقول القرآن الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا ، أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (۱).

و أولو الأمر فى الاسلام من يحمل موهبة الاجتهاد و الاستنباط ، وهذه الموهبة لا يتحصلها أحد بمعارف بسيطة ، لا بد لذلك من علم واسع و بصيرة عميقة ، يقول الله سبحانه :

« وإذا جاءهم أمر من الأمن أوالخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » (۲) .

لا شك فى أن حكم هذه الآية فى حالة الحرب و لكن كما يقول العلامة أبو بكر الجصاص : « لا فرق بينه و بين الاجتهاد و الاستدلال على النظائر من سائر الحوادث من العبادات وفروع الشريعة ، إذ كان جميع ذلك من أحكام الله تعالى » (۳) .

يقدر مما ذكرت أن المصطلحات التى ذكرها القرآن الكريم لاحياء الدين ، لها مقتضيات واسعة ، ولا يتحقق حلم إحياء الدين ما لم تتحقق هذه المقتضيات.

---

(۱) سورة النساء الآية : ٥۹ .　　(۲) سورة النساء الآية : ۸۳ .

(۳) أحكام القرآن ۲/۳٦۳ .

علم النفس الاجتماعی :

الصحـافة و دورها فی الاعلام

فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنی الندوی
رئيس كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء
تعريب : الأستاذ محمد إبراهيم رودولوی

الأهداف البناءة أو الهدامة :

و تحقيقا لهذه المقاصد و الأهداف يهتم مديرو الصحف و المجلات بأصناف من وسائل الاستمتاع و أساليب الاستمالة ، و قد يتخطى ذلك عند بعض الناس كل القيم و جميع الثغور و الحدود و هم ممن لا يكترثون بمـا يتعلق بالأخلاق و الدين و الحق و الباطل فلا يهمهم إلا ما يساعد فی ترويج بضاعتهم و كسب الاعجاب و القبول وجذب أكبر عدد ممكن من القراء ، و يكون هدفهم من وراء ذلك تارة اكتساب الأغراض المادية و أخرى إحراز المال و الثروة و توسيع إمكانيات الدخل و الأرباح ، فدائما يتجهون من خلال مجلاتهم إلى إثارة الغرائز و الأهواء النفسية و تغذيتها و بذلك ينجحون فی استهواء كميـة هائلة من القراء و المرتبطين بمجلاتهم ، و بالتالی يستفيدون من ذلك إنماء وسائل الدخل و تنشيط الموارد و ترويج البضاعة ، وهذه المجلات و أمثالها حينما تجلب ملاكها وفرة طرق الموارد والدخل والفوائد المادية الرخيصة ، تدفع الناس إلى الانصياع للعيث والفساد من الناحية الدينية و الخلقية ، و يندرج القائمون باصدار هذه المجلات و الصحف و المسئولون عنهـا تحت مفهوم الآية الكريمة « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فی الذين آمنوا لهم عذاب أليم فی الدنيا والآخرة » (سور النور) .

و لا تخرج عن قائمة هذه المجلات التى سبق بيان أهدافها تلك المجلات التى تتبنى الأهداف المعارضة للقيم الدينية وتضع نصب أعينها الأغراض المادية البحتة، و بنفثاتها يسرى السم فى جسم المجتمع و تختل علاقات الانسان بربه وتنفصم .

الأسلوب الغالب فى المجلات ـ التفنن :

جل المجلات التى لا تتسم بطابع خاص ترجح الجمع و الحواء بين مواضيع منوعة حرصاً على مناولة الطعوم والألوان المختلفة لقرائها، فتحوى موضوعات علمية و اجتماعية، ومنها ما يتعلق بعلوم الطبيعة والأدب، وأخرى دينية وأخلاقية وهى تتغير وتتبدل كما ونوعاً فيقل نصيب بعضها مرة ويزيد أخرى حسب المصالح الطارئة ، و مثل هذه المجلات يزيد عدد قرائها على وجه العموم بالنسبة للمجلات التى تركز على موضوع واحد و مادة مماثلة ، و ذلك أنهم يعتقدون أن بغيتهم فيها تتحقق بما يلائم طبيعتهم و ذوقهم، و لكن المجلات التى تدور حول موضوع أو موضوعين تحتاج إلى وجود دائرة ومحيط فيتسع نطاق رواجها وقبولها و يضيق بقدر اتساعهما وضيقهما ، و حصولا على الرواج والقبول تستخدم بعض الوسائل أيضاً كالاعلانات فى الجرائد و الصحف كما تثمر المحاولات الفردية أو الجماعية لتعريف الناس بأهميتها ، إلا أن الأصل فى ذلك هو وجود دائرة تواليها وتضم صوتها معها و يقتصر عليها مدى نجاحها فى الذيوع و الانتشار إلى حد غالب .

و تتنوع محتويات المجلة و تتعدد موادها حتى لا يسبب اتحادها للسآمة و التذمر و كذلك تتعدد شخصية الكتاب و يرتبط قراؤهم ارتباطا عاطفيا بمن يعجبون بقلمه، و هذا مما يؤثر على انتشارها و اقبال الجمهور عليها ، و من هنا كان تنويع الموضوعات واختيار شخصيات مختلفة من الكتاب وجمع الأقلام العديدة من الأمور المحتومة .

الالتزام بموقف محدد و الافتتاحية :

و رغما من هذا التنويع فى المواد تلجأ كل مجلة إلى الالتزام بموقف محدد واستراتيجية معلومة، ذلك هو الخط المرسوم للجلة الذى تسير عليه وتتحدد به أغراضها و يتعين اتجاها ، و لتحقيق هذا الغرض تخصص كل مجلة مقالا فى صفحتها الاولى يصدر عموماً عن قلم كاتب واحد (و الأغلب هو قلم التحرير) ويكون أساسياً ومهما فيقوم كل شهر بابراز وتحديد الجهة والموقف و الاستراتيجية التى تتبناها المجلة ، و هذا المقال يعتبر أساساً و أصلا هاماً يطلق عليها الكتاب و ذوو الأقلام على اختلاف مذاقهم أسماء مختلفة ، مثلا الافتتاحية ـ لنا كلمة ـ حديث الشهر ـ كلمتنا ـ كلمة من المحرر، و ما إلى ذلك .

الصحافة اليومية أبعادها و أهميتها :

الصحافة اليومية وما ينحو منحاها تفوق الصحافة الشهرية و ما ينتهج منهجها بكثير فى مؤثراتها و أبعادها ، فانها توفر لقرائها غذاء عقلياً و عاطفياً فى صورة التعليم و الافادة و تنتقش آثارها فى قلوبهم .

الصحافة اليومية كمعلم بارع :

و الذين يتعودون على قراءة الجرائد و يتابعونها باستمرارية تعود الصحافة لهم معلماً مربياً ناجحاً ، ليس من السهل تحريرهم عن قيوده و تغيير عقليتهم التى تشكلها الصحافة اليومية .

دور الصحافة فى المعاملات التجارية :

إن الحياة التى صنعتها الحضارة الغربية وعملت فى تشكيلها وبنائها فأنماطها وطرقها تقتضى أن تكون الصحافة هى الأداة الافضل و الاشمل تأثيراً على الشعب

و الجماهير ، ولذلك كثر استخدام وسائلها فى المدنية الأوربية ولا ينحصر ذلك فيما إذا كان الغرض تحقيق الأهداف الخلقية أوالاجتماعية وإنما يعم استعمالها بنفس القوة و الشدة فى كسب الأغراض التجارية و المعاملات العقدية و ترويج الأسواق ، ففى البلاد التى قطعت أشواطاً بعيدة فى مجال التقدم الحضارى حيث تعد الحياة المادية التجارية أصل الحياة و المقصد الأعلى منها ، و يرى كل شيء بمنظار النفع والضرر ويوزن بميزانها أصبحت الصحافة فيها أكبر وسيلة وأهمها لترويج البضاعة ونفاق السوق ، فتصدر بها الجرائد اليومية و هى ما بين خمسين و سبعين صفحة ، ثمان أو عشر صفحات منها تتعلق بشئون الحياة الاجتماعية العامة و بعضها تشتمل على الفنون الجميلة و الآداب و موضوع التسلية ، و البواقى على أمور التجارة و المعاملات و الأسواق .

صحافة الجرائد أداة وصل موسعة :

و قد تحولت صحافة الجرائد فى الحياة الحضارية المعاصرة إلى أوسع أدوات الاعلام من عدة نواح بل هى أشمل وسيلة و أهمها لمواكبة سير الحياة و معرفة متغيراتها و الالمام بأحداثها المستجدة فى مختلف مناحى الحياة الاجتماعية .

الجامعية الموضوعية :

و نظراً إلى سعة نطاق هذه الجرائد و تشعب مجالاتها يحاول للجمع بين شعب الحياة و قطاعاتها العديدة وجوانبها المختلفة فتسرد الأحداث الثابتة و الوقائع الطارئة و تزف أنباء المسرات و الأحزان والأعياد و المآسى والحفلات والندوات و تذكر التصريحات والاعلانات و الاعلامات و الاشعارات و الأوضاع السياسية و تعليقات عليها و مقالات علمية أدبية سهلة و برامج ثقافية ممتعة كما تتضمن بعض اللطائف و القصص الفكاهية وما يشبهها من الموضوعات الأخرى ، و بفضل هذا

التنويع فى المواد و المحتويات و فى جريدة واحـــدة يحصل الجميع و هم أنواع و أصناف يرتبطون بجوانب الحياة العديدة و المغـايرة على الأنباء و المعارف التى تخدم مصالحهم و تقضى حاجاتهم و تؤكد هواياتهم و لذلك دأب معظم الناس و إن لم يكن الكل على قراءة الجرائد و مطالعتها كل يوم على قدر احتياجهم و هواهم و يرونها من وظائف الحياة الضرورية .

و عند ما يقصد الانسان أن يبحث عن طلبته فى الجرائد تستوقفه الأنباء والأحداث والتصريحات ـ وبدون إرادة منه ـ التى لاتتعلق بموضوعه أصلا ولـكن العناوين تلوح له ببعض ما يستلفت نظرته و خصوصاً إذا كانت تشف عن أهمية ما تنطوى عليه وخلابته لأنه يحصل على كثير من المواد والمعلومات المفيدة الممتعة الأخرى إلى بغيته المطلوبة فى مرة واحدة بدون أن يخصص الوقت و الجهـــد ، و مديرو الصحف و المجلات يدركـــون هذه النفسية فى قرائهم و يتلمسونهـا فيستغلونهـا بحيث يجعلونهـــم يقرأون ما يهوونه من خلال هذه المواد ضمن موضوعاتهم المحببة الأثيرة لديهم .

وظيفة العناوين :

ترتيب العناوين وتركيبها الفنى ينزلان منزلة عامل قوى و مهم لتقديم ما يرى إليه أصحاب الجرائد و ملاكها على القراء، ويحققون من وراء ذلك أعمالا جساما ، و لهما تأثير عميق فى نجاح الجرائد و قبولها و يرجع الفضل فى ذلك إلى ذكاء القائمين بالاصدار و الاخراج و مؤهلاتهم العلمية و الأدبية و دقتهم الفنية .

الأهداف :

أما الأهداف فتختلف باختلاف الناس فكل يتبناها حسب رؤيته الخـاصة و يستخدم لتحقيقها هذه الأداة العملاقة ، فمنهم من يتبنى أهدافا سياسية فيسلك فى

تقريز الأنباء و اختيارها و أسلوب عرضها و طريقة أدائها مسلكا يساعد فى تهيئة عقلية خاصة محددة و مسح رواسب العقليات الأخرى التى عنقت بالأذهان و بعضهم يستهدف أغراضا تجارية فيقصد بهـا دعم معاملاته التجارية فلا يهمه تكوين عقلية سياسية معينة بالأنباء و التعليقات و لكنه يتبع فى نشر الأخبار والبيانات و التعقيبات الصحفية وأسلوب العرض والتقديم وفى اختيار الموضوعات طريقة تمد تجارته بالفوائد المادية أو المعنوية من ناحية كثرة انتشار الجرائد ، ومن ثم حصول المنافع أو ازدهار الصناعة و التجارة و ذيوع صيتها ونيل الاعتراف من الناس بالجودة و النجاح و العبقرية فى الترتيب و الانتاج .

الصحافة فى ظل الشيوعية الفاشستية :

القسم الأول من الجرائد السالفة الذكر ، الذى يتبنى أغراضا سياسية يسعى لتحقيق نواياه على طريقة غير عادلة بصورة عامة وفى ظل الحكم الفاشستى والعقلية الشيوعية خصوصاً يبقى هذا النوع من الجرائد نشرة أخبارية مملة تتحيز لطغمة حاكمة و حزب بالذات تخلو مما يتعلق بهوايات الشعب و متعه و ما يعود عليه بالنفع، مجانبة لطرق العدالة و النصف وعرفان الحق و الصدق ،و لكنها تستخدم شتى وسائل الاقناع ، و كل كلمة تنطق بأن جميع الأعمال و الانجازات إن هى إلا لخدمة مصالح الشعب و الجماهير وحدهم ، و هى تحاول إفهامهم بأنها لا توجد أية جريدة فى العالم أمثل منها و أدرنفعا و أكثر اهتماما بقضاياهم ، و يبلغ هذا الأمر إلى أقصاه فيما إذا كانت الدولة شيوعية و هى تؤكد أنها هى الشرفة الوحيدة التى تظل مفتوحة عـلى الشعب يطل منها إلى العالم الخارجى و الشئون الداخلية فى البلاد وتسد عليهم جميع النوافذ و الشرفات للمعرفة و الاطلاع .

الصحافة فى النظام الرأسمالى :

و القسم الثانى و الأخير من الجرائد هو الذى يتبنى أهدافا مدعمة للتجارة و المعاملات و القضايا الاقتصادية فلا يضع نصب عينها من خلال نشر الأنباء إلا المصالح المادية وحدها ، وهذا الاتجاه يصطدم غالباً مع المصالح والقيم الخلقية للشعب إلا أن القائمين على إصدار الجرائد و المسئولين فى الادارات الصحفيـة يغضون الطرف عن هذه الخسائر والأضرار الموبقة بل العكس من ذلك يستغلون نفسياتهم الشهوانية وطبيعة التلذذ و الاستمتاع ويعرضون عليهم مواد تثير شهواتهم و تحفز فيهم رغبة جامحة فى التلذذ سواء يهدم ذلك أخلاقهم و دينهم أو يذهب بعفتهم و نزاهتهم العقلية ، وهذا هو الطابع الغالب و السمة البارزة فى الأنظمة التى صاغتها الحضارة الغربية و حكمتها ذيولها فى الدول النامية .

الصحافة و نظامها الفنى :

و فيما عدا الأهداف و الأغراض المنشودة من إصدار الجرائد مما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار المراعاة الدقيقة للبادىء و الأصول الصحفية فى ترتيب الأنباء و وضعها فى المكان المناسب بوجه يزيد من فوائدها و مفعولها الايجابى حتى يمكن تحقق المطلوب من نشر الجرائد حسب ما تقتضيه الحاجة، و ذلك يستلزم التنسيق فى وضع الأخبار و الأنباء و الالتزام بتعليقات ضرورية عليها و التنظيم فى كيفية وطرق التلقى و التلقف و الاختيار ، إلى طبيعة الافتتاحية والأخذ بالجدية والرزانة فى التحرير إلى رشاقة اللغة و حسن الأسلوب لكل من الأنباء و الافتتاحية ، إلى ترتيب العناوين الفنى والايجاز و التفصيل فى الأخبار و التعليقات والاستعراضات ، و غير ذلك من المستلزمات الصحفية الأخرى ، فنلا العناية بتثبيت اللقط الصورية فى الحدود المشروعة ، و أصبح كل ذلك فى هذه الأيام فناً مستقلا يجرى حولها

تعليم منهجي و تلقى حولها دروس و محاضرات و الذين يتلقونها كفن عمليا أو تعليميا يقدرون على صحافة تحمل نتائج مفيدة بأحسن ما يكون .

النشرات و الدوريات :

عند ما لا يمكن إصدار الصحف و المجلات ملتزمة بالأقساط و المواعيد المحددة أو لا يتيسر اتباع المبادىء والخطط المفروضة فى الصحافة اليومية والشهرية و تلزم الظروف إصدارها على طريقة و أهداف محددة مرسومة ، تصدر بعض الجرائد والمجلات بدون تقيد بتلك المبادىء و الأصول و يطلقون عليها « النشرات و الدوريات » و فى الانجليزية « بلاتون أو بيريا ديكول » و هذه النشرات و الدوريات تقوم بنشرها عموماً المؤسسات و المعاهد لا براز إنجازاتها و التعريف بحيويتها و نشاطاتها أمام الناس ، و أحيانا لا يجاد العلاقات المتبادلة ، و تتغير فترات نشرها حسب الظروف والأوضاع والمناسبات فتمتد فترة بعضها لثلاثة شهور أو نصف سنة أو سنة كاملة ، و عندئذ تكون أقرب أسلوبا إلى المجلة الشهرية ، و المجلات التى تصدر على أسلوب الجرائد اليومية تمتد فترة أعدادها غالباً إلى شهر أو نصف شهر ، فتكون شهرية أو نصف شهرية .

الله أكبر

نظام التأمين فى ضوء أصول الشريعة الاسلامية

—(٢)—

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلى
رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة و أصول الدين ، جامعة ندوة العلماء.
تعريب : الاخ محمد نعمان الدين الندوى السنبهلى

التأمين و الربا :

بعد بيان حقيقة الربا و أسبابها سهل لنا تعريف حكم « التأمين » الشرعى فلننظر فى مثال مفترض و لنحاول أن نصل إلى نتيجة صحيحة ، فنذكر هنا مثالا و نحلله تحليلا : أمن « عبد الرحيم » على الحياة ـ أو على المال ـ بعشرين ألفا من الروبية (أو ما يقوم مقامها) و فرضت شركة التأمين ـ على « عبد الرحيم » خمسين روبية شهرياً كأقساط التأمين ، و لم يقض عبد الرحيم إلا ألفى روبية فى الاقساط ، حتى وقع ذلك الحادث الذى أمن لأجله (أى الموت أو خسارة المال أو ضياعه) فأدت الشركة ـ لورثة عبد الرحيم ، أو له ـ عشرين ألف روبية حسب المعاهدة أى التعاقد ، فينشأ هنا سؤال وهو أن الفضل المتمثل فى ثمانية عشر ألفا مقابله أى شيئ ؟ والظاهر أن « عبد الرحيم » ما دفع للشركة ـ ولا يدفع لها ـ شيئاً عوضا عن هذا المبلغ (عن ثمانية عشر ألفا) ولا يمكن أن ينكر أحد أن هذا الفضل الذى تؤديه ـ أو أدته ـ الشركة ليس إلا لعقد التأمين ، و من مقتضيات هذا العقد ـ أيضاً ـ أن «عبد الرحيم» قد كان دفع للشركة الألفين ـ كأقساط التأمين ـ فلو لا هذا العقد لم يدفع ولو لم يدفع لما استحق هذا المبلغ ـ و حينما نظرنا فى هذه الامور فى ضوء تعريف الربا المذكور من قبل وصلنا إلى نتائج :

١ــ أن هذا العقد - عقد التأمين - لمبادلة شيئ بجنسه (وهو الروبية فى كلا الجانبين) مع أن ذلك الجنس من الأموال الربوية (كما بينا فى « الثالث ») .

٢ــ أن الفضل لأحد المتعاقدين (وهو المتضرر من الحادث أى « المؤمن له ») بغير عوض شرعى دفعه - أو يدفعه - إلى الشركة ، و لا يرجى أيضاً دفع العوض فى المستقبل ، حسب شروط العقد .

٣ــ أن هذا الفضل نتيجة لذلك العقد - عقد التأمين - الذى تعاقدا و اتفقا عليه ، و إن كان قدر الزيادة - الفضل - غير محدد عند إبرام العقد ، ولكن عدم التحديد - فى مثل هذه العقود - لا يكون سبباً لحلتها بل تزداد به حرمة ، و جدير بأن يذكر هنا أن بعض من يرون جواز عقد التأمين صرحوا أيضاً أن هـذا المبلغ الكبير - الذى تؤديه الشركة إلى المتضرر أو المؤمن له - ليس إلا لعقد التأمين و بعد أداء الأقساط المقررة من المؤمن له ، ولو لاهما لما حصل (كما هو الظاهر) .

ولا حاجة هنا إلى بيان أن المؤمن له - عند أخذ المبلغ - و الشركة فريقان مستقلان . . . . و إلا يلزم أن يأخذ هو من نفسه وكذا يرفع المحاكمة على نفسه (إذا احتاج إلى ذلك) لا ستيفاء المبلغ من الشركة ، و فسادهما ظاهر .

وقد اتضح - أيضاً - من هذا التفصيل أن المقصد الأساسى من وراء التأمين - فى الغالب - استيفاء المبلغ الخطير بيد واحدة ، بدل أداء القدر الصغير (أو مثل ذلك القدر ، فى بعض الأحيان) بأقساط كثيرة ، و هو مبلغ ضئيل بالنسبة إلى المجموع (فى وقت واحد) .

ولا يكون الغرض من التأمين - فى الأكثر - التعاون والمساعدة فقط ويظهر هذا (أى ما هو غرض المؤمن له) عند ما تعلن الشركة أنها لا تعطى المؤمن لهم

ـ المؤدين أقساط التأمين ـ شيئاً مما أعطوها بل تعطيه لمن أصيبوا بمصائب سواهم !

ثم إن الربا يتحقق ـ فى الأصل ـ بأخذ المبلغ أكثر مما أدى ولو لم ينفق فى محل حرام بل ولو أنفقه ـ أى ما أخذ من الربا ـ فى جهة القربة (مثل الحج و الصدقة) لأن تعريف الربا إذا كان يوجد ـ فى كسب مبلغ ـ فلا يتغير الحكم بتغير المصارف ، كما هو واضح ، فسواء يتدارك بما حصل من الربا ضرر نفسه أو ضرر المصابين الآخرين أو ينفقه فى تحسين وسائل الحياة و إنمائها و ترفيها ، على أنه يأثم ـ فوق ذلك ـ بانفاقه فى مصارف غير مباحة . ومما يجدر بالذكر هنا ـ أيضاً ـ أن بعض القائلين بجواز التأمين يبينون فرقاً بين الربا والتأمين بأن حصول المال يتوقف ـ فى التأمين ـ على حادث معين (فى العقد) و ليس كذلك فى الربا ـ فى الأكثر ـ بل يكون هناك لاستحقاق ذلك الفضل سبب آخر و هو حلول الأجل المسمى ـ فى الأكثر ـ لا الحادثة ، ولكن هذا الفرق لا يمنع من تحقق الربا لأنه لا يبعد أن يقوم الأجل المسمى مقام وقوع الحادث المسمى ، بل هذا الفرق يزيد سبباً للحرمة فان الشرط بوقوع الحادث أورث شبها لأمر محرم آخر وهو القمار (سيأتى تفصيله) فعلم من ذلك كله أن هذا الفرق المبين ـ من جهة المجوزين ـ لم يزده إلا حرمة وشدة فيها ، دون الحلة . أما قول قائل ـ تفريقاً بين التأمين والربا ـ بأن أحداً من المرابين لا يعطى مثل هذا المبلغ الكبير بمقابل مبلغ قليل ـ أى أقساط التأمين القليلة ـ فهو قول زائف غير علمى ، فان مثل هذا الفرق لا يؤثر فى الأحكام الشرعية (إذا كان يوجد ما هو علة للحكم) وكذلك لا يوثر « أن أقساط التأمين لا تسمى دينا » فان مجرد « التسمية » لا يسمن ولا يغنى من جوع ، لأن الأحكام لا تتغير بتغير الأسماء فقط إذا لم تتغير الحقيقة والصورة المعتبرة عند الشرع (كما بين فى أوائل البحث فى « الأصل الاساسى »

الرقم: ٢) وههنا (أى فى عقد التأمين) توجد حقيقة الربا - وصورته المعتبرة عند الشرع - فان المبلغ الذى حصل للمؤمن له بعد وقوع الحادث أكثر من الذى أداها - طبقا للعقد - وهو من جنس أقساط التأمين، أى الروبية أو العملة القائمتين مقام الذهب أو الفضة عند جميع من يعتد به من العلماء المعاصرين، ولا حاجة إلى ذكر أن الربا فى الزمن الماضى - أيضاً - لا ينحصر فى أشكال وصور الدين المعروفة لدينا بل كانت هناك - أيضاً - صور غيرها ولا تزال بعضها موجودة حتى الآن.

هل يمكن أن يعتبر التأمين فى أشكال التعاون:

قد يقال إن التأمين صورة من صور «التعاون» و «المساعدة» لكن الحكم - كما بينا من قبل - لا يترتب على الاسم، بل على الحقيقة، ثم إننا لا نعلم أن المبلغ الذى يعطى فى أمثال هـذه العقود و المعاهدات يسمى - فى مكان - بـ «التعاون» و «التبرع» ولكن إذا وجد مثل هذا العقد وسمى - فى موضع - بـ «التعاون» لم يجز بمجرد التسمية، كما بينا غير مرة.

بل يعلم كل واحد منا أن أشكال التعاون و التبرعات الرائجة الصحيحة لا ينوى فيها المتبرع - بل لا يخطر بباله - أن يتراجع أو يسترجع من تبرعه الأصلى، فضلا عن الزيادة عليه و شرط الاسترجاع، فالذين يتبرعون للمعاهد التعليمية والجمعيات الخيرية — مثلا — و يساعدونها لا يفكرون رأساً فى أن ما أعطوه يرد إليهم — فضلا عن الزيادة — و إذا فكروا فلا يفكرون إلا فيما يصل — أو يمكن أن يصل — إليهم أو إلى أولادهم أو أبناء جلدتهم، فوائد تعليميـة أو تربوية (سوى الأجر فى الآخرة) فأين ذلك من الربا و التأمين!! إذ لا معاهدة، ولا مبادلة (فضلا عن مبادلة شيئ بجنسه) ولا شرط الفضل و لا شيئ يشبه ذلك، و كذلك إذا ساعد أحد — اليوم — منكوبا أو بائساً رجاء أن يساعده ويمد إليه — فى المستقبل — يد التعاون والمواساة، إذا قدر على ذلك (و يحتاج

هذا) غداً ، كما ساعده اليوم ، فاذا تحقق هذا الرجاء لا يسمى بالربا — شرعاً — فان هنا لا معاهدة ولا شرط الفضل ، و إنما هو رجاء فقط ، فليكن ذلك ، فاذا لم يتحقق هذا الرجاء لا يكون له حق لازم لاسترجاع ما أعطاه، فضلا عن الزيادة ، نعم ! يمكن له — عند بعض الفقهاء — استرجاع ما أعطاه فقط فى بعض الصور — لا فى الجميع — كالرجوع عن الهبة لكنه مكروه — شرعاً — أشد الكراهة عند بعض الفقهاء، وحرام عند الأكثر، لما ورد فى الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « العائد فى هبته كالكلب يقئ ثم يعود فى قيئه »(١) و لكنه — مع ذلك — لا يستحق الزيادة عند أحد من الفقهاء .

فلو ساعد أحد غيره بشرط الاسترجاع مع الزيادة لكان ربا لا محالة، ولا يتغير حكمه بتسميته « تعاوناً » أو « مساعدة » (بل « جوداً » أو « سخاء ») والحاصل أن هناك فرقا بين القصد والنية و بين العقد و الشرط ، فتجوز المساعدة بالأول لا بالثانى فان بالرجاء (أو القصد والنية) لا تنعقد المعاهدة بل يمكن أن لا يطلع عليها أحد غيره، بخلاف العقد والشرط . و الربا من العقود و المعاملات وكذا التأمين ، و لذا لا يحرم نية استرجاع ما أعطاه بالزيادة — إذا لم يعمل وفقها — و قد يتضح الفرق بين القصد والعقد بما قاله الامام السرخسى (م سنة ٤٨٣ﻫ) فى كتابه « المبسوط » : « لأن العوض فى التجارات مشروط و فى التبرعات مقصود ، و معنى إظهار الجود أيضاً مقصود » (٢) .

ويمكن أن تختبر نيات المؤمن لهم بأن تعلن الشركة أنها لا تؤدى ما أخذته من المؤمن لهم — كما ذكرنا قبل — إلا المصابين أو المنكوبين من غيرهم، فاذا أعطوا

(١) الصحيح لمسلم ج ٢ ص ٣٦ — للحكم الشرعى و الاختلاف فيه ينظر شرح صحيح مسلم للامام النووى ٣٦/٢ (طبع الهند) .

(٢) « المبسوط » للسرخسى ج ١٢ ص ٥٤ (طبع مطبع السعادة - مصر) .

بعد ذلك للشركة الأقساط علم أنهم مساعدون لا المرابون وإلا فيعلم ما فى قلوبهم .

وقد بين بعض الكتاب — الذاهبين إلى جواز التأمين — الفرق بين التأمين والربا المعروفة هكذا : «المبالغ التى يدفعها المؤمن لهم كأقساط التأمين ترجع مثلها إلى المؤمن لهم - منهم المصاب - بالجملة لا أقل ولا أكثر» لعل حاصل هذا الفرق أن الربا المعروفة تزيد فقرا وبؤساً فى جانب ورخاء ورغاوة العيش فى جانب آخر، فيختل الاتزان بين الناس فى الثروة، بخلاف التأمين فانه لا يختل الاتزان بحصول أحد على المبلغ الخطير، فانه يكون بقدر ما فاته (فى الأكثر) فيبقى مستوى الثروة بين هؤلاء المؤمن لهم كما كان سابقاً، لكن هذا الفرق المزعوم لا يؤثر فى الفرق بين حكمه وحكم الربا المعروفة، لأن تحقق الربا لم يكن مشروطا على عدم الاتزان فى الثروة، بل يتحقق إذا وجدت علة الربا — التى ذكرت مفصلة — و هذا الفرق ليس مانعاً من وجود علة الربا، ربما يسمى هذا الفرق بفرق المصلحة والحكمة، لا العلة، والحكم يبتنى على العلة لا على الحكمة (وقد سبق ذكره مفصلا فى «الأصل الأساسى» الرقم :٤ فى أوائل البحث) والعلة موجودة هنا كما ذكرنا مراراً، على أن هناك يمكن أن توجد صور للربا المعروفة — أيضاً — لا يختل بها الاتزان و المستوى بين من يعاملون معاملة الربا . مثال ذلك : «تم عقد ربوى بين «جمشيد» و «رستم» فأدى «جمشيد» لـ «رستم» دينه بزيادة مأته روبية، طبقاً للمعاهدة، ثم احتاج «رستم» إلى الاستقراض فاستقرض بالربا من «پرويز» فأدى «رستم» — هذه المرة — لـ «پرويز» مأته روبية زيادة على ما أخذه، ثم احتاج «پرويز» إلى الاستقراض الربوى فاقترض من «جمشيد» فأدى «پرويز» ما أخذه بزيادة مأته روبية لـ «جمشيد» طبقا للعقد» - انظروا فى هذا المثال تعلموا أن مستوى الثروة لم يبق كما كان فقط بل و إن كل فرد من هؤلاء الأفراد لم يصب بأى ضرر

مالى ، فهل صارت هذه العقود - لهذا السبب المزعوم - عقودا غير ربوية وتكون جائزة ؟ لا يقول بهذا أحد ممن له أدنى بصيرة فى الشريعة الاسلامية !

أما ما يقال - « أن فى التأمين منافع مادية و مصالح اجتماعيـــة فلا برفض مثل هذا العقد الحامل للنافع » فلا يقام له وزن فى ميزان الشريعة ، لأن أى عقـــد محرم و شيئ حرام لا يخلو عن نفع وفائدة ، ذلك إن لم يكن فيـــه أى نفع وفائدة لا يباشر به أحد فلا يحتاج إلى الحكم بحرمته ، أليس الله تعالى قال فى الخمر والميسر : « فيهما إثم كبير ومنافع للناس » فهل أباح بهذا السبب ؟ ؟ وهل يجترىء أحد أن يقول بإباحتهما بمجرد أن فيهما نفعاً ؟ مع أن وجود النفع فيهما منصوص ، و ليس كذلك فى أى عقد - أو أى شيئ - جديد نطلب حكمه الشرعى .

بعد ما فرغنا عن المقارنة بين الربا و التأمين نريد أن نقارن بين الربا و القمار ، و فى السطور الآتيـــة يقرأ القراء الكرام تلك المقارنة (بين الربا و التأمين) باذن الله تعالى .

التأمين و القمار (١) :

إن بعض القائلين بجواز التأمين يفرقون بينه و بين القمار فرقاً و يبينونه (أى ذلك الفرق) بأن وجود الخطر - الحادث الذى أمن لأجله - الذى يحث المؤمن له على عقد التأمين لا يتوقف على التأمين و عدمه بل هو يوجد فى سائر الأحوال ، خلافاً للقمار (و هذا الفرق عندهم جذرى) .

لكنا نقول أولا : إنه يظهر من تلك العبارة كأن الفرق عندهم بين القمار والتأمين - وهو الفرق المهم لديهم - « هو أن خطر القمار (أى الأمر الذى يتوقف عليه نجاح أحدهما) يكون إراديا دائما ، و أما خطر التأمين فلا يكون كذلك » مع أن الحقيقة ليست كذلك فان فى القمار أيضاً قد يعلق النجاح و عدمه

(١) من هنا نقل إلى العربية : الأخ عبد الباسط الندوى .

على شئ يمكن أن لا يكون وقوعه (وهو الذى يسمى هنا بـ « الخطر ») إرادياً ، بل يمكن أن يكون من الأمور التى يسمونها « خطراً محضاً » (أى الحادث الذى لا بد من وقوعه) .

و الواقع أن التشابه بين التأمين و القمار ليس فى أن وقوع « الخطر » بأيديهما أولا فقط ، بل سبب التشابه الحقيق بينهما هو أنه يعلق حصول المبلغ فيهما على شيء لا يتيقن وجوده وعدمه - بل يحتمل كل واحد منهما — وليس فى وقوعه للتعاقدين خيار ، وأيضاً وقوعه غير محتوم ، سواء يكون حادثة أو غيرها .

و الفقهاء يفسرون القمار — و العقود التى تحرم بمشابهتها القمار — بـ « تعليق التمليك بالخطر » (١)

و المفهوم الكامل لهذا التعبير أن يعلق استكمال العقد أو نقل الملك — كنتيجة للعقد — على شيء يمكن وقوعه و عدمه على حد سواء ، و لا يكون أحد الأمرين منهما يقينياً و لا محققاً و لا اختيارياً (لكل واحد من المتعاقدين جميعاً) لذلك أبطل النبى ﷺ « الرقبى » (٢) لأن فيه يتوقف نقل ملكية

---

(١) كما فى « الهداية » - من أهم الكتب فى الفقه الحنفى - للمرغينانى المتوفى ٥٩٣هـ ج ٣ ص ٢٧٦ (طبع المكتبة الرشيدية) « و المسبوط » للسرخسى (المتوفى ٤٨٣هـ) ج ١٢ ص ٥٩ ، وغيرها من الكتب الفقهية المعتبرة

(٢) كذا فى « الهداية » للمرغينانى ج ٣ ص ٢٧٦ ، و أشار المحدث الكبير شارح البخارى العلامة محمود بن أحمد العينى (المتوفى ٨٥٥هـ) إلى صحة هذا الحديث فى شرحه للهداية - ناقلا عن المبسوط للسرخسى - « البناية » ٣/ ٦١٨ (طبع المكتبة الامدادية بمكة المكرمة) و روى الامام النسائى (المتوفى ٣٠٣هـ) فى سننه (فى كتاب الرقبى) قال رسول الله ﷺ : « لا تحل الرقبى » « المجتبى » للنسائى ٢/ ١٣٨ (المكتبة التهانوية بديوبند ، الهند) .

شيء – مثل الدار وغيرها – على الموت (وكان هذا شائعاً فى العصر الجاهلى) و بين حقيقة « الرقبى » الفقيه شمس الدين قاضى زاده شارح الهداية (المتوفى ٩٨٨هـ) هكذا : معنى الرقبى ، هذه الدار لآخرنا موتاً ، كأنه يقول أراقب موتك و تراقب موتى فان مت قبلك فهى لك و إن مت قبلى فهى لى ، فكأن هـــذا تعليق التمليك ابتداء بالخطر و هو موت المالك قبله و ذا باطل » (١) فنفس هذه الصورة توجد فى القمار ، بل هى حقيقة القمار ، كما يقول العلامة أحمد بن محمد البابرتى شارح الهداية الآخر (ت ٧٨٦م) مبينا لهذا الأصل (تعليق التمليك بالخطر) « التمليكات لا تحتمله لادائه إلى معنى القمار » (٢) أى لا يجوز التعليق – لنقل الملك – على شيء يحتمل وجوده و عدمه على سواء ، لأنه فى معنى القمار ، وكذلك تدل على حرمته – لمعنى القمار فيه – الأحاديث المرفوعة التى فيها النهى الأكيد عن بيع الملامسة و المنابذة (رواها الشيخان فى الصحيحين وغيرهما من المحدثين فى كتبهم) كما قال المحدث الكبير العلامة ابن حجر العسقلانى (م ٨٥٢هـ) فى شرح هذه الأحاديث ـ مبينا لعلة النهى عن هذه البيوع ـ : « فهذا من أبواب القمار » (٣) لأن فيها أيضاً تعليق التمليك بالخطر (أى تعليق تمام البيع باللمس والنبذ) فقد ظهر من هذا البيان و التفصيل أن حقيقة القمار هى أن يعلق حصول شيء أو فقده ـ و بلفظ آخر نقل ملكية الشيء من أحـــد

(١) نتائج الأفكار ج ٧ ص ١٤٤ (تكملة فتح القدير ، المطبعـــة الكبرى الأميرية ، ببولاق ، مصر سنة ١٣١٥هـ) .

(٢) « العناية » المطبوعة على هـامش « الفتح » ج ١ ص ١٩٦ (المطبعة (الكبرى الأميرية ، مصر) .

(٣) الصحيح للبخارى مع شرحه « فتح البارى » للعسقلانى ج ٤ ص ٣٥٩ (المكتبة السلفية) ونيل الأوطار ٢٤٧/٥ لمحمد على الشوكانى (ت ١٢٥٥هـ) طبع دار الجيل ، بيروت .

إلى آخر - على « أمر » لا يكون وجوده متيقناً (وفى السطور الآتية نعبر عن ذلك « الأمر » بـ « الموقوف عليه » أو بـ « الخطر » قصداً للاختصار) ويفهم من هذا البيان - أيضاً - أن وجود « الموقوف عليه » هل كان مرتبطاً مع أحد المتعاقدين أم لا، وهل كان يمكن وجوده من قبل أم لا، كل ذلك لا يؤثر فى تحقيق القمار أو عدمه ولذلك لا حاجة لنا إلى أن نبحث عن الأمر الذى علق عليه نقل الملك - دفع شركة التأمين مبلغاً كبيراً للمؤمن له - هل هو أمر اختيارى أم لا، و هل يرتبط ذلك الأمر - « الموقوف عليه » - بأحد المتعاقدين أم لا، فلا حاجة لنا ههنا إلى هذا البحث، بل الذى يجب علينا أن نبحث عنه هو أن تحقق « الموقوف عليه » يكون غير متيقن - ويحتمل كلا الوجهين على السواء - أم لا ؟ كما يجب أن نبحث عن أن يكون التعاقد - الذى يحصل بسببه المبلغ الكبير لأحدهما أو تحصل له طمأنينة النفس الخيالية - عملا إرادياً أم لا ؟ ثم ينظر إلى المنافع التى ترجى فى المستقبل بأن حصولها أو فقدها - أى الحصول على المبلغ الكبير أو عدمه - هل هو وليد العمل (أى عقد التأمين الذى باشراه أو وقع عليه التعاقد) أم لا ؟ فالظاهر أنه وليد التعاقد مع شركة التأمين، فانه إذا لم يكن لذلك العقد لكان يحصل له هذا المبلغ - بعد وجود « الموقوف عليه » أو وقوع « الخطر » - من غير هذا التعاقد أيضاً، مع أنه لا يكون كذلك، كما يعلمه الجميع، فنفس هذه الصورة توجد فى القمار بأن صاحبه يعطى مالا معيناً على وجود شرط، (- مثلا - فى الرهان) ثم يتوقف حصول مبلغ كبير على شىء لا يتيقن وجوده ولا عدمه ولا يكون فى خيار أحدهما و لكن عمل الاشتراط - مثل الاشتراك فى الرهان - أمر إرادى و اختيارى كما أن التعاقد مع شركة التأمين عمل إرادى و أختيارى .

و الآن نشرحها بتحليل آخر .

لا بد من ثلاثه أشياء للقمار - سوى التعاقد و المتعاقدين -

الأول : أن يكون دفع مبلغ قصير - مثلا - من أحد المتعاقدين (الأول)

الثانى : أن يكون عهد موثق لدفع مبلغ كبير من الآخر (الثانى)
الثالث : وجود « الموقوف عليه » أو « الخطر » أى الشئ الذى يلزم بوجوده ـ أو فقده ـ دفع مبلغ كبير من أحد المتعاقدين الاخر ، فاذا فقد الشرط (أى لم يوجد « الخطر » مثلا) فلا يدفع المبلغ بل يحبس ذلك المبلغ القصير الذى دفعه الأول للثانى ، بل ربما يدفع الأول للثانى عند فقد الشرط ، مبلغاً كبيراً من عنده ، وإذا وجد الشرط ـ أى وقع « الخطر » مثلا ـ يدفع الثانى المبلغ الكبير للاول .

و نوضح هذا التحليل بمثال :

هب أن « خسرو » و « برويز » صديقان فقال « خسرو » لـ « برويز » إن دارى قد رثت وستسقط جدرانها فى موسم الأمطار ، فقال برويز، الذى هو مهندس ، « ان تسقط » ثم جرى الحوار على حتى تقررا على هـــذا : إن سقطت الدار فيدفع « برويز » الألفين من الروبية لـ « خسرو » على أن يؤدى إليه « خسرو » الآن المأتين من الروبية (مثلا) فان سقطت الدار فيجب على « برويز » ـ وفق العقد ـ أن يدفع الألفين لـ « خسرو » وإن لم تسقط فيحبس « خسرو » مئتا روبية التى دفعها إليه « برويز » .

فسقوط الدار غير إرادى ـ لا اختيار فيه لأحدهما ـ و غير متيقن وجوده و هو لا يتوقف على هذا الشرط بل كان يتوقع سقوطها قبل هذا الشرط أيضاً : فهل يمكن أن يقال إن هذا العقد ليس قماراً ؟ فيظهر بذلك أن وجود « الموقوف عليه » وفقده ما صار سبباً للقمار إلا بعد التعاقد لا قبله ، فهلموا أن نطبق عليه تعاقد التأمين ، فيظهر لنا هذه الهيئة التالية .

١ـ المؤمن له موضع « خسرو » .
٢ـ و الشركة موضع « برويز » وتعاقد التأمين موضع الاشتراط ـ أو الاشتراك فى الرهان ـ لأنه أيضاً تعاقد .
٣ـ و الموت أو الحادث ـ الذى وقع لأجله التعاقد ـ يوضع موضع سقوط الدار ، فيصدق عليه تعريف القمار سواء بسواء .

و الذى يثير الاعجاب هو أن بعض المقالات و البحوث التى كتبت - فى الهند - لاثبات جواز التأمين تصور لنا القمار بصورة تصدق عليه و على التأمين كليهما ، فهناك ننقل بعض عباراتهم التى سردها بعض الكتاب الهنود ، الذاهبين إلى إباحة التأمين ، بتغيير يسير - أى بعد وضع الأسماء « المستعارة » محل الأوصاف المذكورة فى العبارة - .

« عرض (برويز) نفسه بالاشتراط - أو بالاشتراك فى الرهان - للخطر الذى لم يكن موجوداً من قبل و إن كان موجوداً فما كان يتعلق بشخصيته (فاذا وضعنا « خسرو » موضع « برويز » فأيضاً يبقى الأمر على حاله ولا يكون الفرق إلا فى نسبة النقصان بينهما) وكان له الخيار بأن لا يقامر فاذا لم يقامر لم يتعرض لما له خطر الضياع »

إذا طبقنا ذلك على « التأمين » فيصدق عليه أيضاً هذا التعريف ، فانظروا : أن « المؤمن له » يعرض نفسه بعد التعاقد للخطر - خطر ضياع أقساط التأمين - الذى لم يكن موجوداً من قبل و إن كان موجوداً فما كان يتعلق بذاته ، و كان له الخيار بأن لا يؤمن فاذا لم يؤمن لم يتعرض لما له خطر الضياع - أى ضياع مبلغ أقساط التأمين - .

فاذا عكسنا هذا المثال ووضعنا الشركة موضع المؤمن له فأيضاً تبقى نفس الهيئة - إلا أن ههنا خطر ضياع مبلغ كبير ، مع أنه كان هناك خطر ضياع مبلغ حقير - أى مبلغ أقساط التأمين الذى يمكن أن يكون قليلا أو كثيراً - .

على كل حال توجد فيه - فى عقد التأمين - صورة القمار و تعريفه ، وقد اتضح بهذه الأمثلة - أن الشئ و لزومه و كذلك كونه نافعاً أو ضاراً ، فى ذاته شيء ، و كونه سبباً لضرر أو نفع ، بعد أن يعلق عليه وصول نفع أو ضرر لأحد ، شيء آخر ، فالصورة الأولى - سواء كان وقوع الشئ إرادياً أو غير إرادى أو كان ذلك الشئ فى نفسه نافعاً أو ضاراً - لا نحتاج إلى أن نتعرض لها فى

بحث التأمين ، فانه ـ أي عدم التعرض ـ لا يمنعنا عن الوصول إلى النتيجة الصحيحة و لكن الصورة الثانية ـ أى كون الشئ سبب النفع أو الضرر بعد الاشتراط ـ هى المؤثرة فى تغيير الحكم الشرعى (و تلك الصورة لا تتحقق إلا بالتعاقد) و إذا صار الشئ بسبب التعاقد و الاشتراط بمثابة « الموقوف عليه » و يكون وجوده و عدمه غير متيقن ، فيحصل النفع ـ أو الضرر ـ بوجوده أو بعدمه (بعد التعاقد) لكان ذلك العقد قماراً فى حكم الشريعة الاسلامية ـ حسب ما سبق تعريفه و تفصيله بالدلائل ـ فاذا أمعنا النظر فوجدنا نفس هذه الصورة (الثانية) فى التأمين أيضاً ، لذلك لا يبقى فرق جذرى بين القمار والتأمين ، وأما الفروق الأخرى فهى إما من قبيل « المصلحة » أو « الحكمة » وإما تتعلق بالمصارف و الانفاق ، فهذه الفروق لا تؤثر فى الحكم الشرعى ، (أى أنها لا تخرج بها العقود من حد القمار) و يكفى هنا أيضاً ما فصلناه فى بحث الربا و لا حاجة إلى أكثر من ذلك (و لذلك نود أن يكرر القراء الكرام أنظارهم إلى ذلك التفصيل الذى سبق فى أوائل البحث) و يمكن أن يقال هنا أن الشركة ليس لها وجود مستقل بل كأنها عبارة عن المؤمن لهم فاجبارها من أحدهم حينما أصيب فى حادثة كاجبارهم لانفسهم و إعطاؤها لاحدهم كأنها أعطته من صندوقه الاحتياطى ، و أيضاً يعتبر ضرر أحد المتعاقدين كأنما هو ضرر الشركة نفسها ـ و لذا يمكن أن يقال أن أخذه وإعطاءه شكلى ، كأنها ليست وراءها حقيقة ـ .

لكننا نقول على ذلك أن هذا القول (الذى « يمكن أن يقال ») يصح إذا لم تكن الشركة مختصة بالتأمين بل تكون مستوعبة على سائر أشياء المؤمنين لهم التجارية أو « فى الأقل » على المال الذى أمنوا عليه و إلا « كما مضى فى بحث الربا » كل واحد منهم مستقل بنفسه « عند الشريعة الاسلامية » ، و لا تنعدم هذه الميزة بمجرد عقد التأمين و تبرز هذه الجهة بروزاً ملموساً بعد ما أصيب المؤمن له بذلك الضرر ، أو وقع الحادث الذى أمن لاجله ، عندما يطلب المؤمن له المبلغ من الشركة (وسيأتى بعض التفصيل حول هذا . . . فى آخر البحث إن شاء الله تعالى) .

« يتبع »

الفراهی و الترابط الفکری فی القرآن

(٢)

للدكتور معين الدين الأعظمى
الأستاذ المشارك ، فى اللغة العربية الحديثة ، قسم اللغة العربية ،
المعهد المركزى للغة الانجليزية واللغات الأجنبية حيدرآباد (الهند)

أدلة عقلية على وجود النظم فى القرآن :

يرى الفراهى أن القرآن بآياته و سوره مترابط ترابطاً وثيقـاً « و بالجملة فرادنا من النظم أن تكون السورة كلاما واحداً ، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة و اللاحقة أو بالتى قبلها أو على بعـد منها كما قدم فى نظم الآيات مع بعض » (١) .

« فكما أن الآيات ربما تكون معترضة ، فكذلك ربمـا تكون السورة ، و على هذا الأصل ترى القرآن كله كلاما واحداً ذا مناسبة و ترتيب فى أجزائه من الأول إلى الآخر » (٢) و يقول « فهـذا إشارة إلى أصل راسخ فى ترتيب الآيات والسورة فترى كل جملة من السورة تبتدئ بالمكية و تختتم بالمدنية أو ترى جملة من المكيات قد أدخل فيها سورة واحدة أو أكثر من المدنية و هذا مثلما ترى فى ترتيب الآيات » (٣) .

و يرى كذلك أن ترتيب السور الموجود يوافق النظم المعنوى ، أما ما يظهر فيها من قصور و نقص فى الترتيب فسببه عدم فهم فلسفة ترتيب السورة كما أن الآية نزلت بعد مدة وضعت بما تناسبها ، فكذلك بعض السورة ضمت بعضها لمناسبة المتأخرة بالمتقدمة للتفصيل و التشديد أو الموافقة فى المعنى (٤) « كما أنه

(١) نفس المرجع ص : ٨٧ . (٢) دلائل النظام للفراهى .
(٣) نفس المرجع ص : ٧٥ . (٤) دلائل النظام للفراهى ص : ٨٣ .

(القرآن) مرتب الآيات فكذلك منظم السور ، فان قدمت أو أخرت ذهب طرف من الحكمة كما لو بدل ترتيب الآيات » (١) يقول « اعلم أن مرادنا من النظم أن تكون لكل سورة صورة مشخصة ، فان معالى الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض و جرت إلى عمود واحد ، كان الكلام ذا وحدانية ، فحينئذ لا يكون إلا و له صورة مشخصة ، فاذا نظرت إلى الكلام من هذه الجهة رأيت ما فيه من الجمال و الاتقان و الوضاحة (٢) و يقول « السور القصار ألذ و أحلى و أجلى و أسهل فالقارئ ينتظر كالمسافر إلى منزل طيب بهيج أو كما يوضع أحلى الأطعمة فى الآخر . . . فكلما قرب إلى آخر القرآن قرب إلى معالى الأمور و أصول الدين » (٣) و يقول « إنما نزل القرآن حسب تربيتهم فنزل ما ينبى عليه الأحكام ثم نزل الأحكام مع الخلط بالترغيب و الترهيب ، وتفصيل الأحكام جاء بعد الاجمال » (٤) « فى أوائل التنزيل نظر إلى عامة الأخلاق الانسانية و فى أواخره إلى ما بين أيديهم من الأقوام ، فالأوائل كلية و الأواخر جزئية والأول أقرب إلى العقول والآخر إلى الحواس ، الأول حاد عميق والآخر بسيط ظاهر » (٥) « إن الله تعالى حين تحدى العرب باتيان مثل هذا القرآن اشترط إتيان سورة و لو كانت قصيرة و معناه الاتيان بكلام منظم يكون ذات توطئة و موضوع و خاتمة » (٦) « إن القصار تضام الطوال رباطاً و نظاماً و معنى و قدراً » (٧) .

(١) نفس المصدر ص . ١٢ . (٢) نفس المصدر ص : ٧٥ .

(٣) فاتحة نظام القرآن ص : ٢١ . (٤) دلائل النظام ص : ٨٦ .

(٥) نفس المصدر ص : ٨٦ . (٦) فاتحة نظام القرآن ص : ٢١ .

(٧) دلائل النظام ص : ٢١ .

و هناك فرق شاسع بين الترابط الفكرى الذى يظهره المفسرون الآخرون و الترابط المعنوى الذى يدعو إليـــه الفراهى فانه غير مقتنع بالنظم الذى يظهره الامام الرازى و كذلك الذى يظهره الامام البقاعى فى تفسيره « نظم الدرر فى تناسب الآى و السور » إنه يدعو إلى إيجـاد ترابط فكرى طبيعى أعمق و أدق و أروع و أبدع و أشد اجتذاباً و بهاء و أكثر لمعانا و برقاً و بزوغاً .

أسباب احتجاب النظم :

(ألف) يرى الفراهى أن هناك أسباباً تعوق فى إدراك الترابط المعنوى فى القرآن ، و من أهمها « أن القدامى نظروا إليه و كأنه كتاب قانون أو علوم ، و استنبطوا من كل لفظ مسائل و أحكاماً و لم يفكروا فى سياق الآيات كما يفعل الامام البخارى الذى يذكر الآية الواحدة فى أماكن و أبواب مختلفة » (١) .

(ب) إن الحكماء نجمتهم الأمور الكليـــة فلا يعجبهم رأى ينخرم ببعض جوانبه . . . . و لما لم يتبين لهم وجه الدلالة فيه زعموا أن هذه الكلية لا تصح مهنا و ليس من دأب أكثرهم أن يقروا بالعجز و يحولوا العلم إلى الله كما ترى فى مسألة نظم القرآن فانه ظاهر و واضح فى أكثر المواضع و لم يشكل كل الأشكال الا فى قليل » (٢) .

(ج) « إن أكثر من ذهب إلى وجود النظام كالامام الرازى قنع فى هذا الأمر الصعب بما هو أهون من بيت العنكبوت مع سبقه فى العلوم النظرية والذكاء فمن نظر فى كلامه تيقن بأن النظم لو كان كما يدعى هذا الامام المتبحر و أمثاله لما خفى عليه مع خوضه فيـه إذ لا يأتى هو و لا غيره إلا بكل ضعيف ، فلا مطمع فيه لأحد بعد هؤلاء » (٣) .

---

(١) مقالة باللغة الأردية فى النظم للفراهى بمجلة الاصلاح ١٩٣٦ .

(٢) إمعان فى أقسام القرآن للفراهى ص : ٢٥ .

(٣) دلائل النظام ص : ٢٣ .

(د) «إن إكثار الوجوه من أكبر الحجب على عدم فهم النظام، بل عدم التمسك بالنظام هو أكبر سبب للوقوع بكثرة التأويل ، فالنظم هو الذى يوجهك إلى الوجه الصحيح» (١) .

(ﻫ) «إن تحزب الأمة فى فرق و شيع قد ألجأهم إلى التمسك بما يؤيدهم من الكتاب فراق لهم تأويله الخاص له ، سواء كان بظاهر القول أم بأخذ طرق تحمل الكلام على بعض المحتملات ، ولا يخفى أن غلبة رأى أو وهم يجعل البعيد قريباً والضعيف قوياً ، وكذلك يفعل كل فريق، لكل فريق تأويل حسب مذهبه و حينئذ لا يمكن رعاية النظم فان الكلام لا بد له من سياق و لا بد لأجزائه من موقع يخصه» (٢) .

إدراك النظم صعب :

و مع ذلك نجد الفراهى يقر و يعترف بأن إدراك النظم فى القرآن صعب و عسير و يحتاج إلى التأمل و التدبر العميق و الطهارة الخلقية و الروحانية .

(ألف) «كما ترى فى مسألة نظم القرآن فانه ظاهر واضح فى أكثر المواضع و لم يشكل كل الأشكال إلا فى قليل ، فلو اعترفوا بالجهل كما فعل بعضهم لكان حرياً و لكن تراهم لم يعتمدوا على وجود النظم و إنما أرادوا بذلك أنه ليس كلياً فظن العوام أن لا نظم فى القرآن وكله اقتضاب» (٣) .

(ب) من أضر ما يظنه المتغافل عن علم النظم أنه مع إشكاله و صعوبته و كونه من مزلات الأقدام ليس من مهمات الدين» (٤) .

(١) دلائل النظام ص : ٢٥ . (٢) نفس المصدر ص : ٢٥ .

(٣) إمعان فى أقسام القرآن ص : ٤٦ .

(٤) دلائل النظام ص : ١٧ .

موضوع السورة :

أما كيف تكون آيات السورة مرتبطة بعضها مع بعض و هى أفكار مشتتة ذات عناصر متباينة فى الظاهر فيرى أن لكل سورة موضوعاً خاصاً و له عناصر و أجزاء تدور حول ذلك الموضوع أو الفكر الأساسية « أما العمود فلا يكون للسورة إلا واحداً » (١) .

و الفراهى يرى أن معرفة ذلك الموضوع هو المشعل الوهاج الذى ينير الطريق للسالك و يبعده من التأويلات الركيكة و ينور أمامه دقائقه و حكمه الجمة فانه بمثابة خيط ينسلك فيه الأجزاء المختلفة المتفرقة « اعلم أن عمود السورة هو الأقليد لمعرفة نظامها » (٢) « إن القرآن ذو وجوه كجوهرة ذات جوانب ترمى بالشعاع من جهات شتى ومع ذلك يهدى إلى سبيل واحد ، فكلماته كشموس فمن يستطيع أن يجمع أشعته على نقطة » (٣) .

و الفراهى قبل فهم السورة و تأويله يعين موضوع السورة ثم يمسكه بشدة و يبسطه على الآيات و السورة كلها و لا يتركه بل لا يغفل عنه و لو للحظة حتى فى الأماكن الحرجة الصعبة ثم له ذوق خاص فى تعيينه ، فالموضوع الذى يستخرجه يبدو أشمل و أجمل منظراً و أروع شكلا و كأنه أخرجه من الغور و الباطن و بعد تفكير عميق و تدبر طويل .

يقول فى سورة التحريم « إن فى القرآن عشر سور نزلت فى تطهير المؤمنين و هى آخرها التى تؤكد الاحتساب الشديد على أنفسهم و أهليهم و إنما بدأ الكلام بالنبى و بأمر يظنونه هيناً بل من الحسنات ، فكم من الناس حرموا

(١) مقدمة نظام القرآن ص : ١٨ .
(٢) دلائل النظام ص : ٨٧ (٣) نفس المرجع ص : ٥٦ .

على أنفسهم طيبات أحلت لهم ظناً منهم بأنهم يحسنون ويرضون به ربهم فكشف لنا عن حقيقة هـــذا الدين القيم الفطري . . . و لذلك ترى ذكر النور فى مثل هذا المقام ، وبسط الكلام فى تفسير سور النور و الحديد ثم ختم بذلك ما كان فيما بين النبي و أهل بيته ، و لنعلم أن المداهنة لو جازت فى الدين لجاز بالرسول و أهل بيته ، ثم سلاهم بأن الله يحذركم ليكفر عنكم سيئاتكم .

ثم وسع ذمة النبي باحتساب نبوى مجاهدته الكفار والمنافقين وأمره بالغلظة قبل لقائهم بملائكة غلاظ شداد ، ثم ضرب أربعة أمثال على أصل المسألة و هى استغلال إنسان بذمته » .

و المفسرون قبله لم يدركوا سوى المعانى الظـاهرة التى جاء ذكرها فى شأن النزول ، و لـكن وراءها اسراراً و حكماً بالغة خفية فى باطنها و لا تنكشف إلا للتأمل ، و هى فى الحقيقة الهدف الرئيسى من السورة .

لـكن الفراهي وصل إلى أعماق السورة و أدرك حكمتها و فلسفتها وكشف عن معانيها السامية التى تظهر بعدها، و كل جزء وآية منسجمة مع الآخر انسجاماً كلياً و تتجلى السورة بأبهى صورة .

و ما دام للموضوع هذه الأهمية و الخطورة فهو لم يتركه غير مدروس كما فعل غيره من المفسرين بل يبين الطرق لمعرفته التى اكتسبها من تجاربه و خلال دراسته الطويلة ولم يكن لرأية هذا كبير أهمية سوى أنه أصاب فى الاختيار لأن هذه الفكرة كانت موجودة من قبل لـكن قيمة رأيه تزداد فى أنه كشف الطرق العديدة لمعرفته ، فقبل كل شئ نجده يحذر طالبه من أن معرفته صعبة و من أشد المراحل اجتيازاً و عبوراً للفسرين » و لـكنه أصعب المعارف و يحتاج إلى شدة التأمل و التمحيص و تعميق النظر فى مطالب السور المماثلة المتجـاورة حتى

يلوح كفلق الصبح فيضيئ به السورة كلها ويتبين نظامها و تأخذ كل سورة محلها الخاص و يتعين من التأويلات أرجحها » (١) .

و يرى الفراهى أنه من علامة صحة الموضوع أن يشمل ذلك الآيات كلها « العمود هو الشيئ الجامع الذى به رباط السورة بأسرها و لكنه أهم الأمور بياناً » (٢) .

أما الشبهات و المطاعن التى توجه حول وجود النظم المعنوى فى القرآن والتى قد أظهرها كبار العلماء مثل عز الدين بن السلام (١١٨٢—١٢٨٢) والشيخ ولى الله الدهلوى (١٦٩٩—١٧٨٢) و هى أن القرآن نزل فى أوقات مختلفة وحوادث متباينة ، و فى مثل هذا الكلام لا يوجد التسلسل المعنوى أو النظم ، فيرد الفراهى قائلا بأن القرآن لم يجمع كيف جاء و اتفق بل الأصول المرعية فى جمعه هى الحكمة فيقول فى قوله تعالى فى سورة هود (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) فالاحكام يدل على حكمة القائل ومعرفته بالأصول و حقائق الأمور، والتفصيل يدل على سعة علمه بتفاصيل الأمور » (٣) .

و يرى أن كل سورة تشتمل على المعالم و الندرة و لكن العمود عامة لا يكون فيها و لا فى أعظم المقاصد و إن من علامة صحة الموضوع أن يشمل ذلك الآيات كلها « ليس العمود أعظم المقاصد حقيقة بل هو الشيئ الجامع الذى به رباط السورة بأسرها و لكنه أهم الأمور بياناً فى سورة ذكرها ، ألا ترى آية النور تتلألأ فى وسط السورة كواسطة العقد فى الوشاح أو كتعرض الثريا فى كبد السماء مع أنها ما جاءت إلا تبعاً ، و عمود السورة حسن الأدب فى أمور ربات البيوت (٤) .

(١) دلائل النظام ص : ٧٧ . (٢) مقدمة نظام القرآن ص : ١٩ .
(٣) جمهرة البلاغة ص : ٥٨ . (٤) مقدمة نظام القرآن ص : ١٩ .

و يحدث أن الموضوع مع كونه واحداً فى السورة ربما يصعب امتيـازه فانه يحتوى أشياء كثيرة و مطالب شتى ، أما العمود فلا يكون لسورة إلا واحداً و هذا الواحد ربما يحتوى على أشياء كثيرة كالذى عمدت إليه سورة الحجرات فما هو إلا شيئ واحد و إن لم يكن له اسم فى اللغة و هبة التوبيخ على سوء الخلق ظناً و قولا و عملا (١) .

و الفراهي يرى أن موضوع السورة ينكشف بعد استيعاب مطالب السورة و التدبر فى القرآن بسعة النظر فان ظهر الموضوع ظهر النظام و الوحدانيـة التى هى بجموع حسن التناسب « العمود كالحد المنطق لا يطلع عليه بالصحة إلا بعد رجع النظر فى النظم وعلم روابط الجملات وإحاطة المطالب جملة ، ثم إن وجدت العمود المعروض أوفق بالنظم أقرب إلى زيادة التوضيح وحسن التنظيم فقد أصبت وإلا فلا بد من طلب عمود آخر » (٢) « لا يخفى مما قدمنا أن الكلام الصحيح أن النظام لا بد له من عمود يجرى إليه الـكلام فانك ترى فى السورة الواحدة مطالب شتى و لا تعلم ما هو العمود الذى سيق إليه المعانى و لن تهتـــدى إلى معرفة اتصال الـكلام بعضها ببعض دون معرفتك بمساق الـكلام وجهته التى تسلل إليها أجزاؤه حتى تراها منظومة فى سلك واحد » (٣) .

أما العمود فهو جماع مطالب الخطاب فاليه مجرى الـكلام و هو المحصول و المقصود منه ، فليس من أجزائه الترتيبية و لـكنه يسرى فيه كالروح و السر ، و الـكلام شرحه و تفصيله و إنتاجه و تعليله و إنما يحسن إخفاؤه فلا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الـكلام و التدبر فيه (٤) .

(١) مقدمة نظام القرآن ص : ١٨ . (٢) دلائل النظام ص : ٧٣ .
(٣) دلائل النظام ص : ٧٢ . (٤) نفس المصدر ص : ٧٣ .

تبين مما بسطنا من أقواله و آرائه و توجيهاته و نصائحه حول مختلف نواحى الاتساق المعنوى أن الفراهى أول مفسر فى تاريخ ادعاء وجود الترابط الفكرى فى القرآن الذى درس هذا الموضوع دراسة مكثفة و شاملة ، إنه توصل إلى هذه النتيجة فى نهاية القرن التاسع عشر ، فان تفسيره لبعض سور القرآن قد طبع بين ١٩٠٣ — ١٩٠٨ .

وإنه لمن دواعى السرور أن الدراسات القرآنية الحديثة التى ظهرت فى مصر مثل « التفسير البيانى للقرآن » للدكتورة بنت الشاطئ و « التفسير الموضوعى للقرآن » للدكتور محمد البهى، قد أكدت ودعمت موقف ونظرية الفراهى مزيداً .

و ما دام أن الفراهى مع جهده المضنى لم يستطع إكمال تفسيره و ترك معالم و خطوطاً توجيهية فيمكن الاستفادة منها لابراز المقدمة و الموضوع و الخاتمة فى بقية سور القرآن ، و هناك مجال لتنقية بعض آرائه و يمكن أن يحول هذا الأمر النبيل إلى لجنة مكونة من العلماء الذين لهم دراسة عميقة فى علوم القرآن و ذلك لأجل :

أولا : كتابة أول تفسير كامل يبرز المقدمة والموضوع و الخاتمة و الاتساق المعنوى بين الآيات و السور القرآنية بصورة واضحة طبيعية .

ثانياً : تجريد التفاسير من الأقوال الكثيرة المرجوحة والمردودة التى تسربت إليها بسبب بعض الظروف الاجتماعية والحضارية، والاختيار منها الذى يطابق النظم و سياق الكلام و التجنب من التفسير المجزء تجنباً كلياً ليتحقق الحلم الرائع القديم للمفسرين .

كتاب العلل الصغير

الأستاذ السيد صهيب الحسيني الندوى

إن كتاب العلل الصغير — الذى نرجح تسميته بمقدمة سنن الترمذى — كتاب معروف النسبة إلى الامام الترمذى، لم يختلف فيه أصحاب التراجم والمحدثون، بل كلهم صرحوا بأن ما يوجد فى آخر الجامع من كتاب العلل الصغير، هو تاليف الامام الترمذى، و قد سبقت النصوص فى ذلك .

و أما موضعه من الكتاب فقد اتفق جميع شراح سنن الترمذى على أنه فى آخر سنن الترمذى ، و لكن لم أجد تصريحاً يفيد بأن الامام الترمذى وضعه فى آخر كتابه السنن ، و ألحقه به ، أو أنه كتب هذه المقدمة بعد الفراغ من كتابه، وألحقها من جاء بعده بآخر السنن ، كما أننا أيضاً لم نتأكد — حتى الآن — من أن الامام الترمذى سمى هذه المقدمة بكتاب العلل ، على طريقة التجوز و التوسع فى لفظ العلل ، أو أن هذا اسم أطلق عليها بعده إزاء تسمية كتابه الكبير فى موضوع العلل .

و أياً ما كان فان وجود هذه الرسالة فى آخر السنن فى أكثر النسخ لدليل واضح على أن موضعها فى الترتيب التأليفى هو آخر كتاب السنن و إن كانت تستحق أن تأتى فى مقدمة الكتاب ليدخل القارى من بابها إلى معرفة السنن .

لقد ادعينا أن هذه مقدمة سنن الترمذى ، وهو أمر واضح لا غموض فيه لأى قاريء يبدأ قراءة هذه المقدمة .

و معلوم أن مقدمة الكتاب تشتمل على بيان موضوع الكتاب و غايته ، و أهميته ، ومنهج المؤلف فيه و طريقته ، و عمله و جهده فى التأليف وكل هذه الأمور تتوافر فى هذه المقدمة .

فقد بدأ الامام الترمذى هذه المقدمة بقوله : إن جميع ما فى هذا الكتاب (أى سنن الترمذى ، من الحديث فهو معمول به . »

و تحدث عن أسانيده التى يروى بها أقوال الائمة الفقهاء وعلماء العلل فقال : « ما ذكرنا فى هذا الكتاب من اختيار الفقهاء ، فما كان منه من قول سفيان الثورى فأكثر، ما حدثنا به محمد بن عثمان الكوفى حدثنا عبيد الله بن موسى عن سفيان » . . . الخ .

و قال : « و ما كان فيه (سنن الترمذى) من ذكر العلل فى الأحاديث و الرجال و التاريخ فهو ما استخرجته من كتاب التاريخ (للبخارى) و أكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن اسمعيل » . . . الخ .

ثم تحدث عن ضرورة الكلام فى الرجال و من هم الذين يحتج بحديثهم و من لا يحتج بحديثهم ، و من هو المتروك ، أراد بهذه الأمور تعريف القراء بهذه الأصول و الضوابط حتى يقرأوا السنن و هم على بصيرة من كلام الترمذى و الائمة الآخرين فى الرجال .

و تحدث عن موضوع الرواية بالمعنى و اتساع الأمر فيها ، و ضرب أمثلة من المتشددين فى رواية الحديث باللفظ ، و المتوسعين فى الرواية بالمعنى .

ثم تحدث فى موضوع طرق تحمل الحديث مثل ، القراءة - و السماع - و الاجازة - و المناولة - و الوجادة - ومواضع استعمال : حدثنى - و حدثنا - و أخبرنى - و أخبرنا .

ثم تحدث عن « الحديث المرسل » و اختلاف فى حجيته ، وضرب أمثلة رواة المراسيل ، المحتج بهم و غير المحتج بهم .

وتحدث فى اختلاف العلماء فى تضعيف الرجال وتجريحهم وتوثيقهم وتعديلهم.

و هذا كما ترى مباحث مصطلح الحديث و علومه ، أراد الامام الترمذى التمهيد بها لكتابه السنن الذى بث فيها علومه فى متون الحديث وأسانيدها ، وعلمه بالرجال ، و جرحهم و تعديلهم و الكلام فى الروايات قبولا و رداً .

ويعد هذا الكتاب (والمقدمة بالأصح) أسبق كتاب فى مصطلح الحديث و علومه ، فالذى اشتهر بين طلاب علوم الحديث أن أول من ألف فى علوم الحديث هو أبو محمد الحسن بن خلاد الرامهرمزى (٣٦٠هـ) كتابه « المحدث الفاصل بين الراوى والواعى » إن كان المراد به أنه أول من خص كتاباً مستقلا كاملا فى هذا الموضوع كان صحيحاً ، و أما إذا أريد أنه أول من ألف فى هذا الموضوع ، فهذا منقوض بسبق الامام ابن أبى حاتم (٣٢٧هـ) إلى ذلك فى مقدمة كتابه « الجرح والتعديل » بل بسبق الامام الترمذى (٢٧٩هـ) إليه فى هذا الكتاب الذى هو بمثابة مقدمة لكتابه السنن ، و لا نعلم أحداً ألف قبل الامام الترمذى بهذه الصورة فى هذا الموضوع .

و بعد هذه المباحث المتعلقة بعلوم الحديث الماسة بكتابه تحدث عن بعض مصطلحاته الخاصة فى كتابه

فقال : « و ما ذكرنا فى هذا الكتاب : (حديث حسن) فانما أردنا حسن إسناده عندنا . . . الخ » .

ثم قال : و ذكرنا فى هذا الكتاب (حديث غريب) فان أهل الحديث يستغربون الحديث لمعان . . . الخ » .

فذكر أقسام الأحاديث الغريبة ، و هى مصطلحاته الخاصة ، وقد أكثر من استعمالها حتى عرفت به و نسبت إليه .

و معلوم أن قوله فى هذه المواضع : « ما ذكرنا فى هذا الكتاب »

ليس المراد به « كتاب العلل » فليس فيه هذه المواضيع و لا هذه المطلحات ، إنما المراد به (كتاب السنن) و الضمائر القريبة كلها راجعة إليه ، فكيف يمكن أن يقال إنه كتاب مستقل ألفه الامام الترمذى بصورة مستقلة .

أما قول الترمذى أخيراً : « و قد وضعنا هذا الكتاب على الاختصار لما رجونا فيه من المنفعة » فليس معناه أنه كتاب مستقل ، لأن كلمة « الكتاب » فى مصطلح المؤلفين المتقدمين لا تعنى إلا باباً أو فصلا ، أو بحثاً ، ألا ترى إلى إطلاقهم « كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الفتن ، فكلها أبواب أو فصول .

و يخطئ بعض الناس عندما يأخذون مصطلحاً قديماً ثم يطبقونه على معنى المصطلح الجديد لنفس الكلمة ، و هذا خطأ منهجى ، يحول دون فهم طريقتهم و أصولهم ، فمن ظن أن هذه المقدمة كتاب مستقل ، له موضوعه الآخر . فقد أخطأ خطأ بيناً .

وقد لمح كل من كتب عن الترمذى وجامعه ، هذه الصلة لهذا « الكتاب » بسننه إلا أنهم لم يصرحوا بكونه مقدمة للكتاب .

يقول الشيخ العلامة محمد عبد الرحمن المباركفورى: إن للامام الترمذى فى العلل كتابين الكبير والصغير ، وكتاب العلل الصغير هو هـــذا و له تعلق خاص بجامعه ولذا ألحقه بآخره ، وجعله كالخاتمة له فانه مشتمل على مباحث مهمة . (۱)

فانه بدلا من أن يسميه المقدمة ، شبهه بالخاتمة ، ولا بأس فى هذه التسمية فالمقصود هو بيان التعلق الخاص ، و لكنه ليس كتاباً مستقلا فى العلل كما صرح به الشيخ .

و أصاب الأستاذ نور الدين عتر إذ ذكر الشبه بين الترمذى و بين مسلم فى تقديمهما لكتابيهما ، فمسلم كتبها قبل بدء كتابه ، والترمذى كتبها بعد الفراغ من كتابه .

(۱) انظر : تحفة الاحوذى للعلامة المباركفورى ج ٤ ص ۳۸۳ .

يقول الاستاذ نور الدين عتر :

« و قد سلك الترمذى بوضعه كتاب العلل سبيل مسلم فى كتابته مقدمة لصحيحه ، أوضح فيها مسلم عمله فى الكتاب و شرح بعض مسائل رآها تتناسب مع الكتاب ، و ليست هذه المقدمات فى شىء من كتب الحديث التى وضعت حتى ذلك الوقت إلا فى هذين الكتابين ، و لكن الترمذى قد توسع ، فتعرض لبعض مسائل سبقه مسلم إليها ، و تفرد بمسائل كثيرة اقتضتها مناسبة الجامع ، لها أهميتها فى علم الحديث ، أثنى عليها الأئمة ، و ذكروها فى محاسن الكتاب ، كما سيأتى من قول ابن الأثير :

« و فى آخره كتاب العلل قد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها » .

و قال : « إن كتاب العلل جزء من الجامع لا يتجزأ و هو بمثابة المقدمة إلا أن الترمذى أتى به فى آخر الكتاب و جعله خاتمة له » .

و قد اعترض من ظن أنه كتاب مستقل ، و قال أيضاً :

« فقد أخطأ من ظن أنه كتاب مستقل ألحق بالجامع كما ألحق به كتاب الشمائل فى طبعة الهند ، كيف ؟ و إنا نجد فيه عبارات تربطه بالكتاب برباط الوحدة التى لا تنفصل كقوله (جميع ما فى هذا الكتاب . . .) و نحوها من العبارات التى تكررت فيها الاشارة إلى الجامع بكلمة هذا الكتاب » فلا انفصام بين العلل و سائر كتاب الجامع و إنما هما كتاب واحد . (١) »

أما محتويات هذه المقدمة و مباحثها فقد قسمنا إلى فصول ، و ذكرت عناوين جانبية لمعان و نكات مهمة و فوائد جديرة بالنظر و الدراسة .

وماتوفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . والله يهدى إلى سواء السبيل . « يتبع »

(١) انظر : الامام الترمذى و الموازنة بين جامعه و بين الصحيحين ص ٥٣ .

من الطب الحديث :

بسطة فى الجسم و العلم

الدكتور ابراهيم الراوى
دكتوراه فى الطب و الجراحة ، جامعة بغداد

قوة الذكاء وتنمية تلافيف المخ :

قبل ربع قرن مضى كانت إحدى المجلات العلمية القاهرية تكذب بعض الأحاديث النبوية الشريفة تحت عنوان .

(ليس كل ما فى صحيح البخارى صحيح) (عن مجلة العربى القاهرية عام ١٩٦٤)

و من جملة المواضيع التى طرحتها المجلة : الحديث الشريف القائل « عليكم بالقرع فأنه يقوى العقل » فقد قالت المجلة بأن هذا الحديث غريب و لا يتفق مع الحقائق العلمية الحديثة و لا علاقة بين أكل القرع و زيادة العقل .

وقد كنا نواكب الأحداث بصبر وتريث حتى ظهرت الحقيقة الناصعة اليوم عند ما فوجئ العالم بتصريح من علماء الطب البشرى فى ألمانيا نشر بجميع لغات الدنيا حيث اكتشفوا مادة جديدة فى القرع لها تأثير عظيم فى تنشيط الدماغ وتنمية تلافيف المخ و زيادة قوة الذكاء و الحيوية الذهنية ، و ينصح العلماء الألمان اليوم بتعويد الطلاب منذ باكورة أعمارهم على الاكثار من تناول طعام القرع فى وجبات غذائهم كما يوصون كل العاملين فى ميدان النشاط الذهنى أن يركزوا على هذه المادة الثمينة فى غذائهم ، كما يوصون الجهات المعنية بالمنتوج الزراعى للخضراوات أن يهتموا بانتاج هذا المحصول المفيد للاجيال الصاعدة خصوصاً ونحن اليوم فى عصر العلم و فى تفتح العقول المفكرة أكثر من أى عصر مضى فى تاريخ البشرية الطويل .

و قد باشرت جميع الهيئآت المشرفة على تغذية الطلاب فى ألمانيا بجعل مادة

القرع أساسية فى طعام الأقسام الداخلية لروضات الأطفال والطلاب على مختلف مراحل دراساتهم و على مدار السنة خصوصاً و إن هذا الحاصل الزراعى من الخضراوات متوفر طوال شهور العام لوجود أنواع متعددة من المحاصيل الصيفية و المحاصيل الشتوية .

و قد تفنن المعنيون بالتغذية بتصنيع مادة القرع فى أشكال جديدة مختلفة محولة إياهـــا إلى أنواع لذيذه من الحلوى التى يعشقهـا الأطفال ، و من المربيات و أنواع الأطعمه المجففة و المملحات و المقليات .

و أمام هـــذا الاكتشاف العلمى الفريد ، يزداد الاسلام العظيم رفعـــة وانتصاراً ، ليكون له السبق العلمى دوماً فى أرجاء الأرض حيث يصرح بالحقائق و الأسرار العلمية الخفية قبل أربعة عشر قرناً ليكتشف سرها اليوم علماء الدنيـا الجديدة فى ميادين الطب الحديث ثم يندهشوا عند ما يعلموا أن اكتشافهم قـــد سبقهم به منقذ الانسانية و معلم الأمم و الشعوب محمد العظيم عليه الصلاة والسلام (سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) و أما هذه الحقيقة يطأطأ العلم الحديث أمام شريعة الاسلام السامية رأسه بكل إجلال ووقار مردداً قول رب العزة و الجلال (فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليما) .

و لقد كان العلماء إلى عهد قريب يعتقدون أن (قدرة الذكاء) و النشاط الذهنى « Intelligence Energy » هى صفة وراثية بحتة وملكة ملهمة منذ الطفولة لا تؤثر عليها المؤثرات ، إلا أن الحقائق العلمية اليوم أثبتت أن عوامل كثيرة لهـــا تأثير هام على زيادة نمو تلافيف المخ و رفع نسبة الذكاء و النشاط الذهنى و منها الرياضة الفكرية و ممارسة النشاط العلمى و التركيز الذهنى و أنواع متعددة من المواد المحضرة لخلايا الدماغ ،و أخيراً الكرم الالهى بأرخص الأثمان وأسهل

الجهود على لسان سيد الحكماء محمد ﷺ (و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) .

لقد لاحظ العلماء منذ زمن بعيد ظاهرة انتقال القابليات الذهنية و الذكائية عن طريق الوراثة و توافر عوائل خاصة يحمل أفرادها ذكوراً و إناثاً صفات نادرة من قوة الذكاء والعقول المفكرة و النشاط الذهنى ، و نجاحهم فى شتى ميادين الحياة العلمية و المهنية و الاجتماعية ، كما لاحظوا أن كثرة تزاوج أبناء العائلة الواحدة من بنات نفس العائلة كبنات العم بالدرجة الأولى يسبب ظهور ذرية ضعيفة عقلياً و ذكائياً مع انخفاض محسوس فى نسبة التركيز الذهنى و سرعة الفهم و قوة الذاكرة مع انحطاط المستوى الدراسى و الفشل الدراسى أحياناً فى شتى المراحل الدراسية ، و قد سبق الاسلام العظيم فى هذا الميدان كل العلوم الحديثة عند ما أمر أبناء الامة أن يكفوا عند الزواج من القريبات و يبحثوا عن بنات غريبات فى قوله ﷺ (غربوا النكاح) وآمراً القادمين على الزواج أن يتعرفوا على عوامل وأسر مشهورة بصفات وراثية جيدة ومفيدة وبمستويات عالية خصوصاً القابليات الذكائية كأن تجد بنتاً كل إخوانها شقوا طريقاً واسعاً فى ميادين العلم و توصلوا إلى مستويات عالية من الدراسات العليا، هذه الصفات الوراثية ستنتقل حتما إلى أبنائك فيدعون لك بالخير و المغفرة ، و هذا يعنى أن تتجنب العوائل التى معظم أبنائها قد فشلوا فى مراحل الدراسة لحرمانهم من قابليات الذكاء العالى، وإذا تزوج الشاب بنتاً من هذا النمط فسوف ينتج جيلا من الأبناء الأغبياء والضعفاء عقلياً و ذهنياً ، و كل منهم يردد عند ما يفشل دراسياً (جنى على أبى) هنا يقف محمد (ﷺ) مخاطباً الشباب فى إنتاج الجيل القوى فى اختيار البنت الجيدة قائلا : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » .

إن للقدس رباً يحميها !

بقلم : فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقره
مدير المسجد الأقصى (الأردن)

القدس ذلك الاسم الضخم الذى امتدت إليه سواعد الحق حاملة إليه النصرة من فوق ثرى طيبة ، تحدوها إرادة السماء بسيوف الهدى و الحق والعدل العمرى ، و صحائف النور المنزلة على قلب محمد ﷺ ، مقدم الأنبياء ، و إمام الرسل ، و المبعوث للناس كافة رحمة و هدى ، تسدد خطاهم على أرض الحياة كلمات تعلموها من أستاذهم : نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده و من جور الأديان إلى عدل الاسلام ، و من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا و الآخرة .

هذا الاسم تهوى إليه أفئدة الملايين من البشر على اختلاف لغاتهم وأجناسهم من تؤلف بينهم كلمة التوحيد الخالصة الصادقة تردهم إليه كلما شردوا عنه وتؤويهم إلى كنفه كلما باعدتهم الغربة عنه ، غربة القلب والعقل واللسان ، فلا يرون الأمن إلا فيه ، و لا العافية إلا تحته ، و لا الرضا إلا فى حواشيه ، فاذا هم أمة واحدة ، و إن بدت من طائفة منهم أو فرد سواء فى وقت ما بنى عن فساد رأى أو اختلاف تصور أو شتات قلوب ، أو تباين اجتهاد أو سوء طوية ، فانما هى نزوة عابرة ، سرعان ما تذهب هى أو يذهب صاحبها ، و يظل الاقصى محفوظاً بحفظ الله ترعاه قلوب المؤمنين و لو بالدعاء الخاشع ، و التضرع الباكى و المناجاة الراجية آناء الليل و أطراف النهار ، و ما أروع كلمة عبد المطلب التى

حفظها لنا تاريخ الجاهلية : (أما الابل فانا ربها و أما البيت فله رب يحميه) فإذا حفظ لنا حاضر المسلمين للاقصى ؟ .

إن العجز الذى مرغ جباه المسلمين ، وأحنى أعناقهم و ضرب رواق فوق أرضهم ، وألقى بذور الشك والفرقة بين قلوبهم لينبئنا أنباء صدق لا عن الواقع ، بل عما يخفيه المستقبل فى ضميره . . . ! !

أفليس من حق القدس ، و مسجدها المبارك أن يكون لهما رجاء بالماضى ينتهى بهما إلى اليأس و القنوط من الحاضر .

إنه لأيسر حق لهما فماذا سيكون جواب الأمة لو كان لها جواب ؟ لا أقل من أن تستذكر كلمة عبد المطلب ، و ما أحسبها إلا قائلة - و قد بلغت ما بلغت من العجز : أما البيت فله عدو يذود عنه أهله ، ليقيم عليه معبده ، و أما الابل فليهنأ العدو بامتطائها و ليأخذ ما شاء منها و ليدع ما شاء ! ! ! فهل إلى عبد المطلب من سبيل ؟ ! !

و القدس هى القدس قد كانت . و كم ظالم راجها ، فارتد ظلمه سهما إلى نحره فأرداه ، و كم اشتد إلى أسوارها عاد فانقطعت به أنفاسه دونها ، وكم أراده بسوء جبار فقصمه الله عند أعتابها و ظلت هى القدس ، تزهو سماؤها بكواكب الفتح و الجهاد ، تنير الطريق إلى القدس ، لتحريرها و إنقاذها .

و وضوح هذه الحقيقة لا يمنع عن الحديث عن القدس و التذكير بالحق الذى فرضه الله على المسلمين لها ، و هذا الحق هو الذى يكون به خلاصها و إعادة الاسلام إليها ، لتقف إلى جانب مكة و المدينة حرماً آمناً ثالثاً ، إنه الجهاد فى سبيل الله و إعداد الأمـــة ليومه الموعود ، و هو آت لا ريب فيه « و يسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريباً » .

و بعد فخير للقدس أن تمسك الألسن عن ذكرها أو التحدث باسمها فلم يبق للكلمة عندها مكان .

صور وأوضاع

من يحكم فى أوربا ؟

واضح رشيد الندوى

تجرى منذ عدة شهور ماضية حملة ضـــد المستر كورت فالدهائم ، رئيس النمسا الحالى ، والسكرتير العام للأمم المتحدة سابقاً ، وقامت عدة منظمات يهودية باحتجاج شديد ضده فى أمريكا لمنعــه من زيارة تلك البلاد ، و لا يزال المستر فالدهائم شخصية غير مرغوب فيها فى أمريكا .

و قد شغل المستر فالدهائم منصب السكرتير العام للامم المتحدة مدة طويلة زار خلالها معظم الدول فى العالم ، و بذل جهوده لحل القضايا العالمية ، و كان يتمتع باحترام الجميع ، و كان له وزن فى الأوساط السياسة ،

أصبح المستر فالدهائم اليوم شخصية متهمة تثار حوله الشكوك ويمنع من زيارة عدد من الدول الأوربية ، رغم شغله هذا المنصب الكبير، لأن اليهود اتهموه بأنه نازى ، و أنه كان فى عهد هتلر يشغل منصباً له صلة باضطهاد اليهود ، و قد نفى المستر فالدهائم هذه التهمـة ، و أنكر أى صلة له بسياسة الاضطهـاد الذى يدعى اليهود أنهم كانوا عرضة لها ، و يستغلون هذه المأساة المزعومـة التى نالت دعاية أكثرمن اللازم ، ويستفيدون بهذه الحملة رغم مرور أكثر من أربعين سنة على الحرب العالمية الكبرى الثانية، وقد اصطادوا عدداً من الزعماء الألمان ، واختطفوا كثيرين منهم و حاكموهم فى بلادهم ، و قاموا باعدامهم كالمستر أدولف ايشمان

الذى أعدمــه اليهود بعد اختطافه فى عام ١٩٦٢ م و لا يزال يعيش بعضهم فى السجون فى الدول الأخرى منذ ذالك الوقت ، لا يعفى عن جريمتهم التاريخية .

و أفادت الأنباء بأن زعيما نازياً آخر اكتشفته المخابرات اليهودية أخيراً و هو المستر أنس برنر الذى يعيش فى سوريا لاجئاً و تطـالب اسرائيل بترحيله إلى إسرائيل و محاكمته لأنه كان مسئولا عن قتل اليهود ، و لا يستبعد أن يسلم هذا الزعيم إلى إسرائيل ، لأن الدول الأوربية تخضع لدعاية اليهود المكثفة ، فتسرع إلى إلقاء القبض على أى شخص تتهمــه المخابرات اليهودية بأن له صلة باضطهاد اليهود .

لقد قبلت الدول الأوربية أسطورة اليهود عن اضطهادهم فتنظر إلى عهد هتلر بعين اليهود و تعتبره عهد القهر و الاضطهاد ، لأن اليهود يصورون عهده تصويراً قاتماً ، و يقومون بتفخيم بعض الأحداث التى تتصل بهم فى ذلك العهد ، و التى تقع مثيلاتها فى كثير من الدول فى عالمنا اليوم و منها اسرائيل نفسها التى تفوق جميع دول العالم فى اضطهـاد رعاياهـا و يرجع استسلام أوربا لهــذه الدعوى إلى سبب رئيسى، وهو نفسية الخوف التى تسود بجراء الحرب العالمية الكبرى، فقد كانت كبرى مدن أوربا عرضة لغارات هتلر ، تضربها طائراته، وتدمرها وتكتسحها قواته، ولم توفق الدول الحليفة المجتمعة فى قهره إلا فى محاولات عديدة بعد خسائر هائلة ، اضمحلت فيها عدة دول كبرى ، و انكمشت ، و خرجت عن الساحــة و خسرت قوتها ، و نفوذها، كان لبريطانيا النصيب الأوفر فى هذه الضربة ، ولا تزال تعيش مثخنة بالجروح .

هذه الأشباح المخيفة لجرائم هتلر ، تطارد الدول الحليفة ، و هى التى تدفعها إلى التعاطف مع اليهود ، فينتفع اليهود من جهتين ، جهة التعاطف ، لأن هتلر

عدو الدول الكبرى المعاصرة كان يقاومهم، و كانوا فريسة لنقمته، ولأن التعاطف معهم يغيظ المسلمين ، لغرسهم فى أرض العرب بالقرب من مهـد الاسلام و بجوار القبلة الأولى و هو ما يهز كيان العرب و المسلمين.

و هناك جانب آخر للخضوع لليهود ، و هو تسرب الضعف و الانحطاط فى الأوربيين من غير اليهود ، فقد كان اليهود قبل خمسين سنة منحطين فى التعليم و الصناعة ، فلم يكن لهم وزن ، لكنهم تمكنوا من رفع مستواهم التعليمى ، و سيطروا على مناصب عالية ، و غلبوا على المؤسسات الاقتصادية ، و الصناعية و تدخلوا فى السياسة ، و ازدادت نسبة تمثيلهم فى الحكومات ، و سيطروا على وسائل الدعاية ، فيسود الذعر على زعماء الدول الكبرى كأمريكا ، و بريطانيا ، و فرنسا ، و يشعرون بضغط عليهم ، و يتطور هـذا الضغط النفسى إلى مركب النقص فيستسلمون بضغط اليهود و مطالبهم مهما كلفتهم من ثمن.

كان هذا الضغط مسئولا عن قرار أمريكا باغلاق مكتب منظمـة تحرير فلسطين ، و تأييد إسرائيل فى كل مسألة مهما كانت مواقف الدول الأخرى.

إن أمريكا و عدداً من الدول الأوربية تعيش فى وضع لا تحسد عليه ، إنه وضع التقييد باسرائيل و الارتباط بهـا ، و ما دامت هـذه العناصر مستمرة لا يرجى أى تغير فى موقف الدول الأوربية.

إن محاكمة النازيين أو معاداتهم لا ترجع إلى العواطف النبيلة ، و لا إلى احترام حقوق الانسان ، أواستقباح القتل العام، فان هذه الدول التى تصطاد النازيين، تربى فى الوقت نفسه القتلة و الارهابيين ، الذين يفسدون فى مختلف أرجاء العالم، و تساند هذه الدول زعماء وقادة فى العالم يفسدون ، و يبطشون برعاياهم، و فوق ذلك أنها تدع إسرائيل التى تستعبد أكثر من مليون شخص و تحتل الاراضى

العربية ، وتغير على مخيمات اللاجئين ، وتقتل الأطفال والنساء ، و تخرق حقوق الانسان ، و تعاند فى وجه العالم كله لكنها محبوبة إلى النفوس و تلاقى معاملة الدلال .

كانت أوربا إمبريالية ، تستعمر العالم ، لكنها وقعت فريسة للحروب الطاحنة والصراعات ، وتهافتت على الصناعة ، و آثرت حياة التنعم والتسلية بتدفق الأموال فانحرفت عن طريق الاجتهاد العلمى والتفكير الجدى ، وخسرت صلاحيات التمييز بين الخير والشر ، والصالح والهجين ، ومالت إلى الاتكال ، و التواطؤ مع قوى الشر كالمرابى ، الذى يؤثر المال على الشرف و الحرية ، و اشتدت قبضة اليهود على معظم الدول الأوربية ، فتعيش الأغلبية فى خضوع للاقلية اليهودية ، و تسلك سياسة استرضائها ، و ذلك وضع غير طبيعى ، و توصلت القيادة الفكرية فى أوربا إلى عهد الافلاس الفكرى ، و هو تمهيد للانحطاط ، فكل نظام يفقد حرية التصرف ، والتمييز بين ما هو خير و ما هو شر ، متجه إلى الأفول ، و ستصاب أوربا بجميع الأمراض التى اتهمت بها الأمم الأخرى وتصل إلى مرحلة «لا يعلم من بعد علم شيئاً » .

و لله جنود السموات و الأرض

ثارت خلال الشهور الأخيرة قضية شغلت بال المسلمين فقد أصدرت محكمة فى دلهى حكما بأن القرآن الكريم يشتمل على مواد قابلة للاعتراض ، و ذلك رداً على قضية أثارها بعض المنادك بأن القرآن يحض على قتل المشركين ،

و أنه يشتمل على ٢١ آية تحث على القتال ، و فى الوقت نفسه أثيرت قضية ضد كتب الحديث وطالب بعض المتطرفين بفرض الحظر على القرآن والحديث ، و سبق أن رفعت قضية ضد القرآن الكريم فى محكمة كلكتا العاليــة ، لكن القضية سحبت بتدخل الحكومة المركزية وإصدار القاضى حكمه بأنه القرآن الكريم كتاب مقدس و لا يمكن رفع القضية ضده .

و قد تناولت الصحف الهندية المتطرفة هذا الموضوع و حاولت كعادتها أن تنال من القرآن الكريم و ذات الرسول ﷺ ، ولم يكن فى مستطاع المسلمين أن يردوا على هذه الاعتداءات بالمثل لأن القرآن الكريم نفسه يمنع المسلمين من الاعتداء على أى دين أو عقيده ، فقــال « و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » و قد حث الاسلام أتباعه على احترام الأديان الأخرى و عدم التعرض لها ، فاكتفى المسلمون بالدفاع عن القرآن و الحديث ، و السيرة النبوية و التــاريخ الاسلامى و إزالة الشكوك المثارة حولها .

كانت هذه الحملة ضد القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأعلام الاسلام تجرى ، ويصبر عليها المسلمون إذ ثارت قضية قلبت الوضع كله ، أو كما يقال قلبت ظهر المجن ، قضية كتاب ألفه زعيم الطبقات المضطهدة « أمبيدكر » الذى كان من صانعى دستور الهند ، ويعتبر القائد الروحى والفكرى للطبقات المتخلفة ، ظهر كتابه ، أحاجى الدين الهندوكى ، تحت إشراف حكومة ولاية مهاراشتر ، و كان قد طعن فيه أمبيد كر فى آلهة الهنادك والشخصيات المقدسة لديهم ، واستعمل لغة نابية عنهم ، وعن الدين الهندوكى فثار الهنادك على الكتاب ، و طالبوا بفرض الحظر عليه .

وقامت منظمة شيوسينا المعروفة بعداء الاسلام والمسلمين بمظاهرات للضغط على المطالبة ، و تصدى رجال الطبقات المضطهدة و هم أيضاً من الأغلبية لهذه المطالبة فنشأت حالة المجابهة و حارت الحكومة بين قبول مطالبة الحظر و مطالبة إبقاء الكتاب و رفعت القضية إلى المحكمة التى أصدرت حكمها بحذف بعض العبارات المتهجمة ، و هكذا هدأت العاصفة التى كادت تعكر صفو الجو الطائفى .

كان أمبيدكر رغم تفوقه العلمى و خبرته القانونية التى أهلته بوضع دستور جمهورية الهند الذى لا يزال نافذاً فى الهند بتعديلات يسيرة ، من طبقة المنبوذين ، و كان يشكو التمييز العنصرى على ذلك الأساس وقاد حركة ضد التمييز الذى كان يسود فى أقوى شكله فى ذلك العصر ، فقد كان رجال الطبقات المنبوذة منقطعين عن التيار العام ، تخصص لهم معابد وآبار يتبعد عنها رجال الطبقات العليا ولا يسمح لهم بأن يأكلوا أو يشربوا أو يعبدوا مع رجال الطبقات العليا ،وبلغ امتعاضه على هذا التمييز إلى أنه فكر فى الخروج عن الهندوكية وقبول دين جديد ، و قام بدراسة الأديان المختلفة و تقدم زعماء الأديان العديدة إليه بدعوة لقبول دينهم و كان بينهم الزعماء المسلمون ، و لكن لم يقدر له اعتناق الاسلام فقبل البوذية . و خرج معه مآت ألوف من أتباعه من الهندوكية و دخلوا فى البوذية فكانت هذه الخطوة بداية للثورة على العقائد الهندوكية .

و بقى من رجال الطبقات المختلفة أغلبية حائرة تفكر فى وضعها غير راضية بالسلوك مهما بلغت ثقافتها ومستواها العلمى، وقبل من هذه الطبقة عدة آلاف شخص الاسلام ، و يدعى رجال الطبقات المضطهدة أنهم فى أغلبية وأن رجال الطبقات العليا لا يزيد عددهم عن عشرين فى المائة و قد ألقوا منظمة للنهوض بالطبقات المضطهدة و يسعون إلى الحصول على تأييد الأقليات الدينية الأخرى .

و نظراً لهذا الوضع ، أحدث الكتاب الذى اشتمل على تهجم شديد على الهندوكية ، و قادة الديانة الهندوكية ضجة كبرى ، لأن الذين كانوا يؤيدون هذه الآراء يحملون قوة عددية كبرى ، و شعرت الحركات المتطرفة التى تريق الدماء على أدنى إثارة بالخطر لمعتقداتها وأهمية حل القضية حلا مرضياً بأسرع ما يمكن.

و قد ثارت قبل شهور قضية مماثلة أخرى ، فقد أرغمت زوجة هندوكية على إحراق نفسها مع زوجها المتوفى ، و أقيم احتفال ضخم اشترك فيه الكهنة و تقرر إقامة معبد على ذلك المكان لكن الحادث أثار رد فعل شديد فى النساء فقامت احتجاجات و تعرض الدين الهندوكى لهجوم شديد على سوء المعاملة مع المرأة، و قد أثارت حوادث إحراق الزوجات فى بيوت الأزواج رد فعل شديد فى النساء فهددت منظمات لحقوق المرأة الهندوكية بالخروج من الهندوكية و دخول فى الاسلام ، إذا لم تتخذ إجراءات لصيانة حقوق النساء، وقد كانت المرأة المسلمة قبل ذلك موضوعا عاماً وكان الاسلام يتهم بأنه يعتدى على حقوق المرأة و تناوله كل كاتب و زعيم فوقف المتهمون أنفسهم فى قفص الاتهام .

« و تلك الأيام نداولها بين الناس » .

« و لله جنود السموات و الأرض » .

أخبار إجتماعية و ثقافية :

كتب حديثـــة :

أكبر نسخة للقرآن الـكريم حجماً

قلم التحرير

أفادنا الدكـتور مقصود أحمد أستاذ اللغة العربية بجامعة بارودا بولاية غجرات ،
ن هناك فى مكـتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة نسخة للقرآن الـكريم طولها
، ، ١٤٢ س . م ، و عرضها ٨٠ س . م .

و يعتقد أن هذه النسخة أكبر نسخ القرآن الـكريم فى العالم ، ولـكن هذا
لواقع ليس بصحيح إذ توجد فى المسجد الجامع ببارودا بالهند نسخة نادرة للقرآن
لكريم ، و هى أكبر من النسخة المحفوظة فى مكـتبة الملك عبد العزيز بالمدينـــة
لمنورة ،ذاك أن طولها ١٨٨ سنتيمتراً و عرضها ١٠٢ سنتيمتراً ، و هذه النسخة أكبر
سخ القرآن الـكريم فى العــالم ، إن النسخة المذكورة أعلاه ، منقسمة على خمسة
عشر جزءاً و كل جزء أو مجلد منها يحتوى على ثمانين صفحة ، وهكذا يبلغ عدد
لصفحات لجميع الأجزاء ألفا و مأتى صفحة .

جزء واحد لهذه النسخة موضوع للزيارة فى صندوق كبير من الزجاج فى حجرة
لسجد المذكور ، وسائر الأجزاء موضوعة على رف خشبي فى نفس الحجرة ، و فى
السابع و العشرين من شهر رجب كل عام توضع هذه النسخة فى فنـاء المسجد
لتلاوة ، وقد أدى ذلك إلى بلاء بعض أوراقها .

و جدير بالذكر أنها تحمل الترجمة الفارسية لحسين واعظ الكاشفى بين سطور

النص و تفسيره المعروف بعنوان « التفسير الحسيني » الهامش ، قام بكتابها كاتب محلي كان اسمه محمد غوث ، وذلك في سنة ١٢٠٦ه (١٧٩١م) إنه مدفون في قرية « بابود » الواقع في شرق مدينة « بارودا » على بعد حوالى ٨ كيلو مترات منها .

(الشريعة الاسلامية)

(في ميزان العلم و العقل)

بعث إلينا الأستاذ الشيخ محمد شهاب الدين الندوي رئيس الأكاديمية الفرقانية ، كتابه القيم « الشريعة الاسلامية في ميزان العلم و العقل » الذي تناول فيه عن حقيقة الشريعة الاسلامية و خصائصها الأساسية من وجهة نظر العلم .

و أثبت أن الشريعة الالهية لا تتفق مع العقل الانساني وحده بل إنها شريعة فريدة من نوعها من الناحية العقلية و التجريبية ، حيث إنها تبدو كمعجزة ربانية تدوم مع دوام الانسان و تلتجئ جميع القوانين و الشرائع الوضعية إلى الاستفادة و الاقتطاف منها بحكم الضرورة .

إن الشريعة الاسلامية أرقى قانون للحياة البشرية على اختلاف العصور و الأجيال و شريعة عملاقة تتقازم أمامها جميع القوانين الوضعية في العالم ، كما أنه تحدث في الكتاب عن واقع الاجتهاد و شروطه و حدوده ، و حاجة الأمة الاسلامية إليه في كل زمان و مكان ، وكونه عمدة علماء الاسلام للرد على جميع التحديات التي يواجهها المسلمون ، إنه ألف هذا الكتاب باللغة الأردية و لكنه جدير بالترجمة إلى اللغة العربية ، و إلى غيرها من اللغات العالمية .

منهج علماء الهند في التربية الاسلامية

اعتنت دار عرفات بدارة الشيخ علم الله الحسني في رائي بريلي ، الهند

باصدار كتاب ذى أهمية تاريخية و دعوية باسم « منهج علماء الهند فى التربية الاسلامية » بقلم الأستاذ واضح رشيد الحسنى الندوى ، رئيس تحرير صحيفة « الرائد » الصادرة من جامعة ندوة العلماء ، يتحدث الكتاب عن منهج علماء الهند فى التربية بوجه عام ، و لكنه يتناول بصفة خاصة الحديث عن ثلاثة أعلام من هولآء العلماء الذين قادوا حركة التربية و الدعوة الاسلامية فى الهند فى فترات تاريخية مختلفة ، و كان طابع المنهج التربوى الذى تميزوا به غالباً على جميع أعمال التربية و الدعوة الاسلامية التى تولتها جماعات العلماء و الدعاة فى العصور المختلفة .

هولآء الأعلام الثلاثة الذين قادوا العمل الاسلامى فى عهود مختلفة هم :

أولا : الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندى ، (م ١٠٣٤ﻫ) .

ثانياً : الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى (م ١١٧٦ﻫ) .

ثالثاً : الامام أحمد بن عرفان الشهيد الرأى بريلوى (م ١٢٤٦ﻫ) .

يقول فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى فى مقدمة الكتاب :

« أراد الأستاذ محمد واضح رشيد الحسنى الندوى أن يستعرض من أعمال هولاء الثلاثة و جهودهم فى دعم الفكر الاسلامى و اختيار المنهج الأقوم للعمل الاسلامى ، ويعرضها فى كتاب مختصر يسهل قراءته و الاطلاع على أحوال هولاء الأئمة الاعلام الذين لجهودهم تأثير كبير فى بقاء الأمة الاسلامية فى الهند ، بخصائصها الاسلامية ، الثقافية و الدينية ، و بمراكزها العلمية و الدعوية و التربوية ، و بجماعاتها النشيطة العاملة للاسلام فى طول البلاد و عرضها » .

نهنئ المؤلف على إنتاجه الاسلامى المفيد ، ونتمنى له الرواج و الانتشار .

إنها لكبيرة!

هذا الكتاب من مؤلفات الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى رئيس قسم التراث بوزارة التراث القومى بسلطنة عمان، ويدور الكتاب حول موضوع المخدرات و المسكرات، و الاضرار الخطيرة التى تنتجها هى و تتعرض حياة الانسان من أجلها لألوان من الأخطار و الأمراض و الموت المبكر، لقد وضع المؤلف هذا الكتاب على مقدمة و فصلين، فتحدث فى المقدمـــة عن قصة التدخين، والفصل الأول يحتوى على أضرار التدخين فى ضوء الدراسات التاريخية بشئ كثير من التفصيل.

أما الفصل الثانى فيشتمل على دراسة تحليلية للخمر و المخدرات، و المراحل التاريخية فى تحريم الخمر، وحكم الشريعة الاسلامية فيها وفيمن يتعاطاها، كما أنه يحتوى على دراسة مقارنة للخمر وحرمتها فى الديانات الأخرى.

يقول المؤلف فى مقدمة الكتاب:

« ومما حدى بى فى الكتابة (حول هذا الموضوع) هو ما أراه من انتشار هذا المرض الفتاك، مرض تعاطى الخمور والمخدرات فى شرقنا الاسلامى.

إن السبب الرئيسى لكثرة حوادث السيارات عندنا و السرقات و الطلاق بين الشباب و انحراف الزوجات، والتسول، وأمراض السل وتصلب الشرايين، وقلة الانتاج فى العمل، و غيرها من الامراض، هو هذه الخمور و المخدرات بشئ أنواعها و أصنافها ».

والكتاب جدير بأن يكون فى يد كل شاب مسلم وفى كل بيت ومكتبة، و قد قامت بنشره و توزيعه:

مكتبة الفردوس، مكارم ناغر فى مدينة لكهنؤ، الهند.

أنشأها :
فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسنى رحمه الله
فى عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

المجلد الثالث والثلاثون

البعث الإسلامي

العدد الثاني

شوال ١٤٠٨هـ - مايو و يونيو ١٩٨٨م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المراسلات :
البعث الاسلامى، مؤسسة الصحافة والنشر، ص. ب ٩٣ لكهنو (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama,
P. O. Box 93. Lucknow (India)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــة :

جربوا الاسلام من جديد

ينظر الاسلام إلى الحياة الانسانية ككل عظيم يتألف من أجزاء كثيرة ولكل جزء حاجة تخص به ، و هي قد تكون حاجة مادية بحتة و قد تكون حاجـــة روحية خالصة ، و هو يؤلف بينهما بمزيج غريب فى تناسق عجيب ، يمكن الحياة من السير على دربها الصحيح ثم جلب السعادة و الطمأنينة فى ظله .

و الاسلام هو التفسير الواضح الصحيح للحياة الانسانية ، و كل نظام غير الاسلام لا يستطيع أن يعبر عن أسرار الحياة و ينزل إلى أغوارها ، و يعرف قيمتها و مدى قوتها و روحها و تفوقها .

و لذلك فان النظام الاسلامى لا يكتفى بتوجيه المواعظ من فوق المنابر ، و لا يقتصر بالتذكير و التعليم وحـــده ، و لكنـــه يجمع بين التذكير و التربية ، و بين المواعظ و العمل ، إنه لا يخاطب الحياة الانسانية من بعيد ، وإنما هو يخوض الحياة و يبحث عن كل جزء من أجزائها فى تفصيل و إيضاح ، فيعطى كل ذى حق حقـــه من الرعاية و الاهتمام و يوفى لكل شئ نصيبـه من المطالب والمصالح .

و بما أن النظام الاسلامى يجمع بين الدولة و الدين، والسياسة و التشريع ، و السيف و المصحف ، و المادة و الروح ، لا يترك الحياة تستأثر بناحية واحدة

من هاتين الناحيتين ، إنه يأمر بالجمع بينهما باتزان تام و اتساق كامل ، لكيلا يطغى جانب على جانب ، أو يغمط واحد منهما حق الآخر ، و هذا هو نقطة الانفصال بين الاسلام و المذاهب المادية الأخرى ، حيث لا يوجد اتزان ، و لاعدالة و لا مراعاة للأحوال و المصالح .

و لقد نالت الحياة الانسانية حياتها و فضلها على الخلق كله يوم جاء الاسلام و أعلن النبي عليه الصلاة و السلام « يا أيها الناس قولوا : « لا إله إلا الله تفلحوا » ، و منذ ذلك اليوم أصبح شعار الشرف والكرامة التقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، و انتهت مقاييس الجاهلية من الاعتزاز بالآباء و الأجداد و الأنساب و السلالات و الاستهانة بجميع مظاهر الخلق و الانسانية و المثل العليا إزاء ذلك ، و نادى الرسول عليه الصلاة و السلام « لا فضل لعربي على عجمي ، و لا لعجمي على عربي ، و لا لأبيض على أسود ، و لا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، كلكم من آدم و آدم من تراب » .

و قد شهدت الحياة عهدها الزاهر الطبيعي و سارت الأمور مجراها الحقيقي عند ما كان الاسلام يسود على المجتمع الانساني بتعاليمه و روحه ، و حدوده و تشريعه ، و عهد الخلافة الراشدة كله صورة كاملة لأسعد مجتمع و أفضل حياة يتوخاها الاسلام و يدعو إليها أتباعه .

فهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه أول خليفة في الاسلام لم يتصور الخلافة أمراً يزيده عزة و إجلالا ، و يمنحه شخصية حاكمة ، و يداً متصرفة ، وكلمة نافذة ، بل نفى هذا الظن بقوله « إنما وليت أمركم ولست بخير منكم » إنه نظر إلى الامانة التي انتقلت إليه من رسول الله ﷺ نظرة ملؤها خوف وحذر ، و شعور عميق بالمسئولية و إحساس مرهف بالعبء الثقيل والموقف الدقيق ، فقام بالخلافة

أحسن قيام ، و أدى واجبـــه نحو الأمة بأمانة و إيمان ، و حذر و خشوع ، و تحمل فى سبيل ذلك من المشاق و ضنك العيش و شظف الحيـاة ما الله به عليم ، و هو الخليفة و الحاكم ، و أكبر رجل فى عصره .

وهكذا الخلفاء الراشدون كلهم (رضى الله عنهم) عاشوا فى شعور عميق بمسئولياتهم التى حملوها و الأمانة التى قبلوها ، حتى سادت فى عصورهم شريعـــة الله ، و صارت بلاد الله التى دخلت فى حظيرة الاسلام جزيرة الأمن والسلام فى بحر هائج مائج ، و واحة خضراء فى صحراء قاحلة جرداء .

إنها سنة الله فى عباده ، فكلما نصروا دينه ، و قبلوا شريعته ، و حكموا كتابه ، و نفذوا قوانينه ، بدل خوفهم أمنا ، و حول شقاءهم سعادة ، و قد شهد التاريخ أن بنى أمية حينما وقعوا فى الترف و اللذة و أعرضوا عن تنفيذ شريعـة الله و حدوده و قوانينه سلب الله عنهم البركة و السعادة ، و أخذهم بأنواع الذل و ضروب الفتنة .

فلما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ذلك الخليفة المؤمن الذى لم يرض بما فعل الخلفاء قبله من تغيير وتطوير فى الشريعة والأحكام ، فقوم ما أزاغوه ، و أصلح ما أفسدوه ، و أعاد كل شئ إلى محله ، و نفـــذ الاسلام فى المجتمع بجميع تعاليمه وحدوده و شرائعه ، عادت نصرة الله إلى الدولة فى عهده ، وقامت دولة إسلامية خالصة وجد فيها الناس ضالتهم من السعادة و الطمأنينـة ، و نسوا كلما كانوا يعانونه من الشقاء و الذل و الحرمان قبل حين .

إن هذه الشريعة وحدودها أصدق تعبير لنفسية الحياة الانسانية و أشواقها ، وخلجاتها و شعورها ، و ميولها و اتجاهاتها ، و هى وحدها لكفيلة بتمهيد الطريق

نحو الكمال و العزة ، و إتاحة الفرص لكل خير و يمن و بركة ينشدها الانسان بين آونة و أخرى فى حياته .

و قد مرت على التاريخ الاسلامى فترات متعددة فى أجزاء مختلفة من الوطن الاسلامى بعد عهد الخلافة الراشدة قام فيها حكم إسلامى، نفذت فيه كلمته، و أقيمت فيه حدوده ، و أجلت فيه شريعة الله و قانونه . حتى انتهت الشرور وفاء الأمن إلى الأرواح و الأموال ، و هبت نفحة التقوى فى كل جانب وخالط الايمان شاشة القلوب ، وتمثلت الحياة الانسانية مجموعة من القيم الخلقية والمثل الايمانية ، و لم تعد الحياة إلا سعادة كلها و طمأنينة كلها ، « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » و ذلك لأنهم آمنوا بالله قولا و عملا ، و رأوا أن الفلاح و النجاح إنما يتيسر بطاعة الله و إجلال دينه وشريعته ، يقول الله سبحانه و تعالى : « إنما كان قول المؤمنين الذين إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا و أطعنا و أولئك هم المفلحون » .

و وعد الله سبحانه و تعالى المؤمنين الصالحين استخلافهم فى الأرض . و تمكينهم فيها كلما رجعوا إليه . و توكلوا عليه ، و حرموا حرامه وأحلوا حلاله ، و صاغوا حياتهم فى قالب الايمان والتقوى فعاشوا فيه ولم تسحر قلوبهم زخارف الدنيا ، و لم تبهر عيونهم حياتها الفانيـــة و حطامها الزائل ، و إنما رأو إلى الحياة الخالدة الآخرة و المصير الذى لا بد من لقائه ، فاستعدوا للقاء ربهم فى أحسن حال ، و زاد من الأعمال ، وأعدوا من حولهم من أهلهم و إخوانهم الآخرة ، و تقديم الأعمال الصالحة للغد ، وأولئك الذين قال الله فيهم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ،

و ليمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم ، و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً .

و قد تحقق هذا الوعـــد كلما توفرت فى المسلمين ، شروط الايمان و صالح الأعمال .

و ذلك ما نقرأه فى التاريخ الاسلامى من قصة انتصار الروح على المادة و غلبة العلم على الجهل فى فترات مختلفة ، وأوقات متعددة و هو لا يختص بأمة أو بلد ، و لا زمان أو مكان ، لأن الاسلام ليس ديناً محلياً أو زمنياً محدوداً إنما هو دين الانسانيـــة جمعاء فى كل زمان و مكان و فى كل عصر و مصر .

و لكى يتمتع المسلمون بما يحمله الاسلام من خير و سعادة للحياة الانسانية و يعيشوا فى رحابه الواسعة ويتنفسوا فى أجوائه الفسيحة النيرة يجب أن يعزموا على تنفيذ شريعته و حدوده فى الحياة الفردية و الاجتماعيـة و ذلك عن طريق وحدات إسلامية يقيموها ، فى محيطهم و بيئآتهم و مجتمعاتهم التى يعيشون فيها ، إذا لم يكن ذلك على نطاق أوسع .

كل وحدة تقوم بتمثيل الاسلام فى واقعها وبين أفرادها سواء فى العبادات و المعاملات و العقوبات أو الاقتصاد والسياسة و الاجتماع ، فان رصيد الاسلام التشريعى لا ينفد فى أى حين بل و يسعف الانسانية فى كل لمحة بفقهه الواضح المشرق الذى لا يتطرق إليه القدم و البلى ، مهما بليت قوانين الأرض و شرائع الانسان ، كل وحدة تعنى بكل جانب من حياة الانسان ، و تحكم فيه فى ضوء حكم الاسلام و شريعته ، فمثلا تقيم محاكم شرعية تعتبر المرجع الوحيد للمسلمين فى جميع قضـــاياهم و أحداثهم و هى تحكم فى ضوء شريعـــة الاسلام و لا ترى عنها محيداً .

و نستطيع أن تمثل هذه الوحدات دولة إسلامية صغيرة محدودة فى كل مكان ، تبرز على خارطة العالم كسفينة نجاة من ركبها كان آمناً .

و لما كانت هذه الشريعة تحمل من الخير و السعادة للانسان و ما لا يوجد فى أى قانون أو شريعـــة ، يجب أن تفيض بالخير والسعادة على المجتمع الذى ، طبقها كلها أو بعضها ، و قد شهد التاريخ أن مجتمعاً أنفـذ فى أفراده جزءاً يسيراً من هذه الشريعة - إذا لم يستطع تنفيذ كلها - فان ذلك أيضاً لا يخلوا من خير و بركة و سعادة تحيط بجميع الحياة و تعمها من جميع النواحى ، فقد رأينا بعض المجتمعات الاسلامية التى أقامت حدود الاسلام أو أحيت سنة من سننـــه رافقها النصر الالهى عند الشدائد ، و انتصرت على العدو و العدد .

ثم إن حدود الاسلام و قوانينه ليست وسيلة فقط كما يزعم البعض بل إنما هى وسيلة و غاية فى نفس الوقت تستفيد منها الحياة بقدر ظروفهـا و يتمتع بهـا الانسان حسب سعيه و رغبته فيها ؟

سعيد الرحمن العلوي

التوجيه الإسلامي

البعث الإسلامي

تأملات فى آيات من كتاب الله

بقلم : فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقره
مدير المسجد الأقصى (الأردن)

إن الآية من كتاب الله كانت تنزل على رسول الله ﷺ ، تمضى بالصحابة فى طريق الرجاء فلا تنثنى لهم عزيمة حتى تنيلهم ما يرجون من سعادة الدنيا و يظنونه يعينهم على سعادة الآخرة ، وتضع عنهم الاصر الثقيل الذى كانوا يحملون فى جاهليتهم فما أحسوا به إصراً إلا بعد أن ذاقوا حلاوة الايمان على يدى معلمهم الأمين صلوات الله عليه و سلامه ، و كانت الآية ربما نزلت بأمر يخالف هوى قلوبهم فلا يرون لهواهم مكاناً معها فى قلوبهم ، فالوحى أولا و آخراً ، وحكم السماء بدءاً و نهاية ، وليس لهم إلا الاذعان والتسليم فى رخاء وشدة ، و فى عسر ويسر ، و فى فقر وغنى ، و فى ألم و أمل ، و فى رضى وغضب ، و فى حضر وسفر ، و فى رى وعطش ، و فى جوع وشبع ، فنفوسهم دائماً كانت مهيأة للاخصاب بوحى السماء ، وما لهم لا يكونون كذلك وقد علموا علم اليقين أن الله لا يرضى عنهم إلا به .

لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون و المثلة السيئة ، قالوا : لئن ظفرنا الله سبحانه و تعالى لنزيدن على صنيعهم و لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ، و لنفعلن ولنفعلن ، و وقف رسول ﷺ على عمه حمزة و قد جدعوا أنفه وقطعوا مذاكيره و بقروا بطنه و أخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال :

أما أنها لو أكلته لم تدخل النـار أبداً ، حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيئاً من جسده النار ، فلما نظر إلى حمزة نظر إلى شئ لم ينظر إلى شئ كان أوجع لقلبه منه ، فقال : رحمة الله عليك ، إنك ما علمت ، كنت وصولا للرحم ، فعالا للخيرات ، ولو لا حزن من بعدك عليك لسرنى أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى ، أما و الله لئن أظفرنى الله تعالى بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك ، فأنزل الله تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

و لقد كانت غزوة أحد تجربة من أكبر التجارب التى صادفها المسلمون فى حياتهم ، قطعت حراب المشركين و سيوفهم من أجساد المسلمين ، ونالوا منهم أذى شديداً ، ولقى الرسول الأعظم صلوات الله عليه منهم ما لقى ، فجع فى أصحابه ، فى الخلص منهم ، وكلهم كانوا خلصاً ، و كانت الفجيعة فى عمه حمزة رضى الله عنه ، و زادت الفجيعة فى نفسه حجماً و ألماً عند ما رأى فيه ما رأى من جراح وتقطيع و مثلة ، فهانت آلام جراحاته صلوات الله عليه و سلامه عليه ، بل لقد نسيها ، فهول المصاب فى حمزة أنساه ما كان يعانى ، و إن كانت فجيعة فى كل من لقى مصرعه من صحابته كان شديداً عليه ، إلا أن مصرع حمزة كان أكثرها شدة و ألماً ، إن حزن الرسول و الصحابة على حمزة لم يكن فقط لمكانه من الرسول عليه السلام فحسب ، فهذا شئ لا ينكر ، بل كان الألم على حمزة لأن الاسلام كان فى حاجة إليه ، فان الاسلام فى أول عهده كان فى حاجة إلى كل صحابى ليس كحمزه ، و إنما لمن هو دون بكثير ، فاذا أصيب من هو فى مثل حمزة فقد ثلم الاسلام نفسه ثلمة شديدة بالغة ، والموت إذا أبرم أمره و أمسك بأحد لا يفلته ،

و يعظــم الأمر على الرسول ﷺ و يدركه من الحزن ما يدرك سائر البشر ، فتنساب الكلمات الشريفة المقدسة على لسانه تصور الألم حروفاً وكلمات و دموعاً فيقول : « و الله لئن أظفرنى الله تعالى بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك » نعم . سبعون ، و أين السبعون من حمزه ، فحمزة مكانته من الله و النبي مكانة لا ينالها سبعون ،ولا ألف ، ولا ألوف من الذين توعدهم رسول الله ﷺ بالتمثيل فيهم ، فهو سيد الشهداء ، وهو الرجل الذى كانت الدعوة تدخره لأيام ستأتى تحمل فى ثناياها كل مثقلة بالشدائد و المصائب ، لكن الشهادة فازت به وفاز بها وضمته إليها فى حنان وحب وشوق ، فالشهادة إذا اشتاقت لأحد لا تتركه يحيا لغيره ، فهى عرس طاهرة تتأنق لصاحبها وتبنى به فى الفردوس ، وتنثر عليه من جمالهـا و عطرها مالا يحلم به بشر يحيا لغيرها ، فليهنأ إذاً حمزة بها ، و اتهنأ هى بحمزه ، و الرسول صلوات الله عليه و سلامه يعلم ذلك ، يعلم أن فوز حمزة بالشهـادة أمنية يحبها هو له ، و لكن خوفه على الدعوة من انتقاص رجالها وموت أبطالها أن تنال أو تعاق مسيرتها خصوصاً حمزه ، حمله أن يقول « و الله لئن أظفرنى الله تعالى بهم لأمثلن بسبعين » و فى تلك اللحظـات المشحونة بالألم و الوعيد ، ينزل الوحى بهذه الآيات « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة . . . إلى قوله : ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » يرى الله نبيه و المؤمنين قد راعهم موت حمزة و إخوانه ، فينزل وحيه بهذه الآيات عزاء للنفوس ، و بلسماً للجراح ، و تشويقاً للفضائل الحسان ، فيقول صلوات الله عليه بعد أن يسمع تلك الآيات و يعيها : بل نصبر ، و أمسك عما أراد لتوه ، وكفر عن يمينه ، فما يكون لنبى يوحى إليه أن يمكث بعد أن يعى الآية طويلا ليمتثل ، بل إن هذا لا يكون لمؤمن أى مؤمن ، ويسمع الصحابة ما قال نبيهم ، فقالوا مثل قوله ، و صبروا مثل

صبره . و أمسكوا عما أرادوا ، استجابة للوحى و إنفاذاً لأمر الله عز وجل .

أخى المسلم الكريم ، إن هذا النمط من البشر ، مضى و انقضى . و لكن خلف من بعده سيرة حافلة بأرقى و أروع و أجمل ما عرفت الانسانية فى تاريخها الطويل من مثل ، وهبت نفسها للانسانية ، ترد روعتها ، و تهدى حيرتها ، وتحرس كرامتها ، وتبنى حضارتها ، وتقيم على الأرض قانون العدل الذى يحمى الانسان من أطماع الجشع المتوحشة .

وضعت هذه الآيات للمؤمنين فى كل مكان و زمان أصولا ثابتة للدعوة ، فلا يكون من المسلم إلا أن يعرفها أولا ، ثم يمضى فى طريق الدعوة إلى الله صابراً على ما يلحق من أذى ، ظافراً بالأجر و المثوبة من الله .

وهى سلاح له يجب عليه أن يتعلمه و يتدرب عليه حتى يصيب النجاح المأمول ، و الدعوة هى التى كانت تحمل كتائب الجهاد على الانطلاق من أرض المدينة لتستوعب الناس جميعاً تحت كلمة التوحيد ، فلا يكون انهزام نفسى ، و لا تقوقع عقلى ، و لا ارتخاء جسدى لفرد أو لأمة ، لداعية أو لمدعوين ، لمجتمع أو لدولة، بل كل أولئك يقفون فى صف واحد لتحقيق مراد الله فى الأرض .

نسأل الله سبحانه أن يلهمنا حسن الدعوة إليه و مراشد أمورنا ، و يوفقنا لحمل الرسالة و أداء الأمانه .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد و على آله وصحبه و بارك وسلم .

إعلان تاريخي بليغ عن الأخوة الانسانية :

مبدأ الوحدة الانسانية و المساواة البشرية

بقلم سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

و مأثرة رسول الانسانية الثانية العظيمة (١) و منته الباقية السائرة في العالم ، هو تصور الوحدة الانسانية ، كان الانسان موزعا بين قبائل و أمم و طبقات ، بعضها دون بعض ، و قوميات ضيقة ، و كان التفاوت بين هذه الطبقات تفاوتا هائلا ، كتفاوت بين الانسان و الحيوان ، و بين الحر و العبد ، و بين العابد و المعبود ، لم تكن هناك فكرة عن الوحدة و المساواة إطلاقا ، فأعلن النبي ﷺ بعد قرون طويلة من الصمت المطبق و الظلام السائد ، ذلك الاعلان الثائر المدهش للعقول ، المقلب للأوضاع « أيها الناس ! إن ربكم واحد و إن أباكم واحد ، كلكم لآدم و آدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى » (٢) .

و هذا الاعلان يتضمن إعلانين ، هما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن و السلام ، و عليهما قام السلام في كل مكان و زمان ، هما وحدة الربوبية و الوحدة البشرية ، فالانسان أخو الانسان من جهتين ، و الانسان أخو الانسان مرتين ، مرة وهي الأساس ، لأن الرب واحد ، ومرة ثانية لأن الأب واحد ، « يأيها الناس ! اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، و خلق منها زوجها

١- مضى الحديث عن منحة الرسول الأولى في بحث نشر سابقاً .
٢- كنز العمال .

وبث منهما رجالا كثيراً و نساءاً ، و اتقوا الله الذى تساءلون به و الأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » (١) « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » (٢) .

و يقول رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم :

« إن الله أذهب عنكم عصبية الجاهلية ، و فخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقى ، أو فاجر شقى ، الناس بنو آدم ، و آدم خلق من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » (٣) .

لذلك كان الدين الاسلامى حقا مشاعا وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب ، و العناصر و الأجناس ، و الأسر و البيوتات و البلاد و الأوطان ، ليس فيه احتكار بنى لاوى من اليهود ، أو البراهمة من الهنود ، لا يتميز فيها شعب عن شعب ، ولا نسل عن نسل ، وليس الاعتماد فيها على العرق و الدم ، بل الاعتماد فيها على الحرص و الشوق ، وحسن التلقى و زيادة التقدير و التفوق فى الجهاد و الاجتهاد ، و قد روى الامام أحمد بن حنبل بسنده عن النبى ﷺ أنه قال : « لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس » ، وقد دان العرب فى جميع عصورهم لكل من برز فى العلوم الدينية و تفوق فيها و أقروا لهم بالامامة والزعامة فيها ، وخلعوا عليهم من النعوت و الألقاب ما لم يخلعوها على كثير ممن برع فى هذه العلوم من العرب ، فلقبوا الامام محمد بن إسماعيل (ابن إبراهيم بن بردزبه) الجعفى البخارى صاحب الجامع الصحيح (م ٢٥٦هـ) بأمير المؤمنين فى الحديث ،

١- سورة النساء - ١ .

٢- سورة الحجرات - ١٣ .

٣- رواه الترمذى و غيره عن النبى ﷺ .

و قالوا عن كتابه أنه أصح كتاب بعد كتاب الله ، ولقبوا الامام أبا المعالى عبد الملك الجوينى النيسابورى (م ٤٦٨ه) بامام الحرمين ، ولقبوا الامام أبا حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى (٥٠٥ ه) بحجة الاسلام ، و قد كان الموالى و أبناء العجم هم زعماء العالم و مراجع المسلمين فى جميع عواصم المملكة الاسلامية الواسعة فى آخر القرن الأول الهجرى ، قد انتهت إليهم رئاسة العلم و الفتيا والفقه و الحديث ، وهى قصة معروفة ، وجميع كتب الطبقات والسير و التراجم وتاريخ الحضارة الاسلامية متفقة على ذلك فى العصور الاسلامية الذهبية التى ساد فيها العرب ، حتى قال نابغة العرب العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربى (م ٨٠٨ه) : « من الغريب الواقع أن حملة العلم فى الملة الاسلامية أكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا فى القليل النادر ، و إن كان منهم العربى فى نسبته ، فهو عجمى فى لغته و مرباه و مشيخته ، مع أن الملة عربية و صاحب شريعتها عربى » و يقول : فكان صاحب صناعة النحو سيبويه و الفارسى من بعده والزجاج من بعدهما : وكلهم عجم فى أنسابهم . . . ، وكذا حملة الحديث و علماء أصول الفقه وحملة الكلام و أكثر المفسرين » (١) .

إنها كلمات خالدة جرت على لسان النبي ﷺ فى حجة الوداع ، وحينما قام النبي ﷺ بهذا الاعلان التاريخى العظيم ، لم يكن العالم فى وضع طبعى هادىء يسيغ فيه هذه الكلمات الجريئة الصريحة ويطيقها ، إن هذا الاعلان لم يكن أقل من زلزال هائل عنيف ، إن هناك أشياء قد نتحملها بصورة تدريجية ، أو من وراء ستار ، مثل التيار الكهربائى فقد نلمسه إذا كان مغطى أو داخلا فى باطن الأسلاك ، و لكننا إذا لمسناه عاريا أصابتنا صدمة عنيفة ، أو قضى علينا بتاتا .

(١) مقدمة ابن خلدون ، المطبعة البهية المصرية ، ص ٤٠١ ملخصا .

إن هذه الأشواط البعيدة و المسافات الشاسعة من العلم والفهم ، و الفكر الانسانى التى قطعتها الانسانية اليوم بفضل الدعوة الاسلامية وظهور المجتمع الاسلامى و بجهود الدعاة و المصلحين و المربين ، جعلت هذا الاعلان الهائل ، الثائر الفائر ، المزلزل لأوكار الجاهلية و معاقل الشرك و الوثنية و العنصرية ، حقيقة يومية عادية تنادى بها اليوم كل مؤسسة سياسية و اجتماعية فى العالم ، و منها ميثاق حقوق الانسان (Haman Rights Charter) الذى حملت لواءه الأمم المتحدة ، وتصريحات تقوم بها كل جمهورية و كل مؤسسة عن الحقوق الانسانية و المساواة البشرية ، فلا يستغربها أحد .

الوضع الاجتماعى قبل الاسلام و تقديس السلالات و الأفراد :

قد أتى على الانسان حين من الدهر سادت فيه عقيدة أشرفية بعض الأمم و الأسر و كونها فوق مستوى البشر ، و كانت بعض الأسر و السلالات تعزو نسبها إلى الشمس و القمر و إلى الله سبحانه . « تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً » .

إن القرآن حكى لنا قول اليهود و النصارى ، فقال : « و قالت اليهود و النصارى نحن أبناء الله و أحباؤه » (١) ، و كان فراعنة مصر يزعمون أنهم تجسيد لاله الشمس : « رع » (RAY) ومظهر له .

و أما فى الهند فقد عرفت فيها أسرتان سميتا « سورج بنسى » يعنى أبناء الشمس ، و « جندر بنسى » أبناء القمر ، أما فى إيران فقد كانت أكاسرتها يزعمون أنه يجرى فى عروقهم الدم الالهى ، و كان أهل البلاد ينظرون إليهم نظرة تقديس و تأليه ، و كان من ألقاب كسرى أبرويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) و وصفه

(١) سورة المائدة — ١٨ .

« فى الآلهة إنسان غير فان » و فى البشر إله ليس له ثان ، علت كلمته وارتفع مجده ، يطلع مع الشمس بضوئه وينير الليالى المظلمة بنوره » (١) .

و كذلك كانت القياصرة آلهة ، فكان عدد من تملك زمام البلاد كان إلها ، و كان لقبهم (Augusus) يعنى المهيب الجليل (٢) .

أما الصينيون فكانوا يعتبرون الامبراطور «ابن السماء» ، و يعتقدون أن السماء ذكر و الأرض أنثى ، و باتصالهما خلق هذا الكون ، و أن الامبراطور «ختنا» الأول ، هو بكر هذين الزوجين (٣) .

أما العرب فكانوا يعتبرون كل من سواهم العجم ، و كانت قبيلة قريش ترى نفسها أشرف قبائل العرب و تحافظ على امتيازها فى الموسم ، فلا تشارك الناس فى مواقفهم و مساكنهم ، ولم تكن تدخل عرفات مع الحجيج بل تبقى فى الحرم ، وتقف بالمزدلفة ، و تقول : « نحن أهل الله فى بلدته و قطان بيته ، و تقول : نحن حمس » (٤) .

و امتازت الهند من بين جاراتها و أقطار العالم بالتفاوت الفاحش بين طبقات الشعب ، و الامتياز بين الانسان و الانسان ، وكان نظاماً قاسياً لاهوادة فيه و لا مرونة ، مدعماً بالدين والعقيدة ، خاضعاً لمصلحة الآريين المحتلين و البراهمة المحتكرين للديانة و القداسة ، قائماً على أساس الحرف و الصنائع و توارثها ،

(١) إيران فى عهد الساسانيين ص ٦٠٤ .

(٢) راجع العالم الرومانى (The Roman World) تأليف Victor Chopart ص ٤١٨ .

(٣) أنظر تاريخ الصين بقلم جيمس كاركرن .

(٤) رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها .

و العنصرية و السلالية ، و كان ذلك تابعاً لقانون مدنى سياسى دينى ، وضعه المشرعون الهنديون الذين كانت لهم صفة دينية ، و أصبح القانون العام للمجتمع و دستور الحياة و هو يقسم سكان الهند فى أربع طبقات :

١- طبقة الكهنة و رجال الدين ، و هم « البراهمة » .
٢- رجال الحرب و الجندية ، و هم « شهترى » .
٣- رجال الفلاحة و التجارة و هم « ويش » .
٤- رجال الخدمة ، و هم « شودر » ، و هم أحط الطبقات ، فقد خلقهم خالق الكون من أرجله ، و ليس لهم إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث و إراحتها .

و قد منح هذا القانون البراهمة مركزاً و مكانة لا يشاركهم فيها أحد ، و البرهمى رجل مغفور له و لو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه و أعماله . و لا يجوز فرض جباية عليه ، و لا يعاقب بالقتل فى حال من الأحوال ، أما « شودر » فليس لهم أن يقتنوا مالا ، أو يدخروا كنزاً ، أو يجالسوا برهمياً ، أو يمسوه بيدهم أو يتعلموا الكتب المقدسة (١) .

و كان أهل الحرف مثل الحاكة و السماكين و الجزارين و الحبالين (٢) ، و الكناسين والمباشرين لتنظيف المدن ، لا يسمح لهم - وفق أحكام منوسمرتى - بالاقامة داخل أسوار المدينة . فكانوا يقيمون فى الخارج و يدخلون المدن بعد

(١) راجع للتفصيل القانون المدنى الاجتماعى الهندى ، المسمى بـ « منو شاستر» الأبواب ١ - ٢ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ ، أو كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » عنوان : « نظام الطبقات الجائر » ص ٥٨ - ٦٠ الطبعة ١٣ دار القلم .

(٢) صانعى الحبال .

طلوع الشمس لممارسة أشغالهم و وظائفهم ، وكانوا يخرجون منها قبل أن تغرب الشمس ، فلم يكن لهم حظ بسبب هذا التشريع فى التمتع بخيرات الحياة المدنية و أناقتها ، و كانوا يعيشون عيشة بدوية منحطة خسيسة (١) .

دور الاسلام فى إقرار مبدأ المساواة البشرية ، و أثره العالمى :

أما الاسلام فقد أعلن مبدأ المساواة البشرية فى لفظ صريح مفهوم ليست دونه صراحة و ليس فيه تحفظ ، و جعل التفاضل بالتقوى و الفضائل المعنوية فقط ، فقال « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (٢) .

و قد اعترف كبار فضلاء الغرب و كبار المستشرقين و الباحثين بعظم دور الاسلام فى إقرار مبدأ المساواة البشرية و تطبيقه عملياً فى المجتمع الذى يقوم على أساسه، ويعمل فيه بتعاليمه، يقول الكاتب الشهير (H A R Gibb) فى كتابه « تجاه الاسلام » (Whither Islam)

« لم يحرز مجتمع من المجتمعات البشرية نجاحاً مثل ما أحرزه الاسلام فى إقرار المساواة بين الأجيال المختلفة ، بصرف النظر عن الطبقات البشرية و تنوع فى الفرص ، و إمكانيات للعمل ، لقد تجلت من أوضاع الجالية الاسلامية الكبيرة فى إفريقيا و الهند و إندونيسيا ، و من الجالية الاسلامية الصغيرة فى اليابان ، قدرة الاسلام على إذابة الاختلافات فى الأجيال والتقاليد التى لا تزول

(١) راجع منو سمرتى ، و راجع للتفصيل لامتيازات الطبقات :
Manu and Yajnaval kya Jayswal, P, 85

٢- سورة الحجرات آية ١٣ .

على مر القرون و على مدار التاريخ ، فاذا كان لا بد من إحلال عاطفة التعاون مكان الصراع و الخصومة بين مجتمعى الشرق و الغرب الكبيرين ، فلا بد فى ذلك من الاستعانة بالاسلام و الاعتماد عليه فى تحقيق هذا المطلوب » (١)

و يقول المؤرخ الفيلسوف (A. J. Toyanbee) فى كتابه « الحضارة فى الامتحان » (Civilization on Trial)

« إن القضاء على الفوارق السلالية و العصبيات الجنسية و الدموية من أعظم مآثر الاسلام و مفاخره ، أما العصر الحالى الذى نعيش فيه فان هذه الفضيلة هى كبرى حاجات هذا العصر ، إنه مما لا شك فيه أن الشعوب الناطقة باللغة الانكليزية قد حققت بعض النجاح فى ربط الشعوب بعضها ببعض ، و عادت على العالم الانسانى بخير و رحمة ، و لكن الحقيقة الراهنة التى يجب الاعتراف بها ، أنها أخفقت فى القضاء على العواطف السلالية و الجنسية » (٢).

و يقول لارنس (Lawrence - e - Browne) فى كتابه (The Prospects of Islam) .

« إن الأخوة التى أعلنها الاسلام ، كانت أمراً واقعاً و شيئاً طريفاً لا عهد للشعوب الشرقية به ، إننا نشك فى أن مسيحى سوريا كانو يعاملون مسيحى إيران ، معاملة الاخوة بالاخوة ، كما أن مسلمى الشام يعاملون إخوانهم فى الدين من الايرانيين ، و يعتبرونهم أعضاء أسرة واحدة » (٣) .

و نختم هذا بشهادة لآنسة هندوكية من أبرز السيدات الفاضلات فى شبه القارة الهندية ، و هى الأديبة الشاعرة فى الانجليزية (Sarojini Naidu) التى كانت تسمى بلبل الهند و كانت الحاكمة أخيراً لكبرى الولايات الهندية و هى

(1) H, A, R. Gibb 'Whither Islam, London, 1932 - P, 379

(2) A, J, Toyanbee, Civilization, on Trial (Newyork, 1948 P, 205)

(3) Lawrence -e- Browne : The ProsPects of Islam. (London, 1949) P, 12

الولاية الشمالية (Uttar Pradesh) تقول فى كتابها « محاضرات و مقالات » .

« إن الدين الاسلامى كان الدين الأول الذى دعا إلى الديموقراطية و عمل بمبادئها ، فلا يرتفع صوت الأذان من منارة مسجد إلا و يجتمع من يريد أن يعبد الله ، فيجتمعون فى صف خمس مرات فى اليوم و يركعون أمام الله على صوت التكبير ، و تتجلى المساواة الاسلامية فى أروع أشكالها ، إننى شعرت مرة بعد مرة بأن الاسلام بقوة الوحدة العلمية يخرط أفراداً مختلفين من بنى آدم فى سلك واحد من الأخوة ، إنك إذا قابلت مصرياً أو جزائرياً أو هندياً أو تركياً فى لندن فلا يهم فى نظر أحد أن وطن أحدهم مصر و وطن الآخر الهند » (١)

فى الهند :

و كان أعجب ما حمله المسلمون معهم حين دخلوا الهند - وهى أشد البلاد تمسكا بالعنصرية و النظام الطبقى المؤبد ، كما قدمنا - هى المساواة الانسانية التى لم يكن للهند عهد بها . فلا نظام طبقات ، و لا منبوذ ، و لا نجس بالولادة ، ولا جاهل يحرم عليه التعليم ، و لا تقسيم أبدى للحرف والصناعات ، يعيشون معاً ، و يأكلون جميعاً ، و يتعلمون سواءاً ، و يختارون ما يشاؤن من الحرف و الصناعات ، و قد كانت صدمة عنيفة للذهن الهندى و المجتمع الهندى ، ولكن لا شك أنها أفادت الهند كثيراً و لطفت من شدة النظام الطبقى السائد ، و كان باعثاً قوياً على رد الفعل ضد النظام الطبقى و حافزاً للدعاة إلى الاصلاح الاجتماعى و لنسخ الاس المنبوذ .

يقول الدكتور تاراجند ، و هو يتحدث عن الصلة بين المجتمع و الشعب فى العهد المغولى :

« نشأت فى هذا العهد عدة مدارس فكرية استخدمت اللغة الشعبية كأداة التعبير و التفهيم فى الدعوة إلى الأفكار الثورية ، و كانت تدور حول الطبقات

(1) Sarojini Noidu : Speeches, & Writings, Madras, 1918 P, 169

السفلی ، و كانت تمثل طموح الجماهير المحرومة إلى التقدم و نيل حقوقها السلبية ، وكان أصحابها يركزون على كرامة الانسان واحترام الانسانية ، لأنهم كانوا يعتقدون أن كل فرد يستطيع أن يصل إلى أعلى مستوى يبلغـه الانسان و ذلك بعمله الفردى ، وكانوا يرفضون طبقة الكهنة وزيادة المعابد الوثنية ، والتقاليد والأعراف الفاشية ، و كانت دعوتهم و هتافهم أن الانسان يستطيع أن يعرف الله و يعبده بطريق مباشر ، وقد بدأت هذه الحركة فى القرن الخامس عشر المسيحى واستمرت إلى منتصف القرن السابع عشر المسيحى ، ثم اضمحلت على مر الزمان ، و كان قادتها ينتمون إلى مناطق هندية مختلفة ، و لكن الأثر الاسلامى بين واضح فى تعليماتهم و عقائدهم » (١) .

و قد قرر هذه الحقيقة التاريخية جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند سابقاً إذ قال :

« إن دخول الغزاة الذين جاؤا من شمال غرب الهند و دخول الاسلام ، له أهميـة كبيرة فى تاريخ الهند ، إنه قد فضح الفساد الذى كان قد انتشر فى المجتمع الهندوكى ، إنه قد أظهر انقسام الطبقات و اللمس المنبوذ و حب الاعتزال عن العالم الذى كانت تعيش فيه الهند ، إن نظرية الأخوة الاسلاميـة و المساواة التى كان المسلمون يؤمنون بها و يعيشون فيها ، أثرت فى أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير ، البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندى للمساواة و التمتع بالحقوق الانسانية (٢) » .

(1) Society and the State in the Mughal Period , Delhi 1941 P, 91 ,

(2) Discovery of India, 335 - 526 ,

الاعلام بين الماضى و الحاضر

بقلم : الدكتور محمد سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » الرياض

لا يشك أى دارس للاعلام ، بأنه وجد مع وجود الانسان ، لأنه شيء ضروري فى حياة ذلك الانسان منذ الأزل ، و لئن اختلفت و سائله و مناهجه ، فانما ذلك لاختلاف ما يحيط بالانسان من مؤثرات و ما يجد فى حياته من متطلبات .

لأن الانسان الذى أعطاه الله عقلا ، وميزه به على سائر المخلوقات ، يدرك بهذا العقل ما يدور فى مجتمعه فيتأثر و يؤثر فيمن حوله ، قرباً أو بعداً ، بحسب القدرة الاعلامية و نفاذها فى الآخرين ، أو تغلغلها فى نفوسهم .

و الكلمة مسموعة أو مقروءة ، هى وسيلة الاعلام ، و المحركة للشعور .

و قد كانت الوسيلة المستخدمة فى توصيل الكلمة ، و تعميق الفكرة التى يدعو إليها الشخص ، وتؤمن بها الأمة ، أو بما تعطيه تلك الكلمة من نتائج إيجاباً و سلباً تختلف من وقت الآخر ، و من مجتمع إلى مجتمع ، طريقاً و أسلوباً .

و لو أردنا ربط الماضى بالحاضر ، و تقليب صفحات التاريخ ، لنأخذ من ذلك مقارنة عاجلة ، من باب توسيع المدارك ، فان هذه الوسيلة قد مرت عبر أطوار التاريخ بمراحل متعددة ، تتلاءم مع البيئة التى قصدت بالتحريك ، و البحث عن الكيفية التى تؤثر بها فى المجتمع ، الذى تلقى فيه هذه الفكرة ، و النهج الذى يسلك لتوصيل هذه الكلمة للاذهان ، و مراقبة تأثيرها : البعيد و القريب .

ومع ملاءمة البيئة والمجتمع ، فان الفرد الذى يتلق الكلمة ، لم يكن بمعزل عن اتجاه ، وغاية تلك الفكرة مثار الاعلام ، فى محاولة سيطرتها على هواجسه ، وتعلق وجدانه بها لأن ،الانسان هو المقصود بتعميق جذور هذه الفكرة ، كما أنه هو الهدف الذى تحركت الكلمة من أجله .

و فى مختلف العصور التى رصد التاريخ بعضاً عنها ، و ما دار فى مجتمعاتها من أساليب إعلامية يلمس المتتبع نماذج من الطرق التى اتبعتها الجهة الموجهة لتلك المجتمعات فى جلب الانتباه ، و استرعاء التفتح الانسانى للعرفـــة ، و لفت النظر لبعض الأمور التى هى مدار الاهتمام ، بما اتخذته من أساليب تدعو الفرد إلى الالتئام مع أجزاء مجتمعـــه ، و الارتباط وجدانياً بمن يهمهم الأمر ، كجزء من الوحدة التى ينشدها أبناء كل مجتمع ، و نموذج للتآلف الذى تحتاجـه النفوس عند الملمات ، ذلك أن الانسان بطبيعتـه : يحب التآلف و يهتم بمـا يربطه بمن حوله . لأنه جبل على الانس و الاجتماع ، و لـكى يؤثر فى مجتمعـه بالفكرة التى آمن بهـا ، أو الموضوع الذى يدعو له . فانه يلجأ للاعلام شارحاً وموضحاً ، و بحسب قدرته و ممارسته يزيد أو يبالغ ، و بعكس ذلك ضعفه و وعيه .

فمثلا : عند اليونان و الرومان : كانت تقام حلبات للصارعة بين الانسان والوحش كجزء من العقاب الذى يفرضه القياصرة على من يناوئهم ، وتقام المبارزة بين بعض القادة بمرأى و مسمع من الملأ ، فيفرض فى ذلك نوع من الرهبـة الاعلامية التى تخيف الخصوم ، و تحدث دوياً بين طبقات الشعب ، التى تحتشد فى المكان المخصص لذلك .

و هذه الأماكن المتعارف عليها هى ذاتها الحلبات و المدرجات ، التى تمتلى بالناس من طبقات المجتمع المختلفة ، لتلق فيها التعليمات و المناظرات ، والخطب ،

و يتم الحوار الفكرى ، والاعلام عن شيء جديد فى حياة الناس ، فكان الجماهير تحتشد لما يراد إعلانه مهما كان ، وعند الفرس و الهنود ، حيث الصراع الفكرى و الفلسفات المتعددة ، تعقد فى أوقات مخصصة و أماكن ثابتة ، ندوات يتبارى فيها أصحاب النظريات المتباينة ، ليقدم كل طرف حجته ، و يدلى بما يحاول فيه دحض حجة الآخر ، و يعقد فى ذلك مجلس تحكيم من المختصين المرضيين من الطرفين ليفصلوا فى الأمر لهذا أو ذاك ، وبحضور السلطة المنفذة لذلك ، ويعلن عن ذلك مسبقاً فى محافل النـاس ، ليحضروا فى الوقت و المكان المخصصين ، و ليعرفوا من المنتصر ، فمن الحضور من يناصر هذا أو ذاك ، و منهم من يكون محايداً ليعرف الحقيقة و يتبعها ، أو ليسترشد لأنه لم يعرف شيئاً من قبل .

و قد حكى القرآن الكريم فى قصة موسى مع فرعون و قومه ، ما يفيد أن مثل هذه الطريقة كانت معروفة أيضاً عند الفراعنة ، عند ما جمع فرعون حشوده فى مناظرة انتصر فيها موسى عليـه السلام و فى العصر العباسى عند ما كثر الصراع الفكرى ، ودخلت على حياة الناس شبه فى العقيدة ، قامت مناظرات من هذا النوع كما جاء فى كتاب الحيـدة عن مناظرة مع المعتزلة فى القول بخلق القرآن و غيرها من المسائل الآخرى .

و عند العرب فى الجاهلية ، كانت الأسواق تؤدى الدور الاعلامى فى شئون حياة العرب الاجتماعيـة ، فيعبرون عن ذلك خطابة و شعراً ، و إشادة بالاعلان و رفع الصوت بالمحامد و المفاخر فى أسلوب يجسد رغبتهم فى التآخى و التناصر ، و الوقوف ضد الخصوم فى أسلوب عصبى يراد منه النصر فقط ، و التغلب على الآخرين مهما بذل فى هذا الطريق من إعلام و مبالغة للتأثير .

و فى هذا السبيل يطغى جانب الفخر و المديح ، حيث تضفى هالة من الأوصاف التى يراد بها رفع مستوى الشخص أو القبيلة ، ليرسخ قدرهم فى النفوس

ويتمكن دورهم الاجتماعى ، وبالمقابل يأتى شاعر القبيلة الأخرى فى إعلام مضاد ، لينزل ذلك القدر ، و يهون من المكانة المرفوعـــة ، و يحل محلها مكانته هو ، و منزلة قبيلته .

و اختيار الأسواق المعروفة فى الجاهلية و الاسلام لأنها يحتشد لها من كل مكان ، و تلتقط أخبارها ، ويتمكن فى النفوس كل ما دار فيها رواية ومتابعة .

و عـد الأمم البدائية تختلف الوسيلة فى توصيل الهدف : فبعضها يعلن حربه ، أو يفصح عما يعتمل فى نفسه ، و يهم مجتمعه باشعال النـار ، و اجتماع الناس حولها لاستجلاء الخبر ، ونوع آخر يقرع الطبول فيلتف الناس فى حلقات الرقص ، كما هى الحال حتى زمن قريب عند كثير من القبائل السوداء فى إفريقيا .

و هناك فئات توصل هدفهـا لمن تريد باشارات أو علامات على رؤوس الجبل ، و المشارف العالية .

و كل هذا من أجل التنبيه الاعلامى ، و إبلاغ الجماهير ما يراد من أمر ، أو استحدث من جديد تدعو الحاجة لايصاله .

و فى أغلب هذه الوسائل كان للكذب و المبالغة ، و تهويل الأمر ، دور كبير فى تجسيم الأمر ، و التحدث عن الذات ، و ما نتج من خسائر ، و ما يراد من نتائج مادية أو معنوية ، بقصد تحريك الهمم ، و إثارة كوامن النفوس .

بعد أن جاء الاسلام ركز على الصدق ، و التحدث عن الحقيقة بالوسيلة الكلامية فى شعر أو نثر ، بقصد التوجيــه إلى الهدف ، و تركيز الاهتمام بالغاية المنشودة .

والشعر الذى قال عنه النقاد : بأنه صحيفة العرب المعبرة فى إحساسهم ، بمعنى أنه الواجهة الاعلامية فى التعبير و الرصد ، و مخاطبـــة العقول و التأثير فيهـا ،

فان الاسلام نظر إليه نظرة تختلف عما عهده العرب فى شئونهم و اتجاه فكرهم و ما ذلك إلا أن أكثر ارتكازه على عنصرى الكذب و المبالغة، اللذين مقتهما الاسلام ، و جاء لمحاربتهما لأنهما يقلبان الحقائق ، وجودة الشعر فى هذا المنهج كما قال بعض النقاد القدامى : أعذب الشعر أكذبه .

فكان النثر أعمق مؤثر إعلامى يوجه النفوس، ويدفعها إلى الهدف الأسمى. الذى قصده الاسلام ، وحقق رسالته إلى الأمم ، لاهتمامه برعاية الفرد والجماعة، وتكوين المجتمع الصالح، ذلك أن تعاليم الاسلام هذا الدين الذى يخاطب العقول، و يسعى إلى ما يصلح النفوس ويربح الجماعات ، و جذوره العميقة، تحرص على بذر الغراس الطيبة ، و تعهد تلك النبتة منذ استوائها على ساقها بالرعاية و العناية، كما تحرص على إحاطتها بالاهتمام و العناية .

هذه النبتة هى الانسان الذى بصلاحه يصلح المجتمع ، و بفساده يفسد .

فالمجتمع ما هو إلا مجموعة من الأفراد الذين تنعكس أعمالهم و تصرفاتهم على ما يحيط بهم ويؤثر فيهم ما يوجه إليهم ،فكان هذا الجوهر سلعة غالية، ومادة نفيسة كرمها الله بالعقل لتستفيد مما يحيط بها كما جاء فى الحديث القدسى : « ابن آدم خلقتك لأجلى فلا تلعب ، و خلقت كل شئ لأجلك فلا تتعب » .

و اتجه الاسلام إلى الانسان الذى رفع مكانته ، فى مخاطبة إعلامية تلامس أوتار القلوب ، و تتفاعل مع الأحاسيس و الوجدان فى مواقف كثيرة من القرآن والسنة المطهرة ، فكانت التعاليم الموجهة فيهما وسائل اعلامية تدعو للتآلف و محبة الآخرين و الدعوة إلى الخير ، و الاهتمام بأفراد المجتمع و بذل المعروف من النفس والمال : بالصدقات والزكوات ، والاحسان والانقياد للشرائع، والوقوف عند الحدود ، و الدعوة إلى المحبة و التسامح و المساعدة ، و لين الجانب ، وفوق هذا كله انقياد القلب بالوحدانية لله ، و هى فى الوحدة فى الاتجاه العقدى .

و كانت الوسائل المختلفة هى الطرق التى توصل هـــذه المثل إلى النفوس و توجهها إلى الهدف مقرونة بالترغيب و الترهيب . و يختار لذلك الأماكن و الظروف التى تستجمع فيها الحواس و يلتئم فيها شتات النفس ، و تتهيأ المؤثرات المعنية للانتباه و الاستفادة .

فكان المسجد حيث اتجاه النفس جسماً و إحساساً ، بطهارة حسية و معنوية موطناً تلقى فيه الدعوة المؤثرة ، و الكلمة المحركة و الاعلام المنشط .

وكانت مجالس العلم وطلب المعرفة مصدراً تستلهم منه النفوس كل ما يفيدها فتأخذ عن قادة الفكر و موجهى المعرفة ، و من مجالسهم ، كل توضيح فى سبيل المعيشة و الحياة ، و كل توجيه لما خفى من أسرار مصدرى التشريع كما قال تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وكانت التجمعات الأسبوعية و اللقاءات السنوية فى صلاة الجمعة و العيدين والحج و المناسبات المماثلة : كصلاة الاستسقاء و صلاة الكسوف ، مناسبات إعلامية تنجذب فيها العواطف ، وتتحد المشاعر مع أسلوب الدعوة و الدعاء .

و يختار الاسلام الأوقات العصيبة فى حياة الانسان لتكون مناسبات تعطى النفوس فيها جرعات تزيدها طاقة وتحملا على أعباء الحياة و مشاقها ، سواء بالشكر على النعم أو بالتحدث بنعم الله ، والصبر على المصيبة ، وتحمل ما حل من بلاء ، و رفع الظلم و مساعدة المظلوم ، و ذلك وفق المناسبات المتعددة التى تقوى فيها رابطة الاسلام ، ذلك أن طريقة الاسلام فى مخاطبة النفوس وتحين الفرص ، هى أكثر و أمكن من أى مبدأ و رسالة .

ثم جدت فى العصر الحاضر وسائل الإعلام بأنواعها الثلاثة : المسموعة و المرئيـــة و المقروءة و التى تصل إلى كل بيت و ركن ، و تربط الشعوب و الأمم من أقصى الدنيا إلى أقصاها ، و ترسل الأفكار و التوجيهات إلى البعيد

و القريب على حد سواء ، فكانت سلاحاً ذا حدين انطلقت منه الأمم القادرة لبث مبادئها ، و ترسيخ عقائدها وأفكارها ، فى حماسة ومواظبة وحرص و انفعال. وليس غريباً أن يفرض القوى دوره ويملى إرادته ، فهذا نموذج من لذة الانتصار و نشوة الفوز ، لكن الغريب أن تنساق الأمة الاسلامية فى مساعدة هذا القوى فى سيرته ، و فى نشر ثقافته ، وبسط نفوذه ، و توسيع إعلامه الذى ظهر منه رغبته فى تفتيت الأمة الاسلامية وبث الفرقة بين أفرادها و جماعتها ، بل لعلها لا تدرى أنها تسير معه فى خط رسمه ، و تتعصب لا تجاه رمى إليه ، و هذه الحالة من أشد المصائب فهى لا تدرى بهذا الطرق بعيد المدى ، وتود ألا تدرى بأنها لا تدرى ، ما تجنى على أمتها و ناشئتها فى هذا الاتجاه .

إن بعضاً من أمم الشرق و الغرب وهى التى سبقت أمة الاسلام فى الاستفادة من وسائل الاعلام الحديثة ، و تسخيرها لخدمة أفكارها ، ونشر مبادئها ، قد جعلت لها بجانب الهدف المادى البحت هدفاً عميقاً فى الفكر ، و دلالة فى المعتقد ، فتعاونت الكنيسة مع المصالح ، و خطط لذلك المفكرون و العلماء ، فكان إعلامهم على نوعين : خاص بأبناء جلدتهم ، و مصدر للعالم الثالث ، وخاصة العالم الاسلامى ، و هذا فيه ما فيه من الأمور الموجهة ، و الأفكار الدخيلة ، و قد نتج عن هذا أمور سلبية كثيرة لا بد من حماية الأمة منها .

و منطلق الاعلام الاسلامى الحديث ، يجب أن يستمر من قاعدته الأساسية فى مصدرى التشريع ، و أسلوب مخاطبة النفوس ، و تحقيق الهدف الذى تتطلع إليه تلك النفوس لينقذها من التقليد ، و يربطها بالأصالة و العقيدة .

و هذا الربط لا بد أن يراعى فيه الفرد المخاطب و التأثير عليه بما يلامس أوتار قلبه ، و المجتمع وما يصلحه . . وسأحاول إن شاء الله فى الحلقات القادمة أن أشارك بجهدى الضعيف فى رسم المعالم الكبرى فى اهداف الاعلام و مساراته المطلوبة ، و الله الهادى إلى سواء السبيل .

فضل الجهاد فى سبيل الله و المصابرة فى ذلك

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية
والافتاء و الدعوة و الارشاد ـ الرياض

الحمد لله ، و الصلاة و السلام على رسول الله ، و على آله و أصحابه ، و من اتبع هداه ، أما بعد :

فقد كتبت كلمة مناسبة فى فضل الجهاد فى سبيل الله ، و الصبر و المصابرة فى قتال الأعداء بمناسبة الحرب القائمة بين العرب و اليهود فى عام ١٣٨٧هـ ، الموافق لعام ١٩٦٧م ، و قد رأيت نشرها فى هذا الوقت بمناسبة الانتفاضة الشجاعة من المسلمين فى فلسطين ، و إستمرار الجهاد فى بلاد الأفغان لأعداء الله الشيوعيين ، و أسأل الله أن ينفع بها المسلمين عموماً و المجاهدين خصوصاً ، و أن يجعلها حافزاً لجميع المسلمين و المجاهدين ، على جهاد أعداء الله ، و النصر لدينه ، و الصبر و المصابرة فى قتال أعدائه ، و أن يعيذنا و المسلمين جميعاً من شرور أنفسنا ، و سيئات أعمالنا ، و أن ينصر دينه ، و يعلى كلمته ، و يخذل أعداءه أينما كانوا ، إنه جواد كريم . . و هذا نص الكلمة .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة و السلام على عبده و رسوله محمد ، و على آله و أصحابه و أتباعه باحسان إلى يوم الدين أما بعد ، فأيها المسلمون فى كل قطر ، أيها العرب فى كل مكان ، أيها القادة والزعماء ، إن المعركة الحالية بين العرب و اليهود ليست معركة العرب فحسب بل هى معركة اسلامية عربية ، معركة بين الكفر والايمان ، بين الحق والباطل ، بين المسلمين واليهود ، و عدوان اليهود

على المسلمين فى بلادهم وعقر دورهم أمر معلوم مشهور من نحو تسعة عشر عاما، و الواجب على المسلمين فى كل مكان مناصرة إخوانهم المعتدى عليهم و القيام فى صفهم و مساعدتهم على استرجاع حقهم ممن ظلمهم و تعدى عليهم بكل ما يستطيعون من نفس و جاه و عتاد و مال ، كل بحسب و سعه و طاقته و كما قال عز وجل : (و إن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم و بينهم ميثاق) (١) و قال تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون) (٢) .

ومواقف اليهود ضد الاسلام وضد بنى الاسلام معلومة مشهورة قد سجلها التاريخ وتناقلتها رواة الأخبار، بل قد شهد بها أعظم كتاب وأصدق كتاب ألا وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قال الله عز وجل (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (٣) فنص الله عز و جل فى هذه الآية الكريمة على أن اليهود و المشركين هم أشد الناس عداوة للمؤمنين ، وقال تعالى: (و لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ، بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين) (٤) قال أهل التفسير فى تفسير هاتين الآيتين الكريمتين: كانت اليهود تستفتح على كفار العرب ، تقول لهم إنه قد أظل زمان نبى يبعث

(١) سورة الأنفال الآية ٧٢ . (٢) سورة التوبة الآية ٢٩ .
(٣) سورة المائدة الآية ٨٢ . (٤) سورة البقرة الآيتان ٨٩ - ٩٠ .

فى آخر الزمان نقاتلكم معه، فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺ أنكروه وكفروا به وجحدوا صفته و بذلوا جهودهم فى محاربته و التأليب عليـــه و القضاء على دعوته حسداً منهم و بغياً و جحداً للحق الذى يعرفونه، فأبطل الله كيدهم و أضل سعيهم، ثم إنهم لم يزالوا يسعون جاهدين فى الكيد للاسلام و العداء لأهله و مساعدة كل عدو عليهم سراً وجهراً، أليسوا القائلين لكفار أهل مكة أنتم خير وأهدى سبيلا من محمد وأصحابه، أليسوا هم الذين ألبو كفار قريش و من سار فى ركابهم على قتال النبى ﷺ والمسلمين يوم أحد، أليسوا هم الذين هموا بقتل النبى ﷺ فأطلعه الله على ذلك وأنجاه من كيدهم، أليسوا هم الذين ظاهروا الكفار يوم الأحزاب و نقضوا العهد فى نفس المدينـــة بين المسلمين، حتى أحبط الله كيدهم، و أذل جندهم من الكفار، وسلط الله عليهم نبيه محمداً ﷺ والمسلمين، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم و نساءهم و أموالهم لغدرهم و نقضهم العهد و مشـايعتهم لأهل الكفر و الضلال على حزب الحق و الهدى.

فيا معشر المسلمين من العرب و غيرهم فى كل مكان بادروا إلى قتال أعداء الله من اليهود، و جاهدوا فى سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لـــكم إن كنتم تعلمون، بادروا إلى جنة عرضهـا السموات و الأرض أعدت للمتقين و المجاهدين الصابرين، وأخلصوا النية لله و اصبروا وصابروا واتقوا الله عز وجل تفوزوا بالنصر المؤزر أو شرف الشهادة فى سبيل الحق و دحر الباطل، وتذكروا دائماً ما أنزله ربكم سبحـانه فى كتابه المبين فى فضل المجاهدين و ما وعدهم الله من الدرجات العلا والنعيم المقيم، قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله و تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم، وأخرى

تحبونها نصر من الله و فتح قريب و بشر المؤمنين) (١) و قال تعالى : (انفروا خفافاً و ثقالا و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (٢) .

و قال تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ، لا يستوون عند الله و الله لا يهدى القوم الظالمين، الذين آمنوا و هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله و أولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه و رضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) (٣) ، و قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار و ليجدوا فيكم غلظة و أعلموا أن الله مع المتقين) (٤) .

أيها المجاهدون لقد بين الله سبحانه فى هذه الآيات فضل الجهاد و عاقبته الحميدة للمؤمنين ، وإنها النصر و الفتح القريب فى الدنيا مع الجنة و الرضوان من الله سبحانه و المنازل العالية فى الآخرة، و دلت الآية الثانية و هى قوله تعالى (انفروا خفافاً و ثقالا) على وجوب النفير للجهاد على الشبان و الشيوخ إذا دعى الواجب لذلك لاعلاء كلمة الله و حماية أوطان المسلمين و صد العدوان عنهم ، مع ما يحصل بالجهاد للسلمين من العزة و الكرامة و الخير العظيم والأجور الجزيلة ، وإعلاء كلمة الحق وحفظ كيانا لأمة والحفاظ على دينها وأمنها، و أخبر سبحانه فى الآية الثالثة و الرابعة أن الجهاد فى سبيل الله أفضل من

(١) سورة الصف الآيات ١٠ ـ ١٣ . (٢) سورة التوبة الآية ٤١ .
(٣) سورة التوبة الآيات ١٩ ـ ٢٢ . (٤) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بالصلاة و الطواف و نحو ذلك، و أن أهله أعظم درجة عند الله و أنهم هم الفائزون، كما أخبر سبحانه أنه يبشرهم برحمة منه و رضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم، وأخبر فى الآية الخامسة أنه مع المتقين و المعنى بنصره و تأييده و حفظه و كلاءته لهم.

وقد ورد فى القرآن الكريم من الآيات الكريمات فى فضل الجهاد والحث عليه و الوعد بالنصر للمؤمنين والدمار على الكافرين سوى ما تقدم ما يملأ قلب المؤمن من نشاط و قوة و رغبة صادقة فى النزول إلى ساحة الجهاد و الاستبسال فى نصرة الحق ثقة بوعد الله و إيماناً بنصره ورجاء للفوز بأحدى الحسنيين و هما النصر و المغنم أو الشهادة فى سبيل الحق، كما قال الله عز و جل: (قل هل تربصون بنا إلا أحدى الحسنيين و نحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون) و قال عز و جل: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم) (٦) وقال عز وجل: (و كان حقا علينا نصر المؤمنين) (١) و قال سبحانه وتعالى: (و لينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) (٢) و قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) (٣) إلى أن قال سبحانه: إن تمسسكم حسنة تسؤهم و أن تصبكم سيئـة يفرحوا و أن تصبروا و تتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً

(١) سورة التوبة الآية ٥٢. (٢) سورة محمد الآية ٧.

(٣) سورة الروم الآية ٤٧. (٤) سورة الحج الآيات ٤٠ - ٤١.

(٥) سورة آل عمران الآية ١١٨.

إن الله بما يعملون محيط ». (١) ففى هـــذه الآيات التصريح من الله عز وجل بوعد عباده النصر على أعدائهم و السلامة من كيدهم مهما كانت قوتهم و كثرتهم لأنه عز وجل أقوى من كل قوى، وأعلم بعواقب الأمور وهو عليهم قدير وبكل أعمالهم محيط، ولكنه عز وجل شرط لهذا الوعد شرطا عظيماً وهو الايمان به و تقواه ونصر دينه، والاستقامة عليه مع الصبر و المصابرة، فمن قام بهذا الشرط أوفى الله لهم الوعد، وهو الصادق فى وعده «وعد الله لا يخلف الله الميعاد». (٢) و من قصر فى ذلك أو لم يرفع به رأسا فلا يلومن إلا نفسه. و ينبغى لك أيها المؤمن المجاهد أن تتدبر كثيرا قوله عز وجل « و إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً » (٣) إنها و الله كلمة عظيمة و وعد صادق من ملك قادر جليل إذا صبرت على مقاتلة عدوك وجهاده مع ثبات بتقوى الله عز وجل. وهى تعظيمه سبحانه و الاخلاص له و طاعته وطاعة رسوله ﷺ و الحذر عما نهى الله عنه و رسوله، هذه حقيقة التقوى و لا شك أن الصبر و المصابرة فى جهاد الأعداء من جملة التقوى والصبر على جهاد النفس، لأن الله سبحانه قد أمر بذلك ورسوله ونص سبحانه على الصبر و افرده بالذكر لعظم شأنه وشدة الحاجة إليه، وقد ذكره الله فى كتابه الكريم فى مواضع كثيرة جداً منها قوله جل وعلا « واصبروا إن الله مع الصابرين» (٤) وقوله سبحانه « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» (٥) و قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و اتقوا

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٠ . (٢) سورة الزمر الآية ٢٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٢٠ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٤٦ .

(٥) سورة الزمر الآية ٢٠ .

الله لعلكم تفلحون » (١) وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال « و من يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء هو خيراً و أوسع من الصبر » رواه مسلم .

فاتقوا الله معاشر المسلمين و المجاهدين فى ميادين الحرب، و فى كل مكان و اصبروا و صابروا فى جهاد النفس على طاعة الله وكفها عن محارم الله ، و فى جهادها على قتال الأعداء و منازلتهم و الاستعانة بالله فى الصبر على المواقف المهولة تحت أزيز الطائرات و أصوات المدافع ، و تذكروا أسلافكم الصالحين من الأنبياء و المرسلين وصحابة رسول الله ﷺ و رضى عنهم أجمعين و من تبعهم من المجاهدين الصادقين ، فلكم فيهم أسوة و فيهم لكم عظة وعبرة ، فقد صبروا كثيراً و جاهدوا طويلا ، ففتح الله بهم البلاد وهدى بهم العباد ومكن لهم فى الأرض ، ومنحهم السيادة و القيادة بإيمانهم العظيم ، و اخلاصهم لمولاهم الجليل وصبرهم فى مواطن اللقاء و ايثارهم الله والدار الآخرة على الدنيا و زهرتها و متاعها الزائل، كما قال الله عز وجل فى كتابه الكريم: « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة و الانجيل و القرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم » (٢)، و قال جل شأنه : « و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآياتنا يوقنون » (٣) . وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها و موضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما عليها و الروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا و ما عليها » وصح عنه ﷺ أنه سئل أى العمل أفضل (قال :

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٠٠ . (٢) سورة التوبة الآية ١١١ .

(٣) سورة السجدة ٢٤ .

«إيمان بالله ورسوله ، قيل ثم أى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله» وقال ﷺ : «مثل المجاهد فى سبيل الله - و الله أعلم بمن يجاهد فى سبيله - كمثل الصائم القائم ، و تكفل الله للمجاهد فى سبيله أن توفاه ان يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة» و قال ﷺ : «من مات و لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق» ، وسأله ﷺ رجل عن عمل يعدل فضل الجهاد فقال ﷺ للسائل : «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم فلا تفطر و تقوم فلا تفتر فقال السائل : و من يستطيع ذلك يا رسول الله فقال النبى ﷺ أما إنك لو طوقت ذلك لم تبلغ فضل المجاهدين» .

و الأحاديث فى فضل الجهاد والحث عليه و بيان ما وعد الله به أهله من العزة فى الدنيا ، و النصر و العواقب الحميدة و ما أعد لهم فى الآخرة من المنازل العالية فى دار الكرامة كثيرة جداً . فاتقوا الله يا معشر المسلمين جميعاً و يا معشر العرب خصوصاً جماعات و فرادى ، و اصدقوا فى جهاد عدو الله و عدوكم من اليهود و أنصارهم و أعوانهم ، و حاسبوا أنفسكم و توبوا إلى ربكم من كل ما يخالف دين الاسلام من مبادىء و عقائد و أعمال ، و اصدقوا فى مواطن اللقاء و آثروا الله و الدار الآخرة ، و أعلموا أن النصر المبين و العاقبة الحميدة ليست للعرب دون العجم ، ولا للعجم دون العرب ولا لأبيض دون أسود ولا لأسود دون أبيض و لكن النصر باذن الله لمن اتقاه و اتبع هداه ، و جاهد نفسه لله و أعد لعدوه ما استطاع من القوة ، كما أمره بذلك مولاه حيث قال عز وجل : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» (١) وقال سبحانه : «يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم» (٢) و قال عز وجل يخاطب رسوله الأمين عليه أفضل الصلاة و السلام

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠ . (٢) سورة النساء الآية ٧١ .

« إذا كنت فيهم فأقم لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك و ليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم و لتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك و ليأخذوا حذرهم و أسلحتهم، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم و امتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، و لا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذ و احذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا » (١).

فتأمل يا أخى أمر الله لعباده أن يعدوا لعدوهم ما استطاعوا من القوة ثم تأمل أمر لنبيه ﷺ و المؤمنين عند مقاتلة الأعداء و القرب منهم أن يقيموا الصلاة و يحملوا السلاح وكيف كرر الأمر سبحانه فى أخذ السلاح و الحذر لئلا يهجم عليهم العدو فى حال الصلاة ، لتعرف بذلك أنه يجب على المجاهدين قادة وجنودا أن يهتموا بالعدو و أن يحذروا غائلته و أن يعدوا له ما استطاعوا من قوة ، و أن يقيموا الصلاة و يحافظوا عليها مع الاستعداد للعدو و الحذر من كيده ، و فى ذلك جمع بين الأسباب الحسية و المعنوية و هذا هو الواجب على المجاهدين فى كل زمان و مكان أن يتصفوا بالأخلاق الايمانية و أن يستقيموا على طاعة ربهم و يعدوا لعدوه ما استطاعوا من قوة و يحذروا مكائده مع الصبر على الحق و الثبات عليه ، و هذا هو السبب الأول و الأساس المتين و الأصل العظيم، وهو قطب رحى النصر وأساس النجاة والفلاح ، و هذا هو السبب المعنوى الذى خص الله به عباده المؤمنين وميزهم به عن غيرهم ، و وعد لهم عليه النصر إذا قاموا به مع السبب الثانى حسب الطاقة ، وهو اعدادهم لعدوهم ما أستطاعوا من القوة و العناية بشئون الحرب و القتال و الصبر ، و المصابرة فى مواطن اللقاء مع الحذر من مكائد الأعداء و بهذين الأمرين يستحقون النصر من ربهم

---

(١) سورة النساء الآية ١٠٢ .

عز وجل فضلا منه وكرما ورحمة و إحساناً و وفاء بوعده و تأييداً لحزبه كما قال عز وجل : « و كان حقا علينا نصر المؤمنين » (١) وقال تعالى : « و أن تصبروا و تتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط » (٢) و قال تعالى : « ألا إن حزب الله هم المفلحون » (٣) وقال عز وجل : « و إن جندنا لهم الغالبون » (٤) .

وبما تقدم أيها الأخ المسلم أيها الأخ المجاهد تعلم أن ما يتكرر كثيراً فى بعض الاذاعات العربية من قولهم « النصر لنا » (الله معنا) « النصر للعرب » « النصر للعرب و الاسلام » و ما أشبه ذلك إن هذه كلها الفاظ خاطئة و مخالفة للصواب ، فليس النصر مضمونا للعرب ولا لغيرهم من سائر أجناس البشر ، و إنما النصر معلق بأسبابه التى أوضحها الله فى كتابه الكريم و على لسان رسوله الأمين ﷺ ، و أسبابه كما تقدم هى تقوى الله و الايمان به و الصبر والمصابرة لاعدائه و الاخلاص لله ، و الاستعانة به مع الأخذ بالأسباب الحسية و إعداد ما يستطاع من العدة فينبغى التنبيه لهذا الأمر العظيم و الحذر من الألفاظ التقليدية المخالفة للشرع المطهر . أما المعية فهى قسمان معية عامة ومعية خاصة فأما المعية العامة فهى لجميع البشر ، وليست خاصة بأهل الايمان كما قال الله عز وجل : « هو الذى خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء و ما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم و الله بما تعملون بصير » (٥) .

---

(١) سورة الروم الآية ٤٧ . (٢) سورة آل عمران الآية ١٢٠ .

(٣) سورة المجادله الآية ٢٢ . (٤) سورة الصافات الآية ١٧٣ .

(٥) سورة الحديد الآية ٤ .

و قال تعالى : « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات و ما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك و لا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم » (١) ، فهاتان الآيتان صريحتان فى أن الله سبحانه عالم بأحوال العباد ، مطلع على شئونهم محيط بهم و لا يخفى عليه من أمرهم خافية ولهذا بدأ سبحانه هاتين الآيتين بالعلم و ختمهما بالعلم تنبيهاً للعباد على أن المراد بالمعية هو العلم و الاحاطة و الاطلاع على كل شئ من أمر العباد ليخافوه و يعظموه و يبتعدوا عن أسباب غضبه و عذابه ، وليس معنى ذلك أنه مختلط بالخلق أو أنه فى كل مكان كما يقول ذلك بعض المبتدعين الضالين ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وقولهم هذا باطل بالنص و الاجماع بل هو سبحانه و تعالى فوق العرش قد استوى عليه استواء يليق بجلاله لا يشابه فيه خلقه كما صرح بذلك فى كتابه الكريم فى سبع آيات من القرآن الكريم منها قوله عز و جل « الرحمن على العرش استوى » (٢) ، و هو سبحانه لا شبيه له و لا مثل له فى جميع صفاته كما قال عز و جل « ليس كمثله شئ و هو السميع البصير » (٣) و قال سبحانه « و لم يكن له كفواً أحد » (٤) فهو عز و جل فوق العرش عال فوق خلقه كما أخبر بذلك عن نفسه وعلمه فى كل مكان لا يخفى عليه خافية كما قال سبحانه « إن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض و لا فى السماء، هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم » (٥) ، و قال سبحانه « و ما

(١) سورة المجادلة الآية ٧ . (٢) سورة طـه الآية ٥ .

(٣) سورة الشورى الآية ١١ . (٤) سورة الصمد الآية ٤ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٥ .

تكون فى شأن و ما تتلو منه من قرآن و لا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ، و ما يعزب عن ربك مثقال ذرة فى الأرض و لا فى السماء و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا فى كتاب مبين » (١) .

فهذه الآيات المحكمات و ما جاء فى معناها كلها ترشد العباد إلى أن ربهم سبحانه فوق العرش وأعمالهم ترفع إليه و هو معهم بعلمه أينما كانوا لا يخفى عليه منهم خافية ، أما المعية الخاصة فهى للانبياء و المرسلين عليهم الصلاة و التسليم و أتباعهم باحسان و هم أهل التقوى و الايمان و الصبر والمصابرة ، و هذه المعية الخاصة تقتضى الحفظ و الكلاءة و النصر و التأييد كما قال عز و جل عن نبيه محمد ﷺ إنه قال لصاحبه فى الغار وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه . لا تحزن إن الله معنا » (٢) و لما أرسل الله موسى و هارون عليهما الصلاة والسلام إلى فرعون اللعين قال لهما مثبتاً ومطمئناً : « لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى » (٣) و قال عز وجل فى كتابه المبين يخاطب المشركين : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح و إن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً و لو كثرت و إن الله مع المؤمنين » (٤) ، و قال عز و جل : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار و ليجدوا فيكم غلظة و اعلموا أن الله مع المتقين » (٥) و قال عز و جل : « واصبروا إن الله مع الصابرين » (٦) ، و قال تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله و الله مع الصابرين » (٧) ، و الآيات

(١) سورة يونس الآية ٦١ .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠ .

(٣) سورة طــه الآية ٤٦ ،

(٤) سورة الأنفال الآية ١٩ .

(٥) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

(٦) سورة الأنفال الآية ٣٦ .

(٧) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

فى هذا المعنى كثيرة فينبغى أن يكون شعار المسلمين فى إذاعاتهم و صحفهم و عند لقائهم لأعدائهم فى جميع الأحوال هو الشعار القرآنى الاسلامى الذى أرشد الله إليه عباده و ذلك بأن يقولوا : الله مع المتقين ، الله مع المؤمنين ، الله مع الصابرين ، و ما أشبه هذه العبارات حتى يكونوا قد تأدبوا بآداب الله و علقوا النصر بأسبابه التى علقه الله بها ، لا بالعروبة ولا بالوطنية ولا بالقومية ولا بأشباه ذلك من الألفاظ و الشعارات التى ما أنزل الله بها من سلطان .

أيها المجاهد إنك فى معركة عظيمة مع عدو لدود عظيم الحقد على الاسلام وأهله فوطن نفسك على الجهاد و الصبر و المصابرة ، و أخلص عملك لله واستعن به وحده وأبشر إذا صدقت فى ذلك باحدى الحسنيين إما النصر والغنيمة والعاقبة الحيدة فى الدنيا ، و إما الشهادة و النعيم المقيم و القصور العالية و الأنهار الجارية والحور الحسان فى دار الكرامة ، أيها العربى لا تظن أن النصر على عدوك معلق بعروبتك ، وإنما ذلك بايمانك بالله وصبرك فى مواطن اللقاء واستقامتك على الحق و توبتك من سالف ذنوبك ، و إخلاصك لله فى كل أعمالك فاستقم على ذلك و تمسك بالاسلام الصحيح الذى حقيقته الاخلاص لله و الاستقامة على شرعه و السير على هدى رسوله و نبيه محمد ﷺ فى الحرب و السلم و جميع الأحوال .

أيها المسلم أيها المجاهد تذكر ما أصاب المسلمين يوم أحد بسبب إخلال بعض الرماة بطاعة القائد العظيم محمد رسول الله ﷺ من الفشل والتنازع ثم الهزيمة ولما استنكر المسلمون ذلك أنزل الله فى ذلك قوله عز وجل : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير » (١) ، و قال عز و جل : « و لقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٥ .

حتى إذا فشلتم و تنازعتم فى الأمر عصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا و منكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم و لقد عفى عنكم و الله ذو فضل على المؤمنين » (١) ، و قال سبحانه فى هذا المعنى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير » (٢) ، ولما أعجب المسلمون بكثرتهم يوم حنين هزموا ، ثم أنزل الله عليهم السكينة و أيدهم بجنود من عنده فتراجعوا وصدقوا الحملة على عدوهم ، و استغاثوا بربهم و استنصروا به فنصرهم وأيدهم وهزم عدوهم كما قال تعالى : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة و يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و أنزل جنوداً لم تروها و عذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين» (٣) ، فكل ما أصاب المسلمين فى الجهاد أوغيره من هزيمة أو جراح أوغير ذلك مما يكرهون فهو بأسباب تقصيرهم و تفريطهم فيما يجب من إعداد القوة و العناية بأمر الحرب ، أوبأسباب معاصيهم و مخالفتهم لأمر الله ، فاستعينوا بالله أيها المجاهدون واستقيموا على أمره وأعدوا لعدوكم ما استطعتم من قوة وأصدقوا الله يصدقكم و أنصروه ينصركم ويثبت أقدامكم ، واحذروا الكبر و الرياء و سائر المعاصى ، و احذروا أيضاً التنازع و الاختلاف و عصيان قادتكم فى تدبير شئون الحرب و غير ذلك ، ما لم يكن معصية لله عز وجل عملا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون و أطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و اصبروا إن الله مع الصابرين و لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً و رئاء الناس

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٢ .

(٢) سورة الشورى الآية ٣٠ . (٣) سورة التوبة الآيتان ٢٥-٢٦ .

يصدون عن سبيل الله و الله بما يعملون محيط ، (١) .

أيها المسلمون أيها المجاهدون إليكم نماذج من كلمات أصحاب رسول الله ﷺ رضى عنهم حين مقابلتهم لجيش الروم يوم اليرموك لما فيها من العبرة الذكرى .

كلام خالد بن الوليد رضى الله عنه : لما جمع خالد رضى الله عنه الجيوش م اليرموك لقتال الروم قام فيهم خطيباً فقال : « إن هذا يوم من أيام الله ' ينبغى فيه الفخر و لا البغى أخلصوا جهادكم و أريدوا الله بعملكم و إن هذا م له ما بعده » و قام أبو عبيدة رضى الله عنه فى الناس خطيبا فقال: « عباد ه أنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم يا معشر المسلمين اصبروا فان الصبر منجاة ن الكفر و مرضاة للرب و مدحضة للعار و لا تبرحوا مصافكم و لا تخطوا بهم خطوة و لا تبدأوهم بالقتال و اشرعوا الرماح ، و استتروا بالدرق و الزموا صمت إلا من ذكر الله فى أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى » و قال معاذ ن جبل رضى الله عنه فى الناس خطيباً ذلك اليوم فجعل يذكرهم و يقول: « يا ل القرآن و متحفظى الكتاب و أنصار الهدى و الحق إن رحمة الله لا تنال ، جنته لا تدخل بالأمانى و لا يؤتى الله المغفرة و الرحمة الواسعة إلا الصادق صدق ألم تسمعوا بقول الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا سالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم ى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً» (٢) ستحوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم و أنتم فى قبضته و ليس ملتحد من دونه و لاعز بغيره » .

(١) سورة الأنفال الآيات ٤٥-٤٧ . (٢) سورة التوبة الآية ٥٥ .

و قام عمرو بن العاص رضى الله عنه فى الناس فقال: « يا أيها المسلمون غضوا الأبصار و اجثوا على الركب و أشرعوا الرماح فاذا وثبوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد ، فوالذى يرضى الصدق و يثيب عليه و يمقت الكذب ويجزى بالاحسان إحساناً لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفراً كفرا وقصراً قصرا فلا يهولنكم جمعهم ولا عددهم فانكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل » وقام أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه فى الناس فتكلم كلاما حسناً من ذلك قوله: « والله لا ينجيكم من هؤلآء القوم ولا تبلغن رضوان الله غدا إلا بصدق اللقاء و الصبر فى المواطن المكروهة » .

هذه نماذج حية عظيمة نقلتها لكم أيها المجاهدون من كلام أصحاب رسول الله ﷺ لتعلموا أن النصر فى الدنيا والفوز بالجنة فى الآخرة لا يدركان بالأمانى ولا بالتفريط و إضاعة الواجب و إنما يدركان بتوفيق الله بالصدق فى اللقاء ومصابرة الأعداء و الاستقامة على دين الله ، و إيثار حقه على ما سواه و الله المسئول أن ينصر المسلمين على عدوهم وأن يجمع كلمتهم على الحق وأن يوفق قادتهم للاستقامة على أمره و الصدق فى جهاد أعدائه و التوبة إليه من كل ما يغضبه كما نسأله عز وجل أن يهزم اليهود و أنصارهم و أعوانهم و أن يكبت أعداء الاسلام أينما كانوا وأن ينزل بهم بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين إنه على كل شئ قدير و ﷺ و بارك على عبده و رسوله و خليله و خيرته من خلقه أمام الفاتحين و سيد المرسلين و خير عباد الله أجمعين وعلى آله و أصحابه و من سار على نهجه و تمسك بسيرته إلى يوم الدين .

بعض وسائل الاعلام

فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء
تعريب : الأستاذ محمد إبراهيم رودولوى

و قد جاءت الحضارة المعاصرة باحداث نوع جديد و فى نطاق محدود من وسائل الاتصال لا يختلف عن أسلوب الصحافة إلا قليلا، سبب وجودها إختراع المطابع و عمومها ، وهذه الوسائل هى الاعلانات الحائطية و اللوحات و اللافتات بأنواعها و قد ارتفع استخدامها فى الآونة الأخيرة إلى حد بعيد و لها آثار عميقة فى استثارة العواطف و استعطاف العقل بالاضافة إلى تكوين العقلية الثقافيــــة و الخلقية .

اللاصقات و الاعلانات :

اللاصقات فى حقيقتها لا تتجاوز شكلا من أشكال الاعلانات الصحفيـة إلا أن الأولى صورة متطورة مستقلة تحمل تأثيرات قوية وعميقة بالنسبة للأخيرة لأن الاعلانات يصعب تكبيرها و تفخيمها فى الجرائد و الصحف بسبب التكاليف الباهظة و محدودية ضخامة الجرائد حتى يسع صدرها للاحتواء ، و لكن اللاصقات يمكن أن يعلن عن طريقها بما يراد على صفحة كاملة عريضة تتضاعف سعتهـا أحياناً عن صفحة الجرائد بضعف أو ضعفين أو أكثر .

و يمكن وضع اللاصقات فى أى معبر عام لا يجهد الناس فى قراءتها من كل مكان قريب أو بعيد وتتخطف المارة مفهومها و مؤادها بكل سهولة ، وبذلك تمر على كل لاصقة فى بعض الأحايين مآت العيون والأبصار ، ولا ينتهى دورها

فى يوم كما هو الحال فى الجرائد ، و إنما تعمل عملها أياماً و شهوراً بكل استمرار و تظل فى تحقيق آمال و أهداف المرتبين لها .

الأصول الفنية فى اللاصقات :

فلما كانت الأهداف من وضع اللاصقات استجلاب اهتمام الناس و التأثير عليهم كثرت العناية فى ترتيبها بتفخيم الجوانب التى تثير وجدانهم وتمس مشاعرهم وتستفز عواطفهم كالاشارات والجمل التى تسرى إلى قلوبهم وعقولهم توا وتدخلهما بدون ، إذن كما تراعى فيها المؤثرات التى يحدثها التحرير و القلم وذلك يعنى صحافة القلم و تنوع الخط و التصميم الرصين ، وهذا الأخير مما يتعلق بالفنون الجميلة و كذلك تستخدم فيها أدوات التصوير نظراً إلى أهدافها إضافة إلى اعتناء خاص بالعناوين الواضحة الجلية .

و قد ركز السينمائيون وأصحاب الأفلام جل اهتمامهم على الصور فى ترتيب اللاصقات فجعلوها أداة رئيسية و وسيلة أساسية أما غيرها من الوسائل فهى فرعية ذيليـــة .

الجرائد الحائطية :

وقد تطور عمل اللاصقات بحكم تنوع مطاليب الحضارة ، فظهرت فى أشكال مختلفة فقد تتحول أحياناً و ترى فى صورة الجرائد الحائطية ، و يغلب ذلك فى دول تتبع سياسية التكتيم والتكميم والاستبداد و فرض الحظر و القيود على حرية التعبير بحيث لا يجدون سبيلا لتبادل الآراء ، و إيصال كلمتهم إلى الشعب والجماهير و يعم ذلك فى الدول الشيوعية بصورة خاصة حيث تكون السيطرة الكاملة على جميع وسائل الاتصال للحكومة ، بل و يستحيل نشر أى شئ لا ترتضيه الحكومة فتنشر الأنباء و المواد الأخرى كما تشتهى و تتفق مع أهدافها و تخدم مصالحها مأة فى المأة ، و لا تجد الآراء المعارضة لرأى الحكومـــة سواء كانت تعبيراً عن

کبری طبقات الشعب أی سعة فی الجرائد و لو بوصة ، فی مثل هذه الأوضاع حینما تثور ثائرة الشعب و تعال صبراً و تحتد الموجات الجماهیریة الدفینة تحاول أن تنبس عن طرق خفیة سریة و منها وسیلة اللاصقات و الجرائد الحائطیة التی تم عملیة إثباتها فی الجدران و الحوائط تحت جنح الظلام لیلا و تصل مختلجات الصدر و أحادیث النفس إلی الجماهیر عبر هذه الوسیلة السریة .

و یحدث أحیاناً أن الحکومات نفسها تستخدم هذه الوسیلة المختصة بالشعب لاستغلال مصالحها و تحقیق أغراضها بدون بیان هویتها و تسمیة شخصیتها .

اللاصقات کأداة إعلان :

فقد یتوسل باللاصقات إلی تحقیق أهداف و أغراض شتی مثل الاعلانات بعدة مفاهیمها والدعوة بمعناها الواسع و مهام إصلاحیة و تربویة مؤقتة و ما إلی ذلک ، و تفید فی کل ذلک فوائد کثیرة .

الجداول التربویة :

و هناك نوع یشبه اللاصقات کثیراً و هو الجداول التعلیمیة و التربویة التی تستعمل فی المدارس ، و المساجد ومعاهد التعلیم و التربیة و فی بعض البیئات و الأجواء عند طبقات معینة عن طریق التعلیق و التثبیت فی الحیطان ، و یلجأ إلی ذلك بصورة عامة لتهذیب الطلبة و تربیة الأفراد المنقطعین لهذا الغرض و یقولون إن فائدتها هی أن الناس کلما یمرون علیها تقع بها أبصارهم حتی و لو خلسة مراراً و تکراراً فتتسرب محتویاتها إلی قلوبهم ، ویتحقق بها الهدف التعلیمی و التربوی بسهولة للغایة .

و هذا هو السبب فی الاهتمام بالاستفادة من إعداد و استخدام الجداول فی نظام التعلیم و التربیة ، و تودع فیها المفاهیم و المعارف التی تحمل أهمیة خاصة

للناظرين فيها ويراعى فى إعدادها من الأسلوب و الأداء و اللغة والبيان ما يساعد فى إنجاز المقصود و تحقيق الهدف .

الجرائد الحائطية فى المدارس و المعاهد :

أما فى المدارس و المعاهد فتتخذ الجرائد الحائطية بهدف التمريس و تدريب الطلبة على النشاطات و الممارسات التعليمية والثقافية ، و ايصال الكلم والتعبير عن ما فى النفس عن طريق الكتابة و التحرير و هم فى أوساطهم المحدودة ، و تعتبر وسيلة ناجحة يوثق بها بالنسبة للاهداف المذكورة سابقاً .

الوسائل الصوتية و المرئية

أهمية المذياع ـ الراديو ـ من بين وسائل اتصال صوتية :

لقد أصبح المذياع أو الراديو من أخطر الوسائل الصوتية و أعمقها وأبعدها تأثيراً ، و أهم الأدوات التى وفقت فى اختراعها الحضارة الحديثة ، و التى سهلت المواصلات فى المجتمعات الحضارية الراهنة ، و إلا ففى عصرنا الحاضر لا تمتلك الاجتماعات و الخطابات الجماهيرية تلك السيطرة الكاملة على قلوب الشعب وتغيير مصيرهم و مجالات النفوذ الواسعة فى أوساطهم التى تمتعت بها فى الزمن الغابر ، لتبعثر الوحدات الأسرية و الصياغة فى بوتقة خاصة و تحولها إلى شكل جديد من نظامها السكنى ، ففى الماضى كان يكفى لايصال الكلم إلى جميع أفراد الأسرة الاتصال ببضعة منهم لترابطهم بعضهم ببعض و اجتماعهم فى مكان واحد عموما ، و أصبح الراديو للحين يؤدى دوراً عظيما و خدمة جسيمة فى تحقيق الأهداف الواسعة العميقة تأثيراً و فعالية .

المذياع كأداة للحكومات :

و على أساس هذه الأهمية التى يحتلها المذياع اختارته الحكومات كأكبر

أداة عمل لخدمة أغراضها فتؤثر بها على العقول و الأذهان و تكيف الشعب بنوع خاص من التفكير و تجعله يعيش فى بيئة معينة من التعقل و الروية بل و تحصره بفونها و نفوذها فى نظام مقرر من مسلسلاته اليومية فلا يسمع إلا ما تريد ولا يعى و يتعقل و يعتقد إلا ما تريد توعيته و اثباته و تأكيده عليه .

الفرق بين الصحافة و الراديو :

ولا يجحد أن الصحافة وخاصة الصحافة اليومية تؤدى دوراً كبيراً و ملموساً فى هذا المجال و تحقيق نفس الهدف إلا أنها تؤدى واجبها عن طريق الكتابة والتحرير وتقوم على أساس علمى وثقافى، أما الراديو فوسيلة تعتمد على الصوت و تتمكن من عملها بدون لجوء إلى هذا الأساس .

أعمال الراديو من الناحية الفنية :

و على سعة نطاق استخدام الراديو و رواجه الشائع يتسع نفوذه و سيطرته و هو مما ترمى إليه الحكومات أيضاً حتى يتسنى لها تحقيق أهدافها التلقينية ، وقد تحول هذا الجهاز ما له من أهمية وشيوع إلى نظام فنى متكامل مستقل ،والالتزام بالطريقة الفنية فى استخدامه يدعم أهداف المعنيين والمسئولين فى الادارة ويتوجب على المتحدث فى محطة الاذاعة أن يكون صوته على المستوى و الكيفية المطلوبة مما لا يصعب على فهم المستمعين و أن يكون أداؤه و أسلوبه مألوفين مستساغين و لذلك كان لزاما على الناطقين التحضير و التنسيق لما يقدمونه سابقاً و قبل أن يحضروا المكروفون ، و الموظفون بالاذاعة رسمياً يجرى عليهم التدريب الواجب و التربية الضرورية فى تحسين الصوت و اللحن حتى لا يشعر المستمعون بأنهم لا يجيدون فهم المواد ، فتختار لغة الاذاعة سهلة و أسلوبها ممتعاً إلى حد كبير بل من الممكن ان يقال إنه يتحتم أن يكون أسلوب الصحافة والاذاعة على حد سواء و لغتهما سهلتين وممتعتين ، و الذى يفرق بينهما إنما هو غلبة نسبة المستفيدين من

الصحافة حيث يكونون على درجة من الثقافة ومستوى من العلم و لو كان ضئيلا و يجدون فيها فرصة للقراءة على وجه الاستقرار و التفهم و الاستنتاج، و يعوزهم ذلك فى مسلسلات الاذاعة فان المستمع إليها لو انصرف عنها اهتمامه طرفة عين لفاته الكلام و يواجه حلقة فارغة لا يستطيع استردادها لمرة ثانية، و من هنا كانت الحاجة إلى تسهيل اللغة و الأسلوب الممتع و الأداء المطلوب فى الراديو أكبر و آكد.

الاهتمام فى الاذاعة بالمعجبات و الهوايات المختلفة :

و بناء على ذلك فقد يراعى فى مسلسلات الاذاعة بالمعجبات و الهوايات المختلفة و الرغبات و الميول العديدة حتى لا يشعر المستمع إليها بالملل و البرودة ولا يعتبر هذا العمل عملا غثا لا يسمن ولا يغنى، فتحوى المسلسلات مواضيع منوعة من الأنباء و المسرحيات و المكالمات و الأغانى إلى المضامين المحببة السهلة الممتعة، و سواها من مسلسلات لا تخلو من المتع و الفوائد و تستمر فى ذلك كله محاولات التجديد و التفنين بالدقة و المنهجية الكاملة.

فائدة التسجيل :

و قد وفر التسجيل تسهيلات كثيرة فى هذا المجال، كان قبل اختراعه يتحتم على المقرئ أن يحضر على المكروفون أيا كان وفى أى عمل كان، كان مستحيلا إذاعة صوته بدون وصوله إليه، وإذا كان الصوت مستماراً لا يؤثر تأثير الصوت الأصيل الحقيق، فلما جاء التسجيل انتهت هذه المشكلة وأمكن تسجيل أى صوت فى أى مكان، و بالتالى إذاعته من المحطة فى نبراته الطبيعية كأنه يتحدث صاحبه بنفسه.

وهذا التسجيل يمكن استخدامه فى جميع مسلسلات و برامج الاذاعة و أكثر

ما يستفاد منه فى نشر و إذاعة الأغانى و المكالمات و المسرحيات الشفوية و لها النصيب الأوفر فى التسجيل .

الاذاعة الصورية :

و منذ ما بدأت الأداة المصورة تنضم إلى الأداة الصوتية و بتعبير آخرتم اختراع التلفزيون و اتسع نظامه حدث ما يشبه الثورة بالنسبة للجهاز الراديوى و استخدمت هذه الأداة المشتركة إلى حد بعيد و فى نطاق فسيح كأداة اتصال و تأثير على الشعب و المواطنين و غيرهم .

الراديو فى صورة مرب و أداة تأثير :

إن الراديو فى المجتمعات المتحضرة المعاصرة قد بسط سيطرته و نفوذه على الحياة الاجتماعية بحيث يبدو أكبر أساتذة التربية ، و ملك زمام القيادة فقد يشغل الناس و يربى ميولهم و عواطفهم ، و على ذلك فالأيدى التى تملك هذا الجهاز كأنها تملك أكبر وسيلة لتشكيل المجتمع و الأمة و البلاد و بنائها و لذلك تحكم الدول و الحكومات قبضتها على هذه الوسيلة القوية .

بالنسبة للأنباء السياسية و التعليقات فيتقيد الراديو دائماً بموقف الحكومة و دبلوماسيتها و لا يخالفهما فى شئ ، أما البرامج الثقافية و الأدبية فالمسئولين عنها نصيب من التدخل و التصرف إلى حد كبير ، فهم يستطيعون أن يمارسوا رغبتهم و ميولهم و هواياتهم الخاصة من خلالها و فعلا هم يأتون كل ذلك .

البرامج الثقافية :

يخصص للمسرحية جزء هام فى البرامج الثقافية و هى دونما شك من الوسائل التى تؤثر كثيراً على العواطف و العقل الانسانى ، و المسرحيات التى تبتنى على موضوعات هادفة تساعد مساعدة كبيرة فى إيجاد عقلية سليمة و اتجاهات هادفة ،

و التى تقتصر فى إطار التسلية و الاستمتاع و التلذذ لا تجدى كثيراً و لا تعين فى قضايا هادفة إلا أن لها دورها فى بناء العقول وإفسادها ، ولا نخطئ إذا قلنا : إنها أقرب إلى الافساد منها إلى البناء .

تأثير المسرحيـــة :

إن المسرحية تحتوى على جزء حساس من الحياة القابلة للانفعال و التأثر للشخصية الانسانية ، و يتأثر المستمع إليها كما لو كان مشاهداً لها مباشرة إلى حد قريب و أكثر ما يؤثر على الانسان مشاهدته المستمرة الدائمـــة لأنواع الحياة ، و جوانبها المتعددة ، و جاء التلفزيون و دخل بها بعد أن كانت محصورة فى نطاق الصوت إلى النطاق المشترك بين الصوت و البصر و جعلها طبق الأصل تقريباً.

الدعايات :

عند ما يستخدم الراديو لنشر الدعايات و تشكيل عقلية خاصة يلجأ أصحابه بصورة غالبة إلى الأنباء و التعليقات و المكالمات ، و لكن إدراج كمية ضخمة منها يصعب و يشق على نفوس المستمعين بوصفها جادة خشنة و مملة فيدخل منها قدر مناسب و على نشاط المستمعين و استعدادهم لقبولها و يضم إليها أكبر قدر ممكن على موضوع التسلية والتفرج مما يشتمل على الأغانى و المسرحيات و البرامج الثقافية ، و ينجح المسئولون و القائمون على الاذاعـــة على هذه الطريقـــة أن يجعلوا المستمعين يصغون إلى كل ما يهدفون و يرمون من خلالها .

و صفوة القول إن الاذاعة قد نالت أهميـــة كبيرة فى الحياة المتحضرة المعاصرة، وعاد تأثيرها فى تكوين الحياة وتشكيلها ثم تربيتها حقيقة ثابتة لا تنكر.

من ساحة الملعب إلى ساحة الحرب

الأستاذ محمد الحسنى ـ رحمه الله

إننا بحاجة إلى روح الايمان ، إلى روح الاستقلال ، إلى روح الصمود ، إلى روح الانتصار ، أكثر من حاجتنا إلى قطع الغيار و إلى الآلات الاليكترونية رغم أهميتها و ضرورتها فى الاستراتيجية المتطورة .

و أقول ذلك صراحة ، و من غير مجاملة أو تأويل أو استحياء .

فالروح القتالية ، والعاطفة الايمانية ، والحمية الاسلامية هى دائماً فى المقدمة .

إنها تنفع مع البندقية البسيطـة ، و مع الخنجر ، و مع العصـا ، و مع الحجارة ، إنها تجعل كل فرد من أفراد الأمة حصناً منيعاً ومرابطاً أميناً على ثغر من ثغور الاسلام .

و تلك هى الدعوة التى دعا إليها القرآن حين قال :

« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً » .

« انفروا خفافاً و ثقالا و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله » .

فالمهم الأهم هو إيقاظ هذه الروح فى الشعب .

و طريقه المضمون أن تتدرج به من ساحة الملعب إلى ساحة الحرب – فالطفرة المرتجلة أو الطويلة قد لا تفيد – هذا الانتقال من طور إلى طور ليس كلمـة تقال ، أو مقالة تكـتب ، أو مؤتمراً صحيفاً يعقـد ، أو نشرة إخبارية تذاع .

إنها عملية طويلة حكيمة ، تحتاج إلى صبر ومثابرة ، وفقه وحكمة ، و شجاعة و جرأة و هدوء أعصاب ، و تنوير عقول ، و تثقيف أذهان ، و شحن قلوب .

إنها عملية فى الروضة و الثانوية و الكلية ، و عملية فى جهاز الاعلام إذا أوجزنا الكلام .

و إنها - أيضاً - عملية فى المصانع الحربية كالتى تنتج « ما يتيسر » لتشغيل الأيدى بل لتشغيل العقول و الأبصار .

و قد أثنى القرآن على هذا الجمع فى ذكر الأنبياء و المرسلين - و هم صفوة خلق الله بلا نزاع و أحبهم إليه - فقال : « أولى الأيدى و الأبصار » و قال يصف داؤد عليه السلام .

« و ألنا له الحديد أن اعمل سابغات ، وقدر فى السرد و اعملوا صالحاً » .

إن تربية الشعب على هذه المعانى ، و على هذه الأسس ، و بهذا التصميم يجعله أرهب و أفزع لعدوه من رأس ذرى على صاروخ موجه ، لأن الصاروخ مهما كان ، قوته مستعارة ، قد تخون ، و قد تخذل ، و قد تفوت ، و قد تنفد .

ونحن بما عندنا وما نستطيع أن نصنع بأنفسنا ، يمكن أن نتغلب على عدونا - رغم تفوقه فى التكنية و العلم - إذا رافقه روح الايمان و التضحية ، والجهاد ، و الغيرة الملتهبة و الثقة بوعد الله ، و الحنين إلى جنته و رضاه .

و إذ انتصر أسلافنا على أقوى الامبراطوريات فى زمنهم بفئة قليلة لاتستحق التنويه و الذكر إلى جانب جيوش كثيفة مدججة بالسلاح ، فقد كان ذلك بمدد من السماء و إيمانهم الكامل الذى بلغ أرقى الدرجات .

إن أسلافنا جاهدوا فى سبيل الله بسلاح و من غير سلاح ففازوا لأنهم كانوا أقوى منا إيماناً ، و أولى منا بمدد السماء ، وأما نحن فقد نقص عندنا ذلك

الايمان أو ضعف أو اضمحل وتضاءل فاذا رفعنا مستوى هذا الايمان - إذا صح التعبير - أو جددنا هذا الايمان الذى بلى و تراكم عليه الغبار ، استفدنا بهـــذا البسيط الذى نملكه أكثر من الآلات المعقدة التى لا نملكها .

و ذلك لأن روح الايمان ، و روح القتال و الاستقلال ليست ترنيمة ، أو تغريدة ، أو تعويذة ، إنما هى الاكسير الذى يحيي الموات ، و يوقظ الرقود ، و يحرك الخامدة ، و يفك العانى .

إن روح الايمان تتطلب أن نصنع - على الأقل - ما نقدر عليه ، أن نصنع ما تيسر ، و نستفيد بما عندنا من طاقات وقوى و مواهب كل الاستفادة.

و ما نقدر عليه كثير و كثير ، ما فى ذلك من شك .

إننا نقدر على أن نبنى المصانع الحربية التى تنتج الذخيرة الحية ، و البنادق، و الآلات الخفيفة البسيطة ، فهل فعلنا ؟ .

إننا نقدر على أن نستعين بأجهزة التربية و الاعلام فى بث هذه الروح التى تجبر ما كسر و تعوض عما فات فى سباق التقنية و العلم وقد فاقتنا منه القرون ، و نستخدمها فى إعداد جيل قوى محارب يعرف استعمال السلاح و يحن إليه كما يحن الصادى إلى الماء الزلال ، و يحن إلى الموت كما يحن أعداؤنا إلى الخمر أو الفتاة ، كما عبر به رسل هرقل حين سألهم عن جيش المسلمين وسر انتصارهم رغم ضعفهم و فقرهم ، وقلة عددهم ، فهل فعلنا ما قدرنا عليه ؟ .

هل إننا لم ندخر وسعاً فى استعمال تلك الوسائل التى وهبنا الله حتى انطلقنا نبحث عن وسائل أخرى و ذهبنا فى ذلك شتى المذاهب .

إن الذى لا يصنع البندقية و هو على ذلك قادر لا يسوغ له أن يحلم بالآلات الحاسبة الاليكترونية ، و يحرص على المخ الآلى و الفانتوم .

و إن الذى يدع شبابه يلهو بين أحضان الغوانى ، ويتلهى بروايات غرامية مكشوفة ، أو مغامرات طرزان و جيمس بوند ، و هو فى أوج قوته ، و ريعان شبابه ، فى العمر الذى يجازف فيه المغامرون بحياتهم لمستقبل بلادهم ، و يفرح و يمرح بعقلية النسوان و المردان و هو الآن فى دور الشباب الناضج ، و قائلة الرجال الأكفاء ، إن الذى يدع شبابه و فلذات أكباده ، وأمل بلاده ، وشرف دينه ، عرضة للشوارع و الحانات و الملاهى و الكازينومات لا يحق له أن يئن ألما أو يتأوه وجعاً ، أو يرفع شكوى وعتاباً على ما يفعل بهم فى قرارة دارهم ، فى عواصمهم و فى أعماق بلادهم .

هل إن الله ابتلانا بهذه الضربات والصفعات بيد أذل خلقه فى أرضه لأننا لم نملك الفانتوم أو ذلك السلاح الخاص الذى ضنت به روسيا ، و أمريكا ، أو بخلت به فرنسا .

حاشا أن يكون الأمر كذلك .

إن بعض المغامرين من الشباب الفج قاموا بأروع مما قامت به قوات نظامية بعض الحين فهل إنهم حملوا فى جيوبهم الفانتوم أو أخفوا فى ملاءتهم الصواريخ! أو إنهم ربطوا بأعناقهم التمائم و التعويذات ؟ .

السر الوحيد البسيط أنهم صنعوا ما قدروا عليه وما استطاعوه ، استطاعوا أن يستعملوا ما نالوا من أحدث الآلات و يهبوا حياتهم فى سبيل مبدأ شريف ففعلوا ، و أقضت تضحيتهم مضاجع أعدائهم و أطارت صوابهم ، وبصرف النظر عن خسائر هذا الأسلوب و فوائده فانه يويد ما أدلينا هنا من رأى . . . و هو أن روح الايمان و روح الاستقلال و روح الصمود هى دائماً فى المقدمة .

و مقتضاها الأول أن نحقق بما أتانا الله من مال و موهبة و خبرة ما يمكن

أو يتيسر تحقيقه و إنجازه فى أقرب فرصة ، و من غير طمع كثير فيما عند أعدائنا ، فعدونا لا يعطى - طبعاً - إلا بمقدار مالا يضره و لا يجرح مصالحه ، و تلك غريزة كامنة فى نفس الانسان أياً كان ، و حقه الطبيعى المدنى ، فكيف يحلو لنا أن نطلب منهم من أحدث الآلات الفتاكة لنفتك بهم أونفتك باخوانهم ؟

أفلا نفكر فى أن نطلب من إسرائيل مباشرة مقداراً كافياً مستحدثاً من الأسلحة بحكم الجوار و القربى لنقضى عليها و نلقى بها فى البحر ؟ .

إن طلب الأسلحة من روسيا و أمريكا لا يختلف كثيراً عن طلبها من إسرائيل فى النتيجة ، إلا إن الطريق الأول مباشر مكشوف ، و الطريق الثانى غير مباشر مستور .

ففيم هذه الشكوى ، و إلى متى هذا العتاب ؟ .

آه ، لقد طال الزمن ، و توالت المحن و الفتن ، و أمتنا واقفة على نفس هذه النقطة التى وقفت فيها عندما أطيح بعرش فاروق ، أبت أيديها أن تصنع و تحذق ، و أبت عقولها أن تفكر و تبتكر ، و أبت غيرتها و حميتها أن تحول هذا البيت المنهار إلى بيتها المستقل الجديد، الشامخ العتيد ، بيت تبنيه لنفسها وبيديها و ترفع قواعده و تحكم بنيانه بإيمان وجهاد ، و طاعة و انقياد و عدة وعتاد .

ألا إن العالم الاسلامى يحتاج إلى بيت جديد مشترك يبنيه أهله بكد يمينهم وعرق جبينهم ، متعاونين فيما بينهم ، بيت من صنع البلد ، و من صنع العقيدة ، و من صنع الايمان ، و من صنع الغيرة ، و من صنع العاطفة الجريحة والشعور المكلوم ، بيت ستستظل بظلاله الوارفة – إن شاء الله – بلاد آسيا و أفريقيا كلها ، و الانسانية البائسة بأسرها .

نظام التأمين فى ضوء أصول الشريعة الاسلامية

—(٣)—

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلى
رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة و أصول الدين ، جامعة ندوة العلماء
تعريب : الأخ عبد الباسط الندوى

التأمين و الدية :

قد يذكر المبيحون ـ إلى جانب ما سبق ذكره من دلائلهم ، و استدركنا عليه ، تحت عنوان « التأمين والتعاون » ـ لاثبات جواز التأمين « الدية » كأنهم يقيسون التأمين عليها و هو من أقوى الدلائل عندهم ، مع أنهما متغايران كل التغيير بحيث لن يمكن قياس عقد التأمين عليها ، و هنا نقتصر ـ مخافة الاطالة ـ على بيان بعض الفروق المهمة بين التأمين و الدية .

الفرق الأول البارز بينهما أن القاتل خطأ لا يحصل له أى شئ بل يؤدى العاقلة (١) مباشرة ـ أو بطريق الحكومة ـ الدية إلى ورثة

(١) فى قتل الخطأ أوجب الشرع الدية على « العاقلة » وهم أولوا القربى للقاتل أو الذين يشتركونه فى الديوان أو فى العمل و الحرفة ، وفى « المغرب » للامام أبى الفتح ناصر بن على الطرزى (ت ٦١٦ هـ) العاقلة : « و هى الجماعة التى تغرم الدية وهم عشيرة الرجل أو أهل ديوانه أى الذين يرتزقون من ديوان على حدة » ـ « المغرب » للطرزى، ص ٣٢٣ (دار الكتاب العربى ـ بيروت) .

المقتول ، لأن الدية فى الحقيقة تجب على العاقلة دون القاتل كما صرح بذلك فى الكتاب الفقهى المعروف « الهداية » (للعلامة برهان الدين المرغينانى الذى يعرف بالتدقيق و الأخذ بالحيطة فى الكتابات الفقهية) « و قتل الخطأ تجب به الدية على العاقلة و الكفارة على القاتل » (١) فعلى هذا نستطيع أن نقول إن العاقلة يقومون بواجبهم لا بواجب القاتل على أنه يقبض ـ على مبلغ الدية ـ ورثة المقتول لا القاتل ، مع أن بين القاتل و عاقلته يكون ترابط و تناصر و تعاون دائماً و ليس كذلك بين الشركة و المؤمن له .

و لا حاجة إلى الذكر هنا بأن ورثة المقتول الذين يستحقون الدية و يأخذونها ليسوا بوكلاء للقاتل و لا نائبين عنه بل هم أنفسهم ـ أو كنائبين للمقتول ـ يستحقون الدية ويملكونها ، ويمكن أن نقول هنا أن القاتل ـ خطأ ـ يكون سبباً لوجوبها ، و لكنها تجب على العاقلة لا عليه ، (و أمثال هذا النوع توجد فى الشريعة الاسلامية ، كصدقة الفطر تجب على الوالد عن ولده الصغير و سبب وجوبها عليه الولد) .

وهناك فروق كثيرة ـ غير الفرق المذكور آنفاً ـ مثلا ، لا يكون فى الدية أداء أى مبلغ ـ مسبقاً ـ من قبل المقتول أو عاقلته إلى أحد من المقتول أو عاقلته أو إلى القاتل أو عاقلته ، بل فى أغلب الأحوال لا يدفع القاتل ـ الذى بسببه يؤدى العاقلة الدية ـ شيئاً طول حياته بهذا الوجه ، و إن كان دفعه من قبل ـ أو يمكن أن يضطر إلى دفع الدية فى المستقبل ـ فليس هناك أى تعاقد ولا اشتراط زيادة ، و كذلك يمكن أن لا يدخل ـ و لم يدخل ـ فى ملكه شىء بهذا الوجه كما لا ينتقل شىء من ذلك المبلغ الذى دفعه فى ذلك الوجه إلى القاتل

(١) الهداية ج ٤ ص ٥٦٨ (المكتبة الرشيدية بدهلى ـ الهند) .

ـ خطأ ـ الذى هو سبب لأداء الدية ، لذلك ما وجدت هنا صورة التبادل أصلا ، ولو افترضنا أن الدية تجب على القاتل (١) والعاقلة يدفونها له فهذا أيضاً ليس بتعاقد بل هو كتحمل المؤونة ، ـ مثلا ـ اليوم يحتاج الابن فيتكفله أبوه وغداً يحتاج الأب فيتكفله ابنه ، فمن يسميه تعاقداً ؟ وإن سماه أحد تعاقداً لم يكن له أى وزن فى ميزان العلم والشريعة ،لأن الربا لا يتحقق فى الشريعة الاسلامية إلا بالتعاقد الذى يصدق عليه تعريف التعاقد شرعاً ، (و ليعلم أن الربا عقد عرفه الشرع نفسه و عين حقيقته و صوره وأشكاله فالاجتناب منه حق لله سبحانه و تعالى ، من هنا لا يحل بتراضى المتعاقدين أيضاً) .

فظهر من هذا البيان و التفصيل أنه لا يوجد أى تشابه بين الدية والتأمين يمكن به أن يقاس أحدهما على الآخر شرعاً و لا بأس هنا أن نقول : لو كان أوجب الشرع ـ غير الدية التى تجب على القاتل أو على عاقلتـه ـ على ذوى القربى للمقتول إعانة لورثة المقتول (مثلا أن يدفع الأبعدون للاقربين مبلغاً خطيراً) و يسميها الشرع « الدية » لحصل ـ جملة ـ التشابه بين الدية و التأمين و لكن الشرع لم يعين هذه الصورة ، و سيعلم القراء ما فيه من المصالح .

وإذا فكرنا فى تخطيط التأمين السائد ـ مع بقاء حكم الدية فى الشرع ـ ظهر لنا أمرمهم بأن فى جانب حصل ـ أو يحصل ـ لورثة المقتول مبلغ كبير عن طريق الدية (أو يستحقونه) و فى جانب آخر إذا كان المقتول أمن على حياته حصلوا (أو يأملون الحصول) أيضاً على ذلك المبلغ الذى تؤديه الشركة وفق التعاقد ، فبذلك أيضاً يحصل للورثة مبلغ خطير ، فقد إتضح بذلك أيضاً الفرق بين التأمين و الدية و عدم مشابهتهما .

---

(١) أشار إليه بعض العلماء ، كما ذكر فى كتاب الفقه الحنفى المعروف « رد المحتار » لابن عابدين الشامى المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ .

عواقب و خيمة للتأمين السائد :

فى عالم اليوم المائج بالجشع و النهامة و التكالب على الحيـاة الذى تكاد تلفظ فيـه الانسانيـة أنفاسها الأخيرة و تنحط الأقدار الخلقيـة السامية هل يستبعد أن يكون التأمين على الحياة سبباً لفظائع ، فلا يبعد - مثلا - أن تفضل ورثة المؤمن له موت مورثهم على حياته و ربما يحبون أن تفنى حياته كى يحصلوا على ما تدفعه شركة التأمين لورثة المؤمن له - طبقاً للتعاقد - فانظروا إلى أن هذه الفكرة الناشئة من الحرص كم يحمل الناس على أنواع من المفاسد و الفظائع أو الفضائح فتوقعهم فى الجرائم ! فلا غرو فى أن يقع حادث مهيب ومفزع ، مع النظر إلى هذا الذى ذكرنا لا يستطيع أحد أن ينكر احتمال وجود دوافع النفسانية الرذيلة و الاحتمالات الأخرى المهيبـة غير دافع التأمين الحقيق (أى تدارك ما فات بالحوادث) فبذلك يتطرق فى التأمين النواحى الضارة الفادحة مع الاحتمالات المفيدة جنباً بجنب، ومن الأصول المسلمة لدى العقلاء « أن دفع المضار أولى من جلب المنافع » . و لا يخفى على خبير أن الحوادث التى تعتبر « الخطر المحض » هى (أو أشكالها الكثيرة) أيضاً فى عامـة الأحوال تقع - فى الأكثر - بخطأ إنسـان ، أو - على الأقل - بتقصير فى الحزم و الحيطـة ، و الآن إذا حصل له الجزم التـام بعد ما أمن بأنه يجبر الضرر الذى يحدث بوقوع « الخطر المحض » و ينقطع إحتمال تحمل الضرر ، فربما يتساهل المؤمن له أكثر من ذى قبل ولا يبالى بشىء، (لأن التساهل الذى يفضى إلى الراحة من طبيعة الانسان) و يمكن أن يكون سبباً لكثرة الحوادث أمثال « الخطر المحض (١) » و تتزايد إحتمالات ضيـاع الثروة القوميـة

(١) الذين كتبوا حول هذا الموضوع قسموا « الخطرات » إلى قسمين ←

و الدوليــة مكان احتفاظهـا الذى يستـدل به المجوزون للتأمين ، فهذا الاكتشـاف العلمى (التأمين) - على حـــد تعبيرهم - ربمـا يسبب لضرر المجتمع فضلا عن أن ينفعه ، و يصير سبباً للداهيـة و النقمـــة سبباً فضلا عن أن تكون رحمه من الله ونعمه ، لان التأمين لا يضيف إلى الثروة القومية مباشرة ، فانه لا يزيد على أنه يجبر نقصـان الأفراد (أى المؤمن لهم) ، فى هذا العصر - عصر الاثرة و التساهل - من يحرق قلبه و يتعب نفسه للقوم و الملة بعد أن يكون ذا أمن تام لنفسه الخاصة أو لماله الخاص .

و زد على ذلك بأن هذا الخطر إذا وقع بخطأ غيره (مثلا غرقت السفينة باهمال الربان) فالرجل الذى أصـابه الضرر - أى صاحب السفينة أو المال ، مثلا - يحصل له ، من وجهـة قوانين الشرع ، فى بعض الصور ضمانهـا ، (التفصيل مذكور فى كتب الفقه) ، و بعد التأمين حصلت له الطمأنينــة من جهة شركة التأمين بأنها تجبر الضرر ، فبهذه الحالة ربما يجد نفعه فى وقوع الخطر أو فى إيقاعه ، بل ليس بمستبعد فى هذا الجو المادى أن يحاول المؤمن لهم بأنفسهم - سراً و خفية - لوقوع هذا « الخطر المحض » لـكى يربحوا فى صورة إصـابة الضرر ، و الآن ليس هذا من الاحتمالات العقليـة فحسب بل تمثل أمام أعينـا فى صورة واقعية ، لذلك نرى من الحيطة و الحزم أن يكون هنـا - أمام كل أحد - مع رجاء الخير إحتمال وقوع مثل هذا الشر كذلك .

★ «١» الخطر التجارى «٢» والخطر المحض وكثيراً ما يؤمنون حذراً من هذا القسم الثانى لاجبار الضرر الذى يمكن أن يصيبهم ، ويعرفون « الخطر المحض » بأنه يحدث الضرر بوقوعه فحسب ، و لايتعلق به أى نفع .

و مما يجدر بالذكر أن المقارنة - بين الربا و التأمين - التى تقدمت فى الصفحات الماضية كانت من جهة أنه حصل للمؤمن له مبلغ كبير من شركة التأمين بوقوع الخطر المعهود - طبقا للعقد - مع أن المؤمن له كان دفع مبلغاً قصيراً كأقساط التأمين ، و أما صورة التأمين التى تدفع فيها أقساط التأمين و لكن لا يحصل للمؤمن له شىء من شركة التأمين - حيث لم يقع الخطر - بل يضيع ذلك المبلغ ، أو (أكثر ما يقال) حصلت له - عوضاً عنه - الصيانة الخيالية أو طمانينة النفس الوهمية فور دفع أقساط التأمين ، وفى هذا الصدد نقول (بغض النظر عن هذه الصيانة الخيالية بأنها تصلح - فى الشرع الاسلامى - لأن تكون عوضاً عن المال أم لا ؟ ، و هل يوجد لها نظير فى الأحكام الشرعية أم لا ؟ وبصرف النظر عن أن تتحق صورة « تعليق التمليك بالخطر (١) » أم لا تتحق ؟) أنه يمكن هنا أن يحمل دفع هذا المبلغ على صورة « الهبة بالشرط » وذلك لا يتصور إلا بعد أن نسلم هنا أن الأقساط التى أداها المؤمن له إلى الشركة قد وهبها للشركة ، و الشركة تملك عليها فور وصولها إليها ، (و لكن هذه الصورة لا يمكن أن تتصور هنا - فى التأمين - حسب أصول الشرع الاسلامى ، و سيأتى تفسيله إن شاء الله) ، و الهبة من العقود التى لا تفسد بالشروط كما بينه غير واحد من الفقهاء (٢) ، إذا كانت هذه هى الحقيقة للاقساط التى أداها

---

(١) قد مضى تحقيقه و تفصيله تحت عنوان « التأمين و القمار » .

(٢) انظروا : الفتاوى الهندية ٤ / ٢٩٦ ، و الهداية ٣ / ٢٧٥ ، و مأخذ هذا الأصل تلك الأحاديث النبوية الشريفة التى بين فيها إباحة « العمرى » كما ذكره مصنف « الهداية » و شارحها المعروف أكمل الدين البابرتى المتوفى ٧٨٦ هـ وغيرهما : « وأصل ذلك ما روى أن رسول الله ﷺ

المؤمن لهم كان يسوغ للشركة - من جهة الشرع - أن تتصرف فى ذلك المبلغ و لا ترد منه إلى المؤمن له شيئاً ، و إن وقع ذلك الحادث الذى أمن لأجله ، فهل يرضى بذلك أحد من المؤمن لهم ؟ و يحسن بنا أن نذكر هنا أن الفقهاء يقولون بكراهة الهبة التى يرجى فيها الرد مع الزديادة عليها (ولم تشترط الزيادة ، لأنها تحرم باشتراطها عند جميع الفقهاء .) و هم يستدلون بهذه الآية : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله » (سورة الروم : ٣٩) و بالآية الأخرى ، « و لا تمنن تستكثر » (سورة المدثر : ٦) .

فان كان فى التأمين إشكال أو إشكالان مثل ما مضى (أى نية الاسترداد مع الزيادة أو « الهبة بالشرط ») فيمكن أن يجوز - نظراً إلى « إفاديته » - و تتحمل الكراهية ، و لكن كما أشرنا من قبل إلى أنه يوجد فيه إحتمال القمار و كذا إحتمال الربا ، و الفروق التى ذكرها الكتاب الذاهبون إلى إباحة التأمين بالايضاح و الشرح ، هى - عندى - لا تقضى على إحتمالات الربا و القمار ، و لا ننكر نفعاً ما لتلك البحوث و التفاصيل إلا أن هناك عوائق أخرى كثيرة لا يمكن أن نحكم مع وجودها بجواز التأمين .

ما هو حكم مال المؤمن له :

و لا بد هنا من أن نعلم هل يمكن أن تملك الشركة - شرعاً - على

أجاز العمرى وأبطل شرط المعمر فى رجوعها إليه بعد موت المعمر له وجعلها ميراثاً لورثة المعمر له ». « العناية » ٧ / ١٤١ (المطبعة الأميرية بمصر) وهذه الأحاديث الشريفة توجد فى أكثر كتب الحديث الصحيحة مع اختلاف الألفاظ و مع فرق الاجمال و التفصيل ، مثلا ، فى « الصحيح لمسلم » ٢ / ٣٧ - ٣٨ ، و السنن لأبى داؤد » ٢ / ١٤٤ ، ١٤٥ (طبع الهند) .

أقساط التأمين التی دفعها المؤمن لهم ؟ فلو سلمنا أنها ملكتها لوجب علینا (كما ذكرنا من قبل) أن نقول أنها لا تجبر - من جهة الشرع الاسلامی - أن ترد ذلك المبلغ إلی المؤمن لهم خاصة ، و لا تمنع من أن تدفعه إلی غیرهم ، لأن بعد تملكها علی الأموال لا یبقی حق أحد - من المؤمن لهم - فی ذاك المال المدخر عند الشركة (١) ، فبهذا ینقلع أصل التأمین ، ثم إذا سلمنا ملكیة الشركة علی أموال المؤمن لهم یجب علینا - أیضاً - أن نسلم هذه الصورة الغریبة بأن ههنا كلهم یملكون و لیس أحد فی الحقیقة من یملك ، أو عكس ذلك ، (لأن الشركة كأنها عبارة عن الذین دفعوا أقساط التأمین) أو أن كل شریك - أی مؤمن له - یملك الشریك الآخر - شهریا - مثل ذلك المبلغ (لأن مبلغ الأقساط یكون مساویا فی عامة الأحوال) الذی یدفعه الآخر له ، فیظهر من هذا أن المؤمن لهم فی الحقیقة یرتكبون أعمالا عبثاً لا فائدة فیها ، فهذه الصورة التی هی مضاده للعقل و الشرع ما كانت تلزم إلا بعد أن سلمنا أن المؤمن لهم یملكون الشركة أقساط التأمین ، و هذا لا یصح فلا بد من أن نسلم أن المؤمن له یوكل (لا یملك) عمال الشركة و ینیبهم عن نفسه ، و كل مؤمن له یعطی نائبه خیار التصرف بشروط ، (و هذا هو معنی تسلیم شروط الشركة) و إعطاء حق التصرف فی ماله بلا عوض هو الاعارة (فی مصطلح الفقه) وإعطاء حق التصرف (أی الاعارة) لأحد فی مثل هذه الأشیاء - الروبیات و الفضة

(١) هنا یمكن أن یقال إن الشركة مالكة و لكن ملكیتها موقوفة علی الشق الذی لا یتیقن وجوده و عدمه و هو عدم وقوع ذلك الخطر الذی أمن لأجله ، و لكن لا یخفی علی أحد أنه « تعلیق التملیك بالخطر » و هو حد القمار (و قد مضی شرحه) فیثبت بهذا - أیضاً - أن عقد التأمین لا یخلو من أحد العقدین - القمار أو الربا - .

و الحبوب الغذائية ـ معناه أن يعطى المالك إياه حق إستهلاك ماله (أى المال المستمار) بدون عوض، لأنه لا يمكن الانتفاع مع بقاء العين فى مثل هذه الأشياء، فالتصرف فيه ـ أى الانتفاع الحقيقى منه ـ لا يمكن إلا بأن يستهلكه المنتفع، ثم يرد مثله إلى مالكه، و هذه هى حقيقة القرض شرعاً، ولذا يطلق « القرض » ـ حسب المصطلح الفقهى ـ على إعارة الأثمان (و منها الروبية) والأجناس المستهلكة، و لكن إعارة الأشياء الأخرى التى يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها فيطلق عليها ـ حسب المصطلح الفقهى أيضاً ـ « الاعارة ».

وقد صرح الفقهاء بأن الاقراض فى الحقيقة هى الاعارة، يقول الفقيه الحنفى المبرز ملك العلماء العلامة كاسانى (المتوفى ٥٨٧هـ) رحمه الله: «إن الاقراض إعارة لا مبادلة، ألا ترى أنه لا يلزم الأجل فيه كما فى العارية، و لو كان مبادلة للزم فيه الأجل» (١)، و فى « الهداية » أوضح من ذلك: « وعارية الدراهم والدنانير والمكيل والموزون و المعدود قرض لأن الاعارة تمليك المنافع ولا يمكن الانتفاع بها إلا باستهلاك عينها . . . لأن من قضية الاعارة رد العين فاقيم رد المثل مقامه (٢) ».

فلخص القول أن أموال جميع المؤمن لهم مدخرة عند الشركة كقرض (فانها روبيات و هى كالدراهم) فاذا دفعت الشركة إلى أى مؤمن له شيئاً فانها فى الحقيقة ترد القرض إلى صاحبه (و هى من الأموال الربوية) فان ردت مع الزيادة على ما دفعها المؤمن له فهى ترد إليه مع الاضافة إلى القرض حسب

(١) « بدائع الصنائع » ٢٣٤/٥، للكاسانى، (المطبعة الجمالية مصر).

(٢) « الهداية » ٢٦٥/٣، للرغينانى المتوفى ٥٩٣هـ (المكتبة الرحيمية بديوبند، الهند).

التعاقد، فيصدق عليه تعريف الربا الشرعي — كما مضى شرحه — و لقد اتضح مما سبق أن الشركة نائبة عن كل أحد من المؤمن لهم بقدر سهمه، فان دفعت إلى أحد أكثر من سهمه فانها تنوب فى دفع الزيادة عن جميع المؤمن لهم، سوى هذا المسترد، و لكن إذا لم يجز — حقاً للشرع — لرب المال أن يرد القرض مع الزيادة عليه فأيضاً لا يجوز هذا لمن ينوب عنهم « أى عمال الشركة »، لأن الشرع لا يأذن لمثل هذا التعاقد.

و قد علمنا مما مضى أن الذى يسترد مبلغه ينفرد فى ذاته حين الاسترداد و حينئذ لا تنوب عنه الشركة، و إلا يلزم اجتماع المدعى و المدعى عليه فى ذات واحد و هو خلاف العقل و الشرع.

هل يؤخذ الأجر على صيانة خيالية.

بعد التفاصيل المذكورة لا تبقى الحاجة إلى أن نبحث عن أقساط التأمين بأنها يمكن شرعاً أن تكون كلفة الصيانة الخيالية أم لا ؟ و هل يجوز الأجر بالمال على صيانة خيالية أم لا ؟ و لكن لا بأس فى أن نقول : إنه لا يوجد فى الشرع أى نظير يدفع المال فيه لمثل هذه « الصيانة » و « الطمأنينة »، و أما الاستدلال لجوازه بأجر الحراسة فهو ما لا يقول به أحد ممن له إلمام بالفقه - فضلا عن الفقيه - لأنها ليست فى الحراسة « الصيانة الخيالية » فحسب بل فيها عمل الحارس و جهده الذى يستحق به الأجر و العوض المالى، خلافا لهذا فانه ليس هنا عمل الحراسة و لا جهد فيها فبأى شئ يستحق الأجر ؟ بل إذا أمعنا النظر فيبدو لنا أن « هذه الصيانة » لا وجود لها فى الخارج كأنها عبارة عن المبلغ الذى يرجى الحصول عليه فليست هى (الأقساط) أجر الصيانة بل هى أجرة ذلك المبلغ التى أديت قبل حصول بدلها، و هو المبلغ الكثير بعد وقوع الحادث، و بعد

هذا التحليل لا يبق أى شك فى كونهـا « الربا » . لأن المرابين يسمون الربا — فى عامة الأحوال — « أجرة المال » .

الكفالة و التأمين :

وبعض الباحثين المجوزين يشبهون التأمين بالكفالة ـ كأنهم يقيسون التأمين عليها ـ و لكن هذا أيضاً لا يصح ، و لو سلمت المشابهة فينشأ هنا سؤال وهو : هل يجوز الأجر على الكفالة المجردة ؟ ثم إن كان هنا يوجد نوع من الكفالة يجوز فيـه الأجر فلا يوجـد إلا فيما لم يكن الشئ المكفول من جنس الأجرة (و لم يكن من الأموال الربوية) و إذا كان من جنسها — و من الأموال الربوية ـ فلا طريق إلى الجواز أصلا ، كما هو ظاهر و ثابت من المباحث التى سبقت .

مجرد المنفعة لا يكفى لاثبات الجواز :

ربما يقال إن فى التأمين منافع كثيرة للمجتمع اقتصاديا وتجاريا و ما إلى ذلك لكننا نقول أنه لا يحل شئ — أو عقد حرام — لبعض المنافع الدنيوية كما ذكرنا وأثبتنا من قبل ، فالأشياء التى حرمها القرآن والأحاديث النبوية هل لا توجد فيها بعض المنافع ؟ فالقرآن الكريم ناص فى إثبات بعض المنافع فى الخمر التى هى أم الخبائث و فى الميسر الذى هو أساس المفسدة المالية و لكن الله تعالى حرمهما لضرر الآخرة (أى الاثم) (١) .

مما يثير العجب أن الميسر الذى أعلن بحرمته القرآن ذكر فى سبب نزوله — أى الآية التى فيها حرمـة الميسر — بعض المفسرين الموثوق بهم بأن العرب

(١) فسر بعض المفسرين « الاثم » بمعنى العام الذى يحتوى على ضرر الدنيـا و الآخرة كليهما .

- حينما أنزل القرآن - إذا نجحوا فى الميسر وأخذوا المال عن طريقه لا يأكلونه ولا ينفقونه على أنفسهم بل كانوا يدفعونه إلى الفقراء و المساكين (١) ففيه منفعة ظاهرة للفقراء و البائسين مع ذلك حرمه الله تعالى ، و يثبت منها أيضاً ذلك الأصل الأساسى الذى ذكرناه فى مبدأ المبحث ، من أنه لا يحل شئ بمجرد نفعه و لحسن مقصد فاعله بل لا بد لجوازه من أن تكون الأسباب والوسائل - التى يتوسل بها إلى المقاصد الحسنة - أيضاً مباحة و مشروعة (٢) .

لخلاصة القول أن الدلائل - و التحليل - التى قدمها القائلون بجواز التأمين لا تنفى احتمال القمار والربا عن التأمين ، والفروق التى قدموها هى أيضاً لا تكفى لتغيير الأحكام بل مشابهته بالقمار و الربا قوية و كبيرة لا يستطيع أى فقيه منصف و عالم خبير أن ينكرها ، و قد ثبت فى موضعه أنه إذا اجتمعت أسباب الحلة والحرمة فى شئ - أو عقد - فيحكم بحرمة ذلك الشئ و العقد (٣) و لذا لا نرى من جهة الشرع الاسلامى مساغا لاباحة التأمين السائد . و الله أعلم و له الحمد أولا وآخراً و صلى الله على رسوله الكريم محمد وآله و صحبه أجمعين و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

---

(١) كما فى «روح المعانى» للعلامة السيد محمود الآلوسى البغدادى المتوفى ١٢٧٠ھ ٢/١١٤ ، تفسير الآية : « يسئلونك عن الخمر و الميسر » ، (إدارة الطباعة المصطفائية بديوبند ، الهند) .

(٢) قد مضى هذا الأصل مع دلائله فى بداية البحث فانظروا « الأصل الأساسى » الرقم : ١ .

(٣) انظروا لهذا : إلى ما ذكرنا فى أوائل البحث تحت « الأصل الأساسى » الرقم : ٦ .

موقف العلماء من التأمين التجاري

الأستاذ : محمد صدر الحسن الندوي

قلنا فيما مضى إن التأمين ينقسم من حيث الصيغ إلى أربعة أقسام ، وهي التأمين الاجتماعي ، و التأمين التبادلي (التعاوني) و التأمين الفردي ، و التأمين التجاري ، أما الثلاثة الأولى منها — و هي التأمين الاجتماعي ، والتأمين التعاوني ، والتأمين الفردي — فلم نعثر على رأي فقيه من فقهاء الشريعة ذهب إلى تحريمه ، أما القسم الرابع و هو التأمين التجاري فقد صار حلبة لآراء الفقهاء ، و قد حاول علماء الشريعة الوصول إلى حكم شرعي في هذه القضية في ضوء الكتاب والسنة ، و قد اختلفت اتجاهاتهم ، و يمكن تقسيم تلك الاتجاهات إلى ثلاثة أقسام .

الاتجاه الأول : إباحة التأمين (١) .

استدل هذا الفريق بأدلة منها أن الأصل في العادات و المعاملات الاباحة ، و أن التأمين أساسه البر و التعاون ، و أن الشريعة الاسلامية قواعدها مبنية على اليسر ورفع الحرج و العسر ، و أن التأمين ينشط الاقتصاد على المستوى القومي

---

(١) من مؤيدي هذا الاتجاه الأساتذة الأجلاء : مصطفى أحمد الزرقاء ، و الطيب النجار ، و محمد البهي ، و عبد الحميد السائح و علي الخفيف ، و عبد الرحمن عيسى ، و آية الله علي آل كاشف الغطاء ، و الدكتور نجاة الله الصديقي ، و يعقوب شاه ، و الدكتور عبد الرزاق السنهوري ، و الدكتور إبراهيم الطحاوي .

و الفردى ، وأن التأمين ليس إلا الآخذ بأسباب الحذر ، و كذلك قاسوا التأمين على جواز التجارة عن تراض ، و على عقد الموالاة فى الاسلام . و على نظام العواقل فى الاسلام ، و على ضمان خطر الطريق ، و على الوعد الملزم و نظام التقاعد و المعاش ، و على الوديعة بأجر ، و على المضاربة و على الهبة و الجعالة ، وكذلك استدلوا بالعرف و المصلحة الشرعية ، والأمر بالوفاء بالعقود ، و بالضرورة التى تبيح المحظور ، وكذلك قاسوا على الاجارة على الحراسة ، وما إلى ذلك من الأدلة التى سنبينها بتفصيل إن شاء الله تعالى .

الاتجاه الثانى : تحريم التأمين (١) .

---

(١) من مؤيدى هذا الاتجاه العلماء الأفاضل : ابن عابدين ، وقد حرم التأمين البحرى ومنهجه يؤدى إلى تحريم أنواع التأمين الأخرى ، و محمد بخيت المطيعى ، و عبد الرحمن محمود قراعة ، و رأيه كان فى التأمين ضد الحريق ، و محمد نجاتى ، و أحمد إبراهيم و رأيه كان فى التأمين على الحياة ، و عبد الرحمن تاج ، و محمد أبو زهرة ، وعيسوى أحمد عيسوى ، و محمد على السايس ، وطه الدينارى ، و عبد اللطيف السبكى ، و الصديق محمد الضرير ، و عبد الله القلقيلى ، و عبد الستار السيد ، و أمجد الزهاوى ، و محمد الجواد الحسينى ، و أحمد الخريصى ، والدكتور حسين حامد حسان ، و الدكتور جلال مصطفى صياد ، و الدكتور عيسى عبده ، و الدكتور عبد الناصر توفيق العطار و الدكتور ياسين أحمد درادكة ، و عبد القادر أحمد عطا ، وعبد الله ناصح علوان ، وبهى الخولى ، وأبو الأعلى المودودى ، و محمد الغزالى ، ونعيم الصديق ، و الدكتور عباس حسنى ، و المفتى محمد شفيع ، و محمد الجواد الصقلى ، و خالد عبد الرحمن أحمد ، والسيد ★

استدل هذا الفريق بأدلة منها : أن التأمين هو تحد للقدر الالهى و كذلك

★ أحمد عروج قادرى ، و الشاه معين الدين أحمد ، و المفتى عتيق الرحمن و المفتى محمد ظفير الدين ، و السيد فخر الحسن ، و محمد منظور نعمانى ، و سعيد أحمد الأكبرآبادى ، و أويس الندوى ، و الشاه عون أحمد ، و أبو الليث الندوى ، و محمد اسحاق السنديلوى ، و برهان الدين السنبهلى ، و المفتى مهدى حسن ، و عبيد الله الرحمانى ، مظفر حسين ، و المفتى ولى حسن ، و محمد هارون ، و الدكتور محمد شوقى الفنجرى ، و محمد كامل مرسى ، و متولى شعراوى .

و ذهبت المجالس و المؤتمرات إلى تحريم التأمين التجارى أيضاً ، فقد أصدر مجلس التحقيقات الشرعية بندوة العلماء لكناؤ (الهند) قراراً فى ١٥ و ١٦ من شهر ديسمبر سنة ١٩٦٥م حول تحريم التأمين التجارى بكل أنواعه ، و كذلك أصدر مجلس هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية ، رقم : ٥١ و تاريخ ٤ / ٤ / ١٣٩٧ه قراراً فى جواز التأمين التعاونى ، و هذا يعنى تحريم التأمين التجارى لاشتماله على الربا و المخاطرة و الغرر و المقامرة كما هو منصوص فى هذا القرار ، و كذلك أصدر المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى المنعقد بمكة المكرمة فى الفترة من : ٢١ إلى ٢٦ صفر الموافق : ٢١ إلى ٢٦ فبراير ١٩٧٦م — ١٣٩٦ه : قراراً يحرم التأمين التجارى و كذلك جاء فى توصيات أسبوع الفقه الاسلامى و مهرجان ابن تيمية ، المنعقد فى دمشق سنة ١٣٨٠ه تحريم التأمين التجارى ، و كذلك يرى تحريمه اللجنة الدائمة للبحوث العلمية و الافتاء بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

يشتمل التأمين على الغرر و الجهالة ، و القمار ، و الربا ، و بيع الدين بالدين ، وكذلك يتنافى التأمين مع قانون الميراث و الوصية الاسلامى .

الاتجاه الثالث : إباحة بعض أنواع التأمين دون الآخر (١) .

استدل هذا الفريق بأدلة الاتجاه الأول و الاتجاه الثانى ، فترجح عنده بعض أدلة الاباحة فى بعض أنواع التأمين .

و لما كانت العبرة بالدليل الشرعي ، لأنه لا عبرة بقول أحد لم يستند إلى دليل شرعى مؤسس على فهم صحيح للكتاب و السنة ، وكل يؤخذ بقوله و يرد إلا صاحب الرسالة السماوية الخالدة الأخيرة ، رأينا من المناسب أن نرجع الاتجاهات الثلاث إلى اتجاهين وهو الاباحة و التحريم ، لأن الاتجاه الثالث يدخل بعض أدلته فى أدلة الاتجاه الأول ، و بعض أدلته فى أدلة الاتجاه الثانى .

فسنعرض إن شاء الله دليل المبيحين فى المبحث الأول ، و دليل المحرمين

(١) ذهب الأستاذ نجم الدين الواعظ إلى إباحة التأمين من المسئولية الناشئة عن فعل الانسان ، و أباح الأستاذ أحمد طه السنوسى التأمين من المسئولية أيا كان سببها ، و أباح الاساتذة محمد مبروك ، و رامز ملك ، و محمد بن الحسن الحجوى التأمين من الأضرار سواء كان على الأشياء أو من المسئولية ، وأباح الأستاذ عبد الوهاب الخلاف التأمين على الحياة ، و أجاز الأستاذ محمد يوسف موسى إذا خلا من الربا ، كما أجاز الأستاذ محمد فرج السنهورى أنواع التأمين عدا التأمين على الحياة لصالح مستفيد غيرالمؤمن له وعدا التأمين الادخارى ، و ذهب الأستاذ عبد الله بن زيد آل محمود إلى جواز التأمين على السيارات و تحريم التأمين على الحياة .

فى المبحث الثانى فى فصل مستقل ، ثم نقوم بمناقشة أدلة الفريقين فى مبحثين مستقلين فى فصل مستقل ، وفقا لمبادىء و أصول الشريعة الاسلامية ، لذلك سوف لا نتعرض لبيان حكم الشريعة الاسلامية فى التأمين التعاونى و الاجتماعى فى هذا الباب ، بل يكون هذا الباب مقتصراً على بيان حكم الشريعة الاسلامية فى التأمين التجارى ، وسوف نتناول شرعية التأمين التجارى ، بشئ من التفصيل .

و نسأل الله أن يوفقنا للوصول إلى حكم صحيح فى هذه القضية الشائكة ، و يسدد خطانا ، وما توفيق إلى بالله ، عليه التكلان وهو المستعان .

المبحث الأول : أدلة المبيحين للتأمين

(١) الأصل فى العادات و المعاملات الاباحة :

قال الله تعالى : هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا (١) ، استدل بعض الباحثين (٢) على جواز التأمين بهذه الآية الكريمة ، و معناه هو الذى خلق لأجلكم جميع ما فى الأرض لتنفقوا به فى دنياكم بالذات أو بالواسطة و فى دينكم بالاعتبار و الاستدلال ، و أن هذه الجملة هى نص الدليل القطعى على القاعدة المعروفة عند الفقهاء « إن الأصل فى الأشياء الاباحة .

هذا الأصل يتبعه أن تكون معاملات الناس فيما خلقه الله لمنفعتهم مباحة إلا ما ورد فيه دليل بخصوصه يقتضى غير ذلك ، فمقتضى هذه القاعدة تكون عمليات التأمين مباحة لأنها من معاملات الناس فيما خلقه الله لمنفعتهم و لم يرد بخصوصها نص يحظرها .

---

(١) البقرة : ٢٩ .

(٢) عبد الرحمن عيسى فى أسبوع الفقه الاسلامى : ٤٧٥ مصطفى أحمد الزرقاء فى أسبوع الفقه الاسلامى : ٣٨٨

وأن الشرع الاسلامى لم يحصر الناس فى الأنواع المعروفة قبلا من العقود بل للناس أن يبتكروا أنواعا جديدة تدعوهم حاجتهم الزمنية إليها بعد أن تستوفى الشرائط العامة .

(٢) التأمين أساسه البر و التعاون :

قال الله تعالى : و تعاونوا على البر و التقوى (١) استدل بعض الباحثين بهذه الآية الكريمة على جواز التأمين و ذهبوا إلى أن التأمين أساسه التعاون والبر (٢) وقالوا هذا أمر مشروع جرى عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، و قد نشأت عن ذلك وزارة الأوقاف ، والجمعيات الخيرية لادارة شئون العقارات الموقوفة ، وأنشئت من غلات ذلك المستشفيات و الملاجئ و المبرات و صندوق الاحسان .

و لما كثرت مطالب الحياة وكثرت الحوادث فى نواحيها المختلفة فكروا فى إقامة الجمعيات التعاونية و شركات التأمين و إذا صح أن تتعاون طائفة من الناس فتمديد المساعدة لمن عجز عن الكسب أو وقعت به كارثة من الكوارث فى نفسه

---

(١) المائدة : ٢ .

(٢) الطيب حسن النجار ، و الدكتور محمد صادق فهمى فى أسبوع الفقه الاسلامى ص : ٤٩٩ وبهجت أحمد حلمى فى نفس المصدر : ٤٨٥ و مصطفى أحمد الزرقاء فى نفس المصدر : ٣٩٦ و محمد البهى فى كتابه : نظام التأمين فى هدى أحكام الاسلام و ضرورات المجتمع المعاصر : ٣٥ والأستاذ يعقوب شاه فى كتابه جند معاشى مسائل : ٢١٣ ، و الدكتور نجات الله الصديقى فى كتابه أنشورنس إسلامى معيشت مين : ٣٠ والدكتور محمد البهى فى كتابه : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر : ٤٣٠ ومحمد الحسن الفاسى فى الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى : ٥٠٦/٢ .

أو ماله دون التزام سابق منها ، فمن الأولى أن يصح ذلك منها إذا التزمته بعقد بينهما عن رضا و اختيار من الطرفين ، وما ذلك إلا التأمين .

إنما التأمين أمان لترميم آثار الاخطار إذا تحققت و وقعت وهو تحويل لهذه الاضرار عن ساحة الفرد المستأمن الذى قد يكون عاجزاً عن احتمالها إلى ساحة جماعية تخف فيها وطأتها على الجماعة إلى درجة ضئيلة جداً بحيث لا يحث بها أحد منهم ، فهو يشبه سفود الصاعقة الذى ينصب فى أعالى المبانى الرفيعة فيتلقى الشرارة الصاعقة فيحول طريقها لتسير على جسمه إلى البئر العميقة التى تنطفئ فيها فيضمحل بأسها و يتلاشى فى مقر تلك البئر التى كانت لها بمثابة القبر ، هذه هى الفكرة الفنية الابداعية لنظام التأمين و إنها فى الحقيقة امتثال لأمر الله تعالى الذى يقول فى محكم قرآنه « و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان » (١) ويتحقق التعاون فى شركات التأمين المسهامه بصورة غير مباشرة وذلك عن طريق القصاص بين التعويضات التى تدفعها الشركة عند تحقق الأخطار المؤمن منها و بين الأقساط التى تجبيها من المستامنين .

(٣) التأمين و التيسير ورفع الحرج و العسر :

ذهب بعض الباحثين (٢) إلى جواز التأمين على أساس أن الاسلام مبنى على اليسر و رفع الحرج و العسر ، لأن التأمين ضد الأخطار الشخصية فى الصناعات والمهن الخطيرة قد اشتدت إليه الحاجة وعظمت لمايدرؤه من الكوارث وما يخففه منها عن رجال الصناعات والمهن الخطيرة والأعمال فى المصانع الكبيرة ،

---

(١) سورة المائدة : ٢ .

(٢) عبد الرحمن عيسى فى أسبوع الفقة الاسلامى ص : ٤٧٨ و الفاسى فى الفكر السامى : ٢ / ٥١٢ .

لهذا يشق على الناس فى هذه الصناعات والمهن الخطيرة أن نمنعهم من ممارسة هذا النوع من التأمين الذى تطمئن به أفئدتهم وتستقر قلوبهم على أنفسهم كلا و بعضاً حتى يؤدوا أعمالهم ، فيكون جائزاً شرعاً رفعاً للحرج و العسر .

فقد قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (١) وقال تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج » (٢)

٤- التأمين و تنشيط الاقتصاد :

يرى بعض الباحثين (٣) .

أن الاقتصاد الصحيح يحتم على التجار و أصحاب المصانع الكبيرة ممارسة عمليات التأمين حفاظاً على أموالهم و دفاعاً لما قد ينزل بهم من خسائر تبدد ثرواتهم ، وتخرب العامر من بيوتهم ، كل هذا يحققونه بالتأمين لدى شركات التأمين فى مقابلة ما يدفعون لهذه الشركات من مال يتضائل بجانب ما يجنون من ثمرات مع اطمئنان قلوبهم و استقرارها من جهة المحافظة على ثرواتهم ولا يمكن فى هذا العصر ممارسة أى نوع من التجارة على المستوى العالمى أو انشاء مصانع كبيرة بدون التأمين .

« يتبع »

(١) البقرة : ١٨٥ .

(٢) الحج : ٧٨ .

(٣) عبد الرحمن عيسى فى أسبوع الفقه الاسلامى : ٤٧٦ والأستاذ يعقوب شاه فى كتابه : جند معاشى مسائل أور اسلام : ٢٢٠ و الدكتور نجات الله صديقى فى كتابه أنشور نس اسلامى معيشت مين : ٢٥ و محمد الحسن الفاسى فى كتابه الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى : ٢ / ٥٠٥ .

تجلى الحياة الروحية الاسلامية

عبر التاريخ - نظرة عامة

بقلم : عبد الحليم عويس
الأستاذ بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (بالرياض)

[قدم هذا البحث فى ملتقى الفكر الاسلامى الواحد و العشرين - بالجزائر - وفيه استعراض تاريخى لنزعة الزهد و التصوف التى برزت خلال القرون المتأخرة ، و بحث فيه الكاتب الكريم عن « الربانية » التى مصدرها الكتاب و السنة ، و عن مصطلح التصوف الذى اخترعه بعض المتأخرين ، ثم اتخذه البعض ذريعة لكسب المنافع الرخيصة من الدنيا ،] التحرير

توطئة :

ليس من شأننا أن نتتبع نشوء التصوف - أو نزعة التركيز على الجانب الوجدانى و العاطفى و الانعزالى - منذ ظهر فى تاريخنا الاسلامى ، و إن كنا نؤمن بقدر كبير من اليقين أن هذا النزوع - كنهج متميز - لم يظهر فى تاريخنا طيلة القرن الهجرى الأول و لا فى عصر الدولة الأموية بصفة عامة ، و ليس معنى ذلك أننا نمضى مع تلك الآراء التى ترى أن الصوفى أبا هاشم الكوفى المتوفى سنة ١٥٠ هـ كان أول من تسمى بالصوفى ، و أنه يمثل حداً فاصلا بين الزهاد من رجال التصوف و بين غيرهم ممن ساروا سيرة السلف .

و يرى بعضهم أيضاً أنه قريباً من منتصف القرن الثانى الهجرى بنى أول « خانقاه » للصوفية بالرملة فى فلسطين .

و الذى يهمنا هنا أن نوضح أن الزهد فى الدنيا و الاستعلاء عليها ظهر منذ ظهور الاسلام ، لكنه لم يمثل تياراً مستقلا و لا نزعة مذهبية خاصة طيلة قرن و نصف من تاريخنا الاسلامى ، فلم يقل أحد إن ورع الصحابة و التابعين وزهدهم كان شيئاً متميزاً عن بقية النسيج الاسلامى ، بل كان الزهد والاستعلاء مجرد خيطين من خيوط هذا النسيج و بهذا الزهد فتح المسلمون الدنيا حين أعطوا الدنيا حجمها الحقيقى ، و نظروا إليها على أنها مجرد معبر و قنطرة ، و أنها وسيلة لا غاية ، و أنها لا تستأهل عمر الانسان كله ، بل إن ما عند الله خير و أبقى ، و حتى الامام الحسن البصرى الذى يعد فى نظر الكثيرين أشهر ممثلى حركة الزهد فى الصدر الأول فقد حظى بحب المسلمين جميعاً له و بتقديرهم لشخصيته المتوازنة ، وقد كانت له فى ساحة الاصلاح و التربية مواقف مشكورة مأجورة ، مع أنه كان ينزع إلى حياة روحية خالصة فى عبادته (١) .

لكن الأمور قد تطورت مع بداية النصف الثانى من القرن الثانى تطوراً واضحاً ، و بدأت حركة الزهد التى سارت حتى نهاية النصف الأول من القرن الأول وفقا لقواعد الدين ، بدأت تفهم الزهد لدى كثير من ممارسيه على أنه ليس استعلاء على الدنيا و إخضاعاً لها لكلمة الله و تضحية بالحياة الفانيــة من أجل الآخرة الباقية - بل فهمت الزهد على أنه رفض للحياة الدنيا و انعزال عنها وترك لساحة الجهاد فى صف الحق ضد ساحة الباطل الواسعة الممتدة ، وبدأ هذا الفهم يشق طريقه و يزداد أعواناً و أتباعاً حتى أصبح هو الغالب والمسيطر ، و لم يعد

(١) رينولد نيكو لسون : فى التصوف الاسلامى و تاريخــه ص ٣ طبع القاهرة ١٩٥٦ .

النسيج الاسلامى المتوازن الذى لا يمثل الزهد إلا خيطاً من خيوطه هو النسيج السائد كما كان الأمر فى الجيل الأول ، بل بولغ فى تكثيف خيط الزهـد على حساب الخيوط الأخرى التى بدأت تدق و ترق إلى جانبه .

و بدأ يظهر الخلل فى مفهوم الزهد و فى معناه ، وبدأ هذا الخلل يتسرب إلى سائر أعضاء الجسم الاسلامى ، و بالطبع فان الجيل الأول من المتصوفة لا يتحملون كثيراً من تبعة هذا التطور ، فقد كانت كثرة منهم برئية منه ، حريصة على تحقيق الانسجام و التوازن و التكامل بين الخيوط ، فقـد كان زهد إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦١هـ ، وداود الطائى المتوفى سنـة ١٦٥ هـ ، و الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، و شقيق البلخى المتوفى سنة ١٩٤ هـ ، وغيرهم زهداً معتدلا بالرغم من أنهم ذهبوا فى أساليب الزهد و الرضى إلى أبعـد حد ممكن لكنهم ـ مع ذلك كانوا بعيدين عن الأحوال و الآراء و النظريات التى ظهرت فى التصوف فى العصر المتأخر (١) .

و خلال القرن الثالث الهجرى بدأ واضحاً أن التصوف ظهر كنزعة مستقلة و أنه بدأ يدخله من التأثيرات غير الاسلامية شئ ما ، و بدأت بعض المفـاهيم غير الاسلامية تظهر مختلطة بالمفاهيم الاسلامية ، و بدأ الزهد ينتقل من حركة فردية إلى تيار جماعى ، و قد حفل القرن الثالث بعدد كبير من مشايخ الصوفية من أمثال ذى النون المصرى المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، الذى يعـد من أكبر الشخصيات التى شكلت المذهب الصوفى من أمثال أبى تراب النخشبى المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، و بشر الحافى المتوفى سنـة ٢٢٧ هـ ، و سرى السقطى المتوفى سنة ٢٥٣هـ ، و يحيى بن معـاذ الرازى المتوفى سنـة ٢٥٨هـ ، وأبو يزيد أو با يزيد

(١) المرجع السابق ص ٤ .

البسطامى المتوفى سنة ٢٦١هـ وأبو حفص الحداد المتوفى حوالى سنة ٢٦٥هـ وحمدون القصار المتوفى سنة ٢٧١هـ و أبو سعيد الخراز المتوفى سنة ٢٧٧هـ أو ٢٧٦هـ و أبو حمزة البغدادى المتوفى سنة ٢٨٩هـ و سهل بن عبد الله التسترى المتوفى سنة ٢٧٣ أو ٢٨٣هـ أو ٢٩٣هـ وأبوالحسين النورى المتوفى سنة ٢٩٥هـوالجنيد البغدادى المتوفى سنة ٢٩٧هـ و عمرو بن عثمان المكى المتوفى سنة ٢٩١ أو ٢٩٧ او ٣٠١هـ و أبو عثمان الحيرى المتوفى سنة ٢٩٨هـ و ممشاد الدينورى المتوفى سنة ٢٩٩هـ .

و لكن مع تلك التأثيرات غير الاسلامية يمكن القول إجمالا بأن صوفية هذا العصر قد اتخذوا القرآن والسنة ميزاناً لجميع ما يقولون فيه من بحوث نظرية وما يحسون به من حالات وجدانية، وكانت نتيجة ذلك أنهم عنوا بوجه خاص بناحية الزهد و العبادة و الناحية الأخلاقية فى التصوف ، يقول سهل بن عبد الله التسترى : « بنيت أصول مذهبنا على ست : التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، و أكل الحلال و عدم إيذاء الخلق و لو آذونا ، و البعد عما نهى الله عنه، و التعجيل بالحقوق » ،و يقول الجنيد : « ما أخذنا التصوف عن القيل و القال ، لكن عن الجوع و ترك الدنيا و قطع المألوفات و المستحسنات » (١) .

ولهذا نحن نستبعد بعض ما نسب إلى متصوفة هذا العصر من مثل ما نسب إلى ذى النون المصرى من أنه قال : « طاعة المريد لشيخه فوق طاعته لربه » (نقلا عن تذكرة الأولياء ١/ ١٧١) ، فمثل هذا القول يتنافى مع الأصول التى ذكرها سهل التسترى و الجنيد .

---

(١) راجع القشيرى مثلا ص ١٧ و نفحات الأنس ص ٤٣ لجامى ، وتذكرة الأولياء ١ / ٣٢٩ (نقلا عن المرجع السابق) .

و خلال القرنين الرابع و الخامس دخل التصوف بمجالات جديدة ، و بدأ الكلام يظهر عن الشريعة و الحقيقة و الطريقة . . . و هذا يمثل منعطفاً جديداً ابتعدت به جمهرة كبيرة من الصوفية عن المنهج الاسلامى ، و تأثرت فيه بحركات الباطنية و التأويل و التأثيرات الفارسية و النصرانيـــة ، و هذا ما جعل رد فعل آخر قوى يظهر فى العالم الاسلامى ممثلا فى المذهب الظاهرى الذى قام على رفض التأويل و تفسير النصوص بظاهر دلالتها اللغوية ، و أياً كان الأمر فان الاتجاه الذى قال بأن صور العبادات لا قيمـــة لها إلا من حيث دلالتهـا على حقائق روحية إتجاه مقتبس من الاسماعيلية الباطنية ، و كان من نتيجته ظهور قوم نسبوا إلى التصوف زوراً و بهتاناً قالوا برفع التكاليف الدينية و الركون إلى الحقيقـــه ليس الشريعة ، على أن أصحاب هذا الاتجاه كانوا قلة مرتدة لم يؤبه بها و قـــد قاومها الصوفيون الصادقون أنفسهم ، فقد كان جمهور الصوفية يرون أن التحقق الكامل بالحقيقة لا يتعـارض مع أوامر الشرع فحسب ، بل إن مراعاة الشرع لا يتجزأ من نظامهم الصوفى العام (١) .

و قد استطاع الامام أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ - مع بعض التحفظات - أن يقف ضد هذا التيار الباطنى وأن يمزج التصوف بالقرآن والحديث مزجاً تاماً ، مستخرجاً من المجموع مادة واحدة (٢) .

ومهما يكن من رأى فان أبا حامد الغزالى قد نجح فى نقطتين لا خلاف حول نجاحه فيهما : الأولى : تقديسه للشريعة ، و الثانية : وقوفه فى وجه مذهب وحدة الوجود ، و أن العبد عبد و الرب رب ليس كمثله شئ .

الصوفية و العمل الاجتماعى و التربوى :

إن زهد المسلم أمر فردى و تربية ذاتية ، وهذا الزهد لا يمنعه و لا يعطيه

(١) نيكولسون : فى التصوف الاسلامى و تاريخه ٧٧

(٢) المرجع السابق ٨٣ .

الحق فی الانعزال عن الحیاة و رفض مناصرة الحق فیها و إیثار الفقر و الذل علی الغنی والقدرة والعزة ، ولیس زهداً إطلاقاً هذا الزهد الذی لا یقدر صاحبه علی العطاء و الفاعلیة و الانتاج فزهد الفقیر کذب لا معنی له بل الزهد یکون مع القدرة و الغنی ، و قد کان عبد الله بن المبارك رحمه الله من أغنی الناس و أکثرهم تجارة و عملا و ربحاً وکان أیضاً من أکثرهم زهداً ، و قبل عبد الله بن المبارك کان الخلیفتان : عمر بن الخطاب و عمر ابن عبد العزیز رضی الله عنهما من أکثر الناس قدرة و امتلاکاً و عطاءاً و زهداً ، و لم یرفض واحد من هؤلاء العمل الاجتماعی و خدمة الناس و تحمل أضخم المسئولیات دون أن یتظاهر أحدهما بالزهد أو یضع لنفسه شارة معینة ، و لذلك حین رأت الشفاء بنت عبد الله طائفة یسمون أنفسهم بالنساك و وجدتهم یسیرون فی الشوارع خانعین منطوین فسألت عنهم فقیل لها إنهم النساك ، فأجابت : کان و الله عمر بن الخطاب إذا تکلم أسمع ، و إذا ضرب أوجع ، و إذا مشی أسرع و هو الناسك حقاً .

و قد کانت للمجاهد الصوفی « سهل التستری » جهود ضخمة ضد جماعات المتدعة المارقین أدعیاء الصلاح والزهد الذین یطلبون الدنیا - مع التظاهر بالزهد - من أخس الطرق ، و أسوأ السبل ، و قد أصدر کتاباً بعنوان « المعارضة و الرد علی أهل البدع و أهل الدعاوی فی الأحوال » (١) .

و قد وقف کثیر من الزهاد فی وجه موجات الفساد و المنکر و النفاق ، ، للتستری فی کتابه « التراث الصوفی » کلام طیب فی هذه المجالات و من قوله : « و اعلموا یقیناً أنکم لن تجدوا فی زمانکم من یعمل بعلمه إلا ما شاء الله وکل من کان أکثر علماً کان أسوأ حالا » قیل و کیف ذلك ؟ ولم صار هکذا

(١) نشره الدکتور محمد کمال جعفر القاهرة ١٩٨١م .

قال : « لأنهم صيروا عليهم مأكلة لحم أو طلب رياسة أو متاع الدنيا أو رياء و سمعة و تركوا الأمر الأول و آثروا الدنيا على الآخرة »(١) .

و يقول التسترى ايضاً : « سيكون فى آخر الزمان العلماء ثلاثة أصناف صنف منهم عرفوا المنكر فأنكروه بقلوبهم ، وقوم منهم عرفوا المنكر فيهم فخالطوهم عليه ، و قوم عرفوا المنكر فأنكروه بالعلم جهدهم ، و هؤلاء أعز من الكبريت الأحمر » (٢) .

و قد كان الحسن البصرى رضى الله عنه إماماً فى تغيير المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد كان يفضل سياسة تغيير المنكر بأقل قدر ممكن من الخسائر لأن درأ المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، فلهذا كان يقول للناس : « إن الحاكم الظالم إما أن يكون عقوبة من الله ، و العقوبة لا ترد بالثورة عليها ، و إما أن يكون بلاء يستأهل الصبر حتى يحكم الله » ، وحين سنحت له الفرصة ليعظ الوالى ابن هبيرة نصحه بأحكم قول و أشجعه لسياق واحد على خلاف مداراة صاحبيه فى نصيحة ابن هبيرة ، و هما ابن سيرين و الشعبي ، و من الطريف أن ابن هبيرة أعطى الحسن أكثر من زميليه مع أنهما قالا له قولا ليناً ، فقال زميلاه فى ذلك سفسفنا له فسفسف لنا (٣) ، وعلى خطا الحسن البصرى كان الفضيل بن عياض مع خلفاء بنى العباس نصحاً و توجيهاً ، و كان يقول : لو أن لى دعوة مستجابة ما صيرتها إلا فى الامام (يقصد أن فى صلاح الامام صلاحا للعباد والبلاد) و حكايات الفضيل بن عياض مع هارون الرشيد عديدة و متنوعة ، و عند ما

(١) سهل التسترى ، التراث الصوفى-٢/٩٣ القاهرة ١٩٦٧ بتحقيق محمد كمال جعفر .
(٢) من التراث الصوفى ٢/١٣٥ .
(٣) انظر الحلية ٢/١٤٩ نقلا عن الدكتور أبو اليزيد العجمى : الأصول الفكرية للجانب الاجتماعى فى التصوف الاسلامى - رسالة دكتوراه بدار العلوم ص ٣٤٥ .

قال له هارون الرشيد عظنى قال له الفضيل : ماذا أعظك ؟ هذا كتاب الله بين الدفتين ، انظر ماذا عمل بمن أطاعه و ماذا عمل بمن عصاه ؟ . . . . إنى رأيت الناس يغوصون على النار غوصاً شديداً و يطلبونها طلباً حثيثاً . . . أما و الله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها ، فقال له هارون : عد إلى ، قال الفضيل : لو لم تبعث إلى ما أتيتك ، و إن انتفعت بما سمعت منى عدت إليك .

و قد قال له الرشيد يوما : ما أزهدك ، فقال له الفضيل : أنت أزهد منى . . . قال الرشيد و كيف ذلك ؟ ! . قال الفضيل : لأنى أزهد فى الدنيا ، و أنت تزهد فى الآخرة ، و الدنيا فانية ، و الآخرة باقية (١) .

وقد كانت لذى النون المصرى مواقف أيام الخليفة المتوكل العباسى كما كانت لحاتم الأصم مواقف أيام الرشيد أيضاً ، و قد رفض سهل التسترى علاج الحاكم ابن الصفار حتى يرد كل مظلمة للناس عنده ، ثم لما عالجه عرض عليه مالا و ثياباً فلم يقبلهما (٢) .

و أما بشر بن الحارث فقد رفض لقاء الخليفة المأمون ، كما أن أبا الحسين النورى قال للخليفة الموفق عند ما طلب إليه أن يعرض حاجته . . فقال له : حاجتى أن تنسانى ! !

و القول نفسه قاله أبو الحسين النورى (٢٩٠هـ) عند ما سأله الخليفة الموفق عن حاجته . . فقد قال له : إن حاجتى إليك هى أن تنسانى فلا ترانى مقرباً بقبولك و لا مطروداً بهجرك و قد كانت للامام أبى حامد الغزالى مواقف رائعة فى الثبات على الحق و الجهر به فى وجه المنكر ، دون أن يخشى فى الله لومة لائم . . ومن ذلك نصحه لأحد ملوك خراسان ، فقد قال له : يا أسفا ،

(١) ابن خلكان « وفيات الأعيان » ترجمة رقم ٥٠٤ .

(٢) ابن اليزيد العجمى : الأصول الفكرية للجانب الاجتماعى فى التصوف الاسلامى : رسالة دكتوراه ٢٥١ .

إن رقاب المسلمين و كادت تسقط بالمصائب ، و رقاب خليلك كادت تسقط بالأطواق الذهبية ، كما كتب إلى أمير مدينة طوس بخراسان يقول له « إعلم أن مدينة طوس اصبحت خراباً بسبب المجاعات و الظلم ، و إن دعاء أهل مدينة طوس مجرب بالخير و الشر . . . فاتق الله » — و قد كانت للشيخ الجيلانى مواقف مع بعض الخلفاء ، وعند ما ولى الخليفة المقتضى قاضياً ظالماً قال له من فوق المنبر ! وليت على المسلمين أظلم الظالمين ، ما جوابك عند رب العالمين أرحم الراحمين . . فارتعد الخليفة و بكى و عزل القاضى الظالم (١) .

و على الدرب نفسه من الجهاد بالكلمة ، والأمر بالمعروف، كان أبو الحسن الشاذلى ، و له مواقف مع السلاطين كثيرة مشهورة .

و قد كان للصوفية فى اليمن خلال القرنين السادس والسابع الهجريين أثرهم البالغ فى تغيير نظام الحكم و أسلوبه ، فالمؤرخون يذكرون تلك الصداقة الوطيدة بين مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور بن عمر بن على بن رسول (٦٢٩-٦٤٧هـ) و بين الفقيه الصوفى محمد بن أبى بكر الحكمى (٦١٧هـ) و صاحبه الصوفى محمد ابن حسين البجلى (٦٢١هـ) ويقال إنهما اللذان قويا عزمه فى الاستيلاء على الحكم بعد مشاهدتهما تعنيت نظام الحكم السابق و فساده و بهذا تدين الدولة الرسولية للصوفية فى ظهورها (٢) .

و أياً كان الأمر ، فقد اجتهد كثير من الصوفية فى تغيير الأحوال و تربية أنفسهم و ذويهم . و فى الاصلاح الاجتماعى بالوسائل الحكيمة . . و قد وجدوا أن من بين منافذ التغيير الاجتماعى نصح الحكام و توجيههم وبيان الرأى فيهم ، و هو الأمر الذى يتطلب شجاعة لا يملكها إلا الزاهد فى الدنيا (٣) .

(١) انظر عامر النجار : الطرق الصوفية فى مصر ٢٠٧ نشر مصر ١٩٧٦م .

(٢) أبو اليزيد العجمى : الأصول الفكرية للجانب الاجتماعى فى التصوف الاسلامى (رسالة دكتوراه بدار العلوم بالقاهرة ص ٢٥٥) .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٠.

مقدمة سنن الترمذى

أو

كتاب العلل الصغير للامام الترمذى (٢٠٩ - ٢٧٩هـ)

الأستاذ السيد صهيب الحسينى الندوى

الفصل الأول

فى أن أحاديث سنن الترمذى كلها معمول بها ما خلا حديثين

قال أبو عيسى : جميع ما فى هذا الكتاب (١) من الحديث فهو معمول به (٢) ، و قد اخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين .

١- حديث ابن عباس (٣) - رضى الله عنهما - .

---

(١) أى كتاب السنن ، و قد أخطأ من ظن أن الاشارة إلى هذه الرسالة السماة « بالعلل الصغير » فان الأحاديث التى يشير إليها الامام الترمذى ليست هى إلا فى كتابه السنن لا فى العلل الصغير .

(٢) فى ت ع « (هو معمول به ، و به أخذ بعض أهل العلم) .

(٣) هو الامام البحر ، عالم العصر أبو العباس الهاشمى ابن عم رسول الله - ﷺ - و أبو الخلفاء ، مات رسول الله - ﷺ و لعبد الله ثلاث عشرة سنة .

روى عن النبي - ﷺ - وعن ابيه وعن امه - ام الفضل - و اخيه الفضل و خالته ، ميمونة و أبى بكر و عمر عثمان و على و عبد الرحمن بن عوف و معاذ بن جبل و غيرهم .

و روى عنه أبو امامة بن سهل بن حنيف وسعيد بن المسيب عكرمة و عبد الله بن الحارث ، و فاطمة بنت الحسين بن على و خلائق .

و قد دعاله النبي - ﷺ - أن يفقهه الله فى الدين ويعلمه التأويل . ★

أن النبي - ﷺ - جمع بين الظهر و العصر بالمدنية ، و المغرب و العشاء من غير خوف و لا سفر و لا مطر (١) .

٢- و حديث النبي - ﷺ - إنه قال :

« إذا شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه » (٢) .

قال أبو عيسى : و قد بينا علة الحديثين جميعاً فى الكتاب (٣) .

الفصل الثانى

فى أسانيد الامام الترمذى إلى الأئمة الفقهاء

قال أبو عيسى : وما ذكرنا فى هذا الكتاب من اختيار الفقهاء .

★ قال ابن مسعود - رضى الله عنه - .
نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

وقال أبو نعيم : مات سنة ثمان وستين ، وصلى عليه محمد بن الحنفية ، و قال : مات ربانى هذه الأمة و كان موته بالطائف ، انظر : تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٧٦ - ٢٧٨ .

(١) أخرجه الترمذى فى السنن (باب ما جاء فى الجمع بين الصلاتين) ج ١ ص ٣٥٥ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه (باب جواز الجمع بين الصلاة فى السفر) الجزء ٥ ص ٢١٥ ، وأخرجه مالك فى المؤطأ (باب الجمع بين الصلاتين فى الحضر والسفر) ج ١ ص ١٢٣ ، و أخرجه أبو داود فى السنن ج ١ ص ١٧١ ، و النسائى فى السنن ج ١ ص ٩٩ .

(٢) أخرجه الدارمى فى السنن ج ٢ ص ١٧٥ - ١٧٦ ، و أحمد فى المسند ج ٤ ص ٢٨٩ ، و أبو داود فى السنن ج ٢ ص ٦١٦ و ابن ماجة فى السنن ج ٢ ص ٨٥٩ .

(٣) أى كتاب السنن .

أسانيد الامام الترمذى إلى سفيان الثورى .

فما كان فيه من قول سفيان الثورى (١) فأكثره ما حدثنا به :

١ـ محمد بن عثمان الكوفى (٢) ، حدثنا عبيد الله بن

---

(١) سفيان الثورى (٩٧ - ١٦١هـ) .

هو شيخ الاسلام ، سيد الحفاظ سفيان بن سعيد بن مسروق ، أبو عبد الله الثورى ، ثور مضر لا ثور همدان ، الكوفى الفقيه .

روى عن ابيه و زبيد بن الحارث و حبيب بن أبى ثابت والأسود بن قيس و غيرهم .

و روى عنه ابن المبارك و يحي القطان ، و ابن وهب و وكيع و الفريابى و قبيصة و أبو نعيم ، و خلائق .

قال شعبة و يحي بن معين و جماعة :

« سفيان أمير المؤمنين فى الحديث » .

و قال ابن المبارك :

« كتبت عن ألف مائة شيخ ما فيهم أفضل من سفيان » .

« و قال سفيان بن عيينة : ما رأيت أعلم بالحلال و الحرام من سفيان الثورى » .

أنظر : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٣ .

(٢) محمد بن عثمان (- ٢٥٤هـ) .

محمد بن عثمان بن كرامة العجلى مولاهم أبو جعفر ، و قيل أبو عبد الله الكوفى .

روى عن أبى أسامة و عبد الله بن نمير و محمد بن بشر العبدى و محمد و يعلى ابنى عبيد الطنافسى و غيرهم .

موسی (١) عن سفیان . و منه ما حدثنی به :

٢- أبو الفضل مكتوم بن العباس الترمذی (٢) ، حدثنا محمد بن یوسف

و روی عنه البخاری فی الصحیح حدیثاً واحداً ، و أبو داود والترمذی وابن ماجة و إبراهیم الحربی والحسن بن علی الطوسی وغیرهم .

قال أبو حاتم : صدوق ، و ذکره ابن حبان فی الثقات .

و قال مسلمة :

بغدادی ، ثقة . أنظر تهذیب التهذیب ج ٩ ص ٣٢٨ .

(١) عبید الله بن موسی (١٢١ - ٢١٣هـ) .

الحافظ الثبت ، أبو محمد العبسی مولاهم الکوفی ، المقریء العابد من کبار علماء الشیعة .

روی عن هشام بن عروة و اسمعیل بن أبی خالد و الاعمش و ابن جریج و الاوزاعی و طبقتهم .

و روی عنه البخاری ثم أروی هو و باقی الجماعة فی کتبهم عن رجل عنه وحدث عنه أحمد و اسحاق و یحیی و ابن أبی شیبة و عباس و الدارمی و خلائق .

قال أبو حاتم : ثقة ، صدوق .

و قال العجلی : « کان عالماً بالقرآن ، رأسا فیه ما رأیته رافعاً رأسه ، و ما رؤی ضاحکا قط » .

و قال أبو داؤد : کان شیعیاً محترقاً ، أنظر : تذکرة ج ١ ص ٣٥٣ - و تهذیب ج ٦ ص ٥٠ .

(٢) أبو الفضل مکتوم بن العباس .

مکتوم بن العباس أبو الفضل المروزی ، و یقال : الترمذی .

الفريابي (١) عن سفيان .

أسانيد الامام الترمذی إلى مالك بن أنس :

و ما كان فيه من قول مالك بن أنس (٢) فأكثره ما حدثنا به :

روى عن أبي صالح عبد الله بن صالح المصری ، و محمد بن يوسف الفريابي .

وروى عنه الترمذی. انظر: تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٨٩.

(١) محمد بن يوسف الفريابي . (١٢٠ - ٢١٢ھ) .

العابد شيخ الاسلام ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن واقد الضبي مولاهم التركی ، نزيل قيسارية من مدائن فلسطين .

أخذ عن عمر بن ذر ، والأوزاعي والثوری ، وجرير بن حازم وغيرهم .

و روى عنه ابن وارة ، والبخاری و عباس الترقفی و عبد الله بن محمد بن سعد وامم سواهم ، قال البخاری : كان من أفضل زمانه ، وقال و قال ابن زنجويه : ما رأيت أورع منه . انظر : تذكرة ج ١ ص ٣٧٦ و تهذيب ج ٩ ص ٥٣٥ .

(٢) مالك بن أنس (٩٢ - ١٧٩ھ)

امام دار الهجرة ، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن حارث أبو عبد الله الاصبحی المدنی الفقيه ، و هم حلفاء عثمان بن عبيد الله التيمی أخی طلحة - رضی الله عنه - .

روى عن نافع و المقبری و نعيم المجمر ، و الزهری و عامر بن عبد الله بن الزبير ، و ابن المنكدر و عبد الله بن دينار و غيرهم .

و روى عنه امم لا يكادون يحصون ، منهم :

رفعت الصحف نفس الحجج الواهية عند ما أعلن الرئيس ضياء الحق فى باكستان نيته بانشاء نظام إسلامى للحكم ، و رفعت هذه الحجج الواهيــة عند ما أعلن الرئيس ارشاد ، فصارت ضجة فى العـالم كله ، كان حرباً عالمية كبرى على الأبواب .

و مثل هذه المخاوف ثارت بالانتفاضة فى اسرائيل و اشتراك عـــدد وجيه من أصحاب الاتجاه الاسلامى فيها ، و ارتفـاع هتافات إسلاميـــة فى العمليات ، فصارت هذه الانتفاضة التى لم تتجاوز الحجارة ، و لم تستخدم فيها اسلحة خفيفة و لا ثقيلة ، و لا قنابل ، أخطر من حرب معلنة ، وفقدت اسرائيل الأعصاب ، و علقت معظم صحف أوربا على الحوادث ، و حذرت اسرائيل من نتائجها .

كان هذا الخوف مسئولا إلى حد كبير عن اتجاه الدول الكبرى إلى حل قضية افغانسان ، وإقامة حكومة علمانية فى البلاد ، قبل أن يحقق المجاهدون النصر النهائى ، و يوسعوا دائرة إدارتهم و يفرضوا سيطرتهم عـلى كابل ، و هو ضـــد مصلحة كل من روسيا و الدول الأوربية التى تساند المجاهدين ، و فالتقت فى هذا الأمر مصلحة الغرب و الشرق .

إن هذا الخوف من الاسلام يرجع إلى قرون عديدة من حملة الكراهية و الحرب العلمية التى شنت على الاسلام و المسلمين ، و عرض التاريخ الاسلامى عرضاً مضللا ، و تصوير واقع العالم الاسلامى و ماضيه تصويراً قاتماً ، فرسبت فى ذهن كل مثقف صورة سيئة عن الاسلام، وهى صورة تختلف عن الواقع .

و الواقع أن المجتمع الاسلامى رغم التنفيـذ الجزئى للتعاليم الاسلاميـــة لا يزال فى نجوة من المساوى و الشقاء الاجتماعى الذى يسود مجتمعات أخرى ، وقد اعترفت أخيراً واشنطن يوست فى تحليلها للواقع فى بلد إسلامى و بلد أوربى

أن نسبة الحوادث ، و الشقاء و الظلم ، أقل بكثير فى البلد الاسلامى من البلد الأوربى الراقى بنفس عدد السكان ، وكان النموذج فى هذه المقارنة المملكة العربية السعودية حيث كانت حوادث القتل والخطف ، والقهر ، و السرقة ، والاختلاس و الفساد أقل من أى بلد آخر رغم الفوارق فى التعليم و التقدم الحضارى .

من الأدلة التى يرفعها هؤلاء المعارضون ضد الحكم الاسلامى وجود أقليات فى البلدان الاسلامية ، لأنهم يتصورون أن فرض الاسلام يشمل غير المسلمين ، وأن الأقليات ستجبر على اتباع الشريعة الاسلامية ، وهو دليل لا سند له من التاريخ ، و لا من واقع المسلمين اليوم ، فان الأقليات تمتعت فى جميع عصور التاريخ الاسلامى بحقوق مثالية ، وهى فى العالم الاسلامى اليوم تتمتع بحقوق لا يتمتع بها المسلمون فى بلدان غيرهم ، و لا يخفى على أحد ما يقاسيه المسلمون فى بلغاريا ، و اتيوبيا . و الفلبين و سيام ، و عدد من البلدان الأوربية التى لا يسمح لهم فيها باقامة صلاة بالجماعة ، وإقامة مسجد جامع ، أما القيود على الحجاب و اللحية ، و التعليم الاسلامى ، و الدعوة الاسلامية ، و إنشاء تنظيمات دينية فهى مفروضة فى عدة بلدان أغلبية سكانها من المسلمين بتأثير الدول الأوربية .

وإذا زار أحد المناطق التى يعيش فيها غير المسلمين فى باكستان ، وبنغلاديش و أفغانستان ، و دول الخليج ، صادف نشاطاً ملموساً لغير المسلمين فى التجارة ، و الاقتصاد ، و الادارة ، و تضاعف هـذه النفوذ فى بعض المناطق بحيث إن الأقليات سيطرت على عدة مجالات الحياة ، و توجـد لها معابد ، و مدارس ، و من يجهل انتشار الارساليات المدعمة بأحدث الوسائل ، و مؤسساتها الاجتماعية المختلفة و نواديها ، فى العالم الاسلامى و منه بنغلاديش و باكستان ، و اندونيسيا وتحويل عدد ملحوظ من السكان إلى المسيحية ، ولا تخفى الوكالات التنصيرية هذه

٣- موسى بن حزام (١) ، قالا : حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي (٢) ، ع
مالك بن أنس .

« يتبع »

---

(١) موسى بن حزام .

موسى بن حزام الترمذى ، أبو عمران الفقيه نزيل بلخ .

روى عن حسين بن على الجعفى و زيدبن الحباب و أبى أسامة و عبد الله بن مسلمة القعنبي و أبى نعيم و غيرهم .

وروى عنه البخارى مقرونا بغيره والترمذى والنسائى وأحمد بن سيار وغيرهم .

قال الترمذى : حدثنا موسى بن حزام ، الرجل الصالح .

و قال النسائى : « ثقـــة »

انظر : تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٤٠ .

(٢) عبد الله بن مسلمة القعنبي (١٣١ - ٢٢١هـ) .

شيخ الاسلام الحافظ عبدالله بن مسلمة ، أبو عبد الرحمن الحارثى القعنبي المدنى ، نزيل البصرة ثم مكة .

روى افلح بن حميد و ابن أبى ذئب و سلمة بن وردان و مالك بن أنس و غيرهم .

و روى عنه الذهلى و أبو زرعة و البخارى و أبو داود و مسلم بن الحجاج و امم سواهم .

قال أبو زرعة : « ما كتبت عن احد أجل فى عينى من القعنبى » .

و قال ابن معين : ما رأينا من يحدث لله إلا وكيعا و القعنبي .

انظر : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٨٣ - وتهذيب ج ٦ ص ٣١ .

حساسية زائدة ضد الاسلام

واضح رشيد الندوى

ثارت تساؤلات و تكهنات كثيرة إثر الاعلان الدراميتكى للجنرال حسين محمد ارشاد رئيس بنغلاديش بتحويل بنغلاديش إلى بلد إسلامى و صياغة دستور يتطابق مع الشريعة الاسلامية، واتخاذ الرئيس ارشاد لايضاح اتجاهه الجديد ، عدة اجراءات منها عطلة الجمعة بدلا من الأحد ، و تحويل الصليب الأحمر إلى الهلال الأحمر، وإصلاحات عديدة فى النظام، و وعده بضمان حقوق الأقليات فى البلاد، التى تشكل أقل من عشرة فى المائة ، فى البلد الذى يبلغ عدد سكانه مائة مليون نسمة .

ظهرت فى الصحف بعد هذا الاعلان المفاجئ تعليقات وتحليلات متنوعة ، و كان من الطبيعى أن يكون رد فعل الصحف الهندية ، و الأوروبيـــة المسيحية معاكساً لهذا الاعلان، لأن إعلان العودة إلى الاسلام وإن كان فى الظاهر، يشكل خطراً كبيراً فى تصور غير المسلمين، و ذلك لأن تصور الاسلام فى ذهنهم تصور مخيف . فلا يفهمون من الاسلام إلا الأسواط ، والحجاب ، والجهاد، و الجزية ، والرجعة إلى الماضى فيعتبرون العودة إلى الاسلام عودة إلى عهد الابل، والصحراء، و تتجدد فى ذهنهم الحروب الصليبية التى انهزمت أوربا فيها مجتمعة ، و سيـادة المسلمين على معظم بقـاع العالم ، و تتجدد فى ذهنهم قصص القهر و الاجبـار ، و الاستعباد ، لأن كتب اعداء الاسلام و إعلامهم يحملهم على هـــذا الخوف و يسوقهم شبح الخوف إلى الاحتجاج و رفع الانذار كلما أعلن رئيس حكومة بتطبيق الشريعة. أو اتخاذ الاسلام كدستور البلاد، أو إذا تصعد نشاط الاسلاميين فى أى بلد .

١ـ اسحاق بن موسى الأنصارى (١) ، حدثنا معن بن عيسى القزاز (٢) عن مالك بن أنس .

ابن المبارك ، و القطان و ابن مهدى ، و ابن وهب و ابن القاسم و القعنبى و خاتمة أصحاب أبو حذافة .

قال الشافعى : « إذا ذكر العلماء ، فمالك النجم » .

و قال : ما فى الأرض كتاب أكثر صوابا من موطا مالك .

و قال عبد الرزاق .

فى حديث يوشك الناس أن يضربوا اكباد الابل فى طلب العلم فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة فكنا نرى انه مالك . انظر : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٧ - و تهذيب ج ١٠ ص ٥ .

(١) اسحاق بن موسى الأنصاى (- ٢٤٤هـ) .

الفقيه الحافظ الثبت اسحاق بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن يزيد الأنصارى الخطمى ، أبو موسى المدنى .

روى عن ابن عيينه و الوليد بن مسلم و جرير بن عبد الحميد و معن بن عيسى و غيرهم .

و روى عنه مسلم و الترمذى و النسائى، و ابن ماجه و ابن خزيمة و أبو زرعة و غيرهم .

قال النسائى : ثقة .

وقال ابن أبى حاتم : كان أبى يطنب القول فيه فى صدقه و اتقانه .

انظر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٥١ وتذكرة ج ٢ ص ٥١٣ .

(٢) معن بن عيسى القزاز (- ١٩٨هـ) .

و ما كان فيه من أبواب الصوم فأخبرنا به :

٢- أبو مصعب المدنى (١) (٢) عن مالك بن أنس .

و منه ما أخبرنا به (٣) .

---

* أحد أئمة الحديث معن بن عيسى القزاز ، أبو يحي المدنى القزاز الاشجعى مولاهم .

روى عن ابن أبي ذئب و معاوية بن صالح و مالك و موسى بن على و طبقتهم .

و روى عنه ابن أبي خيثمة و هارون الحمال و يونس بن عبد الاعلى و خلق .

قال أبو حاتم : هو أحب إلى من ابن وهب، هو اثبت اصحاب مالك.

انظر : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٣٢ - وتهذيب ج ١٠ ص ٢٥٢ .

(١) فى ت ع ہ (أبو مصعب المديني) .

(٢) أبو مصعب المدنى (١٥٠ - ٢٩٢هـ) .

الامام الفقيه أحمد بن أبي بكر الزهرى العوفى المدنى ، أحد الاثبات ، شيخ أهل المدنية و قاضيهم .

روى عن مالك و إبراهيم بن سعد ، ويوسف بن الماجشون وعدة .

و روى عنه الستة لكن بواسطة ، و أبو زرعة وبقى بن مخلد وخلائق .

قال الدار قطنى : « أبو مصعب ثقة فى الموطا » .

و قال ابن حزم : « آخر ما روى عن مالك مؤطا أبي مصعب و مؤطا أبي حذافة، وفيهما زيادة على المؤطات نحو من مائة حديث » .

انظر : تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٤٨٣ - و تهذيب ج ١ ص ٢٠ .

(٣) فى ت ع ہ (و بعض كلام مالك ما أخبرنا به موسى بن حزام ، أخبرنا عبد الله بن مسلمة القعنبي) .

النشاطات التى تقوم بها فى البلدان الاسلامية بل يعلن حيناً بعد حين أنها ستقوم بتنصير الأغلبية المسلمة فى بعض البلدان الافريقية، وتتكرر زيارات البابا وتصدر تصريحاته عن تقدم النشاط التبشيرى ، و تنشر الصحف تفاصيل هذه النشاطات ، و لكن لم يفرض أى بلد إسلامى أى حظر على زيارة هؤلاء المنصرين، أوعلى مؤسساتهم التى تخدم مصلحة التصير ، و لا على مدارسهم و مستشفياتهم التى تمارس وسائل الضغط والاغراء على الوافدين إليها وهى تلوح وتظهر فى جميع البلدان الاسلامية.

و فى الهند نفسها تتصعد كل يوم نشاطات المنظمات المتطرفـــة و تصدر بيانات تهدد بتهنيد كل من يعيش فى الهند ،وقد صدر قبل بضعة أيام بيان لرئيس حركة «هندومهاسبها» يقول فيه بأن الحل الوحيد للأزمة فى الهند سحب جميع الحقوق التى تتمتع بها الأقليات غير الهندوكية ، و فرض قانون موحد على كل مواطن بصرف النظر عن الثقافة و اللغة و الدين و الجنس ، و بصفة خاصة اخضاع المسلمين للتصور الهندوكى ، وصرح الزعيم الهندوكى أن كل مواطن فى الهند الهندوكية يكون هندوكياً وأن الثقافة الهندوكية هى الثقافة الهندية وحدها التى يجب أن تسود فى الهند ، ولا تجد هذه البيانات والتهديدات ، والدعوات إلى إقامة حكم هندوكى ، و المطالبة بفرض قانون موحد أى استنكار من الأوساط الرسمية ، و لا الصحافة القومية بل تقود الصحافة القومية هـذه الحملة العدائيـــة ، و تنشر بيانات تطالب بسحب حقوق الأقليات وإجبارها والاندماج إلى التيار القومى ، رغم أنه لا يوجد تيار قومى واحد فى البلاد ، لأن الهنادك أنفسهم منقسمون فى كل عنصر من عناصر الثقافة ، فلم هـذا الصراخ و العويل إذا أبدى زعيم بلد إسلامى رغبته فى تطبيق بعض القوانين على المسلمين وحدهم و يعلن أنه لا يقصد به غير المسلمين .

إن الأغلبيـــة الاسلامية فى كل بلد إسلامى ترغب اليوم فى قيام نظام

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

ذو القعدة ١٤٠٨هـ - يونيو و يوليو ١٩٨٨م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الاسلامي، مؤسسة الصحافة والنشر، ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama,

P. O. Box 93. Lucknow (India)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــــــــة :

المسلمون ومحنة الغزو الحضارى و الفكرى

ليس من الغريب أبداً أن يكون العالم البشرى قد جرب فى مسيرته التاريخية الطويلة ألواناً كثيرة من حضارات و علوم و فلسفات ، و يكون قد شهد آثاراً من الحضارة و الاجتماع مما أخضعه عقلاء الاغريق وفلاسفة اليونان أمام عبقريتهم التى زعموها ، و فرضوها على الشعوب و الأمم كلها ، فقد كانوا يقودون العقل الانسانى فى كل العصور التى ازدهرت فيها فلسفتهـــم الحضارية و الاجتماعية ، و يوجهونه إلى طقوس و شرائع و آداب و عادات اخترعوها — كما زعموا — لإسعاد الانسان ، و توزيع خيرات و ثروات العقول العملاقة من آداب الحضارة و الاجتماع بين بنى البشر .

و من الطبيعى أن يتسع نطاق تأثيرهم إلى جميع المجتمعات الانسانية و حتى الدول الموجودة خلال تلك الفترات التاريخية التى ساد فيها العقل الاغريقى على جميع مرافق الحيـاة ، يشهد على ذلك دولة رومة فى الغرب و دولة الفرس فى الشرق ، و رغما من أنهما كانتا تشملان الأجناس البشرية و الأقطار الشرقيـــة و الغربيـــة ، و كانت لهما جولة و صولة فى العالم كله إلا أن السعادة التى كانت ضالة الانسان لم تتوافر له فى أى فترة من حياته ، وظلت حلما على امتداد الخط لم يتحقق بأى حال ، بل الواقع أن الانسانية شقيت طوال المدة و تدهورت الحياة إلى أسفل درك من الاسفاف و الانحلال و الفساد .

فجل ما جناه الانسان من ثمار الفلسفة اليونانية التى طغت على العقول و النفوس و التى تعقدت بها الحياة البشرية إنما هو «الشقاء» بكل ما فى الكلمة من معنى ، لقد شقى الانسان فى جميع مجالات الحياة و ذاق ألوانا من العذاب فى كل جزء من نشاطه ، وحتى إنه فقد الحرية فى ممارساته الشخصية ولم تعد له أى سلطة فيما يهواه أو يرغب فيه ، ذاك أن الانسان قد توزع بين خلايا كثيرة ذات أحجام متعددة ، وكلها تملك حقوقاً من الرئاسة والحكم والأمر والنهى و اللذة و المتعة و من الامتثال والخنوع و الرضوخ والخدمة و العبودية والتعب والشقاء، و أصبح التطرف ميزة الانسان ، فناس يتطرفون فى التحكم و التسلط و آخرون يتطرفون فى أداء ضريبة العبودية و الذل و يتسفلون فى ذلك إلى آخر درجة يتصورها أحد لأحد .

إن هذه العادات المتطرفة رسخت فى الأذهان و تمكنت من النفوس بحيث إن تعاليم المسيح عليه السلام التى زعموها ، لم تستطع أن تغيرها ، وتوكد للناس أن هذا الأسلوب من الحياة لا يتفق و قيمة الانسان ، و أن هناك تعاليم سماوية إذا تمسك بها المرء وطبقها على الحياة عرف مكانته و وظيفته ، وعاد إلى حياة كريمة ساد فيها العدل و توافر فيها الاتزان فى جميع الشئون ، فردية كانت أم جماعية ، و لولا أن طبقات من رجال الحكم والعلو و الرئاسة عارضتها و سدت أمامها الأبواب لكان لها تأثير و دور كبير فى قلب ذلك النظام الجائر الذى كان يحكم الناس ، وكانت الحياة قد حظيت بالسعادة و العدالة ، و تغيرت أشكالها فى جميع المجالات الفردية و الجماعية .

و لكن الواقع الذى لا يخفى على المطلع الخبير هو أن تعاليم المسيح عليه السلام لم يسمح لها بالنفوذ والسيطرة فلم يكتب لها البقاء فى صورتها الأصيلة إلا

لمدة محدودة جداً ، و سرعان ما تناولها المغرضون المحرفون بالتحريف و التشويه و التعديل ، و حولوها إلى مجموعة من الكتاب المقدس لا تمت إليـه بصلة ، و كل ذلك تحقيقاً لأغراض رخيصة ، تبريراً لنزوات نفسية يسيطرون بهـا على الضعفاء و يشبعون بها شهوات من النفس حقيرة ، ويتم كل ذلك باسم الدين ، و تعاليم اليسوع ، و الكتاب المقدس ، و فى صيانة من العقيدة و الكنيسة ، ولقد جرت هذه العملية من الفساد والشقاء إلى المجتمع الانسانى ما لا ينساه التاريخ ، وما أحداث القياصرة و رجال الكنائس التى شهدها تاريخ أوربا بسر ، وما قصة محاكم التفتيش فيها خافية على الناس .

ولعل ذلك أبشع تاريخ لمجتمع بشرى ، و أسود صفحة سجلها تاريخ أوربا الدينى ، ولكن الناس يتناسون أن أوربا مرت فى تاريخها بمثل هذه السوءات ، و أنها رفضت تعاليم الديانة المسيحية بمثل هذه الوقاحة و استبدلتها بما ليس منها فى شئ ، و من أجل ذلك وحده واجهت أوربا تلك النتائج المرة التى سلبت منهـا أهلية القيادة الدينية و الخلقية ، و حرمتهـا كثيراً من منافع الحياة ، ولذة الصلة بالاله الحقيق ، و التفكير فيما بعد الموت من حياة ونعم و لذة و سعادة ، وهى التى جعلتها أمة مادية بحتة تعيش لنهب اللذات العاجلة وتتفانى فى سبيلها ، وليس لها أمل فى مستقبل رائع يحظى به الانسان الكريم ذو الصلة المخلصة لربه فى هذه الدنيا ، و العمل الصالح فيها (فمن الناس من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا و ماله فى الآخرة من خلاق ، و منهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا و الله سريع الحساب) .

من هنالك نعرف أن الاسلام كان حاجة أكيدة الانسان ، و كان منة كبيرة من بها الله سبحانه على عباده فى مشارق الأرض و مغاربها ، فبالاسلام

وحده يدرك الناس السعادة و العدل و التوازن ، و به يتمتعون بالصلة المباشرة المخلصة بالله تبارك و تعالى ، وبه يحظون بالأمن والهدوء ، و يعيشون فى مكانة عالية من الحب و التعاون و الأخوة ، و يعرفون الغاية الأصيلة التى خلقوا من أجلها ، فلا يتجاوزونها و لا يحيدون عن طريقها قيد شعرة ، بل يعيشون حياة كلها عبودية و نصح و ورع و عفة ، و موضوعية لا يغفلونها للحظة واحدة ، كالديانات السابقة و أصحابها الذين حملوا لواء الدين بيد وأباحوا لأنفسهم كل ما يمنعه الدين و يحرمه من الممارسات والنشاطات بيد أخرى ، و لا كالذين يأخذون ببعض الدين و يتركون البعض ، و لا كالذين يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم ، و إنماهم يتمسكون بالاسلام كاملا ، و يطبقون شريعته على حياتهم أولا و على المجتمع ثانياً ، و لا ينسون فى أى حال أنهم عباد الله و أن الله يراهم و يسمع نجواهم ، و هو علام الغيوب .

عرف المسلمون بفضل الاسلام طريقهم الصحيح السليم فى الحياة والمجتمع ، و أخرجوا الناس من الضلالات و الانحرافات التى فرضتها عليهم الفلسفات المادية و النظرات الجاهلية التى تزيأت بزيق العلم و العقل و زخارف المدنية و تدقيقات الحضارة المزعومة و أساطير الفلاسفة الذين خانهم التوفيق و عاشوا بعيدين عن كل علم وفلسفة واقعية ، و إلى ذلك أشار ربعى بن عامر فى مجلس رستم قائد قوات الفرس إبان طلوع شمس الاسلام ، حيث قال قولته الخالدة : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام و من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا و الآخرة ».

على هذا الدرب السوى السليم سار المسلمون فى قوة الايمان و قناعة العقيدة والعمل فأبطلوا سحر الحضارات المادية وزيفوا المجتمعات الجاهلية ، وعادو

بالانسان إلى وظيفته الطبيعية و فتحوا عليه أبواب السعادة و الهداية و العدالة ، و صاغوا حياته فى قالب الايمان الراسخ و العمل الصالح ، و صنعوا منه عبداً مؤمناً خاشعاً لله ، قائماً بحدوده و أحكامه فى الحياة ، و متمسكا بتعاليمه بقوة فى كل حال من الشدة و الرخاء و السراء و الضراء ، حتى ملأ القلوب دهشة ، و ترك العقول حائرة بما قد تظاهر به من أخلاق إيمانية و خصال طاهرة عالية و دوافع خيرة زكية ، مما لا قبل به للناس و لا عهد لهم بشئ من ذاك « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » .

إن هؤلاء المؤمنين الصادقين جمعوا بين الايمان والقدوة وأعطوا العالم البشرى مثالا عملياً فذاً للحياة السعيدة الناجحة التى تتكفل بالرضاء والقناعة والهدوء ، وتتولى إنقاذ المجتمع من التردى فى الهبوط و التسفل و المشكلات ، و من جميع وسائل التخلف و الانحطاط و أسباب الهزيمة النفسية و العملية ، و الصراعات الداخلية و الخارجية ، يعيش فيه الانسان بعيداً عن الهموم و المتاعب ، مقبلا على وظيفته و تحسين علاقاته مع الله و مع الناس ، فلا رياء و لا ظلم ، و لا نفاق و لا خيانة ، و لا كذب و لا خديعة ، ولا مصلحة ولا نفعية ، ولا شئ من الفساد الخلق والأهواء ، مما يسوق المرء إلى نقص فى الدين وتعد للحدود من غير شعور بعض الأحيان ، و لا يلبث إلا أن يتعود ذلك تدريجياً ثم لا يرى بأساً فيما إذا صدرت منه مخالفات صريحة لشريعة الله ، يلتجئ فيها إلى نوع من التأويل فيبررها لنفسه و قد يراها من باب « الضرورات تبيح المحظورات » .

من هنالك ينفتح باب التبريرات ، و لا يتلكأ المسلم فى تأويل و تعليل النصوص كذلك ، فيعتمد فى ذلك حينا على بيان الأسباب الحضارية والاجتماعية ،

و على الاكتشافات العلمية و العقلية و اتساع نطاق المعارف و المدنيات الحديثة حينا آخر ، و تلك ظاهرة خطيرة بدأت تعم فى مجتمعات وبلدان المسلمين وتتولى إثارة شكوك فى خفايا النفوس نحو شريعة الله و أحكامها الثابتة الدائمة ، و هى تودى إلى أن يتملص المسلم من ظلال الشريعة الوارفة ويلتجئ إلى العمل بقانون وضعى بحكم الضرورة .

ليس علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نبحث عن ملاجئ الحضارات والمدنيات ، كلما واجهتنا المشكلات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية ، ولكن علينا أن نعرضها على شريعة الله تعالى ، ونبحث عن حلول لها فى كتاب الله وسنة رسوله وقياس الأئمة و اجتهادات الاعلام المجتهدين ، فان باب الاستنباط و الاجتهاد ليس مغلقاً و لكنه بحاجة إلى علماء الاسلام المحققين الذين يستطيعون أن يعرضوا ما يشكل على الأمة من قضايا ومشكلات على كتاب الله وسنة رسوله ، و يتوصلوا إلى حلول لها فى ضوء الشريعة الاسلامية من غير مداهنة و لا محاباة ، دون أن يسمحوا للعقل و العقلانيين بالتدخل فيها ، فيواجه الاسلام محنة العلم الحديث و يعيش المسلمون غزو عقول المتجددين و المتغربين ، كما عاش الانسان محنة العقل الاغريقى أيام الحضارة و العلوم اليونانية .

ذلك هو الطريق الأقوم ـ لا للانسان المسلم فحسب بل للنوع البشرى كله فى كل العصور و الأجيال ـ للتوصل إلى السعادة الحقيقية ، والخروج من الأزمات النفسية و التناقضات القولية والفعلية ، و التخلص من محنة العلوم و الحضارات ، و من العقلانية الحديثة التى تفرض نفسها على الانسان المعاصر و تجبره على الدوران حولها كثور الطاحون ، يقول الله تبارك وتعالى : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

البعث الإسلامي

تأملات فى آيات من كتاب الله

بقلم : فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقره
مدير المسجد الأقصى (الأردن)

إذا كانت الطاعة تنجى من عذاب الله ، و تباعد من سخطه ، فان المعصية تردى فى عذاب الله ، و تدنى من سخطه ، و الطاعة سبلها واضحة بينة ، والمعصية سبلها مشرعة ظـاهرة ، فلا تلتبس هذه بتلك ، و لا تختلط تلك بهذه ، وليس من أحد آمن الله و رسوله إلا وقد أصاب من طاعة الله ما يرجو معها رحمته ، و من معصية الله ما يخاف معها عذابه ، فاذا كان هذا لمؤمن فليهنأ وليظن خيراً ، فما اجتمع رجاء بطاعة ، و خوف من معصية إلا كانت النجاة مطية تمضى بصاحبها إلى ظلال رحمة الله فى الآخرة ، وآيات القرآن تصور هذا الأمر تصويراً حياً ، يرى فيه المرء النجاة مسطورة لـكأنما هيئت له ، فلا تغيب عن ناظريه ولا خاطره ، فتظل تدعوه إليها فى كل ساعات ليله و نهاره .

فهذا رجل من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً كان يتجر بالتمر فى السوق فتأتيه امرأة قد غاب عنها زوجها فى الغزو تشترى منه تمراً ، فلمـا رآها وقعت من قلبه موقعاً أعجبته ، فنزغه الشيطان فقال لها : إن فى البيت تمراً هو أطيب من هذا لحقينى ، فلحقته ، فأصاب منها كل شئ إلا المواقعة فى موضعها ، و أحس بعدها بدبيب الندم يسرى فى جسده و غمره حزن ، وتجلله أسى ، و أصابه هم المعصية الثقيل ، فأين يذهب ، و ماذا يقول ، إنه يحدث نفسه بشئ ، فهل يقدم

عليه، أو يكتفى بالتوبة بينه و بين ربه ؟ و يجيب ، لا إن ذلك لا يكفى ، إذاً فليذهب إلى رجل يفضى إليه بذات نفسه لعل ذلك يخفف عنـه بعض ما به ، فيأتى عمر ويقص عليه ما كان منه مع المرأة فيقول له عمر ، بعلها ويحك مغيب فى سبيل الله فيقول الرجل أجل، فيقول له عمر : إئت أبا بكر، فقال له ما قال له عمر ، ورد عليه أبو بكر مثل ذلك ، وقال إئت رسول الله ﷺ فسله ، فأتى رسول الله ﷺ فقال مثل ما قال لأبى بكر و عمر فقال رسول الله ﷺ : بعلها مغيب فى سبيل الله ، فقـال نعم . فسكت عنه ، حتى ظن الرجل أنه من أهل النـار ، و أن الله لا يغفر له أبداً ، فكانت فترة صمت رسول الله ﷺ طويلة خرجت إلى مسافات السنين و الأعوام، فالصحابة كانوا يخافون العذاب و يحسبون له ألف حساب ، وتنزل الآية بالبشرى ، فيتنفس الرجل الصعداء ، ويخف عليه همه ، لقد جاء من البشرى بعفو الله عنه « أقم الصلاة طرفى النهار و زلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين» و الرجل لم يكن يحمل هم نفسه وحده ، فهذه منه أنانية لو كانت ، ولـكنه يحمل هم كل مسلم يعيش معه أو يأتى من بعده فيبادر الرسول ﷺ بسؤال : إلى خاصـــة يا رسول الله أم للناس عامة ؟ سؤال يكشف عن جنـايا الخير وعنصر الحب فى صدور أصحـاب رسول الله رضوان عليهم ، ياليت لنا مثل ما لهم من خير وحب و إيمان ، إذاً لزرعنا الأرض مجداً ، و أقمنا فى وجه الباطل سداً ، و رددنا المنكر عنا رداً ، ويسمع عمر سواله فيضرب بيده فى صدر الرجل قائلا : لا ونعمة عين و لـكن للناس عامة ، فضحك الرسول ﷺ وقال : صدق عمر ، ربما وقع فى نفس عمر أن الرجل أراد أن يقصر الآية عليه وحده ، فينال بذلك خيراً لا يناله غيره ، فيسرع بالانكار عليه سؤاله ، ليوافق الوحى فى رحمته ، ولـكن للناس عامة ويسر

الرسول صلوات الله عليه بحكمة عمر و رجائه فى رحمته الوحى المنزل من فوق سبع سماوات ، و يثنى على رجائه : صدق عمر .

هذه القصة التى أوجزتها ، هذه الآية التى تلوناها تحكى لنا بشرية الانسان ذكراً كان أم أنثى ، فى أى عصر و فى مصر ، يستوى فى ذلك الانسان الذى كان يعيش فى أفضل مجتمع عرفته الانسانية فى تاريخها ، مجتمع الصحابة ، و الانسان الذى يعيش فى مجتمع القرن الرابع عشر ، مجتمع التطور الصناعى ، و التضخم المالى ، و الاختلاط الفكرى ، و الترف المادى .

الانسان هو الانسان ببشريته ، نوازعه ، غرائزه ، أحاسيسه ، تفكيره ، قدراته الجسدية و العقلية و الروحية ، فرق واحد بين إنسان مجتمع اليوم ، و بين إنسان مجتمع الصحابة ، إن إنسان اليوم يعيش مع الواقع من غير ضوابط ولا زواجر تشده إلى السماء ، إلا ما يكون من نفسه هو لنفسه ، أما إنسان مجتمع الصحابة فقد كان يحكمه فى علاقته مع الناس وعلاقته مع الله زاجران، زاجر من تقواه ، و زاجر من عقوبة تمسه إن خالف عن هذه التقوى .

فالأصل فى مجتمع الصحابة صحة الأشياء ونقاءها ، و المجتمع يحرص على ذلك ، فان شذ فرد من أفراده، فللضعف البشرى الذى يطغى على جانب التقوى فى بعض الأحيان ، لأنه يجد ما يقويه و يدعوه إلى الغلبة و النيل من خط كان ممنوعاً منه بغلبة التقوى ، و هذا لا يشكل خطراً على المجتمع أبداً ، و إنما الذى يشكل الخطر على المجتمع أن يون الأصل فساد الأشياء و اختلاطها ، و حرص الناس فى المجتمع على أن تظل بفسادها و اختلاطها هى الحاكم الفاصل فى كل شؤون حياتهم ، هذه الصفة البارزة لمجتمع الصحابة كانت تدفع الذى يشذ أو يخطئ أن يعرى شذوذه أو خطأه للناس ، و يجعل من هذا الشذوذ

أو الخطأ محوراً لتجارب الآخرين من بعده فى حياتهم، بحيث لا يكون استغراب من الخاطئ إن أصاب خطأ يشبه أو يختلف عن الخطأ الذى أتاه ذلك الصحابى من قبله .

و من رحمة الله بنا أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا هم المحور الذى تدور حوله الآيات القرآنية بأحكامها الشديدة كالحدود و القصاص ، أو بأحكامها السهلة كالعبادات و المعاملات ، فتكون القدوة فيهم حاملة الناس على الاقتناع بصحة الأحكام كلها و ضرورتها للحياة الانسانية .

و المتأمل فى آيات الأحكام كلها يجد هذا ماثلا فيها كلها سواء منها ما كان مكياً أم مدنياً ، و القرآن بهذه الآيات يبنى الفرد المسلم ، و المجتمع المسلم ، و الدولة المسلمة ، فلا يكون تنافر بين الفرد و بين المجتمع ، و لا بين المجتمع و الدولة ، ولا بين الدولة و بين الفرد ، فكل يشكل طاقة تخدم سائر الطاقات ، و إذا الطاقات المسلمة كلها تسعى بين يدى الانسانية تهديها إلى سواء الصراط ، و تخرجها من الظلمات إلى النور باذن ربها .

فهل نعود لاسلامنا يوماً ، لتسعد الانسانية من جديد كما سعدت بنا يوماً .

إعلان كرامة الانسان و سموه

سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى

و المنة الثالثة العظيمة على النوع البشرى «و» إعلان كرامة الانسان وسموه، و شرف الانسانية وعلو قدرها، لقد بلغ الانسان قبل البعثة المحمدية إلى حضيض الذل و الهوان، فلم يكن على وجه الأرض شئ أصغر منـــه و أحقر، و كانت بعض الحيوانات المقدسة وبعض الأشجار المقدسة التى علقت بها أساطير ومعتقدات خاصة، أكرم و أعز عند عبادها و أجدر بالصيانة والمحافظة عليها من الانسان، و لو كان ذلك على حساب قتل الأبرياء و سفك الدماء، و كانت تقدم لها القرابين من دم الانسان و لحمه من غير وخز ضمير و تأنيب قلب، و قد رأينا بعض نماذجها و صورها البشعة فى بلاد متقدمة راقية كالهند فى القرن العشرين.

أعاد سيدنا محمد ﷺ إلى الانسانية كرامتها و شرفها، و رد إليها اعتبارها و قيمتها، و أعلن أن الانسان أعز وجود فى هـذا الكون، و أغلى جوهر فى هذا العالم، و ليس هنا شئ أشرف و أكرم و أجـدر بالحب، و أحق بالحفاظ عليه من هذا الانسان، إنه رفع مكانته حتى صار الانسان خليفـــة الله و نائبه، خلق له العالم و هو خلق لله وحـــده، : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » (١) وأنه أشرف خلق الله و فى مكان الرئاسة والصدارة « و لقد كرمنا بنى آدم و حملناهم فى البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (٢).

---

(١) سورة البقرة ٢٩ . (٢) سورة الاسراء ٧٠ .

و ليس أدل على كرامته و الاعتراف بعظمته من قوله : « الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله » (١) .

و ليس هنا أبلغ فى الدلالة على سمو الانسانية و التقرب إلى الله بخدمتها و العطف عليها ، من الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، قال :

« إن الله عز و جل يقول يوم القيامة : ابن آدم ! مرضت فلم تعدنى ، قال يا رب كيف أعودك و أنت رب العالمين ؟ ، قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لوعدته لوجدتنى عنده ، يا ابن آدم ! استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف أطعمك و أنت رب العالمين ؟ ، قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، يا ابن آدم استقيتك فلم تسقنى قال يا رب كيف أسقيك و أنت رب العالمين ؟ ، قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى (٢) .

هل يتصور إعلان أوضح و أفصح بسمو الانسانية و علو مكانة الانسان من هذا الاعلان ، الذى جاء فى دين شعاره التوحيد ، و هل فاز الانسان بهذه المكانة السامقة والشرف العالى فى أى ديانة وفلسفة فى العالم القديم والحديث ؟.

إنه ﷺ جعل الرحمة على بنى آدم الشرط اللازم لجلب رحمة الله، فقال عليه السلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (٣) .

ترى ما كان عليه وضع العالم وحالته الاجتماعية والسياسية قبل أن ينهض النبى ﷺ بهذه الدعوة، دعوة الوحدة الانسانية والكرامة الانسانية ويجاهد فى سبيلها أبلغ جهاد ؟ .

لقد كان ثمن شهوة فرد واحد و هوى شخص واحد قبل بعثته ﷺ أكبر

(١) رواه البيهقى . (٢) رواه مسلم فى صحيحه . (٣) رواه أبو داود .

و أغنى من أرواح الآلاف و مآت الآلاف من البشر ، ينهض ملك واحد و إمبراطور واحد ، فيكتسح البلاد و يستعبد العباد ، و يهلك الحرث و النسل ، و يأتي على الأخضر و اليابس ، لاشباع أنانية ملكية أو طموح سياسى ، يزحف الاسكندر المقدونى الكبير (Alexander The Great) (٣٥٦ - ٣٢٤ ق م) و يفتح إيران و سوريا و البلاد الساحلية و مصر و معظم تركستان حتى يبلغ الهند الشمالية ويدمر فى طريقه حضارات ومدنيات عتيقة راقية ، و ينهض يوليوس قيصر الرومى (Julius Caesar) (م٤٤ ق م) و الغزاة الفاتحون و القادة العسكريون مثل إينبال القرطاجى (Hanibal) (٢٤٧-١٨٣ ق م) فيقتنصون الفئات البشرية كما يقتنص الصياد النهم بالقنص حيوان الغابة من غير اكتراث ، و استمرت عملية الابادة و العبث بكرامة الانسان و حياته بعد ظهور المسيح عليه السلام ، و كان من هؤلاء الفاتكين بالبشرية و القساة الظالمين نيرون (Neron) (م٦٨م) الذى فتك بمجموعة كبيرة من مواطنيه من جملتهم أمه و زوجه ، وهو الذى يعتبر مسئولا عن الحريق الكبير الذى وقع فى روما ، وكانت العاصمة تشتعل ناراً ، و هو مشغول بالغناء و الموسيقى (١) .

أما القبائل الأوربية الوحشية من القوط الغربيين و الشرقيين و وندال و غيرها التى نشطت فى القرن الخامس المسيحى (قبل البعثة المحمدية بقرن) و التى كانت تدمر العواصم الكبيرة العامرة و تعيث فى الأرض فساداً ، و تنشر الذعر و الاضطراب ، فعن البحر حدث و لا حرج (٢) .

أما العرب فقد هانت عليهم الحرب وإراقة الدماء بقدر ما خفت فى عيونهم قيمة الحياة الانسانية و شرفها حتى كانت تثيرها حادثة ليست بذات خطر ، فقد

(١) راجع للتفصيل موسوعة تاريخ العالم (An encyclopedia of world History) لوليام لينكر (William L. Langer) ١٩٦٤م .   (٢) أيضاً .

وقعت الحرب بين بكر و تغلب ابنى وائل ، و مكثت أربعين سنة أريقت فيها دماء غزيرة ، و ما ذاك إلا لأن كليباً ـ رئيس معد ـ رمى ضرع ناقة البسوس بنت منقذ فاختلط دمها بلبنها ، و قتل جساس بن مرة كليبا ، و اشتبكت الحرب بين بكر و تغلب ، و كان كما قال المهلهل أخو كليب :

« قد فنى الحيان و ثكلت الأمهات و يتم الأولاد ، دموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن (١) .

كذلك حرب داحس و الغبراء فما كان سببها إلا أن داحساً فرس قيس بن زهير كان سابقاً فى رهان بين قيس بن زهير و حذيفة بن بدر فعارضه أسدى بايعاز من حذيفة فلطم وجهه و شغله ، ففاتته الخيل ، و تلا ذلك قتل ثم أخذ بالثأر و نصر القبائل لأبنائها و أسر و نزح للقبائل ، و قتل فى ذلك ألوف من الناس » (٢) .

و أما الغزوات النبوية التى قامت فى عهد الرسول ﷺ و التى بلغ عددها سبعاً و عشرين ، أو ثمانى و عشرين غزوة ، و البعوث و السرايا التى بلغ عددها ستين ، فقد أريق فيها أقل دم عرف فى تاريخ الحروب والغزوات ، و لم يتجاوز قتلى كلها ٩١٨ قتيلا من الطرفين ، و كانت حاقنة للدماء وعاصمة للنفوس البشرية ، محققة لأغراض كريمة كانت فى صالح البشرية ، و كانت خاضعة لآداب خلقية ، و تعليمات رحيمة ، جعلتها أشبه بعملية التأديب منها بعملية غزو و حرب (٣) .

و الاسلام يغذى بالايمان و تعاليمه الخلقية الشعور بكرامة الانسان و رفعته

---

(١) انظر أيام العرب .   (٢) انظر أيام العرب .

(٣) اقرأ وصايا النبي صلى الله عليه و آله وسلم و تعليماته عند توديع الجيوش فى كتب الحديث و السيرة ، و اقرأ للتفصيل كتاب « السيرة النبوية » للمؤلف ، عنوان : « نظرة على الغزوات » ، ص ٣٢٥–٣٢٧ .

و يقويه ، حتى يصبح المسلم رقيق الشعور مرهف الحس فى ذلك ، فلا يرضى فى حال من الأحوال أن ينزله منزلة البهائم ، و لا يرتاح قلبه لأن يعامل بنى جنسه معاملة العجماوات والجمادات و لا يستعبدهم لتفوقه الشخصى والغلبة عليهم ، و لا يرى فارقاً بينه و بين بنى جنسه فيذلهم و يهينهم ، و هنا قصة طريفة فى هذه المساواة البشرية و احترام الانسانية :

قال أنس بن مالك رضى الله عنه كنا عند عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك ، قال : و مالك ؟ قال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل ، فأقبلت فرسى ، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو بن العاص فقال : فرسى و رب الكعبة ، فلما دنا منى عرفته ، فقلت : فرسى و رب الكعبة ، فقام إلى يضربنى بالسوط ، و يقول خذها و أنا ابن الأكرمين ، قال : فو الله ما زاد عمر على أن قال له: إجلس ثم كتب إلى عمرو : « إذا جاءك كتابى هذا فاقبل و معك ابنك محمد » قال : فدعا عمرو ابنه فقال : أ أحدثت حدثا ، أجنيت جناية ؟ قال : لا ، فما بال عمر يكتب فيك ؟ قال : فقدم على عمر ، قال أنس بن مالك : فو الله أنا عند عمر ، إذ نحن بعمرو و قد أقبل فى إزار و رداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه ، فاذا هو خلف أبيه ، فقال أين المصرى ؟ قال : ها أنا ذا ، قال : دونك الدرة ، فاضرب ابن الأكرمين ، قال فضربه حتى أثخنه ، ثم قال : أجلها على صلعة عمرو ، فو الله ما ضربك إلا بفضل سلطانه ، فقال يا أمير المؤمنين : قد ضربت من ضربنى ، قال : أما و الله لو ضربته ما حلنا بينك و بينه حتى تكون أنت الذى تدعه ، أيا عمرو ! متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، ثم التفت إلى المصرى فقال : انصرف راشداً ، فاذا رابك ريب فاكتب إلى (١) .

(١) سيرة عمر بن الخطاب ، لابن الجوزى ، ص ٨٦—٨٧ .

من مسئولية الاعلام

بقلم : د / محمد بن سعد الشويعر

إن العالم الاسلامى الذى يحتل رقعة واسعة و كبيرة من المسكون على وجه الأرض، يشكل طاقة استهلاكية فى كل شئ حتى فى الناحية الاعلامية، ولن يكون ثابتاً على قدميه فى وجه التحديات المفروضة عليه، إلا إذا أصبح منتجاً لما يحتاجه، و بالأخص المادة الاعلامية فكراً و انتاجاً ، و مادة و عملا : ترويجاً و توجيهاً .

و الاعلام ميدان واسع ومهم ، يستفاد منه فى تنبيه المسلمين لدورهم فى الحياة ، نحو أنفسهم و إخوانهم ، و لادراك ما يريده أعداؤهم بهم ، و اتفاق كلمة المسلمين ، و توحيد جهودهم فى نظرة اعلامية، تعتبر خطوة أولى نحو إتحادهم و تضامنهم فى وجه عدوهم ، وتفنيد مآربه و أغراضه نحوهم ، و هذا من مسئولية الاعلام ، و دوره فى التوجيه و الافادة .

و إذا كان الاعلام سلاحاً يوجهه أعداء الاسلام لعقول المسلمين ، بما فيه من توجيه و أفكار تستغله أمم الأرض ونحلها ، مع رغبة اكيدة فى فرض آرائهم ، و السيطرة بأفكارهم ، نحو أبناء المسلمين ليأسروهم نحو هدفهم ، وليجعلوا منهم دعاة لبسط معتقداتهم ، ونشر مبادئهم ، فان أبناء المسلمين مدعوون للعمل الجماعى ، و بجهود مكثفه ، حتى يستطيعوا أن يوجهوا هذا الاعلام إلى ناحيتين مهمتين ، ليؤدى الدور البارز فى رسالته :

الأولى : تنمية و تنشيط عقول المسلمين ، و إعادتهم إلى قاعدتهم الصلبة ، التى انطلقت منها مسيرة الدعوة الأولى ، لأن هذا هو السبيل لاصلاح ما نجم

من فساد و فرقة ، كما قال الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمـه الله : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، و أولها لم يصلح إلا بالاسلام » و بذلك نصلح بيتنا من داخله ، قبل أن نفكر فى إصلاح بيوت الآخرين .

الثانيه : مزاحمة الاعلام الموجه باعلام ذى هدف و غاية . و بشخصيـة مستقلة فكراً و أداء ذلك أن المقلد لا يرقى إلى مكانة الأصيل ، كما أن الثوب المرقع لا يعتبر جديداً مهما عمل فيه من جهد ، والمثل العربى يقول : إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب .

إن توجيه الاعلام الاسلامى بلغات متعددة ، و بتشويق يلفت النظر ، يعتبر هجوماً مضاداً لتشكك أولئك فى انتـاجهم من جانب ، و نزاحمهم فى هدفه و جودته و غايته ورخص تكاليفه من جانب آخر ، وعدد المسلمين لا يستهان به ، فهو سوق رائجة لتبصيرهم بما يجب عليهم ، و غزو الآخرين بفكر الاسلام وسير رجاله .

فالاعلام قد أصبح مع الفكر تجارة ، و التاجر الذكى هو الذى يعرف كيف يروج بضاعته و يزاحم بما عنده .

خاصة و أن الاعلام فى هذا العصر قد بلغ مرتبة من التداخل و الذيوع ، لم يصل إليها فى أى عصر من العصور ، و ذلك بعد توفر الاتصالات المختلفة ، و تداخل الثقافات المتباينة و تزايد المخترعات العجيبة ، و احتمال نقل المرئيـات من مسافات بعيدة بالأقمار الصناعية ، و تعدد المؤتمرات و الندوات الثقافيـة ، و تبادل الانتاج الثقـافى ، و تزايد المراكز الثقافية ، و تطور الطبـاعة فى نقل الخبر و الصورة .

فى هذا العصر نجد أن للاعلام دوراً كبيراً نحو المسلمين بعضهم للبعض ، بالتضامن و الوحدة و إدراك المسئولية الملقاة عليهم نحو إخوانهم فى كل مكان ،

ونحو أنفسهم و رسالتهم فى الدعوة إلى دين الله الذى حملوا رسالتـه ، فقد قال رسول ﷺ : « من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » .

إن الفرق بين المسلمين و غيرهم فى توجيه الاعلام و الافادة فيه ، يكمن فى نقاط عديدة ، لعل أبرزها : أن المسلمين أصحاب رسالة حملوا تبليغها، وتستمد إلهامها من مصدر معينه لا ينفد ، و محاسنه تتجدد ، و غايته واضحة ، و النفوس تحتاج إليه فى كل وقت .

أما غير المسلمين فهم ينطلقون من فراغ ، أو يدعون إلى باطل ، لا مصدر له ، كما وضحه القرآن الكريم بهذه الآية الكريمة : « إن يتبعون إلا الظن و ما تهوى الأنفس و لقد جاءهم من ربهم الهدى » [النجم ٢٣] .

يقول أحد المستشرقين فى دعوته لأبناء جلدته بالتظـافر ضد المسلمين ، و الوقوف ضد فهمهم لتعاليم الاسلام ، و تطبيقها على حقيقتها : لو طبق المسلمون تعاليم دينهـــم ، و ساروا على ذلك المنهج قدوة وعملا ، لأغلقت المحاكم و دور الشرطة فى بلادهم ، وخليت السجون من روادهـا ، و لوجـــدنا أوروبا تنساق بأسرها نحو الاسلام ، الذى سيجدون فيه راحة من مشكلاتهم العديدة ، ولـكن علينا دور مهم فى إبعادهم عن فهمه بما نستطيع .

و هذا التطبيق الذى يشير إليه هذا المستشرق قدوته من الاعلام الذى يحسن أن يوجه إلى الاهتمام بالفضيلة التى يدعو إليها الاسلام ، و تحرص عليها مثله ، بالقول و الفعل لما تنطوى عليه تعاليمه و شرائطه من مثاليات تحتاجها النفوس ، و تتأتج تتطلع إليها الأفئدة ، فى كل مجتمع ينشد المحبـــة و السلام ، و الهدوء والاستقرار، و يراعى التآلف والتعاطف بين أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم .

و من شعور المسلمين بالمسئولية الملقاة على كواهلهم ، يستطيعون أن يزاحموا

الاعلام العالمى الذى يسيطر عليه فى الآغلب اليهود ، وهم أعداء لهم ، و أعداء لدينهم ، باعلام يحقق لهم مكاسب كثيرة : كالتضامن و الوحدة ، و تقارب وجهات النظر و التعرف على بعضهم لبعض، وحل المشكلات الناجمة من اختلاط الثقافات ، و تمدد المصادر الاعلامية الداخلة عليهم .

ثم ليوجدوا غيرهم القدوة و الانجذاب ، مع الانصهار فى بوتقة الاسلام ، الذى لا شك بأن منهجه و سلوكه سيأسرهم ، لما فيه من مخاطبة الوجدان ، وتلبية متطلبات النفس ، و هذا يتم بتوحيد الجهود ، و العمل المتواصل لتكوين إعلام يشمل فى صوره الثلاث : المقروء و المسموع و المرئى :

١ـ استقاء الثقافة الاعلامية من مصادر اسلامية : قصة ورواية، سيرة و تاريخاً ، فنى التاريخ الاسلامى ، و تراجم و حياة رجاله ما يروى الغليل ، و يعطى القدوة الصالحة فى تآلف القلوب و سيرها نحو التآخى و المحبة ، ونكران الذات و العمل المستمر نحو المصلحة العامة .

لأن الاسلام لا يعترف بأفضلية جنس ، و لا تقديم عرق على عرق ، المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، [من حديث رواه الطبرانى] فمن سيرة رجال العلم ، و قادة الحروب ، وحماة الدين ، وعمار الديار ، و من صفحات السجل الاسلامى يخرج المسلم فى كل مكان ، بأن الأفضلية فى هذا الدين لمن يخلص و يعمل ، و يصدق و يمتثل ، ذلك أن الاسلام أيام عز دولة ، قد وحد القلوب ، وجمع المشاعر فى تآلف نحو هدف اسمى و غاية نبيلة ، بحيث يقدر العامل لعمله و اخلاصه .

٢ـ التعريف بالعبادات الاسلامية ، و التوجيه إليها منهجاً و سلوكاً ، وحكمة

تشریع، وغایة فی العمل، فیخاطب الاعلام بذالك جمیع العقول و المستویات فی طریق تعلیمیة مفیدة .

- فنوع یستفید و یتعلم عن کیفیه الأداء و التطبیق .
- و نوع ینجذب بالاحساس الروحی ، أو التقلید العملی .
- ونوع یتعمق و یقارن حسبما لدیه من ثقافات ، أو قرأ من علوم .
- و نوع یستلهم الحجة و یجد الجواب ، فی شبهة طرحت علیه ، و نقاش مر به ، وحار فیه جواباً .
- والجمیع یخرجون بفائدة تمثل حرص الاسلام علی تجمیع القلوب ، وتآلف المشاعر ، و الدعوة إلی نبل المقصد ، ونبذ الطبقیة و العنصریة ، و غیرهما من الخصال التی تورث العداوات ، و تحرك الحزازات ، و یتألم من واقعها الیوم کثیر من شعوب الأرض .

٣- توحید الجهود فی أعمال جماعیة یبذل لها بترکیز ضمن أعمال مشترکة من حیث :

- التمویل المالی ورعایة الموارد حتی یستمر العمل فی انتاج الجید والمثمر المفید .
- الاعتماد علی المادة الاعلامیة المحلیة ، و تحدید غایتها ، و توحید هدفها ، و ترشید مقصدها .
- تبادل الانتاج الاعلامی والعرض بین دیار الاسلام ،وتوحید الفکر والمنطلق .
- الاستفادة من العاملین فی هذا الانتاج ، و من کل بلد اسلامی لیکون إسلامیاً فکراً و مضموناً .
- رعایة کل مادة إعلامیة ، وتنقیتها من الأفکار الدخیلة ، و الاطمئنان علی سلامتها بهیئة اشرافیة مؤتمنة ، ثم الترویج فی تداوله داخل الدول الاسلامیة و خارجها .

— تحديد جهات متخصصة سواء كانت تجارية فردية أو جماعية
حكومية لتتولى الأعمال الاعلامية : صناعة و انتاجاً و تم
مشابهة تتولاه ترويجاً و نشراً و متابعة .

و عن هذه الجهات التى يحسن التسليط عليها إعلامياً ،
المهتمة ، يتم الاطمئنان على الانتاج المفيد و المثمر .

٤— و من مسئولية القائمين على الاعلام ، تركيز الاهتمام على أ
الوسيلة الاعلامية بأنواعها الثلاثة :

— تتبع ما يثار حول الاسلام و الدول الاسلامية ، والرد
و الدفاع عن المسلمين فى كل مكان أفراداً أو جماعات
أو هيئات ، انطلاقاً من الحديث الشريف الذى يعطى المسا
الحمية و المحبة ، و الترابط و الاخاء : « من حمى مؤمناً مر
الله له ملكاً يحمى لحمه يوم القيامة من نارجهنم ، و من ر
يريد شينه به ، حبس يوم القيامة على جسر من جسور
مما قال » رواه أبو داؤد .

— الاهتمام بمثل هذه الردود على مستوى العالم الاسلامى ، و
الشعور ، و تداول ذلك الانتاج ، الذى يجب أن يكون
أو الدفاع بالباطل ، أو تمجيد الأشخاص بصفات ليست فيه

— التغاضى عن هفوات بعض الدول الاسلامية ، إذا كانت
الاسلام و عقيدة المسلمين ، والرد على ما يبدر من أ
المبنى للجهول فى أسلوب توجيهى بناء حتى يكون للردود ص
ثمره ، لنتحاشى التعصب الممقوت ، أو الدفاع بالباطل .

ـ الاشادة بكل عمل مجيد يخدم وحدة المسلمين ، و يزيد تضامنهم ، عندما يصدر عن أى دولة إسلامية ، أو فرد من هذه الدول ، و تكراره و التركيز عليه حتى يرسخ فى الأذهان ، و ليكون قدوة تحتذى .

ـ تبنى الانتاج الاعلامى الذى يخدم فكراً إسلامياً ، يجمع كلمة المسلمين ، و يوحد بين أفرادهم و جماعاتهم أو دولهم ، و اشاعته ثم الاشادة به فى عمل إسلامى جماعى ، و رصد الجوائز ، و وضع الحوافز فى سبيل ذلك ، حتى يندفع الفكر إلى الاستزادة ، و العمل إلى التكاثر ، و التلق إلى الفائدة الملموسة .

ـ اتحاد الكلمة ، و تظافر الجهود و الأفكار ، مع المقاطعة لأى عمل أو قول اعلامى ، يخدم الفكر المناهض للاسلام ، أو يبث الفرقة بين أبناء و دول الاسلام ، و الوقوف دون نفوذ ذلك الباطل فى العالم الاسلامى ، بطريق مشروع أو غير مشروع ، حتى لا يتسرب إلى الناشئة فيسمم أفكارهم ، ويبلبل أذهانهم .

ـ محاربة العلمانية و الماسونية فكراً و إعلامياً ، و التى بدأت تنتشر فى العالم الاسلامى ، إلى جانب المنظمات التى تبث الفرقة ، و الأفكار التى تخدم العدو ، و تباعد المسلمين عن مصدر قوتهم وعزتهم كنوادى الروتارى وغيرها .

و ذلك بوضع بدائل ، وتسليط الاعلام المحبب لهذه البدائل ، و التنويه بأبعاد و أضرار هذه الأشياء الدخيلة .

٥ـ التركيز على مواد إعلامية تنمى القاعدة الاسلامية فى الجذور ، و تقوى المنطلق الذى سيكون مرتكزاً فى المستقبل لتضامن المسلمين ، و وحدة هدفهم و غايتهم مثل :

– الاهتمام بالأطفال ، وتنمية روح المحبة و الألفة فى نفوسهم ، ضمن الخصال التى يحرص عليها الاسلام وتسير وفق شريعته و تعاليمه ، فى كتب ومجلات متخصصة ، و مسلسلات مسموعة و مرئية ، تعطى الطفل جرعات متعددة بالقدوة و العمل ، و الاتجاه و الاحساس بشعور إخوانه الأطفال فى العالم الاسلامى و رعاية أموالهم ، على هيئـــة لعب تهدى ، و ملابس مستعملة ترسل لفقراء المسلمين ، و هداياً للاطفال المرضى و المشلولين وغير ذلك ، بحيث يتكرر إعلامياً بين حين و آخر .

– المرأة نصف المجتمع وهى عضو عامل فيه تحتاج إلى جهود إسلامية فى العمل الاعلامى، يناقض الخط الذى تسير فيه الوسيلة الاعلامية فى العالم الاسلامى حالياً لأنه مقلد لغيره .

ذلك أن الاعلام الموجه للمرأة المسلمة يزيدها يوماً بعد يوم بعداً عن وضعها الحقيق و الطبعى . فالاسلام اعتبرها جوهرة ثمينـــة تصان و تحترم لها حقوق كما أن عليها واجبات .

فالعمل الاعلامى عندما يهتم بالمرأة المسلمة : فانما يوجهها نحو مكانتهـا فى المجتمع أماً وربة بيت لتكون عضواً عاملا باحتشام و وقار فى المكان و الزمان و الملبس و المظهر ، و فى الهيئة و السلوك ، و السيرة و العمل ، و فى الأخذ بأسباب الحياة المهيأة لها ، وفق دورها الذى ارتضته تعاليم الاسلام لها ، فتتفقد اخواتها المسلمات و ترعاهن بالبر و الاحسان و التوجيه و الارشاد ، و النصيحة و المعاملة الحسنة و بالجمعيات الخيرية و العمل المنظم ، حسبما وجهها إليه الاسلام بما فيه المصلحة الفردية و الجماعية .

من أساليب الحكم والسياسة إلى أساليب الدعوة والهداية

الأستاذ محمد الحسنى ـ رحمه الله

الدولة (STATE) فى الاسلام وسيلة لاحياء القيم الاسلامية ، والعبادات الاسلامية ، و الشعائر الدينية ، و السنن النبوية ، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، وليست غاية بذاتها ، تدل على ذلك الآية التالية دلالة واضحة .

« الذين إن مكنـاهم فى الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة ، و أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، و لله عاقبة الأمور » (١) و قد دخل فى حيز الآية و إطارها الواسع النظام الاقتصادى ، والنظام القضائى ، والتشريع الجنائى ، و كل ما تستحسنه الفطرة السليمة ، من أدب ، و جمال ، و ذوق ، ونظافة ، وطهارة ، و زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، فالأصل فى الاسلام الاباحة إلا ما حرمه الشارع .

إن قيام الدولة الاسلامية مطلوب ومنشود ولازم للحياة الاسلامية والمجتمع الاسلامى من جهة واحدة خطيرة ، و هى أن النظام المـالى و النظام التشريعى ، لا ينفذ برمته وبحذافيره ـ بطبيعة الحال ـ إلا فى ظل دولة تحكم بالشرع الاسلامى ، « و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (٢) .

ولكنها ليست الدورة الأخيرة أو نهاية المطاف فى مسيرة المجتمع الاسلامى

---

(١) سورة الحج الآية ٤١ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٨ .

أو فى مسيرة الدعوة الاسلامية ، إنها بالعكس من ذلك بداية طيبـــة ، و شكل مأمون مضمون بعض الأحيان ، لاحياء الدعوة الاسلامية بمعناها الواسع العميق، و إقامة مجتمع الصلاة و الزكاة ، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر .

« و لو أن أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض » (١) .

ويضغط القرآن أخيراً على نقطة هامة . . فيردف الآية بجملة « و لله عاقبة الامور » لـكيلا ننسى هدفنا الأخير وغايتنا الأسمى ، فى أى حال من الأحوال، و أن لا تلهينا الصور و الأشكال عن الحقيقة واللب ، والثمرة والمحصول فالعبرة بالخواتم ، و بالنيات الحسنة ، و بقبول الله سبحانه و رضاه .

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض و لا فساداً و العاقبة للمتقين » (٢) .

و هذا مقام لا تنال منه هزيمة ، و لا ينقص من شأنه انكسار واندحار ، و إخفاق الجهود .

و ذلك فى ذات الاله و إن يشأ يبـارك على أوصال شلو ممزع

ولم يكن الجهاد وقيام حكم الاسلام بالتالى فى عهد رسول الله ﷺ و صحابته رضى الله عنهم ، إلا لتمهيد الطريق للدعوة الاسلامية أو للدين الحق ، و لم تكن الدعوة متجهة إلى إنشاء دولة كشرط أساسى للايمان أو كمرحلة نهائيـــة أخيرة ، أو نقطة النضج والاكتمال لمد الدعوة ورصيد الدعوة فى كل حال من الأحوال.

(١) سورة الأعراف الآية ٩٦ .

(٢) سورة القصص الآية ٨٣ .

فيكون الترتيب الاسلامى الأصيل على النحو الآتى :

الجهاد لاعلاء كلمة الله للجهاد ، والزحف إلى الامام ، والتمكين فى الأرض لاقامة مجتمع الصلاة و الزكاة ، و إجراء شريعـة الله فى عباده و بلاده ، أو فى تعبير آخر . لتحقيق مطالب الدعوة الاسلامية وليست الدعوة الاسلامية والصلاة و الزكاة و سائر الأحكام للتمكين فى الأرض .

إن حكم الاسلام ضرورى من ناحيتين . . سواء من جهة الوسيلة و الأداة أو كجائزة من الله سبحانه بناء على كرمه و نتيجة على جهد المؤمن وجهاده و حسن بلائه فى الاسلام — كما قلنا — تدل عليه الآيتان التاليتان .

« وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض » « ولو أنهم آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض » (١) ونحو ذلك من الآيات ، أو كمرحلة نهائية ، و غاية منشودة ، كما يقول البعض ، و لكن المهم هنا هو الترتيب والمحافظة على التوازن الدقيق المطلوب بين الدولة الاسلامية و بين الدعوة الاسلامية ، و بين الغاية و الوسيلة ، و بين الأسلوب و الغرض و الجوهر و الروح .

فاما أن نقول : إن الصلاة مثلا خير وسيلة إلى إقامة دولة إسلاميـة ، وإما أن نقول : إن الدولة الاسلامية خير وسيلة إلى إقامة الصلاة ، أو فى تعبير آخر : إقامة مجتمع الصلاة و نحوه .

انظر ما هو الفارق الدقيق بين الاتجاهين و بين المنهجين ؟

فى الاتجاه الأول يركـز الانسان سائر قواه و مواهبه على انشاء دولة مع الاعتراف بضرورة الصلاة كوسيلة من وسائل الدعوة الاسلاميـة ، و لكنه لا

(١) سورة الأعراف الآية ٩٦ .

يتحمس لها و لغيرها من العبادات و السنن و مختلف جوانب الخلق الاسلامى النبيل الذى عبر عنه رسول الله ﷺ فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (١) و لم يقل إنما بعثت لأنشئ إمارة الاسلام أو خلافة الاسلام، و قال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » و لا ذنب على أصحاب هذا الاتجاه، فالانسان مفطور على حب هدفه الأخير، ومقره النهائى، فاذا جعل الدولة نصب عينيه سعى لها سعيها، و بذل لها كل ما فى وسعه، بل تهاون فى بعض أركان الدين، بعض الأحيان، و استخدام ما لا يقبله الاسلام من وسائل « ملوثة » حرصاً على تحقيق هدفه الكبير، و هو يتذرع بحجة أنه سيصلح ما فسد، ويرم ما انثلم، ويعوض عما فاته فى هذا الوقت عند ما تسلم إليه مقاليد الحكم، ويكون بيده الأمر و النهى، و الحول و الطول، و هيهات، فهو — أعنى صاحب هذا الاتجاه — إما أن يخسر الجولة ويظل فى متاهة الحيرة واليأس، و إما أن يصل بعد طول انتظار، و عناء شاق و صعود و هبوط، إلى جزء من جوانب الحكم، أو نوع من المشاركة فيه، و قد فقد كثيراً من رأس ماله الذى جاء عنه «كذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب» .

وقد يتدرج الأمر فى النهاية إلى قوم يستغلون الدين للفوز بالحكم، فتنطلق الحناجر بهتاف « الله أكبر » والجهاد فى سبيل الله، وتضحيات تقوم بها شعوب مؤمنة بريئة، كما حدث فى باكستان، و تركيا، و الجزائر، و فى مصر عن إعلان الثورة و ظهور أبطال الثورة بمظهر الموالين للدين، و الموالين للاخوان المسلمين الذين كانوا — و ما زالوا — رمز الدين . . و لكنها طبقة لا نريدها، و لا نوجه إليها هذا الخطاب، إنما المراد أصحاب هذا الاتجاه الذين التبس عليهم الأمر، و لم يحافظوا على التوازن الصحيح بين الأمرين .

---

(١) جاء فى البخارى فى كتاب الايمان .

أما الاتجاه الثانى ، فهو أن الدولة الاسلامية مطلوبة ، و مرغوب فيها ، لأنها خير وسيلة إلى مجتمع الصلاة و الزكاة ، و الطهر و العفاف ، و الصدق مع الله ، و الاخلاص لدين الله ، وتنفيذ شريعة الله ، و لو لا هذه الناحية ما كان لها عند الله وزن .

أصحاب الاتجاه الثانى ينسحبون عن بلاد مفتوحة ، بعد أن أراقوا دماءهم ، و قدموا فى المعركة خيرة شبابهم و أبطالهم ، بمجرد أنهم لم يراعوا عند الغزو آداب الشرع الاسلامى ، و فاتهم التوجيه النبوى . . أما أصحاب الاتجاه الأول فهم يتذرعون بألف حجة و دليل ، و تعليل و تأويل ، من أجل « الحفاظ » على الدولة الاسلامية ، و لو كان «على حساب» روح الدعوة الاسلامية ، وأسس الدولة الاسلامية .

« و لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً ، تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة » (١) .

لقد فتح الامام السيد أحمد بن عرفان (م١٢٤٦هـ) « بشاور » بعد أن قطع المسافات الهائلة ، و طوى الصحارى القاحلة ، و المسالك الوعرة ، و المضايق الجبلية الخطرة ، و تحمل صعوبات لا تتصور ، و دخل هذا البلد غازياً بعد أن دفع ضريبة الحياة الفادحة ، ثم تركها و لم ير مبرراً فى أن يبقى جاثماً على هذا البلد ، و قد أطاعه أهله ، و بايعوا على يده ، و تابوا إلى الله ، و وعدوا بتنفيذ شريعة الله ،والتحكيم بما أنزل الله . . ثم ظهرت منهم خيانة ، وكان ما كان (٢) .

(١) سورة النساء الآية ٩٤ .

(٢) انظر القصة بطولها فى كتاب « إذا هبت ريح الايمان » لسماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، طبع دار القلم ، الكويت .

و ما سقت هـــذه الحكاية إلا لأضع أمامكم هـــذا الفارق الدقيق ، بين اتجاهين ، و هى نتيجة طبيعية لذلك الطراز من التربية والذوق والثقافة ، و الميول و الأشواق ، و الحوافز و الدوافع ، و الشجرة لا تلام على ثمرتها .

هذا الفارق الذى قد لا يبدو هاماً و دقيقاً و فاصلا بين خطين، فى أنظار بعض المثقفين ، يأتى بتحويلات جذرية عميقة ، و تغييرات نفسية عقليـــة تكيف الحياة الفردية و الاجتماعية و السياسية ، و الشئون الحربية ، و العلاقات الدولية، تكييفا كاملا ، ويخلق مجموعة بشرية صالحة تختلف عن المجموعات الانسانية الأخرى و المجتمعات الدولية المعاصرة ، بل عن شقيقاتها و أخواتها ، كل الاختلاف و ما ذاك إلا لذلك التغير فى ترتيب الأمور ، و وضعها فى محلها ، و معرفة حجمها الصحيح ، و المحافظة على توازنها الدقيق .

الحكم الاسلامى هو حاجة الوقت ، و نداء الساعة ، و فراغ يجب أن يملأ فى أول فرصة ، و قد كان غيابه مصدر قلاقل و اضطرابات و ثورات ، و هزائم و نكبات ، و قد كان غيابه سبب ضياع شطر كبير من أحكام الاسلام ، وذهاب شوكة الاسلام و سلطانه عن القلوب و تأثيره فى النفوس .

ولكن يجب أن لا ننسى أن حكم الاسلام ليس إلا شعلة وهاجة من ومضات الايمان والسكينة ، و الصبر والاستقامة ، والجهاد والتضحية ، و الاخلاص والحب و الخشية و الانابة ، و الدعاء و التضرع ، فى المجتمع الربانى المؤمن .

إنه سياج منيع وسور واسع كبير للمحافظة على الحياة الاسلامية بكل ما فيها من عبادات ، وطاعات ، وقربات عند الله . مهما كان لونها و نوعها ، فاذا ذهبت هـــذه العبادات و الطاعات ، أو بعبارة أصح و أوجز : ذهب التقرب إلى الله و اتباع سنة رسول الله ، و الجهاد الخالص لاعلاء كلمة الله ، أو انزوى وانكمش

و عاش على الهامش ، أو بقى فى رفوف المكتبات وعلى ألسنة الخطباء ، وأقلام الفلاسفة و الأدباء و على منبر الجوامع ، أو صالة المؤتمرات فحسب ، و صار حكم الاسلام مجرد الفلسفة الاسلامية ، أوالنظرية الاسلامية السياسية والاقتصادية ، و صرنا نقيس الأمور بحجمها و روائها و بهائها ، و عددها و عدتها ، لا بعاقبتها ، و لا بمقياس الاخلاص لله ، و الوفاء بأصالة الدين ، أصالة المنهج و الطريق ، و الغاية والوسيلة ، والثبات على جادة الحق و التمسك بسنن الاسلام ، و شعائره و خصائصه ، وذهب اللب أو ضعف و بقى القشر ، أو تضخم ، وضعفت تلك الدوافع و المقومات و ذبلت و بقى السياج المنيع ، و السور الكبير ، و صار العيش بلا قوائم ، و الحكم بلا طاعة ، أو وازع من الضمير ، و دافع من الايمان ، و امتثال أمر الله ايماناً و احتساباً ، ذهبت كل هذه المجهودات الجبارة و التضحيات الجسام ، و حسن بلاء فى الدعوة و الجهاد ، هباء منثوراً ، أو لم تؤت على أقل تقدير ثمرتها الشهية المرجوة ، و خابت آمال كثيرة ، و صار ذلك حجة للذين ينكرون فضل الشرع الاسلامى و صلاحيته على الذين يدعون إليه ، و يتفانون فى سبيله ، و يضحون له بكل رخيص و غال .

و لعل ذلك هو المراد من قول المشرف العام للاخوان حين قال :

« أقيموا دولة القرآن فى صدوركم تقم على أرضكم » .

وليس المراد منه أبداً - كحقيقة بديهية - أن نترك الجهاد لاعلاء كلمة الله ، و إنما المراد أن لا يبقى مجرد الجهاد و الاستعداد ، و تذهب كلمة الله ، و هى كلمة الله و الاخلاص و الرضا ، و يعود حكم اللا إسلام ، و يتضاءل روح الاسلام و الايمان ، و يتحمس الدعاة إلى الله للاساليب السياسية ، ولشئون التصميم والبناء وتغيير مناهج الحكم ، أكثر مما يتحمسون لصور الايمان والاحتساب

و العبادة و الذكر ، و الصبر و الشكر و الزهد و القناعة ، و الدعاء و الانابة ، و باقامـــة الحياة الاسلامية الصحيحـة الجميلة فى عائلتنا ، و فى أبنائنا و بناتنا و فى نفوسنا .

و إذا قيل لهم أن يعنوا بالفرد الصالح ، و بالأسرة الصالحـــة ، قالوا : أو ليس كل هذه الأسباب و الوسائل فى سبيل الاسلام ، و إذا قيل لهم أن يعنوا بالوحدة ، فمن غير وحدة صالحة لا يصلح البناء، قالوا: نحن نهتم بالمجموعة، والمجموعة الأولى ، وإذا قيل لهم إن اللبنة الفاسدة لا تصلح للبناء، ولو تكدست بعضها على بعض ، و صارت كالأهرام ، قالوا : إنها مماطلة ، و قعود ، و دعوة إلى التزمت ، و فرار من المسئوليات، أما نحن فندعو — ونحمد الله على هـــذا التوفيق — إلى الجمع بين منهجين و المواصلة بين محاولتين ، مع المحافظـــة على التوازن المطلوب بين جهات مختلفة و مع التمسك الشديد بشعائر الاسلام و آدابه و التمسك بهدى النبي ﷺ و منهجه و طريقه ، من غير تأخير عمليـــة لعمليـة ، وتأجيل إنشاء دولة لبناء فرد ، أو تأجيل بناء فرد لانشاء دولة ، ومن غير تأجيل إعداد مناخ طيب لتطبيق الشريعة ، أو تأجيل تطبيق الشريعـة فى انتظار مناخ صالح ، فانهما يسيران جنباً إلى جنب ، يشد بعضه بعضاً ، و يأتى بعضه على إثر بعض ، و قديماً قيل .

« الدين أصل و السلطان حارس به و ما لا أصل له فهو معدوم و ما لا حارس له فهو ضائع » .

لم يبق منا سوى الثور الأسود

بقلم : الدكتور أحمد محمود الخلفية
مدير المركز الاسلامى بميونيخ

هناك قصة قرأناها فى الكتب المدرسية قديماً عن أسد سكن جديداً فى غابة، و لما أخذ منه الجوع مأخذاً بدأ فى البحث عن صيد يسد به جوعته ، فوجد ثلاثة ثيران متآخية ، تحميها وحدتها . . . و لما حاول الأسد الهجوم عليها وافتراسها أو افتراس أى منها تصدت له الثيران الثلاثة مجتمعة و ردت الهجوم، مما أغاظ الأسد و بدأ يفكر فى وسيلة تمكنه من افتراس الثيران الثلاثة . . . ولم يجد الخبيث سوى التفريق بين الثيران الثلاثة وسيلة لتيسير افتراسه لها الواحد تلو الآخر . . . و هنا توصل الأسد إلى حيلة ، و هى التوقف عن ملاحقة الثيران ، و بدأ يتقرب من الثيران الثلاثة باسداء النصح و بدأ يدلهم عن أماكن العشب الندى و الماء الزكى . . . و هكذا حتى اطمأنت الثيران الثلاثة إلى حسن صداقة الأسد ، و يتحول الأسد من مكانة العداوة إلى منزلة الصداقة و النصح . . . و يوما ما انفرد الأسد بالثورين الأسود و الأحمر فى غياب الأبيض و أخبرهما « كذبا » أن صياداً ورد إلى الغابة بحثاً عن صيد ثمين و أن الثور الأبيض للونه سيسهل على الصياد التعرف على مكانهم ، و هكذا و بصوت تمثيلى حزين أقنع الأسد الثورين أن هناك « ضرورة أمنية » للتخلص من الثور الأبيض . . . وبدأ الأسد يشركهما فى طريقة التخلص من الثور الأبيض ، حتى وافق على رأيهما بأن يقوم الأسد بافتراس الثور الأبيض متناسين معانى الوفاء فى غمرة « الحرص الأمنى » . . . و نزل الأسد على رأى الجماعة و افترس الثور

الابيض و تلقى العزاء مع الثورين الاسود و الاحمر و ما زالت مخالبه تقطر دما من جراء فعلته النكراء . . . ثم و بنفس الطريقة تمكن الأسد من إقناع الثور الأسود ذات يوم وفى غياب الثور الاحمر من ضرورة التخلص من الثور الأحمر . . و أعاد تمثيلية « الأمن القومى » و « تأمين الحدود » و نزل الأسد على رأى الثور الأسود بالتخلص الرحيم من الثور الأحمر . . . . و طبعاً رحمة الغاب تختلف عن رحمـــة أهل الايمان . . . فرحمة سكان الغاب تتلخص فى ضرورة افتراس القوى للضعيف . . . و هذا ما كان ، و هنا وجد الثور الأسود نفسه وحيداً فى تقبل العزاء فى أخيه الثور الأحمر ، و غاب الأسد عن العزاء فقد كان يستعد للانقضاض على الثور الأسود الوحيد . . . . و لما هم الأسد بافتراس الثور الأسود أفاق الثور على الفاجعة الكبرى فصاح قوله العاجز : (إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض . . . و الكلمة حكيمة و مشهورة . . . و لكن . . . بم تفيد حكمة القول بعد ضياع حكمة العمل . . . وهنا و مع كلمة العاجز تنتهى القصة التى قرأتها فى أحد كتب الوالد التى كان يحتفظ لنا بها و كأنه كان يشعر أن كتب المدارس ستخلو يوما من معانى الحكمة و تتحول إلى شرشر و فلفل و بعدها : عادل و سعاد . . . حتى زادت أمية القراءة و أمية العلم وأمية الحكمة . . . . المهم تذكرت هذه القصة العجيبة و أنا أطالع خريطة للعالم موضحاً عليها مناطق الفتح الاسلامى و الخلافة الاسلامية و سألت نفسى ، و أطرح السؤال ذاته على الجميع : ما الذى دهانا نحن العرب والمسلمين حتى وصلنا إلى هذا الحال؟ هل ضحكت علينا النمور و الأسود فى الغابة البشرية حتى حولتنا من دول مجتمعة متحدة برأس واحدة وجسد واحد إلى مجموعة الدويلات المتفرقة المتناحرة برؤوس عدة . . . و هنا بدأ جسمى يرتعد و قلبى يخفق من نتيجة هذه الفرقـــة . . .

أليست هى السبب فيما حدث للثيران الثلاثة ؟ ؟ ؟ و ما أكد على نفسى هـذا الخاطر نشوب حروب الحدود الأمنية بين دول العالم الاسلامى (إيران - العراق) (ليبيا - تشاد) (المغرب - الجزائر) (اليمن - السعودية) . . . . و هكذا فالأمن هو سبب الحروب بين الأشقاء ! ! ! ؟ ؟ ؟ أى معادلة صعبة هذه التى ترهق الأذهان ؟ و ليس المهم الآن أن نقارن بين وضعنا و وضع الثيران حال وحدتهم و ما افتقدوه واحداً تلو الآخر بعد تصديقهم للادعاءات الكاذبة المضللة من أسود الغابات ، إنما الأفضل أن نتساءل ماذا فعل الثور الأسود لينقذ نفسه . . و ماذا علينا لننقذ أنفسنا من المصير الأسود ؟ ؟ ؟ .

هل تمكن الثور من الهرب ؟ هل تقرب بطلب لجوء إلى قطيع آخر لينقوى به على طرد الأسد الغادر ؟ هل استسلم وسكن منتظراً ساعة الافتراس ؟ هل هاج هوجة عشوائية فكسر ما حوله من أشجار كانت تحميه من هجمة الأسد؟ أم أنه هاج هوجة مخططة موجهة للاسد مستجمعاً كل قواه فضرب الأسد ضربة صائبة فقضى عليه و استراح ؟ ؟ ؟ .

كل هذا و للأسف لم تجب عليه القصة التى قرأتها بين كتب الوالد - أطال الله عمره - وعلينا نحن الآن تقديم الاجابة المناسبة و الحكمية عن هذه التساؤلات ، خاصة و أن الذى أصابنا هو نفس ما تعرضت إليه ثيران الغابة الثلاثة . . . فبلادنا الاسلامية نعمت دهورا بوحدتها و تآخيها ، حاول الشرق و الغرب مرات عديدة الاستيلاء على بلادنا ففشل ، و لم يجد الأعداء سوى أسلوب التفريق بين الأشقاء و الاحباب . . . و لم يجد الأعداء سوى حجة الأمن الداخلى كوسيلة لتأصيل الفرقة . . . فتفرقت الدول و تقسمت إلى دويلات على أمل أن يتمكن الجميع من حماية الدويلات حيث صعبت حماية

الحدود الواسعة للخلافـــة الاسلامية ، والتى أطلق عليها الاعـــداء بذكاء اسم « الاستعمار العثمانى » فتعاون الوحش مع الثيران على القضاء على هذا « المستعمر » . . . و انتهى خط الدفاع الأول « الثور الأبيض » . . . و لم يكتب الوحش بالتهامه لموطن الخلافة حينئذ ... إنما استمر فى الترتيب لالتهام بقية أجزاء الخلافة الواحد تلو الآخر . . . و هنا احتاج الأمر للتأكد من خلو الجسد العربى و الاسلامى من أحاسيس الندم على ما فرطوا فى أخيهم وحاميهم ورمز وحدتهم « الثور الأبيض » ، فقام الشرق مجتمعا مع الغرب فى رسم الخطوات التنفيذية لوعد بلفور ، وبدأ اليهود فى استيطان الحبيبة « فلسطين » . . . و العالمان العربى و الاسلامى فى صمت كامل أو ذهول قاتل . . . و تحركت الشعوب العربيـــة و الاسلامية و تقدمت محاولة الدفاع عن أرض الأسراء ، أولى القبلتين و ثالث الحرمين . . . و لكن الخيانة حالت دون وصول المجاهدين المسلمين إلى ما كانوا يطمعون فيه « النصر أو الشهادة » . . . وتفرقت الشعوب عن قياداتها الموصومة بالخيانة ، و كانت نهاية خط الدفاع الثانى « الثور الأحمر » ، و هنا فرح الاعداء لأن العالمين الاسلامى و العربى قد تم تقسيمهما و تفريغهما من أى روابط بين بعضها البعض أو بين الحكام و المحكومين ، فبدأت العوالم الغربية والشرقية تناطح و تلتهم الثيران السوداء واحداً تلو الآخر . . . وعلى الدويلات المتفرقة « الثيران السوداء » أن تضع خاتمة لقصتها . . .

فهل تهرب الدويلات الاسلامية و تفر من مصيرها المرتقب ـ الالتهام ـ ؟ و هذا طبعاً سهل إن نحن عرفنا أين المهرب . . . فليست القضية قضية مبـــدأ الهرب ، فلا يجوز الهرب من الأسود إلى النمور أو الحيات السامة ، إنما الهرب و الفرار لا يكون إلا إلى مكان أمين . . . . ونظرة سريعة إلى الخريطة العالمية

نعلم منها يقيناً أنه لا أمن على الأرض بعد انتشار الظلم و البعد عن المنهج الربانى ... هنا وجب علينا البحث عن الأمن عند رب السماء و الأرض و هنا نتذكر قول الحق تبارك وتعالى (ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين ـ الذاريات (٥) ... (و ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ـ التوبة ١١٨) ... فلو نحن فررنا إلى الله تبارك وتعالى لحصلنا على الأمن فى الدنيا وبشارة النجاة فى الآخرة.

كما يمكن اتمام القصة بلجوء الثيران إلى أخوات لها لتتعاون معهم على تخلية الغابة من الأسد المفترس الغاصب ... و هنا وجب على الدويلات الاسلامية البحث عن المكان الذى ستلجأ إليه ، و الذى ستعمل مع غيرها على طرد من احتل الأرض و استباح العرض فى كل الممالك الاسلامية ... ثم على أى المبادىء سيتم التحرير ... فقضايا التحرير بقدر صعوبتها إلا أنها أيسر من قضية المحافظة على الحرية المستعادة ، وعليه فان تحديد منهج التحرير وصيغة التعاون بين الاطراف من أهم ما يمكن بحثه ، و هذه أيضاً ينظمها الشارع سبحانه و تعالى و يضع لها الأطر المناسبة للتعاون (و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان ـ المائدة ٢) ... (فأما الذين آمنوا بالله و اعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه ـ النساء ١٧٥) ... (و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقو ـ آل عمران ١٠٣) ... و عليه فالتعاون على التحرير يجب أن يكون فى حدود البر والتقوى فلا يخرج بحال من الأحوال عن القواعد الربانية ، ثم إن الايمان بالله و الاعتصام به و اللجوء إليه لهو من موجبات رحمة الله التى لا يقنط منها عباد الله المؤمنون ... و أخيراً و مع الأخذ بمنهج الله وجب الاستمرار على الاستمساك به ، و دوام تآلف القلوب على مرضاة الله تبارك وتعالى ، و فيها يكون الضمان التام لرضوان الله تعالى ... (نصر وفتح قريب فى الدنيا ... و فوز و فلاح فى الجنة فى الآخرة) .

كما يمكن إتمام القصة باستسلام الدويلات لأعدائها و انتظار سكين الجزار القاسى و لو فكر الناس بهذا الشكل لكانت النكسة ، فانه حتى على مستوى الدواب ، فما من حيوان يساق إلى الذبح إلا و نرى له مقاومة و إن علم أنه لا فرار له و لا فكاك من قيوده إنما هو بذل الجهد و عدم الاستسلام . . . فلو حدث - لا قدر الله - أن استسلمت بعض القيادات السياسية أو العسكرية للاعداء ، إلا أن الشعوب لم و لن تستسلم يوما ، فهى قد عاشت فى الكرامة وأحب إلى نفسها الشهادة و المقاومة عن الاستخذاء و الاستسلام ، ولنقرأ الصور البشعة التى قامت بها محاكم التفتيش فى الأندلس بعد استخذاء القيادة السياسية فى الدفاع عنها ، فنجد صوراً رائعة وأمثلة قلما تتكرر إلا بين المسلمين المفضلين للشهادة تحت أى نوع من أنواع وسائل الارهاب و التعذيب عن أن تبوح بأى سر من أسرار المسلمين أو أن تستسلم للظالمين ، وعلى ذلك فمثل هذه الخاتمة «الاستسلام» مرفوض فى عالم الحيوانات ، و بالطبع مرفوض فى عالم الانسان ، و قبل الجميع مرفوض بين أهل الاسلام و الايمان .

كما يمكن إتمام القصة بهياج الدويلات الممزقة بطريقة عشوائية ، فتصرخ دويلة هنا و تردد أخرى بعدها الصراخ . . . عسى عدونا أن يخاف من مظهر قوتنا و يكفينا شره ؟ ؟ ؟ و هذا و للأسف أقرب ما يمكن تشبيه ما تقوم به دويلاتنا من عمل لتخويف الأعداء الغاصبين . . . فصراخ بين أروقة جامعة الدول العربية ، وصراخ فى قاعات دول عدم الانحياز ! ! ! و صراخ فى مبنى الأمم المتحدة و هيئاتها ، و صراخ على أبواب مجلس الأمن ، وصراخ للأصدقاء من أعضاء الكونجرس ، و صراخ للأصدقاء فى السوق الأوربية المشتركة ، و صراخ . . . و صراخ . . . و صراخ . . . و تتعب الحناجر من الصراخ

ولا تتعب طبعاً الآذان من السماع . . فالبعض يطرب لسماع صراخنا والآخرون قد حشوا آذانهم قطنا قبل مقابلتنا . . . و هكذا تهبط حدة الصراخ لتتحول إلى الهمس ثم الرجاء ثم الاستعطاف حتى وصلنا إلى حالة نتشكك فيها من أحقيتنا لما نطلبه أو نطالب به . . . فبعد طلب و العزم على إلقاء إسرائيل فى البحر و تحرير كامل التراب الفلسطينى . . . نجد الهمس يصل بنا إلى الاكتفاء بالحكم الذاتى . . أو استرداد الضفة و الجولان و سيناء . . حتى الالفاظ صار لها انتقاء جديد ، بدل التحرير صار الاسترداد ، فالتحرير يستلزم الجهاد أما الاسترداد فيحتاج فقط إلى التحرك الدبلوماسى . . . و نحن دويلات مسالمة أو مستسلمة ليس لهـا فى جهاد حاجة . . . ولنرجع إلى تصرفات الأسد مع فريسته إن هى هاجت هياجاً عشوائياً فماذا هو معها فاعل ؟ ؟ لا شىء طبعاً ، إنما يتركها الأسد فى هياجها حتى يبلغ منها الجهد مبلغاً تضيع معه كل مقاومة للفريسة فيتلذذ حينئذ الأسد بالاكل من الفريسة الحية المستسلمة فقد خارت قواها ، و طبعاً الفريسة الحية أرق مذاقا للأسد من الفريسة المقتولة . . . و هذا ما تفعله القطط إن هى أحبت أن تفترس فأراً ينوى المقاومة . . تلاعبه و تحدد له حدوداً للعبه ، فان هو خرج عن الحدود ضربته برفق معيدة له داخل حدود الحركة المفروضة عليه من القط ، و هكذا يظل الفأر يجرى يمنة و يسرة داخل الاطار المحدد من القط حتى يتعب الفأر فيتلذذ القط بافتراسه . . . . وعليه فان كل هياج دون خطة أو نظام فهو نوع من أنواع الانتحار اللاوعى . . . أى أن الانسان يظن أنه يجاهد و يناضل و يكافح و يندد و يهدد و يشجب و يحارب . . . . يظن بنفسه يفعل كل هذا و هو فى الحقيقة يسجل بنفسه وثيقة دفنه و موته . . . ثم لا يلتى فى الآخرة

إلا العتاب و الخسارة والعياذ الله ، ولنقرأ قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ـ الكهف ١٠٤) . . . و إذا استمرت مناهج النضال و الكفاح بيننا وبين أعدائنا على ما هى عليه اليوم ، وصراخ وعويل ، فهمس و رجاء ، فطلب و استجداء ، فاستسلام واستخذاء ، إذا استمر هذا هو المنهج فانا لا نرى أى بريق أو بصيص أمل فى المستقبل القريب أو البعيد على السواء ، فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

كما يمكن اتمام القصة بأن تهيج الدويلات الاسلامية بخطة مدروسة وعمل مقنن ومرتب ، فنحصى ما فى أيدينا من قوى و إمكانيات ، ونوجه ضربتنا لعدونا فى حركة جهادية تنتهى بالفوز أو بالموت . . . و هذه أيضاً طريقة و منهج من لا طريق ولا منهج نورانى له . . . و هكذا فعل أصحاب الثورات فى العالم . . . و لكنهم خابوا بعد انتهاء ما قاموا له ، لأن منهجهم كان صالحاً لفترة محدودة و مرحلة قصيرة و بانتهائها ماتت الحركة و خابت الفكرة ، و تمكن الأعداء من الاستيلاء الفكرى عليهم فغيروا و بدلوا وهم لايشعرون . . . أما نحن فقد أكرمنا الله بالمنهج والطريق حتى فى المقاومة ، وحتى أثناء الجهاد و النضال ، فيقول تبارك و تعالى (و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين من دونهم ـ الأنفال ٦٠) . . . و هذا هو الحل الذى لا حل سواه . . . و الذى يجب علينا أن نختم به قصتنا مع أعدائنا . . . الاستعداد بالقوة و برباط الخيل الذى يرهب عدو الله و عدونا . . . و عدو الله و عدونا لن ترهبه الخطب الحماسية و المنبرية ، و لن ينخدع بتهديدنا و وعيدنا ، فهو يعرف قدراتنا و إمكانياتنا ـ فهو الذى ربى و درب و علم ـ كما أنه يعلم أن

قيادات الدويلات الاسلامية تصوغ خطبا للاستهلاك الشعبي و المحلي ، و هــذه تخالف ما تم عليه الاتفاق بين الاعداء و القيادات .

و إن كان منهج ختام القصة بيننا و بين عدونا موجوداً . . . و الايمان بصلاح المنهج تنطق به الحناجر و القلوب ، فالسؤال الذى يطرح نفسه علينا .

(ماذا أعددنا لساعة القوة و الرهبة ؟ ؟ ؟) .

و أول ما يجب علينا إعداده الآن هو :

التعرف عــلى منهج الاعداد ! ! ! !

و إن كان المنهج بين أيدينا محفوظاً ، فما بال أقوام فينا و بيننا يبحثون عن المنهج فى غيره ، كمن يحاول أن يصطاد الصقور فى أعماق البحار ، و لما لم يجد فى قاع البحار صقورا اكتفى بمشاهدة عجائب البحار و المخلوقات . فيـا سادة إن الصقور مكانها ليس فى الأسافل إنمـــا هو فى الأعالى . . . فانظروا إلى الأعالى وابحثوا عنها ، كذلك منهج النصر و العزة و الكرامة ليس بالمنهج المستقل عن بقية المناهج الحياتية إنما الجميع منهج واحد متصل الحلقات ، كالعقد لا تعالج حباته إلا إذا انفرطت و ضاع نظمها وعندها يسهل ضياع حبات العقد الواحدة تلو الأخرى ، حتى يصعب على الانسان محـاولة إعادة جمع حبات العقد فقــد غابت و غربت بعض حباته . . . و محاولة كسر الغربة هو ما جاهد من أجله الأنبياء . . . أ لم تكن الكعبة خالية من الأصنام طاهرة فى عهد إبراهيم وابنه الذبيح إسماعيل عليهما السلام ؟ ؟ ؟ فما الذى جعل الأحفاد عند بعثة المصطفى ﷺ يقاومون دعوة الطهـارة ؟ ؟ ؟ السبب بوضوح هو الاستغراب للدعوة فقد انفرط عقد الدعوة الابراهيمية ، و هذا ما نوه عنه الحبيب المصطفى ﷺ فى قوله (بدأ الاسلام غريباً و سيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)

و لكن و لله الحمد فان المنهج الربانى إن انفرط فانه انفراط محلى و وقتى، أى أن المنهج لا يمس إنما المساس يتم فى بعض القلوب و فى بعض الأماكن و إن كان الانفراط فى معظم القلوب و معظم الأماكن . . . إلا أن المقصد الأصيل يظل محتفظاً بتمامه و كماله . . . و ها هى بشارة ربنا سبحانه و تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون ـ الحجر ٩) . . . فكيف بنا مع هذه الضمانات المتتالية يضل بعضنا فى البحث عن المنهج الموصل و الضامن للنصر المبين العزيز ؟ ؟ ؟ ! ! !

فهلا تعرفنا على منهج النصر و الفلاح ؟

و إذا أردنا التعرف على منهج الحق تبارك وتعالى فى تحقيق النصر للمسلمين وجب علينا استقراء التاريخ عن أسباب النصر الحقيقية . . و سنرى أن تحقق النصر للمسلمين تلازم مع أخذ المسلمين لمنهج الحق تبارك و تعالى بكماله وتمامه، و إذا أخذ مسلمو اليوم بهذه الأسباب لتحقق لهم ما تحقق لآبائهم من أعلام الجهاد و الاسلام .

١ــ نصر الله تبارك وتعالى المؤمنين فى مواطن عديدة (بدر/ الأحزاب/ الفتح/ حنين / عين جالوت / حطين / معارك أفغانستان / . . .) ، و قد تحقق هذا النصر وفاء لعهد الله تبارك وتعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين ـ الروم ، ٤٧) . . . ولتنظر معى أخى القارىء إلى التعبير القرآنى اللطيف فهو يحدد أن « النصر حق » . . . هكذا وبكل بساطة التعبير وعمق المعنى و تمام المغزى ، و إن كان النصر حقا . . . فهو حق لطائفة واحدة فقط يحددها المولى عز و جل فى نفس الآية . . . « للمؤمنين » أفليس من الحكمة أن نستكمل هذه الصفة لنحصل على هذا الحق المضمون ، ونقول إنه

مضمون لأن الدنيا عبارة عن حقوق وواجبات فى كل مناحيها، وللاسف فانا نجد من أصحاب الحقوق من يضيع حقهم و من أصحاب الواجبات من يتلمون ويهضمون حق غيرهم، كل هذا مع وضوح الحقوق، ومن أراد التفصيل فليقم بزيارة واحدة فى العالم لأى من المحاكم ليرى و بنفسه عـــدد الحقوق الضائعة . . . أما حق المؤمنين فى نصر الله لهم مأمون مضمون (ومن أوفى بعهده من الله ـ التوبة ١١١) .

٢- و ليس نصر الله للمؤمنين محاباة لطائفة دون طائفة ـ حاشا لله ـ إنما هو تحقيق لأحقيـــة القائمين على دينه الظاهر على الأديان كلها، بل هو الدين الوحيد الحق، و من تمسك و استمسك به استحق أن يكون على الأمم كلها ظاهراً، و لنقرأ قوله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام ـ آل عمران ١٩) و قوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ـ التوبة ٣٣ / الفتح ٢٨ / الصف ٩)، و نرى رسول الله ﷺ يدعو الله تبارك و تعالى يوم بدر بقوله المؤكد لما سبق (اللهم إن تهلك هذه العصابة فلا تعبد فى الأرض) لأنه يوقن بأن رسالته هى الرسالة الخاتمـــة، و عليه فالحفاظ على المؤمنين أمر من الضرورة بمكان لاتمام وعد الله .

٣- ونصر الله عباده المومنين لأنهم قاموا بتحقيق أسباب النصر المادية و المعنوية، فالله تعالى يأمر أن (و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين من دونهم) و القوة هنا تشمل جميع أنواع القوى و الأسباب المادية و المعنوية على السواء . . . ثم هـا هو تأييد الله المعنوى عند النضال فهو القائل سبحانه و تعالى (و لا تهنوا

و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله و تلك الأيام نداولها بين الناس) فيالروعة التأييد الربانى لعباده المؤمنين . . . البشارة بالعلو على الكافرين فى كل الأحوال و هو ما يستبشر به المؤمنون . . . حتى إذا ما نتج عن المعركة قتل للمؤمنين ـ و هو المتوقع و الطبيعى ـ فالله تعالى يعطى البشارة بأن ألم الكافرين ليس بأقل من ألم المؤمنين . . . و فوق هذا البشارة للشهداء بالجنة . . . أما عند الهزيمة فيعبر التعبير القرآنى بأنه ليس نهاية المطاف ، فالأيام يداولها الله تعالى بين الناس . . . و عليه فالمؤمن فى بشارة كاملة و تامة بكل المقاييس . . . سواء عند النصر أو الشهادة أو حتى عند الهزيمة إذا لم يأخذ المسلمون فى إحدى المواقع بكل أسباب النصر . . . أو إن إراد الله سبحانه و تعالى للبدأ و العقيدة نصراً حتى و إن فنى جيش المسلمين فى الموقعة عن آخره كما حدث فى فتح شمال إفريقيا . . . فالبربر أبوا أن يدخلوا الاسلام وأن يتركوا للمسلمين حرية الحركة . . . و حاربوا المسلمين حتى أستشهد جيش المسلمين عن آخره و عندها فكر البربر فى أسباب هذا النوع من الجهاد ، و عندها انزاحت الغشاوة عن عيونهم . . فدخلوا فى دين الله أفواجا . . و الحمد لله رب العالمين ، و لنقرأ قوله تعالى المؤكد لهذه البشارة (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم . . . إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون و ترجون من الله ما لا يرجون ، وكان الله عليما حكيما) فينفى تبارك و تعالى صفة الهوان عن الطائفة المؤمنة حتى عند الألم الناشئ من جراء قتال المشركين ، ويضاف إلى ذلك الأمل والرجاء الذى ينفرد به المؤمنون

عن غيرهم . . . فأى قدر من البشارات المتتالية هذه التى خص الله بها عباده المؤمنين .

٤ـ ينصر الله عباده المؤمنين لأنهم هم الذين ينصرون دينه ، فيقول الحق تبارك و تعالى (و لينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . . . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة وأمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر . . . و لله عاقبة الأمور) و هنا نرى أن نصر الله مشروط بنصرتنا لشرع الله ، و حينها يكون نصر الله آكد مؤكد لأنه من القوى العزيز سبحانه و تعالى ، و لم لا ينصر الله هذه الطائفة و هى المتميزة بصفات ليست لغيرها من الطوائف ؟ ؟ ؟ فهم الذين إن مكنهم الله فى أرضه لم يتكبروا كغيرهم إنما عرفوا قدر الله و فضله عليهم فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ـ أى قاموا بالعبادات التى تزكيهم أفراداً ـ ولم يقفوا عند هذا الحد فقط إنما اتسع خيرهم ، فأمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ـ أى قاموا بالعبادات التى تزكيهم و تزكى من حولهم من الخلق ـ فأى خير يستحقه من حافظ على نفسه و دعا غيره ، و لذا فلا عجب أن ينصر الله هذه الطائفة التى استحقت التمكين و الاستخلاف بعبادتها ، و لما مكن الله لها لم تنسه بل ظلت على ما هى عليه من خير ، وطبعاً لم يستحق المسلمون الاستخلاف إلا عن جدارة ، فهم المتحقق فيهم وعد الله (وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً . . . يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) و إذا قمنا بوزن المقدمات من البشر و العطايا من الله تعالى لعرفنا مدى كرم الله سبحانه ، فالاستخلاف من الله تعالى فى الأرض بالاضافة إلى التمكين ثم تبديل الخوف بالأمن . . . كل هذا فى نظير العبادة و عدم

الشرك ! . هذا بالرغم من أن العبادة و عدم الشرك حقان لله تعالى ولو لم يكافئ عليهما لوجب أداؤهما ، فان جازى كان الفضل من صاحب الفضل سبحانه . . . و إن زاد الجزاء كما ورد فى الآية فهو قمة العطاء و الكرم - و من يقدر على مثل هذا غير رب العالمين - و الحمد لله رب العالمين .

و لأهمية الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر كأساسين قويين لبقاء الأمة و دوام عزتها و استمرار وحدتها ، نجد أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر يرقيان ليصلا إلى درجة الفرضية على كل مسلم و مسلمة ، فيقول سبحانه (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر . . و أولئك هم المفلحون) كما يقول سبحانه (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله) فليس فقط أفراد الأمة هم خير الأفراد إنما الأمة كلها هى خير الأمم . . . و ما كان للامة أن تستحق هذه المكانة إلا لأنها قامت بواجباتها كاملة . . . وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله تعالى . . . أما إذا ترك الانسان أو الجماعة المسلمة هذا الفرض فان لعنة الله تصير حينئذ آكدة . . . و أى لعنة أشد و أقسى من لعنة الله و الملائكة و النبيين و الناس أجمعين . . . و لنقرأ قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم . . . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . . . لبئس ما كانوا يفعلون) إذاً فلعنة الله و غضبه على اليهود و التى استحقوا بها التيه و التشريد و التى استحقوا بها أن يتبرأ منهم المصلون ١٧ مرة يوميا على الأقل عند قرأة الفاتحة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) . . . كل هذا كان نتاج أمر واحد بدأوا بمخالفته . الا

و هو الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر . . . و أى لعنة أشد و أقسى من تبديل النعميات إلى نقميات . . . فمن يتصور أن المن و السلوى التى أتت لبنى إسرائيل بالخير و البركة تتحول بعد مصادمة بنى إسرائيل للنهج الالهى إلى جراد و قمل و ضفادع . . . و هى أيضاً من جنس المن و السلوى من كونها حشرات وطيوراً . . . و لكنها تأتى بالدمار و النقمة بعد الخير و النعمة . . . و هكذا لما بدل اليهود طاعتهم لله بدل الله عليهم جنوده جزاء وفاقاً . . . أفلا نقدر إذاً أوامر الله علينا و نحققها حتى لا نستحق ما استحقته من قبلنا الأمم لما فعلوا ما نهى الله عنه ؟ ؟ ؟

هـ ـ و نصر الله عباده المؤمنين أن سخر لهم جنداً من جنوده (و لله جنود السموات و الأرض ـ الفتح ٤/٧) و (و ما يعلم جنود ربك إلا هو ـ المدثر ٣) و قوله تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون ـ الصافات ١٧٣) ، إذاً فالجنود لنا مجهولة إلا بخبر من السماء ، لذا وجب علينا أخذ الحذر من جند الله و كذا الاطمئنان إلى جند الله . . . فهى جند تتعاون مع المؤمنين و تناصرهم و تنصرهم بفضل الله و قوته (و إن جندنا لهم الغالبون) و إذا استقرأنا التاريخ لقرأنا عجبـاً . . . بنو إسرائيل يبدلون علاقتهم بالله فيبدل الله عليهم الجزاء . . . و عاد تغتر بقوتها فيسلط الله عليها أخف المعلوم من الماديات (الهواء) فيرسل الله عليهم الريح . . . و فرعون يغتر بملك مصر و الأنهار التى تجرى من تحته ، فيغرقه الله فى مثل مياه الأنهار التى اغتر بها . . . وقريش تغتر بعظمتها وقوتها و جبروتها وتحب أن تقوم بجولة استعراض عسكرى بين القبائل لترهبها ، فيهزمها الله شر هزيمة فى بدر و تلقى جثث قتلاهم فى قليب بدر . . . و الغرب يغتر

بعلمه و اقتصاده و عدده وعتاده ، فها هي بشائر الدمار ، فالعدد فى تناقص و العتاد إلى خراب و الاقتصاد إلى تدهور و تآكل . . . و الشرق اغتر بأنه أول من أطلق إلى الفضاء صاروخاً و رجلا و كلباً ، فها هى أحداث انفجار مفاعل تشر نوبيل تطمنه فى كبريائه . . . و هكذا أخذ ربك .

أما أهل الايمان والاسلام . . . بالامس واليوم وغداً . . . فانهم يعلمون أن النصر من عند الله ، لا يحصل عليه إلا من قدم ثمنه إيماناً و تسليماً ، ولا يحتفظ به إلا من قدم ثمنه طاعة وإقامة للصلاة و إيتاء للزكاة و أمرا بالمعروف و نهيا عن المنكر . . . و هذه هى الأسباب الحقيقية للنصر و العوامل الأساسية للمحافظة عليه ، إن فعلها عباد الله المؤمنون تحقق لهم كرم الله بنصر الدنيا و فوز الآخرة .

فهيأ بنا إلى منهاج النصر و الفلاح . . . و الفوز و النجاح . . . قبل أن يلتهم الأعداء ما بقى منا ، و الله تعالى ناصرنا إن نصرناه . . . و هادينا إن اهتدينا بهديه و عبدناه . . .

فهيأ إلى أسباب النصر نتعرف عليها و نحققها ، و نؤلف بين قلوب العباد فتأتى بشارات النصر قبل النصر ، و يأتى النصر و معه الخير . . . و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، و هو العزيز الرحيم .

الصحوة ، و كيف تفهم الاسلام ؟

بقلم : فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى

لابد لنا لكى نتبين موقف الصحوة من هموم الوطن العربى ، وكيف ننظر إليها ، أو نفكر فى علاجها ، أن نكشف قبل ذلك عن مدى فهمها للاسلام ، ونوع نظرتها إليه ، وكيف تتعامل مع أصوله و فروعه ، و ثوابته و متغيراته ، أى اتجاه تتبناه ، و أى اتجاه تحذر منه ، حتى يكون حكمنا للصحوة أو عليها عن بينة .

تيار الوسطية الاسلامية :

على أن أحداً لا يجهل أن الصحوة تمثل فصائل وتيارات متعددة تتفق كلها على حبها للاسلام ، و اعتزازها برسالته ، و إيمانها بضرورة الرجعة إليه ، و العمل به ، و الدعوة إلى تحكيم شريعته ، و تحرير أوطانه . و توحيد أمته ، و الوقوف فى وجه الكائدين له ، و لكنها تختلف فى قضايا و مواقف كثيرة ، بعضها يمثل تفصيلات ، و بعضها يمثل اتجاهات مهمة ، و لكنى هنا أتحدث باسم أهم تيارات الصحوة و أعظمها ، وهو التيار الذى أسميه (تيار الوسطية الاسلامية) و ذلك لعدة أسباب :

أولا : لأنه التيار الذى يمثل اعرض قاعدة فى الصحوة الاسلامية ، و ما عداه يعتبر بمثابة قنوات صغيرة ، ربما تفرعت من هذا المجرى الكبير ، إلا أنها انفصلت بعد ذلك .

وثانياً : لأنه التيار الأعرق و الأقدم فى تاريخ الصحوة أو التجديد الأسلامى ، و التيارات أو الفصائل الأخرى مثل التكفير و الهجرة و نحوها ، حديثة العهد ، لا تضرب فى التاريخ إلى غور بعيد .

وثالثاً : لأنه التيار الذى يرجى طول عمره و استمراره ، فان الغــلو دائماً قصير العمر ولا ينتظر له البقاء طويلا ، وفقاً لسنة الله ، فان المنبت لا أرضا قطع ، و لا ظهراً أبقى .

ورابعاً: لأنه - فى رأيى على الأقل - هو التيار الصحيح ، الذى يعبر عن وسطية المنهج الاسلامى الذى سماه القرآن (الصراط المستقيم) و وسطيه الأمة الاسلامية « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » (سورة البقرة : ١٤٣) . و يجسد يسر الاسلام وسماحته « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة : ١٨٥) . و ما جعل عليكم فى الدين من حرج » (الحج : ٧٨) « بعثت بحنيفية سمحة » (رواه الشيخان) « إنمــا بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين » (رواه الترمذى) .

كما يمثل وسطية أهل السنة بين الفرق الاسلامية المختلفة ، ممن يبالغون فى تضخيم دور العقل على حساب النص ، أو دور النص على حساب العقل .

خصائص تيار الوسطية :

و حتى نضع النقط على الحروف ، أذكر هنا الخصائص أو المعالم البارزة التى تميز هذا التيار ، فى فهمه للاسلام و عرضه له .

و أهم هذه المعالم أو الخصائص ، يتمثل فى أمور أربعة :

١- الجمع بين السلفية و التجديد .
٢- الموازنة بين الثوابت و المتغيرات .
٣- التحذير من التجميد و التمييع و التجزئة للاسلام .
٤- الفهم الشمولى للاسلام .

و يحسن بنا أن نتحدث عن كل عنصر منها بما يلقى الضوء عليها .

١- الجمع بين السلفية و التجديد .

و أول خصائص تيار الوسطية إنه يجمع بين السلفية و التجديد ، أو بين الأصالة و المعاصرة ، كما يقال اليوم .

فالسلفية تعنى العودة إلى الأصول ، إلى الجذور ، إلى المنابع ، و لهـــذا يطلق على دعاة هذا التيار (الأصوليون) .

و التجديد يعنى : المعايشة للعصر ، و المواكبة للتطور ، و التحرر من أسار الجمود و التقليد .

و لابد من إلقاء شيء من الضوء على هذين المفهومين : السلفية والتجديد .

وكثيراً ما تفهم (السلفية) خطأ ، حيث يحسب من يحسب إنها العودة إلى الماضى باطلاق ، و لو كان ماضى عصور التخلف و الانحراف و الجمود .

ولكن المصطلح الاسلامى لا يحمل (السلف) مطلق الماضين ، بل السلف هم أهل القرون الأولى ، خير قرون هذه الأمة ، وأقربها إلى تمثيل الاسلام فهماً و إيماناً و سلوكاً و التزاماً ، و من عدا هؤلاء يسمون (الخلف) .

و المدارس والحركات الاصلاحية والتجديدية التى قامت فى العصور الماضية كان أساس دعوتها و فكرها (السلفية) أى الرجوع إلى ما كان عليه السلف الأول فى فهم الدين عقيدة و شريعة و سلوكاً .

و كثيراً ما حذر العلماء من ابتداعات الخلف فى الاعتقاد والتعبد و العمل : و خصوصاً فى العصور الأخيرة التى تمثل انتكاسة الحضارة الاسلامية ، و توقف الفكر الاسلامى عن الابداع ، و انحراف السلوك الاسلامى عن خط التوازن و الاعتدال ، و الذى سماه القرآن (الصراط المستقيم) ، و مما حفظناه و نحن فى ثانوى الأزهر قول صاحب الجوهرة :

فكل خير فى اتباع من سلف وكل شر فى ابتداع من خلف

و ليس معنى العودة إلى ما كان عليه السلف أن نكون نسخا (كربونية) لهم ، بل المهم أن تتمثل منهجهم و روحهم فى فهمهم و سلوكهم ، و تعاملهم مع الدين و الحياة .

فنعود إلى فهمهم للعقيدة فى سهولتها و وضوحها و نقائها ، بعيداً عن جدل المتكلمين ، و تعقيدات المتفلسفين ، و أباطيل القبوريين .

و إلى فهمهم للعبادة فى روحانيتها و صفائها و خلوصها ، بعيداً عن شكلية الطقوسيين ، و ابتداع المبتدعين ، ما لم يأذن به الله .

و إلى فهمهم للاخلاق فى تكاملها و قوتها ، بعيداً عن شوائب التصوف الأعجمى ، و الزهد الهندى ، و الترهب النصرانى .

و إلى فهمهم للشريعة فى مرونتها وسعة آفاقها ، بعيداً عن جمود الحرفيين و تقليد المتعصبين ، و تشددات المتخوفين .

و إلى فهمهم للحياة و ثبات سننها ، و قيامها على العلم و العمل ، بعيداً عن أخيلة الحالمين ، و أفكار السطحيين .

و إلى فهمهم للانسان باعتباره خليفة الله فى الأرض ، المكرم بالعقل أو المخاطب بالتكليف ، وصانع الحضارة ، والمسئول عن عمارة الأرض ، مسئوليته عن عبادة الخالق .

و من الخطأ الذى يجب تصحيحه هنا : اعتبار الرسول الكريم المؤيد بوحى الله من جملة (السلف) و اعتبار القرآن و السنة من جملة (التراث) و اعتبار الاسلام كله من جملة (الماضى) ! ! !

و هذا خلط شائن بين المفاهيم . أو تحريف للكلم عن مواضعه عمداً .

إن الاسلام ليس ماضياً انقضى و انتهى زمنه ، نحاول أن نستعيده ، إن الاسلام هو الماضى ، و هو الحاضر ، و هو المستقبل .

و القرآن هو كلمات الله الهادية الباقية على طول الزمان ، وامتداد المكان .

« يأيها الناس » و « يأيها الذين آمنوا » هى خطاب الله تعالى للكلفين فى كل عصر و مصر ، سواء كانوا فى القرن السابع الميلادى ، أو فى القرن العشرين أو الخمسين .

إن فقه أبى حنيفة ، وأصول الشافعى ، وكلام الأشعرى، وأدب الجاحظ ، و شعر أبى العلاء ، و آراء ابن حزم ، و تصوف الغزالى ، و فلسفة ابن رشد ، و اجتهادات ابن تيمية ، و غيرهم و غيرهم من عمالقة الفكر الاسلامى في مختلف العصور ، كلها تراث بشرى نأخذ منه و ندع ، وفق القواعد و المعايير العلميـــة التى وضعها الاسلام فى أيدينا .

أما كتاب الله و سنة رسوله فهما أبدأ مصدر الالهام ، و مصدر الالزام ، لكل من آمن بالاسلام ، أمس و اليوم و غدا .

و ربما يستبعد كثير من الناس أن يرحب الدين بالتجديد ، فالدين عندهم يمثل القديم الذى لا يتجدد و لا يتطور .

و أوكد هنا بكل صراحة أن نبي الاسلام نفسه هو الذى علمنا أن الدين يتجدد و أن الله يهيئ له مجددين بين حين و آخر ، و ذلك فى الحديث الذى رواه أبو داؤد ، فى سننه ، و الحاكم فى مستدركه ، و غيرهما ، أنه ﷺ قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

و إذا صرح الرسول الكريم بتجديد الدين ، فلا يحق لزيد أو عمرو من الناس اليوم أن يقول : إن الدين لا يقبل التجديد ، فليس هو أعرف بالدين ممن بعثه الله به ، لكن المهم هو تحديد مفهوم التجديد و مجاله و حدوده ، فليس معنى التجديد إخراج طبعة جديدة من الاسلام (مزيدة و منقحـــة !) ، بل

المقصود تجديد الفقه له ، و الايمان به ، و العمل بمقتضاه و الدعوة إليه ، فهو تجديد فكرى و إيمانى و عملى و جهادى (١) .

و قد يحسب بعض الناس أن هناك تعارضاً حتمياً بين السلفية و التجديد فالسلفية رجوع إلى الماضى ، و التجديد انطلاق إلى المستقبل .

و رأيى عكس ذلك تماما ، أى أن هناك تلازما بين السلفية الحقيقية و التجديد الحقيقى ، فالسلفية الحقيقية لا تكون إلا مجددة ، و التجديد الحقيقى لا يكون إلا سلفياً . فروح السلفية هو التجديد ، و قد تجلى هذا المعنى بوضوح فى المدرسة السلفية التجديدية الكبرى التى أسسها شيخ الاسلام ابن تيمية و تلامذته وكان لها أثرها العميق فى العقائد والفقه والفكر والأخلاق والسلوك إلى اليوم .

و مثل هذه الروح نجدها عند العلامة ابن الوزير (ت سنة ٨٤٠هـ) فى اليمن الذى خلف ثروة فكرية قيمة تجمع بين السلفية والتجديد ، وتحاكم اتجاهات الفرق و المذاهب إلى أصول الاسلام و نصوصه ، و ترجح منهج القرآن فى بيان العقائد ، و تثبيتها على منهج اليونان .

و قد وجدنا هذا الاتجاه السلفى المجدد فى المدرسة اليمنية من بعد ، المتمثلة فى العلامة الأمير الصنعانى (ت١١٩٧) صاحب (سبل السلام) و غيره من الكتب ، و المحقق الشوكانى (ت١٢٥٥) صاحب الكتب الشهيرة فى الفقه والأصول والحديث والتفسير وغيرها : مثل (نيل الأوطار) و (السيل الجرار) و (ارشاد الفحول) و نحوها .

و وجدنا هذه الروح فى مجدد الهند الشهير ، و إمام نهضة الحديث فيها ، و محرر العقل الهندى من المذهبية الصارمة ، حكيم الاسلام أحمد بن عبد الرحيم

(١) انظر بحثنا عن (تجديد الدين فى ضوء السنة) فى العدد الثامن من (مجلة مركز بحوث السنة و السيرة) بجامعة قطر .

المعروف باسم (شاه ولى الله) الدهلوى صاحب كتاب (حجة الله البالغة) و غيره (م ١١٧٦) .

كما تجلى هذا فى المدرسة السلفية الحديثة ، التى مثلها محمد عبده ، و رشيد رضا ، الذى اعتبر بحق زعيم المدرسة السلفية الحديثة ، و الحق أنه يمثل السلفية أكثر من شيخه .

و ربما يعترض معترض بالحركة (الوهابية) فهى حركة سلفية ، تستمد من تراث المدرسة (التيمية) و لكنها لم تعرف بالتجديد و الاجتهاد . لهذا سماها د . محمد عمارة (السلفية النصوصية) يقصد بالنصوصية : الحرفية فى فهم النصوص ، و لعلها هى التى أثرت فى كثير ممن ينتمون إلى (السلفية) فى عصرنا من المعادين للتجديد .

و قد يكون عذر هذه الحركة أنها نشأت فى مجتمع بسيط بعيد عن معترك الحضارة تغلب عليه حياة البداوة ، و كان هم الحركة الأكبر أن ترد الناس عن عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد ، و أن تطهر عباداتهم من البدع ، و أفكارهم من الخرافات .

على أن ابن عبد الوهاب كان له فضل الدعوة للرجوع إلى الكتاب و السنة من الناحية النظرية ، كما له — من الناحية العملية — فضل آخر ، هو التحرر من المذهب الواحد ، إلى باحة المذاهب الأربعة ، و إن وقف عند هذا الحد ، لا يتجاوزه ، و لا يصنع كما صنع شيخه و إمامه ابن تيمية ، الذى كان مجتهداً مطلقاً ، كما دل على ذلك تراثه العريض .

المهم أن السلفية الحقة تلازم التجديد و أن عصور السلف هى عصور التجديد و الانفتاح .

وكلما رجعنا إلى العهود الأولى : عهود الصحابة و التابعين و أتباعهم وجدنا

المرونة و اليسر و التسامح ، وسعة الأفق فى فهم نصوص الدين و مصالح الدنيا ، و فى التوفيق بين النصوص الجزئية و المقاصد الكلية .

و فى هذا نجد فتاوى عمر و على و ابن مسعود و ابن عباس و غيرهم من علماء الصحابة رضى الله عنهم ، و من أخذ عنهم ، و تأثر بهم ،

و من هنا اتسعت الشريعة لعلاج كل جديد فى بلاد الحضارات العريقة التى دخلها الاسلام فى العراق و فارس و الشام و مصر ، و غيرها .

وقد وجدت بالاستقراء أن الصحابة هم أفقه الناس لروح الاسلام وأكثرهم تيسيراً على الأمة ، وأقدرهم على ربط الدين بالحياة ، وأشجعهم فى مراعاة مقتضيات الزمان و المكان و الحال ، و تلاميذهم من التابعين أشبه بهم ، و أقرب إليهم .

وكلما تدرجنا ـ تنازليا ـ من عصر إلى عصر ، بعدنا عن المرونة والتيسير والتجديد ، و دخلنا فى دائرة (الأحوط) بدل دائرة (الأيسر) حتى إذا انتهينا إلى العصور المتأخرة وجدنا الجمود و التشديد و التقليد ، و الوقوف عند أقوال المتقدمين ، الذين نهوا هم عن تقليدهم ، واتخاذ أقوالهم و اجتهاداتهم شرعاً يتبع ، وديناً يطاع .

أما التجديد فهو لا ينافى السلفية ، فالتجديد الحقيق لأمر ما يعنى العودة به إلى ما كان عليه يوم انشائه و ظهوره لأول مرة .

تجديد بناء أثرى لا يعنى إزالته و إقامة مبنى ضخم على أحدث طراز مقامه ، فهذا ليس من التجديد فى شئ .

إنما تجديده أن نبقى عليه كما كان ونحاول أن نعيد إليه الجدة و الحياة ونرمم ما أصابه من بلى أو تهدم لبعض جوانبه ، دون أن نغير من جوهره أو من معالمه أو من خصائصه شيئاً ، و إلا اعتبر عملنا تزييفاً لا تجديداً .

و كذلك (تجديد الدين) أن نحافظ على جوهره و معالمه و خصائصه ،

دول برز فيها الجانب الروحي :

و مقوماته و نعود به إلى ما كان يوم ظهوره و بزوغ فجره على عهد رسول الله ﷺ ، و خلفائه الراشدين المهديين .

التجديد الحق يعنى العودة إلى (الاسلام الأول) قبل أن تشوبه بدع المبتدعين ، و تضييقات المتشددين ، و تحريفات الغالين ، و انتحالات المبطلين ، و تأويلات الجاهلين ، و عدوى التشويه التى أصابت الملل و النحل من قبل .

و (الإسلام الأول) هو إسلام النقاء و البساطة فى العقيدة ، و إسلام الاخلاص واليسر فى العبادة ، و إسلام الطهارة و الاستقامة فى الأخلاق ، و إسلام الاجتهاد و التجديد فى الفكر ، و إسلام العمل و الانتاج للحياة ، و إسلام التوازن بين الدنيا و الآخرة ، و الاعتدال بين العقل و القلب .

و من نعم الله علينا — نحن المسلمين — أن عندنا من المعايير الثابتة ما نستطيع أن نميز به بين الأصيل و الدخيل ، و بين الحقيقى و الزائف ، و قد أعطانا النبى هذا المعيار حين قال :

« من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد » متفق عليه « و من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » رواه مسلم .

و قد أخطأ بعض الكاتبين خطأ شائناً و فاحشاً حين توهم أن رفض الابتداع رفض للابتكار و التجديد ، وهو جهل بحقيقة الابتداع المحظور ، إنه الابتداع فى أمور الدين المحض ، فالأصل فى شئون الدين الاتباع ، و فى شئون الدنيا الابتكار و الابتداع ، فليس من حق البشر أن يزيدوا فى الدين بأهوائهم ، و يشرعوا منه ما لم يأذن به الله ، فيضلوا و يضلوا .

ويوم كان المسلمون مسلمين حقاً التزموا و اتبعوا فى أمور الدين ، و ابتدعوا و ابتكروا فى أمور الدنيا ، و كانوا أئمة الحضارة فى العالم .

ويوم انحرفوا عن حقيقة الاسلام ابتدعوا فى أمر الدين ، وجمدوا فى أمر الدنيا ! على عكس ما أمرهم به الاسلام ، و ما كان عليه الاسلام . « يتبع »

تجلى الحياة الروحية الاسلامية عبر التاريخ

نظرة عامة

بقلم : الدكتور عبد الحليم عويس
الأستاذ بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (بالرياض)

وفى العصر الحديث لم يخل بعض قادة الحركات الاسلامية ودعاة الاصلاح و الوقوف فى وجه الحضارة المادية الأوربية - لم يخل هؤلاء من شحنات روحية وازنت فى نفوسهم بين التربية و التعليم و المادة و الروح ، و من هؤلاء الشيخ المجاهد عبد القادر الجزائرى رحمه الله رحمة واسعة ، فقد ضم إلى جهاده فى مقاومة الاحتلال الفرنسى تربية روحية و أخلاقية و كانت له نوازع روحية أضفت على شخصيته كثيراً من الحكمة و الرضا بقضاء الله و الأمل فيه .

و قد كان الطابع الروحى بارزاً فى فكر الفيلسوف المجدد « محمد إقبال » صاحب فلسفة الذات ، و قد عرف « إقبال » حقيقة الانسان و قيمتـــه فأراد أن يلقنه درس الانسانية الحقـــة بما تنطوى عليه من جانب إلهى ، و قد دعا الناس إلى أن يتخلقوا بأخلاق الله وأن يكتسبوا صفاته حتى يكتب لهم الخلود ، و هنا تصبح العقبات و المشكلات فى طريق الرقى الروحى للانسان لا شئ ، فلا الزمان و لا المكان و لا العلم المادى بأسره و لا الشيطان نفســه بقادر على عزمه على « الرقى الروحى الدائم و شوقه إلى الاتصال بالحقيقة الخالدة والوصول إلى الله » (١) .

---

(١) د/ محمد السعيد جمال الدين - رسالة الخلود لاقبال - المقدمة - فرع القاهرة
وانظر ، د/ أبو اليزيد العجمى - مجلة المسلم المعاصر - الكويت عدد ٣٢ دراسة عن الزهاد المسلمين .

وكما يقول أستاذنا الامام أبو الحسن الندوى : فقد تربى إقبال فى مدرستين: إحداهما تقليدية هى مدرسة الشهادات ، أما المدرسة الأخرى فهى مدرسة توجد فى كل زمان و هى أقدم مدرسة على وجه الأرض ، إنها مدرسة داخلية تولد مع الانسان فيحملها الانسان معه فى كل مكان ، هى مدرسة القلب و الوجدان ، هى مدرسة تشرف عليها التربية الالهيـــة و تمدها بالقوة الروحية (١) و معلمو هذه المدرسـة يتمثلون فى الايمان والحب الجارف للرسول ﷺ و القرآن بما له من مآثر لا توجد إلا فيه (٢)

وفى رأى إقبال أن التصوف الصحيح مصدر من مصادر المعرفة لأنه نزوع روحى قوى ، و هو يرى أن هناك مصدرين آخرين للمعرفة هما الطبيعة والتاريخ.

و قد كان للأثر الروحى مكانه فى شخصيـــة الشيخ محمد عبده بتأثير خال والده الذى كان مريداً سنوسياً يدعو إلى إحياء الكتاب و السنة ، و ذلك حين كاد الشيخ محمد عبده يهجر الأزهر يأساً من علومه ، فاستطاع الشيخ درويش خضر أن يعيد للفتى محمد عبده ثقته بنفســـه فظلت ثقته بالشيخ درويش قائمة و مؤثرة ، وفى كل صيف كان الشيخ درويش يلتقى به فيعلمه كثيراً من السلوك و الأخلاق ، بل و ساعده على أن يختلط بالناس فيعلمهم و يصلح حالهم لأن الناس هم مجال الدعوة و حقل النصائح و الاصلاح (٣) و هذا لم يمنع الامام « محمد عبده » من مهاجمة بعض الطرق الصوفيـة لما رآه من انحراف بعض هـذه الطرق عن الدور المنوط بها ، فالتصوف الذى تعلمــه الشيخ « محمد عبده » من

---

(١) انظر : روائع إقبال ص ٢٥ و ما بعدها طبع الكويت ١٩٧٨ .

(٢) المكان السابق .

(٣) انظر د/ أبو اليزيد العجمى ـ الزهاد المسلمون ومجالات العمل الاسلامى .

الشيخ « درويش حضر » تعلم منه كيف أن الزهد ليس تواكلا و خنوعاً ودجلا و إنما هو تربية للنفس و نور فى القلب يؤدى إلى حركة حياة و إلى جهاد دائب من أجل صلاح هذه الامة المسلمة ، فحين رأى بعض التقابل بين هذه الصورة و بين الواقع ثارت نفسه دون أن يقلل من شأن التربية الروحية حيث استفاد هو فى شخصه و دعوته للاصلاح بهذه التربية (١) .

و قد نشأ الشيخ حسن البنا رحمه الله رحمة واسعة ، فى بيت علم و دين و اتصل بالطريقة الحصافية الصوفية التى تركت فى نفسه أثراً روحياً طيباً و كان أكثر ما لفت نظر الشيخ حسن البنا شدة الشيخ الحصافى فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر مهما كان فى حضرة عظيم أو كبير ، كما أنه أفاد من سلوك الشيخ و أتباعه كثيراً من الأخلاق الفاضلة ـ أو بتعبير الشيخ حسن البنا ـ : « العفة الكاملة عما فى أيدى الناس ، و الجد فى الأمور ، و التحرز من صرف الأوقات فى غير العلم أو التعلم أو الذكر أو الطاعة و التعبد ، سواء كان وحده أم مع إخوانه و مريديه ، و حسن التوجيه لاخوانه وصرفهم عملياً إلى الأخوة و الفقه و طاعة الله (٢) » .

و هكذا كان للجانب الروحى تأثيره فى القديم و الحديث على شخصيات كثيرة ـ لم نقدم إلا أقل القليل منها ـ و الرائع أن هذه الشخصيات ـ و هذا هو الجدير بالذكر ـ كان لها دور ريادى فى الأعمال الاجتماعية التربوية « و قد آمنت بأن الطاقة الروحية لا تتحقق قيمتها إلا إذا أضاءت الحياة وصبغتها بالصبغة الالهية ، وارتفعت عن أن تكون نزعة فردية إلى مستوى التغيير الحضارى العام».

---

(١) المكان السابق .

(٢) مذكرات الداعى والداعية ـ دار الشهاب ١٩٦٦ و انظر المرجع السابق

الحقيقة أنى وقفت كثيراً عند بعض الدول التى ظهر فيها الطابع الدعوى و الروحى - إذا ما استثنينا عصر الرسالة و الراشدين الذى يكاد يكون معروفاً لدى جمهرة علماء المسلمين .

و من الدول التى برز فيها هذا الطابع و التى وقفت عندها دولة المرابطين التى دفعتنى دراستى لها إلى أن أومن بأنها من أعظم الدول الاسلامية ، و أن الجانبين الدعوى و الروحى كانا متألقين فيها ، و لهذا المنحى تعرضت هذه الدولة الاسلامية الكبرى لحقد المستشرقين و طعنهم فيها ، و التقليل من جهادها .

و قد نشأت هذه الدولة فى موريتانيا و المغرب الأقصى و أجزاء من المغرب الأوسط فى منتصف القرن الخامس الهجرى (٤٤٨ - ٥٤١) (١٠٥٦ - ١١٤٧م) و قامت على مبادى عقدية و روحية متينـــة أهمها الايمان الراسخ بالكتاب و السنـــة ، و التمسك بمذهب الامام مالك فى الفروع ، و الرباط فى سبيل الله رباطاً يقوم على تربية إسلامية روحية قوية » .

و لقد كان مؤسسو هذه الدولة نماذج صالحة للعباد الصالحين و المجاهدين الأبرار و العلماء العاملين ، هكـذا كان عبـد الله بن ياسين ، و يحى بن إبراهيم ، ثم يحى بن عمر ، ثم أبو بكر بن عمر اللتونى الذى تنازل عن الملك الذى أقامه طواعية لابن عمه يوسف بن تاشفين مؤثراً الجهاد والاستشهاد على الرئاسة والملك ومتنازلا عن كل متاع الدنيا حتى عن زوجته الزكية الرائعة الجمال زينب النفزاوية وظل يجاهد فى أدغال إفريقيا لمدة ثمانية عشر عاماً حتى مات شهيداً بسهم مسموم (١).

(١) : انظر فى تاريخ المرابطين : قيام دولة المرابطين للدكتور حسين أحمد محمود ودولة بين حماد للدكتور عبد الحليم عويس ، وفى تاريخ المغرب والأندلس للدكتور مختار العبادى .

و بالتربية الروحية والجهادية نجح المرابطون فى توحيد المغرب و الأندلس ، و فى القضاء على المرتدين مدعى النبوة فى قبائل غمارة و برغواطة ، و فى القضاء على طغيان مملكة غانا الوثنية ، و فى إنقاذ الأندلس من طغيان النصارى فى موقعة الزلاقة المشهورة فى رجب سنة ٤٧٩هـ (أكتوبر ١٠٨٦م) (١) .

و إلى جانب المرابطين ـ و على أشلائهم ـ قامت دولة الموحدين التى خلفتهم و حكمت المغرب كله و الأندلس ، وتلقب مؤسسها (محمد بن تومرت) بالمهدى ، و اعتمد منهج التربية الروحيـة ، و كان له مريدون كثيرون ، و لو لا ما نسب إليه من قول بعصمة نفسه ، و من مغالاة فى دماء المرابطين ، لكان له شأن آخر فى تاريخنا الاسلامى ، مع أن دولتـه ـ على أية حال ـ بقيادة تلميذه الوفى الشجاع المؤمن « عبـد المؤمن بن على » قد وحدت المغرب و الأندلس ، كما أن دولة الموحدين قد أنقذت الأندلس فى موقعة الآرك سنة ٥٩١هـ .

و قد ظهر الطابع الروحى فى الدولة المهدية السودانية ، وفى شخص مؤسسها محمد أحمد بن عبد الله الذى كان منذ صغره ميالا إلى التربيـــة و الزهد ، و فى شبابه انخرط فى سلك الطريقة الصوفية (السمانية) و قد كان لجهوده الروحية و السياسية شأن كبير معروف ، و أقام دولة فى السودان ، و هزم الانجليز فى معارك كثيرة ، و قتل غوردون و دانت له السودان بالطاعة .

ـ و على هذا الطريق الروحى ظهرت السنوسية وكان مؤسسها السيد محمد ابن على السنوسى رحمه الله (١٧٨٧ ـ ١٨٥٩م) ـ و هو جزائرى الأصل من مستغانم ـ دائم التفكير فى أحوال المسلمين و سبب تأخرهم ، و كيفية العودة بهم إلى الاسلام فى نقائه و حركته ، و قد التزم بفقه الكتاب و السنة ، و تعرف

(١) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٠٩ طبع الاسكندرية .

على الحركات الصوفية فى عصره ، و درس منهج العودة الاسلاميـة إلى الطريق السليم ، فهداه تفكيره إلى أن الرجوع إلى الكتاب والسنة مع فتح باب الاجتهاد هو أسلم طريق ، كما رأى أن إنشاء المراكز الاصلاحية التى أنشأ منها نحو ثلاثمائة مركز تحت اسم (الزوايا) وربط جميع المسلمين فى وحدة قائمة على أساس دينى و روحى هما الوسيلتـان الناجعتان لاحياء المسلمين ، و قد حاربت السنوسية كل زهد خامل و كل بدع لا أصل لها فى الدين ، و وقفت فى وجه حركات التنصير التى كانت تريد أن تكتسح إفريقيا . (١) .

و أخيراً : فنحن نؤمن بتوازنية الاسلام و تكامليته ، و نرفض أن ينافس كلمة الاسلام أى مصطلح آخر ، و ندعو المسلمين جميعاً إلى نسبة أى شرف لدينهم ، و لقد فزعنا عند ما قرأنا لمؤرخ معاصر أن سبب حماس عقبة بين نافع للاسلام و إخلاصه فى الجهاد أنه كان - كما يقول هذا المؤرخ المعاصر - : « رجلا عنيفاً متشبعاً بهذا الحماس الصوفى الذى يدفعه إلى التماس الشهادة و بيع نفســه من الله (٢) » . . فان عقبة بن نافع التابعى العظيم الذى استشهد سنة (٦٤ه) لم يكن ينطلق من حماس صوفى - ليس لأن كلمة التصوف و لا منحاه لم يكونا قد ظهرا بعد فحسب - بل لأن عقبـة و التابعين جميعاً كانوا متشبعين بالاسلام الذى تنزل على محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام » و كان كل ما كسبوه يعزى إلى الاسلام مباشرة دون وساطة أحد - و نحن نأمل أن لا يسقط على الاسلام شئ يكتنف جانباً على حساب جانب ، كما أننا حريصون كل الحرص على أن لا

(١) انظر : السنوسيـة : دين ودولة ، لمحمد فؤاد شكرى نشر فى مصر ١٩٤٨م
و انظر لأبو اليزيد العجمى : المرجع السابق ٣٦٢ و ما بعدها .

(٢) أحمد مختار المبادى : المرجع السابق ٤٠ .

ينفصل المسلمون على أصول دينهم من كتاب و سنة ، وتتذكر - و نذكر المسلمين جميعاً - بحديث الرهط الذين أرادوا تكثيف بعض الجوانب على حساب الأخرى فقال لهم الرسول فى نهاية الحديث الشريف المعروف : « فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

لكننا - مع كل هذا - نرى أن الحوار هو سبيل توحيد فكر المسلمين و مناهجهم ، و أن نضج العقل المسلم ضرورى لتمحيص الأفكار و السلوكيات ، و نرى أن الرفض المسبق و المطلق مرفوض ، و أن تجريم المسلم لمجرد انطوائه تحت شعار خاص أو طريقة خاصة عمل مرفوض كذلك ، لأن للمسلم المخطئ أجراً إذا كان مجتهداً و للمصيب أجرين - فلا معنى للرفض بالجملة أو القبول بالجملة ، بل نعرض كل الأشياء والأفكار - بتفصيل - على كتاب الله و سنة رسوله .

و نحن - كما نؤمن بأهمية إحياء العقل المسلم ليبدع ويعمل و ينتج فى عصر السباق العلمى - فاننا نؤمن أيضاً بأهمية إحياء (الجانب العاطفى فى الاسلام) - حسب تعبير أستاذنا الامام الشيخ محمد الغزالى - لكن يجب أن ينظر إليه على أنه (جانب) لا يجوز له أن يقضى على بقية الجوانب ، بل على العكس فهو جانب « الشحن الروحى » الذى يجب - مع العقل - أن يحرك كل الجوانب ، و يدفع القطار الاسلامى إلى أن يمشى ، و إلى أن يمشى بسرعة مناسبة للعصر - و إلى أن يمشى - وهذا هو الأهم - على القضبان الصحيحة وصولا إلى الغاية الاسلامية الكبرى ، و الله ولى التوفيق .

موقف العلماء من التأمين التجارى

—(٢)—

الأستاذ : محمد صدر الحسن الندوى

وقد يحصل المؤمن له بالتأمين على الطمأنينة والأمان بمجرد العقد دون توقف على الخطر المؤمن منه بعد ذلك ، لأنه بهذا الأمان الذى حصل عليه و اطمأن إليه لم يبق بالنسبة إليه فرق بين وقوع الخطر و عدمه ، فانه إن لم يقع الخطر ظلت أمواله وحقوقه ومصالحه سليمة و إن وقع الخطر عليها أحياها التعويض.. فيصير وقوع الخطر و عدمه سيان بعد عقد التأمين،و هذا ثمرة الأمان والاطمئنان الذى منحه إياها المؤمن نتيجة للعقد ، و هذا الأمان يؤدى إلى تنشيط الاقتصاد على المستوى الفردى و القومى .

٥- التأمين و الأخذ بأسباب الحذر :

قال تعالى : يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم (١) استدل بعض الباحثين (٢) بهذه الآية الكريمة على جواز التأمين بحجة أن المؤمن له يأخذ حذره من غوائل المستقبل ، والآية دعتنا إلى الأخذ بأسباب الحذر أيا كانت ، والتأمين من هذه الأسباب فيجوز شرعاً .

(١) النساء : ٧١ .

(٢) محمد وصفى فى مقال له « أحكام التأمين » ص : ٢٠٧ والدكتور نجات الله الصديقى فى كتابه « انشورنس اسلامى معيشت مين » ص : ٥٤ .

٦- التأمين و جواز التجارة عن تراض :

قال تعالى : يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم (١) و قد استدل بعض الباحثين (٢) بهـــذه الآية على جواز التأمين بدليل أن لفظ « التجارة » هنا مطلق ، و التأمين تجاره تتم عن تراض فتدخل تحت إطلاق هذا النص ، فيجوز شرعاً ، و لأنه لو كان محظوراً لبينه الرسول ﷺ لأنه بعث لبيان الحلال والحرام ،فحيث لم يبين يكون الاطلاق مقصوداً فى لفظ التجارة و يدخل التأمين فيه .

٧- التأمين و الوفاء بالعقود :

قال تعالى : «يا أيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود» (٣) وقد استدل بعض الباحثين (٤) بهذه الآية الكريمة على جواز التأمين بدليل أن لفظ العقود هنا عام يشمل عقد التأمين و غيره من العقود ، ولو لم يشمله و كان محظوراً لبينه رسول الله ﷺ لأنه بعث لبيان الحلال و الحرام ، و الشارع هنا كان فى مقام البيان لا الاجمال وحيث لم يبين يكون العموم مراداً ويدخل عقد التأمين تحت عموم كلمة العقود .

٨- التأمين و الضرورة التى تبيح المحظور :

ذهب بعض الباحثين (٥) إلى جواز التأمين بدليل أن التأمين ضرورة فى

---

(١) النساء : ٢٩ .

(٢) على آل كاشف الغطاء فى بحثه لمجمع البحوث : « أحكام التأمين» : ٢٠٦.

(٣) المائدة : ١ .

(٤) على آل كاشف الغطاء فى بحثه لمجمع البحوث (أحكام التامين ، ٢٠٤) .

(٥) الدكتور محمد البهى فى كتابه : نظام التأمين فى مدى أحكام الاسلام : و ضرورات المجتمع المعاصر ، والدكتور نفسه فى كتابه : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر : ٤٤٦ و محمد الحسن الحجوى فى كتابه : الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى : ٢ / ٥٠٦ .

حیاة الفرد و حیاة المجتمع ، لأنه لا یمکن أن یعیش الأفراد و المجتمع فی هذا العصر بدون التأمین، لأن المجتمع المعاصر لا یتمیز عن المجتمعات السابقة بالتفوق فی العلم و التکنولوجیا فی الصناعة فحسب و إنما یتمیز بنواح أخری سلبیة ، أهمها و أخطرها تکدس السکان فی المدن و تزاید هذا التکدس بها بنسب مرتفعة ، و عن تکدس السکان و تزایدهم فی المدینة یقل التعارف بینهم أو ینقطع ، و بذلك یضعف فی نفوسهم اعتبار الأعراف و العادات المقننة للسلوك العام فی علاقات بعضهم ببعض ، فحرمة الجار قلما تراعی، وحرمة الأعراض قلما تصان ، و مواساة الضعفاء قلما تتحقق ، فهل یکون التأمین حراما فی مجتمع لم یعد یعرف فیه الجار جاره ولم یعد یحس قویه بضعیفه ، ولم یعد یتجاوز الفرد بنظرته نفسه ؟ أیکون ذلك حراماً فی مجتمع أصبحت فیه الالآت ذات شأن تبطش بالانسان، فی عنف و علی غیر موعد ، وتقضی علی الأسرة علی عجل و فی غیر رحمة و تذهب بالملایین من المال إلی غیر رجعة .

٩- التأمین و الاجارة علی الحراسة :

بعض من ذهب إلی جواز التأمین (١) قاس التأمین علی الاجارة علی الحراسة بدلیل قوله إننا نجد فی بعض العقود القدیمة المتفقة بین جمیع المذاهب الفقهیة علی شرعیتها ما یشهد بجواز بذل المال بطریق التعاقد بغیة الاطمئنان و الأمان علی الأموال .

ذلك هو عقد الاستئجار علی الحراسة ، فالأجیر الحارس

---

(١) مصطفی أحمد الزرقاء فی أسبوع الفقه الاسلامی ٤٠٤ — ١٣٩٠ھ — ١٩٧٠م و عبد الکریم الخطیب فی السیاسة المالیة فی الاسلام : ٢٠٨ .

هنا و إن كان مستأجراً على عمل يؤديه هو القيام بالحراسة نجد أن عمله المستأجر عليه ليس له أى أثر أو نتيجة سوى تحقيق الأمان للمستأجر على الشئ المحروس و اطمئنانه إلى استمرار سلامته من عدوان شخص أو حيوان يخشى أن يسطو عليه ، فهو ليس كعمل الصانع فيما استؤجر على صنعه ، وعمل الخادم فى الخدمة المستأجر عليها ، وعمل الناقل فى نقل الأشياء التى استؤجر لنقلها ، فنقلها إلى مكان لم تكن منه ، فكل هذه الأعمال نتيجة محسوسة يقوم بها الأجير ،أما الحارس فليس لعمله أية نتيجة سوى هذا الأمان الذى بذل المستأجر ماله للحصول عليه، فكذا الحال فى عقد التأمين يبذل فيه المستأمن جزءاً من ماله فى سبيل الحصول على الأمان من نتائج الأخطار التى يخشاها .

١٠ــ التأمين وعقد الموالاة :

قد ذهب بعض الباحثين (١) إلى إباحة التأمين من المسئولية قياسا على عقد الموالاة فى الاسلام ، و قالوا يكاد عقد الموالاة نصاً صريحاً فى التأمين من المسئولية ، و قد قال بصحة عقد الموالاة عدد من كبار فقهاء الصحابة هم عمر و ابن مسعود و ابن عباس و ابن عمر رضى الله عنهم و أخذ به أبو حنيفة و أصحابه ، إن عقد الموالاة يضم رابطة حقوقية بين عاقديه شرعاً ، قوامها التزام شخص بأن يتحمل الموجب المالى عن جناية الآخر فى مقابل أن هذا الملتزم يرث الآخر إذا مات دون وارث ، إن عقد الموالاة الذى ينشأ عن رابطة شرعية سميت « ولاة الموالاة » هو صورة حية من صور عقد التأمين من المسئولية .

(١) الأستاذ أحمد طه السنوسى فى أسبوع الفقه الاسلامى، ٣٨٣ ــ ومصطفى أحمد الزرقاء فى أسبوع الفقه الاسلامى ، ص ٤٠٩ ، و سعدى فى الاشتراط لمصلحة الغير ، ص : ٣١٧ .

١١- التأمين و نظام العواقل :

ذهب بعض الباحثين (١) إلى قياس التأمين على نظام العواقل فى الاسلام و وجه الاستدلال أن نظام العواقل فى الاسلام نظام وردت به السنة النبوية الصحيحة الثبوت و أخذ به أئمة المذاهب ، و خلاصته : أنه إذا جنى أحد جناية قتل غير عمد بحيث يكون موجبها الأصلى الدية أو القصاص فان دية النفس توزع على أفراد عائلته الذين يحصل بينه وبينهم التناصر عادة، وهم الرجال البالغون من أهله و عشيرته، وكل من يتناصر هو بهم و يعتبر واحداً منهم ، فتقسط الدية عليهم فى ثلاث سنين بحيث لا يصيب أحداً منهم أكثر من أربعة دراهم فى السنة ، فاذا لم يف عدد أفراد العشيرة بمبلغ الدية ثلاث سنين يضم إليهم أقرب القبائل أو الأقارب نسباً على ترتيب ميراث العصبات، فان لم يكن للقاتل عشيرة من الأقارب و الأنسباء و أهل التناصر كما لو كان لقيطا مثلا كانت الدية فى ماله تقسط ثلاث سنين ، فان لم يكن له مال كاف فعاقلته بيت المال العام، أى خزانة الدولة فهى التى تتحمل دية القتيل .

إن هذا الكلام صريح فى أن نظام العواقل فى الاسلام أصله عادة حسنة تعاونية كانت قائمة قبل الاسلام فى توزيع المصيبة المالية الناشئة من القتل أو من الحرم أو السرقة و نحوها بغية تخفيف ضررها عن كاهل من لحقته جبراً لمصابه ، و قد أقر الشرع الفكرة لما فيها من مصلحة وجعلها إلزامية فى جناية القتل .

---

(١) مصطفى أحمد الزرقاء فى أسبوع الفقة الاسلامى ٤١٢ ، و الطيب حسن النجار ، والدكتور محمد صادق فهمى ، فى أسبوع الفقه الاسلامى ٥٠٢ ، و الأستاذ يعقوب شاه فى كتابه « جند معاشى مسائل أور اسلام » ص : ٢١٧ ، وسعدى إسماعيل عبد الكريم البرزنجى ، فى كتابه الاشتراط لمصلحة الغير ص : ٣١٧ .

فما المانع أن يفتح باب لتنظيم هذا التعاون على ترميم الكوارث بجعله ملزما بطريقة التعاقد و الارادة الحرة كما جعله الشرع إلزامياً دون تعاقد فى نظام العواقل.

١٢ـ التأمين و ضمان خطر الطريق :

ذهب بعض المبيحين (١) للتأمين إلى قياس التأمين على ضمان خطر الطريق، و توجيه القول بأنه إذا قال شخص لآخر: « اسلك هذا الطريق فانه آمن و إن أصابك فيه شئ فأنا ضامن » فسلكه فأخذ ماله حيث يضمن القائل وهو ما نص عليه الحنفية فى الكفالة ، و فى هذه المسألة فكرة فقهية يصلح بها أن يكون نصاً استثنائياً قوياً فى تجويز التأمين على الأموال من الأخطار ، و الفقهاء الذين قرروا هذا الحكم فى الكفالة فى الزمن البعيد لو أنهم عاشوا فى عصرنا اليوم و شاهدوا الأخطار التى نشأت من الوسائل الحديثة كالسيارات التى فرضت على الانسان من الخطر بقدر ما أنتجته من السرعة، وثبتت أمامهم فكرة التأمين ولمسوا الضرورة التى نلمسها نحن اليوم فى سائر المرافق الاقتصادية الحيوية لتخفيف آثار الكوارث الماحقة لما ترددوا لحظة فى إقرار التأمين نظاماً شرعياً .

١٣ـ التأمين و الوعد الملزم :

ذهب بعض الباحثين إلى قياس التأمين (٢) على قاعدة الالتزامات و الوعد

(١) مصطفى أحمد الزرقاء فى أسبوع الفقه الاسلامى ٤١٠، وعبد الحميد السايح و داود حمدان فى بحث كل منهما لمجمع البحوث (نقلا من أحكام التأمين ص ٢١٤) و سعدى إسماعيل عبد الكريم البرزنجى فى الاشتراط لمصلحة الغير : ٣١٧ .

(٢) مصطفى أحمد الزرقاء فى أسبوع الفقه الاسلامى ٤١٠، و سعدى فى الاشتراط لمصلحة الغير ص : ٣١٧ .

الملزم عند المالكية ، و وجه القول أن الشخص إذا وعد غيره عدة بقرض او بتحمل وضيعة (خسارة) عنه أو إعارة أو نحو ذلك مما ليس بواجب عليه فى الأصل — فهل يصبح بالوعد ملزماً و يقضى عليه بموجبه إن لم يف له أولا يكون ملزماً ، فى هذه القضية أربعة أقوال للمالكية، ومن أحدها أنه يلزم مطلقاً، فاذا نظرنا إلى هذا المذهب فى هذه القضية فاننا نجد فى قاعدة الالتزامات هذه متسعاً لتخريج عقد التأمين على أساس أنه التزام من المؤمن للمستأمن ولو بلا مقابل على سبيل الوعد أن يتحمل عنه أضرار الحادث الخطر الذى هو مؤمن له .

ولا يخفى أن أقل ما يمكن أن يقال فى عقد التأمين أنه التزام تحمل الخسائر عن الموعود فى حادث معين محتمل الوقوع بطريقة الوعد الملزم نظير الالتزام بتحمل خسارة المبيع عن البائع مما نص عليه المالكية، وهو : لو قال شخص لآخر بع كرمك الآن و إن لحقتك من هذا البيع وضيعة (خسارة) فأنا أرضيك ، فباعه بالوضيعة ،كان على القائل أن يرضيه مما يشبه ثمن ذلك الشئ المبيع والوضيعة فيه ، وهو قول ابن وهب ، قال ابن رشد : لأنها عدة على سبب ، وهو البيع ، و العدة إذا كانت على سبب لزمت بحصول السبب فى المشهور من الأقوال .

١٤ التأمين و نظام التقاعد و المعاش :

قاس بعض الباحثين (١) عقد التأمين على نظام التقاعد و المعاش و وجه الاستدلال أن نظام التقاعد يقوم على أساس أن يقتطع من المرتب الشهرى للموظف فى أعمال الدولة جزء نسبي ضئيل محدود حتى إذا بلغ سن الشيخوخة

(١) مصطفى أحمد الزرقاء فى أسبوع الفقه الاسلامى: ٤١٤ والفاسى فى الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى : ٢ / ٥٠٩ ، و سعدى فى الاشتراط لمصلحة الغير : ٣١٧ .

القانونية و أحيل على التقاعد أخـــذ وهو غير موظف عامل راتباً شهرياً يبلغ أضعافاً مضاعفة من المبلغ الضئيل الذى كان يقتطع من راتبه شهرياً، وذلك بحسب مدة عمله فى الوظيفة و يستمر المرتب التقاعدى الجديد ما دام حياً مهما طالت حياته، و ينتقل إلى أسرته التى يعولها من زوجة و أولاد و غيرهم بشرائط معينة بعد وفاته، فما الفرق بين هذا النظام و بين التأمين على الحياة.

إن فى كليهما يدفع الشخص قسطاً ضئيلا دورياً لا يدرى كم يستمر به دفعه وكم يبلغ مجموعه عند التقاعد، و فى كليهما يأخذ الشخص أو أسرته فى مقابل هذا القسط الدورى الضئيل مبلغاً كبيراً دورياً أيضاً فى التقاعد و فورياً فى التأمين على الحياة يتجاوز كثيراً مجموع الأقساط ولا يدرى كم يبلغ مجموعه من التقاعد إلى أن ينطفئ الاستحقاق و انتقالاته بينما هو محدد معلوم المقدار فى التأمين على الحياة، فالضرر و الجهالة فى نظام التقاعد أعظم منهما فى التأمين على الحياة.

إن هذا النظام التقاعدى يقره علماء الشريعة الاسلامية كافة بلا نكير، فلما ذا يحسن وجود هذا النظام التقاعدى ترتيباً يقوم بين الدولة و موظفيها و لا يجوز نظيره تعاقداً ملزماً بين الناس؟

١٥- التأمين و الوديعة بأجر :

ذهب بعض الباحثين (١) إلى قياس التأمين على الأشياء على الوديعة بأجر على أساس أن الاقساط تعتبر بمثابة أجرة على حفظ الشئ المؤمن عليـــه، فاذا هلك ضمنه المؤمن، كما يضمن المودع لديه بأجر هلاك الوديعة.

١٦- التأمين و المضاربة :

ذهب بعض الباحثين (٢) إلى قياس التأمين على المضاربة على أساس أن

(١) داود حمدان فى بحثه لمجمع البحوث (نقلا عن أحكام التأمين: ٢٤٢).

(٢) محمد البهى فى كتابه «نظام التأمين فى هدى أحكام الاسلام وضرورات ★

المؤمن له يقدم رأس المال فی صورة أقساط التأمين و يعمل المؤمن فيه باستغلاله ، و الربح فيه بالنسبة للمؤمن له هو مبلغ التأمين و بالنسبة للمؤمن الأقساط وما يعود عليه استغلالها من مكاسب ، كما يدفع فی المضاربة أحد الشريكين رأس المال بينما يكون من الآخر العمل فقط ، و توزع الخسارة و الربح حسب الاتفاق الذی جری بينهما .

١٧- التأمين و الهبة :

ذهب بعض الباحثين (١) إلى قياس التأمين على الهبة بعوض على أساس أن المؤمن له يهب الأقساط للشركة بشرط أن تدفع له مبلغ التأمين عند وقوع الخطر و إذا كان فی التأمين غبن فالهبة بعوض فيها غبن فی الغالب .

١٨- التأمين و الجعالة :

قاس بعض الباحثين (٢) التأمين على الجعالة على أساس أن الجعالة يلتزم بها شخص بدفع مال لمن يقوم له بعمل كالعثور على شئ ضائع منه ، وفی التأمين يلتزم المؤمن بأن يدفع للمؤمن له مبلغ التأمين إذا قام له بعمل هو دفع الأقساط .

★ المجتمع المعاصر ، و عبد الوهاب الخلاف فی مجلة لواء الاسلام « فی الندوة » عدد رجب ١٣٧٤ (عدد ١١ ص ٨) ص ٧٠٩ - ٧١٠ (نقلا عن أحكام التأمين فی القانون ص ٢٢٥) .

(١) علی كاشف الغطاء فی بحثه لمجمع البحوث (أحكام التأمين فی القانون المدنی ٢٢٧) .

(٢) عبد الرحمن عيسى فی كتابه « المعاملات الحديثة و أحكامها » الطبعة الأولى ٩٢ (أحكام التأمين فی القانون المدنی) : ٢٢٧ .

١٩ــ التأمين و العرف :

ذهب بعض الباحثين (١) إلى جواز التأمين نظراً لأن العرف جرى على العمل به .

٢٠ــ التأمين و المصلحة :

ذهب بعض الباحثين (٢) إلى جواز التأمين نظراً إلى المصالح و وجه القول أن عمليات التأمين تتعدد وتتنوع تبعاً لما يحققه من مصالح اقتصادية كبيرة ، فقلما نجد باخرة تعبر البحار إلا مؤمنا عليها ، وقلما نجد البضائع تشحن من الخارج بحراً أو جواً إلا مؤمناً عليها ضد الحريق وكذلك مخازن البنوك ، و مخازن الشركات للقطن والحبوب و غيرها مؤمن عليها ضد الحريق ، وكذلك مخازن البترول والزيوت و مخازن الأخشاب و كذلك المصانع الكبيرة و السيارات و الطائرات ، فقد تبين أن التأمين يحقق مصالح عامة هامة فيكون حكمه الجواز شرعاً اعتباراً لما يحققه من المصالح العامة .

١٢ــ التأمين و الأمان و الثقة :

ذهب بعض الباحثين (٣) إلى جواز التأمين على أساس أن التأمين يمنح

(١) قاسم بعيون فى بحثه لمجمع البحوث (أحكام التأمين فى القانون المدنى ٢٤٩) و الفاسى فى الفكر السامى : ٢ / ٥١٣ .

(٢) عبد الرحمن عيسى فى أسبوع الفقه ٤٧٣ ــ ٤٧٤ ، و الطيب حسن النجار و الدكتور محمد صادق فهمى فى أسبوع الفقه الاسلامى ٥٠٢ و محمد الحسن الحجوى الفاسى فى الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى : ٢/٥٠٦ .

(٣) بهجت أحمد حلمى فى أسبوع الفقه الاسلامى ٤٩٣ و عبد الرحمن عيسى

الأمان للتاجر و الصانع و العامل و غيرهم من أفراد الشعب الذين يعملون فى الانتاج، و بذلك تدعم ثقتهم فى أنفسهم، و الثقة من أهم عوامل زيادة الانتاج، فالتأمين على الأشخاص من شأنه أن يزيد قدرتهم على الانتاج بتخليصهم من عوامل الخوف الذى يدفعهم إلى التردد فى العمل مما يعتزمونه من مشروعات، فاطمئنان الشخص إلى نتائج عمله و انتفاء القلق على مركز أسرته يجعله يواجه المستقبل ثابت الجنان رابط الجأش، فينظر إلى الأمور بعين التفاؤل مما يشحذ عزيمته و يشجعه على الانشاء و الابتكار فيتيسر إنشاء المشروعات المبتكرة التى تضيف بظهورها و تطورها أموالا جديدة إلى قائمة الانتاج القومى .

« يتبع »

● فى أسبوع الفقه الاسلامى ٤٧٦ ، و د / نجات الله الصديق فى كتابه « انشورس اسلامى معيشت مين، ص : ٢٥ ، ومصطفى أحمد الزرقاء فى أسبوع الفقه الاسلامى ، ص ٤٠٤ .

مقدمة سنن الترمذى

أو

كتاب العلل الصغير للامام الترمذى (٢٠٩ - ٢٧٩هـ)

الأستاذ السيد صهيب الحسينى الندوى

أسانيد الامام الترمذى إلى ابن المبارك .

و ما كان فيه من قول ابن المبارك (١) فهو ما حدثنا به :

---

(١) عبد الله بن المبارك (١١٨ — ١٨١م)

شيخ الاسلام ، فخر المجاهدين ، قدوة الزاهدين عبد الله بن المبارك ابن واضح ، أبو عبد الرحمن الحنظلى مولاهم المروزى التركى الآب الخوارزمى .

روى عن سليمان التيمى وعاصم الأحول وحميد الطويل والربيع ابن أنس و هشام بن عروة و خالد الحذاء و أمم سواهم .

و حدث عنه خلق لا يحصون من أهل الآقاليم فانه من صباه مافتر عن السفر ، منهم :

عبد الرحمن بن مهدى و يحى بن معين وحبان بن موسى وأبو بكر ابن أبى شيبة و أحمد بن منيع و الحسن بن عرفة .

قال أحمد بن حنبل :

« لم يكن فى زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه » .

قال ابن معين :

« كان ثقة مثبتا ، و كانت كتبه التى حدث بها نحوا من عشرين الف حديث » .

١ـ أحمد بن عبد (١) الأعلى (٢) عن أصحاب ابن المبارك عن ابن المبارك .
و منه ما روى :
٢ـ عن ابن وهب (٣) محمد بن مزاحم (٤) عن ابن المبارك .

انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٤ — ٢٧٦م وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٨٢ .

(١) فى — ع ه (أحمد بن عبدة الآملى عن أصحاب ابن المبارك عنه) .

(٢) أحمد بن عبدة الآملى .

أحمد بن عبدة الآملى ، أبو جعفر من آمل جيحون .

روى عن حيان بن موسى و على بن الحسن بن شقيق و أبى الوزير محمد بن أعين و عبدان المراوزة .

و روى عنه أبو داؤد و الترمذى و الفضل بن محمد بن على .

قال الذهبي فى مختصره : صدوق .

انظر تهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٩ .

(٣) فى ت ع ه (عن أبى وهب عن ابن المبارك .

(٤) محمد بن مزاحم (— ٢٩ م)

محمد بن مزاحم العامرى ، أبو وهب المروزى ، مولى بنى عامر.

روى عن عبد العزيز بن أبى رزمة و وهيب بن الورد و ابن المبارك والنضر بن محمد المروزى و ابن عينية و بكير بن معروف و غيرهم .

وروى عنه أحمد بن عبدة الآملى و اسحاق بن راهويه وعبدة

و منه ما روى :

٣- عن على بن الحسن (١) عن عبد الله بن المبارك .

ابن عبد الرحيم و محمد عبد العزيز بن أبى رزمة و أبو عمار الحسين بن حريث و آخرون .

ذكره ابن حبان فى الثقات .

قال السليمانى :

« فيه نظر » .

و قال ابن سعد :

« كان خيراً فاضلا » . انظر : تهذيب ج ٩ ص ٤٣٧ .

(١) على بن الحسن (١٣٧ — ٢١٥) .

على بن الحسن بن شقيق بن دينار بن مشعب العبـــدى مولاهم أبو عبد الرحمن المروزى .

روى عن الحسين بن واقد و خارجة بن مصعب و ابن المبارك و عبد الوارث بن سعيد و إبراهيم بن طهمان و غيرهم .

و روى عنه البخارى و روى له الباقون بواسطة ابنه محمد، و محمد ابن عبد الله و آخرون .

قال أبو داؤد :

لم يكن به بأس إلا أنهم تكلموا فيه فى الارجاء وقد رجع عنه .

و قال ابن معين :

قيل له فى الارجاء فقال : لا أجعلكم فى حل ولا أعلم قدم علينا من خراسان أفضل منه ، و كان عالما بابن المبارك .

انظر : تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٩٨ .

و منه ما روى :

٤ـ عن عبدان (١) عن سفيان بن عبد الملك (٢) عن ابن المبارك .

---

(١) عبدان ، (٢١٦ — ٣٠٦م) .

الامام ، رحلة الوقت ، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن موسى ابن زياد الاهوازى الجواليقى ، صاحب التصانيف .

روى عن أبى كامل الجحدى و محمد بن الريان وسهل بن عثمان العسكرى و هشام بن عمار و خليفة بن خياط و ابنى أبى شيبة و أقرانهم .

و حدث عنه ابن قانع و حمزة الكنانى و أبو بكر بن المقرى و آخرون .

قال الحافظ أبو على النيسابورى :

« رأيت من أئمة الحديث أربعة ، إبراهيم بن أبى طالب ، و عبدان الأهوازى . . . . فاما عبدان فكان يحفظ مائة الف حديث ، ما رأيت المشايخ أحفظ منه » .

انظر : تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٦٨٨ — ٦٨٩ .

(٢) سفيان بن عبد الملك .

سفيان بن عبد الملك المروزى ، صاحب ابن المبارك .

روى عن عبد الله بن المبارك .

و روى عنه وهب بن زمعة و عبدان و حبان بن موسى والحسن ابن عمر و السدوسى و اسحاق بن راهويه .

ذكره ابن حبان فى الثقات ، و قال :

« مات قبل المائتين » .

و منه ما روی :

٥– عن حبان بن موسی (١) عن ابن المبارك .

و منه ما روی :

٦– عن وهب بن زمعة (٢)

قال الحافظ :

و ذكر أنه روی أيضاً عن أبی معاوية الضرير .

انظر : تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٧٣ .

(١) حبان بن موسی (ـــ ٢٣٣ م) .

حبان بن موسی بن سوار الأسلمی، أبو محمد المروزی الكشميهنی روی عن ابن المبارك و أبی حمزة السكری و داوٗد بن عبد الرحمن العطاردی و غيرهم .

و روی عنه البخاری و مسلم ، و روی عنه الترمذی و النسائی بواسطة أحمد بن عبدة الآملی ، و محمد بن حاتم بن نعيم المروزی و أبو زرعة ، و غيرهم .

قال إبراهيم بن الجنيد : ليس صاحب حديث . و لا بأس به .
و ذكره ابن حبان فی الثقات .

انظر : تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٧٣ .

(٢) وهب بن زمعة :

وهب بن زمعة التميمی ، أبو عبد الله المروزی .
روی عن ابن المبارك و أبی حمزة السكری وسفيان بن عبد الملك و عبد العزيز بن أبی رزمة وفضالة بن إبراهيم النسوی و إبراهيم بن اسحاق الطالقانی و غيرهم .

عن فضالة النسوى (١) عن عبد الله بن المبارك .

وله رجال مسمون سوى من ذكرنا عن ابن المبارك .

•• و روى عنه البخارى فى (جزء القراءة خلف الامام) و روى له مسلم و الترمذى و النسائى بواسطة محمد بن عبد الله قهزاز و أحمد بن عبدة الآملى ، وروى عنه أيضاً أحمد بن محمد بن شبويه وأبو الليث والآخرون.

قال النسائى :

« ثقة » .

و ذكره ابن حبان فى الثقات .

تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٦٣ .

(١) فضالة النسوى .

فضالة بن إبراهيم التيمى ، أبو إبراهيم ، ويقال : أبو أحمد النسوى ثم المروزى والد عبيد الله و أحمد .

روى عن الليث و ابن لهيعة و ابن المبارك .

و روى عنه عمر بن هشام النسوى و محمد بن عبد العزيز و وهب ابن زمعة و أحمد بن عبدة الآملى .

قال النسائى :

« ثقة »

و قال أبو على المروزى :

« كان من كبار أصحاب عبد الله » .

و كذا قال ابن حبان : و زاد .

« و كان من أهل الحفظ و الضبط و العلم باللغة و الشعر » .

انظر : تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٦٧ .

من أعلام الحديث فى الهند :

المحدث الكبير السيد محمد أنور الكشميرى

الأستاذ تاج الدين الأزهرى

مولده و نشأته :

هو الفقيه المجتهد السيد محمد أنور بن معظم شاه ، ولد بكشمير سنة ١٢٩٢هـ ، وقد تربى فى عطف والديه تربية مثالية ، فنشأ على التقوى وغض البصر و احترام الأساتذة - يقول الشيخ المقرىء مولانا محمد طيب رحمه الله : كنا نتعلم السنن النبوية من سيرة الشيخ محمد أنور و كأن الأخلاق النبوية تجسدت فى صورته . (١) »

درس على والده وعلى الشيخ غلام رسول الهزاروى كتبا فى الفقه وأصوله ، و لما بلغ السابع عشرة من عمره سافر إلى ديوبند و التحق بدار العلوم هناك - و هى اكبر المدارس الاسلامية فى شبه القارة الهندية ، يعترف بذلك كل من له أدنى إلمام بالتاريخ العلمى بهذه القارة - و تخرج منها سنة ١٣١٣هـ و قد حصل على اجازة درس الحديث من شيخ السنة مولانا رشيد أحمد الكنكوهى وشيخ الهند مولانا محمود حسن رحمه الله ، ويصل سنده إلى الامام الترمذى و الشيخ ابن عابدين الحنفى .

قوة حافظته و طريقته فى المطالعة :

كان الشيخ رحمه الله شديد الاستحضار قوى الحافظة شغوفاً بالمطالعة ، وقد انتهى من مطالعة « عمدة القارى شرح صحيح البخارى » للحافظ العينى فى شهر رمضان المبارك ، و أراد بذلك أن يستعد لدراسة صحيح البخارى فى العام الدراسى المقبل الذى كان يبتدىء فى شهر شوال ، وقد استوعب « فتح البارى شرح صحيح

البخاری ، للحافظ ابن حجر مطالعة اثناء قراءته صحیح البخاری علی شیخه مولانا محمود حسن رحمه الله : (٢) .

و کانت طریقته فی المطالعة أنه إذا وقع فی یده أی کتاب علمی مطبوعاً کان أو مخطوطاً یأخذه و یطالعه من غیر أن یترك شیئاً منه ـ و هو أول عالم بین علماء الهند طالع مسند الامام أحمد بن حنبل المطبوع بمصر ، فکان یطالع منه کل یوم مأتی صفحة مع نقل أحادیثه وضبط أحکامه . (٣)

مکانته العلمیة :

کان الشیخ رحمه الله إماماً فی علوم القرآن و الحدیث حافظاً واعیاً لمذاهب الأئمة مع إدراك الاختلاف بینها ، و قادراً علی اختیار ما یراه صواباً ـ و لم یقتصر فی مطالعته علی کتب علماء مدرسة بعینها مع أنه کان حنفیاً و إنما قرأ لعلماء مدارس مختلفة ممن لهم انتقادات شدیدة فیما بینهم ، مثل الحافظ ابن تیمیة والحافظ ابن القیم و ابن دقیق العید و الحافظ ابن حجر رحمهم الله ، وقد أحاط بکتب أهل الکتاب من الأسفار للعهد الجدید و القدیم و طالع التوراة بالعبریة وجمع مأة بشارة من التوراة تتعلق برسالة نبینا محمد ﷺ (٤) .

رحلاته العلمیة :

سافر الشیخ رحمه الله بعد تخرجه إلی عدة مدارس ، و درس هناك عدة أعوام، وقد التقی فی فرصة زیارة الحرمین الشریفین بعدد من رجال العلم ، منهم الشیخ حسین بن الجسر الطرابلسی عالم الخلافة العثمانیة صاحب الرسالة الحمیدیة و الحصون الحمیدیة (٥) .

و بدأ بالتدریس فی دار العلوم دیوبند بعد عدة أعوام من رجوعه عن الحرمین الشریفین ، وظل مدرساً بها حتی عام (١٣٤٥هـ) ثم رحل إلی « دابیل »

قرية بكجرات - و أسس بها معهداً كبيراً يسمى « بالجامعة الاسلامية » و دارة تأليف تسمى « بالمجلس العلمى » .

آراء العلماء المعاصرين :

و قد أثنى عليه العلماء المعاصرون ، ولثناء المعاصر على المعاصر قيمة كبيرة .

فقد قال الشيخ السيد سليمان الندوى رحمه الله : هو البحر المحيط الذى ظاهره هادى ساكن و باطنه مملوء من اللالى الفاخرة الثمينة (٦) .

و قال المحدث على الحنبلى المصرى رحمه الله : ما رأيت عالماً مثل الشيخ أنور الذى يستطيع أن ينقد على نظريات الحافظ ابن تيمية و الحافظ ابن حجر و ابن حزم و الشوكانى رحمهم الله ، ويحاكم بينهم و يؤدى حق البحث والتحقيق مع رعاية جلالة قدرهم (٧) .

و من الجدير بالذكر ما قاله شاعر النهضة الاسلامية الدكتور محمد اقبال المرحوم : لا يمكن أن نجد مثله إلى خمس مائة سنة فى الماضى (٨) .

جهوده فى الرد على القاديانية :

قد ظهرت فى العالم فتن كثيرة ، وقد عمل العلماء لمكافحتها بجهد كبير ، و من الفتنة الكبرى التى وقعت فى هذه البلاد (الهند) بوحى من أعداء الاسلام و تأييد منهم « فتنة القاديانية » و قد تصدى العلماء لهذه الفتنة الملعونة ، و واجهوها و جدوا فى القضاء عليها فى جميع البلاد .

وكانت جهود الشيخ أنور رحمه الله فى مواجهتها أكثر من العلماء المعاصرين فانه لم يدخر جهداً ولم يهدأ له بال ولم يرتح له فكر فى ليل أو نهار ، بل وكان يفكر دائماً فى إيجاد الطرق الكفيلة بالقضاء على هذه الطائفة فأيقظ العلماء من النوم العميق فى أنحاء العالم وحثهم على القيام بواجبهم فى القضاء عليها بالتبليغ والتصنيف ،

و قد تیسر لأصحابه و تلامذته تالیف کتب و رسائل ضد هذه الطائفة الکاذبة باللغات المختلفة .

وقد ألف الشيخ أنور بنفسه مؤلفات صغيرة وكبيرة حولها، منها (١) اكفار الملحدين (٢) التصريح بما تواتر فى نزول المسيح ، (٣) تحية الاسلام فى حياة عيسى عليه السلام : (٤) عقيدة الاسلام فى حياه عيسى عليه السلام (٥) خاتم النبيين ـ و هذه كلها باللغة العربية إلا كتاب خاتم النبيين فانه باللغة الفارسية .

آثاره :

قد ترك الشيخ آثاره فى صورة التلامذة و الكتب المؤلفة :

فأما عدد تلاميذه ، فيزيد على ألفين و اكتفى بذكر بعض منهم .

(١) حضرة الأستاذ الشيخ مناظر أحسن الجيلانى رحمه الله :

كان عالماً كبيراً و محدثا جليلا و مصنفاً عظيماً وله مصنفات كثيرة ـ منها مايلى : (١) تدوين الحديث (٢) الاسلام ونظام الأراضى (٣) الدين القيم (٤) النبى الخاتم ﷺ (٥) الحياة السياسية لأبى حنيفة رحمه الله :

(٢) المحدث الكبير مولانا حفظ الرحمن السوهاروى رحمه الله :

و من أهم تصانيفه مايلى (١) قصص القرآن فى أربعة أجزاء (٢) البلاغ المبين فى ثلاثة أجزاء (٣) نظام الاقتصاد فى الاسلام (٤) الأخلاق وفلسفتها .

(٣) الشيخ المقرىء محمد طيب رحمه الله .

و من تصانيفه كما يلى (١) أصول الدعوة الدينية (٢) نظام الأخلاق فى الاسلام (٣) شأن الرسالة (٤) القرآن و الحديث :

(٤) المحدث الجليل مولانا محمد ادريس الكاندهلوى رحمه الله :

و تصانيفه كما يلى : (١) تفسير القرآن باسم معارف القرآن فى ستة اجزاء ولم يكمله (٢) عقائد الاسلام (٣) التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح، فى سبع مجلدات باللغة العربية .

و غير أولاء من تلاميذه الذين كانوا مصنفين فى علوم القرآن و السنة :
أما كتبه المؤلفة غير التى ذكرتها فهى كما يلى : (١) فيض البارى وهو أماليه على صحيح البخارى فى أربع مجلدات : (٢) العرف الشذى و هو من أماليه كذلك على جامع الترمذى : (٣) مشكلات القرآن (٤) نيل الفرقدين فى مسألة رفع اليدين (٥) فصل الخطاب فى مسألة أم الكتاب : (٦) ضرب الخاتم على حدوث العالم (٧) خزائن الأسرار : وكلها باللغة العربية :

« المراجع »

(١) مشاهير علماء ديوبند ، للقارى فيوض الرحمن . ص ٤٨٥ ، نقش دوام لمولانا انظر شاه . ص ٨١ .

(٢) التصريح بما تواتر فى نزول المسيح ، العلامة محمد أنور شاه الكشميرى . ص ١٤ ـ نفحة العنبر ، للشيخ محمد يوسف البنورى ص ٣٠٠ ـ مقدمة أنوار البارى ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٣) نفحة العنبر ، ص ٢٦ ، مقدمة أنوار البارى ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

(٤) نفس المأخذ ص ٩٥ .

(٥) تاريخ دار العلوم ديوبند ، للسيد محبوب رضوى ص ١٩٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ج ١٧ ، ص ٣٠٦ .

(٦) مقدمة أنوار البارى ج ٢ ، ص ٢٤٠ ـ نفحة العنبر ص ٣٠٤ ـ تاريخ دار العلوم ديوبند ص ١٩٩

(٧) الأنور ، عبد الرحمن كوندو ص ٥٩٥ .

(٨) عشرون مسلما كبيراً فى الهند (باللغة الاردية) ص ٣٧٥ ـ نفحة العنبر ص ٣٨ ، مقدمة أنوار البارى ج ٢ ص ٢٤١ .

غزو ثقافى من نوع جديد

إن القوى المعادية للاسلام ترصد كل ما تستطيع من إمكانات لتنصير المسلمين و تعمل ليل نهار مستخدمة شتى الوسائل منتهزة كل الفرص مستغلة كل الظروف لتحقيق هذا الهدف ، و إذا لم ينجحوا فى تنصير المسلم فيكفى أن يزعزعوا إيمانه و يحطموا كيانه و يبثوا الشكوك فى مفاهيمه و يشوهوا حقيقة الاسلام فى نفسه و يتركوه فريسة للاوهام و الشبهات .

و أساليبهم فى التنصير آخذة دائماً فى التطور مستغلين المعاناة التى تحيط بالمجتمع المسلم وتكتنفه من جميع نواحيه ، فيلجأون إلى فتح العيادات الطبية الخاصة و المدارس التنصيرية المتنوعة و يستغلون الاذاعات الموجهة و ينشئون الملاجئ التى تبدى اهتماماً خاصاً برعاية الايتام و المشردين والفقراء ، و هدفها الرئيسى تنشئة هؤلاء الأطفال تنشئة نصرانية و تشجيع أبناء المسلمين على السفر إلى البلاد المسيحية و استضافتهم من قبل الأسر المسيحية وتقديم الهدايا لهم ثم يطلبون منهم التوجه إلى الكنيسة لينهلوا من ثقافة الغرب المسمومة و يعودوا إلى بلادهم دعاة إلى اللادينية و العلمانية و أدوات للحضارة المادية و محاربة اللغة العربية .

و إن العمل الاسلامى لا تكاد جهوده تذكر فى مقابل النشاط التنصيرى المنظم حيث تحد من انطلاقه عوامل كثيرة من عدم وضوح الرؤية و الخلافات المستحكمة وضعف التمويل و التحرك البطئ و الأساليب المتخلفة و عدم توافر المعلومات الضرورية و نقص الدعاة المؤهلين وقوة التحديات المناوئة وعدم ادراك المتغيرات فى الحياة الراهنة و اعتماد الدعوة الاسلامية على الجهود الفردية وعدم وجود التخطيط المنظم للدعوة إلى الاسلام وصد حملات المستشرقين والمنصرين ، و حسب احصائيات نشرتها مجلة *Time* الأمريكية قبل فترة فان هناك ٢٢٠ ألف مبشر نصرانى فى العالم يستخدمون وسائل مختلفة فى بث أفكارهم و نفث

سمومهم من بناء الكنائس و توزيع الاناجيل و إقامة المدارس الارسالية ومراكز الثقافة المسيحية و المستشفيات و الأندية و عقد المؤتمرات للتخطيط و الدراسة و إقامة المعارض العائمة .

و من الأساليب الفعالة التى يتبعها أولئك المنصرون تقليعة جديدة تتلخص فى إقامة معارض للكتب المسيحية على ظهور البواخر و الرسو بها على ضفاف و شواطئ البلدان الاسلامية و استدعاء المواطنين للقراءة و الاطلاع و الاستماع إلى المحاضرات و توزيع النشرات و الترفيه بواسطة الوصلات الغنائية و التراتيل الكنسية و الرقصات الهستيرية جذبا للشباب و إغراء لهم على الفتنة .

تقوم عابرة محيطات اسمها دولوس *Doulos* وعلى متنها أكثر من ٣٠٠ منصر مسيحى متطوع أخذوا على عاتقهم تعليم الانجيل و ترجمته لمختلف اللغات وتقديم معرض للكتب يشمل أكثر من ٤٠٠٠ كتاباً تغطى معظم العلوم والفنون و يعرضونها للبيع بأثمان زهيدة و تقوم العابرة بالتطواف على مدن العالم باسم إقامة المعرض العائم للكتب و تخفى من وراء هذا الغرض هدفها الرئيسى الكامن فى الغزو الثقافى و التنصير على نطاق عالمى .

و قد سبق أن أقاموا مثل هذا المعرض العائم فى البحرين و السودان و الآن جاء دور سيرلانكا حيث يقوم المعرض الآن فى كولومبو فى الفترة من ١٩ فبراير إلى ٧ مارس ١٩٨٨م على ظهر عابرة المحيطات دولوس *Doulos* فهل ينتبه المسلمون إلى هذا الخطر الداهم و يذكرون قول الله سبحانه و تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفى صدورهم أكبر » .

و صدق الله العظيم :

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق » .

صور و أوضاع :

هــذا هو الطريق

واضح رشيد الندوى

فى الوقت الذى ترد أنباء النشاط الاسلامى و الاقبال على دراسة الاسلام و عرضه بدون انحياز ، ودخول أفواج فى دين الله ، فى إفريقيا ، وأوربا وآسيا ، ترد أنباء تقلق كل مسلم عن تصعد نشاط المنصرين فى عدد من البلدان الاسلامية ، و فرض قيود جديدة على الدعوة الاسلامية و مطاردة الشخصيات الاسلامية ، و الحملة المجددة ضد الاسلام فى الاعلام الأوربى ، و ترد دعاوى المنصرين بأنهم قاموا بتنصير أعداد ضخمة من المسلمين فى عدد من البلدان الاسلاميـة ، و أنهم يخططون لتحويل الأغلبية الاسلامية إلى الأقلية الاسلامية ، فتدعو هـذه التقارير المضادة إلى إعداد لمواجهة الوضع . وتوحيد صفوف العاملين للاسلام، و تخليهم عن الانتماء إلى الأحزاب و المنظمات و المدارس المنفصلة ، لتأليف جبهة واحدة و دراسة ظروف المعيشة و العمل فى المناطق التى تنشط فيها هــذه الجمعيات ، و ارسال دعاة إلى المناطق المهجورة حيث يستغل المنصرون جهل عامــة المسلمين يثيرون الشكوك فى قلوبهم ، و يحتاج هذا العمل إلى إعداد خطة دقيقــة تقوم على مسح شامل للبلدان التى تنشر فيها شبكات التنصير .

و بجانب خطر الغزو العقائدى يواجه المسلمون فى عدة بلدان ذات الأقليـة الاسلامية حملات الابادة و التصفية ومحو معالم الاسلام و آثار العهد الاسلامى و فى مقدمتها بلغاريا حيث تستمر حرب الابادة ، فقد زار رئيس جمعية حقوق الانسان فوجــد كل مسلم غير اسمه ، و أفادت التقارير الواردة بهدم المسـاجد و المدارس و تحويلها إلى متاحف و أسواق ، و مثل هذه العمليـات جرب فى

يوغوسلاويا ، و تلم أن الحملة ضد الاسلام قد تجددت فى الاتحـاد السوفيتى ، ويواجه المسلمون فى مناطق أغلبيتهم عمليات النقل لتشتيتهم فى مناطق نائية ومنعهم من التجمع خوفاً من انتفاضتهم .

ترجع هذه الحملة الجديدة فى الاتحـاد السوفيتى إلى بعث جديد فى الدوائر الاسلامية فى الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، و قد بدأ هـذا التذمر الذى تصعد اليوم بتدخل القوات السوفيتية فى أفغانستان حيث شاهــد الجنود السوفيتيه بأنفسهم ، و كان فيهم عــدد ملحوظ من المسلمين من الجمهوريات الاسلامية ، كيف يقاوم المجاهدون القوات السوفيتية المدعمـة بأحدث الأسلحــة و كيف يلحقونها بأضرار جسيمة ، و شاهدوا كيف تتراجع هذه القوة المستكبرة و تتخاذل ، فوجد فى قلوبهم أمل ، ونبتت بذلك مقاومـــة فى بعض المنـاطق ، و تحاول السلطات السوفيتة قمعها و استئصال جذورها ، فشنت حملة عامة للقضاء على الشعور الاسلامى ، و لـكن هـذا الشعور أصبح الآن قويا يتوقد فى القلوب و سيتوقد و يتقوى بمر الأيام ، و لقد أدركت السلطات السوفيتية بعـــد تجربة مريرة فى أفغانستان أنها لا تستطيع قمع الانتفاضة الشعبية إذا كان مصدرها الايمان و العقيدة الراسخة ، إنها بعد خسائر فادحـة فى الأرواح و الممتلكات ، استسلمت لهذا الواقع فأقرت بالمجاهدين بعد رفض طويل ، وأشركتهم فى الحـكومة الائتلافية الموقتة المقترحة فى الصلح ، فلو أدركت هذا الواقع فى الجمهوريات الاسلامية التى تحتلها و تحكمها ضد رغبتها و اختارت طريق المفاوضـات و التصالح لكان ذلك توفيراً لقوتها ، و تفادياً للخسائر التى ستلحقها فى المستقبل ، فان العاطفة الدينيـة لا يمكن قهرها طويلا ، و قد اعترف الزعماء الاشتراكيون الذين قهروا المسلمين خلال خمسين سنة ، أن هذه العاطفة لا تزال متوقدة ، كما أفادت الأنباء بأن هناك حركة جادة للدعوة الاسلامية وأن العاطفة الاسلامية عالية فى الشباب والمثقفين .

لقد عمل الاتحاد السوفيتى ما يمكن به تلافى الوضع فى أفغانستان إذا سارت الأمور بروح طيبة ، و قد حقق المجاهدون هدفهم إلى حـــد كبير بأنهم أجبروا عدوهم على الاعتراف بهم ، و بذلك أثار المجاهدون الجذوة الايمانيـــة فى قلوب المسلمين المضطهدين و هدوا إلى الطريق الذى يضمن النجاح .

بعد مدة طويلة من اتباع وسائل و مناهج علمانية و سياسية عرف الشعب الفلسطينى أيضاً الطريق ، طريق الشهادة و شاهد بنفسه تأثير هذا المنهج ، وعرف أنه يستطيع أن يقرر مصيره ، بايمانه و بتضحيته ، و ثباته و بشوقه إلى الشهادة ، و كل من آثر الموت لا يخيفه الموت ، و من آمن بالله و بوعـده ، فلا يخشى إلا الله ، و لا حول و لا قوة إلا بالله .

لقد أجبر المجاهدون فى أفغانستان بطريق الجهاد القوة العالمية الكبرى على التراجع ، فانهم بدأوا كفاحهم بأسلحة محلية الصنع ، ثم ازدادت قوتهم و مناعتهم وحدثت خوارق لا يكذبها إلا الجاحدون ، و كذلك ستحدث خوارق فى جهاد الفلسطينيين ، سينصرهم الله إذا استنصروا الله ، وانتهجوا منهج الجهاد وواصلوا كفاحهم بالايمان و الاحتساب و توكلوا على الله .

كانت اسرائيل تحسب أن الخطر الحقيقى لها هى الحكومات فى المنطقـــة فدبرت مؤامرات لتطويقها والتغلب على القيادات فيها ، و تحطيم قوتها بالحروب ، والثورات ، و كانت تحسب أن منظمة تحرير فلسطين هى الخطر لها فقامت بتبديد قوتها باحتلال جنوب لبنان ، و اغتيال الشخصيات الكبرى ، ثم دبرت مؤامرة لاستنزاف قوة العرب باستغلال ثورة ايران و تحويلها ضد الدول العربية ، و قد ثبت بوثائق لا تنكر أيدى اسرائيل الخفية فى الأحداث وخاصة فى تزويد ايران بالأسلحة و الخبرة الفنية ، و إشعال نار الحرب بين ايران و العراق لكسر القوة العسكرية و إبادة الثروات المالية و البترولية و العمرانية للدول الاسلامية فى المنطقة

لتبق هى القوة الكبرى ، و كانت اسرائيل تخشى الحركة الاسلاميـة فى الدول العربية فوجهت الحكومات فى المنطقة إلى ضرب هذه الحركة فاشتدت عمليات القمع و الكبت للحركة الاسلامية فى المناطق التى تواجه اسرائيل بعد إنشائها ، و لا يخفى على من تابع الأحداث و العوامل فى الدول العربيـة و العمليات التى جرت ضد الحركة الاسلامية ما كان وراءها من توجيه و تدبير لعملاء اسرائيل ، وقد أعلن زعماء اسرائيل عدة مرات أن الحركة الاسلامية أخطر لها من جيوش الدول العربية .

كل ذلك ما كان فى حسبان اسرائيل وحلفائها ، فاتخذت اسرائيل وحلفاؤها كل ما كان فى مقدورها من ضرب الحركة الاسلامية وتطويق الدعوة الاسلاميـة واغتيـال قادة الفكر الاسلامى ، واضطهاد العاملين فى مجال العمل الاسلامى فى الدول العربية المختلفة والدول الأوربية ، لكن الأمور بيد الله ، واليهود خير من يعرف كيف ينقذ الله الأمة المضطهدة و كيف يخلق فى المستضعفين الاباء و الصمود و الاندفاع ، وكيف يحيى القلوب ، فقد أنقذ الله بنى اسرائيل من براثن فرعون وجعل فرعون فى الغارقين ، فهل ينسى اليهود هذا الجزء المهم من تاريخهم .

إن اسرائيل تتبع اليوم خطوات فرعون فتضطهد و تقهر و تقتل و تصلب الضعفاء ، و تستعبد الأحرار ، و سينجى الله هؤلاء المستضعفين و يهلك عدوهم لأنه علا فى الأرض وأهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الظالمين ، و سيواجه كل طاغية هـذا المصير ، و كل من يساند المعتدين ، و سينجى الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات .

إن الانتفاضة الفلسطينية تجربة جديدة لاسرائيل ، فقد أثارت هذه الانتفاضة الرأى العام العالمى و أدينت اسرائيل على إجراءات التعسف مع المواطنين العزل ، و تعذر عليها أن تسيطر على قواتها التى عجزت عن مواجهة السيل الجارف من المجاهدين الصغار و الكبار والنساء والرجال و زعرغت كيانها هتافات الله أكبر .

إنها بداية للمعركة ، و كلما قوى الايمان و الثقة بوعد الله ، ونصرته ، و عم العمل الصالح و انقطعت خيوط العنكبوت التى كانت قــد امتدت على الشعب الفلسطيني البائس و اعتصموا بحبل الله المتين ، اشتدت المعركة و اقترب وعــد الله بالنصر .

و هكذا تقوم الامم المستضعفة عند ما تثور فيها العاطفة و الغيرة وتحركها العقيدة إلى الأمام ، و ستنهض بهذا الطريق جميع الشعوب المضطهدة فى الدول الاستعمارية مهما كانت قوتها و عدتها .

من الخطب إلى الخطط

لقد عرف العرب بالبيان و عدوا ذلك مفخرة لهم وميزة تميزهم من الامم ، و أصبح الاعراب سمة لهم و كانوا يعيرون غيرهم بالعى و ينعتونهم بالأعاجم ، و لكنهم لم يعتبروا الاكثار من الكلام و إطالة اللجوء إليـه فى وقت الأزمـة صفة محمودة بل قالوا و هو مثل عربى : من ضاق صدره اتسع لسانه ، و يقول مثل عربى آخر « أوسعتهم سباً و أودوا بالابل » و كذلك عـد العرب الفخر بالآباء ، و بالأيام الماضية عيباً فقالوا ، « كن عصامياً لاعظامياً » و قد كان العرب رغم قدرتهم على الكلام و التأثير به ، و معرفتهم لقدره و قيمته ، و تجربتهم عما يفعله الكلام فى حينه ، يستهجنون من يكتفى بالكلام فكان اهتمامهم فى الكلام بالايضاح ، و الابانة ، و كانوا يؤثرون الايجاز والاختصار ، كانت خطب العرب قبل الاسلام و خطب الرسول ﷺ و الخلفـاء الراشدين و من حذوا حذوهم موجزة ، و مركزة على بواعثها ، تدور حول النقط المعينة ، و هى محفوظة مدونة فى كتب التاريخ والأدب ، ففعلت هذه الخطب فعلها لأنها صدرت فى حينها بالحرارة و القوة التى اقتضتها الظروف ، و برعاية نفسية المخاطب .

من الخطب إلى الخطط

اشتغل بالخطابة فى العصور المتوسطة المتكسبون فجعلوا الخطبة وسيلة للكسب و الارتزاق فأطالوها وزخرفوها و زينوها بالقصص و الألغاز و التعريض والتنكيت و الحكم و الأمثال و الاقتباس من الثقافات المختلفة و تأنقوا فيها ، ثم تولى مهمة الخطابة فى أوائل عصر النهضـــة زعماء سياسيون استخدموا هذه الوسيلة لايقاظ النائمين و إثارة الراكدين و تحميس القلوب و العواطف و لتحريض الناس على الوقوف فى وجه الاستعمار و قاموا بجولات واسعة فى أقطار البلاد للاتصال بأفراد الشعب و إعدادهم لبدء الكفاح ضد الاستعمار ، و كانت الخطبة الوسيلة الوحيدة ، لأن الكلمة المنشورة كانت مقيدة لكون الاعلام بيد الاستعمار . و لأن المواصلات كانت مقطوعة ، و لم تكن توجد منظمات و لا جمعيات للعمل ، و كانت القيود مفروضة عليها .

و تأثر النـاس بالخطب النارية ، و كسب الخطباء الأكفاء سمعة و نالوا نفوذاً شعبياً توجه إليهم الدعوة لمخاطبة الجمهور ، و كان الجمهور يجد لذة فى سماع مساوى الاستعمار ، و التهديدات و التحديات له ، لأنه كان يشفى غليله و يخفف من الأمة نفسياً و شعورياً .

و شاعت هذه المهنة ، مهنة الخطابة ، فأنجب هذا العصر ، عصر الكفاح ، خطباء مصاقيع و كان عدد منهم ملهمين ، مخلصين ، لأن عاطفة صادقة كانت تشملهم . و لا شك فى أن الخطباء البارعين مثلوا دوراً رائداً فى كفاح التحرير ، فكانت الاحتجاجات الحاشدة منطلقاً لاندفاع الشعب ، و وجدت فيه حرارة ، لأن الخطباء أشعلوا عواطفه ، و وجد فى ذلك العصر خطباء فى كل بلد خاض الحرب ضد الاستعمار ، و شاعت عادة عقـــد الاجتماعات التى كانت تبدأ فى الساعات الأولى من الليل و تنتهى فى الصباح بصوت المؤذن .

كانت الخطبة سلاح العزل ، لأن الخطبة ألفت و حشدت القوى وحركت النفوس ، ودفعتها إلى المعركة ، وتكونت بها قوة شعبية ، صمدت أيام قوة المستعمر ، فى المرحلة الأولى من الكفاح ، ثم طورت وسائل أخرى و خطط مدروسة لاقتلاع جذور الاستعمار ، و لما حان وقت تأليف الحكومات القومية لم يجد هؤلاء الخطباء مكانهم فيها و إنما تولى الحكم رجال من ذوى خبرات عملية لأن بناء الوطن لا يتم بالكلام والخطب النارية و إنما يتم باعداد مخططات و تنفيذ هذه المخططات ، وبدراسة أوضاع البلاد ، وحل مشاكلها ، وبتقديم نماذج ، وبحمل الأمة على الاجتهاد و العمل و التفكير الجدى ، و الصبر و الأناة لا التسرع والهياج .

و كل بلد تولى قيادته خطباء و متكلمون ، كما حدث فى بعض البلدان الاسلامية أصيبت بالركود بحالة هائجة و أصيبت بخسائر جسيمة بتصرفات الحكام المتصرفين بدون مسئولية ، ومن غير تفكير ، فتحولت ظروف البلاد إلى أحداث مسرحيـة ، لا تعرف إلا الهتافات و النعرات و التهديدات و التحديات ، و لا توجد فيها مشاريع التقدم ، و لا مجهودات عمليـة لحل مشاكل البلاد و إنما تعيش البلاد عالة على القوى المتدفقة .

كانت هذه الطبيعة الخطابية مسئولة عن الأزمات التى واجهها العالم الاسلامى خلال عهد الثورة الطويلة ، لم يشهد فيه إلا ثورة الأعصاب و إثارة الأعصاب بالكلام ، وكان الزعماء يتسابقون إلى اطالة الكلام سواء فى اجتماعات الشعب ، أم فى البرلمانات ، فكانوا يردون على كل خطر بالكلام .

و سرت هذه العادة إلى القيادات ، و إلى الجماهير ، فلا تعجب الجماهير إلا بالمتكلمين المسعرين فى الكلام ومشعلى الأعصاب بل بشاتمى الأعداء ، و أصبحت الحفلة طريقاً قصيراً إلى كسب القلوب .

لقد لجأ إلى هذه الوسيلة القديمة القادة الدينيون و هى أوسع انتشاراً فى البلدان الاسلامية وخاصة فى البيئات الاسلامية فتنفق على الحفلات والاجتماعات

مبالغ طائلة و يعيش مئات من الخطباء على عوائد الاجتماعات ، فتكلف رحلاتهم و ضيافتهم قدراً كبيراً من الميزانية الشعبية ، و يوجد به تنافس و تثور أحقاد ، و لا يكون كل خطيب على مستوى الورع والصلاح الذى يتطلع إليه الشعب المسلم ، فيحدث الاتصال به رد فعل غير طيب .

إن كثيراً من الفتن و التصرفات الهائجة التى تحدث فى عالمنا اليوم ترجع إلى وجود هؤلاء الخطباء المحترفين ، والحذاق فى الكلام الذين يكتفون بالخطب.

كان مصير عدة حركات فى العالم الاسلامى أنها بدأت بالخطابة ثم التهمها تخطيط الأعداء ، لأن هذه الحركات ظلت مرتجلة متهورة ولم تتخذ وسائل لوقايتها و تنمية قوتها و التحصن عن مكايد الأعداء .

إن هذا العصر هو عصر البحث و التخطيط و المسح و التحليل ، و قد فاقت الأمم الأوربية بفضل دراستها و إعدادها خطة العمل ، و إيثارها التفكير و إنضاج الفكر ، و التنقيح على الارتجال و العاطفة ، فأعدت مشاريع أثمرت بعد خمسين سنة أو مائة سنة و اختارت مجالات للعمل و ركزت عليها جهودها . و واصلت العمل فى غاية من السرية و الجد .

كانت طبيعة المسلمين فى الماضى طبيعة الدراسة و البحث ، و كانوا عمليين واقعيين لكن الطبيعة الخطابية و الارتجالية سيطرت عليهم فى عصور الاستعمار و التخلف و لا تزال هذه الطبيعة سائدة عليهم ، فلا يحتملون أعمالا تستغرق وقتاً أو مشاريع بعيدة المدى ولا يتصورون المستقبل البعيد ، فلا يمكنهم التخطيط و الاعداد و التريث ، و أصبح شعارهم التسرع و الانفصال لغلبة عقلية الخطباء .

إن هذه الطبيعة التى تسود اليوم يجب أن تعالج بدقة و حذر ، و تحدد مواضع الخطابة و توجد نفسية التركيز ، و التأنى ، و التفكير ، و التدبر ، فى جميع ميادين العمل كى يستعد المسلمون لمواجهة المستقبل و لا يفاجأوا به .

مؤتمر عالمي للديانة الهندوكية في نيبال

قلم التحرير

شهدت عاصمة نيبال منذ فترة قليلة مؤتمراً عالمياً للديانة الهندوكية حضره ممثلو هذه الديانة من أنحاء العالم المختلفة . و اشترك في برامجه و مداولاته عدد من الشخصيات الهندوسية ممن يحملون طابعاً سياسياً و اجتماعياً و دينياً من الهند و دول شرق آسيا و أوربا و أفريقيا .

يعتبر هذا المؤتمر خطوة أولى من نوعها ، تدعو إلى إحياء الديانة الهندوكية على جميع المستويات ، و فرض سيطرتها على الحياة و المجتمع في الهند و الدول التي يعيش فيها الهندوس ، و العودة إلى الأصول الوثنية للديانة الهندوكية ، التي تعتبر أساساً للثقافة الهندية لدى الطائفة الهندوسية التي تزعم أنها وجدت في الهند منذ أقدم العصور .

لقد ناقش المؤتمرون قضايا تتعلق بالديانة والثقافة الهندوسية و طرق إنعاشهما و أساليب توكد على جميع سكان الهند أن يعودوا إليهما ، و على المسلمين أن ينصهروا في بوتقة الحضارة الهندوسية القديمة من غير تردد أو خجل .

نورد فيما يلي ما قد علق على المؤتمر الأستاذ واضح رشيد الندوي في افتتاحية العدد الأخير لصحيفة الرائد يقول : « إن الهند تشهد هذه الأيام نشاطاً مضاعفاً لما يسمى بالأصولية الهندوكية ، و تحركات الزعماء الذين يطالبون بالعودة إلى ثقافة الهند الأصيلة و محو جميع آثار الثقافة الأجنبية ولا يحتملون بقاء أسماء إسلامية للمدن و القرى و الشوارع و يصدون عن بناء المساجد ويؤكدون بناء المعابد ويوزعون المعونات المالية لبناء المعابد و إقامة الطقوس الهندوكية ، ويدعون أن الهند بلد هندوكي ، وكل من يسكن هذا البلد عليه أن يندمج إلى التيار القومي .

مؤتمر عالمي للديانة الهندوكية في نيبال

كان من القرارات التي اتخذت في المؤتمر الهندوكي العالمي إنشاء اتصالات بالهنادك الذين يعيشون فيها كأقلية ، و مطالبة الحكومة في المنطقة بإعادة معابدهم إلى من يمثل الهنادك ، كمعابد الهندوس والبوذيين والسيخ في باكستان وبنغلاديش.

و في الوقت نفسه طالب المؤتمر بتحويل عدد من المساجد التاريخية في الهند إلى المعابد لأنها تقع في المناطق المقدسة أو لأنها - كما يدعي هؤلاء المؤتمرون - كانت معابد هدمها المسلمون و أقاموا بأنقاضها المساجد ، ومن هذه المساجد المسجد البابري الواقع في أجودهيا و مساجد في بنارس و جونبور ومتهرا ، وعدد آخر.

و من المطالب التي تقدم بها هؤلاء الأصوليون الهنادك فرض قانون مشترك في الهند بإلغاء الأحوال الشخصية وبصبغ جميع سكان البلاد في صبغة واحدة.

و طالب أحد الزعماء بإلغاء العلمانية وبتحويل البلاد إلى دولة هندوكية وتغيير آثار ما سماه بآثار الغزو ، و يقصد به العهد الاسلامي .

و أشار أحد الزعماء الهنادك إلى أن المسلمين و المسيحيين يحملون دستوراً لحياتهم في ضوء تعاليم القرآن والانجيل ، و دعا إلى اتخاذ منهج هندوكي للحياة في إطار تعاليم « الفيدا » لأنه أدرك أن مواجهة أي دين أو فلسفة حياة لا يمكن إلا بالمثل.

إن هذا الوضع أخطر للمسلمين من الغزو الفكري ، و قد كان الغزو الفكري الغربي أخطر من الغزو الاستعماري الأوربي ، لأن هذا الغزو هو بمثابة الغزو العقائدي ، الذي تمهد سبيله البيئة التي يعيش فيها المسلمون ، و لا يمكن الصمود في وجه هذا الغزو إلا ببيئة قوية تفوق في العقيدة ، و في السلوك ، و تصور معاني الحياة ، و صلاحية النمو ، و التوسع ، و تسخير القلوب ، و حل مشاكل الحياة ، و لا يتحقق ذلك بالمطالب السياسية و الاحتجاجات ، و المسيرات ، و إشعال العواطف ، وإنما يتحقق بتغيير الجو الذي يعيش فيه المسلمون ، وعرض الاسلام عرضاً مؤثراً ، يكسب أنصاره من صفوف أعدائه .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسنى رحمه الله

فى عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

ذو الحجة ١٤٠٨هـ - يوليو وأغسطس ١٩٨٨م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الاسلامى، مؤسسة الصحافة والنشر، ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama,
P. O. Box 93. Lucknow (India)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيــــــــة :

دور الأدب الرائد فى خدمة الدين

يقدم الأدب بفنونه الكلامية و الجمالية كلها دعماً عظيماً للدعوة إلى مبدأ وفكر و عقيدة ، فهو بذلك وسيلة كبرى لأصحاب الدعوات الذين يعتمدون عليها فى بث الفكرة و شرح مفاهيم العقيدة التى ينتمون إليها و يتعصبون لهـا ، و لقد أدرك الناس خطورة هذه الوسيلة وغناءها فى مجالاتهم وأهدافهم التى يتبنونها ، فان من حدب عليها و أولاها من الاهتمام و الرعاية ما تستحقه من أولئك الهدامين و المشبوهين الذين وضعوها فى السلبيـات و استخدموها فى هدم القيم و تشويه الحقائق ، كان عددهم هائلا يفوق قانون الاحصاء ، و المسلمون الذين خصهم الله بهذه الوسيلة الكبيرة و أكرمهـم بالأدب الجميل و طاقاته المكنونة فى أساليب الكلام و البيان و العرض و التأثير ، فانهم أغفلوها و تناسوا دورهـا الرائد فى الابلاغ و التوجيه ، إزاء مسئوليات أخرى تشاغلوا بهـا ، وظنوا أن الأدب فن لا يعدو شئون التسلية و الترويح ، و أوقات الفراغ والهزل ، دون أن يكون له مساس بصميم الحياة و وظيفتها الأصيلة ، ذلك أنهم رأوه أداة فى أيدى المنحرفين ، و الهدامين فتنازلوا عنه من غير شعور ، و استغنوا عن الاعتماد عليه فى شئونهم و خاصة فيما يتعلق بالدين و تعاليمه و شريعته و أحكامه .

من هنالك منى الأدب منا بسلوك من الاهمال وقلة الاعتناء و حصره فى مواضع اللهو و التسلية ، و فقد تلك العناية الكبيرة التى نالتها من الرعيل الأول من المسلمين و ارتمى إلى ركن من الهجر و التهوين ، حتى رسخ فى قلوب كثير

من المسلمين أن الأدب لا علاقة له بالدين و الأخلاق و العقائد ، و ذلك بعد ما رأوا أن المتحررين من الدين والأخلاق والمنجرفين فى تيار المجون و الاستهتار يستولون عليه و يتحكمون فيه و يستخدمونه فى أغراضهم الدنيئة ونشر معتقداتهم السيئة ، وبث أفكارهم الهدامة ، ولعل هذا الاتجاه فى المجتمع الاسلامى كان نتيجة العوامل الحضارية الاجتماعية التى اتسعت و تقوت بفعل الأفكار و المعتقدات المادية التى حمل لواءها الأمم الغربية و الشعوب المناهضة للاسلام .

إن عودة إلى فجر التاريخ الاسلامى تؤكد لنا أن الأدب كان له جولة و صولة فى خدمة الدعوة إلى الله ، وكان له دور كبير رائد فى توطيد دعائم المجتمع الاسلامى و تبديد طاقات الكفر والشرك ، وكانت له الريادة فى التوجيه الدينى، ولقد كان القرآن الكريم أمثل نموذج للادب المعجز البليغ أعجب به العرب الجاهليون ولم يتمالكوا أنفسهم أمام أدبه الخالد الأصيل ، ذلك الذى نال إعجابهم و تقديرهم فى الوسط المليئ بالحقد و الكراهية و الرفض و المحاربة ضد الاسلام ، ألم تروا أن عتبة بن ربيعة لما أرسله قومه إلى رسول الله ﷺ ليعرض عليه أموراً عسى أن يقبل منها شيئاً و يكف عن الدعوة إلى الاسلام ، جاء و عرض عليه المال و الشرف و الملك و العلاج وما إلى ذلك حتى إذا فرغ عتبة و رسول الله ﷺ يستمع منه قال له : أقد فرغت يا أبا الوليد ، قال نعم ، قال فاسمع منى قال ، أفعل ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، و قالوا قلوبنا فى أكنة ما تدعونا إليه) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك ، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض :

حلف بالله ، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد قال : ورائى أنى سمعت قولا و والله ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر و لا بالكهانة ، يا معشر قريش . أطيعونى و اجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم (السيرة النبوية لابن هشام) .

هذا أول أثر أدبى يرجع به أهل العداوة من كفار العرب و مشركيهم فتلين قلوبهم و تهدأ عواطفهم نحو الاسلام ، ولا يجدون مناصاً من التفكير فيما عرض رسول الله ﷺ عليهم من أدب القرآن ولو أن رسول الله ﷺ كان قد جادلهم بالكلام و رد عليهم بمثل ما ألقوا عليه من كلام لما كان شيء ولا بدا منهم رد إيجابى ، و لكنه أدب إلهى يقوم بدور رائع فى كسب بعض تأييد منهم لما جاء به رسول الله ﷺ من الدين الجديد إليهم ، وكذلك لا ينسى التاريخ الاسلامى دور الشعر فى الدعوة الاسلامية و الدفاع عن حوزة الدين ، فقد كان حسان بن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن رواحة أبطال هذا الدور الرائد العظيم الذى قام به الأدب الشعرى فى رد هجمات العدو، وإثبات معانى الفضائل الخلقية التى دعا إليها الاسلام و توطيد دعائم الايمان و العقيدة و الحق و المعروف فى أوساط الكفر و النفاق .

لقد عرف رسول الله ﷺ تأثير هذا الأدب و خاصة فى الفترة الانتقالية التى واجهها الدين الجديد ، و دعا أصحاب هذا الأدب لكى يقوموا بمنافحة الدين و مناصرته ، فقد كان هذا السلاح أمضى و أحد فى وجوه الأعداء من سلاح الحديد و النار ، وكان تأثيره أعمق من تأثيره ، فلا غرابة فيما إذا قام سلاح الأدب بمطاردة قوات الهدم و التخريب ، و الاتيان على قادتها وسد منافذ الكفر

و الشرك و إسكات صوت الباطل ، و كسر سورته ، و لا يزال هذا الأدب الهادف الرائد مدونا فى كتب الأدب و التاريخ ، يشهد بقوته و صموده ، أمام الأعداء ، و بعلو مكانته و دوره الريادى فى مناصرة الحق و محاربة الباطل ، و خدمة المعروف و رفض المنكر ، و لعل ما حققه أدب الاسلام من انجازات و انتصارات فى مجال الدعوة الاسلامية و نشر الفضائل ، لم تبلغ إليه المجهودات الأخرى مما بذله المسلمون بأساليب و طرق غير أدبية ، و لاشك فان الاسلام انتشر فى ربوع العالم بفضل الآداب و الأخلاق و الفضائل و ازدهرت رسالته بالأساليب الأدبية أكثر من أى طريق آخر .

إذا فكرنا قليلا أدركنا أن تعاليم الاسلام كلها تحث على الأدب والفضيلة، و أن رسالة الاسلام أدب و توجيه و عرض و تأثير ، و أن دعوته حكمة ولين و رفق وفقه و إيمان ، ولذلك فانه يحث أصحابه و دعاته و أنصاره على اتخاذ الحكمة و الموعظة فى الدعوة إليه ، و يطالب منهم استعمال الأدب و اللين فى مناسبات التوجيه و التربية ، و يأمر بذلك رسوله ﷺ « و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » و « و لو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » ويفسر كل ذلك بقوله تعالى « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن » و أى شىء أوضح من استعمال الأدب فى الدعوة إلى سبيل الرب تعالى ، و استخدام الحكمة و اللين و أسلوب الموعظة والنصح فى مسيرة الدعوة إلى الله، وحتى إذا كان لابد من المجادلة فى هذا السبيل فيكون ذلك أيضاً بالأسلوب الجميل و الطريقة التى هى أحسن .

من هنالك كان أسلوب الدعوة إلى دين الله مؤسساً على الأدب والحكمة، و قد تمسك بهذا الأسلوب الأدبى الهادف جميع العاملين فى مجال الدين و الموجهين إلى تعاليم الكتاب و السنة ، و الباحثين عن الأرض الطيبة لبذر

بذور الدعوة و المعروف و الفضائل و مكارم الأخلاق ، و الواقع أن كتاب الله و سنة رسوله يمثلان أعظم النماذج و الأنماط الأدبية فى عامة نصوصهما ، لقد كان القرآن معجزاً من الناحية الأدبية والروعة الفنية و البلاغية و التعبيرية ، حيث إنه أبلغ مثال للادب بجميع فنونه و أنواعه و سوف لا يتسنى فهم معانيه وإدراك مفاهيمه إلا من خلال الأصول الأدبية للنقد و البلاغة و البيان ، ذلك هو السبب فيما إذا كان العالم الدينى لا تكتمل دراسته الدينية ما لم يكن له براعة فى الأدب و تذوق للغة العربية ، و معرفة بالفن الجميل للتعبير و الأداء ، كما أن كلام رسول الله ﷺ كانـه أمثل نموذج للادب و البيان ، و أعظم مدد للنثر الفنى و التعبير البليغ و التوجيه الرائع ، و هو الينبوع الثر الفياض لكل من أراد أن يطلع على مناهج الادب وفنون التعبير و الأداء الجميل ، كما أشار لسان النبوة إلى هذا المعنى فى قوله : إن من الشعر لحكمة و إن من البيان سحراً .

و رغما من كل ذلك تركنا الأدب الجميل و فنونه الساحرة لأعداء الأدب و الأخلاق ، فاستولوا عليه و تصرفوا فيه و أخضعوه لأغراض رخيصة من الغرام و الجنس و الحب غير البريئ ، و خدمة النفس و نزواتها التافهة ، و كلما استحكمت قبضتهم على الأدب و اشتـد استخدامهم إياه فى الهدم و التخريب و السلبيات الخلقية انحلت قبضة المسلمين عنه و انفصمت عراه فى المجتمعات الاسلامية ، حتى إن الأجيال اللاحقة بدأت تعتبر الأدب عنصراً معادياً للدين و أنه لا يلتقى معه أبداً كما لا تجتمع الفضيلة و الرذيلة فى مكان واحد ، و كان ذلك مبدأ الفصام النكـد بين الدين و الأدب

و لكن المسلمين هم فى الواقع أصحاب الأدب و الجمال ، و أن الاسلام هو أول دين نادى بالأدب وحببه إلى أهله و طلب منهم مراعاة ذلك فى جميع

الشئون الحيوية ، و قد استخدموه فعلا للدعوة و توجيه الخير و المعروف إلى الناس أفراداً و جماعات ، و وضعوه فى خدمة الدين ونشر مباديه وتعاليمه ، ودعم أركانه فى الحياة و المجتمع ، فمن ينكر قيمة « الكلمة » و دورها و تأثيرها فى إرساء قواعد الحب و الأخلاق و الفضائل و الآداب الانسانية فى المجتمعات و البيوت و الأسر ، ومع الأفراد والجماعات ، وفى الحواضر الانسانية والمجموعات البشرية ، على اختلاف طبقاتها ودرجاتها ، و حيثما قام الأدب بدوره الريادى فى التوجيه و التربية و ساعد الناس على أداء وظائفهم و مسئولياتهم على المستويات المطلوبة ، كان هناك للذين تقدير كبير و سيطرة كاملة على النفس ، و حكم مطاع فى كل قطاع من قطاعات الحياة .

إننا تنازلنا عن حقنا الطبيعى فى الأدب و فنونه ، و رضينا للاعداء بالاستيلاء عليه و التصرف الجائر فيه ، و استخدامه فى إرضاء الأهواء و الشهوات و المطامع ، و قد تركنا لهم هذه الأداة القوية و القوة الهائلة لكى يضعوها فيما يبدو لهم من المزالق والأهواء و يزينوها للناس بأسماء خلابة و لافتات لماعة ، ثم يلعبوا بمصاير الشعوب و مستقبل الأجيال باسم الأدب الحكيم و الفن الجميل .

و لكن آن لنا أن نرعوى عن خطأ التفكير وسوء التدبير فى قضية الأدب و الدين ، و ننتهج منهج الحق و الصواب فى معرفة قيمة الأدب و قوته الهائلة فى التأثير ، و دوره العظيم فى رفع منار الدين و إثارة دفائن الايمان و اليقين فى القلوب ، و تحفيز الهمم و إشعال مجامر الحب و الألفة فى النفوس ، و توطيد دعائم الثقة بالله و التقرب إليه و الخضوع و الاخلاص له فى جميع شئون و قضايا الحياة و الانسان و الكون « و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون » .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

تأملات فى آيات من كتاب الله

بقلم الشيخ محمد ابراهيم شقره
مدير المسجد الأقصى

كل آية فى القرآن تصلح أن تكون دليلا يسعى بين يدى المؤمن فى حياته، فلا يصيب شيئاً إذا كان ذلك الدليل إليه لأنه يصلح له، ولا يخطئه شئ إلا إذا أبعده ذلك الدليل عنه لأنه لا يحسن به ، فالآية إذاً يا أخى من كتاب الله إن أصبت هدى فالفضل لها ، و إن جانبت ضلالا فالفضل لها ، و المؤمن الذى يقرأ كتاب الله إذا استجمع عقله عند قراءته له يجد لكل آية ، بل لكل كلمة ، بل لكل حرف موقعاً من الهدى فى قلبه تعجز عنه كل قدرات البشر بل عن شئ منه ، و من هنا كان من أدب التلاوة استجماع القلب حتى ينال القارئ من العلم و المعرفة و الهدى معاً ما لم ينله من كان مشتت القلب مبدد الذهن غير حافل إلا بضبط اللفظة واقفاً عند شكلها غير ناظر إلى ما وراءها و ما تخفى من معنى فى حروفها .

ولنصغ معاً يا أخى إلى القرآن وهو يقول: « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا و كانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا و فى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ، و لا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم » فأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا يخافون إذ يخاف الناس ، و لا يحزنون إذ يحزن الناس ، و لا ينقطعون إذ ينقطع الناس ، ولا يفجعون إذ يفجع الناس ، ولا يقنطون إذ يقنط الناس، يقفون مع إيمانهم فى حظيرة الرحمة ، قلوبهم مطمئنة ، وجوارحهم ساكنة مستقرة،

و وجوههم ناضرة مستبشرة ، و أفواههم فرحة باسمة ، يغبطهم الأنبياء و الشهداء ، و ما هم بأنبياء و لا شهداء ، و ينظر الناس إليهم فى شوق لما أحرزوه من مكان من الله سبحانه ، نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم ، هؤلاء هم أوليـــاء الله عز و جل .

و الولاية يا أخى ليست أمنية قلبية يتحرق القلب شوقاً إليها من قعود ، بل هى حصيلة جهد عملى متواصل يبذله الولى حتى يصل بنفسه إلى رضوان الله سبحانه « ليس بأمانيكم و لا أمانى أهل الكتـاب ، من يعمل سوءاً يجز به و لا يجد له من دون الله ولياً و لا نصيراً » .

و هى لا تنال إلا بالمجاهدة و الصبر ، و أخذ النفس بكل ما نعلم أن فيه رضوان الله عز و جل « الذين آمنوا و كانوا يتقون » فالايمـان هو الاقتناع القلبي الصحيح الذى يحمل على السلوك العملى الصحيح ، ولعل هذا هو ما أراده الرسول الكريم صلوات الله و سلامه عليه بقوله « قل آمنت بالله ثم استقم » فالاستقامة أثر من آثار الايمان ، فالايمان هو التصور البصير الواضح الذى يرى القريب و البعيد ، فلا يؤثر القريب و يترك البعيد ، و لا يسعى للبعيـــد تاركا القريب ، بل هما سيان عنده ، و هذه هى الاستقامة عينها ، أو هى التقوى التى عبر عنها القرآن بقوله « وكانوا يتقون » : وتقوى الله عز و جل معناها إحلال ما أحل الله ، و تحريم ما حرم الله ، وترك الشبهات ، فان فعل المرء ذلك فقد وافق فعله اعتقاده ، وعمله إيمانه ، فلا خوف عليه فى الدنيا و لا فى الآخرة .

فهو فى الدنيا ناعم البال هانئ النفس قرير الوجدان ، إن أصابه شر صبر ، و إن أصابه خير شكر ، يرى فى كل أمر من أمره طاعة لربه ، إن كان الحامل عليه إخلاص قلبه ، وهو فى الآخرة ينقلب على فرش بطائنها من استبرق ،

و يتفيأ ظلال الجنة ، و كلما رزق منها من ثمرة رزقاً قال : « هـذا الذى رزقنا من قبل » .

و الرسول عليه الصلاة و السلام يوضح ما للولى من كرامة عند الله ، فيقول فيما يروى عن رب العزة : « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، و ما تقرب إلى عبدى بمثل ما افترضت عليه ، و لا زال عبـدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببه كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به ، و يده التى يبطش بها ، و رجله التى يمشى بهـا ، و لئن استعـاذنى لأعيذنه و لئن سألنى لأعطينه » .

و الولاية بهذا المعنى لا يشق أمرها إلا على من خالفه التوفيق ، و حالفه عياذاً بالله ، الشقاء ، أما الانسان الذى وفق للخير وحالفه السداد فلا يشق ذلك عليه البتة ، ولا يحسن بعاقل أن يركن إلى القدر بمفهومه الخاطئ المثلوم ويقول : هكذا قدر الله على إن هو أصاب شراً و لم يصب خيراً ، بل عليـــه أن يسعى لتحقيق مرضاة الله عز و جل ، و ينبذ العجز ، و يعرض عن كل ما يقعـــده عن الصالحات التى تقربه من الله زلفى .

و المؤمن الذى يأخذ نفسه بالأحكام الشرعيـــة وفق الحلال و الحرام ، يكون قوى الجناب ، منيعاً ، تقف المعاصى دونه ، فلا تجرؤ على الاقتراب أو الدنو منه إلا فى غفله من غفلات النفس ، و هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، و هذا ما أشار إليه قوله صلوات الله و سلامه عليه « ولا يزنى الزانى حين يزنى و هو مؤمن و لا يسرق حين يسرق و هو مؤمن » و لـكن سرعان ما يتيقظ قلبه و نيته وعقله ، ويؤدب إليه رشده ، فيقلع عن معصية هو فيها ، و يتوب عن

أخرى وقع فيها ، و هـــذا ما أشارت إليه الآية الكريمة « و إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم و من يغفر الذنوب إلا الله و لم يصروا على ما فعلوا و هم يعلمون » .

أخي المسلم الكريم ! أما الآية الأخيرة من هذه الآيات فهي تأتي بعد أن وضحت الآيات السابقة معنى التقوى و من هو التقي ، تعزية و تأسية للرسول عليه السلام ، و درءاً للحزن عن نفسه ، بمخالفة قومه و قولهم فيه و في القرآن ما يعلمون كذبه من نفوسهم ، فيقول : « فلا يحزنك قولهم » و تقرر أن ما اصطلح عليه الناس من تقدير الأشياء بأعراضها الزائلة الفانيـــة اصطلاح مائل منحرف لا يجوز أن يعتبر عند العقلاء ، و أن التقدير الصحيح الصائب للأشياء إنما هو بقيمها الباقية الدائمـــة « إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم » فليحرص المؤمن على نيل عزة الله بتقوى الله .

و هكذا أخي المسلم الكريم يبين لك أن عزة الله في الدنيا و الآخرة لا تنال إلا بتقواه ، فلنحرص بارك الله فيك على تقوى الله نكن أسعد الناس في الدنيا و الآخرة . و اقرأ قول الله تعالى مرة أخرى :

« ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون ، الذين آمنوا و كانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » .

الحركة العلمية الاسلامية ، و خصائصها

بقلم : سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

و من خصائص الحركة العلمية التى انبثقت عن تعاليم الاسلام وقامت على أكتاف علماء المسلمين خمس خصائص نشير إليها على سبيل الاختيار والاختصار :

العالمية و الانسانية :

١- عالمية هذه الحركة و إنسانيتها ، فالعلم فى الاسلام حق مشاع ، و ثروة مشتركة لجميع الأمم و الشعوب ، و العناصر و الأجناس ، و الأسر و البيوتات ، و البلاد و الأوطان ، ليس فيه احتكار مثل احتكار (بنى لاوى) من اليهود أو (البراهمة) من الهنود، ولا يتميز فيه شعب عن شعب ،ولا نسل عن نسل ، وليس الاعتماد فيه على العرق و الدم ، بل الاعتماد فيه على الحرص و الشوق ، و حسن التلقى ، و زيادة التقدير ، و التفوق فى الجهاد و الاجتهاد ، و قد روى الامام أحمد بن حنبل بسنـــده عن النبي ﷺ ، أنه قال : « لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس » .

وكفى شهادة تاريخيه لذالك ، ما قاله نابغة العرب عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ) فى مقدمته المشهورة :

«من الغريب الواقع أن حملة العلم فى الملة الاسلامية أكثرهم العجم ، سواء فى العلوم الشرعية أو العلوم العقلية إلا فى القليل النادر ، مع أن الملة عربية ، و صاحب شريعتها عربى » (١) .

الشعبيـــة :

٢- شعبية هذه الحركة ، فقد قامت على مجهودات شعبيـــة و على تقدير

(١) مقدمة بن خلدون ، المطبعة البهية ، ص/٤٠١ ، وراجع للتفصيل ←

المسلمين للعلم و الشعور بالحاجة إليه ، و ما ورد فى الكتاب و السنة من فضله ، وما وعد من الأجر والثواب عليه ، و الذم للجهل ، والنعى عليه ، و تنافس فيه المتنافسون من المسلمين فى كل عصر وجيل ، وقام أكثر المدارس ، و حلقات التعليم فى العالم الاسلامى الواسع على تقدير المسلمين و تمويلهم ، عدا مدارس معدودة (كالنظامية فى بغداد ، و نيسابور) و ما احتضنته الحكومات الاسلامية فى عواصمها و مدنها الرئيسية من مدارس و جامعات .

و قد انتشر العلم انتشاراً واسعاً بفضل العلماء المتطوعين و الأساتذة الزاهدين المتقشفين ، الذين زهـــدوا فى مناصب الحكومة و وظائفها ، و تقدير الأغنياء و الأمراء وقنعوا بالكفاف و ما يقيم الصلب ويسد الرمق ، و قد روى التاريخ الأمين حكايات من هذا القبيل ، ليس من السهل تصديقها لو لا الرواة الثقات و الاستفاضة و التواتر ، و العلم بقوة الايمان و الاحتساب ، و روح التطوع و الايثار ، المتغلغلة فى أحشاء العلماء الراسخين (١) .

ويكفى لذلك مثالا ما وقع بين إمام دار الهجرة مالك بن أنس و الخليفة العباسى هارون الرشيد — وهو خليفة المسلمين ، و أكبر حاكم فى عصره — فقد طلبه الرشيد ليقرأ عليه الموطأ ، فقال مالك : « إن العلم يؤتى و لا يأتى » وقام الرشيد يمشى مع مالك إلى منزله يسمع منه الموطأ ، فأجلسه معه على المنصة ،

== والأمثلة الكثيرة على هذه الدعوى ، كتابنا : « الاسلام وأثره فى الحضارة ، وفضله على الانسانية » .

(١) اقرأ فى ذلك كتب تراجم العلماء ، و تاريخ الثقافة الاسلامية فى مختلف الأمصار ، و خاصة كتاب « صفحات من صبر العلماء لفضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (بيروت ، دار البشائر الاسلامية) و كتاب « نزهة الخواطر » (١ — ٨) بالعربية للعلامة السيد عبد الحى الحسنى (طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد — الهند) .

و أراد أن يقرأ ، على مالك ، فقال ليخرج النــاس عنى حتى أقرأه أنا عليك ، فقال : « إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة » ، و قال مالك لهارون : « يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا و إنهم ليحبون التواضع ، فنزل هارون عن المنصة وجلس بين يديه و سمعه » (١) .

و قد كانت الحركة العلمية فى المسلمين حركة شعبية عمت جميع الطبقــات و المستويات ، و أصبحت الدراسة هواية للجميع يتظارف بهــا حتى أهل الحرف والمهن ، يقول A. J Hammerton فى كتابه « التاريخ العام للعالم » (Universal-Histoty of the World)

« لقد أصبح كل مسلم ــ من الخليفة إلى الصناع ــ ولوعاً نهماً بالعلم و السياحة و كان ذلك أجل خدمة قام بها الاسلام نحو الحضارة العالمية ، و قد تقاطر رواد العلم من كل صقع على مركز ثقافى كبغداد ، و كذلك كان الشأن مع مراكز أخرى للعلم و الأدب و كان ذلك يشبــه تهافت فضلاء الغرب على الجامعات و لكن الأول كان أكثر إثارة للحيرة و الاعجاب .

غصت المساجد التى كانت جامعات إسلامية (ولا تزال كذلك) بحشود من طلبة العلم الذين كانوا يقصدون هذه المساجد لتلقى العلوم الدينية ، و الفلسفة والطب والرياضيات ، من العلماء الكبار ، كان هؤلاء الأساتذة ينتمون إلى الأقطار التى تتكلم العربية ، و كانوا يلقون دروسهم محتسبين متطوعين لاتهمهم الشهادات و لا تستهويهم الرواتب و الأجور ، ليس عليهم إشراف من أحد و لا رقابة و مراقبة ، فاذا كانوا بارعين متفوقين فى موادهم الدراسية انهالت عليهم جموع من التلاميذ ، وكانوا يقدرون ويعظمون بمقياس براعتهم واختصاصهم فى موضوعاتهم و ينالون ما يفوتهم متطوعين متقللين (٢) .

(١) شذرات الذهب ــ ١ / ٢٩١ .

(2) Universal History of The World, A. J Hammerton, London. Vol Iv, P. 2533.

و قد كان الايمان و الاحتساب ، وما روى و استفاض فى فضل التعليم من الثواب الجزيل و القرب عند الله ، و التطوع فى سبيله و إيثار حياة الزهد و التقشف لأجله و إيثاره على حياة الرخاء و الثراء و الرواتب الضخمة التى يتقاضاها المعلمون المحترفون و المرتزقة من الماهرين فى الفنون من الحكومات ، هو الرائد الحافز لهؤلاء العلماء المحتسبين ، حتى رويت عنهم حكايات يصعب تصديقها لولا رواية الثقات و التواتر وما عرف وتحقق من معرفة نفسية هؤلاء العلماء الأفذاذ و رفاستهم .

ونكتفى فى ذلك بحكاية لعالم عاش فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى، أوائل القرن التاسع عشر المسيحى ، وهو الشيخ عبد الرحيم الرامفورى .

كان الشيخ عبد الرحيم (ت ١٢٣٤هـ) يدرس فى رامبور ، و عرض عليه والى منطقة روهيل كهند الانجليزى ، المستر ماكنس منصب التدريس فى كلية بريلى ، براتب شهرى يبلغ مأتين و خمسين روبية (تقدر قيمته الآن بأكثر من ألفى روبيــة) و وعده بأن راتبه سيزداد فيه ويرفع مستواه ، فاعتذر قائلا بأن إمارته تدفع إليه عشر روبيـات و ستوقف هذه المنحة ، فقال له ماكنس : إنه عرض عليه أضعاف هذا القدر ، وما عشر روبيات أمام مائتين وخمسين روبية ، فقال إن فى بيتى شجرة سدر حلوة وهى محببة إلى كثيراً ، فكيف السبيل إليها فى بريلى ، و لم يتطرق ذهن هذا الانكليزى إلى حقيقة الأمر الذى كان يدور بخلد الشيخ فقال له : إنى سأرتب لايصال ثمرة هذه الشجرة إليك فى بريلى ، فقال : إن لى تلاميذ فى رامبور ، فكيف أتركهم ، و سأحرم فرصة خدمتهم ، وحاول الانكليزى إقناعه ، فقال إنى سأقدم إليهم المنح الدراسية و سيواصلون دراستهم فى بريلى ، و لم يبق فى جعبة الشيخ إلا سهمه الأخير ، فأطلقه ، و قال : صحيح ما تقول ، ولكن ما يكون جوابى يوم القيامة على الارتزاق بالتدريس (١) .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، للمؤلف ، نقلا من نزهة الخواطر ص ٣٢٤ .

دور الشباب فى بناء المجتمع
و قيمته فى الميزان العالمى

بقلم : الدكتور محمد سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » الرياض)

الشباب هم الجوهرة الثمينة فى جيد الأمة ، و النجمه الساطعة فى سمائها . و بالمحافظة عليهم ورعايتهم ، وتوجيههم ، يتوافر للأمة جيل صالح يعيد على البناء و التعمير ، و يساهم فى تخطى العقبات .

و الأمم تحرص على الاهتمام و العناية بالشباب ، و تبذل فى سبيل رعايتهم و تعليمهم الشئ الكثير من جهدها و مالها و نشاطها ، لأنها ترى ضرورة المحافظة على تلك الدرة ، و صيانتها فى فترة التفتح ، وإبان النضارة ، فهم مناط الأمل . و ركيزة التفوق .

لكن هل حققت كثير من الأمم ما تريده من أمان ، و ما ترجوه من ثمرة ؟ ؟ .

إن واقع الدراسات و الاحصائيات فى كثير من أمم الأرض اليوم ، وفى مقارنة الجريمة و الاستقامة ، و مقارنة النفع بالضرر ليبدو منه إجابة واضحة بعدم تحقيق ما كانت تؤمل تلك الأمم ، سواء كان هذا فى الأمم القديمة أو الحديثة .

فالجريمة و التفسخ الاخلاقى ، و ذوبان الشخصيه المستقلة ، ووجود نوازع كثيرة تضر بالفرد و الجماعة ، كل ذلك يلمس لدى الشباب فى تلك الأمم ، و سببه الرئيسى ـ و الله أعلم ـ عدم الاهتمام ببناء الروح ، و الاكتفاء بالتركيز على قوام الأجسام .

من هنا جاءت الشريعة الاسلاميـــة ، لتعدل اعوجاج النفوس ، و توفر السبيات لتربية الروح ، و مدها بالغذاء الذى يجعلها مستقيمة و نافعة :
مستقيمة فى نفسها ، و نافعة لغيرها ، و صالحة و مصلحـة لمجتمعها ، فالنص الشرعى يقول : « كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته »

و بتمعن تعليمات الاسلام من مصدريه : كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ : ندرك أن تربة الاسلام خصبة ، و التربة الخصبـــة دائماً جيدة العطاء ، مفيدة لمن يستثمرها .

كما ندرك أن جذور التوجيه فى قاعدته مكينة و راسخ البناء ، و أن عروق غراس الاسلام ترتع فى مياه عذبة و غزيرة .

و حتى يتميز شباب الاسلام عن غيرهم ، لأنهم فى حاجـــة إلى العناية و الاهتمام و التوجيه و الملاحظة ، لما ينيطه الاسلام بهم من مهمات كبيرة فى التبليغ والتوجيه : فان هؤلاء الشباب عليهم رسالة ، وفى أعناق الموجهين المربين : من آباء وأمهات ، ومدرسين ومرشدين ، أمانة فى التوجيه ، وأمانة فى الرعاية ، و أمانة فى الاقتداء و الافتعال .

فالشباب كالنبتة إن وجدت أرضاً خصبة ، و عناية مستمرة ، وماءاً وافراً ، نمت و ترعرت ، و إن لم تجد شيئاً من ذلك ، أو جرى تساهل و تهـاون فى العناية و الرعاية بها ، حصل لها معوقات فى النمو ، و أمراض فى الأغصان ، أو عدم استقامـــة فى الجذع ، زيادة على أن المثمر من هذا الشجر إن لم يجد العناية والاهتمام ، لا يعطى القائمين عليه ما يرضى طموحهم ، أو يغطى مجهوداتهم ، من ترقب النتائج وقت اقتطاف الثمار :

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت و لا تلين إذا كانت من الخشب

و الشباب حتى نطالبهم بالعطاء و الفائدة ، و ننتظر منهم أداء الرسالة التى تؤثر باذن الله الأثر الحميد فى بناء الأمـــة ، فانهم يجب أن يتربوا على منوال المدرســـة الأولى ، التى رعت شباب المدينة المنورة أمثال : عبد الله بن الزبير ، و أخيه مصعب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن جابر وعمر بن عبد العزيز وغيرهم.

فهؤلاء و أمثالهم من شباب الاسلام عرفوا مكانتهم فى العقيدة ، و ما يطلبه منهم دينهم ، و ما تفرض شرائعه عليهم ، فامتثلوا ذلك منهج سلوك ، و طبقوه عملا بطواعية ، و بدون تكلف ، و قدموا مصلحـــة الأمـــة ، و ما تمليه العقيدة ، على نزعاتهم الشخصية ، و مطالبهم الذاتيـــة ، فكان هدفهم الأسمى السعى فيما يخدم المجتمع بفئاته المختلفة ، قبل البحث عن رغبات النفس .

و هذا جزء من الأمانة الملقـاة على الشباب تجاه دينهم و أمتهم ، و من الواجب أيضاً أن نذكر شيئاً مهماً عن الأمانة المطلوبة من الشباب ، و الأمانة المطلوبة لهم ممن يتولى أمرهم ويهتم برعايتهم ، كما يجب أن نوجه الشباب للاعمال التى يتطلعون إليها لتكون قاعدة انطلاقهم فى بناء أمتهم ، و نصحهم لمجتمعهم .

هذه القاعدة التى يجب أن تكون متينة تؤتى ثمارها اليانعة ، ونتائجها المرضية المفيدة ، التى يترقبها المجتمع بلهفة و شوق ، و لا يحسن أن يغرب عن البال : أن الصغير يكبر ، و بعد كبره يتحمل المسئولية ، و ينوء كاهله بأعباء كثيرة .

وفى هذا التحمل يطالب بأشياء وأشياء ، يجب أن يعيها ، ويتعمق فى فهمها ، لأنها جزء من رسالته فى الحياة نحو نفسه و مجتمعه .

فالشباب الذى نشأ بعد أن هداه الله فى بيئة تنطلق من عقيدة الاسلام ، فى منهجها و سلوكها ، و تطبق شرائعه ، لأنه الدين الذى رضيه الله لخير أمة أخرجت للناس ، يجب أن يحمد الله على أن هداه الله إليه ، مما يحتم عليه و على

كل فرد من أبناء الاسلام أن يكون حريصاً على نفسه ، مهتماً بأمتـه ، راعياً للأمانة ، محافظاً على كل أمر فيه مصلحة للفرد أو الجماعة .

سواء كانت هذه المصلحة ظاهرة للعيان ، و تبين آثارها بوضوح ، أو خفية لا يدرك نتائجها إلا من أعطاه الله فهماً و عمقاً ، مع بعد نظر فى العواقب .

و ما فيه مصلحة للفرد و الجماعة فى الاسلام واضح لوجود قواعد ترشد إليه فى مثل هذا الحديث الشريف : « ما رآه المؤمنون حسناً فهو حسن و ما رأوه قبيحاً فهو قبيح » .

وقوله ﷺ لرجل من أصحابه : جئت تسأل عن البر ؟ ، قال : نعم ، قال ﷺ : استفت نفسك : البر ما اطمأنت إليه النفس ، وارتاح إليه القلب ، والاثم ما حاك النفس و تردد فى الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس ، و إن أفتاك الناس و أفتوك » ، إن أعداء الاسلام فى عالم الشرق ، و عالم الغرب من أصحاب الديانات و الأهواء ، و هم قد حاربوا الاسلام فى الظاهر و الباطن ، قد أدركوا مع عدائهم للاسلام و أهله دور الشباب فى عصور الاسلام الأولى ، حيث تشبعت نفوسهم بتعاليمه ، وغرست فيهم شرائعه بذور الخير منذ نعومة أظفارهم .

فأدركوا جميعاً صغاراً و كباراً دور الشباب فى تاريخ دولة الاسلام ضمن أمور برزت للناظرين من حيث : التمثل بالأخلاق الحسنة ، التى دعا إليها الاسلام ، و فى التمسك بالتعاليم التى حث عليها مصدرا التشريع فيـه : كتاب الله و سنة نبيه الكريم .

و لذا سرت فى عروق الشباب الأول فى الاسلام ، مع جريان الدم محبتهم لنهوض هذا الدين و رفعته ، و المحافظة على كيان دولته و بناء مجتمعه ، و ذلك بنسيان الذات من أجل الدفاع عنه ، و تقديم الغالى و الثمين من أجله و نصر مبادئه .

و بهذا الفهم يدرك شباب اليوم ، دور نماذج الاسلام الأولى الخيرة ، التى رصفت الدفعات الاولى من هذا اللبن ، فكانت تلك الأفواج من جامعة الرسالة المحمدية ، حيث تتلمذوا على رسول الله ﷺ ،وأخذوا منه دروساً عملية ، واهتموا بالتطبيق و العمل ، و الوفاء بالعهد ، و الالتزام بالمنهج .

و لعلنا لو استعرضنا أعمال و جهاد و اهتمام بمجموعة كبيرة من شباب تلك المدرسة أمثال : عبد الله بن الزبير ، و عبد الله بن عمر و عبد الله بن عمرو بن العاص ، و عوف ومعوذ ابنى الحارث ، و على بن أبى طالب ثم أولاده الحسن و الحسين و محمد المسمى بابن الحنفيـة ، و أسامـة بن زيد الذى قاد جيشاً جهزه رسول الله ﷺ إلى الشـام و عمره ١٧ / سنة فقط ، و غيرهم رضى الله عنهم كثير و كثير .

لرأينا أن شباب الاسلام هؤلآء كانوا فى مقدمة الجهاد تحفزاً ، و فى أوائل حلقات العلم أخذاً ، و من أكثر الرجال رجاحـــة عقل ، و حسن مشورة ، و سداد رأى ، و طاعة لولى الأمر .

ثم كانوا نموذجاً احتذاه من جاء بعدهم فى الأجيال التى سارت خلف ركب الحضارة ، و غبرت أقدامهم المسيرة فى الجيوش لنشر دين الله ، و إقامة شرعه فى الأرض ، فاستجـابت لهم أمم الأرض ، لأنهم استجابوا لله و لداعى الحق من أمثال محمـــد القاسم ، الذى قاد الجيوش إلى الهنـــد و السند ، و فتح بلاد الديبل و هو فى العشرين من عمره ، رحمه الله

لقد أدرك أعداء الاسلام دور الشباب فى بناء المجتمع الاسلامى ، وتفانيهم فى ذلك و نصحهم الأمة ، منذ تفتحت نفوسهم وقلوبهم و أفئدتهم على ما يطلبه دين الاسلام من عقيدة و تمسك ، و ما يفرضه من تضحية و فداء ، و ذلك

من أجل إقامة دولة الاسلام ، و إسعاد المجتمعات ، و تنوير أذهان الأمم الآخرى لاخراجهم من ظلمات الجهالة و الكفر ، إلى نور اليقين ، و هداية الاسلام .

فبدأ هؤلاء الأعداء يكيدون لهم ، و ينصبون شباكهم و حبائلهم فى حماسة متناهية ، وإلحاح مستمر ، لصرف شباب الاسلام عن عقيدتهم ، وتشكيكهم فى دينهم ، و وضع المغريات أمامهم ، كل هـذا من أجل تثبيط الهمم ، و إيهان العزائم .

و قد ركز أعداء الاسلام ، و فى مقدمتهم المستشرقون و المبشرون الذين اهتموا بالفكر ، وطرقوا مجال الشباب فى محاولة لافسادهم ، لأن فى فسادهم فساداً للمجتمع ، و إضراراً به .

فتراهم يركزون فى مؤتمراتهم ، ويسعون فى جهودهم حول ثلاثة محاور وضعوها لمحاربة الاسلام .

و هذه الثلاثة تبدأ من الشباب الذين إذا تشبعوا بها و ساروا فيها فكراً و عملا ، تبعدوا عن الاسلام ، و عن العمل فيما يخدم مجتمعه و يسعد أمته ، كما هى تعاليمه ، لأنهم يقولون بأننا لن نستطيع محاربة الاسلام مهما ألبنا الكنيسة على المسلمين ، و حركنا ضدهم أبناء الطوائف الآخرى .

لن يؤثر أسلوبنا هذا فى المسلمين لأن شعورهم بوجود مخطط دخيل عليهم و يسعى خلف تنفيذه من لا يدين بدين الاسلام ، يجعلهم يتفقون ضدنا ، ويجمعون كلمتهم لصد مخططاتنا التى ستبوء بالفشل ، لأننا رأينا نماذج من تعصب الفلاح و البدوى و القروى مع جهله لكل شئ جاء عن طريق الوافد الغربى ، و قد جربنا هذا فى البلاد الاسلامية التى خضعت للنفوذ الغربى ، واستعمرناها .

و لكن الحل فى نظر مفكرى الكنيسة ، و أعداء الاسلام كما طرحوه فى مؤتمراتهم و فى مقدمتهم : صموئيل زويمر الانجليزى ، و جولد زيهر الألمانى ، و غوستاف الهولندى ، ومرجليوث الذى كان استاذاً فى الجامعة الأهلية المصرية إبان افتتاحها و غيرهم كثير .

فيرى هؤلاء أن الحل الأمثل فى تحقيق مآربهم فى محاربة الاسلام هو الاتجاه نحو الشباب بالهائهم ، و تغيير اتجاهاتهم ، و بسط المغريات أمامهم ، و تسهيل الأخذ بها حتى يرتبطوا بنا ، و يدينوا لنا بالولاء الفكرى ، و يتبنوا ثم يدافعوا عن كل فكر نقوله دون أن يبحثوا عن تأثيره على الاسلام ، و المجتمع الاسلامى .

و بهذا يسهل علينا الدخول إلى عقولهم التى متى أنست بنا ، فانهم سيخدموننا فكرياً ، و متى سيطرنا على أفكار الشباب فان الأمة بأمرها ستنفذ ما نريده بشجاعة متناهية ، لأن لنا رصيداً يدافع عنا ، و يدعو لما نريد ، نتستر خلفه ، وننمى ما نريد من وراء حجاب ، هؤلاء هم الشباب الذين دانوا لنا بالولاء الفكرى ، و هذا يفيدنا أكثر مما لو جندنا جيوشاً كاملة ، و رصدنا لها أموالا و جهوداً كثيرة .

فقيل لمن وضع هذه الفكرة فى أحد مؤتمرات الاستشراق فى إحدى الدول المستعمرة لهم ذلك الوقت ، أى منذ ثلاثة أرباع القرن .

قيل له : كيف نحقق هذا و ما السبيل إليه ، لأنه شئ جيد ؟ ؟ .

قال : بثلاثة محاور ، ننفذ إليهم و هم لا يدرون ، و نغير عقولهم لخدمتنا من حيث لا يشعرون ، و نربى فيهم حب الظهور و الغرور و هم لا يدركون ما نرمى إليه .

قيل له و بلهفة : ما هى ؟ ؟ ! ! .

قال : المحور الأول : المنهج التعليمى فهم متشوقون للتعليم و التجديد بعد نوم طويل ، فنحاول أن نمسح من أذهانهم منذ الصغر الارتباط بالاسلام ديناً ، و بتأريخ أسلافهم قدوة ، بعد ربطهم بتأريخ أوروبا و رجالها و مفكريها تقليداً .

و حتى نميت عندهم حب المغامرة و الدفاع نربى عندهم حالتين أن سر نجاح أوروبا و تطورها جاء من تركها الدين و عدم الاهتمام به ، و نضرب لهم نماذج بمحاكم التفتيش فى أوروبا قبل الثورة الفرنسية ثم نسلط عليهم الثقافة الرخيصة ، و الصورة الخليعة المثيرة ، و القصة العاطفية المؤثرة ، و العادات التى يجب أن يتصفوا بها ، وعملت مفعولها السيئ فى مجتمعات الغرب ، حيث لم نستطع الخلاص منها مثل : الخمر و الأفلام الخليعة و المسكرات و المخدرات و المغريات ، فهذه الأمور تقضى على معنوياتهم ، و نميت فيهم الغيرة على النفس و الدين والمحارم ، و بذلك يكونون عالة على المجتمع .

و بالمنهج التعليمى نستطيع أن نمسخ من ذهن الطالب و الطالبة معرفة أمجاد الاسلام و رجالاته و تعاليم الاسلام ، و نحل مكانها معلومات موجهة و أمجاد الغرب و تاريخ رجاله و شعرائه .

و بنفاذنا إلى المجال التعليمى فى المناهج التعليمية ، نستعمل جهودنا بطرق مختلفة لتحقيق ما نريد ، و نجد من يؤمن بفكرنا من أبناء البلاد و نحاول بكل ما نستطيع أن نجعلهم فى الصدارة و تحمل المسئولية حتى يؤدوا ما رسمنا بعد خروجنا بدقة و أمانة .

و المحور الثانى الوسيلة الاعلامية : التى تنفذ لكل بيت ، و ترحل لكل مكان ، فهى خير سفير يؤتى ما نريد ، وينفذ إلى القلوب ، لأن مدمن القرع للأبواب لا بد أن يلج .

والوسيلة الاعلامية بصحافة وإذاعة ، ثم جاءت بعد ذالك التلفزة المشاهدة، قد فعلت مفعولها المثير عندنا فلابد أن نصدرها إليهم ونوجهها توجيهاً يخدم فكرنا و يميت الغيرة لدى الشباب فى بلاد الاسلام .

ثم قال : لقد قضت هذه الأشياء على شبابنا فى بلاد الغرب و لم يستطع رجال الدين عندنا صرف الناس عنها ، لأن الكنيسة لم تحرم هذا فى تعاليمها ـ و يغى به الصورة و العرى ، و المناظر المبتذلة و الغناء و الاغراء ـ أما المسلمون فمصدر التشريع عندهم يحرم ذلك لوقاية المجتمع من الشرور ، و يجعل حدوداً على مقترفيها .

و دورنا عند ما نضعف الوازع الدينى عند شبابهم بفقدان المعرفة الدينية بالمنهج الدراسى ، أن نخرجهم للمجتمع بلا دين ، فنبدأ فى تشكيكهم فى جدوى الحكم الشرعى على مرتكبى هذه الأشياء لأننا جذبناهم للقانون بدل تحكيم القرآن ، وللتفسيرات الشخصية للأحكام بدل الاستسلام لشرع الله الذى جاء به الاسلام .

و لذا يجب أن تصدر هذه الأشياء لشباب المسلمين لتموت معنوياتهم ، و نجعلهم لنا تبعاً فى التصرف و العمل .

ذلك أن تشكيك شباب المسلمين فى دينهم ، قد دب فى نفوسهم بضعف الارتباط بعلوم الدين ، و فهم القرآن ، و الثقة قد بدأت تموت من نفوسهم بقتل المعنويات ، و القدوة الصالحة التى تربطهم بالتاريخ الاسلامى ورجاله ، قد حرصنا على إزالتها من الأذهان بالمناهج الدراسية

ثم يأتى المحور الثالث : و هى البعثات الدراسية و خاصة الشباب الذين لم يكتمل نضجهم العقلى ، و هذا المحور هو الوسيلة التى نستطيع بها السيطرة على عقول الشباب و نضمن لنا ركائز تخدم فكرنا و مصالحنا ، و تعترف لنا بالولاء ، و تعيننا على محاربة الاسلام من داخله .

و متى تبين لنا عكس ذلك من أحد الطلاب فان مصير دراسته فى أيدينا ، لنعيده إلى بلده بصورة مشوهة ، و تقريرات توثر عليه .

و الطالب دائماً يتعلق بأستاذه ، و يهتم بالأخذ عنه و تبنى أفكاره ، خاصة عند ما تكون ضمن مراجعه العلمية .

و أنت يا أخى المسلم فى كل مكان إذا رجعت لهذه الوصايا و أمعنت النظر فيها ، فانك ستجدها قد جعلت الشباب من أبناء المسلمين فى أهم أهدافها ، لكى ينسلخوا من دينهم ، و يبتعدوا عنه ، ليصبحوا كالريش فى مهب الريح ، بحيث تحركه يميناً و شمالا ، أو كالدمية فى يد الأطفال يتقاذفونها كيفما شاؤا .

و من هذه الجهود نشأ الاستعمار الفكرى ، الذى حل فى ديار الاسلام محل الاستعمار العسكرى .

فهم لمعرفتهم بمكانة الشباب ، و دورهم فى بناء مجتمع أمتهم ، لم يطلبوا فى وصاياهم الاستشراقية و التبشيرية ، و تخدمها جهودهم و وسائل إعلامهم المختلفة ، و يتزعم هذا العمل مفكروهم و مثقفوهم : بأن يدخلوا شباب المسلمين فى النصرانية أو اليهودية ، فهذا لا يخدم المآرب ، و لا يحقق الأهداف .

ولكنهم يطلبون من شباب الاسلام فكراً مشوشاً ، وبلبلة فى الفهم ليصبحوا تائهين ، لا يدرون أين يسيرون .

و لقد عبر عن هذا الهدف واحد من مخططيهم فى التبشير عند ما قال : لا يشرفنا أن يدخل فى النصرانية واحد من المسلمين ، بعد أن ترك دينه ، لأن من ترك دينه لا خير فيه . لكن الذى يشرفنا و يفيدنا هو أن يبقى هذا المسلم على إسلامه ، ولكن غير فاهم له ، فنجعله مظلة ننفذ منها ما نريد باسمه ، فنسخره فى تنفيذ مخططاتنا ، و ما يرضى فكرنا ، فنجعله يضرب أبناء جلدته بأفكارنا و توجيهاتنا و يخدم بأعماله و حماسته ما نريد من عمل و هو لا يدرى ، و متى انكشف أمره يجب أن نتخلى عنه ، ونبحث عن وجه جديد ، يحقق ما نريد و نكمل به المشوار الذى بدأناه مع الاول ، و هكذا .　　　« يتبع »

عام الحجارة ، دروس و عبر

بقلم : الدكتور / أحمد محمود الخليفة
مدير المركز الاسلامى بميونيخ

نذكر جميعاً عاماً خلده لنا التاريخ ، فقد حفظ الله تبارك و تعالى لنا ذكره مع حفظ الكتاب الحكيم ، و حفظه المسلمون فى مشارق الأرض و مغاربها ففيه ولد الرسول الأمين . . . نعم هو عام الفيل .

نذكر بذلك أن العرب قبل التقويم الهجرى كانوا يسمون الأعوام بأسماء أحداث يحبون ألا ينسوها لحلاوتها ، فيحبون دوام تذكرها ، أو لسوء و شرور أصابتهم فهم يفضلون استخراج العبر و العظات من ذلك .

و قضية المسلمين فى فلسطين من النوعين السابقين . . . ففيها حلاوة آيات الله تتنزل و رحماته تعم و ملائكته تحف ، و فيها دروس حرى بكل مسلم أن يعيش معها ينهل من معينها و يتعلم من مدارسها . . .

و لذا فانا نرى أن نسمى هذا العام « عام الحجارة » و شهر رمضان لعامنا هذا « رمضـان الحجارة » . . . و موسم الحج حيث تلقى الجمرات « جمرات الحجارة » . . . و هكذا ليس من قبيل التخليد و التذكير على مستوى مشاريع الأمم المتحـدة « عام الطفل » و « عام المعوقين » و « عام المرأة » . . . إلى غير ذلك ، إنما بالمنهج العربى الاسلامى الأصيل الذى خلدته لنا سورة الفيل والسيرة المحمدية العطرة ـ على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى التسليم .

و إن كنا ننتظر شهر رمضان من العام إلى العام لنتزود من زاده الكريم من طاعـة فى الصيام ، إلى طاعة فى القيام ، إلى طاعة فى البر و الاحسان ، إلى طاعة فى صدقة فطر وصلة أرحام ، ثم أمل و بشارة أن يتكرر على المسلمين ما حدث فى بدر و عين جالوت و حطين . . . و لا تنقطع آمالنا فى شهر فيه الرحمة و المغفرة و العتق من النار . . . شهر فيه تصفد الشياطين . . .

ويأتينا الشهر الكريم عامنا هذا والأحداث من حولنا تتلاحق . . . اخوتنا فى أفغانستان يتآمر عليهم الغرب مع الشرق بعدما فشل الشرق وحده من كسر الاباء الاسلامى و يفرض حظر السلاح على المجاهدين الأفغان . . . و إن أحببنا أن نتعجب فلنقارن موقف الغرب هذا مع موقفه من حرب الخليج فهو ممولها و موقد نارها و المتدفئ بها . . . و لو أراد إخمادها لصالح أحد الطرفين لفعل ، و لو أراد ضغطـاً سياسياً أو اقتصادياً لحاول . . . إنما هو فقط فى القضيـة الأفغانية يذكر للعهود و المواثيق حقوقاً ، و يجعل للشرق الشيوعى مصداقيـة ، و لمصداقيته وزناً . . .

و كنا نظن يومها أن الوضع فى أفغانستان يستحق أن يكون العام عام المؤامرة على أفغانستان . . . حتى تحركت الحضارة الفلسطينية فى مواجهـة الدبابة الظالمة الغاشمة وأثبتت الحجارة المدعومة بنداء « الله أكبر » أنها أقوى من أسلحة الموت الغربية و الرجل الشرقى الصهيونى فى جيش الاحتلال الغاصب . . . هنا رأينا آيات جديدة فى تاريخ الجهاد الاسلامى فى ساحة المواجهـة الأزلية بين الحق و الباطل . . .

و رأينا أن آيات الرحمن التى أكرم بها أنبياءه يمكن أن تتحقق بشائر منها للمؤمنين فى المواجهة الحالية . . . فما حدث لداود لما قتل جالوت بحجر صغير نراه

يتكرر كل يوم الآن على أرض فلسطين . . . ولنتصور أعجب مشهد . . . جندى صهيونى آت من الشرق الشيوعى يحمل سلاحاً و خوذة واقية غربيـة ، ترافقـه دبابة أو سيارة مصفحة ، و تحميه طائرة و يحيطه الاعلام بأساطير الجيش الذى لا يقهر . . . هذا الجندى يواجهه طفل فلسطينى تربى تحت سيطرة الاحتلال ، أرضعته أمه حباً لوطنه و دينه ، و رباه أبوه على طاعـة ربه و واجب استرداد أرضه . . . و يلتفت الطفل الفلسطينى حوله فيجـد حدوداً صنعها مستعمر قديم ليحمى بها المغتصب الحقود ، و يستنجـد الطفل بأعمامه من حكام الدول المجاورة و كله أمل أن يتفهموا موقفه و وضعه و يمدوا له يد العون ، ليس بتموين سلاح أو طعام إنمـا فقط بفتح الحدود الاستعمارية أمامه ، و يصطدم الطفل فالحكام يشبهون أعمامـــه شكلا ، و لـكنهم يشبهون أعداءه عملا . . . فانهم هم الذين يقفون حراساً لهذه الحدود ، و هم الذين كبلوه بالقيود ، بل و هم الذين أطلقوا عليـه رصاص الجنود . . . و يحاول الطفل الفلسطينى فهم هـذه المعادلات . . . أعداء واضحو العداء ، وأعمام يشبهون الأعداء . . . و يصرخ الطفل مطالباً أعمامه أن ينفذوا وصية أبيه الشهيد والتى أوصاهم فيها أن يربوه على الجهاد وأن يرضعوه حب الاستشهاد . . . و يأمل الطفل أن تتحرك قلوب الأعمام فيفيقوا ، ولـكن أين الأعمام ؟ . . . إنهم فى سبات . . . و قد أصابهم مرض النسيان .

و يعرف الطفل أن واجبه أن يتعرف على طريقه ليحقق النصر و يحصل على العزة و يطهر الـكرامة العربيـــة التى لوثتها الهزائم فى الحروب و الفرقة بين القلوب . . . و عرف الطفل الفلسطينى طريقـه . . . عرف أن طريقه لا يمر عبر الجرائد و المجلات . . . و لا عبر الاذاعات و المؤتمرات . . . و لا عبر الأمم المتحدة و جامعة الدول العربية . . . و لا عبر واشنطن أو موسكو . . .

و لا عبر العواصم العربية أو غير العربية . . . علم الطفل الفلسطينى أن طريقه يمر عبر بيت المقدس . . . و عبر البيت الحرام . . . عرف أن دستور حركته هو القرآن الكريم و سنة نبيه ﷺ و سيرة السلف الصالح من أمة القرآن . . . علم الطفل الفلسطينى أن أعمامه ليسوا الملوك و الرؤساء و الأمراء و الوزراء ، إنما أعمامه من سجدوا للواحد الديان ، أعمامه من ساروا معه على نفس الدرب ، يجتهدون فى عملهم و جهادهم بالنهار ، و يجتهدون فى تلاوة كتاب ربهم و عبادة خالقهم آناء الليل . . . هم كما تعارف عليهم الجميع « رهبان الليل . . . فرسان النهار » . . . تعرف الطفل الفلسطينى على أعمامه . . . ؟ ؟ ؟ و نتساءل : بم أفادت هذه المعرفة ؟ . . . إن أعمامه مثله تسلطت عليهم أنظمة كبلتهم و ضيقت عليهم منافذ عيشهم ، و ها هم أعمامه يحاولون الوصول إليه ، و إنما حكامهم يغلقون بينهم الأبواب ، حتى زادت حيرة الطفل الفلسطينى . . . هل يبدأ بانقاذ نفسه حتى يحاول بعد ذلك إنقاذ أعمامه الحقيقيين ؟ أم يبدأ بانقاذ أعمامه حتى يساعدوه و يخلصوه مما هو فيه ؟ .

و نظر الطفل الفلسطينى الحكيم . . فقد أكسبته المصائب حكمة لا يفوز بمثلها إلا أهل الجهاد . . . نظر الطفل الفلسطينى الحكيم حوله فعرف بفطنة غريبة أن الذين منعوه من الاتصال بأعمامه هم الذين منعوا أعمامه من الوصول إليه . . . فأصر الطفل الفلسطينى على تحطيم القيود و كفكفة الدموع و ربط الجراح محاولا بما وقع بين يديه من سلاح أن يحرر أرضه من دنس المدنسين ، وأن يحطم أسواراً وضعت حوله وحول أعمامه ليلتقى مع من أحب ومن يحبونه .

و نظر حوله الطفل المارد الفلسطينى المسلم الشجاع ، فوجد أن أعمامه المزيفين قد سحبوا من يد أبيه الشهيد البندقية ، وصار الطفل أعزل من المسدسات

أو البنادق أو الرشاشات ، بحث حوله فعلم أن الخيانة لم تبدأ و لم يخطط لها فقط اليوم إنما هي قديمة قدم نزع السلاح من يد أبيه المجاهد الشهيد . . . ولكن هل يقف شوق الجهاد في صدره ؟ . . . أبداً . . . إنما ها هو لا يجد سوى حجارة طوقته بها الأنظمة يوماً فيما يسمى « المخيمات » ، وكأن المليارات العربية و الاسلامية عجزت عن إنشاء مدن للتهجير . . . المهم . . . وجد الطفل الحجارة في يده ، فتوكل على الله و تذكر الطير الأبابيل التي أنقذ الله بها بيته الحرام ... فعقدوا العزم . . . عزم الرجال . . . أن يكونوا هم الأطفال الأبابيل .

الأطفال الأبابيل التي تحمي بيت المقدس ممن يدنسونه . . . نظروا إلى الحجارة فتذكروا كيف انتصر داؤد على جالوت و قتله ، فعلموا أن يرموا جالوت بالحجر و على الله تسديده ، فألقوا ما بأيديهم من حجارة . . . و تذكرت أمه وجدته أن أختها الخنساء تشرفت باستشهاد أولادها الاربعة متمنية على الله أن يجمعها بهم في الجنة فاقتفت أثرها و تمنت أن لو قدمت في سبيل النصر شهيداً يكن لها يوم القيامة شفيعاً ، و تذكرت المرأة الفلسطينية الصابرة أمها أسماء بنت أبي بكر و كيف شجعت ابنها بقولها « و هل يضير الشاة سلخها بعد طبخها ؟ » فأعادت الأم الفلسطينية نفس الكلمات على مسامع ولدها آملة أن تقتدي بأمها أسماء. فقالت الأم لولدها « يا ولدي اضرب الغاصبين ، فلن يقدروا على شيء أكثر من قتلك » . . . و بكت الأم التي لا ولد لها ، و لكنها لم تتوار عن الأنظار ، بل أمسكت قادوما و بدأت تكسر الحجارة الكبيرة ليتمكن ابن جارتها من أن يلقيها على الغاصبين ، آملة ألا يحرمها الله أجر الجهاد وشرف المشاركة في الانتفاضة.

و هكذا تعاونت كل أفراد الشعب الفلسطيني في إنجاح واستمرار الانتفاضة.

و لنسأل أنفسنا : ماذا قدمنا بحق للانتفاضة ؟ نحن سكان خارج الأرض المحتلة . . .

و إن سأل سائل : و ماذا نستطيع و خطوط الاتصال مقطوعة ؟ وحرب الخليج تبتلع الأخضر واليابس ؟ وأسعار البترول فى انخفاض مستمر ؟ و الخوف من سادة الشرق والغرب ترتعد منه و له المفاصل ؟ و العين بصيرة واليد قصيرة ؟

نقول لهؤلاء جميعاً : إن أطفال فلسطين توكلوا على الله و نظروا حولهم فيسر الله لهم سلاحاً لم يكن فى الحسبان (الحجارة) . . . فهل نسيتم قول الحق تبارك و تعالى : « و من يتق الله يجعل له مخرجاً » . . لقـــد جعل الله لأطفال فلسطين من الحجارة و فيها مخرجاً ، فلنتق الله تعالى و سيعلمنا الله كيف نتمكن من دعم أبنائنا فى الانتفاضـة الفلسطينية ، و إن كان أحد البواسل تمكن من استخدام الأجنحة الشراعية فهبط بها داخل معسكرات العدو ، فانه بذلك قـد ألزمنا الحجة بأن قضية الحدود ليست بالخارقة فقد خرقها أخونا . . . وإن تحججنا بأن حرب الخليج تقضى على الأخضر و اليابس ، فنناشد العقلاء من الجانبين ـ إن بقى فيهما عقلاء ـ نناشدهم الله أن يظلوا فى حرب ، و لـكن ليحولوا فوهات مدافعهم و قواعد صواريخهم فى اتجاه تل أبيب ، بدلا من بغداد و قم ، و ليفق من يدعمون هذه الحرب الشرسة و ليعلموا أن مجاهدى فلسطين لا يحتاجون دعما مادياً لانتفاضتهم بما يساوى ما يقدمونه لحرب الخليج . . . إن ١٠ ٪ فقط مما يقدم قرباناً لحرب الخليج ليوم واحد لكافية لأنهاء الوضع فى فلسطين ، و لـكن أين العقلاء ممن يقدمون لحرب الخليج القرابين . . . و إن كانت أسعـار البترول قـــد انخفضت ، فلنتساءل ، و ماذا فعلنـا بأثمـان البترول لما ارتفعت أضعافاً مضاعفة مع حرب رمضـان / أكتوبر (تشرين) . . . هل هل وسعنا بها على المحتاجين ؟ هل قدمنا لفلسطين ما كانت فى حاجـة إليه ؟ هل قاومنا التنصير و حملاته فى العالم الاسلامى الجائع ؟ هل أقمنا بها جسور الود بين الأشقاء المسلمين ؟ . . . أبداً ، ما صنعنـا بواردات البترول يوم ارتفعت شيئا

من هذا ، إنما شيدنا القصور وأنفقنا ببذخ وتبذير ، وتضاعف الاستهلاك لكماليات لم تدم و ضاعت أخلاق شعوب - و لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم - فلتبحثوا لأنفسكم عن حجة أخرى غير حجة الأزمة الاقتصادية العالمية و أزمة البترول المصطنعة . . . و نقول إنها مصطنعة لأنها نتاج اتحاد و تعاون الدول المستهلكة و تمزق بل تهلهل الدول المصدرة ، بل تطاحنها . . .

أما لو قلنا : إن الخوف من سادة الشرق أو الغرب هو سبب تخلينا عن الفاعلية الحقيقية فى دعم الانتفاضة . . . لو كان السبب هو ذاك . . . فبئست الحجج ، وبئس الاخوة ، وبئس الود . . حذار أن يكون هذا هو السبب فان عواقبه وخيمة عند حساب الشعوب و حساب رب الشعوب . . . حذار فان آخرتنا قد اقتربت . . . و ناكر ونكير يسألان عن أربع ، فهل سنتمكن من أن نجيب بأن : دينى الاسلام — أو كتابى القرآن؟ فان قلناها فماذا سنفعل مع قوله تعالى فى سورة المجادلة (لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) أو قوله تعالى فى أول سورة الممتحنة (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة و قد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول و إياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى و ابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة و أنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم و من يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) .

فان كان تبارك و تعالى قد نفى صفة الايمان عمن يوادون من حاد الله و رسوله من الآباء و الأبناء ، فهل رفعنا الشرق أو الغرب فى مصاف الأبناء ، و إن ارتفعوا فلن يصلوا إلى مصاف العشيرة ، و إن ارتفعوا لحتى هؤلاء لا يرضى الله تعالى عن التواد معهم بل ينفى صفة الايمان عمن فعل ذلك . . . أفلا نفيق؟ أما آية سورة الممتحنة فانها تجيب عن السؤال المتوقع من البعض : و لم حرم

الله التواد مع هؤلاء وقد أظهروا لنا إخلاصاً وقدموا لنا التكنولوجيا ، والسبب نشير إليه الآية بل تصرح به : (فقد كفروا بما جاءكم من الحق) ليس فقط هذا ، إنما أيضاً أوصلهم غيظهم أنهم (يخرجون الرسول و إياكم) كما يفعلون اليوم فى فلسطين ، وسبب حقدهم هذا هو (أن تؤمنوا بالله ربكم) فهل نحن على استعداد نفسى أو عقيدى أن نرضى هؤلاء وهولاء لا يرضيهم (حتى تتبع ملتهم) فمن أراد أن يتبع ملتهم فليعلنها صراحة و ليتركنا فى جهادنا فانه أكبر ما غاظهم و يغيظهم (إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى و ابتغاء مرضاتى) . . . و نتيجة هذه المودة هى بطلان الصلاة ، عماد الدين ، فان كنا فى صلاتنا نقرأ بالفاتحة ١٧ مرة على الأقل يومياً فنخاطب رب العالمين قائلين (اهدنا الصراط المستقيم) فان عملية الود هذه نتيجتها (و من يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) . . . فهل يرضى مؤمن عاقل أن يتلف كل عمله بسبب هذا الود الكاذب . . ؟ أبداً . . .

أما لو تحججنا عن نصرة أطفال الانتفاضة بأن العين بصيرة واليد قصيرة . . . فلننظر حولنا : ألا نجد حجارة؟ طبعاً فى كل مكان . . . ألا نستطيع أن نضع عامودا فى كل قرية و مدينة نرمز به لعدو الله و عدونا ونلق عليه حجارتنا مجتمعين مرة كل أسبوع ؟ بلى نستطيع . . . ألا نستطيع أن نجمع الحجارة و نحتفظ بها ليوم نتمكن من تصدير الحجارة إلى أبناء الانتفاضة يوم تنفتح بيننا و بينهم الحدود . . . و إن كان أطفال فلسطين قد صنعوا الحواجز من الاطارات المحترقة ، فكم عدد الاطارات التى تمتلىء بها صحارينا من سيارات الحوادث؟ ألوف بل نكاد تكون ملايين . . . ألا نستطيع عمل مخازن للاطارات لليوم الآتى ، عسانا نسهم فى تموين الانتفاضة ؟ بلى نستطيع . . . فان كنا نستطيع ذلك فلنقم به . فان فيه معنى من معانى الاستعداد بكل ما نملك . . .

و لنتوقع أن هناك ألسنة ستحرم و تجرم فعلنا هذا . . . و سيقول البعض

أن إلقاء الحجارة على رموز للعدو سيعيدنا إلى عبادة الأوثان . . . لا تصدقوهم لأنهم يخافون أن تتحرك شرارة الانتفاضة خارج حدود فلسطين . . . فان خروجها أخطر عليهم من استمرارها ، فان صدور المسلمين تضخ مع دم الجسد أيضاً وقود الصحوة ، فلو اجتمعت شرارة الانتفاضة مع وقود الصحوة لتزلزلت عروش الطغاة و لظهرت سوءات البغاة ولفضحت أكاذيب الأدعياء، فلا تصدقوهم و سيروا فى عملكم ،اجعلوا شرارة الانتفاضة فى كل قلب حتى تظن شعلة الانتفاضة فى فلسطين تحرق الغاصبين .

و نتوقع زيادة تحرك أمريكى و سوفييتى فى المنطقة لامتصاص الغضب... لا تصدقوا إشاعة المؤتمر الدولى للسلام . . . فلا سلام مع غاصب حتى الفوز باحدى الحسنيين . . .

ولا تصدقوا أن الروس سيخرجون قريباً من أفغانستان لتعود إلى إسلامها... أبداً فليبدأ باعادة بخارى وأخواتها . . . إنما هى حقن للتخدير حتى لا تضم شرارة الانتفاضة الفلسطينية مع شرارة الجهاد الأفغانى . . .

و إن أحببتم أحبابى أن تتأكدوا من ذلك فتابعوا التحركات من وزير الخارجية الأمريكى فى المنطقة و الاشاعات الروسية بقرب الانسحاب المشروط بوقف الدعم الأمريكى ! ! ! للجاهدين ، و موافقة الأمريكان على ذلك ، ثم إصرار المجاهدين على تحرير أفغانستان ليس فقط من الاحتلال العسكرى الروسى إنما تحريرها من الأفكار الغريبة عن الاسلام ، و إعلانهم أنهم مستقلون عن الأمريكان و أنهم لم يحصلوا منهم على دعم . . . هنا أفاق الأمريكان وخشوا من استمرار بل من اضطرام الأحاسيس الجهادية فى أفغانستان ، و للتهدئة أعلنوا ثانية استمرار دعمهم للجهاد الأفغانى حتى تمام الانسحاب الروسى . . . عجباً .

المهم . . . لا تجعلوا أحداً يحرم عليكم إلقاء العنات على من بدلوا شرع الله ،

قد سبق الله ولعنهم «لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم» فان كان داود عليه السلام لعنهم فهل نصدق إشاعة أنهم ورثة ملك داود و سليمان، وأنهم حريصون على إعادة بناء الهيكل . . . أم أنها حجج أرادوا بها فقط هدم المسجد الأقصى ؟

و إن لم نملك الحجارة و تخزينها و الاطارات و أعدادها فانا نملك سلاحاً ليس لأحد عليـــه من سلطان . . . نملك سلاحاً لا تتمكن أجهزة الأمن مهما أوتيت من قوة و علم و تكـنولوجيا أن تكـتشفـــه . . . نملك سلاحاً هو مخ العبادة . . نعم أحبابى نملك الدعاء . . . و دعوة المظلوم ليس بينها و بين الله حجاب . . . فلنحاول و لنعمل على الاستعـــداد للجهاد و نصرة المجاهدين ، فان ظلمنا الظالمون و حرمونا من ذلك جميعاً دعونا الله لهم بالهداية، فان أبوا دعونا الله أن يفرق بيننا و بين قومنـا بالحق و هو أحكم الحاكمين ، و دعونا الله على الغاصبين و نحن موقنون بالاجابة . . . فهل بعد هذا من سلاح عند غياب بقية الأسلحة ؟ . . . أبداً و الله . . . .

و ها هو شهر رمضان قد علمنا دروساً، فلنستفد أن شياطين الجن مصفدة فيه ولنحذر من شياطين الانس فانها لا تصفد ، ولننتهز فرصة القبول و لنحرص على دوام الدعاء لاخوتنا أبناء فلسطين و مجاهدى أفغانستان والفلبين و اندونيسيا . . . بالنصر المبين على أعدائهم ، و لنجتهد فى الدعاء على من أرادوا النيل من الاسلام ألا يمكنهم الله من ذلك، فاما أن يهتدوا و إما أن يقصمهم رب السماء والأرض بجنده . . . ونحن من جنده . . . ويحمى دينه و ينصر جنده و يهزم الأحزاب .

فلنجتهد فى العبادة و الدعاء . . .

فغيرنا يجاهد و يقدم الدماء . . .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . .

الكسب الحرام فى الاسلام

بقلم : دكتور / توفيق محمد شاهين

الاسلام دين يكرم الانسان ، و يحثه على الاعتماد على النفس ، و كسب الرزق من طريق حلال .

و قد أحل الله سبحانه الحلال و ما أوسع دائرته !! و حرم الخبائث التى تضر الانسان فى دينه أو دنياه ، و هى قليلة .

و العمل فى الاسلام للقادر شرط لشرف النفس ، و كرامة الشخص ، و نفع الأسرة و الانسانية .

كما أن التعب فى طلب الرزق الحلال يكفر ذنوباً ارتكبها الانسان ، كما يقول الرسول عليه الصلاة و السلام .

و النصوص فى هذا كثيرة متوافرة فى القرآن الكريم ، و السنة النبوية الشريفة منها :

قول الله تعالى ، فى طلب الرزق الحلال و الأكل منه و التمتع به .

« فامشوا فى مناكبها ، و كلوا من رزقه ، و إليه النشور ـ الملك /١٥ » .

و قوله سبحانه :

« فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً ، و اشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ـ النحل /١١٤ » .

و يرشد الرسول ـ ﷺ ـ إلى أن الله تعالى يحب المؤمن القوى فى دينه ، و خلقه ، و ماله ، و علمه ، و جسده . . بقوله : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

❁ و هـذه النصوص من الآيات الكريمة و الحديث الشريف تبين أن الله سبحانه يحب للانسان أن يعمل ، و أن يكسب رزقه من حلال ، و أن ينفع نفسه و غيره فى هذه الحياة . . و متى قصد كل ذلك لوجه الله تعالى كان عمله للدنيا و الآخرة معاً ، و يسره الله له بفضله و كرمه .

❁ و قد سأل كثيرون من الاخوة و الأخوات عن حكم الله تعالى فى طرق كسب مشبوهة ، و غير مشروعة فى الاسلام ، مثل :

اليانصيب ، و اللوتو ، و السبق ، و لعب الورق (الكارد) ، و القمار ، و الربا ، و السحر ، و الرهان ، و التجارة فى الخمر ، و الحشيش ، و كل أنواع المخدرات . . . إلخ .

❁ ونفيد كل هذا الكسب حرام ، و أكل لأموال الناس بالباطل ، وسحت ، ومن الكبائر التى حرمها الله تعالى على عباده المؤمنين ، لأنه من الكسب الخبيث لا الطيب و لا الحلال ، و كل جسم تغذى منها ، و كل إنسان انتفع بها قاصداً ، وكل إنسان تعود على ذلك ولم يتب إلى الله فله النار ، وهى أولى به .

❁ و النصوص كثيرة فى القرآن الكريم و السنة النبوية تدل على تحريم ذلك الكسب الخبيث ، الذى لا يرضاه الله سبحـانه ، و لا يرضـاه رسوله ﷺ للسلمين ، و لا يرضاه العقل السليم و الفطرة المستقيمة ، لأنه كسب حرام مشبوه، أى بطريق سهل ، و بالباطل لا بالحق .

يقول الله تعالى فى تحريم هذا الكسب الخبيث :

« يأيها الذين آمنوا إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر، و يصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة فهل أنتم منتهون»

و أطيعوا الله و الرسول و احذروا ، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين - المائدة - ٩٠ - ٩٢ » .

و يقول الله تعالى :

« الذين يأكلون الربا لايقومون (أى بين يدى الله سبحانه يوم القيامة) إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس (أى كالمصروع) ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، و أحل الله البيع و حرم الربا . . . البقرة ٢٧٥ » .

و يقول سبحانه :

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله و ذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فائذنوا بحرب من الله و رسوله ، فان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون - البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩ » .

و يقول سبحانه : « إنما حرم عليكم الميتة و الدم ولحم الخنزير (أى لحمه و شحمه و دمه و كل شىء فيه) - البقرة ١٧٣ » .

فقد حرم الله تعالى فى هذه الآيات الكريمة :

« الميسر » و هو المقامرة بكل أنواعها ، ومنه لعب الصبيان بالجوز ، ولعب الورق و غيره ، و كذلك لعب الطاولة .

و « الأنصاب » حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها ، تقرباً إلى الأصنام.

و « الأزلام » لون من ألوان القمار . . و بقية الآيات واضحة المعنى .

و كل ذلك شر من عمل الشيطان ، ومباشرها ، و الآكل منها بعيد عن رحمة الله ، و لا يفلح فى الدنيا ولا فى الآخرة ، و يعيش فى غضب الله تعالى محارباً و عاصياً أوامره ، و آكل لأموال الناس بالباطل .

و لو استعرضنا بعض أحاديث رسول الله - ﷺ - فى هذا الجانب ،

لوجدناها مؤيدة وموافقة لآيات القرآن الكريم فى حرمة ذلك حرمة لاشك فيها:

يقول الرسول ـ ﷺ ـ :

« مثل الذى يلعب بالنرد (أى الزهر و الورق و الكارت و الطاولة و ما أشبه ذلك) ثم يقوم فيصلى، مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى».

و قال الرسول ـ ﷺ ـ :

« ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه (أى العاصى والمؤذى لهما) و المدمن الخمر ، و المنان بما أعطى » ، و من تاب تاب الله عليه .

و يروى معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

« ما تزال قدما عبد (أى لاتتحرك) يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، و عن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه و فيما أنفقه ، و عن عمله ماذا عمل فيه » .

و عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب و من لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، و الذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه و لسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه (أى غشه و ظلمه) و لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، و لا يتصدق به فيقبل منه ، و لا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لايمحو السئ بالسئ ، ولكن يمحو السئ بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث » صدق رسول الله .

و الآن ، ماذا يعمل من معه مال حرام من هذه الأوجه ؟ :

يقول العلماء فى القديم والحديث ، بأن من معه مال حرام، و أراد التوبة منه و البراءة ، فان كان له مالك معين وجب صرفه إليه .

فان كان لمالك لا يعرفه، ويئس من معرفته (بأن حاول معرفته ولم يستطع) فينبغى أن يصرفه فى مصالح المسلمين العامة كالقناطر (الكبارى) و الربط (أى حماية الثغور و حدود الدولة و الدفاع عنها) و غير ذلك مما يشترك فيه المسلمون ، مثل :

إقامة المدارس ، و المستشفيات ، و المساجد ، والصرف عليها ، أو يتصدق به على فقراء ، أو لاجئين ، أو من نزلت بهم كوارث ، و له أن يصرف منه على نفسه و عياله إن كانوا فى حالة فقر شديد ، و ليكن الصرف فى أضيق الحدود الممكنة ، بما يزيل الضرر و الهلاك فقط ، فله أن يأكل منه فقط ، و ليس له أن يشترى منه ما يركبه ، لأنه لا ضرورة فى ذلك .

و هذا الذى ذكرناه قاله بعض علماء الشافعية ، و منهم الامام الغزالى رحمه الله تعالى ، والامام الغزالى نقل ذلك عن علماء السلف ، ومنهم : معاوية ، و الامام أحمد بن حنبل ، و الحارث المحاسبي ، و غيرهم من أهل الورع رضى الله عنهم .

و قال بعض علماء الحنابلة : يجوز الصرف على المسجد من المال النجس ، و أيضاً لأن المال الحرام لا يتعدى الذمتين : فهو حرام فى اليد الأولى قطعاً ، و لا ثواب و لا أجر للتصدق بهذا المال ، لأنه حرام فى الأصل ، و لكننا نرجو أن يتوب الله عليه إذا تاب توبة صادقة ، و ندم على ما بدر منه ، و لم يعد إليه ثانية .

ولا يجوز إتلاف هذا المال، أورميه فى البحر ، أو ترك الفائدة للبنك إن كان المال موضوعاً بالفائدة . . و إنما يصرف فى مصالح المسلمين العامة .

بذلك أفتت لجنة الفتوى بالأزهر ، و دار الفتوى فى لبنان ، و يضيف

سماحة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان الأكبر - أطال الله فى عمره - قوله :

(و عليه فان على من بيده مال حرام ، و يئس من معرفة مالكه أن يتوب إلى الله تعالى ، و يبرأ من هـــذا المال ، و يصرفه فى مصالح المسلمين العامة ، كما ذكره الغزالى ، ونقله النووى من الشافعية ، و عليه أن يسعى لكسب عيشه و عيش أهله من الحلال الطيب ، فان كان مضطراً إلى ذلك - كما ذكر - فانه يمكنـــه الانفاق منه فى حدود دفع الضرر و الهلاك عنـــه و عن عياله ، و يدفع الباقى فى المصالح العامة ، كما ذكر ، و لا يجوز له شراء ما يركبه من هذا المال ، و لا أن يعمل به فى تجارة أو غيرها . و هذا كله متى قصد البراءة و التوبة ، و عدم معاودة الحرام ، و إلا فلا يحل له شىء من ذلك ، و الله أعلم) اهـ .

وتذكر لجنة الفتوى بالأزهر: (أن الأئمة الأربعة رضى الله عنهم يرون أن الأموال التى تكتسب من غير الطرق المشروعة فى الاسلام يجوز صرفها فيما يعود على جماعة المسلمين بالنفع العام ، مثل : مسجد، مدرسة ، ملجأ ، مصنع ، وجوز الامام ابن تيمية ، و ابن القيم صرف هذه المبالغ أو بعضها للفقراء و المساكين متى تحقق فيهم شرط الفقر ، و الله اعلم) اهـ .

و هذه الفتاوى و الآراء ليست من فراغ و إنما هى من القرآن الكريم ، و السنة النبوية و كتب الأئمة الأربعة ، و عن الصحابة و التابعين ، و المجتهدين من أهل الورع .

و من أراد مزيداً من الاطلاع فليرجع إلى هذه المراجع .

تفسير روح المعانى للآلوسى ٢/ ١١٣ . و التفسير الكبير للرازى ٦/ ٤٨ . و الزواجر عن ارتكاب الكبائر لابن حجر الهيثمى ٢/ ١٨٩ . و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٢٨٧ . و المجموع شرح المهذب للنووى ٩/ ٣٥١ . . .

و بعـــد :

فان الله سبحانه بين الحلال و الحرام ، و شرح ذلك حـــديث الرسول عليه الصلاة و السلام ، و وضحه الأئمة الأعلام . . فلا عذر لمعتذر ، و على الجاهل أن يسأل ، و على من قرأ هذه المقالة فليبلغ غيره . .

و لنتق الله فى كل أمورنا ، و فى المأكل و المشرب و كل أمورنا المعاشية فى الدنيا ، فان الحلال يبارك فيه و لو كان قليلا . . و لا بركة فى الحرام و إن كان كثيراً .

و أعمارنا قصيرة ، و سنقدم على رب بصير لا تخفى عليه خافية ويعلم كل شىء : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، و من يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

و لنتذكر حديث الرسول الأكرم : « كل لحم نبت من سحت (أى حرام) فالنار أولى به » .

و لنعلم أن الله تعالى أمرنا بما أمر به أنبياءه و رسله ـ عليهم السلام :

قال تعالى : « و كلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً ، و اتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ـ المائدة /٨٨ » .

وقال تعالى: «يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ـ المؤمنون/٥١».

هدانا الله لأقوم طريق ، و أرانا الحق حقاً و رزقنا اتباعه ، و أرانا الباطل باطلا و رزقنا اجتنابه ، و طهر نفوسنا و قلوبنا و جوارحنا ، و وفقنا لمـــا يحبه و يرضاه ، و رزقنا الحلال الطيب .

و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل .

الصحوة ، و كيف تفهم الاسلام ؟

(٢)

فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى

إن تيار الوسطية الاسلامية ـ وهو المعبر الحقيق عن الصحوة الاسلامية ـ لا يجد أى تناقض بين الأصالة و المعاصرة ، أو بين السلفية و التجديد ، أو بين النظرة التراثيه والنظرة المستقبلية، إذا حدث المفاهيم بعيداً عن الخلط والتحريف .

و إن كان الذى يؤسف له أن كثيراً من دعاة المعاصرة و التجديد والنظرة إلى المستقبل ، يرفضون تراثنا ، و ينكرون ماضينا ، و يكادون لا يجدون فيــه إلا كل سيئ و كل ردىء .

بعض هؤلاء مولعون ـ كما يقول الأستاذ فهمى هويدى ـ بالبحث فى القمامة : فهم يبحثون فى أحط عصور التخلف الاسلاميــة ، عن أحط وقائع الانحراف فيها من بين آلاف الوقائع الأخرى ، ثم يقولون : هذا هو (العصر الذهبي) الذى يريدوننا أن نعود إليه ! !

أى و الله ، هذا ما كتبه أحدهم بكل جرأة .

و لا أدرى من من دعاة تحكيم الشريعة يعتبر العصر المملوكى أو العثمانى هو العصر الذهبي لتطبيق شريعة الاسلام ؟

و من من دعاة الشريعة يقر هذه الانحرافات . و يعتبرها تراثاً ملهما يعتز به و ينادى بالرجعة إليه ؟

على أن الكاتب لم يكن منصفاً للعصر الذى كتب عنه ، فكم فيه من أمثلة رائعة لتحرى العدل ، والوقوف بجانب الحق ، و إنشاء معاهد العلم ، و مؤسسات البر و الخير .

و هو العصر الذى ظهر فيه ابن تيمية و ابن القيم و ابن خلدون و الشاطبي

و غيرهم ، و هو عصر الموسوعات اللغوية و الأدبية و الدينية ، التى لا يستغنى عنها باحث و لا ينكر قيمتها دارس اليوم .

النظرة المستقبلية :

على أن من الانصاف أن نقول : إنه إذا كان الدعاة إلى العلمانية أو إلى « التقدمية » يكادون يلقون النظرة إلى الماضى ، فان من الدعاة الاسلاميين فئة يكادون يلقون النظرة إلى المستقبل ، و يعيشون متوقعين على الماضى ، و اجترار ما فيه ، و الدوران فى ساقيته ، دون اهتمام كاف بمشكلات اليوم ، و تطلعات الغد ، شعارهم : ما ترك الأول للآخر شيئاً ! وليس فى الامكان أبدع مما كان.

و الواجب يفرض علينا أن نكون عدولا بين أمسنا ويومنا وغدنا ، فنقتبس من الأمس و نعمل لليوم ، و نستعد للغد ، و هو ما يؤمن به تيار الوسطية الاسلامية .

و قد قص علينا القرآن الكريم من أنباء الرسل و الصالحين ما فيه عبرة لأولى الألباب ، فى مواجهة احتمالات المستقبل ، و تقلبات الأيام .

تخطيط يوسف الصديق لمواجهة المجاعة :

قص علينا القرآن قصة نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ، و كيف أنقذ الله على يديه مصر و ما حولها من أزمة غذائية طاحنة ، ألهم الله يوسف فخطط لها أحسن التخطيط لمدة خمسة عشر عاما ، أقام فيها اقتصاد مصر - و كانت الزراعة أساسه و محوره - على زيادة الانتاج ، و تقليل الاستهلاك ، و تنظيم الادخار ، و إعادة الاستثمار ، حتى نجت مصر من المجاعة ، و خرجت من الأزمة معافاة ، بل كان لها فضل على ما حولها من البلدان ، التى لجأ إليها أهلها يلتمسون عندها الميرة و المؤنه ، كما يبدو ذلك فى قصة إخوة يوسف الذين ترددوا على مصر مرة بعد مرة ، و قالوا له فى المرة الأخيرة : « يأيها العزيز مسنا و أهلنا الضر ، و جئنا ببضاعة مزجاة ، فأوف لنا الكيل و تصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين » (سورة يوسف الآية : ٨٨) .

كان هذا التخطيط مما علمه الله ليوسف عليه السلام ومما أكرم الله به أهل مصر، و كان يوسف هو الذى رسم معالم التخطيط، و هو الذى قام بالتنفيذ، و هو لدى الدولة مكين أمين، و على خزائنها و أمورها حفيظ عليم.

سد ذى القرنين :

و قصة أخرى قصها الله علينا هى قصة ذى القرنين الذى بنى سده العظيم، ليقف حاجزاً منيعاً ضد هجمات قبائل يأجوج و مأجوج لأولئك الأقوام الذين كانوا لا يستطيعون لهم دفعاً إذا هاجموهم مفسدين فى الأرض، مهلكين للحرث و النسل.

« قالوا : يا ذا القرنين، إن يأجوج و ماجوج مفسدون فى الأرض، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا و بينهم سداً ؟ قال : ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم و بينهم ردماً، آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال : انفخوا، حتى إذا جعله ناراً، قال آتونى أفرغ عليه قطراً، فما استطاعوا أن يظهروه و ما استطاعوا له نقباً، قال : هذا رحمة من ربى، فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء، و كان وعد ربى حقاً » (سورة الكهف الآيات : ٩٤–٩٨).

فكان مشروع ذى القرنين هذا من المشروعات الأمنية المستقبلية التى أقامها ذلك الحاكم الصالح لمواجهة احتمالات الغد، و ضد هجمات أولئك المفسدين الذين أرعبوا من حولهم بغاراتهم المدمرة، و إنما استطاع ذلك – بعد إيمانه بالله – بفضل تعاون الشعب معه بالحب لا بالقهر و العمل بالمواد و الامكانات المتاحة حتى قام السد الكبير.

الرسول يخطط للمستقبل :

و الرسول – ﷺ – حين كان يعرض دعوته على قبائل العرب فى

مواسم الحجيج بمكة ، يتطلب منهم الايمان به ، و النصرة له ، كان يفكر فى مستقبل دعوته ، و البحث عن أرض خصبة يبذر فيها بذوره ، و ينقل إليها نشاطه ، و يقيم فيها حكم الله .

و لما شرح الله صدر الأوس و الخزرج من أهل يثرب لقبول الدعوة و الايمان بها و المبايعة على نصرته عليه الصلاة و السلام بيعة العقبة المعروفة ، و بعث إليهم « مصعب بن عمير » ، و أمر أصحابه بمكة بعد ذلك بالهجرة إلى إخوانهم هناك ، كان ذلك كله تخطيطاً لنقل مركز الدعوة إلى المهجر الجديد ، حيث تقام دولة الاسلام ، و يرتفع علم الاسلام .

و كذلك حين قال - ﷺ - بعد الهجرة : أحصوا لى عدد من يلفظ بالاسلام ، فأحصوا له ، فكانوا ألفاً و خمسمائة . . . كما روى ذلك البخارى و مسلم فى صحيحه ، كان يريد أن يعرف مقدار ما لديه من قوة ، حتى يبنى خطته على أساس سليم من الاحصاء و المعلومات الدقيقة .

و حين صالح قريشاً فى « الحديبية » ، و هادنهم لمدة عشر سنوات ، كان يريد أن يتفرغ لنشر الدعوة ، و تبليغ الرسالة إلى الملوك و الأمراء فى العالم من حوله ، و هكذا فعل ﷺ .

الخلفاء الراشدون يخططون للمستقبل :

و هكذا نجد من بعده - ﷺ - الصحابة و الخلفاء الراشدين يحسبون حساب المستقبل ، و يقابلون احتمالاته و توقعاته بما ينبغى من إعداد و حذر و كيف لا و قد قال تعالى :

« ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم » (سورة النساء الآية :) .

و هذا ما دعاهم فى عهد أبى بكر إلى كتابة القرآن الكريم فى مصحف بعد أن كان متفرقا فى صحف و مواد متعددة ، حينما استحر القتل بالقراء فى

معركة اليمامة وغيرها من معارك حروب الردة، فخشوا أن يتفاقم ذلك فى المستقبل فكانت كتابة المصحف .

و من ذلك موقف عمر من قسمة أرض العراق بعد فتحها و مطالبة بعض الصحابة الفاتحين أن تقسم عليهم، باعتبارها غنيمة لهم أربعة أخماسها . . . ورفض ذلك عمر و معه كبار الصحابة من أمثال على و معاذ رضى الله عنهم .

و كان عمر و من معه ينظرون إلى المستقبل ، مستقبل الأجيال الاسلامية القادمة إذا استحوذ الجيل الحاضر على مصادر الثروة ، فماذا يبقى لهم بعدها ؟ !

و لهذا قال عمر للصحابة الذين أرادوا قسمة أرض سواد للعراق عليهم باعتباره غنيمة لهم أربعة أخماسها ، كالمقولات : أتريدون أن يأتى آخر الناس و ليس لهم شئ ؟ !

ضرورة النظرة المستقبلية فى عصرنا :

و إذا كان الاستعداد للغد ، و التخطيط للستقبل ، واجباً فى كل حين ، فهو أوجب ما يكون فى عصرنا ، الذى يشهد من التغيرات الكبيرة و العميقة و السريعة ، ما لم تعرفه البشرية و لا عشر معشاره فى تاريخها الطويل .

فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى « رؤية مستقبلية « بجوار » الرؤية التراثية التى جعلت فريقاً منا سجناء الماضى .

و المستقبل فى جانب منه غيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، و لا ينبغى لنا أن نقحم أنفسنا فيه ، و ندعى ما ليس لنا به علم و لا لنا إليه سبيل .

و فى جانب آخر ، شئ يدخل فى مجموعة تحت الرصد و الحساب ، أشبه بعلم الأرصاد الجوية ، و التنبوء بما يتوقع أن تكون عليه حالة الجو فى أمد معين بناء على قواعد مدروسة ، و ظواهر معلومة .

و مثل هذا يقال بالنسبة للتنبوء بما يمكن أن تتطور إليه صناعة الحاسبات

الالكترونية (الكومبيوتر) و صناعة « الانسان الآلى » و طموح العلماء إلى اختراع « آلة متفوقه فى الذكاء » تفوق ذكاء الانسان أضعاف المرات ، و ماذا يتوقع من نتائج هائلة للثورة الالكترونية ، و ثورة المعلومات ؟ !

كما يقال ذلك بالنسبة لما برز فى السنين الأخيرة من بحوث قائمة على قدم و ساق فى مجال « الهندسة البيولوجية » أعنى : هندسة « المكونات الوراثية » و ما توصل إليه الباحثون من إمكان تغيير الخصائص و المكونات الوراثية للبكتريا ، وما يمكن أن يتمخض عنه ذلك من نتائج مذهلة تعتبر ثورة جديدة فى ميادين الطب و صناعة الأدوية و الزراعة و تكوين سلالات جديدة من الأحياء و النبات و أعجب من ذلك أن تدخل عالم الانسان !

كل هذه التوقعات المستقبلية لا ينبغى للانسان المسلم أن يغض الطرف عنها بدعوى أنها غيب لا يعلمه إلا الله تعالى .

فهذا من الغيب النسبى الذى وهب الله الانسان القدرة على اكتشافه فى دائرة السنن و الأسباب التى أقام الله عليها نظام هذا الكون ، و هو داخل فى إطار قوله تعالى : « علم الانسان ما لم يعلم » و هى أول ما نزل من القرآن .

و اعتقد أن ديننا ـ والواقعية من خصائصه العامة ـ يوجب علينا أن نحسب حساب هذه التغيرات الخطيرة ، و ندرس احتمالاتها و تأثيراتها علينا ، و موافقنا منها وما ينبغى أن نعد لها من المال والرجال ، و ما ينبغى أن تهيئ له الجامعات ومراكز البحوث ، ونظام التعليم كله ، من تطوير فى الأفكار والنظم والأساليب ، حتى تخرج الانسان المؤمن ، القادر على أن يعيش عصره ، من غير أن يفقد نفسه ، و ينسى أمسه ، و قد جاء فى الأثر : « رحم الله امرأ عرف زمانه ، و استقامت طريقته » ، و فى الحديث الذى رواه ابن حبان فى صحيحه : « ينبغى للعاقل أن يكون عارفاً بزمانه » .

مبدأ المساواة فى الاسلام

بقلم الدكتور عبد الحميد اسماعيل الانصارى
كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية
جامعة قطر

١- المساواة أمام القانون :

« ويقصد بها أن يكون الأفراد جميعاً - متساوين فى المعاملة أمام القانون » فلا امتيازات لأحد أو لطبقة .

و فى الاسلام أمير المؤمنين و الولاة و المحكومون كل أولئك متساوون أمام القانون و لقد كانت دعوة الاسلام للعدل دعوة للمساواة (١) فى قوله تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (٢) .

و قد أقر الاسلام هذا المبدأ ، فلم يجعل أى امتياز لأى طبقة بل جعل المسلمين جميعاً متساوين فى نظر الشريعة ، و لم يجعل الانساب أو الأحساب أو اللغات سببا من أسباب التفرقة .

ولو تتبعنا التاريخ الاسلامى منذ صدر الاسلام لوجدنا أن الشريعة طبقت على المسلمين جميعاً بدون تفريق بين عربى أو غيره مع أن المجتمع الاسلامى كان يضم أقواما من شعوب شتى (٣) .

---

(١) نظام الحكم الاسلامى د . محمود حلمى ص ١٧٥ .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٨ .

(٣) نظام الحكم فى الاسلام د . محمد فاروق النبهان ص ٢٠٨ .

صور المساواة أمام القانون :

١ – موقف الرسول ﷺ من المرأة المخزومية التى كانت شريفة (أميرة) فى قومها ، و سرقت حلياً و قطيفة ، و وجب عليها الحد ، فجاء أسامة بن زيد يتشفع فيها ، فرده ﷺ قائلا :

« يا أسامة أ تشفع فى حد من حدود الله » ؟ و قال :

« أيها الناس ، إنما ضل من كان قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، و إذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » (١) .

٢ – عمر رضى الله عنه ، نفذ الحد على ولده عبد الرحمن لشربه الخمر (٢) .

٣ – موقف عمر رضى الله عنه ـ من جبلة بن الأيهم الغسانى ، و كان من ملوك آل جفنة ، أسلم هو و قومه ، و حضر لزيارة عمر هو و أهله فى خمسمائة من أهل بيته ، فى كامل زينتهم ، ففرح به عمر كقوة جديدة للاسلام فأدنى مجلسه وخرج معه للحج ، و بينما هو يطوف حول الكعبة ، وطئ إزاره رجل من بنى فزارة فانحل الازار ، فضرب الفزارى على وجهه فحطم أنفه . فاشتكى عند عمر ، و أقر جبلة بما هو منسوب إليه ، فقال له عمر :

« إن الاسلام قد سوى بينكما ، فلست تفضله بشئ إلا بالتقى و العافية » قال جبلة : قد ظننت ـ يا أمير المؤمنين أنى أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية ، قال : دع عنك هذا ، فانك إن لم ترض الرجل اقتصصت منك ، فلما

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذر حديث رقم ١٠٤٦ ص ٢٧٨ .

(٢) مناقب عمر لابن الجوزى ص ٢٤٠ .

استيقن جبلة من ذلك ، فر هارباً إلى القسطنطينية و تنصر هو و قومه » (١) .

فعمر يحرص على تأكيد المساواة أمام القانون و لو أدى الأمر إلى فقد كسب كبير للاسلام من القوى المؤيدة له (٢) .

٢ ـ المساواة أمام القضاء :

و المقصود بها أن المواطنين فى نظر القضاء يتساوون وأن الجهة التى تفصل فى نزاعهم جهة واحدة .

أى أن المحاكم التى تفصل فى النزاع لا تختلف باختلاف مراكز الأشخاص المتقاضين أمامها . . .

فلا يجوز إنشاء محاكم خاصة لطبقة من الناس لسمو مكانتهم أو علو درجتهم (٣) .

و فى الديمقراطيات الحديثة ، تنشأ للحاكم محاكم خاصة و بشروط خاصة ، و الملك فيها لا يحاكم ، وأعضاء المجالس النيابية و رجال القضاء لا تجوز محاكمتهم إلا بشروط خاصة و فى ظروف معينة . . . و هذه أمور تخل بمبدأ المساواة .

و النظام الاسلامى ، هو النظام الوحيد الذى لا يستثنى احداً مهما كان

---

(١) القضايا الكبرى فى الاسلام » للاستاذ عبد المتعال الصعيدى ص ١٠٩ فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٤٢ .

(٢) الحريات العامة : د . عبد الكريم حسن العيلى ـ دار الفكر العربى ١٩٧٤ ص ٣٧٣ .

(٣) نظام الحكم فى الاسلام د . محمود حلمى ١٧٦ .
نظام الحكم فى الاسلام د . النبهان ٢٠٩ .

شأنه من المثول أمامه ، حتى و لو كان الخليفة ، كما أنه ليس هناك أمر ممتنع على القضاء (١) .

صورة المساواة أمام القضاء :

١ - كان الرسول ﷺ ، هو الجهة القضائية الوحيدة التى تملك حق الفصل فى النزاع ، كما يتبين ذلك من الحلف الذى عقده بين المهاجرين وبين أهل المدينة من المسلمين و اليهود وغيرهم من المشركين « ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده إلى الله و إلى محمد رسول الله » .

٢ - كان بين عمر و بين أبى بن كعب - رضى الله عنهما - خصومة ، فقال عمر: اجعل بينى و بينك رجلا ، فجعلا بينهما زيد بن ثابت - رضى الله عنه - فأتياه قال عمر أتيناك لتحكم بيننا ، و فى بيته يؤتى الحكم،فلما دخلا عليه ، وسع له زيد عن صدر فراشه ، فقال : ها هنا يا أمير المؤمنين ، فقال له عمر : هذا أول جور جرت فى حكمك ، و لكن اجلس مع خصمى ، فجلسا بين يديه ، فادعى أبى و أنكر عمر ، فقال زيد لأبى : اعف أمير المؤمنين من اليمين و ما كنت لأسألها لأحد غيره ، فحلف عمر ، ثم أقسم لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر و رجل من عرض المسلمين عند سواء (٢) .

٣ - افتقد على بن أبى طالب درعه فوجدها فى السوق عند يهودى فلم يأخذها

---

(١) راجع : مبدأ المساواة فى الاسلام : د . فؤاد عبد المنعم أحمد ص ٩٩ الحريات العامة د . عبد الحكيم حسن العيلى ص ٣٧٤

(٢) أخبار القضاة لوكيع بن حيان ت ٣٠٦هـ ١/١٠٨ .

منـــه قسرا ، و قال له : بيني و بينك قاضى المسلمين ، فتحا كما إليه ، لحكم القاضى لصالح اليهودى بسند الحيازة ، لأن الحيازة سند الملكية (١) .

٤ - أخذ عمر فرساً على سوم لحمل عليه فعطب ، فخاصم الرجل عمر فقال اجعل بيني و بينك رجلا ، فقال إني أرضى بشريح العراقى ، فتحاكما عنده و حكم شريح لصالح الرجل ، و قال لعمر :

« أخذته صحيحاً فأنت ضامن له حتى ترده صحيحاً سليماً ، فأدى عمر الثمن و ولى شريحاً القضاء » (٢) .

٥ - جاء رجل من مصر ، فقال يا أمير المؤمنين ، هـذا مقام العائذ بك ، قال عمر : و ما لك ؟ قال الرجل : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فلما رآها الناس . قام محمد بن عمرو فقال : فرسى و رب الكعبـــة ، فقلت : فرسى و رب الكعبة ، فقام إلى فضربني بالسوط ، و هو يقول : « خذها و أنا ابن الأكرمين » .

فو الله ما زاد عمر ، على أن قال له : اجلس ، ثم كتب إلى عمرو : إذا جاءك كتابي فأقبل و معك ابنك « فأقبل عمرو فى إزار و رداء - فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه ، ثم قال : أين المصرى ؟ فقال : ها أنذا ، قال : دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين ، اضرب ابن الأكرمين ، فضربه حتى أثخنه ، ثم قال اجعلها على صلع عمرو فو الله ما ضربك إلا بفضل سلطـانه ، فقال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى ، قال : أما و الله و لو ضربته ما حلنـا بينك و بينه .

---

(١) أخبار القضاة ٢/٢٠٠ ، الكامل لابن الأثير ٣/٤٠١ .

(٢) أخبار القضاة ٢/١٨٩ و كان هذا سبباً فى استقضائه .

ثم قال : « أيا عمرو متى استعبدتم الناس و قد ولدتهم أمهاتهم احراراً ،
ثم التفت إلى المصرى و قال :

« انصرف راشداً فان رابك ريب فاكتب إلى » (١) .

٦ - حدث فى عهد عمر رضى الله عنه أن يهودياً شكا إلى عمر ، عليا رضى الله عنه فلما مثل بين يديه ، خاطب عمر رضى الله عنه اليهودى باسمه بينما وجه الخطاب إلى علي بكنيتـــه، إذ ناداه كما جرت عادته - يا أبا الحسن فغضب علي ، فقال له عمر :

« أكرهت أن يكون خصمك يهودياً ، و أن تمثل معه أمام القضاء على قدم المساواة . فقال : لا ، ولـكنى غضبت لأنك لم تسو بينى و بينه ، بل فضلتنى عليه ، إذ خاطبته باسمه ، و خاطبتنى بكنيتى .

٧- كتاب عمر إلى أحد قضاء المسلمين (أبى موسى الأشعرى) :

« آس بين الناس فى وجهك و مجلسك و قضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، و لا ييأس ضعيف من عدالك » (٢) .

٨- انتهى فقهاء المسلمين إلى وضع شروط المساواة أمام القاضى فأوجبوا عليه أن :

أ- يستمع القاضى إلى الشاكى ، و يطلب المشكو فى حقه أمامه إلى مجلس القضاء ، دون تفرقة بين غنى أو فقير ، قوى أو ضعيف .

ب- يحقق عدالة الاجراءات القانونية ، فيسوى بين الخصوم فى هذه الاجراءات و فى إشارته و نظراته و مجلسه ، الخ .

(١) مناقب عمر لابن الجوزى ص ٩٩ .
(٢) مناقب عمر لابن الجوزى ١٣٣ .

ج ـ يحكم بالعدل : على أن هذا لا ينافى اختلاف العقوبة تبعاً لاختلاف ظروف المجرمين و لو كانت الجريمـة واحدة ، و لا ينافى وجود محاكم لكل نوع من الجرائم ، كمحاكم الأحداث (١) .

٣ـ المساواة فى الحقوق السياسية :

يقصد بالحقوق السياسيـة تلك الحقوق التى يشترك الأفراد بمقتضاها فى شئون الحكم و الادارة ، كحق الانتخاب و حق الاشتراك فى الاستفتاء و حق الترشيح لعضوية الهيئات البرلمانية أو رئاسة الدولة و حق التوظيف .

المساواة فى تولى الوظائف العامة :

ويقصد بها ألا تميز فئة من المواطنين على أخرى فى تقلد الوظائف بشرط توفر ما يتطلبه القانون لتقلد الوظيفة من مؤهلات ، ونجد فى الاسلام أن الأفراد يتساوون فى تلقد الوظائف العامـة طبقاً لكفاءتهم و علمهم و قدرتهم لا لسبب آخر ، و لا يخل بهـذه المسـاواة اشتراط الذكورة أو الأنوثة ، فتخصص بعض الوظـائف للرجال كالعسكرية ، أو للنساء كالتمريض ، كما لا يخل اشتراط شروط معينة فى طالب الوظيفة ، كالطول فى الوظائف العسكرية مثلا (٢) .

و فى الاسلام لم يفرق فى هذا الموضوع بين مسلم و آخر ، و أما عن « النسب القرشى » فذلك لظروف سياسية و اجتماعية و أمنية معينة .

و إذا كانت الأعراف و المصالح قد قضت بتحديد بعض الشروط المعينة فى الموظف المطلوب فان هذا لا يخل بمبدأ المساواة العامـــة لأنه مرتبط بالمصالح العامة ومثل ذلك يقال بالنسبة للمرأة وغير المسلمين بخصوص رئاسة الدولة (٣) .

(١) نظام الحكم الاسلامى د/ محمود حلمى .
(٢) نظام الحكم الاسلامى د/ محمود حلمى ص ١٧٧ .
(٣) نظام الحكم فى الاسلام د/ النبهان ص ٢١٤ .

٤ـ المساواة فى الانتفاع بالمرافق العامة :

فلا تميز عند أداء خدماتها بين الأفراد سواء من حيث نوع الخدمة أو المقابل الذى يدفع عنها (١) .

٥ـ المساواة فى العطاء :

فى الاسلام يعتبر الدولة مسئولة عن رعيتها ، فيجب أن ترفع من مستوام المادى عن طريق توزيع العطايا و الأموال المتوافرة فى بيت المال على أفراد الشعب و بخاصة الفقراء و اليتامى و غيرهم من المحتاجين .

يقول النبى ﷺ :

« من ترك كلا فالى الله » (٢) .

و النظام الاسلامى يعتبر الأول من نوعه فى العالم ، الذى فرض لكل فرد فى الدولة منذ أن ولد حتى يموت حقاً فى بيت المال إذ المعروف فى النظم المعاصرة أن الدولة لا تفرض من بيت المال مرتبات إلا للعاملين بها وكذلك لغير القادرين على العمل (٣) لذلك فرض عمر رضى الله عنه العطاء لكل مولود يولد فى الاسلام فقيراً أو غنياً . و يقول :

« و الله الذى لا إله إلا هو ، ما أحد إلا و له فى هذا المال حق أعطيه أو منعه » (٤) .

---

(١) نظام الحكم الاسلامى المرجع السابق ص ١٧٧ .

(٢) الأموال لأبى عبيد ص ٢٣٦ ، و الكل : الوالد الذى لم يترك له والده مالا .

(٣) الحريات العامة للميلى ص ٣٧٨ .

(٤) الخراج لأبى يوسف ص ٥٠ .

و لم يفرق بين المسلم و غيره ، لأن غير المسلم يشعر بالجوع كما يشعر به المسلم ، و كلاهما يشتركان فى الانسانية ، و الرحمـــة أعم من أن تختص بمسلم دون غيره (١) .

و مر عمر رضى الله عنه على شيخ يهودى يسأل ، فذهب به إلى منزله ، فأعطاه ، ثم أمر خازن بيت المال أن يجرى عليه من الصدقة و وضع عنه الجزية ، و فى رواية أخرى قال له « انظر هذا و ضرباءه ، فوالله ما أنصفناه ، إن اكلنا شبيته ثم نخذله عند الهرم » (٢) .

وفى كتاب خالد بن الوليد لما صالح أهل الحيرة ، و جعلت لهم : أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ، طرحت جزيته ، و عيل من بيت مال المسلمين و عياله ، ما أقام بدار الهجرة و الاسلام (٣) .

٦- المساواة فى التكاليف الاجتماعية :

ما دام الناس متساوين فى المغانم الاجتماعيـة فمن الواجب أن يتساووا فى الواجبات و التكاليف ، فالغرم بقدر الغنم .

و هذه لها مظهران :

الأول : المساواة فى أداء الضرائب :

ليس المقصود أن يتساوى مقـدار ما يؤديه كل فرد من الضرائب وإنما أن يتحمل كل فرد قدراً من الضريبة يتفق و مقدرته و حالته ، و من الممكن إعفاء

(١) نظام الحكم د/ النبهان ص ٢١٥ .

(٢) الخراج لأبى يوسف ص ١٣٦ .

(٣) الخراج لأبى يوسف ص ١٥٤ .

بعض الناس منها بسبب أعباء عائليـــة أو قلة موارد بشرط أن يكون ذلك وفق قاعدة عامة (١) .

و فى الاسلام نجد الزكاة و الخراج و الجزية و الغنيمة و الفئ و العشور و فيها جميعاً معنى الضريبة .

و يهمنا ـ الزكاة ـ فهى عبادة مالية فرضت على كل مسلم حر بالغ عاقل مالك للنصاب ملكا تاماً أى أنها تؤخذ بنسبة معلومة على قدر معلوم من الأموال و الحيوان و الزروع و الثمار ، فيتساوى المسلمون فى إخراجها بنسبـــة واحدة ، و كذلك الجزية تفرض بنسبة موحدة على الرؤوس .

الثانى : المساواة فى أداء الخدمة العسكرية :

و تقتضى هذه ألا يعفى أحد من الخدمة العسكرية لقاء دفع فدية أو بسبب الانتماء إلى طبقة أو لكونه يشغل منصباً ، بل تفرض هذه الخدمة و لمدة واحدة على كل من تتشابه ظروفهم عند ما يصلون إلى سن معينة .

و لا يتنافى معها أن يعفى البعض بسبب عدم الحاجة إليهم (٢) .

و الجهاد فى الاسلام فرض كفاية عند ما يكون العدو خارج البلاد ، أما إذا دخلها ففرض عين على الجميع .

المساواة المطلقة و المساواة النسبية :

المقصود بالمساواة المطلقة أن القانون يطبق على الجميع دون اعتبار للفروق القائمة بينهم و هذا ما يسمى بالعمومية المطلقـة ، و لكن هذه المساواة مستحيلة عملياً ، فالأفراد يتفاوتون فى القدرات و الاستعدادات و فى الشروط المطلوبة

(١) مبدأ المساواة فى الاسلام د/ فؤاد عبد المنعم ص ١١١ .

(٢) نظام الحكم الاسلامى ، السابق ص ١٧٨ .

لقانون من القوانين الصادرة و من هنا فقد يصدر قانون يتطلب شروطاً معينة ، وهذه لا تتوافر فى الجميع ، فمثلا قانون المحاماة يشترط أن يكون المواطن حاصلا على ليسانس و أن يكون غير مشتغل بالتجارة أو بوظيفة حكومية و أن يمارس المهنة تحت التمرين عند أحد المحامين بالنقض أو الاستئناف مدة سنتين على الأقل، فهذا القانون لا ينطبق على الجميع و إنما ينطبق على طائفة معينة ، و يجب أن يتساووا فى المعامله بينهم ما دامت الشروط توافرت فيهم وهذا ما يسمى (بالمساواة النسبية) و التى تكتفى بالعمومية النسبية (التجريد) و العمومية النسبية تتحقق بمجرد تجريد القانون من ذكر أشخاص المستفيدين ، الذين تنطبق عليهم شروطه (١).

المساواة القانونية و المساواة الفعلية (المادية) :

المساواة القانونية تعنى إتاحة الفرصة للجميع على قدم المساواة و لكن الناس يتمايزون فى الاستعدادات والقدرات العقلية و الجسمية ، و معنى ذلك أن يحصل تمايز و فروق بينهم ، و على ذلك فالمساواة القانونية لاتؤدى إلى مساواة فعلية ، و هذا ما دعا أصحاب المذاهب الاشتراكية إلى المناداة بالمساواة المادية الفعلية و مهاجمة المساواة القانونية التى تسبب فى مساوىء و ظلم لحق بفئات من الناس عن طريق تحكم أصحاب رأس المال من السيطرة على الحكم و استغلال العمال ، لكن المساواة المادية أمر غير ممكن فى دنيا الواقع ودليلنا اختلاف الواقع التطبيق عن النظريات (٢) فى المجتمع الشيوعى فهناك امتيازات خاصة للحزب و لقادة الحزب .

---

(١) النظم السياسية د/ ثروت بدوى ص ٤٤٥ .

(٢) مقتضى النظرية (من كل فرد حسب جهده و لكل فرد حسب حاجته) .

و الاسلام الحكيم حين نادى بالمساواة بين الناس ، عمد إلى ضمان حد أدنى من المعيشة للناس كافة فكفل لهم حاجاتهم الضرورية المتمثلة فى الغذاء و المسكن و الكساء ثم بعد ذلك أتاح الفرصة للجميع ليتنافسوا التنافس المشروع ويثاب كل حسب جهده وقدراته وإحسانه بناء على الفروق الفردية القائمة بينهم ، و أى ضرر فى ذلك ما دام الجميع قد ضمنت لهم معيشتهم الضرورية .

إقرار الاسلام لسنة التفاوت بين الناس :

إن الاسلام الذى فتح باب الفرصة لكل إنسان ، يقر التفاوت بين الناس فالناس يتفاضلون فى المزايا و القدرات و الكفاية و المؤهلات ، و الاسلام الحكيم لا يستطيع إذن أن يتجاهل حقيقة هذه الاختلافات فى الطبيعة البشرية .

فالمساواة الحسابية المادية التى ينادى بها أصحاب الاتجاه الاشتراكى هى مساواة بين غير متساوين، ولو تحققت ذلك لكان ظلماً اجتماعياً إذ يظلم أصحاب الكفاءة و يدفعهم إلى الخمول و بذلك يضعف الانتاج (١) .

فان الاسلام إذ يقرر المساواة بين الناس بغير تفرقة على أساس الأنساب و الألوان و الأجناس ، إلا أنه يراعى التفاوت و الاختلافات بينهم فيعطى المزايا النافعة حقها من الانصاف .

و أسباب هذه التفاضل كثيرة ، منها :

ما يتعلق بالعلم و العقل و الايمان و العمل .

« هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون » (٢) .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات (٣) .

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم (٤) .

« أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون » (٥) .

(١) راجع مبدأ المساواة فى الاسلام ص ١٢٢ ونظام الحكم الاسلامى ص ١٧٤ .

(٢) سورة الزمر الآية ٩ . (٣) سورة المجادلة الآية ١١ .

(٤) سورة الحجرات الآية ١٣ . (٥) سورة السجدة الآية ١٨ .

« قل لا يستوى الخبيث و الطيب و لو أعجبك كثرة الخبيث » (١) .
« لكل درجات مما عملوا . . . . » (٢) .

و منها ما يتعلق بأسباب الرزق و المعيشة بحسب الاستعداد الفطرى :

« و الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » (٣) .
« و لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن » (٤) .

و منها ما يتعلق بدرجة الجهاد :

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ، و المجاهدون فى سبيل الله بأموالهم و أنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين درجة » (٥) .

و منها ما يتعلق بطبيعة المرأة فى شأن القوامة :

« و لهن مثل الذى عليهن بالمعروف و للرجال عليهن درجة » (٦) .
« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم » (٧) .

و حتى الرسل تفاوتوا فى دعوتهم و صبرهم على قومهم و تحملهم الأذى فى سبيل الدعوة ، لذلك قال الله تعالى :

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات » (٨) .

---

(١) سورة المائدة الآية ١٠٠ . (٢) سورة الأنعام الآية ١٣٢ .
(٣) سورة النحل الآية ٧١ . (٤) سورة النساء الآية ٣٢ .
(٥) سورة النساء الآية ٩٥ . (٦) سورة البقرة ٢٢٨ .
(٧) سورة النساء الآية ٣٤ . (٨) سورة البقرة ٢٥٣ .

من وسائل الاعلام
الأدوات الصورية

فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء

تعريب : محمد إبراهيم الودولوى

السينما و صناعة الأفلام :

التلفزيون و السينما إنما ينتميان إلى أسرة الراديو والصحافة ، أما السينما فقد سبق وجودها وجود التلفزيون و كانت فى بداية أمرهـا صامتـــة بدون صوت و كانت الصور سريعة التحرك و التنقل ولكن لم يلبث أن انضمت إليها الصوت إلا أن إيجاد السينما كان بعد اختراع الكاميرا (آلة التصوير) و يكون فيها تمرير الصور بسرعة لا يكاد يشعر به المشاهد بل و إن التغييرات التى تحدث فيما بين الصور تبدو واقعاً متحركا فى صورة حقيقية عملية ، وهذا التمرير للصور يتأدى عن طريق تتابع الصور الفلميـــة الكثيرة التى يستمر و لا ينتهى فيها مسلسل مرور الصور بالاضافة إلى الفروق المتغيرة المتواصلة للتحركات و الكيفيات .

و لاعداد صور السينما تصطنع الوقائع و الأحداث و القصص والحكايات ثم تتخذ منها الأفلام التى تشتريها ملاك السينامات و يقدمونها على الشاشة .

مفعول السينما :

إن القصص والأحداث التى تقدم فى السينما تكون مؤثرة خلابة كما تكون المسرحيات و الروايات ، و لما أن السينما يزيد فيها عمل العين ـ و للمناظر فعلها فى القلوب و سحرها على العقول ـ تؤثر تأثيراً بالغاً على أخلاق الناظرين ووجدان

المشاهدين بل إن التجربة تشهد بأن أكبر تأثير على أخلاق و سلوك حاضر الحياة العامة يرجع إلى أفلام السينما وتقام دور السينما، بصورة عامة لتحقيق أهداف اقتصادية، فتغلب فيها كذلك الأهداف التجارية على الأغراض الأخرى ولا يخطر على بال أحد هل تترك هذه الأفلام تأثيراً حسناً أم سيئاً على الحياة الاجتماعية، وإن الطرق التى تتبع لروعتها وخلابيتها لا تترك أى مجال ليترتب معها التأثيرات الحسنة و البناءة .

النزعات الهدامة و آثارها :

لا يدخر ملاك السينما و مديروها أى وسع فى استغلال نزعات الانسان الحيوانية فى هذه الأيام و يقومون بانتاج الأفلام التى تحتوى على وقائع و مناظر تؤثر عن هذا الطريق، ومن هذا الجانب فيكسبون بذلك فوائد مادية، وقد نتج عن كل ذلك فى اليوم ما نراه من عموم تقديم صور العشق و المحبة و الخلاعة الخسيسة و تقديم مناظر القتل و الفتك والضرب والانتقام التى يعجب بها الشعب والشباب و ينجذبون إلى مثل هذه الميول شيئاً فشيئاً بدون قصد، و المجتمع يتخذ السيئات وطيرة لحياته و هو يعتبرها أنها سيئات، و أما الآن فقد تحولت صناعة السينما بعد أن نالت قبولا و إعجاباً عاماً إلى الصناعات القومية التى تشرف عليها الحكومات، ولكنها تعجز عن فرض أى حد أو قيد على صناعة السينما لأسباب مادية فتتركها سائمة حبلها على غاربها .

مما يمكن أن يستفاد من الأفلام :

لو تخذنا ضابطاً و تحديداً للافلام و الأدوات المصورة لتمكنا من فرص كثيرة للاستفادة منها و استخدامها فى أهداف صالحة بناءة فقد يمكن استخدامها فى تدريس العلوم الضرورية و نستطيع أن نعثر على أحوال الغابات الخطيرة و نحن

فى المدينة و فى البيت ، و نعرف تحركات الأعداء بدون أن ننزل فى ساحة المعركة ، و كثير من معارف العلوم و الجغرافيا و المعلومات العامة التى لا يسعنا مشاهدتها لكثير من المشاكل نستطع أن نشاهدها بأم أعيننا عن طريق الأفلام، و لكن استخدامها فى هذه الأهداف لا يجلب صانعى الأفلام ومنتجيها و المديرين لها أرباحاً تجارية و مكاسب مادية لأن تلك الموضوعات تكون جافة مملة غير أخاذة ممتعة حتى يسرع إليها الناس و يتهافتوا عليها فى كمية ضخمة كعادتهم فى الأفلام الأخرى، إلا أن السلطة الحاكمة تستطيع أن تضم هذا العمل المفيد إلى كثير من أعمالها الأخرى وتفرض الحظر على نوعية استخدام الأفلام الذى يضر بالأخلاق و السلوك أو على الأقل تستطيع أن تضعف هذا الجانب وتقلل منه .

التلفزيون و تأثيره :

إن الراديو الذى كان يبث الصوت وحده فى أمكنة مختلفة من غير تذرع بالأسلاك استطاع أن تنشر الصور عن طريق الشاشة فى عدة أماكن مع الصوت و قد لقى هذا النوع الجديد من الراديو أيضاً رواجاً و شيوعاً فى معظم الطبقات و الأوساط نظرا إلى ميزته هذه، وقد أطلق عليه فى اصطلاح الصناعة و الانتاج لفظة «التلفزيون» وقد أدى ذلك إلى أن السينما التى كانت تقتصر فى دار خاصة و لم تكن مشاهدتها بالمستطاع إلا بعد الذهاب إليها و اشتراء التذاكر لها تسنت لكل واحد فى بيته باشتراء جهاز التلفزيون فقط، و على ذلك فان التأثيرات التى كانت تترتب على الذين يذهبون إلى دور السينما و يشاهدون بها الأفلام بدأت تترتب اليوم على كل بيت و أسرة و راحت الحياة الاجتماعية تتأثر على نطاق أوسع بتلك الميول و المشاعر التى تعرض عن طريق السينما و التلفاز ، و إن كان التلفزيون تسيطر عليه الحكومات سيطرة كاملة و يكون تابعاً لها مطلقاً إلا

أن الحكومات التى لا تفرض أى حد على عمليات الهدم من أفلام السينما نقيها فى التلفزيون و لا تفرض عليها كذلك حداً يعتد به ، و أكبر سبب فى ذلك أن أفراد الاحزاب الحاكمة أو من يتولون الحكم مستقبلا قد تم تكوينهم وتربيتهم فى مثل هذا النظام من التربية و التعليم الذى لا يهتم بالتكوين السليم و السيطرة الطيبة للانسان و لا يعيرهما أهمية كثيرة و إنما يتخذ من شهواته الغريزية ولذاته الدنيئة أداة للحصول على أهداف مختلفة .

التسجيل :

وبعد أن تطورت وسائل الصوت جاءت مرحلة اختراع التسجيل فاخترعت صفائح التسجيل التى تسمى ديسك ريكارد و بالتالى سيور التسجيل التى تسمى كاسيت ، وشاعت و استخدمت فى الراديو و هرع الناس إلى شرائها و الاحتفاظ بها فى بيوتهم ، و بذلك فهم يقيدون برامج الصوت فى مسجلاتهم و يسمعونها حسب رغباتهم متى ما شاؤا .

الفيديو :

و لم يتوقف هذا التطور إلى هذا الحد بل اخترعت طريقة تسجيل المناظر و المشاهد و أوجدت لها مسجلات و جعلوا يشاهدون تلك المناظر و يسمعون الاصوات بعد تركيبها فى جهاز التلفزيون ، و عرفت هذه الصناعة الحديثة بالفيديو و قد قام هذا الاختراع بتوسيع وتعميم تلك المضار و عمليات الهدم التى ذكرناها سابقاً و التى كانت خصيصة التلفزيون و السينما بحيث إن الانسان جعل يحتفظ بتلك المناظر التى يتم عرضها عن طريق السينما و التلفزيون ثم تنتهى بعد العرض حتى يتمكن من مشاهدتها مراراً وتكراراً كلما ترغب إليها النفس ويجعل العقل والقلب يمتنعان و يتأثران بآثارها .

بعض الوسائل الأخرى للتربية و الافادة

إسهام المكتبات فى نشر العلم و الحضارة :

تحمل المكتبات أهمية قصوى فى المجال الاجتماعى للتعليم و التربية و لعلنا لا نخطئ إذا قلنا إن للمكتبات مساهمة كبيرة فى تربية العقول و الأذهان وتكوينها و تشكيل الميول و النزعات و تصنيفها .

إن الشعوب المتمدينة فى العالم الجديد يبتنى أساسها أصلا على المكتبات ، فبها ازدهار حضارتها و ميزة تقدمها ، و إلا فان الجهود و التجارب الفردية و المشاهدات الشخصية لا تقدم دعما كبيراً فى رقى الحضارات والمدنيات و تطور العلوم و الفنون بل إنما تكون جهود الأسلاف و تجارب الماضى أساساً جذرياً و تقوم عليها صروح التقدم و التطور و التوسع و نجد ذلك الرصيد من جهود الماضى فى غضون الكتب التى تودع فى بطون المكتبات على أقسامها و أنواعها و مراتبها .

فالذين يدرسون تلك الكتب يطلعون على رصيد ضخم ، و عميق واسع وهام من العلوم والفنون ويوفرون لقلوبهم وعقولهم قوة ، و لاتجاهاتهم ذخيرة.

دور المكتبات فى تكوين الأذهان :

البيئات التى تعنى بالمكتبات و تزخر بالمستفيدين منها تتمتع المكتبات فيها بمساهمة كبيرة فى تكوين الأذهان ، فالراغبون يدرسون الكتب و لا يستفيدون منها عملياً فحسب بل و يتأثرون كذلك بمحتوياتها و آراء مؤلفيها و أفكارهم بدون أن يشعروا ، و تتجه أفكارهم إلى جهات تحددها لها تلك الكتب و أحياناً يستهدف المقيمون للمكتبات و مديروها أن الناس سوف يستمدون من رصيدها وذخائرها العلمية فى تربية أذهانهم والوصول إلى نتائج محددة ، ولذلك لا يستطيع

أصحاب المكتبات أن يكونوا غير منحازين فى اختيار الكتب بل يوجد لديهم نوع من الانحياز قليلا أو كثيراً، حتى إن الذين يضعون نصب أعينهم نشر العلوم و تعميمها يتم عمل اختيارهم للكتب عن تقيده إلى حد بعقليتهم الخاصة ، فمثلا الذين يدعون مجرد خدمة العلم يحاولون أن ينحصروا على علمهم الخالص وحده و يرضون بضم العلوم المعارضة لدياناتهم و لكنهم يسلكون معها سلوكا مغايراً، و على العكس كذلك ، و نتيجة لهذين الاتجاهين يتأثر المستفيدون من المكتبات بالنزعات و الميول التى تحتضنها المكتبات و تمدها .

سلوك عدم الانحياز بالنسبة للمكتبات :

. فيما سوى تلك المكتبات التى تتسم بالانحياز إلى حد نجد كثيراً من المكتبات التى تتبع سلوك عدم الانحياز إلى حد كبير و قد قبلت المكتبات فى عصرنا الحاضر بعد أن اتسعت و تطورت ، هذه الطبيعة إلى حد كبير .

المكتبات الشخصية :

من المعهود سلفاً إقامة المكتبات الشخصية الخاصة إلى جانب المكتبات العامة الشعبية ، فالذين يحتاجون إلى الاستفادة من المكتبات بصفة الديمومة يقتنون من الكتب حسب هواياتهم و رغباتهم و يكونون منها لأنفسهم مكتبة ذاتية و يرجعون إليها كلما تلجئهم الحاجة ، وعند ما يحتاجون إلى ما ليس لديهم فى المكتبة يرجعون بحثاً عنه إلى المكتبات العامة .

أهمية المكتبات العامة :

تقوم بعض الأحيان مكتبات ضخمه اعتماداً على جهود فردية ، و يمكن ذلك و ليس من المستحيل و لكنها على الرغم من عدم الاستحالة لا تبلغ سعة المكتبات العامة ، وذلك أن المكتبات العامة تنضم إليها جهود الكثيرين وتتضافر

مساعيهم فى إقامتها، ثم إن الحكومات على وجه عام هى التى تدعمها وتشرف عليها. فعند ما تشرف عليها الحكومة فقد تتسع المكتبة وتشتمل على مآت الألوف من الكتب، و عندئذ يستفيد منها أرباب الأذواق و الهوايات المختلفة و الموضوعات المنوعة على حد سواء و تتحقق بها حاجة كبيرة للامة و البلاد.

إن الأسرة المستفيدة من المكتبة تفتعل و تتأثر بالطبيعة العامـة للكتب الموجودة فيها وتجد النزعات الأخلاقية و ميول الذوق والهواية لها اتجاهاً خاصاً.

إدارة المكتبة فن :

قد تحولت أعمال إقامة المكتبات و إدارتها فناً مستقلا و يجرى لها تعليم على منهج مستقل و مقرر دراسى يسهل بعد تعلمه و تلقيه إدارة المكتبات وترتيبها على طريقـة مفيدة أكثر، فان تصنيف الكتب و ترتيبها و وضع الفهارس لها و طريقة تعريف الجديد و المفيد منهـا أصبح كل ذلك علماً مستقلا، و حينما تتبع تلك الطرق تزيد نفعية المكتبة و يسهل كثيراً على المتعاودين المستفيدين منها ليجدوا طلبتهم من الكتب حسب هواياتهم و موضوعاتهم.

وضع الفهارس :

إن المتخصصين يعبرون عن فن المكتبة، بعلم المكتبة وتتم فيه عملية وضع الفهارس كما هو الطريقة السائدة و المتبعة حالياً على ترتيب أول حرف هجائى من اسم الكتاب و مؤلفه، و بعضهم يضمون إلى ذلك فهرساً باعتبار اسم الفن أيضاً، و على ذلك لا يصعب على الراغب فى الكتاب الوصول إلى بغيته إذا كان يتذكر شيئاً عن اسم الكتـاب أو المؤلف أو الفن حسب الطريقة المذكورة عاليه، و يتبع لوضع الفهارس نظام البطاقات فتفرد لكل كتاب بطاقة خاصة على الترتيب الذى أمضينا ذكره.

الجهاز العلمى للمكتبة :

يعين فى المكتبات جهاز إدارى يساعد فى الوصول إلى الكتاب المنشود ما عدا الخدمات العامة ، بل و فى بعض الأحيان يخصص فيها العاملون الذين يعينون فى تحديد الكتب وفق الفنون فيتيسر بهم هـذا العمل الذى يشكل فى بعض الأحيان صعوبة كبيرة

المكتبة بمثابة مدرسة :

إن المكتبة مركز يصح أن يعبر عنه نظراً إلى بعض جوانبها و خصائصها بالمدرسة ، وذلك أنها إذا كانت المدرسة يقوم فيها بأعمال التربية و التعليم أساتذتها فنى المكتبة يؤدى هذا الواجب كتبها التى تمثل كتابها و مؤلفيها على طريقة غير مباشرة ، و بذلك كل مؤلف و كاتب يقوم بواجب الأستاذ و المعلم عن واسطة الكتاب و التأليف .

فاذا كانت إدارة المكتبات على طريقة فنية و عن هدف بناء فليس للشك مجال أنها تستطيع أن تقدم خدمة جسيمة و دوراً جليلا فى ميدان التربية الاجتماعية كذلك .

« يتبع »

موقف العلماء من التأمين التجارى

—(٣)—

الأستاذ : محمد صدر الحسن الندوى

المبحث الثانى
أدلة المحرمين للتأمين

١- التأمين و القدر الالهى :

قال الله تعالى : « إنا كل شئ خلقناه بقدر » (١) قد رأى بعض الباحثين (٢) فى هذه الآية الكريمة و أمثالها دليلا على تحريم التأمين على أساس أن التأمين يتضمن إنكاراً للقدر أو هو على الأقل تحد لقضاء الله و قدره واجتراء عليه عن طريق التغنى بالقواعد الفنية للتأمين وحساباته الدقيقة، بينما لا يملك أحد أن يمنع قضاء الله و قدره .

٢- التأمين و الغرر :

ذهب فريق (٣) من الباحثين إلى أن عقود التأمين التى تبرمها شركات

(١) سورة القمر الآية : ٤٩ .

(٢) أحمد الخريمى فى بحثه لمجمع البحوث (نقلا عن أحكام التأمين ٢١٤) .

(٣) الدكتور حسين حامد حسان فى كتابه حكم الشريعة الاسلامية فى عقود التأمين ٥٣ - ودكتور جلال مصطفى صياد فى الاقتصاد الاسلامى ٥٢١- و الشيخ محمد أبو زهرة فى أسبوع الفقه الاسلامى ٥٢٧ والدكتور عيسى عبده فى كتابه العقود الشرعية ١٦٠ - و الدكتور الصديق محمد الأمين الضرير فى كتابه الغرر و أثره فى العقود فى الفقه الاسلامى ٦٥٠ والشيخ عبد الله القلقيلى فى أسبوع الفقه الاسلامى ٤٢٠ و الدكتور عبد الناصر توفيق العطار فى كتابه أحكام التأمين ٢٢٦ - و الدكتور ياسين أحمد ابراهيم درادكه فى كتابه نظرية الغرر فى الشريعة الاسلامية ٢/٣٠٥ -

التأمين مع المؤمن له عقود مفاوضات مالية تتضمن غرراً كثيراً أو فاحشاً فتبطل، و بذلك يكون عقد التأمين باطلا و حراماً ، أما عقود التبرعات فلا يبطلها الغرر لأن المعقود عليها فيها لا يقابله عوض فلم يكن هناك ضرر فى عدم استيفائه .

٣ـ التأمين و الرهان أو المقامرة :

ذهب فريق من الباحثين (١) إلى تحريم عقد التأمين بدليل أن العقود التى تبرمها شركات التأمين تعد قماراً و مراهنة ، و القمار و المراهنة حرام شرعاً باتفاق فقهاء الشريعة ، فيكون التأمين حراما باتفاق ، و كون التأمين قماراً ومراهنة يبدو واضحاً من تعريف كل من القمار و المراهنة و بيان خصائصهما الجوهرية ثم إثبات دخول عقد التأمين تحت هذا التعريف و توافر هذه الخصائص فيه .

* و الشيخ عبد القادر عطا فى كتابه هذا حلال و هذا حرام ٤١٢ ـ و عبد الله ناصح علوان فى كتابه حكم الاسلام فى التأمين ٤٤ و السيد عروج أحمد قادرى فى كتاب الأستاذ مصلح الدين « Insurance and Islamic Law » . P 155 .

(١) الدكتور حسين حامد حسان فى كتابه حكم الشريعة الاسلامية فى عقود التأمين ٨٢ ـ و الدكتور جلال مصطفى صياد فى الاقتصاد الاسلامى ٥٣٠ ـ و الشيخ محمد بخيت المطيعى فى فتواه ـ و الشيخ محمد أبو زهرة فى أسبوع الفقه الاسلامى ٥٢٨ والشيخ عبد الله القلقيلى فى أسبوع الفقه الاسلامى ٤٢٠ ، و الشيخ أحمد ابراهيم فى بحثه لمجلة الشبان المسلمين ١٢ عدد ٢ فى ٧ نوفمبر ١٩٤١ ـ و المفتى محمد شفيع فى كتابه جواهر الفقه ٣٥١/٢ مكتبة دار العلوم كراتشى باكستان ١٤٠٣ ـ و الشيخ عبد القادر عطا فى كتابه هذا حلال و هذا حرام ٤١٢ دار الاعتصام القاهرة ـ و العلامة المودودى فى كتابه بينكنك اور انشورنش ٨ ـ و الأستاذ نعيم الصديق فى كتابه بيمه زندكى ٢٩ وعبد الله ناصح علوان فى حكم الاسلام فى التأمين ٤٤ و الدكتور عيسى عبده فى كتابه العقود الشرعية ١٦٠ .

٤ـ التأمين و الربا :

ذهب فريق من الباحثين (١) إلى تحريم التأمين بدليل أن التأمين تتضمن الربا و ذلك من ثلاثة وجوه :ـ

الأول : أن عقد التأمين هو اتفاق بين شركة التأمين و المستأمن ، بمقتضاه يتعهد المستأمن بأن يدفع مبلغاً من المال دفعة واحـــدة أو على أقساط دورية ، فى مقابل أن ترد إليه شركة التأمين عند وقوع الخطر مبلغاً آخر من المال قـــد يكون مساويا لما دفعه أو أكثر أو أقل منه ، فان كان مساوياً كنا أمام ربا النساء و إن كان أكثر كنا أمام ربا الفضل و النساء معاً .

الثانى : إن عقد التأمين على الحياة لحالة البقاء يتضمن تعهد الشركة بأن ترد للمستأمن فى حالة بقائه حياً إلى المدة المحددة فى العقد الأقساط التى دفعها مدة العقد مضافا إليها فائدة ربوية .

(١) عبد الله ناصح علوان فى كتابه حكم الاسلام فى التأمين ٤٤ و الدكتور عبد الناصر توفيق العطار فى كتابه أحكام التأمين فى القـانون المدنى و الشريعة الاسلامية ٢٢٩ و الأستاذ محمد الغزالى فى كتابه الاسلام و المناهج الاشتراكية ٢٣٢ ـ و الشيخ عبد الله القلقيلى فى أسبوع الفقه الاسلامى ٤٢٠ ـ و الشيخ محمد أبو زهرة فى أسبوع الفقـــه الاسلامى ٥٢٧ و الدكتور جلال مصطفى صياد فى الاقتصاد الاسلامى ٥٣٠ و الدكتور حسين حامد حسان فى كتابه حكم الشريعة الاسلاميـــة فى عقود التأمين ٨٩ ، و العلامـــة أبو الأعلى المودودى فى كتابه بنيكنك اور انشورنش ٨ ، و الأستـاذ نعيم صديقى فى كتابه بيمه زندكى ٢٩ - و الشيخ عبد القادر عطا فى كتابه هذا حلال و هـــذا حرام ٤١٢ و المفتى محمد شفيع فى كتابه جواهر الفقه ٢/٣٥١ و الدكتور عباس حسن محمد فى كتابه الفقه الاسلامى آفاقـــه و تطوره ٩١ ـ و الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى كتابه الاسلام و نظريته الاقتصادية : ١٣١ .

الثالث : إن أكثر العمليات التى تقوم بها شركات التأمين تقدم على أساس الربا ، فهى تستثمر أموالها فى سندات بفائدة و تقرض منها بضمان وثيقة التأمين بفائدة .

٥- التأمين و بيع الدين بالدين و عقد الصرف :

ذهب بعض الباحثين (١) إلى تحريم التأمين بدليل أن عقد التأمين يتضمن بيع دين بدين فيبطل ، لأن بيع الدين بالدين باطل باتفاق الفقهاء و إنما كان عقد التأمين بيع دين بدين ، لأن المستأمن يتعهد فيه بدفع أقساط التأمين و هى دين فى ذمته ، لأنه لا يدفعها فى مجلس العقد ، بل يدفعها بعد العقد على أقساط دورية فى مقابل تعهد شركة التأمين بدفع مبلغ التأمين و هو دين فى ذمة شركة التأمين أيضاً ، فكان هذا العقد بيع دين فى دين فيبطل شرعاً ولأنه عقد صرف إذ هو إعطاء نقود فى سبيل نقود فى المستقبل وعقد الصرف لا يصح إلا بالقبض .

٦- التأمين و الميراث :

ذهب بعض الباحثين (٢) إلى عدم مشروعية التأمين بدليل أن عقد التأمين هذا يخالف قوانين الميراث ، لأنه لو اشترط مبلغ التأمين فى التأمين على الحياة لصالح المستفيد - و هذا من حقه - فان جميع المال يذهب لهذا المستفيد و لم يكن للمتوفى مال غيره و لا حق لورثته فى الاعتراض ، و كذلك يجوز للمؤمن

(١) دكتور حسين حامد حسان فى كتابه حكم الشريعة الاسلامية فى عقود التأمين ٩٠ و الشيخ محمد أبو زهرة فى أسبوع الفقه الاسلامى ٥٢٧ و الشيخ عبد الله القلقيلى فى أسبوع الفقه الاسلامى ٤٢٠ .

(٢) الصديق محمد أمين الضرير فى أسبوع الفقه الاسلامى ٤٥٥ و السيد عروج أحمد قادرى فى كتاب الأستاذ مصلح الدين :

Insurence and Islamic Law : P. 155 .

له أن يعين مبلغ التأمين لبعض ورثته دون بعض و فى هذا بخس لحق بعض الورثة ، و من الواجب أن يقسم هذا المال بين الورثة أو يتوقف الزائد على ثلث الشركة على إجازتهم لو اعتبرنا المستفيد موصى له .

٧ - التأمين و الشروط الفاسدة :

ذهب بعض الباحثين (١) إلى تحريم التأمين بدليل أن كثيراً من شروط عقد التأمين مبهم و غامض و فى مصلحة المؤمن فحسب و بعضها فاسد يتنافى مع الشرع كاشتراط فوائد ربوية لأقساط التأمين و اشتراط سقوط حق المؤمن له فى مبلغ التأمين إذا لم يخبر المؤمن مثلا بوقوع الخطر فى حينه أو لم يخبره بتفاقم الخطر و اشتراط عدم انصراف المؤمن له بالمسئولية للضرور و اشتراط نصيب للمستفيد و بعض الشروط الفاسدة مما يبطل عقد التأمين .

٨- التأمين و أكل أموال الناس بالباطل :

ذهب بعض الباحثين (٢) إلى تحريم التأمين بدليل أنه عقد فيه أكل مال بالباطل ، لأنه عقد معاوضة لا تبرع فيه ، و قد تضيع معظم الأقساط على المؤمن ، كما قد يضيع مبلغ التأمين مع المؤمن له فلا يقبض أحدهما عوضاً لماله ، و الرضا فى التأمين لا يجعله حلالا كالتراضى على الربا لا يجعله حلالا .

---

(١) دكتور عبد الناصر توفيق العطار فى كتابه أحكام التأمين فى القانون المدنى و الشريعة الاسلامية ٢٣٢ - و الشيخ عبد الله القلقيلى فى أسبوع الفقه الاسلامى ٤٢٠ و الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه الحلال و الحرام : ٢٥٥ .

(٢) دكتور عبد الناصر توفيق العطار فى كتابه المذكور ٢٣٣ - و عبد الرحمن تاج فى مجمع البحوث و محمد الجواد الصقلى فى بحثه المشار إليهما فى الكتاب المذكور للدكتور عبد الناصر ٢٣٣ و خالد عبد الرحمن أحمد فى التفكير الاقتصادى للاسلام : ١٣٩ .

أسلوب تعليم اللغة العربية فى المدارس الدينية

و هل يحتاج إلى تطوير أو تغيير ؟ (١)

فضيلة الشيخ وصى مظهر الندوى

تاريخ المدارس الدينية فى باكستان و الهند :

نظرة عاجلة فى تاريخ المدارس الدينية تكشف لنا دور المدارس الدينية فى تعليم اللغة العربية فى شبه القارة الهندية التى مضت عليها ثلاثة أدوار سياسية أثرت على مناهجها أثراً ملموساً .

الدور الاول هو عهد حكومة المسلمين فى شبه القارة ، و الدور الثانى هو عهد حكومة الانجليز ، والدور الثالث هو عهد الاستقلال وعهد تأسيس باكستان.

الدور الأول :

المدارس الدينية فى عهد حكومة المسلمين كانت مدارس تجمع بين تعليم العلوم الدينية من تفسير و فقه و حديث و كلام و غير ذاك من العلوم و بين تعليم العلوم العامة مثل المنطق و الفلسفة و التاريخ و الجغرافية ، و الهندسة ، و الحساب ، و الطب وما إلى ذلك من العلوم ، لأن هذه المدارس هى التى كانت تسد حاجة المسلمين إلى علماء الدين المتخصصين فيه ، و كذلك كانت تهتم باعداد رجال للحكومة كالعمال و القضاة . و الجباة ، و أمراء الاجناد والسفراء ، و الكتاب ، و الحجاب ، وغيرهم .

---

(١) بحث قدم فى المؤتمر الدولى لتطوير تعليم اللغة العربية فى باكستان ، عقدته جامعة العلامة اقبال المفتوحة ، فى ٢٨-٢٩ من شهر مارس المنصرم (عام ١٩٨٨م) .

فلم يكن إذ ذاك مدارس رسمية أو حكومية خاصة تعنى باعداد عمال الحكومة فقط، بل المدارس التى نعرفها اليوم بالمدارس الدينية هى التى كانت تهتم بتعليم العلوم العامة مع العلوم الدينية فى وقت واحد، لأن المجتمع الاسلامى إذ ذاك كان لا يؤمن بعزل الدين عن السياسة و لا بالتفريق بين الدين و الدنيا.

و لما كانت العلوم الدينية و العلوم العامة كلها باللغة العربية كانت المدارس الدينية تهتم بتعليم هذه اللغة كوسيلة إلى تعلم العلوم لا كلغة حية، يتوسل بها الانسان إلى إظهار ما يختلج فى صدره من أفكار و عواطف و حاجات كثيرة كتابة أو كلاماً.

و كانت المدارس الدينية تهتم بتعليم اللغة الفارسية كلغة حية، لأنها كانت لغة رسمية، يحتاج عمال الحكومة إليها فى توقيعاتهم، و مكاتباتهم، و خطاباتهم و محادثاتهم، فتعتنى المدارس باللغة الفارسية حق الاعتناء و تبذل كل جهدها فى تربية ملكة الكتابة و الخطابة فى خريجيها.

و لم تكن علاقة المسلمين السياسية فى الهند مع العرب قوية لأن الملوك و الأمراء و الجنود كانوا من المغول أو الأتراك، أو الأفغان أو من الايرانيين، ولا شك فان هذه المدارس فى الدور الأول قامت بأداء واجبها أحسن قيام فكفت الشعب فى إعداد علماء الدين و عمال الحكومة طوال القرون الماضية من عهد حكومة المسلمين.

الدور الثانى :

و أما فى الدور الثانى و هو عهد حكومة الانجليز فلما كان العلماء هم قادة حركة الثورة ضد الانجليز و حركة الحرية و الاستقلال و كانت المدارس الدينية مراكز الجهاد و المقاومة ضد الاستعمار فلم تعترف المدارس بحكومة الانجليز إلى

مدة طويلة و لم تغير فى مناهجها و مقرراتها أى تغيير ، حمية و غيرة

و لا زالت كذلك طوال حكومة الانجليز حصوناً للثقافة الاسلامية وملجئاً لحضارة الاسلام ، نعم ، قلت فى هذا العهد عناية هذه المدارس بالعلوم العامة لأنها لم تعد محتاجة إليها للوصول إلى مناصب الحكومة زمن الانجليز .

و لما يئس المسلمون من نجاح حركة المقاومة قام فيهم بعض زعمائهم ودعوهم إلى الاستفادة من علوم الغرب و إنشاء مدارس و كليات ، و جامعات لتعلم اللغة الانجليزية و علوم الغرب ، مع إلمام بشئ من علم الدين .

وبعد ما رأى بعض أهل النظر أن جمود المدارس الدينية وخضوع المدارس الجديدة أمام ثقافة الغرب تفريط و إفراط لاينتجان إلا ثماراً و خيمة أسسوا مدرسة دينية على طراز جديد وغيروا المناهج واستبدلوا المقررات القديمة و أدخلوا تحسينات فى أساليب التعليم للعلوم الدينية و اللغة العربية ، و كذلك اعتنوا بتعليم الانجليزية و بعض العلوم العامة و الاجتماعية ، و سموا هذه المدرسة بدار العلوم لندوة العلماء .

و الناس اليوم كلهم معترفون بفضل دار العلوم لندوة العلماء خاصة فى حقل تعليم اللغة العربية بأساليب جديدة خلقت فى المتخرجين منها ملكة الكتابة و المحادثة باللغة العربية بطلاقة و فصاحة .

الدور الثالث :

و أما الدور الثالث و هو عهدنا هذا ، فيسرنى أن اعترف بأن المدارس الدينية فى باكستان اعترفت بتغير الظروف فى أسرع وقت ممكن و علم القائمون عليها بأن الانجليز قد رجعوا أدراجهم و تأسست مملكة باكستان كجمهورية إسلامية ، وإن صلات شعب باكستان مع العرب سوف تزداد وتتقوى فلا بد من الاقبال على

تعليم اللغة العربية بأساليب نافعة تؤهل المتعلمين للترسل والمحادثة و إرتجال الخطب و المحاضرات باللغة العربية ، فغيروا المناهج و المقررات وحسنوا الأساليب وطرق التدريس ، وأحسن مثال لهذا التغيير والتطوير هو مدرسة « نيو تاؤن » الاسلامية بكراتشى فانها استعانت بالكتب الجديدة لتعليم النحو و الصرف و الأدب وأيضاً استقدمت أساتذة من العرب لتعليم اللغة .

و لا تكاد تجد فى باكستان مدرسة دينية لم تغير مناهجها لتعليم اللغة ، لذلك نرى أن المتخرجين منها اليوم يقدرون على الكتابة و الحوار بالعربية على ما لا يقدر عليه المتخرجون من المدارس الدينيـــة قبل تأسيس باكستان ، اللهم إلا الندويين فان لهم سبقة فى هذا الحقل لا تنكر و ذلك لأن دار العلوم لندوة العلماء اهتمت بتعليم اللغة العربية من أول يومها اهتماماً بالغاً ، واستوفدت إليها أساتذة من العرب مثل الشيخ محمد تقى الدين الهلالى و الأستاذ محمد المراكشى فنبغ من خريجى هذه الجامعة من العلماء و الأدباء و الكتاب والشعراء باللغة العربية الذين يستشهد بكلامهم و كتاباتهم مثل الأستاذ مسعود الندوى والشاعر المجيد الأستاذ عبد الرحمن الكاشغرى والأستاذ الكبير السيد سليمان الندوى والأستاذ محمد ناظم الندوى و الخطيب المصقاع و الكاتب الجليل و المجاهد الكبير و الداعية الاسلامى العظيم سماحة الشيخ أبو الحسن على الندوى و غيرهم من العلماء الكبار .

مقاصد المدارس الدينية :

وإذا أعدنا النظر فى مقاصد المدارس الدينية فى عهد المسلمين وجدنا من أهمها.

١ــ نشر العلوم الدينية ، وإعداد رجال يقومون بفريضة الدعوة والتبليغ والوعظ و الارشاد و المناظرة لدعم العقائد الحقة و قمع البدع و الشرك و الكفر و ما إلى ذلك .

٢ـ التخصص والبراعة فی العلوم الدينية كعلم التفسير و الحديث والفقه و الكلام.

٣ـ الاضطلاع فی علوم تبلغ بالمتخرجين منها إلى مناصب الحكومة ، ولأجل الحصول على هذه المقاصد كانت المدارس تهتم ، كما قدمنا :

(أ) بتعليم اللغة الفارسية بحيث يتمكن الطالب من فهم نثرها الأدبی وتراثها الشعری و يتكلم بها بطلاقة ، و يترسل فی كتابتها و التكلم بها .

(ب) تعليم اللغة العربية بحيث يتمكن الطالب من فهم المباحث النحوية ودقائق البلاغة و طرق الاستخراج و مباحث أصول الفقه وغير ذلك من دقائق العلوم .

فكانت تعلم الطلاب مدة طويلة النحو والصرف بدون أن يتذوق الطلاب جمال اللغة وسلاستها ، فكان يعرف خلاف النحاة من البصريين والكوفيين مع براهينهم ولكن كان لا يستطيع أن يتفوه بجملة كاملة بالعربية يعرب بها عما فی قلبه من فكر أو عاطفة أو أمنية أو طلب .

و أما الكتب الأدبية التی كانت تدرس بعد مباحث النحو فهی الكتب المليئة بالكلمات الغريبة و التشبيهات البعيدة و الاستعارات المتكلفة و من المحسنات اللفظية و المعنوية كالمقامات للحريری .

و هذه الكتب كانت مفيدة لتشحيذ الأذهان و فهم النكت و تدقيق النظر و لكن لم تكن لتربی فی المتعلمين ملكة التكلم أو الكتابة .

هل المدارس الدينية مقصرة فی تحقيق أغراضها ؟

و يتضح مما قدمنا أن المدارس الدينية لم تكن مقصرة فی التوصل إلى مقاصدها و أغراضها ، قد كفلت هذه المدارس طوال القرون الماضية من حكومة المسلمين جميع ما كان المجتمع يحتاج إليه من علماء و عمال للحكومة ، فكانت مناهجها و مقرراتها و أساليبها وافية لأغراضها و موصلة إلى غاياتها .

لذلك ، فأرى أن النقد المرير الذى كثيراً ما يوجه إلى المدارس من أنها فشلت فى خلق ملكة التكلم و الكتابة بالعربية فى متخرجيها مع أن الطلاب يقضون سنين طويلة من عمرهم فى هذه المدارس نقد فى غير محله ، لأنه اتهام المدارس بما لم تلزم هى به أبداً .

و لكن المدارس الدينية ، لا شك فى أنها خضعت أمام فكرة التفريق بين الدين و أمور الدنيا ، فبينما كانت هـذه المدارس فى عهـد المسلمين قبل الانجليز تعلم العلوم العامة مع العلوم الدينية فهى فى هذه الأيام اقتصرت على العلوم الدينية فقط ، ولا شك أن هذه هزيمة شديدة ، و أشـد شئ من هذه الهزيمة هو أن العلماء رضوا وقبلوا هذه الهزيمه فنجد ان الذين هم فى حقل السياسة و الذين يعدون من زعمائها ، هم أيضاً قبلوا مبادىء الغرب فى السياسة و إن كانوا لا يقصرون من ترداد اسم الاسلام ليلا و نهاراً و قياماً و قعوداً .

واجب الحكومة :

المدارس الدينية بعد تأسيس باكستان اعتنت ـ كما ذكرت ـ بتعليم اللغة العربية و اهتمت بها ، لاستشعارها بأهميتها السياسة ، و الاقتصادية و الاجتماعية .

و لكن حكومة باكستان كانت أحق و أجدر بأن تعنى بتعليم اللغة العربية بأساليب جديدة ومناهج مؤثرة وأن تجعل اللغة العربية مادة إجبارية لجميع الطلاب وفى كل مرحلة من مراحل التعليم وأن تؤسس معاهد خاصة لتعليم اللغة العربية لمن يريدون التخصص فيها .

مشكلة يجب حلها :

وهناك مشكلة أريد أن أبينها بصراحة ، لأنها أعظم المشاكل فى تعليم اللغة العربية و انتشارها بين مسلمى العالم انتشاراً يعم الجميع .

و هى مشكلة اللغة الدارجة واللهجات المختلفة الرائجة فى البلاد العربيـــة ، و هذه اللهجات تختلف كل الاختلاف عن اللغـة العربيـة النحوية التى نتعلمها فى المدارس و نقرأها فى الكـتب ، ويوسفنى أن أقول إن علماء العرب و أدباءهـا وكتابها هم أيضاً استأنسوا باللغة الدارجة ، لذلك إذا أرادوا أن يتكلموا باللغة النحوية فكثيراً ما تغلبهم الدارجة بدون أن يشعروا بغلبتها ، فالمصرى إذا زاد باء قبل علامة المضـارعة أو استند على كلمة « بردو » اثناء كلامه فالذى تعلم النحو ويريد أن يخاطب بها ينسى ماكان يريد أن يقول فيمسك لسانه عن الـكـلام .

و حل هذه المشكلة ذو جهتين فالجهة الأولى هى أن نتعلم الدارجة أيضاً كى نقترب من اخواننا العرب فيجب على المعاهد أن تهتم بتعليم الدارجة مع اللغة النحوية ، و الجهة الثانية هى أن تبذل حكومات البلاد العربية ما فى وسعها من الوسائل لتوحيد اللهجات ولترويج اللغة النحوية فى الجماهير وأن يلتزم العلماء والأدباء و المعلمون و زعماء السياسية باللغة النحوية الفصحى و يجتنبوا كل الاجتناب اللغة الدارجة و اللهجات المختلفة .

وختاماً أشكر جامعة العلامة إقبال المفتوحة التى اهتمت بهذا المؤتمر وأدعو الله سبحانه أن يكلل جهودها بالنجاح ،وكذلك أشكر رئيس الجامعة د/ غلام على الانا على دعوته لى إلى الحضور فى المؤتمر و إلقاء كلمة فيه .

و اعتذر إلى الجميع أنى وقفت أمامكم موقف المدافع عن المدارس الدينية و قد كان يرجى أن أشن عليها غارة الناقد القاسى ، ولكننى لم أقل إلا ما أظنه حقاً من صميم قلبى و أقر بكل حق للخلاف .

فللناس فيما يعشقون مذاهب

نبذة من حياة الشيخ الملا أحمد جيون

بقلم : السيد قمر فير القادرى
محاضر بالمعهد المركزى لتعليم اللغة الانجليزية و اللغات الأجنبية ، حيدر آباد (الهند)

الشيخ أحمد المعروف « بملا أحمد جيون » ولد صبيحة يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من شعبان سنة سبع و أربعين و ألف ، ببلدة اميتهى (١) .

١ـ اسمه و لقبه و نسبه :

اسمه أحمد و اسم أبيه أبو سعيد عبيد الله بن عبد الرزاق بن خاصه خدا الحنفى الصالحى الأميتهوى المشهور بملا أحمد جيون عليه الرحمة .

كان يعتبر الشيخ من الزعماء الممتازين فى الفضل و العلم و المعرفة بين الناس إذ تولى منصب رئيس المفسرين و المحدثين و اعتبر أفقه الفقها و رأس الحكماء و المتكلمين و إمام المعقول و المنقول وسيد العلماء الفحول ، و كان يلقب « بملا أحمد جيون » .

أما كلمة « ملا » فهى فى الأصل كلمة تترية « منلا » فسقط حرف « نون » من الوسط من كثرة الاستعمال فأصبحت « ملا » و كان يلقب بها القضاة فى ذلك الزمان ، هذه رواية ، ورواية أخرى تقول : إن أصل كلمة «ملا» هو «مولى» العربية لحرفها الأتراك وجعلوها « ملا » فيقولون « قاضى ملا » و أصله « قاضى مولى » أى يلقب بمولانا عند الكلام عنه أو إليه » (٢) .

و شاعت كلمة « ملا » المحرفة فى البلاد و اتسع استعمالها و كثر حتى أصبح الممتازون من العلماء و الفقهاء يلقبون « بملا » فقال ملا حسن و ملا

---

(١) بلدة بالولاية الشمالية قرب مدينة لكهنؤ (فى الهند) .
(٢) أقرب الموارد بتصرف .

کشمیری فی معظم مناطق الهند ، و خصوصاً فی الجزء الشمالی من البلاد اعترافاً بفضلهم و تفوقهم العلمی و الدینی فیضاف قبل اسمهم الأصلی کلمة «ملا» و جرت العادة به کما هو المعروف .

أما لفظ جیون بکسر الجیم و سکون التحتیة و فتح الواو و سکون النون ، لغة هندیة معناه الحیاة (١) .

أسرته :

ولد الشیخ أحمد فی أسرة رفیعة القدر شهیرة فی العلم و الفضل فکان أبوه ینتمی إلی ذریة الشیخ عبد الله المکی ویرجع نسبه إلی سیدنا صالح علی نبینا وعلیه الصلاة و السلام کما تقول الروایات .

و کان الشیخ من الصغر قلیل الرغبة فی اللعب ، شدید الحیاء فامتنع منذ أیام طفولته عن الاشتراك مع أقرانه فی اللهو والمرح ، و کان یمتاز بذکاء خارق و ذهن وقاد ، فحفظ القرآن فی صغر سنه ، و من قوة ذاکرته أنه کان یحفظ کل مامربه أو قرأه ، إن رأی شیئاً أو قرأ الدرس لم ینس قط بل حفظه عن ظهر قلب ، و کانت علامات الذکاء تلوح علی محیاه منذ نعومة أظفاره ، و ورد فی ترجمة المؤلف «وکان الملا أحمد جیون رحمه الله ذا حافظة قویة یقرأ عبارات الکتب الدرسیة صفحة صفحة و ورقاً ورقاً من غیر أن ینظر إلی الکتاب وکان یحفظ قصیدة طویلة بالسماع مرة واحدة » (٢) .

التعلیم الابتدائی :

و قد سلك الملا أحمد جیون نفس الطریق العلمی الذی کان یسلکه أبناء

(١) نزهة الخواطر ج ٦ ص ١٠٢ - للعلامة الشریف عبد الحی بن فخر الدین الحسنی ، دائرة المعارف بحیدر آباد — دکن .

(٢) نور الأنوار ترجمة المؤلف لمولانا محمد عبد الحلیم المحشی، مکتبة دیوبند .

بيوت الشرفاء والعلماء من حيث الاهتمام بالعلوم الاسلامية وبدء بتعليم قراءة القرآن الكريم ، فنشأ الصبي أحمد فى حجر أبيـــه و حفظ القرآن و لمـا يناهض سبع سنوات من عمره .

التعليم الثانوى و العالى :

انهمك فى الحصول على التعليم التقليدى الرائج فى ذلك العصر ، من علوم إسلامية ، من تفسير وحديث وفقه . و ما يحتاج إليه من نحو و صرف وبلاغة و علم كلام ، كان الطالب ماضياً فى دربه للحصول على التعليم المنشود ، إذ وقعت أكبر فاجعة فى حياته ، ألا و هى وفاة والده الشيخ أبو سعيد عبيد الله ، فقد انتقل إلى رحمة الله ، و لما يكتمل الفتى أحمد من عمره أربع عشرة سنة ، قرأ أكثر الكتب الدراسية على الشيخ محمد صادق الستركهى وبعضها على مولانا لطف الله الكوروى ، و فرغ من إكمال تعليمه المألوف التقليدى و له اثنان و عشرون سنة من العمر .

مساهمة ملا أحمد جيون فى نشر التعليم و الدين :

لما فرغ الشيخ من تحصيل العلوم الرائجة اتخذ من موطنه مدرسة ، و ظل يمارس مهنة التدريس ، على شظف من العيش و كفافـــه ، حتى بلغ من عمره أربعين سنة ثم اشتاقت نفسه إلى السفر و زيارة المقدسات بها مدة . وهناك كان يدرس بطريق مؤثر و بقلب منيب مخلص فنهل منه خلق كثير و استفاد من علمه الغزير رهط كبير من الطلبة ، و سافر من دهلى إلى الحرمين الشريفين للحج و لما يبلغ من عمره خمساً و خمسين سنة ، و طابت له السكنى هناك فأقام مدة طويلة كما أنه كان عالماً شهيراً قصده هناك علماء كثيرون والخطباء يطلبون أن يدرسهم المنار (١) ، فدرسهم و ما عليه بمنار .

(١) المنار ـ كتاب فى أصول الفقه ـ صنفه عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى صاحب كنز الدقائق توفى سنة ٧١٠ من الهجرة النبوية (نورالأنوار) .

فقال ملا أحمد جیون فی مقدمة لشرح نور الأنوار واصفاً هذا « (فاذا أنا وصلت إلى المدينة المنورة و البلدة المكرمة فقرأ على الكتاب المذكور (المنار) بعض خلانی وخلص إخوانی من الخطباء المعظمة للحرم الشريف والمسجد المنيف فاقترحوا بهذا الأمر العظيم و الخطب الجسيم و حكموا على جبراً و لم يتركوا لى عذراً فشرعت فی إسعاف مأمولهم و إنجاح مسئولهم على حسب ما كان مستحضراً لی فی الحال من غير توجه إلى ما قيل أو يقال، و سميته بكتاب نور الأنوار فی شرح المنار (١) » .

ثم رجع إلى الهند و قد مضى ستون سنة من عمره و أقام ببلاد الدكن فی معسكر السلطان عالمكير ست سنوات، ثم سافر إلى الأراضی المقدسة ليحج بدلا عن أمه ولما فرغ من أداء مناسك الحج درس الصحيحين بتدبر وإمعان و مراجعة إلى الشروح و فهم للمعانی و المطالب و تعمق فی الأغراض و المقاصد، ثم رجع إلى الهند و إلى بلدته اميتهی سنة ست عشرة ومائة و ألف و وصلت إليه الخرقة من الشيخ ابن عبد الرزاق القادری بن ضياء الله البلكرامی و الخرقة الجشتية من أستاذه محمد صادق الستركهی، و أقام هناك سنتين وجاء إلى دهلی و أقام بها إلى أن توفی فی سنة ١١٣٠ ه .

و انتفع من علمه خلق كثير و منهم أی من تلاميذه عالمكير و أبناؤه و بناته (٢) (كما فی قاريان هند و فی نور الأنوار) و كان من حبه للدرس و التدريس والافادة و الوعظ والنصيحة أنه كان يعتزل الناس و لم يترك الدرس و الافادة إلى آخر أيام حياته، فيقال إنه درس إلى عشية مات فيها .

---

(١) نور الأنوار ص١ و٢ ملا أحمد جيون مكتبه دبوبند — سهارنفور .

(٢) قاريان هند ج: ٢ ص ٢٠٥ لمرزا كرنل بسم الله بيك، و فی نور الأنوار فی الصفحة الأولى .

وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لتسع خلون من ذى القعدة سنة ثلاثين ومائة وألف (٩ـ ١٠ ذى القعدة ١١٣٠هـ) بمدينة دهلى فدفنوه بزاوية المير محمد شفيع الدهلوى ثم نقلوا جسده إلى بلدة أميتهى بعد خمسين يوماً ودفنوه بمدرسته، هكذا نقل فى نزهة الخواطر (١) .

هكذا عاش الشيخ ملا أحمد جيون ستاً و ستين سنة قضاها فى ميدان العلم و العمل ، و ترك لنا علوماً جمة و تراثاً علمياً رائعاً ، و من ذلك :

١ ـ التفسيرات الأحمدية فى مجلد كبير ، كتاب فى تفسير آيات الأحكام شرع فى تصنيفه و له ست عشرة سنة و كان يقرأ (شرح المطالع) « فى بلدة أميتهى ثم صححه بعد ما فرغ من التحصيل و له سبع و عشرون سنة ».

أما سبب تصنيفه التفسيرات الأحمدية و انتخابه هذا الوقت لهذا العمل فقال : « و قد كنت قديماً أسمع من أفواه الرجال الكرام أن الامام الغزالى الذى هو من أجلة علماء الاسلام قد جمع آيات الأحكام بحسب الطاقة والامكان حتى بلغت خمسمائة بلا زيادة و لا نقصان و كنت على ذلك برهة من الزمان و مدة من الأكوان حتى وقفت على كتب الأصول للعلماء الفحول .

ذكروا فيها تلك القصة البديعة و أوردوا هناك هذه الحكاية العجيبة فلما زدت إيماناً و كملت إيقاناً طفقت أتفحص تلك الآيات و اتجمعها فى القعدة و القيامات فلم أجد عليها ظفراً و لم أقف منها أثراً فأمدت بلسان الالهام لاكوم من الأوهام أن استنبطها بعون الله تعالى و توفيقه و استخرجها بهداية طريقه فأخذت أجمع الآيات التى استنبطت عنها الأحكام الفقهية و القواعد الأصولية

(١) نزهة الخواطر ج : ٦ ص : ٢٢ للعلامة الشريف عبد الحى بن فخر الدين الحسنى ، مطبعة دائرة المعارف حيدر آباد .

والمسائل الكلامية بالترتيب القرآنى ثم فسرتها بأحسن وجه من التفسير و شرحتها من التحرير أخذاً من الكتب المتداولة لفحول العلماء . . .

قد شرعت فى تسويد تفسير الآيات الشرعية فى البلدة الطيبة أميتهى حين قرأت الحسامى سنة ألف وأربع وستين وسنى يومئذ ست عشرة سنة وفرغت عنه سنة ألف و تسع و ستين فى البلدة المباركة المذكورة حين قرأت شرح مطالع الأنوار و سنى يومئذ إحدى وعشرون سنة ، ثم بعد أزمنة قد صححه بالنظر الثانى حين الدرس فى بلدة أميتهى سنة ألف وخمس وسبعين وسنى يومئذ سبع وعشرون سنة (١) .

١ - أقدم إليكم مثالا من تفسيره للآية الكريمة : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » إن كل ما يدل على التفرقة بينهما إنما يدل عليها بحسب اللغة و لا ننكره بل إن غرضه : فى شرع نبينا ﷺ لا يجوز أن يقال إنه مؤمن لا مسلم أو بالعكس و لا ينفك أحدهما عن الآخر كالظهر مع البطن » .

تعبير أدبى بليغ جداً ، فانه يقول كما لا ينفك الظهر من البطن و البطن من الظهر فكذلك لا ينفك الايمان من الاسلام و الاسلام من الايمان .

و إليكم مثالا آخر من تفسيره للاية الكريمة : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون » فقال مفسراً لهذه الآية ورداً على المعتزلة ، « وإنما الخلاف بيننا و بين المعتزلة فى تفضيلهم على البشر فعندنا البشر أفضل » و قال تحت قوله تعالى : إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين ، « و بالجملة يفهم تفضيل الأنبياء و غيرهم على تمام العالم و الملائكة من العالم فظهر

(١) التفسيرات الأحمدية ص : ٤ و ٥ .

تفضيل البشر على الملائكة » ، ثم قال « فيه تفصيل و هو أن البشر أفضل من رسل الملائكة و رسل الملائكة أفضل من عامة البشر و عامة البشر أفضل من عامة الملائكة » ثم قال: « وقد يستدل على تفضيل رسل البشر على الملائكة بقصة آدم و جعله مسجود الملائكة » .

٢ ـ « نور الأنوار فى شرح المنار » فى الأصول ، صنفه فى المدينة المنورة فى شهرين و قد مضى سبب تصنيفه .

٣ ـ ومنها « السوانح » على منوال اللوائح » للجامى صنفه فى الحجاز لما ارتحل إليها مرة أخرى

٤ ـ و منها « مناقب الأولياء » فى أخبار المشايخ صنفه فى كبر سنه ببلدة أميتهى و قد أكمله ابنه عبد القادر بتتمة مناسبة .

٥ ـ و منها « آداب أحمدى » ، فى السير و السلوك صنفه فى صغر سنه .

٦ ـ « ديوان شعره » : يعتبر هـذا الديوان حافلا بأمتع و أبلغ الشعر و أجزله و فيه خمسة آلاف بيت .

٧ ـ « مزدوجة » : على نهج المثنوى المعنوى ، يحمل خمسة و عشرين ألفاً من الأبيات .

٨ ـ « قصيدة » : على نهج « البردة » فيها مائتان و عشرون بيتاً بالعربية .

٩ ـ وقد كتب القرآن الكريم بيده وعليه أدرج سبع حواش ، و يقول مصنف قاريان هند: إنى نظرت هذا وقد أثبت ملا أحمد جيون توقيعه أيضاً بيده المباركة عليه، و توقيعه هكذا « من يد الضعيف ملا جيون » (١) .

(١) نزهة الخواطر ، ج: ٦ ص : ٢١-٢٢ للعلامة الشريف عبد الحى الحسنى .

من الفن إلى الفتنة

واضح رشيد الندوى

لو وصف العصر الذى نعيش فيه بكلمة واحدة ، لكانت هذه الكلمة التى تعبر عن طبيعة العصر ، و مظهره ، الفن ، بما فى هذه الكلمة من معنى ، فيقال إن هذا العصر هو عصر الفن ، و التفنن فيه .

من خصائص الفن الازدهاء و التأثر و التأثير الذهنى بطرق خلابة تتغلب على الانسان وطاقته ، وتفكيره وقدرته ، فيخسر الانسان له ما يملك من قوة ومن مال ، ومن شرف ، وكرامة ، و نبل ، ويقطع صلته بالأمور التى تتطلب الجد ، والرزانة والصبر والكرامة ، لأن الفن يخلب لبه ، ويغريه ، ويحدث فيه ولوعا بأمور مثيرة للعاطفة والغريزة ، فيندفع الانسان إلى المغريات وينفعل بالشغف الزائد بالفن ، ويتصرف بتهور لا يفكر فى العواقب والنتائج ، ولايزن أعماله وأقواله ، وقد كان للفن فى السابق رجال ، وللاستمتاع بالفن ساعات معينة ، ولعرض الفن مواقع محدودة ينظر إلى رجاله بنظرة خاصـــة ، لـكن تطور الفن فى هـذ العصر تطوراً شمل جوانب كثيرة فى الحياة ، وقد وصف أحد قادة الفكر المعاصرين الحضارة بأنها عبارة عن وجود ناطحات السماء ، تلمع عليها الهوائيات للاذاعة و التلفزيون و وجود مداخن المصانع و المعامل ، و طوابير العمال فى المصانع ، و ازدحام الأسواق بالكماليات ، و أدوات الزينة ، و وجود مسارح و دور الفن ، و التسليـــة ، و المتنزهات ، و الفنادق ذات النجوم الخمسة ، و قبل المخططون فى الدول النامية

هذا التعريف للحضارة و أرادوا أن يدخلوا فى عهد الحضارة من هـذا الباب ، فصرفوا عنايتهم إلى هذه الظواهر برفع البنيان وفتح دور الفن ، وتشجيع رجاله ، و تعميم برامجه فكان اهتمامهم بالأفلام و المسارح ، أكبر من اهتمامهم بدور التعليم و التربية و إصرارهم على الاختلاط بين الجنسين ، و تعميم أجهزة التلفزيون و ترخيص أثمانها لتكون شائعة ، و إعداد برامج التسلية و إذاعتها فى أوقات يصرفها الانسان فى العناية بالحياة المنزليـة ، و تكوين الذات أكثر من اهتمامهم بقضايا الحياة الأخرى .

لقد اختار المسئولون عن الحكم فى كل بلد الفن كأكبر وسيلة لتكوين الذات ، و أثقلوا الفن ، بمواد الفتنة من الجنس و الاجرام والثورة على المثل و القيم ، و إشباع النفس ، و تلبية رغائب الذات ، يندفع فيها الانسان إلى تلبية رغباته و لا يجد رادعا خلقياً ، و اجتماعياً ، لأن التوقف عند الحدود و الاعتبار فى الاعمال ، و المبالاة بالعواقب تصورات لا تتطابق مع الحياة المتغيرة ، و إنما هى أصولية و رجعية و تزمت ، كما يصف الكتاب المعاصرون .

ثار بعض الكتاب فى إحدى الدول العربية على احتجاج بعض النفوس التى انفعلت بنتائج هذه البرامج المثيرة للعاطفة و حاولوا منع عرضها ، فوجهت الصحافة ووسائل الاعلام سائر اهتمامها إلى الهجوم على هؤلاء الشباب ثم الاعتدا على القيم و الرسالات السماوية و اعتبرتها معادية للفن وعقبة فى سبيل التقديم وتجاهلت هذه الصحف أنها فى كثير من المناسبات تشكو سوء تصرف الشباب و تدهور حالة الأمن و كثرة وقوع حوادث القتل واختطاف البنات و اختلاس الاموال و تطالب الحكومة باتخاذ تدابير رادعة لوقف هذه الاعمال التى تهدد الأمن ، ولكنها تهاجم من يريد إصلاح الأوضاع و استئصال جذور الفساد .

إن حوادث الاختطاف ، للبنين و البنات ، قد كثرت فى كل بلد ، ومنها الهند و ازداد حجمها فى مصر فى السنوات الأخيرة .

و طالبت الصحافة باعدام المجرمين و اضطر القضاء فى مصر كما نشرت جريدة الاخبار إلى المطالبة بأقسى عقوبة لكثرة وقوع هذه الحوادث فى المدن الكبرى .

و ازداد حجم الارهاب و تصعدت عملياته ، و أصبح موضوعاً خطيراً و ظاهرة عالمية ، تعجز الدول المتحضرة عن السيطرة عليه ، و تعانى كل دولة من الارهاب و يوجد فى الشباب إقبال شديد عليه ، و قد نشأت فى كل دولة منظمات إرهابية ، و منها منظمات للمرتزقه الذين يكسبون المال باعارة خدماتها ، وكانت هذه المنظمات سبباً لشقاء كبير فى كثير من الدول ، وتوجد منظمات إرهابية فى شبه القارة الهندية وحدها بأشكال مختلفة منها منظمات إرهابية طائفية ومنظمات إرهابية إقليمية ، و وطنية ، و منظمات إرهابية اقتصادية ، وتشترك فيها الحكومات و تساعد الطامحين ، فتتهم الهند بنغلا ديش أنها تدرب الارهابيين فى أراضيها لأعمال التخريب فى آسام و المناطق الجبلية الأخرى حيث تجرى حركة ثورية مسلحة ضد سلطة الحكومة المركزية و تتهم من جانب آخر أن باكستان تدرب الارهابيين للتوغل إلى كشمير و بنجاب ، لأن أعمال الارهاب تقع فى المنطقتين بنطاق يجلب تدخل الحكومة المركزية بقوة مسلحة ، وقد تدخلت الهند ثلاث مرات فى بنجاب للسيطرة على الارهاب و لا يزال الوضع غير مستقر .

و بلغ الارهاب فى سرى لنكا حداً خسرت به ألوفا من الناس و أدى إلى ارسال القوات الهندية المسلحة و لا تزال الحوادث مستمرة .

أما الهجوم على البنوك ، و قتل الضباط ، و اغتيال الشخصيات البارزة فهى حوادث عامة فى هذه المنطقة .

و بنفس اللهجة تتهم باكستان و بنغلا ديش ، و سرى لنكا أن منظمات إرهابية نشيطة فى داخل الهند على الحدود المتأخمة لهذه الدول و أنها تقوم بأعمال القتل ، و النهب ، و إحداث القلاقل فى بلادها .

هذا هو الوضع الأمنى فى شبه القارة وحدها و هو وضع الصراع يقتل فيه المسلم أخاه المسلم باسم اللغة و الوطن ، و يقتل فيه الهندوكى السيخ ، والسيخ الهندوكى باسم الطائفة و الوطن، ويقتل رجل الطبقة العالية رجل الطبقـة السافلة باسم الطبقية ، فأصبح القتل و الاحراق والنهب ، و الاعتداء ، شريعة هذا العصر و هو كما يسمى بشريعة الغاب ، و لا يختلف وضع البلدان الأخرى عن وضع الهند ، لأن الهند قطعة من العالم المعاصر ، تتبع نفس وسائل التربية الذهنيـــة ، وتنمى نفس العقلية المادية التى تعلم الانسان الجموح حب الغلبة و المتعة ، إنها فتنة كبرى و لو درست أسبابها لظهر السبب المباشر لها الشغف الزائد بالفن وأدواته ، و الاقتداء برجاله و أبطاله .

و لتعلم تأثير الفن على الذهن ، يكفى ما ذكرته الجرائد فى الهند أن عدداً كبيراً من الأطفال أصيبوا فى عيونهم بلعب الأطفال بالأقواس لأنهم شاهدوا على التلفزيون مشاهد الحرب بين راما و راونا الذى اختطف سيتا ، و قد عرض مسلسل رامايانا على التلفزيون و شاهده الصغار و الكبار ، و تعلم الأطفال الرماية وظهرت نتائجها ولا يعرف أحدكم من الأطفال تعلموا الاختطاف ، وأعمال الجنس بالأفلام التى يشاهدونها و المسرحيات التى يتفرجون بمشاهدتها .

إن الذين يدافعون عن الفن مطلقاً ، إنما يدافعون عن تدهور الانسانية إلى هذا المستوى الخلق ، إنهم يريدون أن يفقد الانسان كرامته و أصالته ، و خلقه . إنهم لا يلعبون بمصيرهم وإنما يلعبون بمصير أولادهم و أجيالهم القادمة .

إن سيطرة الدين والأخلاق و القيم هى الوسيلة الوحيدة ابقاء كرامة الانسان و صيانة شرفه ، إنها الوسيلة الوحيدة لوقف الارهاب . و الفتنة التى عمت العالم بجميع أشكاله ، وقد أشار إليه القرآن الكريم ، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير .

و ما النصر إلا من عند الله

بدأ انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان إثر اتفاقية جنيف ، وقد وافقت عليها باكستان فى المرحلة الأخيرة ، بعد أن كانت لديها تحفظات لشعورها بالمسئولية لاعتبارات كثيرة ، منها اللاجئون الأفغان الذين يقدر عددهم بأكثر من ثلاثة ملايين ، ويعيشون فى باكستان ، و الارتباط بالمجاهدين الأفغان بحق الجوار ، و الانتماء إلى الاسلام وانتهاجهم منهج الجهاد يحدوهم الشوق إلى الشهادة ، ويدفعهم إلى أن يضحوا بأنفسهم للدفاع عن إسلامية أفغانستان ، وطرد المعتدى الذى يجاهر بالعداء للدين وخاصة الاسلام ، والذى اغتصب أراضى المسلمين ، وحول المساجد إلى متاحف ، وفرض القيود على حرية الرأى و العبادة ، و العقيدة ، فكان اهتمام باكستان بالقضية اهتماماً طبيعياً ، و لهذه الاعتبارات اهتمت عدة دول عربية أيضاً بالقضية

ومدت يد التعاون بالمال، والأسلحة والمجاهدين ، وشهد العالم المعاصر الذى شاعت فيه الوطنية و القومية وتمسك الناس فيه بالتراب ، أن مآت رجال فيهم الشباب و الكهول ، و فيهم الأغنياء و الفقراء ، ينضمون إلى إخوتهم فى الدين والعقيدة لا تربطهم بهم لغة ولا ثقافة ولا وطنية ، و تتكون قافلة الشهداء منهم ، و يزداد عددهم عبر الأيام ، شهد العالم الرابطة الدينية و العاطفة الاسلاميــة على أرض أفغانستان بعد قرون وشهد نتائج هذه الرابطة و العاطفة الدينية .

إن هذه الرابطة الدينية التى ظهرت للعيون ، فى أرض أفغانستان لم تكن محدودة فى أفغانستان بل تجاوزت الحدود الأفغانية و اجتازت الحدود السوفيتية ، و جذبت النفوس فى داخل الاتحــاد السوفيتى فى الجمهوريات الاسلاميــة حيث تصعد التذمر بالحرب ، و بلغ حد المقاطعة للحرب ، فرفض كثير من الآباء و الأمهات إرسال أولادهم إلى أفغانستان كجنود سوفيت ، و لاقى كثير منهـــم التعذيب و القتل على رفض أوامر التجنيد ، و ذكرت التقارير الصحفية التى كانت مكتومة قبل الاتفاقية و ظهرت بعد الاتفاقية أن حملة شعبيــة كانت تجرى فى الاتحــاد السوفيتى ضد عمليــات الاتحاد السوفيتى و اضطر الاتحــاد السوفيتى أخيراً إلى عدم إرسال جثث القتلى إلى الوطن خوفاً من ردود الفعل ، ولم تكن موافقة الاتحاد السوفيتى على الانسحاب إلا نتيجة لهذه الضغوط الداخلية ، لأن الاتحاد السوفيتى كان قد عاند الرأى العام العالمى و لم يوله بأى اهتمام و لكن الضغط الداخلى أجبره على التفكير ، وأفادت التقــارير أيضاً بأن ألوفا من الجنود سلموا أنفسهم إلى المجاهدين بأسلحتهم، وكان خوف المجاهدين يسود قلوب الجنود السوفيت فكانوا لا يخرجون من محصناتهم و لا يخرجون إلا بعــد تدابير احتياطيــة واسعة و عمليات قصف شديدة ،وكان المجاهدون يسوقونهم إلى

معسكراتهم و يقتصونهم بدون مقاومة كبيرة لأن الجنود السوفيت كانوا مجردين عن العاطفة ، و الحرب لا تجرى بدون العاطفة .

لقد وصف القرآن الكريم اليهود ، فقال « لايقاتلونكم إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد و قلوبهم شتى »

لقد خسر الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان كما تقر الآن الدوائر العسكرية السوفيتية أكثر من خمسين ألف من الجنود ، رغم تفوقه العسكرى ، و رغم استخدامه لأقوى الوسائل .

إنه انتصار فى حد ذاته للعاطفة الاسلامية التى أرغمت أقوى دولة ببعض الاعتبارات على التراجع فى ثمانى سنوات ، و ألفت بين العرب و العجم ، وبين مختلف المنظمات التى كانت تشترك فى الحرب ، و سيستمر هذا الانتصار إلى النصر الكامل إذا استمرت هذه العاطفة ، وروح الفداء و الاخوة الاسلامية ، و الشوق إلى الشهادة وحب الموت ، ولكن إذا تغلبت المصالح المادية و وجدت الفرقة طريقها إلى الصفوف فان النصر القريب يصبح بعيد المنال .

يمر المجاهدون الذين أبلوا فى الحرب بلاء حسنا ، بمرحلة خطيرة ، لأن هذه المرحلة هى مرحلة المؤامرات ، والكيد السياسى ، ويدبر الأعداء التوغل إلى صفوفهم ، و إغراءهم بالمال و المنصب ، و خذلان الأصدقاء ، و مظاهرة صداقة عدو كاشح ، يتظاهر بالمودة ، وحب السلام ، عدو لا يحلو له بقاء العاطفة الاسلامية ، فيكيد لتحويلها إلى العاطفة الوطنية ، أعداء يتوسطون فى القضية لكسب مصالح سياسية ، وهى مرحلة أخطر من مرحلة الحرب ، و قد تحولت عدة حركات جهادية إلى نكسات بسبب الخيانات ، وسبب الاعتماد على أعداء كاشحين تظاهروا بالعطف ، ثم استغلوا القضية لمصلحتهم و دبروا القضاء على القادة الحقيقيين .

إن القمة الأمريكية السوفيتية الأخيرة قد تكون صفقة بين أمريكا و روسيا لأنهما وجهان لعملة واحدة ، و عداوهما للاسلام و المسلمين عداء مكشوف لا يشوبه شك، أو يتغير الموقف أو تتخاذل جهة أخرى فلا يستبعد أن يدبر أعداء الاسلام مؤامرة للتخلص من قادة المجاهدين المخلصين ، أو تشويه سمعتهم كما يبدو من بعض التقارير المغرضة التى نشرتها الصحف الأوربية و الصحف العلمانية فى الدول الآسيوية ، فتحتاج المسألة إلى يقظة تامة و حكمة فى كل الترتيبات التى يجب اتخاذها بعد انسحاب القوات السوفيتية ، و انتقال السلطة إلى أيدى المواطنين ، و يجب أن لا يغيب عن بال القادة فى أى حال من الأحوال أن النصر الذى تحقق ، تحقق بنصر الله ، وأنه بركة الجهاد فى سبيل الله ولذلك يجب عليهم أن يعتصموا بحبل الله المتين و يتمسكوا فى جميع المراحل بمنهج الدعوة و الجهاد مقتدين بما سن لهم السلف الصالح من طرق فيقيموا شريعة الله إذا كللت جهودهم بالنجاح الأخير و تحقق لهم وعد الله بالاستخلاف .

يقول الله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم ، و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

(سورة النور الآية ٥٥)

كتب حديثة :

١ــ الجامع لشعب الايمان

هذا هو الجزء الرابع لكتاب الجامع لشعب الايمان ، للامام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤هـ - ٤٥٨) ، عنى بنشره الدار السلفية فى بمبائى (الهند) لصاحبها فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوى ، و بتحقيق الدكتور عبد العلى عبد الحميد حامد ، الذى وفق إلى تحقيق هذا الكتاب ومراجعة نصوصه و تخريج أحاديثه ، على طريقة حديثة للعمل الاكادمى ، و لا شك فانه بعمله هذا قد قام باحياء هذا التراث العلمى العظيم ، الذى كانت المكتبة الاسلامية العظيمة تترقبه من زمان ، و قد أضفى على هذا العمل الاكادمى لوناً زاهياً من الحسن و الجمال و الروعة ، ذلك الاخراج الجميل الذى تم على ورق جيد و طباعة أنيقة و الاعتناء البالغ بالفنية المطلوبة فى التصحيح و التخريج .

يبتدىء هذا الجزء الرابع بفصل : فى خلق رسول الله ﷺ وخلقه ، وينتهى بباب فى تعظيم القرآن ، ويقع فى ٦٠٢ صفحة بالقطع المتوسط .

و قد سبق أننا قدمنا التعريف الكامل بالكتاب حينما تحدثنا عن الأجزاء الثلاثة الأولى فى الأعداد السابقة .

٢ــ تفسير سورة النور

أهدى إلينا هذا الكتاب العظيم لشيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية ، فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوى رئيس الدار السلفية فى بمبائى (الهند) و قد قام بطبعه أخيراً فى صورة جميلة جذابة ، و بتحقيق الدكتور عبد العلى عبد الحميد حامد الذى بذل مجهودات مشكورة فى مراجعة نصوص الكتاب ، وتخريج أحاديثه ، وسد فراغاً فى الموضوع ، ذاك أن سورة النور من أعظم سور القرآن توجيهاً إلى الآداب والأحكام التى يحتاج إليها المجتمع الاسلامى فى توطيد دعائمه بقطع دابر الفساد و الافتراءات و البهت و الحسد ، فان الخلفية التى سببت نزول هذه السورة الكريمة هى كأنها من فساد الطبيعة ، و الأهواء

النفسية ، التى تواجهها المجتمعات الانسانية ، و طالما تكون سبباً كبيراً للهدم والدمار و شيوع الأدواء الخلقية و نموها فى الناس ، لو لا أن أصحاب التربية و الصلاح اعتمدوا على آداب التحقيق و التبين ، و إزالة أوكار الهدم و الاجرام .

إن تفسير سورة النور بقلم شيخ الاسلام ابن تيمية الذى يعالج الموضوع بأسلوبه الخاص و بطريقته العلمية و التربوية يقوم بدور كبير فى مجال الاصلاح الاجتماعى و تطهير المجتمع من أدران النفاق و الحسد والأهواء ، و يوفر للمسلمين علاجاً لما يعانون منه فى حياتهم الفردية والجماعية من الفساد بأوسع وأشمل معانيه.

٣ـ تفسير المعوذتين

هذا التفسير القيم كذلك من مطبوعات الدار السلفية فى بمبائى ، و هو من تأليف الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيمية الحرانى و تلميذه النابغة الامام ابن قيم الجوزية ، و عنى بتحقيقه و تخريج أحاديثه و أشرف على طباعته الدكتور عبد العلى عبد الحميد حامد ، بثوب قشيب و طبع أنيق جميل ، و هو بذلك وفق إلى إحياء هذا التراث الاسلامى الذى كان مغموراً مطموراً ، و أحسن إلى الأوساط العلمية والدينية المتتبعة لآثار هذين الامامين ، المتناولة لها بالاعجاب والتقدير .

هذا الكتاب يحتوى على تفسير المعوذتين الذى ألفه الامام ابن تيمية بشئ من الاختصار وتبيين معانى الآيات بايجاز ، وعلى تفسير المعوذتين للامام ابن قيم الجوزية الذى اختار فيه مسلك التفصيل والاطناب ، فجاء هذا الكتاب بجمع هذين التفسيرين للسورتين أشمل للموضوع ، حيث إن ابن القيم وضع فى كتابه فصولا نافعة فسر فيها معانى الموضوع بشرح كامل و واضح يفيد الخاصة والعامة جميعاً .

ونحن إذ نهنئ المحقق والناشر على هذا الاعتناء الكبير ، باحياء كتب التراث الاسلامى ، و إخراجها بأجمل و أحسن صورة من التحقيق و الدراسة و الطباعة الأنيقة نرجو تصحيح بعض الأخطاء المطبعية فى الطبعات القادمة ، و أن الصواب فى الامام ابن القيم ، هو ابن قيم الجوزية ، وليس ابن القيم الجوزية بزيادة اللام على القيم ، ما دام مضافاً إلى الجوزية .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

مؤسس الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

محرم الحرام ١٤٠٩هـ - أغسطس و سبتمبر ١٩٨٨م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الاسلامي، مؤسسة الصحافة والنشر، ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama,
P. O. Box 93. Lucknow (India)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــة :

العقيدة الدينية ، و العقائد الباطلة

و الأيدلوجيات الحديثة ، و بناء الانسان

للعقيدة الدينية دورها العريق فى بناء الانسان ، و توجيه حياته إلى ما يؤمله لأداء الوظيفة، والسير على الخط المستقيم ، فقد عاش الانسان فى عصوره السالفة حياة صراع تجاذبه الأهواء فى جانب و تتلاعب به صور شتى من الشهوات النفسية و التحكمات الانسانية فى جانب آخر ، لم يكن له من حظوظ الحياة ما يرفعه إلى التفكير فيما يهيئ له سعادة و يوفر له راحة نفسية ، و قد تحكمت عوامل الزمان و مقاييس التفاوت الطبقى و الفوارق العنصرية فى تقرير مصيره و بناء مستقبله ، فنالت قوة الحكم و المال و الفكر الفلسفى و التصورات المعقدة للحضارة والعلم رواجاً فى المجتمع الانسانى ، و ازدهرت فيه عادات و تقاليد توزع الانسان بين خلايا متعددة من الحكم و السلطة و الشرف المزعوم للعرق و الدم و السيادة القبلية و النسبية ، و من التبعية و العبودية و الخدمة و الضعة العرقية و النسبية ، و بتعبير آخر : بين درجات الألوهيـــة و العبودية ، فهناك آلهة بين صغير و كبير ، و هنـا العبيـــد بطبقات متفاوتة ، حسب رغبات الآلهة و توجيهاتهم الصادرة من فوق « سبع سماوات »

ما كانت العقيدة الدينيـة السليمة تحل موضع اعتناء أو دراسة . و حتى تصورها كان غائباً فى أذهان الناس ، إنما هى العقائد الباطلة من رواسب اليهودية و النصرانيـــة كانت تحل محل العقيدة الدينيـــة ، و يعتنقها ناس على أساس من التصور الدينى الذى يجب أن لا تتخلى منه الحياة ، ولكن الصراع بين هذه

العقائد الدينية الباطلة و السلطة الحاكمة اشتد و قام على قدم و ساق فى المجتمعات الرومية والفارسية، وانقسم الناس بعدها ، بين ممثلى الديانة وأنصارهم والقائمين بالحكم و أتباعهم ، و كل طبقة من هذين القسمين كانت تفند الآخرى وتتهمها بالتزمت و الجور و العسف و الطغيان ، وتوجه إليها قذائف من القول و الفعل ، الأمر الذى أنتج وجود خصمين متناحرين فى العالم البشرى ، و توافرت مع كل واحد منهما وسائل و أسباب تسد الطريق فى وجه كل منهما ، و قد بلغت الكراهية بأصحاب الكنيسة النصرانية مبلغاً حرموا به جميع المجهودات العلميــة و الثقافية واعتبروها منافسة للديانة و الأخلاق ، فثارت الخلافات بغاية من العنف والقسوة بين أهل الديانات وأصحاب السياسات ، ووجد هناك صراع حاد قضى على جميع ملذات الحياة و متعة الأمن و السلام فى المجتمع البشرى حينذاك .

هذا الفصام النكد بين الدين و الدولة و بين الأخلاق و الآداب و العلم و السياسة ، و بين المعتقدات الدينية و النظريات الاجتماعية و السياسية ، كان مصدر الشقاء الذى عاشه الانسان فى العصر المادى الذى اشتد فيــه العداء بين الكنيسة و العرش ، و واجه فيه الجنس البشرى من كلا الطرفين أوضاعاً غريبة لم يكن له بها عهد فى أى فترة من التاريخ ، و ذلك كنتيجة حتميــة للتمسك بالتقاليد البالية للدين لدى انصار الكنسة و الاصرار على الثورة عليها و تحطيم حدودها وجدرانها من قبل العقلانيين السياسيين ممن كانت الحكومة ترعاهم و تحدب على مصالحهم ، ذاك أن اجتماع العلم بالدين . والعقيدة الدينية بالمعتقدات النظرية إنما كان مستحيلا فى ضوء تفسيرهم للحياة و الكون ، الذى كانوا يعتمدون عليه فى تحديد نظرتهم نحوهما و توجيه أفكارهم إلى قلوب افراد لم يكن لهم موقف واضح من العلم و الدين .

أما العقيدة الدينية التى تفسر الحياة بالجمع بين الدين و الدنيا و بين العلم والايمان بجعلها ذات هدف معين من السعادة الكاملة الشاملة ، فقد كان تراكم عليها الغبار الكثيف من التفسيرات المادية و الاغراءات النفسية و اختفت وراء ستار

غلاظ من العداء الدينى الذى لم يسمح لها بانارة الطريق للانسان و توجيه معانى الفضائل و المكارم و الجد فى القول و العمل ، نحو المجتمع الانسانى ، و حلت محلها العقائد الباطلة التى كانت السبب الوحيد لما عاشـــه العالم البشرى من حيرة و شقاء و ظلام وتيه و لما عانى منه من أدواء خلقية و تناقض مشين بين مطالب الحياة ، لقد كان غياب العقيدة عن مجالات العمل و النشاط حدثاً مؤلماً أثر فى جميع شعب الحياة و انحرف بها عن مسارها المعلوم و طريقها الواضح النير ، مما سبب حدوث مشاكل من كل نوع ، استنفدت قوى الانسـان العقلية و المادية و أورثته بالتالى مشكـلات كثيرة لا يأتى عليها الحصر ، و ما تاريخ شقاء الأمم المادية اليوم و فى الماضى بسر على الناس ، و لا يخفى عليهم ما قد جنته الحضارة الغربية من تعقدات اجتماعية و عوامل هدم فساد واسع للجتمع الانسانى و على مستوى الأسر و البيوت و العائلات .

نالت العقائد الباطلة تشجيعاً فى المجتمعات المادية ، ذاك أنها كانت بمثابة عمدة لجميع تلك الممارسات التى يحظرها الدين و يتناولها الخلق المستقيم بالتوجيه و التصحيح ، و قد اتخذها الماديون المتحررون منطلقاً لأهوائهم و مطية لشهواتهم و أغراضهم الهابطة الرخيصة ، وطالما لعبت هذه العقائد الباطلة دورها فى استغلال الدين لخدمة المصالح الذاتية ، و الانطلاق نحو الضلالات و البدع و المنكرات باسم الدين و الأخلاق ، و أحياناً كانت سبباً لاشاعة الفاحشة و الشذوذ الجنسى و ممارسة الأفعال الشنيعة و ارتكاب الجرائم الخلقية ، و الأمر بالمنكر و النهى عن المعروف ، و المجاراة مع النفس و الارتماء إلى أحضان السيئات و الأدواء الجسمانية و الروحانية التى ترمى أصحابها إلى الدرك الأسفل من الشقاء و التعاسة و تسلب منهم متعة الحياة و لذة العيش ، و سرعان ما توديهم إلى هوة الهلاك و الدمار فلا يجدون من الدنيا شيئاً يرتاح إليه قلوبهم أو مكسباً يجديهم نفعاً « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم

يحسنون صنعاً ، أولئك الذين كفروا بربهم و لقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا ، و اتخذوا آياتى و رسلى هزواً.

و بعد ما أجروا على هذه العقائد الباطلة تجاربهم و علموا أنها ليست ذات فوائد كثيرة وأن ضررها أكبر من نفعها ، تركوها للنحرفين خلقياً ودينياً ، ولأهل البدع و الخرافات و أصحاب الغواية و الشرك والضلالات وحببوها إلى مجتمعات المسلمين أنفسهم الذين زعموها عقائد دينية لا يتم إسلام المرء بدونها ، فاعتنقوها و صاغوا الحياة فى ضوئها ، و قــد كانت موضع عناية الدجالين المحترفين ممن تقنعوا بقناع الدين و جعلوه ذريعة لكسب الدنيا و حطامها ، و قد ساعدتهم عوامل اجتماعية و سياسية وظروف اقتصادية كثيرة فى ترويج هذه العقائد الباطلة باسم الدين والأخلاق و باسم الآداب الاسلامية فى أوساط السذج من جماهير المسلمين ، فهى تسود بعض الأسر و العائلات و فى بعض المجتمعـات بأسرها و تروج بقدسية دينية ذات أهمية بالغة ، حتى إن كثيراً من المسلمين و المسلمات يعتقدون أنها ضمن عناصر الايمان ، و أن سعادة المرء يتوقف على العمل بها و المضى فى سبيلها، إن هؤلاء الدجالين المنحرفين اخترعوا بذلك فى الواقع ديناً جديداً بإزاء الدين القيم و أحدثوا عقائد باطلة تجاه العقيدة الدينيـة لقاء حطام حقير و مكسب خسيس من الدنيا ، يقول الله تعالى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، و لو لا كلمة الفصل لقضى بينهم ، و إن الظلمين لهم عذاب أليم » (سورة الشورى الآية ٢١)

و كان دور المعتقدات النظرية و الايدلوجيات الفكرية فى توجيه الحياة الانسانية دوراً سطحياً لا يتجاوز القشور و الأعراض ، و لكنها ظلت موضع الاهتمام فى أوساط الزعماء الماديين وفى المجتمعات البشرية التى نشأت بفعل العوامل الحضارية فى الشرق و الغرب ، و التى نظرت إلى الحيـاة من خلال النظرات المادية و فى ضوء الأفكار و النظم الوضعية ، و قد بدت فى بعض الأحيان

ذات تأثير و فاعلية واسعــة النطاق استرعت انتباه الأوساط العلمية و الحضارية وأثرت على بيئات إنسانية فى كل مكان ، فكانت هى النظرة السائدة التى حظيت بالاعجاب العام و كانت تعتبر اكتشافاً كبيراً فى عالم النظرات و الايدلوجيــات الحديثة ، حيث إن دوائر الفكر الدينى لم تلبث كذلك أن تميرها أهمية و تجعلها موضع نقد ودراسة فى ضوء التحليل النفسى والقواعد الفكرية للدين ، لكى تتمكن من إثبات زيفها و عدم انسجامها مع طبيعة الانسان و فطرة الله التى فطره عليها .

و فعلا قامت المؤسسات الدينية و التوجهية فى الشرق بمقاومة الاتجاهات المادية المضــادة لشريعة الله فى الأرض ، و تزييف الأفكار و المعتقدات النظرية التى لا تنبع من واقع الايمان و العقيدة ، و لا تتصل بصالح الحياة الانســانية و توجيه السعادة إليها ، لأنها نظرات موقتة تقوم على بعض الأحداث المحليــــة و تنبعث من بعض الدوافع الشخصية التى لا يمكن تطبيقها على الحياة العامـــة ، و لا على الجنس البشرى بأجمعــه ، و رغم أن الظواهر الاجتماعية كانت تقف حاجزة دون نجاح المجهودات الاسلامية التى بذلت فى ذاك المجال، إلا أن الدعاة المفكرين الاسلاميين ظلوا صامدين فى ساحة المقاومة الفكرية ، و استمر إصرارهم على العودة بالانسان إلى دين الله و بناء حياته على القواعد الثابتة لشريعة الله .

نستطيع أن نقدم كمثال تجربة النظرية الماركسية التى طبقت فى الاتحـاد السوفياتى يوم كان الفكر الماركسى قد استقطب اهتمام العالم بكامله إلى جــدواه الشاملة للحياة و الواقع الانسانى . و كان يبدو أن هذا الفكر هو ضالة الانســان فى القرن العشرين و سوف يسود المجتمعات الانسانية كلها شرقاً و غرباً ، باعتقاد أنه الحل الوحيد للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية و السياسية التى يعيشها الانسان و يعانى منها فى جميع أطوار الحياة ، و خاصــة فان طبقات العمال و الكادحين استبشرت بهـــذه النظرية الجديدة التى ركزت جل اهتماماتها على تحسين العوامل الاقتصادية و إيجاد المساواة بين الحكام والعمال و إتاحة الفرص للعمل فى ميدان

المعاش و كسب المنافع و الأرباح بطريق اشتراكى جديد .

كان هتاف الاشتراكية و ما تنطوى عليه من أفكار و أيدلوجيات إنسانية موضع الاعجاب العام ، وانطلقت الألسن بالثناء عليها و عقدت بها طبقات الجماهير آمالا جساماً ، ذاك أنهم كانوا قد يئسوا من النظم و النظرات الاجتماعية السائدة حينذاك فى الغرب و التى لم تغن عن طبقات العمال والكادحين شيئاً ، بل وقد تولت بؤسها و مهدت لها طريق الشقاء بازاء الأثرياء ومحتكرى الصناعات والتجارات فى العالم ، فنالت الاشتراكية الماركسية ترحيباً على أوسع نطاق من عامة طبقات الناس ، وظلت فى معمل التجارب التى أجريت عليها طوال نحو قرن من الزمان، و لكنها أسفرت اليوم بالاخفاق ، و لم يعد لزعماء الاشتراكية أى طريق إلا أن يعيدوا النظر فى أسس الاشتراكية و قواعدها و يغيروها بأسس و قواعد جديدة و يرفعوا عليها بناء الاشتراكية من جديد .

و قد تم فعلا فى الاتحاد السوفياتى ما يؤكد أن الزعماء السوفيت قرروا فى المؤتمر القومى الأخير إعادة تغيير بناء الاشتراكية و تبديل هيكل النظام القديم ، بنظام إنسانى جديد و إرساء الفكر الماركسى على قواعد ديموقراطية جديدة أخرى تتفق وطبيعة العصر و تتكيف مع الظروف المستجدة التى يعيشها الانسان الجديد ، و قد علقت الصحافة العالمية على هـذا التغيير القواعدى ، و التبديل الجذرى فى الاتحاد السوفياتى ، و رحبت بذلك و اعتبرته أعظم و أهم حدث سياسى ونظرى فى تاريخ هذا القرن بالذات .

ولكننا لا ندرى إلى أى مدى يجدى هذا النظام الجديد حياة الانسان و كم يكون غناؤه فى بنائه من جديد ؟

يقول الله تعالى : « و لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ، ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها ، إنا من المجرمين منتقمون » ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

البعث الإسلامي

الحركة العلمية الاسلامية ، و خصائصها

—(٢)—

بقلم : سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى

الحركية :

٣ــ ومما امتازت به الحركة العلمية فى تاريخ الاسلام و فى عالم الاسلام ، الحركية التى تجلت فى تحمل المشقات وقطع المسافات للحصول على العلم و التوسع و الاختصاص فى الدراسة ، وفى سبيل رواية الحديث الصحيح و الاسناد العالى ، و التحقيق العلمى ، والفحص اللغوى ، ثم فى سبيل تبليغ الأحكام الشرعية ونشر العلم الدينى فى البلدان المختلفة ، و المسافات البعيدة ، وكتب التاريخ و التراجم مشحونة بالأمثلة الرائعة ، و النماذج المحيرة ، خصوصاً ما ألف فى سير المحدثين ، و فى تاريخ تدوين الحديث وجمعه و حفظه (١) ويكفى فى ذلك ما ذكره العلامة ابن خلدون (م٨٠٨ه) من فوائد الرحلة فى طلب العلم فى مقدمته الشهيرة ، يقول رحمه الله :

إن الرحلة فى طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال فى التعليم ، والسبب فى ذلك أن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم وما ينتحون به من المذاهب والفضائل ، تارة علماً وتعليماً و إلقاء ، وتارة محاكاة وتلقياً بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات

---

(١) راجع « تذكرة الحفاظ » للعلامة الذهبي ، و « السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى » للدكتور مصطفى السباعى ، و « رجال الفكر و الدعوة » الجزء الأول ، عنوان « حركة الجمع و التدوين فى القرن الأول و الثانى » و « المحدثون وعلو همتهم » ص ٩٩ : ١٠٢ .

عن المباشرة و التلقين أشد استحكاماً و أقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات و رسوخها ، و الاصطلاحات أيضاً فى تعليم العلوم مخالطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين ، فلقاء أهل العلوم و تعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها و يعلم أنها مناحى تعليم، وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام فى الملكات وتصحح معارفه و تميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم و تنوعهم ، هذا لمن يسر الله عليه طرق العلم و الهداية ، فالرحلة لا بد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال ، و الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم (١) .

الفتوة و العمل بالعزيمة :

٤— و قد امتاز علماء المسلمين بعلو الهمة ، و الشهامة و الفتوة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكلمة الحق عند السلطان الجائر ، و الصمود فى وجه الانحرافات و المؤامرات المحبوكة فى دائرة الحكومات أو المجتمعات الاسلامية ، و الكفاح و النضال ، و قيادة حركة الجهاد ، و تحرير البلاد ، و مطاردة القوى الأجنبية ، و الحكومات المعادية للاسلام إذا احتيج إلى ذلك ، و إن الدارس لتاريخ الجهاد و الحركات الاصلاحية التجديدية من العصر الاسلامى الأول إلى عصرنا هذا ، لا يمر بصفحة من صفحاتها ، وفصل من فصول تاريخها الطويل الذى يكاد يكون متصلا ، إلا و يرى على رأسها ، و فى مركز القيادة منها عالماً من علماء الدين ، أو مربياً من الشيوخ الربانيين ، هو منبع هذه الفكرة و مصدر

(١) مقدمة ابن خلدون، طبع مؤسسة الأعلى للطبوعات، بيروت ، ص / ٧١٢ .

هذه الحركة ، منها تبتدىء و إليها تنتهى (١) .

إنها لظاهرة مشتركة بين الأقطار الاسلامية و العربية التى تحررت من نير الاحتلال الأجنبى الذى يسمى بالاستعمار الأوربى الذى سيطر على العالم الاسلامى من الرباط ومراكش فى الشمال الغربى إلى إندونيسيا، وماليزيا فى الجنوب الشرقى وحتى الجزائر بلد المليون شهيد ، وشبه القارة الهندية و غيرهما ، كلها تشترك فى هذا الجانب ، فقد قاد حركة التحرير دائماً علماء الدين الراسخون فى العلم المعترف بمكانتهم العلمية والدينية حتى و إن سرق الشيوعيون والملاحدة بعض ثمار جهادهم!!

التركيز على العلم النافع :

٥- التركيز على العلم النافع ، الحامل للهداية و الكافل للنجاة ، و المفيد فى الآخرة ، وهو العلم الذى لاسعادة للانسان و لا نجاة له بغيره ، و يعرف به خالقه وفاطر هذا الكون ، و مدبر هذا العالم ، و صفاته العالية ، و الصلة التى بينه وبين عبده وما يرضيه تبارك و تعالى وما يسخطه ، وما يشقى الانسان فى الدار الآخرة وما يسعده ، يقول الله تعالى : (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) (٢) و يقول : (بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها ، بل هم منها عمون) (٣) و يقول : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين

(١) و الموضوع واسع مترامى الأطراف ينتظر مؤرخاً واسع النظر ، صبوراً فى الدراسة و التحقيق و فى كتابنا « ربانية لارهبانية » أضواء على بعض شخصيات قيادية فى عديد من الأقطار الاسلامية العربية ، راجع « بطولة وكفاح ، لابطالة و استسلام » ص / ١١٣ ١٣١ ، الطبعة الثامنة ، طبع مؤسسة الرسالة .

(٢) سورة الروم : ٧ . (٣) سورة النمل : ٦٦ .

ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) (١) .

وقد جاء فى الحديث : «اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، و من قلب لا يخشع ، و من نفس لا تشبع ، و من دعوة لا يستجاب لها » (٢) .

حين لا تنفع العلوم و الآداب ، و ينفع علم يستطيع به الانسان أن ينال النجاة و السلامة :

و نختم هذا البحث بقصة خفيفة مسلية تصور الفرق بين العلم النافع الذى تتحقق به السلامة وتحصل به النجاة ، و العلوم تتوقف على معرفتها السلامة والنجاة - على ما فيها من منافع ومصالح - وقديماً استعان العلماء و الأدباء بالقصص، ولعلها - على ما فيها من حكمة و موعظة - تخفف شيئاً من ثقل هذا البحث العلمى ، و تزيل السآمة :

« يحكى أن فريقاً من تلاميذ المدارس ركبوا سفينة للنزهة فى البحر أو الوصول إلى البر ، و كان فى النفس نشاط و فى الوقت سعة ، و كان الملاح المجدف الأمى خير موضوع للدعابة والتنادر ، وخير وسيلة للتلهى وترويح النفس ، فخاطبه تلميذ ذكى جريئ ، وقال : ياعم ماذا درست من العلوم قال : ولا شيئ يا عزيزى ! قال : أما درست العلوم الطبيعية يا عمى؟ قال : كلا ولا سمعت بها ، وتكلم أحد زملائه وقال: ولكنك لا بد درست علم الأقليدس والجبر والمقابلة! قال : وهذا أغرب، و تصدقون أنى أول مرة أسمع هذه الأسماء الهائلة الغريبة ، وتكلم ثالث « شاطر » فقال : ولكنى متأكد بأنك درست الجغرافية و التاريخ ؟

---

(١) سورة الكهف : ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) رواه مسلم .

فقال : وهل هما اسمان لبلدين أو علمان لشخصين؟ وهنا لم يملك الشباب نفوسهم المرحة وعلا صوتهم بالقهقهة ، وقالوا : ما سنك؟ ياعم ؟ قال : أما فى الاربعين من سنى ! قالوا : لقـــد ضيعت نصف عمرك يا عمنا وسكت الملاح الأمى على غصص ومضض ، وبقى ينتظر دوره ، و الزمان دوار .

وهاج البحر وماج و ارتفعت الأمواج ، و بدأت السفينة تضطرب والأمواج فاغرة أفواهها لتبتلعها ، و اضطرب الشباب فى السفينة - و كانت أول تجربتهم فى البحر - و أشرفت السفينة على الغرق ، وجاء دور الملاح الأمى ، فقال فى هدوء و وقار : ما هى العلوم التى درستموها يا شباب ؟ و بدأ الشباب يتلون قائمـــة طويلة للعلوم و الآداب التى درسوها فى المدرسة ، و توسعوا فيها فى الجامعة من غير أن يفطنوا لغرض الملاح الجاهل الحكيم ، و لما انتهوا من عد العلوم المرعبة أسماؤها ، قال فى وقار تمزجه نشوة الانتصار : لقد درستم يا أبنائى هـــذه العلوم الكثيرة ، فهل درستم علم السبـاحة ؟ وهل تعرفون إذا انقلبت هذه السفينـــة - لا قدر الله - كيف تسبحون و تصلون إلى الشاطئ بسلام ؟ قالوا : لا والله ياعم ، إنه العلم الوحيد الذى فاتنا دراستـــه و الالمام به ، هنالك ضحك الملاح و قال : إذا كنت قد ضيعت نصف عمرى فقد أتلفتم عمركم كله ، لأن هـــذه العلوم لا تغنى عنكم فى هذا الطوفان ، إنمـا كان ينجدكم العلم الوحيد ، هو علم السباحة الذى تجهلونه ! !

مزايا الوسطية فى الاسلام

فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى
عميد كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية ، جامعة قطر

٢ـ الموازنة بين الثوابت و المتغيرات :

و من خصائص تيار الوسطية الاسلامية : الموازنة العادلة بين الثوابت والمتغيرات فى الاسلام ، وتحديد ذلك بوضوح ، حتى لا تختلط الأوراق ، وتذوب الحواجز ، و حتى لا نجور على أحد الطرفين لحساب الطرف الآخر ، و حتى لا نجمد ما من شأنه الحركة والمرونة ، و لا نغير ما من شأنه الثبات و الدوام .

و من ثم كان لزاما علينا أن نحدد ما الثوابت ، و ما المتغيرات فى رسالة الاسلام ؟

الثوابت الخالدة فى العقائد :

١ ـ أما الثوابت فتتمثل أولا فى (العقائد) التى تمثل فكرة الاسلام الكلية عن الألوهية و العبودية ، و بعبارة أخرى عن الله و عن الانسان و عن الكون بشقيه ، المنظور و غير المنظور ، و إذا استعملنا التعبير القرآنى و النبوى قلنا ، عن الله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر ، و موقف الاسلام هنا موقف المخبر عن حقيقة هذه الأشياء ، الموجب للايمان بها كما هى ، بلا تهوين و لا تهويل .

و هذه الأشياء ليست إلا حقائق ثابتة ، غير قابلة للتطور أو التغير ، فالله جل جلاله ـ هو الله منذ الأزل : أحد صمد « لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد » .

و الملائكة جزء من « عالم الغيب » و هم من خلق الله و جنوده التى لا يعلمها إلا هو ، و هم « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون ، « لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » .

فهم يمثلون (قوى الخير) من عالم الغيب ، كما أن الشياطين تمثل (قوى الشر) .

و كتب الله هى النصوص الالهية المخبرة الآمرة الناهية ، المرشدة إلى ما يطلبه الله من عباده من الايمان والعمل ، وآخرها والمهيمن عليها هو القرآن الكريم .

و رسل الله هم سفراؤه تعالى إلى خلقه ، بعثهم مبشرين و منذرين « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » أرسلهم بالبينات ، و أنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وختمهم بمحمد ﷺ ، فليس بعده نبوة ولا رسالة .

و اليوم الآخر هو اليوم الموعود ، الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين ، و يقفون بين يديه للحساب و الجزاء ، فتوفى كل نفس ما كسبت ، و تجزى بما عملت ، فاما إلى جنة و إما إلى نار .

و كل هذه أخبار عن حقائق ثابتة ، لا تتطور و لا تتغير ، سواء كان الناس فى العصر الحجرى أم فى العصر النووى ، و سواء كانوا يركبون الجمال ، أم يركبون سفن الفضاء .

قد يحدث التغير عن طريق الفهم و التفسير ، و إدخال التأويلات على النصوص ، و هذا باب خطر ، و خصوصاً فى مجال العقائد ، و قد فتحه من قبلنا على مصراعيه ، فحرفوا الكلم عن مواضعه ، و بدلوا كلام الله ، فالأحوط إغلاق هذا الباب الذى تهب منه رياح الفتنة و التزييف ، و إبقاء النصوص على دلالاتها الواضحة غير المتكلفة ، وأن تفهم كما كان يفهمها الذين تلقوها عن الرسول - ﷺ - و من تبعهم باحسان .

وبذلك نسلم من مغبة التأويل الذى لا نعلم : هل يوافق مراد الله أم لا ؟ و الذى قد ينتهى بقوم - كما حدث بالفعل - إلى تأويلات باطنية ، و تحريفات شركية و كفرية ، هى أبعد ما تكون عن طبيعة الاسلام ، كما نسلم من التفرق والاختلاف الذى أهلك أهل الكتاب من قبلنا ، نتيجة تعدد التأويلات و تعدد الأهواء و هو ما وقعت فيه الفرق عندنا ، اتباعاً لسنن من قبلنا ، شبراً بشبر ، و ذراعاً بذراع .

فى العبادات :

٢- و تتمثل الثوابت كذلك فى (العبادات) التى فرضها الله على عباده ، قياماً بواجب شكره ، و حق ربوبيته لهم ، مثل الشعائر الركنية الأربع ، التى تمثل أركان الاسلام و مبانيه العظام : الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج ، و ما يكملها من نوافل تقرب المرء من ربه ، و تزيد من رصيده عنده ، و ما يلحق بها من عبادات أخرى مثل الذكر و الدعاء و تلاوة القرآن .

فهذه العبادات ثابتة باقية ، لا يدخل عليها تطوير و لا تغيير فى جوهرها و أصولها ، فالصلوات خمس فى اليوم و الليلة ، و كل صلاة منها عدد معروف من الركعات ، و كل ركعة منها أقوال و أفعال معينة ، قيام و قراءة و ركوع و سجود ، و تكبير و تسبيح و تشهد و تسليم ، وستظل هذه هى الصلاة ، عاش الناس فى القرن الأول أو الثلاثين ، كانوا يسكنون فى الأكواخ أو فى ناطحات السحاب ، و كذلك الزكاة و الصيام و الحج .

و لكن قد نجد مسائل فى أداء هذه الفرائض ، قد يحدثها التطور ، فتحتاج إلى اجتهاد جديد ، فى ضوء النصوص الثابتة و القواعد الشرعية المقررة ، كالصلاة بالنسبة لرواد الفضاء ، وأين تكون قبلة من يصلى فوق القمر ؟ والصلاة والصيام

فى المناطق القطبيـة و القريبة منها و صلاة من لا يجد وقت العشاء ، و إحرام ركاب الطائرات فى الحج أو العمرة ، والزكاة فى الأموال النامية الجديدة كالعمارات و المصانع و الأسهم و غيرها ، و تناول الحقن المغذية أثناء الصيام ، و تسجيل القرآن الكريم فى اسطوانة أو شريط ، هل له حكم المصحف أم لا ؟

و قد يدخل التطور فى تطبيق هذه العبادات ، كاستخدام البوصلة فى تحديد القبلة ، أو مكبرات الصوت فى الأذان ، أو المراصد فى رؤية الهلال ، أو الحاسبات الآلية فى حساب الزكاة ، أو الطائرات فى نقل الحجيج ، و لكن مثل هذه التطورات لا علاقة لها بالعبادات ذاتها .

المهم أن جوهر العبادات لا يتغير ، و لا يختلف باختلاف الزمان والمكان و الحال ، فهى من الثوابت الخالدة فى رسالة الاسلام و لا جدال .

فى القيم الأخلاقية :

٣- و من الثوابت كذلك ، (القيم الأخلاقيـة العليا) ، و أمهات الأخلاق العملية التى تحدد علاقة الانسان بربه ، كالاخلاص له ، و الرجاء فى رحمتـه ، والخشية من عقابه ، وعلاقته بنفسه ، مثل : النظافة والعفة والحياء والصبر والشجاعة و العزة ومحاسبة النفس ، وتحدد علاقته بأسرته ، مثل : الرعاية لحقوق الزوجية ، و حقوق البنوة ، و بر الوالدين و صلة الرحم ، و تحدد علاقته بالمجتمع ، مثل : قول الصدق ، و إنجاز الوعد ، والوفاء بالعهد ، ورعاية الأمانة ، ورحمة الصغير ، و توقير الكبير والعدل مع الصديق والعدو ، والبر بالناس و فعل الخير للجميع ، و غير ذلك من مكارم الأخلاق التى بعث النبى - ﷺ - ليتمها .

وفى الجانب السلبى : أمهات الرذائل التى حذر الاسلام منها أشد التحذير ، مثل : القتل و السرقة و الزنا و الشذوذ الجنسى و شرب الخمر ، و أكل الربا ،

و أكل مال اليتيم و الحسد والبغضاء و الكبر و الرياء و عقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، و شهادة الزور ، و الكذب ، و الغيبة و النميمة ، و الخيانة ، و سوء الظن ، و الغدر و القسوة و الظلم ، فكل هذه حرام ، بل من أكبر المحرمات إلى الله .

و هذه كلها ، سواء فى الجانب الايجابى أم السلبى ـ ثابتة راسية كالجبال ، فالعفة الجنسية مثلا فضيلة واجبة ، و الزنا رذيلة محرمة ، عاش الانسان فى بدو أو حضر ، و فى مجتمع زراعى ، أو صناعى . والحياء فضيلة لازمة ، و خصوصاً للانثى ، أمية كانت أو متعلمة ، فى القرن الأول ، أو فى القرن العشرين أو الأربعين ، و هكذا ، فمضى الزمن ، و تطور الأوضاع ، لا يحيل الفضائل إلى رذائل ، و لا يقلب الرذائل إلى فضائل .

كل ما فى الأمر أن العرف قد يكون له دخل فى بعض الأحيان ، فى تحديد بعض التفصيلات ، كأن يعتبر لوناً معيناً من الحديث أو المشى خارجاً عن الحياء أم لا ، و طريقة معينة فى اللبس خارجة عن الحشمة الشرعية أم لا ، كما ينظر فى زى معين ، هل هو تشبه بالرجال أم لا ؟ و هل فيه تشبه بالكفار أم لا ؟ و نحو ذلك مما يحتمل الاجتهاد و لا يمس جوهر القيم و الأخلاق .

فى الأحكام القطعية :

٤ـ و من الثوابت أيضاً ، (الأحكام القطعية) فى شئون الفرد و الأسرة و المجتمع و الحكم و الخلافات الدولية ، التى ثبتت بالنصوص الصحيحة و أجمعت عليها الأمة ، و استقر عليها الفقه ، مثل : إباحة الطلاق ، و تعدد الزوجات ، بما يتبعها من قيود وشروط ، وإيجاب النفقة على الزوج ، و إعطائه درجة القوامة على الأسرة ، و توريث الأولاد ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، و مثل : شرعية

الملكية الفردية ، وحل البيع و حرمة الربا ، و إيجاب الرضا فى العقود ، و الوفاء بها و الترخيص فى بيع السلم ، و جواز الرهن ، و الوكالة و الحوالة و نحوهما من العقود ، ووجوب إقامة الحدود ـ بشروطها ـ على المرتكبين لجزائها ، و التعزير فى كل معصية لا حد فيها و لا كفارة . . . . الخ .

فهذا النوع من الأحكام هو الذى يمثل (الوحدة الفكرية و الشعورية والسلوكية) للامة ، على اختلاف البيئات والأقطار ، و تغير الأعراف والأعصار.

المتغيرات المتجددة :

وفيما عدا هذه الثوابت الراسيات ، نجد جل أحكام الشريعة قابلة للاجتهاد و تعدد الأفهام ، و الاجتهاد علاقة ثلاثية بين المجتهد و بين الواقعة و الدليل ، و مهما يحاول المجتهد أن يتحرر من ذاتيته ، وينظر إلى الدليل بتجرد وموضوعية ، فالواقع أن المجتهد ابن زمانه و بيئته ، و لا بد أن يتركا « بصماتهما » على تفكيره ، شاء أم أبى ، كما أن الواقعة نفسها حدث متأثر بزمانه ومكانه ، من حيث وقعها على الأنفس و تأثيرها فى الناس .

و لا عجب أن تتغير هذه الأحكام الثابتة بالاجتهاد ، بتغير الزمان والمكان و العرف و الحال ، و هى الموجبات التى تؤثر فى اجتهاد المجتهد و فتوى المفتى ، و قضاء القاضى .

و هنا كتب الامام ابن القيم فصله الممتع فى كتابه الشهير « أعلام الموقعين » عن تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد و النيات ، و مما نقله فى ذلك ما ذكره عن شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية أنه مر على قوم من التتار أيام سطوتهم و طغيانهم ، و كانوا يشربون الخمر سادرين فى لهوهم و منكرهم فأنكر عليهم بعض أصحابه ، فقال لهم ابن تيمية : دعهم ، فان الله إنما

حرم الخمر ، لأنها تصد عن ذكر الله و عن الصلاة ، و هؤلاء تصدهم الخمر عن قتل الأنفس و سفك الدماء !

وكتب الامام شهاب الدين القرافى المالكى فصله القيم فى كتابه « الاحكام فى تمييز الفتاوى من الأحكام » عن تغير الفتوى بتغير العوائد و الأعراف فيما كان من الأحكام مبنياً عليها .

و كتب بعدهما علامة الحنفية ابن عابدين - الذى أصبحت حاشيته الشهيرة و رسائله عمدة المتأخرين فى المذهب - رسالته المسماة « نشر العرف فيما بنى من الأحكام على العرف » .

و ليس هذا التغير مقصوراً على الأحكام المبنية على العرف فقط ، أو الأحكام الثابتة بالاجتهاد فيما لا نص فيه ، عن طريق القياس و الاستحسان ، و الاستصلاح ، و غيرها فحسب .

بل يدخل فى ذلك كثير من الأحكام الثابتـــة بالنصوص الظنية أيضاً ، و بخاصة هذا النوع من الأحكام ، الذى بنى على رعاية مصلحة زمنية أو عرف قائم ، فينبغى إذا تغيرت المصلحة أو تغير العرف ، أن يتغير الحكم ، فانه يدور مع علته وجوداً و عدما .

مثال ذلك : قوله ﷺ : « الميزان ميزان أهل مكة ، و المكيال مكيال أهل المدينة » .

فالحديث يقصد إلى تقرير مبدأ هام فى التعامل بين الناس ، و هو الرجوع فى المعايير إلى ما انضبط و اشتهر عند أهله ، و أصبح من الدقـــة و الاتقان بحيث يحتكم اليهم ، ويعول عليهم ، و قد كان أهل مكة أهل تجارة و تعامل بالموزونات ، الدراهم و المثاقيل و الأواق و نحوها ، فضبطوها و أتقنوها ، أما

أهل المدينة فكانوا أهل زرع و ثمر ، فكان جل تعاملهم بالمكيلات ، من المد و الصاع ، و نحوهما ، فضبطوهـا و أتقنوها ، فجاء هذا الحديث النبوى الشريف يقرر الرجوع فى كل معيار إلى البلد الذى عرف به ، واختص بأحكامه وتدقيقه، فاعتبر المرجع فى الميزان أهل مكة و المرجع فى المكيال أهل المدينة .

و لكن إذا جد فى عصرنا - كما فى عصرنا هذا - موازين أو مكاييل أخرى و أيسر فى الحساب و أسهل فى التعامل ، مثل الجرام ، و الكيلو جرام ، و نحوهـا من المعايير العشرية ، فهل يقف الحديث النبوى المذكور عقبـة دون هذا التطور ؟ .

كلا ، فان هذا النص إنمـا ورد ، بناء على وضع قائم قد تغير ، و هو يسعى إلى هدف معين فى ضبط معاملات الناس ، و هو ما يتحقق على وجه أفضل بالانتقال إلى هذه المعايير الجديدة ، فاذا اعتبرنا هذه المعايير ، فقد عملنا بروح الحديث وحققنا فى الواقع هدفه الذى ورد لأجله ، و إن لم نعمل بلفظه .

و لذلك قبل المسلمون فى أنحاء العالم التعامل بهذا النوع من المعايير الجديدة دون نكير من أحد ، فكان إجماعاً على جوازه .

ومن ذلك النص على أن لزكاة الأثمان أو النقود نصابين ، أحدهما للذهب ، و الثانى للفضـة ، و بينهما تفاوت شاسع ، بحيث يمكن أن يكون الشخص غنياً تجب عليه الزكاة إذا قدر ما معه من النقود بالفضـة ، فاذا قدرته بالذهب تغير الوضع ، و ربما أصبح فقيراً يستحق الزكاة !

فهل قصد الرسول - ﷺ - ذلك ؟ أم تصادف أن كان هناك نقدان يتعامل الناس بهما ، أحدهما من الذهب و الآخر من الفضة ، و يصرف أحدهما بقيمـة معينـة من الآخر ، و الآن قد تغير الحال كلـه ، و لم يعد ثمت نقود

ذهبية ، ولا فضية تذكر ، فلا بد من النظر فى أصل الفضة واعتبار أحد النقدين هو الأساس فى تقدير النصاب .

و قد نظرنا فى ذلك و بحثنا فى « فقه الزكاة » فرأينا أنه ليس لزكاة النقود اليوم إلا نصاب واحد ، كما رأينا مع بعض علماء العصر : أن الأوفق هو اعتبار النصاب بالذهب . . . . أى العشرين ديناراً التى وردت بها الآثار ، و يساوى وزنها اليوم على أرجح الطرق فى التقدير ٨٥ جراماً ، فمن كان عنده نقود بلغت قيمتها قيمة هذا القدر من الذهب - ولو غالباً لا خالصاً - فقد ملك النصاب .

و هناك بعد ذلك شئون الحياة المتغيرة من زراعة و صناعة ، و طب و هندسة ، و ما إلى ذلك من العلوم التجريبية و تطبيقاتها فى الحياة اليومية ، فهذه و نحوها متروكة لعقول البشر و تجاربهم و ممارساتهم - ليس عليهم إلا أن يحكموا فيها منطق العقل و العلم و التجربة ، و هما التى ورد فى مثلها الحديث : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » .

و الاسلام بهذا التوازن يجمع بين الثبات و التطور ، أو الثبات و المرونة فى تناسق بديع .

إنه الثبات على الأهداف و الغايات ، و المرونة فى الوسائل و الأساليب ، الثبات على الأصول و الكليات ، و المرونة فى الفروع و الجزئيات ، الثبات على القيم الدينية و الأخلاقية ، و المرونة فى الشؤون الدنيوية و العلمية .

و الاسلام بهذا ، يتسق مع طبيعة الحياة الانسانية خاصة ، و مع طبيعة الكون الكبير عامة ، فقد جاء هذا الدين مسايراً لفطرة الانسان ، و فطرة الوجود .

أما طبيعة الحياة الانسانية نفسها ، ففيها عناصر ثابتة باقية ما بقى الانسان ، و عناصر مرنة قابلة للتغير و التطور .

فلا عجب أن تأتى شريعة الاسلام، ملائمة لفطرة الكون، وفطرة الانسان، جامعة بين عنصر الثبات و عنصر المرونة و التطور .

و بهذه المزية يستطيع المجتمع المسلم ، أن يعيش و يستمر و يرتقى ، ثابتاً على أصوله و قيمه و غاياته ، متطوراً فى معارفه و أساليبه و أدواته .

فبالثبات ، يستعصى هذا المجتمع على عوامل الانهيار و الفناء ، أو الذوبان فى المجتمعات الأخرى ، أو التفكك إلى عدة مجتمعات، تتناقض فى الحقيقة ، وإن ظلت داخل مجتمع واحد فى الصورة .

و بالمرونة ، يستطيع هذا المجتمع أن يكيف نفسه و علاقاته ، حسب تغير الزمن ، و تغير أوضاع الحياة ، دون أن يفقد خصائصه و مقوماته الذاتية .

الخطر كل الخطر على الحياة الاسلامية أن نثبت ما من شأنه المرونة و التطور ، أو نطور ما من شأنه الثبات و الخلود ، فتضطرب الحياة و تختل الموازين .

التناقض النصرانى . . . و التناقض الاسلامى

بقلم : الدكتور أحمد محمود الخليفة
مدير المركز الاسلامى بميونيخ

قضية الأديان ـ حاليا ـ من أهم القضايا التى تشغل بال العالم أجمع مسلمه و نصرانيه و يهوديه و بوذيه . . . الخ ، على السواء ، خاصة بعد ما بدأت ملامح الصحوة الاسلامية تظهر للعيان معلنـــة قرب ميلاد العملاق الاسلامى ، و الذى ترافق سابقاً مع ميلاده انتشار العدل و الحرية ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، و استتبع ذلك ظهور النهضة العلمية التى شع نورها فى ربوع العالمين ، هذا التاريخ الناصع لدين الله هو سبب من أسباب الأحقاد التى توارثتها قلوب علماء النصرانية و اليهودية والبوذية وغيرها ، ومع اجتماعهم فى ذلك الحقد نرى توافقهم و اتفاقهم فيما يخص محـاولات عرقلة استرداد الاسلام لدوره الحضـارى ثانيـــة لخطورته ـ حسب ظنهم ـ على أوضاعهم و مكاسبهم الفردية و الطائفية .

و عندما يقوم أحد المعايشين للغرب بتقديم محاضرة عن الاسلام والمسلمين يجد أن القلوب تنفتح للدين الحنيف لسبب عام وشامل وهو « تكامل المنهج . . . و انسجام المنهج » ذلك لأن أهل الغرب أنفسهم يشكون من التناقض الموجود فى الكتب التى بين أيديهم مما يجعل الواحد منهم ـ غير علمائهم ـ يقفون عند حدود تلاوة الصفحات الست أو العشر الأولى ، بعدها يصاب القارىء بالملل الذى يجعله يزهد فى الاستمرار فى المطالعة فتبقى فى ذهنه معلومات مشوشة عن الحياة والخالق و الآخرة و الاله و التوارث . . . هنا يجد نفسه عاجزاً عن الاستمرار فى مطالعة الانجيل ، و الافضل أن يتركه لأهل الاختصاص اللاهوتى . . . نفس هذا الشخص

يمكنـــه فى كثير من الحالات قراءة أجزاء كبيرة من ترجمات معانى ألفاظ القرآن الكريم بالرغم من خلوها من روح لغة التنزيل .

هذا التناقض الملحوظ فى روايات العهدين القديم والجديد تتسبب فى توقف القارىء عند سفر التكوين وما فيه من لا معقولات ، ثم ها هو يكفر بكل دين أو ينهزم و يرجع الفشل إلى نفسه فنجـــده يسلم قياده مغمض العينين إلى رجال الكهنوت متمنياً من هذا الاستسلام أن يوصله رجال الدين إلى بر الأمان . . .

هذا الموقف و هذه السلبية يسرا لرجال الكنيسة قيادة الشعب المسيحى مغمض العينين افترات طويلة حتى صدرت فى بعض الأوقات التشاريع المحرمة على غير رجال الكنيسة مطالعة الانجيل ، و تخصيص الاطلاع فقط على المقربين . . . هنا تمكن أصحاب الأغراض من اختراع قضية توارث الخطيئة ، وضرورة الكفارة عن طريق يسوع المخلص ، و إن كان يسوع يغيب اليوم فمن الضرورة إيجاد نوع من أنواع النيابة و الوكالة عنه ، فاخترعوا قضية الاحلال ، فالربوبية التى حلت حسب زعمهم فى المسيح ، لها أن تحل بعد ذلك فى علمائهم ـ البابا ـ و هذا يوزعها بدوره على القساوسة الذين سيحكمون بأمر الرب . . . . . .

هذا طبعاً بصرف النظر عن مساهمات الكنيسة و رجالها سابقاً فى تأصيل حكم الملوك و الاقطاعيين فى العصور الوسطى ، هـــذه التى جعلت شعار الثورة الأوربية « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » . . . رغبة فى القضاء على رجال الدين قبل رجال الحكم . . . هذا الانطباع هو أحد أسباب عقبات التعامل مع المجتمع الغربى ودعوته . . . ولذا فان تقديم المثل و النموذج الاسلامى فى تكامل و انسجام منهجه ، و الصفحات البيض فى تطبيقه فى عصور الحكم الاسلامى من الضرورة بمكان حتى نغير نظرة هؤلاء الأقوام إلى الدين و التدين .

ولننظر و بسرعة فى بعض تناقضات سفر التكوين فى العهد القديم ـ وهو أشهر ما قرأه أهل الغرب من الانجيل أو التوراة . . . و نحن لا نقدم هذه

التناقضات فى دراسة لمقارنة الأديان - فلذلك العلم أهل الاختصاص - و لكن نقدم ذلك لنعرف سبب ملل أهل الغرب من قضية التدين . . . أى تدين . . . ولن نتحدث عن اعتراضات النصارى أنفسهم على هذه النصوص - و ما أكثر النصوص و ما أكثر الاعتراضات - إنما سنسرد مجموعة من النصوص كما قلنا لنتعرف على نفسية أهل الغرب و نظرتهم للاديان .

١- الاصحاح ٢/٢-٣ : «وفى اليوم السابع كان الرب قد أنهى الخلق فاستراح»

٢- الاصحاح ٢/٩ : «وفى وسط الجنة كانت هناك شجرتان: إحداهما تهدى ثمراتها الحياة الأبدية، وتهدى الثانية علما يستغنى به عن الرب».

٣- الاصحاح ٢/١٨-٢٣ : « فكر الرب أنه ليس من المقبول أن يظل آدم وحيدا، فقرر أن يهديه شريكاً مناسباً ، فشكل من الأرض الحيوانات البرية و الطيور ، و لكن آدم لم يجد بينها الشريك المناسب . . . هنا خلق الله لآدم من ضلعه حواء التى فرح بها آدم » .

٤- الاصحاح ٢/٨-١٢ : « فى المساء ، ومع برودة الجو سمع آدم و حواء خطوات الرب فى الجنة ، فاختفيا وراء الأشجار ، ولما بحث عنه الرب و نادى أجابه آدم بأنه اختفى منه لأنه عار تماما ، هنا سأله الرب : وهل أكلت من الشجرة المحرمة ؟ فأجاب آدم : المرأة التى أعطيتنى إياها أعطتنى ثمرة فأكلها » .

٥- الاصحاح ٣ / ١٦ : « قال الرب لحواء : ستتألمين كثيراً عندما تحملين ، و تضعين الأطفال مع آلام شديدة ، ستنجذبين لزوجك و سيكون هو سيدك » .

٦- الاصحاح ٤/١٥ : « قال الرب لقابيل بعد قتله لهابيل : إذا قتلك أحد لجزاؤه أن يقتل من عائلته سبعة مقابلك » .

٧- الاصحاح ٦/٦-٧ : « لما رأى الرب الناس لا يعبدونه حزن حزنا شديداً وعاتب نفسه أنه خلقهم أصلا ، و قال : إنى راغب فى إفناء الناس والحيوانات وكل ما على الأرض » .

٨- الاصحاح ٦/٢٠ : « و قال الرب لنوح : خذ من كل الحيوانات ذكراً و أنثى ، ليتم إنقاذهم ، فانى راغب أن تبقى الحياة » .

٩- الاصحاح ٨/١١ : « و عادت الحمامة إلى نوح فى السفينة و فى منقارها ورقة من شجر الزيت » .

١٠- الاصحاح ٨/٢١ : « وسعد الرب من قربان نوح بعد النجاة و قال : لن أعاقب الأرض مرة ثانية ولن أدع المخلوقات تنقرض بسبب سوء الناس » .

١١- الاصحاح ١٢/١١-١٣ : « و لما وصل إبراهيم و زوجته سارة فى مصر قال لها : إنك جميلة ، و أخشى لو عرف الناس أنى زوجك أن يقتلونى ، فقولى أنى أخوك ليتركونى حيا و يحسنون معاملتى » .

١٢- الاصحاح ١٢/١٥-١٧ : « نادى فرعون على إبراهيم ، و أهداه العديد من الغنم و الماعز والبقر والحمير و الجمال والعبيد و الاماء ، كل هذا وداً لسارة ، ولما عاقب الرب فرعون على زواجه من سارة عاتب فرعون إبراهيم » .

١٣ـ الاصحاح ١٨/٢٠ـ٢١ : « قال الرب لابراهيم : وصلتنى العديد من الشكاوى عن أهل لوط ، و ذنوبهم تصرخ إلى السماء ، لذا أتيت لأنظر بعينى ، هل حقيقة سوء العمل هذا » .

١٤ـ الاصحاح ١٩/٣١ـ٣٦ : « و فى يوم قالت ابنة لوط الكبيرة لاختها : ليس هنا من رجال ، و أبونا شيخ ، سنسق أبانا خمراً و نضطجع واحدة تلو الأخرى معه لنرزق أولاداً . . . وحملت البنتان من أبيهما » .

و هكذا . . . فهل تتصور أخى الكريم أن كل هذه المناقضات جزء مما تحويه صفحات كتاب يدعى حاملوه أنه منزل من السماء . . . بوحى على نبى . . . ؟

و إن كان لتابعى المنهج هذه الملاحظات وأكثر ، فكيف يتيسر لهم متابعته ؟

و إن كان للمتسبين للمهج هذا القدر من الملاحظات فكيف بغير المتسبين الذين يتبعون كتاباً موحى من السماء محفوظاً من رب السماء ؟

ولسنا الآن بصدد نقد المنهج أو عقد المقارنات بين نصوص العهدين القديم و الجديد و بين القرآن الكريم لنشهد الفروق الواضحة الجلية بين المهجين . . . المنهج الربانى المحفوظ و المنهج الربانى المحرف . . . إنما نحن الآن بصدد البحث عن سبب خلو المعابد و الكنائس من الزوار ، بل سبب بيع الكثير منها بعد خلوها من روادها . . . نبحث عن سبب خروج أبناء الكنيسة الكاثوليكية إلى البروتستانتينية ، ثم تأسيس الكنائس الجديدة حتى زادت عن ١١٠٠ كنيسة حتى الآن ، حتى إن بعض الكنائس تبدأ بخمس عائلات و تموت عن عائلة واحدة . . . و هكذا .

نرى ــ و الله أعلم ــ أن أحد أسباب هذا التعدد المنهجى فى نصوص الكتاب الذى بين أيديهم . . . هذه التناقضات التى كانت سبباً فى حرمان جمهور

الكنائس من مطالعة الانجيل ، فلما بدأت المطالعة بدأت الانشقاقات ، و بدأ كل منهم يدعى أنه حصل بطريقة ما على أقدم النسخ و أنه بذا أولى بالاتباع ، لأن التناقضات فى نسخته أقل مما عند غيره . . . أما الأصل فلم يتمكن أى منهم الادعاء — ولو كذباً — أنه فاز به للان .

مواقف التناقض هذه هى التى جعلت أتباع الكنيسة يقبلون على الاسلام بشغف عندما يتعرفون عليه و على حقيقته ، يقبلون بشغف عند سماع أن القرآن لم يتبدل فيه حرف واحد طوال السنوات الألف و أربعمائة ، ولا يتمكن رجال الكنيسة من معارضة هذه الحقيقة ، هنا يحس المسلم أنه بدأ يضرب على وترحساس فى مناقشته ، فها هم الحضور يسألون عن أسلوب الحفظ على مدار الأعوام ، ثم ينتقل الحديث عن نقاط المنهج . . . ها هم يسألون عن حكمة التعدد ، وها هى أحداهن تعلن أمام الجميع قبولها للفكرة ، و أن المنهج الاسلامى أولى بالاتباع فى ذلك من المنهج الكنسى . . . وها هو عجوز يثنى على المنهج الربانى فى بر الوالدين . . وسيدة أخرى فى صلة الأرحام حتى عرضت ابنتها النصرانية للزاوج من مسلم ضماناً لصلة البنت لأمها . . . و يسعد المسلم مع سماع هذه الكلمات التى بدأت تتحرك فوق شفاه غير المسلمين آملا أن يتحول الشاء إلى اعلان بالاسلام ونطق بالشهادتين . . . . . . و لكن رجال الدين المسيحى لا يسعدون بهذا طبعاً ، هنا يضربون ضربتهم بتوجيه النقد إلى المسلمين .

و إن كان النصارى يشكون من التناقضات التى عجز رجال الدين المسيحى توضيحها أو تفسيرها ، فليضربوا أيضاً على نفس الوتر الحساس « وتر التناقضات »

فيأتى السؤال :

هل يصلى كل المسلمين ؟ .

هل يؤدى كل المسلمين زكاة أموالهم ؟

هل يبر كل المسلمين والديهم ؟ .

هل يصل كل المسلمين أرحامهم ؟ .

ثم المجموعة الثانية :

بم تفسرون الحرب الايرانية — العراقية وهى بين مسلمين ؟ .

بم تفسرون انتشار الجهل بين أتباع دين يدعو إلى العلم ؟ .

بم تفسرون تخلف بلاد المسلمين و دينهم يدعو للعلم ؟ .

بم تفسرون انتشار الأمراض بين أتباع دين يدعو إلى الصحة و القوة ؟ .

بم تفسرون تسلط الحكام المسلمين بالرغم من أحكام الشورى فى الاسلام ؟ .

بم تفسرون وجود الزنا و الخمر و الربا فى بلاد دينها يحرم ذلك ؟ .

وهكذا تهطل على المحاضر أسئلة عن التناقض السلوكى عند بعض المسلمين ، و يبدأ المحاضر فى الرد على هذه من آثار عهود الاستعمار و التخلف . و أن التناقضات ليست فى المنهج إنما هى فى تطبيق بعض شرائح المسلمين للنهج ، وكانا رجاء نحن رجال الدعوة و الصحوة و الحركة الاسلامية للعودة إلى المنهج المحفوظ الكامل المنسجم ، و ياليت المحاضر لم يتكلم بهذه المثالية عن رجال الدعوة الاسلامية، فالخبيث القس مدير مكتب التعامل مع المسلمين فى الكنيسة الكاثوليكية كان حاضرا فى إحدى المحاضرات فطرح على المحاضر السؤال التالى :

و لماذا لا تتحد الجماعات الاسلامية ؟ .

لماذا التناحر والتباغض بين مسجد كذا ومسجد كذا فى المدينة الواحدة ؟ .

لماذا اشتكى القيادى فلان زميله القيادى فلانا عند الشرطة ؟ .

هنا تبدأ الاجابات فى التلعثم ، فالمحاضر بين نارين . . . بين موافقة الخبيث على رأيه والبحث عن تعليل مقنع لبعض الممارسات ، و بين تكذيب الحقيقة . . . هنا تكون الاجابة و اللااجابة بأن تعدد الجمعيات الداعية فى الغرب للعودة إلى صفاء

و نقاء المنهج أمر صحى ، و نحن فى انتظار يوم يتم فيه تمام التطبيق للمنهج الربانى ، حينها ستذوب هذه الجمعيات فى مجتمع واحد . . . .

هنا ينظر الحضور بعضهم إلى بعض ، و نقرأ فى نظراتهـــم و نسمع همس قلوبهم يقول :

١ــ إن ما نشكو منه هو ذات ما يشكو منه المسلمون، فكلنا غرق فى التناقضات.

٢ــ لقد انتصرت الكنيسة على المسلمين وسقتهم من نفس كأس سمومها .

٣ــ يا حسرة . . . لقد ظننا أننا تعرفنا على أتباع الدين الحق الذى لا تناقض فيه ولكن الظاهر أن الكل سواء ، فلنظل على ما نحن عليه .

٤ــ أيها المسلمون المفرطون . . . إنكم أكثر خيانة لدينكم و خيانة للانسانية . . . لو أنكم حافظتم تطبيقاً على المنهج الصافى لاستحققتم السيادة و لاتبعناكم و لأنقذتمونا من تناقضات المنهج الذى نعيش عليه . . . و إلى الله المشتكى .

وتظل الشكوى مرفوعة لقيوم السماء و الأرض . . . مرفوعة ضد كل من كان سبباً فى هـــذه التناقضات فى التطبيق ، مرفوعة ضد كل من يستطيع تعديل الوضع ويتكاسل أو يحرص على متاع الدنيا فيدير ظهره لهذه الشكوى . . . ضد كل من يحاول قهر وحبس وظلم من جندوا أنفسهم فى محاولات لعلاج هذه التناقضات . . . و لينظر كل منا موقعه فى هذه السلسلة ، و لنحمد الله أن كنا ممن يحاول علاج التناقضات باخلاص و صدق ، ولنحذر إن كنا من الأصناف الباقية . . .

و بشارة الخير نراها فى هؤلاء أصحاب الشكوى ، فمنهم من يرد الله تعالى به خيراً فيعلن إسلامه ، ولكنه ــ و للاسف ــ يحاول الانعزال عن المسلمين . . . هذا الانعزال الذى يوقع بعضهم فى مشاكل فقهية ومنهجية تزيد من مشاكلهم . . . وننظر حولنا فى الغرب فنرى أناسا صدوا عن سبيل الحق كنتيجة للواقع

المتناقض فى تطبيقات المسلمين ، ونرى أناساً يعتزلون المسلمين فتتكون عندهم تناقضات جديدة . .

و نتساءل : من المسئول عمن صدوا عن سبيل الحق ؟ .

من المسئول عمن اعتزل و أخطأ ؟ .

من المسئول عمن ارتد بعد إعلانه لاسلامه ؟ .

من المسئول عن نظرات المشاركين فى المحاضرات بعد عرض التناقضات التطبيقية ؟ .

نعم . . . أخى الحبيب . . . . أنا و أنت . . . كلنا مسئول . . كلنا على كل المستويات . . . « كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته » . . . . .

كل فرد يتناقض تطبيقه عن المنهج الصافى . . . . مسئول

كل جماعة تتناقض علاقاتها مع غيرها . . . . مسئول

كل حاكم لا يحكم بما أنزل الله . . . . مسئول

كل من يأذن بالربا و الزنا و الخمر . . . . مسئول

كل قاطع رحم . . . . مسئول

كل عاق لوالديه . . . . مسئول

كل متدابر وكل شاهر سلاح لأخيه المسلم . . . . مسئول

كل متكاسل عن السعى و العمل و العلم . . . . مسئول

كل أسرة لا تحافظ على نظافة بيتها و شارعها . . . . مسئولة

فان كانت المسئولية لا تكاد يتملص منها إنسان مسلم . . .

فكيف بنا يوم الحساب . و السؤال يلاحقنا عن نصيبنا فى هذه المسئولية . . . بم نجيب رب العالمين فى الموقف العظيم ؟

هل من إجابة ؟ ؟ ؟

دور الشباب فى بناء المجتمع
و قيمته فى الميزان العالمى

بقلم : الدكتور محمد سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » الرياض)

هذا جزء مما يريده أعداء الاسلام والمسلمين لشباب الاسلام، لأن الشباب هم اليد العاملة ، والساعد البناء فى المجتمع ، فبصلاحهم يصلح المجتمع ، و بحماستهم و حرصهم يسعد المجتمع ، و بجدهم و اجتهادهم يتحقق بناء المجتمع و بفسادهم - لا قدر الله - يدب السوس فى جنبات هذا المجتمع .

و فى مقدمة أولئك الأعداء : اليهود والشيوعيون الذين يخططون و يعملون بجهدهم ليوهموا النصرانية بأنهم يدافعون عنها ، و هم فى الحقيقة يريدونها أن تكون مسخرة لهم لضرب الاسلام و هدم كيانه ، من باب ضرب عدو بعدو .

و لذا نراهم يستغلون هذا الجهد فى محاولة خبيثة لافساد شباب الاسلام بعد أن نجحوا فى إفساد شباب الغرب عن طريق المخدرات ، فاليهود خلف هذا الداء العضال ، لأنهم يحبون أن يضمنوا لأنفسهم البقاء فى ديار الاسلام بعد أن غرست دولتهم قهراً فى فلسطين ، فعملوا جهدهم ، و هدام خبثهم إلى تسليط المخدرات و ترويجها فى ديار الاسلام لتحقيق هدفين :

إفساد الشباب و إماتة معنوياتهم .

كسب المال الذى هو مطمع اليهود الأول .

فاذا أدرك أبناء الاسلام و مفكروه و قادته ما يراد بهم ، فان عليهم أن

يدركوا ما فی أعناقهم من أمانة نحو الشباب ، و ما حملوا من أجلهم من رسالة يجب أن يؤدوها علی وجهها .

فی أعناق الآباء أمانة فی التربية تتمثل فی القدوة الصالحة ، و التوجيه السليم و الرعاية المبكرة ، و المراقبة الدقيقة فی التوجيه و الارشاد ، فالطفل كما يقال سر لأبيه ، و الفتاة صورة عن أمها ، يقول الشاعر العربی :

و ينشأ ناشئ الفتيان منا علی ما كان عوده أبوه

فالآباء يجب أن يكونوا مرآة صادقة تعكس لأبنائهم الواجب الذی لا بد أن يصرفوه فی أنفسهم ، و نحو عقيدتهم و مجتمعهم ، ليحرصوا علی كل أمر حسن فينقلوه لأبنائهم من بعدهم أمراً و توجيهاً للابناء بعد التطبيق و العمل فی النفس ، فهم القدوة الحسنة .

و مثل هذا فی كل من يتحمل أمانة التوجيه كالمعلم و المرشد و الداعية ، و المربی و الرئيس فی العمل و غيرهم .

و إلی جانب هذا الدور الذی يجب أن يدركه الموجهون للشباب لأخذ أيديهم إليه ، و ربطهم بمصدری التشريع فی الاسلام كتاب الله و سنة نبيه محمد ﷺ وما فيهما من توجيه وتربية ورعاية، لأن الاسلام يدعو للعمل و الاخلاص فيه ، و إتقانه « رحم الله أمرأ صنع صنعة فأتقنها » .

و لذا فان هناك أمانة أخری من جانب الشباب أنفسهم تتمثل فی أمانة التقبل و العمل ، و أمانة السؤال و الاسترشاد ، و أمانة الاخلاص و المحبة ، و أمانة الوفاء للاباء و الامهات ، و الاعتراف بالفضل للعلمين و المربيـــات ، و الأخذ بأحسن القول و أمثل التشريع ، و نبذ ما سوی ذلك .

وهذه الامور كلها ابنات قوة فی بناء المجتمع ، و تشييد كيانه ، وتماسك .

فاذا بنى المجتمع بمثل هذه الدعائم التى تقوى الشخصية الفردية ، فان ذلك أمكن من بناء المصانع ، و تشييد المبانى .

لأن مظاهر البناء الحضارى ، لا بد أن يريده الشباب بعقولهم الناضجة ، وجهودهم المستمرة من بناء الشخصية فى الاسلام من حيث الصدق و الأمانة ، و الرجولة و المعرفة .

و بناء شخصية الشباب لا تتم إلا بالفهم الصحيح لما يدل عليه الاسلام بتوجيهاته من خير ، وما تأمر به تشريعاته من إحسان للنفس وللمجتمع « وأحسن كما أحسن الله إليك ، و لا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » (القصص الآية ٧٧) .

فالاسلام من مزاياه الحسنة ، وكل خصاله وثماره حسن ، إنه يجعل النفوس ترتبط بالعمل الحسن ، لما فيـــه من حسن ، وما يثيب عليـــه من أجر عاجل و آجل .

فهو يدعو للعمل و يثيب عليه ، و يدعو للصبر على كل ما يعترض الطريق و يحث عليه .

حتى إذا صبر المرء على مصيبة أو مشكلة تعترض ، فان هذا الصبر يتحول بالرضا إلى عمل تعبدى يؤجر عليه كما فى الأثر : « عجب للمسلم إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، و و إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

و الموجهون إذا أحسنوا رعاية الشبـــاب ، و إصلاح طريق مسيرتهم ، و الغوص فى أعماق نفوسهم ، بالرفق و اللين ، وتبصيرهم بما لهم و ما عليهم ، وفق منهج الاسلام السليم ، فان الشباب الذى تربى منذ النشأة الأولى فى بيئـــة إسلامية يأتمر بأمرها ، ويسير فى حياته من منطلقها ، فى الدعوة للعمل والمحافظة على الوقت ، و رعاية الأمانة التى تحت يده من حيث : .

المحافظة على الأسرار التى تقع عليها عينه .
المحافظة على الوقت الذى يعمل فيه .
المحافظة على النفس و عدم الاضرار بها من أى وجه .
المحافظة على الشعائر الدينية التى تأمر بالخير و تنهى عن الشر .
بر الوالدين اللذين قرن الله رضاه برضاهما .
تحمل المسئولية فى كل عمل يناط بالانسان .
احترام الصغير و رحمته ، و توقير الكبير و العناية به .
التواضع لله فى كل مسلك ، و اجتناب الكبر و الغطرسة ، و تعويد النفس على ذلك منذ الحداثة .

ثم إذا وجد الشباب الرعاية و التوجيه لتأصيل هذه الأشياء فى نفسه من البيت و المجتمع ، لا شك أن جذوره الخيرة ستتحرك وتتفاعل نفسه و أحاسيسه مع التوجيه السليم ، والرعاية المستمرة ، التى يسره إليه المهتمون بأمره ، الحريصون على ربطه بأساس العقيدة الصحيحة .

و بالتجارب و الايجاب نضمن إن شاء الله للشباب الخير و نأمن عليه من الشرور ، لأن الشباب سوف يحس فى أعماقه بمكانة الفضيلة التى يحرص الاسلام على تنميتها ، و بما يتركه فى النفوس من حب للخير ، و مدى تأثير ذلك على النفس و المجتمع ، و أثر ذلك فى الانتاج الذى هو قوام بناء المجتمع ، و الحرص عليه .

و لا شك أن الشباب سوف يقارن بين النتائج الايجابية فى المجتمع الاسلامى ، و السلبية فى المجتمعات الأخرى ، و دور الاسلام فى إصلاح النفوس واستقامة أحوالها ، بل سيربط هذا بكلمة لأحد المستشرقين عند ما قال:

« لو طبق المسلمون تعاليم دينهم، ونفذوا شرائعه كما جاءت لأغلقت المحاكم ودور الشرطة ، وانتهت السجون فى بلادهم ، لأن الاسلام ضمن للنفوس وازعاً ذاتياً يجعل كل فرد يؤدى ما عليه ويأخذ ما له فقط خوفاً من الله قبل الخوف من البشر ، و امتثالا لشرعه و ما أمر به رسوله ، قبل الامتثال لأنظمة البشر »

و بذا يتحقق للنفس البشرية ما كانت تنظر إليه بالمثالية حيث تنساق أوروبا كلها للاسلام ، الذى هذه بعض مثله العليا ، بحيث تربط أبناءه بأخلاق مميزة ، و صفات بارزة .

فبالرعاية الصحيحة للشباب من الشباب أنفسهم ، و ممن يهتم بأمورهم تجد النفوس حريصة على تلمس الخير حباً للخير ، فتعمل من أجله ، و تبتعد عن الشر و مسبباته مقتاً للشر و أثره السيئ ونتائجه المؤلمة المرذولة ، و تتفرغ النفوس للعمل الجاد البناء .

و بذا نضمن إن شاء الله شباباً صالحاً يبنى مجتمعه ، و يتفانى فى العمل من أجل إسعاد الأمة و رفاهيتها ، لأنه يشعر أنه واحد منها ، يفرحه ما يفرحها ، و يؤلمه ما يؤلمها .

و لا يكون الشباب صالحاً و مصلحاً ، إلا إذا انطلقت أفكاره و رغباته فى منطلق العقيدة الصحيحة الراسخة ، و امتثل ما تدعو إليه عملا و فهماً .

فبذلك يغيظ شباب الاسلام الأعداء الذين يريدون للاسلام وأهله التخلف والانحدار ليسيطروا على أفكارهم ، و يستثمروا خيرتهم اقتصادياً ليجعلوهم يسيرون خلف موكبهم الحضارى فى تبعية مستمرة على مبدأ المثل العربى « جوع كلبك يتبعك »

بينما الواقع الذى يجب ترسيخه فى أذهان شباب الاسلام ، أن القوة بالفهم و الادراك ، حيث يتبعها العمل و الجد ، و أن العزة مع التمسك بمنهج الدين و تعاليمه، بدون تردد أو تشكيك ، فالله يقول و قوله الحق .

« الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً » .

و يقول سبحانه ، فى قصة المنافقين .

« يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون » .

و الله نسأل أن يوفق شباب المسلمين فى هذا العصر لأن يكونوا قدوة صالحة بمن سبقهم ، ومثلا أعلى لمن يأتى من بعدهم، ليكونوا صالحين فى أنفسهم بالعمل ، مصلحين لأمتهم بالجد ، حافظين للامانة ، عارفين بواجبهم و ما يحتمه الواجب عليهم .

« و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون ، و ستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »

و الله الهادى سواء السبيل .

اليهود فى القرآن

الأستاذ عبد الكريم بارك
عضو هيئة أحوال المدلين الشخصية ا
تعريب : محمد أكرم الندوى

لقد عم الشعور فى هذه الأيام بضرورة تعريف المسلمين بتأريخ
و اليهود ، و إنه لمن المخجل المؤسف أن الأمة التى يحتوى كتابها
تأريخ اليهود و بنى إسرائيل و حوادثهم و عوائدهم و أخلاقهم و ر
و عقليتهم الفاسدة هى الأمة التى تعتبر أجهل الأمم بتأريخ اليهود ،
من المتوقع أن المسلمين هم أعرف الناس بتأريخ اليهود ، بل إن
لايمكنهم أن يعرفوا عن تأريخهم بقدر ما يعرفه مسلم يدرس كتاب
والواقع أن كثيراً من حوادث تأريخهم مما يجهله اليهود و المسلمون
تقصيها و التوصل إلى حقائقها إلا عن طريق القرآن الكريم .

إنه لغريب و لكنه واقع أن المسلمين تركوا دراسة القرآن ا
بعد القرون المشهود لها بالخير ، لا ننكر أن الشواذ من علماء الأمة
الوشيجة بين الأمة الاسلاميـــة والقرآن فى عصورهم ، ولكن المس
بهذا الجانب اهتماماً يليق بشأنهم ، بل إنهم لم يعتنوا بهذا الجانب بتاتاً
آخر نشاهد أن عفريت اليهودية واقف فى وجه العالم الاسلامى فاغراً ف
ماذا سيحدث غداً ، لذلك نرى من اللازم أن نكشف على هذه الأمة
خلال دراسة للكتاب الالهى عن ماضى اليهود و حاضرهم و مستقبلهم

كل شخص يتحرى الحياد و الموضوعية لدى دراسته لتأريخ اليم
الكريم ليجد شهادة قوية على أنه من عند الله و أن محمداً ﷺ نب

و من واجبنا نحن المسلمين أن نعلن للبشرية جمعاء ، عن عزائم اليهود فى المستقبل و المكانة التى تحتلها اليوم ، و أن نقدر ما يعود علينا من مسئوليـــة تجـاه هذه الفتنة العمياء .

و انطلاقاً من هذا الهدف نذكر أولا الآيات القرآنيــــة عن اليهود ، و لازاحة النقاب عن التاريخ فقد استندنا إلى أحاديث النبى ﷺ و أصحابه وآراء المفسرين قديماً و حديثاً ، كما لم نأل جهداً فى مراجعة التوراة و الأناجيل الأربعة و التفسير « تالمود » .

إنى لم اعتمد على نفسى فى تفسير آيات القرآن الكريم و إنما قمت بهذه الخدمة متقيداً بالنطاق الفكرى الذى رسمه المفسرون قديماً و حديثاً .

و إنى راعيت فى مقتطفات التوراة و الانجيل و التلمود أن أثبت الأبواب والآيات والصفحات ، كما قد بينت بطرق على ثابت العدوان اليهودى فى العصر الراهن ومكانة المسجد الأقصى وقضية فلسطين والمؤامرات الأمريكية البريطانية .

تقسيم مراحل التأريخ البشرى على أساس النبوة .

و يمكننا أن نقسم حياة الانسان منذ ان وجد على وجه هذه الأرض إلى سبعة عهود تالية :

١- من آدم إلى نوح عليهما السلام .

٢- من نوح إلى إبراهيم عليهما السلام .

٣- من إبراهيم إلى موسى عليهما السلام .

٤- من موسى إلى عيسى عليهما السلام .

٥- من عيسى إلى محمد صلى الله عليهما وسلم .

٦- من بعثة النبى محمد ﷺ إلى يومنا هذا .

٧- و من عصرنا هذا إلى أن تقوم الساعة .

منذ أن هبط آدم عليه السلام إلى هذه الأرض حتى بعث النبى محمد ﷺ ظل الأنبياء و المرسلون يدعون الناس إلى الدين الحنيف و أنزلت معهم الكتب والصحف ، فالذين استجابوا لدعوة الأنبياء وآمنوا بالكتب السماوية كانوا مسلمين، و المسلمون هم الذين يؤمنون بالأنبياء و المرسلين جميعهم و بالكتب و الصحف السماوية بأسرها ، يقول الله عز و جل :

« و الذين يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك »

و لم يفقد الناس إسلامهم إلا حينما انتشر الفساد فيهم و عم .

لما آمن الناس بدعوة المسيح عليه السلام قالوا : « وأشهدوا بأنا مسلمون» ولكن لما ظهر الفساد فيهم قالوا إنا نصارى . وتوزع المسلمون إلى أحزاب مختلفة.

كان يعقوب عليه السلام يلقب بإسرائيل ، و نسبة إليه سميت أولاده بنى إسرائيل ، و قد خاطبهم الله عز و جل بهذا اللقب فى كتابه الكريم حيث يقول : « يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين »

كان بنو إسرائيل مسلمى زمانهم ، و كان أبوهم قد وصاهم بقوله : « و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون » و لكنهم انحرفوا عن الجادة و ضلوا الطريق على مر الأيام حتى سموا أنفسهم اليهود ، و قد خاطبهم الله كذلك بهذا اللقب إذ يقول « يا أيها الذين هادوا »

عهد آدم عليه السلام :

قمنا بتقسيم التاريخ البشرى فيما مضى من البيان إلى سبعة عهود مختلفة و العهد الأول يمتد من آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام .

والتاريخ نفسه يجهل هذا العهد ، و لكن القرآن الكريم يذكر هذا العهد فيقول :

« كان الناس أمة واحدة ، ، فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين ، و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، و ما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، و الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » (سورة البقرة الآية ٢١٣) .

هذه الآية الكريمة تلقى الضوء على تاريخ البشرية من عهد آدم إلى نوح عليهما السلام . هبط الانسان إلى الأرض فتناسل و تشعب ، حتى انقسم الناس إلى رهوط و قبائل ، و على حد تباعدهم عن عهد آدم عليه السلام ضعفت صلاتهم بالنبوة وتشوهت صورة الدين بما كانوا يواجهون من فوضى فكرية ، فبعث الله منهم النبيين وأنزل معهم الكتب ، كان آدم أول نبى اختاره الله لأداء رسالته ، انتهى عهده الشخصى ، و وجدت البشرية ، ثم ابتدأ عهد نوح عليه السلام ، و تشير إلى ذلك الآية القرآنية التالية .

« إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل ابراهيم و آل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم ، (سورة آل عمران ، الآيتان ٣٣، ٣٤)

عهد نوح عليه السلام :

إن عقيدة التوحيد النقية الخالصة التى ترك عليها آدم بنيه كانت قد امتزجت بالشرك ، و يرجع ذلك إلى اتساع نطاق العمران البشرى ، و أدى هذا الاتساع إلى التنائى و التباعد فى الأمكنة ، كما سبب ذلك إلى حد أنهم بدأوا يتحاربون و يتقاتلون فيما بينهم على مر الأزمنة ، و نسوا أنهم ينتمون إلى أصل واحد ، و كان أبوهم قد أخبرهم بأن إلههم واحد ، و كانت حياتهم المشركة هى السبب الرئيسى فى التهاب نار الفتنة و نشوب الحرب فيما بينهم

لكن الذين استولى عليهم ابليس و صدق فيهم ظنه نسوا دعوة آدم عليه السلام و وقعوا فريسة للشرك ، حتى إن الصالحين من عباد الله الذين أرسلهم الله عز و جل لهدايتهم جصصوا قبورهم و بدأوا يعبدونهم ، و قد ذكر القرآن الكريم خمسة من صالحى هذا الزمان ، وهم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر .

كان نوح عليه السلام يدعو الناس إلى التوحيد الخالص النقى وكان المشركون ينادون بالتمسك بدين آبائهم و أغروا الشعب بأسره ضد نوح عليه السلام و قالوا إنه ينكر دين آبائنا ، و هنا يحكى القرآن الكريم قولهم :

« و قالوا لا تذرن آلهتكم و لا تذرن وداً و لا سواعاً و لا يغوث ويعوق و نسراً » (سورة نوح الآية ٢٣)

إن عبادة الصالحين هى التى أوقعتهم فى هوة الهلاك ، و قد نصت بعض الروايات أنهم كانوا صالحين و داعين إلى توحيـــد الرب جل و علا ، و لكن الشيطان دلى الناس دائماً بغرور أن يعبدوا أولئك الذين يسعون لاصلاح البشرية و هدايتها حتى يتلاشى التوحيد .

إن هذه المؤامرة الخطيرة التى يحكها المشركون تزيد عملية إصلاح الأمة تعقداً وصعوبة . فان أمثال هؤلاء من المشركين لا ينكرون الله إنكاراً بيناً ، ولا يدعون الصالحين من عباده ، بل إنهم يخلطون بينه و بينهم خلطا يتعسر معه التميز بين الحق و الباطل .

لم يستغرق إصلاح أمة من الوقت ما استغرقه إصلاح قوم نوح ، فبعد هذا الجهد المضى الذى بذله نوح عليه السلام طوال ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يؤمن به و لم يلتف حوله إلا عدة أشخاص يعدون على الاصابع ، وكفر به الناس جماعياً ، كانوا متحاربين ومتقاتلين فيما بينهم ، ولكنهم توحدوا ضد نوح ،

و هل تجدى الوحدة مع الذنوب نفعاً ؟ فقد كان العذاب الالهى يحلق فوق رؤوسهم .

لا بد لنا أن نذكر أن العمران البشرى لم يكن آنذك منتشراً فى الأرض كلها و إنما كان أبناء آدم استوطنوا الشرق الأوسط ، لم تكن لهم أى معرفة بسعة أرض الله تعالى ، كانت هذه المنطقة هى الساحة لجهودهم و مساعيهم ، لم يذكر القرآن و التوراة فحسب طوفان نوح ، بل إن الكتب الدينية كلها أخبرت بهذا الطوفان ، و قد احتفظ الناس بتأريخ هلاك آبائهم .

أوجزنا قصة نوح عليه السلام فمن أراد التفصيل فعليه بالرجوع إلى سور هود و الشعراء و نوح ، إن أبناء التوحيد اعتبروا الشرك دينهم الحقيق ، رفضوا دعوة هذا النبى الكريم عليه الصلاة و السلام ، فأغرقهم الله فى الطوفان ، و لم ينج إلا من كان يعبد الله وحده ، ركبوا فى سفينة صنعها نوح عليه السلام بأمر من ربه ، قضى على المشركين و طهرت الأرض كلها من المتنجسين ، ثم عمر الدنيا أولئك الذين ركبوا فى السفينة مع نوح ، و انتهى باب من التاريخ البشرى ، و لا ندرى عن اكتسابات البشر و إنجازاته حتى ذلك الزمان شيئاً .

و انتشر فى العالم أبناء نوح و من آمن به ، و من هنالك عرف هو بآدم الثانى .

« يتبع »

طه حسين . . . :
مهندس التغريب و العلمنة فى العالم العربى

بقلم : د . ظفر الاسلام خان

نتج عن الاحتلال الأوربى للبلاد الاسلامية فى القرن التاسع عشر نوعان رئيسيان من الاستجابة : مقاومة و استسلام ، و حاول دعاة الاستسلام محاكاة الغرب المحتل بتقليد لغته و ثقافته و أفكاره ، كما حاولوا صب الاسلام فى قالب علمانى مقبول للاوروبيين ، و أطلقوا على هـذه الاستجابة وصفاً محترماً ، و هو « التجديد » ، و يرى الدكتور محمد البهى فى كتابه « الفكر الاسلامى الحديث » بحق أن طه حسين هو زعيم هؤلاء « المجددين » .

و طـه حسين (١٣٠٧-١٣٩٣هـ-١٨٨٩-١٩٧٣م) ليس فى حاجة إلى تعريف و تقديم ، فهو أشهر أديب عربى بين أدباء هـذا القرن ، و إلى اليوم يشار إليه بلقب « عميد الأدب العربى » ، و كان طه حسين أشهر من تولى وزارة المعارف فى مصر ، كما أنه تلقى عـدداً لا يحصى من شهادات الدكتوراة الفخرية من جامعات فرنسا وانكلترا و إيطاليا و أسبانيا ، و كان صديق معاصريه من المستشرقين و حبيبهم ، و لا يزال هناك عدد كبير من أصدقائه و تلاميذه الذين يدافعون عنه و يقدمونه على أنه أكبر عامل « تحديث » فى العالم العربى

و لكن ظهرت دراسات عديدة فى السنوات الماضية حول طـــه حسين تكشف عن أهميته الأدبية المنفوخة ، و من أحدث هذه الدراسات كتاب « طه حسين : الجريمـة و الادانة » للكاتب و الصحفى المصرى المعروف جابر رزق ، و الذى يلخص دراسات متعددة تدور حول طه حسين ، و قد نشرت الفصول الأربعة الأولى من هذا الكتاب على صفحات مجلة « الاذاعة و التليفزيون » المصرية فى صيف ١٩٨٢ ، و أطلق تلاميذ طه حسين العنان لصراخهم ضد هذه المقالات إلا أنهم فشلوا فى الرد على الاتهامات الخطيرة التى وردت فى هـــذه المقالات ، و لكنهم تمكنوا فى نهاية الأمر من الضغط على الحكومة لتتدخل من وراء الكواليس و تمنع ظهور المزيد من هذه المقالات .

و لنستعرض أولا وقائع الحياة الشخصية لطه حسين : لقد ولد طه حسين بقرية كلو فى صعيد مصر فى نحو ١٨٨٩ ، و فقـــد بصره فى صباه من جراء الاصابة بالجدرى ، وحصل على تعليمه الابتدائى فى كتاب القرية ، ثم توجه إلى الأزهر سنة ١٩٠٢ ، وأمضى هناك ست سنوات ، و كان مولعاً بدرس الأدب العربى و الشعر ، مهملا الموضوعات الاسلامية الجادة ، و كانت النتيجة أنه منى بفشل ذريع فى امتحان العالمية سنة ١٩٠٨ ، وهجر طه حسين الأزهر ناقماً عليه ، ليصبح من أكبر معارضيه .

والآن انضم طه حسين إلى المعسكر المعادى ، فالتحق بالجامعة المصرية الأهلية ، غير الرسميه ، التى كان يديرها الارستقراطى لطفى السيد لأجل تحديث مصر وأصبح لطفى السيد ناصح طه حسين المخلص وراعيه فى حياته المقبلة ، وأعطاه تلميذه لقب «أستاذ الجيل» اعترافاً بالجميل و العرفان ، و أعطى طه حسين أول شهادة دكتوراة منحتها الجامعة المصرية الأهلية سنة ١٩١٤ ، ثم أعطى منحة حكومية ليتوجه إلى

باريس للدراسة فى جامعة السوربون ، و هنا حصل طـه حسين على دكتوراه أخرى سنة ١٩١٨ عن أطروحة أعدها حول فلسفة ابن خلدون .

و كان افتتان طه حسين عظيماً بأوربا لدرجة أنه يزعم أنه « ورث عقلا يونانياً عن أجداده القدامى » (ص : ٤٤ ، ٤٥) ، ولا يسعه أن يفهم السبب فى ظن المصريين أنهم أقرب إلى الشرق و الهنود و الصينيين و اليابانيين منه إلى الايطاليين والفرنسيين واليونانيين . و هو يقول معلقاً على هذا الاتجاه المصرى .

« و قد استطعت أن أفهم كثيراً من الخطأ ، و اسيغ من اللغط و أفسر كثيراً من الوهم ، ولكنى لم أستطع قط ولن أستطيع فى يوم من الأيام أن أفهم هذا الخطأ الشنيع أو أسيغ هذا الوهم الغريب » (ص : ١٢١) .

و هو يناشد أهل بلاده بأن يمحوا من قلوبهم :

« هذا الوهم الآثم الشنيع الذى يصور لهم أنهم خلقوا من طينة غير طينة الأوروبى و فطروا على الأمزجة الأوروبية ومنحوا عقولا غير العقول الأوروبية» (ص : ٨٨) .

و هو يقول فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » الذى نشره سنة ١٩٣٨ :

« لكن السبيل إلى ذلك (الرقى) ليست فى الكلام يرسل إرسالا ، و لا فى المظاهر الكاذبة و الأوضاع الملفقة و إنما هى واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج و لا التواء ، و هى واحدة فذة ليس لها تعدد ، و هى أن نسير سيرة الأوروبيين و نسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً و لنكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها و شرها ، حلوها و مرها ، و ما يحب منها و ما يكره ، و ما يحمد منها و ما يعاب » (ص : ٨٨) .

و كان طه حسين يشير أحياناً بشئ من السخرية الممزوجة بالرضا إلى ما

كان يقال من أنه « سفير فرنسا فى مصر » أو أنه « سفير الثقافة اللاتينية فى البلاد العربية » (ص : ٤٥) .

و كان طه حسين قد رمى بعمامته فى البحر عند ما أبحرت سفينته من الاسكندرية نحو فرنسا ، و أهدى قفطانه لراقصة فرنسية ، و أصبح طه حسين تلميذاً مخلصاً للمستشرقين مثل نللينو ، و دور كهايم و كازانوفا و ماسينيون ، وحذا طه حسين حذو أستاذه «دوركهايم» فى السخرية باسهام ابن خلدون والتقليل منه ، وتبنى طه حسين أفكار أستاذه «كازانوفا» عن القرآن والتفسير ، وقال فيما بعد : « إنه لم يفهم القرآن فى الأزهر ، و فهمه فى فرنسا على يد كازانوفا (ص: ٤٧) و هو يصف تملقه بفرنسا بدون حياء :

« كل شئ فى فرنسا يعجبنى و يرضينى : خير فرنسا و شرها ، حلو فرنسا و مرها ، نعيم فرنسا و بؤسها : كل ذلك يروقنى و يلذنى و تطمئن إليه نفسى اطمئناناً غريباً إنى لأحس نفسى تسبق القطار إلى باريس على سرعة القطار » (ص : ٤٨) .

وقد أيد طه حسين فرنسا حين ضربت دمشق بالقنابل ، و هاجم المجاهدين الذين كانوا يجاهدون ضد الفرنسيين فى شمال أفريقيا ، و وصف عربها بالهمجية و التوحش و قال : « إن الفرنسيين قد عانوا مشقة شديدة فى سبيل إخضاعهم » (ص : ٤٥-٤٩) و حين جاءت الوفود السورية و اللبنانية إلى القاهرة لحضور الجلسة الطارئة لجامعة الدول العربية فى أوائل يونيو (حزيران) ١٩٤٩ لبحث العدوان الفرنسى على سوريا و لبنان ، دبج طه حسين المقالات مدافعاً عن سياسات الجنرال ديغول ، تحت ستار الأدب و الفن (ص : ٤٩) .

و قد لاحظ الأستاذ أنور الجندى أن طه حسين لم يكتب كلمة واحدة

طوال حياته ضـــد الاحتلال الصهيونى لفلسطين أو مدافعاً عن حقوق الشعب الفلسطينى (ص : ٥٠) و على العكس من هذا أجاز طه حسين رسالة دكتوراة قدمها يهودى مصرى ، و هو إسرائيل ولفنسون ، حاول فيها إثبات حق اليهود فى فلسطين (ص : ٦٩) .

و قد لاحظ القسيس كمال قلته فى رسالة دكتوراة عن طه حسين :

« إن الفكر الفرنسى بالنسبة لطه حسين أكثر من مدرسة أو من معين ، لقد كان جزءاً من حياته ، و جزءاً من إنتاجه حتى تكاد تحسب من خلال قراءة ما كتبه عن فرنسا و عن أرجاء فرنسا و عن تاريخ فرنسا ما يقنعك بأن هـــذا الأثر لا ينتجه إلا من كان فرنسياً فكراً وثقافة و إحساساً . . هذه البيئة الفرنسية هى أهم ما أثر فى حياة طه حسين الفكرية ، و فلسفته تنصب فى ظى على غاية أساسة أن يخلق من مصر امتداداً لأوروبا و الثقافـــة الغربية و فرنسا بالذات ، لقد كان يود من صميم أعماقه أن تقوم فى مصر حضارة و رقى كما فى أوروبا و خاصة فى فرنسا » (ص : ٤٨) .

و عاد طه حسين إلى مصر مكتملا بزوجة فرنسية ، و عين مدرساً للتاريخ القديم فى الجامعـة المصرية الأهلية التى كان راعيه لطفى السيد لا يزال يديرها وكان لطفى السيد يعتبر طه حسين « ابنه الأوحد » ، وظل طه حسين فى وظيفته هذه مدرساً للتاريخ القديم من سنة ١٩١٩ إلى سنه ١٩٢٤ حين تولت الدولة أمر الجامعة المصرية الأهلية و حولتها إلى الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) ، و فجأة و بقدرة قادر ، أصبح طه حسين «أستاذ الأدب العربى» ، و قد لاحظ الكاتب المصرى المعروف زكى مبارك (١٨٩١ - ١٩٥٢).

«إن من العجب فى مصر بلد العجائب أن يكون طه حسين أستاذ الأدب

الدربي فى الجامعة المصرية ، وهو لم يقرأ غير فصول من كتاب الأغانى ، و فصول فى سيرة ابن هشام ، إن الأستاذية فى الآداب عبء لا ينهض به إلا الأقلون ، وهى تفرض الاطلاع الشامل على خير ما أبدع العرب فى خمسة عشر قرناً و هى تفرض البصر الثاقب بأصول الأساليب ، و هى تفرض العناء المطلق فى التعرف إلى فحول الكتاب و الخطباء و الشعراء ، و طه حسين ليس من أولئك فى كثير أو قليل » (ص : ٦٣) .

و هنا ، فى الجامعة المصرية ، ألقى طه حسين سلسلة محاضرات سنة ١٩٢٦ عن الشعر الجاهلى الذى يستخدمه علماء اللغة العربية و المفسرون بصورة تقليدية لشرح المفردات القرآنية ، و على عادة المستشرقين ، يرفض طه حسين هذا التراث الشعرى رفضاً تاماً ، و يتهم المسلمين الأوائل باختراع هذا الشعر لاساغ الشرعية على القرآن و الاسلام ، و هذا الاتهام يلقى ظلالا كثيفة من الشكوك حول تراث العلوم و المعرفة الاسلامية كله . لأنه بعد الاعتراف بعدم أصالة الشعر الجاهلى يصبح كل شئ آخر مشكوكاً فيه ، و قد أظهر باحث مصرى كبير كان تلميذاً لطه حسين فى وقت من الأوقات ، و هو الأستاذ محمود محمد شاكر ، أن طه حسين سرق مادة هذا الكتاب من بحث نشره المستشرق المعروف مارغوليوث فى عدد يوليو (تموز) ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، وقام طه حسين بـ «تعريب» البحث مع حذف الأدلة التى كانت تدل على جهل المستشرق بالعربية ويرى الأستاذ شاكر أن كتاب طه حسين حول الشعر الجاهلى ليس إلا «حاشية» على بحث هذا المستشرق (ص : ١١ ، ١٢) .

ويتجرأ طه حسين فى هذا الكتاب على نفى وجود النبيين إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام ، و هو من أخطر ما قاله طه حسين .

« للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم و إسماعيل ، و القرآن أن يحدثنا عنهما و لكن ورود هذين الاسمين فى التوراة و القرآن لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى ، فضلا عن إثبات هذه القضية التى تحدثنا بهجرة إسماعيل و إبراهيم إلى مكة ، و نشأة العرب المستعربة ، و نحن مضطرون أن نرى فى هذه القصة نوعاً من الحيلة فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، و بين الاسلام واليهود و القرآن و التوراة من جهة أخرى » (ص : ٦٤) .

و يرى طه حسين أن العرب اخترعوا هذه القصة لأسباب سياسية واقتصادية و أن القرآن قبل بها على علاتها ، ويزعم طه حسين ، دون إيراد دليل وبرهان ، أن العرب اخترعوا هذه القصة قبيل ظهور الاسلام ، و أن الاسلام استغلها لأغراض « دينية » ، و لذلك « سيستطيع التاريخ اللغوى ألا يحفل بها (قصة هجرة ابراهيم و إسماعيل و بنائهما الكعبة) عند ما يريد أن يتعرف أصل اللغة العربية الفصحى » (ص : ٧٧) و يرفض طه حسين الشعر الجاهلى و يسقطه من اعتباره لزعمه أن الرواة العرب قد اخترعوه ، و هو يقول : « إن القرآن يمثل العصر الجاهلى و يشخصه و أنه مرآة للحياة الجاهلية » ، و هو يدعو إلى الاعتماد على « القرآن من ناحية و التاريخ و الأساطير من ناحية أخرى » لفهم العصر الجاهلى (ص : ٧٧) .

و ينكر طه حسين ، كذلك صحة القراءات السبع و أصالتها ، و يزعم أن الرسول الكريم ﷺ ، كان يشجع شعر الهجاء ، وهو يدعى كذلك أن الرسول الكريم استعار القصص القرآنية من اليهود و المسيحيين ، و يقول إن عمر كان متعصباً لقريش رغم بقائها على الكفر و الشرك (ص : ٧٨ ، ٧٩) .

و ينتقل طه حسين من إنكار الشعر الجاهلى إلى إنكار الجاهلية العربية نفسها زاعماً أنه لم تكن هنالك جاهلية فى العرب قبل الاسلام ، بل كانوا أمة متحضرة راقية ، و كانوا يمثلون « القوة الثالثة فى العالم بعد الفرس و الرومان (ص : ٨٠ ، ٨١) .

و كانت المحصلة النهائية لهذا كله هى أن القرآن ليس وحياً ، بل اخترعه محمد ﷺ ، و أن الاسلام كان ديناً محلياً صالحاً لمجتمع معين و لفترة معينة من التاريخ ، و هو عين ما يقوله المستشرقون ، و بعد هذا كله ، لم يكن غريباً أن يقول طه حسين لطلابه فى كلية الآداب :

«ليس القرآن إلا كتاباً ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجرى عليه ما يجرى عليها ، و العلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر نهائياً عن قداسته التى تتصورونها ، و أن تعتبروه كتاباً عادياً لتقولوا فيه كلمتكم ، و يجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شئ من هذا الكتاب و يبين ما يأخذه عليه » (ص : ٨٤) .

و كان طه حسين يقول لطلبته : إن السور المكية تمتاز « بالعنف والقسوة و الحدة و الغضب و السباب و الوعيد » . . بينما القسم المدنى من القرآن « هادئ وديع مسالم » . . . « لا شك أن هذا أثر واضح من آثار التوراة والبيئة اليهودية التى ثقفت المهاجرين إلى يثرب ثقافة واضحة يشهد بها هذا التغيير الفجائى الذى ظهر على أسلوب القرآن » (ص ٦٨) .

« للبحث صلة »

من وسائل التعليم و التربية

المساكن الاجتماعية

فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء

تعريب : محمد إبراهيم الردولوى

تأثير المساكن الاجتماعية :

السكن الاجتماعى و نظام المساكن الاجتماعية للتعليم و التربية الاجتماعية يحملان تأثيرا كبيراً و كثيراً على شريطة أن يستفاد منهما كما ينبغى ، و ذلك أن هذا النظام تشترك فيه أشياء كثيرة و الجهد فيه من نوعية واحدة يستطيع أن يؤثر فى وحدة اجتماعية بكاملها و فى وقت واحـــد ، بل إن بعض الأحداث الطارئة التى تقع من غير عمد تؤثر كذلك و لا يقل تأثيرها عن التأثيرات التى تتوافر عن طريق التربية تحت نظام مخطط .

الوحدات السكنية فى العصر الحاضر :

وفى العصر المعاصر حيث تفكك تقريباً نظام الوحدات الأسرية ، و تتكون الوحدات تبعاً للمتطلبات الحضارية و هى تكون فى أشكالها متحدة الطبع و لكنها لا تكون كذلك فى حقيقتها ، و المثال على ذلك أن الساكنين فى مبنى واحد بل و فى طرفى جدار واحد بعض الأحيان لا يعرف أحدهم صاحبه مطلقاً ، إن الوحدات التى تتألف اليوم إنما تتألف على أساس العمل و الذوق و الطبيعة و النزعة ، فتوجد فى العصر الراهن وحدات عديدة بأسماء جديدة مثلا وحدات اتجاهات سياسية . وحدات اتجاهات دينية ، وحدات أفكار أدبية ، وحدات العمل و الأجرة .

دور الاقامة و الأروقة :

وهناك وحدة عدا تلك الوحدات السابقة لا تعد بظاهرها من الوحدات وهى وحدة الساكين اجتماعياً ، و هذه الوحدة توجد بدون عمل الارادة و النية ، كما أن ضرورة المسكن تجمع أفراداً أو أسراً فى مكان واحد لبعض الأحوال الطارئة ، أو تبنى المصانع والحكومات و المدارس دوراً لسكنى عمالها و طلابها دفعاً لحاجة السكن فتظهر بذلك مجتمعات جديدة ، فأى محالة بعد انتهاز الفرصة من وحدة إقامتها و معايشتها تؤثر على الجميع من أفرادها .

التربية بواسطه الأروقة المشتركة :

إن الذين يقيمون دوراً و اروقة مشتركة يراعون عموما أن تصرف أذهان سكانها و عقولهم إلى اتجاه مماثل و أن تربى بالحكمة و اللين و المرونة ، و هم حقا يجدون ما يتوقعون فيها من النتائج ، وهذا العمل سهل يسير كذلك ، خصوصاً بالنسبة لبناء الأروقة لأن الذين يسكنونها يلتزمون بالقوانين و مبادئ المسئولين عنها لوجوه مختلفة محتومة و يرغمون على المحافظة على نظامهم أيضاً .

و لكن المساكن التى لا تبنى لمن يرتبطون بعمل معين أو يخضعون له بل إنما تبنى لتوفير التسهيلات السكنية بهدف من التجارة فلا يمكن فيها فرض تلك لالتزامات و القيود التى يمكن فرضها فى الدور التى تجرى تحت نظام خاص ، إلا أن أصحابها يستطيعون فرض نظام يساعد فى تشكيل الأذهان و تربيتها باعتبار أنهم يملكون تلك الدور و المساكن .

اقتراح طيب مفيد :

و لذلك تقرر رأى أحد (١) كبار العلماء والمسلمين و قادة الدين ، و دعا

(١) و هو الشيخ عبد البارى الندوى رحمه الله ، أستاذ الفلسفة الأسبق بالجامعة العثمانية بحيدر آباد .

إليه كذلك، أن من الطريقة الأجدى لتربية المسلمين وإصلاحهم أن تبنى فى كبرى المدن و الأمكنة المختلفة دور و أروقة يشغل سكانهـــا بالبرامج المناسبة و المفيدة ويكون من صفة البرامج أن يستسيغها المقيمون فيها وأن لا تصطدم مع أشغالهم و حرية طبيعتهم و يرتبطون بتلك البرامج بكل يسر و سهولة و ينسجمون معها، و لما أن الحصول على مكان صالح و مناسب للسكن من التسهيلات الكبيرة فى هذا الزمان فأى شخص مقيم فيـــه لا يتبرم من الارتباط ببرنامج سائغ غير ممل حفاظاً على تلك السهولة، وبذلك تعود هذه الطريقة المفيدة الطيبة للتربية الاجتماعية صالحة و جديرة بالعمل .

الرواق نوع من المدرسة .

الحق أن الأروقه يمكن استخدامها فى أعمال مفيدة ذات فعالية كبيرة ويمكن أداء واجب كبير بواسطتها نحو تربية المقيمين بها ، و من ثم تكون الأروقـــة كالمدارس بل تملك الأولى من النفوذ و التأثير نصيباً أكبر بالنسبة للاخرى ، أما المدرسة فلا يمكث فيها الطالب إلا خمس ساعات فقط و لكن الرواق فيمضى فيها تسع عشرة ساعة باقية كل يوم وهى أكثر منها بأربعة أضعاف، وعلى ذلك فلو كان نظام الرواق التربوى يملك من التأثير ربع تأثير نظـام المدرسة التربوى لكان تأثيرهما سواء فى النتيجة .

الحاجة إلى العناية و الحكمة :

و لكن لا يمكن أن نستفيد من نظام الدور و الأروقة إلا إذا صرفنا كل اهتمامنا و بالغ عنايتنا ، و أدينا جميع الواجبات و الأعمال بالحكمة و الأسلوب الحسن ، و إن لم نبذل العناية والاهتمام كما هو المطلوب فأى فائدة نرجو من الأروقة العامة إذ لا يمكن الاستفادة بدونهما من الأروقة التابعة للمدارس و النظم التى تحذو حذوها، والحق أن أروقة بلادنا الشرقية مصابة بهذا الاهمال واللامبالاة و إضاعـــة الفرص ، أما نظام الغرب فيستفيد منها حق الاستفادة طبقاً لأهدافه

و آرائه ويمكن أن نضرب على ذلك مثالا بنظام الرواق التابع لمدارس «كانونت» فى بلادنا الهند حيث إن طلابها الذين يسكنون فيه يتقيدون كلياً بجميع البرامج و القوانين التى تفرضها المدرسة و ينصاغون فى تلك البوتقة التى يصاغون فيها .

و على كل فان النظام السكنى يمكن أن تستفاد منه فوائد تربوية عظيمة :

نظام السفر الاجتماعى و حركة الشيخ محمد إلياس رحمه الله مؤسس جماعة التبليغ :

و من الأشكال التى تعطى فائدة النظام السكنى نظام السفر و مغادرة البيت و الخروج للدعوة ، و أول من بدأ هذا النظام عملياً جماعة التبليغ لدى المسلمين وهذا النظام لا يزال كعنصر لازم فى أعمال جماعة التبليغ للآن ، فى هذا النظام يحث المشاركون فى الاجتماع على السفر بخطاب مؤثر ذى وقع فى النفوس وتكون لهم وحدة اجتماعية فى حالة سفرهم و تجرى من خلال ذلك تربيتهم و تعليمهم و تكيف لهم بيئة خاصـــة مشتركة فتجد عقولهم و ميولهم اتجاهاً خاصاً معيناً ، فتنصرف إليه ، وعلى هذه الطريقة يتم إصلاح المآت والآلاف من البشر و تتغير أفكارهم و ميولهم بوجه مستمر .

رأى الدكتور ذاكر حسين :

قال الدكتور ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند الأسبق ، و كان من كبـار رجال التعليم و التربية المشهورين فى البلاد الهندية : عند ما شاهد ممارسات جماعة التبليغ وطريقة أعمالها : وجدت أن هذه الطريقة للتعليم والتربية من أبدع الطرق وأحسنها و أكثرها جدوى ولم يلتفت إليها كبار الخبراء فى التعليم ، ولم تنصرف أنظارهم إلى مثلها ، أشاد كثيراً بهذه الطريقة البديعة للتعليم و التربية الاجتماعيـــة وقد خرج بنفسه مسافراً طبقاً لهذه الطريقة وشاهدها عن كثب وجربها ذاتياً ، وهذه الطريقة و الأسلوب لعمل التربية يأتى بأهم النتائج اليوم ، ليس فى الهند فحسب بل و فى مناطق و أصقاع مختلفة من العالم .

و الخلاصة أن النظام الاجتماعي للسكن و الاقامة بأى صورة كان ، يصلح أن يكون وسيلة أهم للتعليم والتربية الاجتماعية و الذين يدركون فوائد هذا النظام يستفيدون منه كما ينبغي أن يستفاد منه .

المعتقلات و السجون :

يمكن أن تتحول المعتقلات و السجون مجالا لعمل التربية الاجتماعية و الاصلاح و التفهيم بل إن جهود الاصلاح و التربية فيها التى تغير بها النزعات والميول المنحرفة للاشخاص الموجودين بها أو تخفف من حدتها ، من الحاجات الأكيدة.

و يحتاج ذلك إلى اللقاء والاجتماع بهم فى المعتقل و التحدث إليهم بأسلوب مرضى و مناسب ، ولكن قبل أن يوجه إليهم الكلام الطيب الحسن لا بد أن تشبع نفوسهم بالشعور بالنصح و التعاون من المتحدث ، لأن الانسان يصغى إلى من يرى فيه ناصحاً محبا و مخلصاً صادقاً و يجد فى نفسه رضى بالاقتداء به .

و قصة يوسف عليه السلام و سلوكه مع صاحبيه فى السجن الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم خير أسوة فى هذا الصدد .

فى البلاد التى يسودها نظام الجمهورية يهتم إلى حد بارسال النشرات والكتيبات وإجراء اللقاءات بهدف الاصلاح ودافع الشفقة والعطف ، و الحكومة أيضاً تتعاون فى ذلك ، وهناك أمثلة عديدة للنتائج الطيبة التى أسفرت عنها الجهود التى بذلت فيها .

و الذى يتلخص مما قلنا ، أن الكلام المناسب و إيصال الكلمة بأسلوب حكيم و طريقة حسنة يستطيع أن يدخل تغييرات مطلوبة و إصلاحات مفيدة فى أى بيئة اجتماعية إذا صاحبته مراعاة نفسيتها و مطالبها و مشاكلها و تقدير صلاحية فهم أشخاصها ومدى قوة استفادتهم ، كما يمكن بذلك العدول بطبائعهم إلى وجهة خاصة ، و هذه الطريقة و الأسلوب حقيق بأن يقدم عوناً كبيراً فى إنشاء اتجاهات صحيحة سديدة و ميول سليمة ، و تحديدها .

و ما توفيق إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب

الأدب و الاسلام

فى ميزان الواقع و التاريخ (١)

سعيد الأعظمى الندوى

إن الأدب قوة هائلة و أسلوب جميل للتعبير و البيان ، ولكى ننمى هذه القوة و نمدها بالوقود ، ونوسع نطاق جدواها و غنائها ، يجب أن يتوافر فيها الفكر السليم مع العواطف الصادقة ، و من وظيفة الأديب البارع أن يراعى الاختيار الصحيح للالفاظ و الكلمات ، و يتناولها بالترتيب المتناسق المتزن ، و يستخدم أسلوباً يجلب التأثير فى مجال التعبير ، ومع الاعتراف بهذه الحقيقة لا يصعب علينا الاعتقاد بأن كل ما يصدر من قلم الأديب من الكلمات تحمل مكانة و أهمية خاصة لها ، و هى كآلة حادة تعمل عملها فى البناء و الهدم معاً ، فاذا وضعها الأديب فى خدمة أهداف هدامة فان ذلك يخلق مفاسد كثيرة وربما يؤدى إلى دمار اجتماعى شامل لا يأتى عليه الحصر ولا النهاية .

لقد وجد الأدب لتحقيق هذه الغاية المهمة ، إنه يكسو الكلمات كسوة المعانى ويعبر عن الحياة و الكون أصدق تعبير و يفسرهما أحسن تفسير ، ويدعو إلى الأخلاق الطيبة ويعمم المثل العليا و يشجعها تشجيعاً كاملا ، و بتعبير آخر : إن الأدب وسيلة عظيمة لتوجيه كل ما يصدر من القلم و اللسان من الكلمات

---

(١) أعددنا هذا البحث باللغة الأردية لندوة الأدب الاسلامى التى عقدتها جامعة الهداية فى جے فور (الهند) بين الفترة ١٧ — ١٩ أكتوبر ١٩٨٦م (١١ — ١٣ محرم الحرام سنة ١٤٠٧ه) و قام بتعريبها الأخ مجيب الرحمن طالب فى كلية الشريعة بجامعة ندوة العلماء ، مشكوراً .

نحو الوجهة الصحيحة وجعلها ذات هدف ، فانه لا يساعدنا فى التنبه على ألوان الحياة المختلفة و طرائقها الملتوية و على مرتفعاتها وهضباتها بطريق أجمل ، وتحليتها بالجمال و الأناقة و التهذيب فحسب ، بل إنه يمهـد الطريق نحو ترقيق العواطف و المشاعر و تركيزها على طريق الموضوعية كذلك .

الفن لا الأدب :

و إن كان المؤرخون قد ينسبون الأدب و الفنون الجميلة إلى عهد ما قبل الميلاد فى اليونان ، و يعتبرونهما من نتـائج فكر أرسطو و أفلاطون ، و لكن الواقع على خلاف ما يدعون ، وهو أنه لم يكن هناك أى وجود للادب ، وكل ما كان يوجد إنما كان يتصل بالثقـافة و الفنون الجميلة ، ذلك لأنهـم ما كانوا يعرفون للادب أى مفهوم و لا معنى ، و ما كانوا يستعملون هذا المصطلح للتعبير عن مواهبهم الفنية و تفسيرها ، و كانوا يمثلون الشعر والنغم و الموسيقى والنحت و التمثيل و الحضارة و المدنية و ما إلى ذلك من البراعات الفنيـة باسم الثقافة والفن ، ويسمون العلم والفكر والمنطق و المعقولات وكافة المجهودات العلمية باسم الفلسفة ، أما الذين دونوا تاريخ الأدب والنقد من بعدهم فلم يروا أى بأس فى استعمال تعبير « الأدب » للفن و الثقافة اليونانية .

وليس أن مصطلح الأدب لم يكن معهوداً فى ذلك العهد للفن « Art » والثقافة الرومانية و اليونانية بل كان لا يوجد لمصطلح الأدب أى عين و لا أثر للشعر العربى و نماذج النثر قبل الاسلام فى العهد الجاهلى ، ولم يستعمله أدباء العهد الجاهلى و شعراؤه أيضاً فى هذا المعنى لأدبهم و شعرهم ، و لم يكن تصور الأدب فى أذهانهم كتصوره الراهن و مفهومه المعاصر ، و لذلك فاننا لم نجده مستعملا فى ذلك العهد فى مفهومه الشائع المتعارف ، و ما قدم أحد من مؤرخى ذلك العهد ولا شعراء ذلك العصر ، الشعر الجاهلى وثروته النثرية تحت عنوان « الأدب الجاهلى »

الاسلام و آداب الحياة :

لم يكن فى وسع الجاهلية أن تقدم للحياة فكراً واضحاً و لا تصورا محدوداً ومبيناً، فكان هناك أزمة القيم الخلقية وآداب الاجتماع بل ولم يكن أى وجود لها ، ففضل الاسلام حدثت ثورة فى الحياة الانسانية وخطت حدودها ومعالمها و وضحت آدابها ، و أكرم الانسان بتصور نزيه للحياة ، و لتدعيم هذا التصور فى الصورة العملية وترسيخ قواعده لعبت تعاليم الاسلام الخالدة دوراً عظيماً ومهما جداً ، وأصبحت الأخلاق جزءاً للحياة كباب مستقل ، و ربط كل جزء منها بأدب ، حتى تكونت الحياة نموذجاً كاملا للآداب و الأخلاق الفردية و الجماعية ، و تعلم المسلم من آداب الخلوات إلى الآداب الجماعية والسياسية وحتى آداب الحكم، وجاء بيان تفاصيلها بكل وضوح فى التعاليم الاسلامية .

هكذا مثل الاسلام فى الواقع تصوراً عظيماً للادب ، وكان من مقتضيات هذا الأدب أن تتجمل الحياة بجميع أنواع المكرمات والفضائل وتتحلى بروح الموضوعية ، وتبتعد كل البعد عن الأخلاق السيئة الانحلالية و الخصائل الشيطانية ، و كان كتاب الله تعالى و كلام رسول الله ﷺ عنوانين جليين لآداب الحياة وأساليب العش ، و كانا مصدرين عظيمين للهداية ، يوجهان الحياة و يلقنانها دروسا من الحضارة و المدنية والعلم والفكر و لطافة الحس ورقة الذوق و الوجدان ، كما أنهما يزينان الشعور بجوهرة الدقة و الرقة و النزاهة مع إرهاف الروح .

الاسلام و الأدب متقاربان معنى :

و الأدب فى اللغة الدعوة ، أدب يأدب أدبا الدعوة إلى خير ، و قال ابن منظور فى كتابه « لسان العرب » : سمى أدباً لانه يأدب الناس إلى المحامد و ينهاهم عن المقابح » برز الاسلام كدعوة إلى الخير ، و من تعاليمه الاساسية

هى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، غايته الدعوة إلى سبيل الله تعالى. فاذا كانت الدعوة بأسلوب سهل ملائم مصحوبة بالحكمة متدفقة بروح النصح والموعظة فلا سبيل إذن إلى التعبير عنها بدون الاستناد إلى كلام جميل ممتع مؤثر جداً ، سواء نعبر عنها باللسان أو بلسان القلم ، وبنفس هذا النوع من الطراز يأمرنا القرآن الكريم أن ندخل فى ساحة الدعوة ونقدمها أمام الناس ، وهو يوضح لنا طريقة الدعوة ومنهجها بكل وضوح و صراحة « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن » .

و فى رواية عبد الله بن مسعود عبر القرآن عن كلمة الأدب بصراحة «إن هذا القرآن مأدبة الله فى الأرض ، فتعلموا من مأدبته » وقال الرسول ﷺ عن نفسه : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، و اعتبر الوحى و القرآن بقوله هذا أدباً ، فلم يبق هناك أى مجال للشك و الارتياب أن الاسلام رسالة ومنهج تربوى مع ترادفه الأدب معنى ، و أن تعاليمه وتفاصيله صغيرها و كبيرها تتعلق وتتصل بكل ناحية من نواحى الحياة وتنسجم انسجاماً كاملا دقيقاً مع مقتضيات الفطرة ، ولا يحيد أى منهج عن طريق الحكمة والجمال ، وهو يشرح عن طريق الكلام والبيان رسالة الحياة و الكون و الانسان و يحدد مكانة كل منها .

الأدب مصطلح إسلامى خالص :

فاذا كان علاقة الأدب بالاسلام هكذا وطيداً و دائماً حيث ينطوى مفهوم الأدب فى المنهج التربوى الاسلامى ، وترادف الدعوة إلى الله معنى الأدب فاسمحوا لى أن أقول : إن الأدب والاسلام ليسا شيئين متباينين ، وإن الأدب فى الواقع مصطلح للاسلام وتعبير عنه ، ففيه يتوافر الأدب بجميع خصائصه وميزاته السامية ، وكافة مناحيه المنوعة ، يوجد فيه العلم والفكر و الحضارة والثقافة و الأخلاق و الفضائل

بطريق أجمل و أشمل و فی أسلوب مؤثر مثير ، تجـــد فيه التعبير عن حقـائق الحياة وتفسير رسالة الكون والانسان وتبيين أهمية الانسان ومكانته، فيه تصوير للعواطف والمشاعر الرقيقة وتشجيع لتقديم كل نوع وصنف من الكلام والبيان فی أسلوب موضوعی هادف مع الفلسفـــة و التـاريخ ، و قد عرض الاسلام الحقائق الأبدية للكون فی الأدب السماوی و أسلوب البيـان النبوی فی صورة مؤثرة بجمال و كمال و أسلوب ساحر جذاب أخاذ ، فلسنا مبالغين و لا مجازفين إذا ما خطونا خطوة إلى الأمام، وعبرنا عن هذا الأدب بالأدب المعجز والأدب السماوی، فقد كان مصطلح الأدب قبل الاسلام مجهولا و مغموراً، والناس كانوا يعرفون الشعر و الأشغال الفنية الأخرى باسم الثقافه والفن، و إن كانت الفنون الجميلة كلها تدخل فی إطارهما ، دون صنف الكلام وحده .

إن الأدب كفن مستقل عطاء الاسلام فالجاهليون لم يكادوا يستكتشفوا هذا المصطلح لأعمالهم، ولما عم مصطلح الأدب بما جاء به الاسلام من أدب، وراج رواجاً بفضله أقبلت جميع شعوب العالم عليه وقبلته للانتاجات العلمية والفنية التی كانوا يعبرون بها عن حقائق الكون بأسلوب لطيف مؤثر ، و اختاروا للدلالة عليه فی الانجليزية كلمة Literature ثم بدؤا يطلقون كل ما يؤثر من الانتاجات القديمة الفنية و الابداعات وحتى الأفكار و التصورات اليونانية اللاطينيـــة على الأدب اللاطينی و اليونانی ، رغم أنه كان يعتبر جزءاً لثقافتهـــم و فنونهم الجميلة (Culture and fine arts) .

إتساع الأدب الاسلامی و شموله :

وهناك يتضح ما نقول إلى حد كبير أن الأدب ولد فی أسرة مسلمة خالصة و أنه إسلامی من كل جهة ، و هو رسالة للنوع البشری ، و هدفه القيام بمهمة التعبير الصحيح عن الانسان و الكون و الحياة ، و تنبيه الانسان على الغاية التی

خلق لأجلها و صياغة كل من القلب و الذهن و العقل و الفكر و الشعور فى قالب الايمان و اليقين ، حتى تتمكن الحياة أن تسير على الوجهة الصحيحة بكل ثقة و اعتماد و يتجلى أمامها بغيتها المنشودة ، و تراها بعين البصيرة .

الأدب الاسلامى بوجه خاص يهدف إلى بناء الحياة و السيرة الانسانية ، و هو يعين دور الحياة الانسانية فى الكون و يكشف لها نوعية صلتها به ، فالى أى مدى يجب أن تكون علاقة الانسان مع الانسان و ما هى مراتبها ؟ وكيف يمكنها أن يجدى بحياتها الآخرين و ينفع بها الناس ؟ و ما هو الموقف الذى ينبغى أن يتخذه تجاه الأمور الدنياوية و الشئون المادية ؟ و أى رباط يربطه بالله تبارك و تعالى و ما نوعية هذا الرباط و الاتصال ؟ و كيف يستطيع أن يجعل الدنيا مزرعة للاستعداد للآخرة ومركزاً للتجهيزات ليوم الدين بانشاء جومن الأمن و الهدؤ و السلام و الطمأنينة ؟

الأدب الاسلامى يشمل و يحيط جميع نواحى الحياة ، و لا تضعف قبضته أبداً على الحوادث والأوضاع التى تحدث فى الكون ، يتناول الوقائع والأحداث بالتحليل الفنى ، و يؤثر على ما حولها من الأحوال و يهيئ للفكر و الخيال غذاءاً صالحاً ويزيده ، و يزكى الذهن و الفكر من كل نوع من الرجس و الدنس و العناصر الهدامة وينزه دائماً البيئة من المزابل و الأمراض الخلقية و من الأدواء السلوكية و الفكرية ، و يسد أبواب الفتن الاجتماعية بغاية من الحكمة ، و لنا فى التاريخ أمثلة كثيرة مما لا يأتى عليه الحصر .

يشهد التاريخ أنه كلما سرت المنكرات والسيئات فى شعب أو مجتمع وغزت الأنانيات و الظلم على الحق والعدل ، واستولت عقلية النفعية والاستغلال و عم فيه وفقدان الضمير ، قام الأدب الهادف الموضوعى بتمهيد الطريق نحو الثورة ضدها

و إيقاظ الشعوب من سباتها و غفوتها ، و تزكيه الفكر و الخيال مع إبادة القوة المسيطرة المهاجمة و القضاء عليها ، ولم يزل دوره أعظم و أجدر بالذكر فى القضاء على عهد التبعية و العبودية ، وكل ما وقع فى التاريخ من الأحداث المليئة بالفتن كان دور الأدب فى مقاومتها كبيراً و عظيماً يجدر بأن يسجل بعنوان جلى بارز ، سواء كانت فتنة خلق القرآن أو الحركة الباطنية أم غزو التتار ، أو غيوم الحروب الصليبية الغاشية على المسلمين و بلادهم .

ملامح الأدب الاسلامى الواضحة :

كما ذكرنا سالفاً أن الأدب الاسلامى مع جميع ميزاته و خصائصه الفنية يحتل درجة الكمال و البراعة فى تصوير الحياة و التعبير عن الكون و تفسير الموقف الانسانى ، و قد أحرز قصب السبق فى إقامة طبيعة متزنة صادقة للادب ، و إن من أبرز سماته وصفاته هى تعيين القيم الخلقية وجمع شمل العناصر الفنية و حراسة جميع جوانب الحياة ظواهرها وبواطنها و المراعاة الكاملة للعواطف و الأحاسيس الانسانية مع تربيتها ، و تهذيب الأفكار و تثقيف التصورات ، فى ضوء تصور إسلامى خالص ، مصدره و منبعه العقيدة والايمان ، يستمد منهما غذاءه و يأخذ جلاءه و نشاطه ، . من هذا المنبع الفياض يستجلب حماسته ودفعه إلى العمل و الكفاح فيتكشف هناك أمامه أسرار القدر و الكون .

ذات الانسان هى محور الأدب الاسلامى ، يتعامل و يدور حولها ، ويتعلق بجميع نشاطات الانسان و ممارساته و كافة أحواله . فلا يبرز وحدة آماله الجمالية و لا يصور أحاسيسه و عواطفه الرقيقة و أحلامه الرائعة و آماله و طموحاته الجميلة وتطلعات مستقبله الزاهر الباهر فحسب ، بل ويصف آلامه وأخطاره وأحزانه و مشكلاته و قضاياه ويتصل بهزماته غير المتزنة و أفكاره المشككة أيضاً ، و يتعلق

بحرمانه و قنوطه و تصوره الرهيب للمستقبل القادم و خوفـه للآخرة ، فكما أنه يرتبط بالجانب النير الزاهر للحياة يتعلق بجوانبها المظلمة أيضاً و يدور حول كل من الفكر الايجابي و الجانب السلبي و يؤثر على الجميع تأثيراً .

و كذلك يتعامل مع تنوعات الكون و ما فيه من حسن و جمال ، رونق و بهاء و مناظر خلابة فاتنة ، كما يتعامل مع أجواء رهيبة للكون و عواصفه المهيبة ونغماته الرقيقة ذات الأفراح والآلام ، وما يحدث فيه من حوادث و أخطار محدقة ومهالك وصحارى وظلمات البحار وأعماق الأنهار واتساعات الأرض وزلازلها المنيفة و قلل الجبال الشامخة وما يسكن فيها من الكائنات ، وأجواء السماء وما يطير عليها من الطيور و ما يسبح عليها من أجرام الشمس و القمر و النجوم و الكواكب و الغيوم التي ترتفع من السحاب وما ينزل منها من الأمطار ، وبالجملة فانه ليس شئ من الكون خارجا عن نطاق الأدب الاسلامى .

فاذا كان أدب يبلغ هذه الدرجة من الشمول والكمال و الموضوعية فلا نستطيع أن نحكم فيه سوى أن ملامحه فطرية و واضحة ، و إن من أبرز سماته الأصالة (Originality) التي تتحكم فيـه بأوسع معناه و أكمل مفهومه و جميع الآداب العالمية قامت على أساسه ، و ما يوجد من نظريات أدبية كلها مأخوذة و مقتبسة من الأدب الاسلامى ، سواء أكانت النظريات الأدبية الغربية أو الحركات الأدبية الشرقية فكلها تقتبس من هذه الأصالة أولا ثم تقدم وجهة نظرها ، و في الواقع أن كل هذه النظريات و الحركات مقلدة ومقتبسة منها وحدها و إن كان حملة لواء هذه الحركات والنظريات الأدبية الغربية قد أدخلوا في الأدب الاسلامى الأصيل وجهات الأنظار المادية في صور وأشكال من الفلسفة لكي يوطدوا عن طريق ذلك دعائم استقلالهم ، و يؤكدوا للناس أنهم في الواقع مبدعو النظريات الأدبية و مؤسسو الحركات الأدبية .

و ميزته الثانية البارزة هى فكره الذاتى ، الذى يتمتع به ، بينما نرى أن النظريات التى يحملها الآداب التقليدية الأخرى مستعارة ، تأخذ أفكارها الأدبية من ذلك الفكر الذاتى ، إنها تستورد الأفكار غير الملائمة للطبيعة ، المتعارضة والمصطدمة مع المثل العليا للحياة ، وتقدمها كنظرية جديدة مستقلة بذاتها ، وليس ذلك إلا ميزة الأدب الاسلامى الذى يعطى الانسان أدباً ينسجم ويتوائم تمام الانسجام مع الفطرة ، و يؤسسه على أساس ثابت من أصالة الفكر و الوجدان و الذوق و الشعور و الاستقلال بالذات .

عناصر الأدب الاسلامى التركيبية :

فكلما نأخذ موضوعاً له صلة بالكون و الحياة ثم نتحدث عنه بأسلوب رقيق ممتع جذاب حيث يعبر هذا الطراز من الكلام عن العواطف و المشاعر و يسترعى انتباه المخاطب و يستلفت أنظاره إليه فيعتبر ذلك الأدب ناجحاً من نواحيه الفنية والأدبية كلها و إذا كان وراءه هدف طاهر نزيه ودعوة إلى الأخلاق النبيلة الكريمة والقيم الايجابية كان الأدب هادفاً وذا غاية . وإن أول شئ يراعى فى عناصر الأدب الاسلامى التركيبية هو الخيال النقى الزكى و الفكر الهادف ، فاننا بدونه لا نكاد ننجح فى تصوير الانعكاسات تصويراً صادقاً و واقعياً عن طريق هذا الأدب ، و نواجه الصعوبة إذن فى تقديم الفكر الذى نتوخى أن نعرضه على الآخرين .

و العنصر الثانى هو الشعور و الوجدان ، و هو عنصر مهم أساسى جداً ، و به يكتمل و يبلغ مرحلة النضج و الكمال مع الروعة و الجاذبية ومتعة القلب و النظر ، و لا يمكن بدونه أى تصور للادب ، فكل كلام يخلو و يتجرد عن هذا الوصف فهو أحق بأن يدعى بحقيقة علمية ، فحينئذ يكون وضعه فى صف الأدب إساءة إليه وحطاً لشأنه . فمثلا إنك تقرأ عبارة أو نصاً نثراً كان أو نظماً

فان كانت هذه العبارة تمس الشعور و الوجدان و تمنحهما الارتياح و اللذة ، فتلك عبارة نضمها فى الدرجة الأولى من الأدب ، و لكن الحقائق العلمية والفكرية البحتة لا تمس الشعور والوجدان ولا تؤثر عليهما، بل تؤثر على العقل فحسب ، و إن كان هناك كثير من الكتابات التى يستفيد منها العقل و الوجدان معاً فنحن نعرفها باسم الأدب ، وهناك امر ذو أهمية بالغة وهو أن الشعور والوجدان يتصلان بذات الأديب مباشرة ، فاذا كانت قوته الوجدانية ضعيفة أو ليس شعوره رقيقاً مرهفاً وسريع الانفعال والتأثير، فيبقى هذا العنصر ضعيفاً ضئيلا فى أدبه ، وبقدرما يفقده يكون أدبه قليل التأثر وناقصاً من حيث القوة الكلامية و البيانية .

إن الكلمات بمثابة العنصر المادى للادب ، و لكى ينفخ فيها روح الحقيقة يجب استحضار المعانى و و ترتيبها الذهنى و الفكرى ، و هناك ينشأ سؤال نوعية التعامل معهما ، هل يعد القالب أولا ثم يلقى فيه الروح، أم يكون الأمر بالعكس ، تكون حقيقة الروح و ترتيب المعانى موجودين فى الذهن من قبل ، فيخرجان معاً و ينصاغان فى قالب الألفاظ و الكلمات .

إن أهل البلاغة يقولون إنه يتحتم أولا ترتيب المعانى واستحضارها فى الذهن، وعلى هذا الأساس تتولى الكلمات بنفسها التعبير عن المعانى والانصياغ فى قالب الكلام و من براعة الأديب ومهارته أنه يختار الكلمات وفق المعانى و يقدمها فى أسلوب عجيب رائع أخاذ ، وطراز بيانى جميل ممتع ، و تكون طريقته هذه البيانية مؤثرة و أفكاره نقية و زكية حيث تمس وجدان المخاطب فتقبلها مباشرة ، و هذا من براعة الأديب الذى لا يتوخى بيان حقيقة من الحقائق وعرضها عن طريق فنى إلا و يجعلها سهلة سائغة يستسيغها المخاطب من غير أى كلفة و لا كلال .

« للبحث صلة »

جريح من هرات

الأستاذ محى الدين عطية « الكويت »

أتيت و طائرى قلب جريح　　و عدت كأنى الفرخ الذبيح
رأيتك يوم زرتك لاتبالى　　كأنك قائم و أنا الكسيح
و تكتم صوت آلام شداد　　تمربد فى العظام و لا تصيح
تمازحنى كأنك يوم عرس　　و جرحك وجه عذراء مليح
و تسرد قصة الجناء ، لما　　تنادوا فى القرى أن يستبيحوا
و كيف هبطت ساعتها عليهم　　كصاعقة ، فجمعهمو طريح
و بضحك فى ندى عينيك طفل　　فتضحك دمعتى ، و لها فحيح
تذكرنى بأن الوعد حق　　و أن رواته سند صحيح
لفى يوم القيامة سوف تلقى　　وساماً فوق صدرك يستريح
و جرحك أحمر الشفتين يشدو　　بأغنيـة ، لهـا كالمسك ريح

الشيخ رحمة الله الكيرانوى ،

جهوده العلمية و جهاده ضد حركة التنصير

فضيلة الأستاذ برهان الدين السنبهلى

رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة و اصول الدين ، جامعة ندوة العلماء

تعريب : الأخ محمد ثناء الله الندوى

أسرة الشيخ رحمة الله الكيرانوى :

ولد الشيخ رحمة الله الكيرانوى (الذى كان فى الواقع رحمة من الله بالنسبة إلى عباده) فى أسرة علمية عريقة فى المجد و الفضل ، تجرى فى شرايينها دماء كبير الأولياء و العارف بالله الشيخ جلال الدين مخدوم البانى بتى (م٧٦٥هـ) و الشيخ عبد الرحمان الكازرونى ، و كانت تحمل كل الخصائص و المميزات التى امتازت بها الأسر الدينية فى سابق الزمان ، نزل جدها الشيخ عبد الرحمان « بانى بت » وتوطن فيها ، وهى قرية معروفة فى الهند برجالها البارعين فى العلوم والآداب ، وذلك مع السلطان محمود الغزنوى (م٤٢٠هـ الموافق ١٠٣٠م) قاضياً فى جيشه الذى يقضى وفق الشريعة الاسلامية ، وكان جد الشيخ -سميه- وقد هاجر من المدينة المنورة إلى كازرون ، و توطن فيها ، يتصل نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان ذى النورين رضى الله عنه بعشر وسائط ، و لم يزل أبناء هذه الأسرة فائزين بالمناصب الجليلة منذ أوان قدومهم إلى سقوط الدولة المغولية فى الهند ، و كان « مقرب خان » من أبرز رجال هذه الأسرة فى عهد الامبراطور أكبر ونجله جهانكير ، أقطعه الملك أكبر قرية « كيرانة » وضواحيها اعترافاً بفضله فى الأعمال الجليلة للدولة ، فانتقل

بعض هذه الأسرة من « بانى بت » إلى « كيرانه » (بمديرية مظفر نكر) و هنا ولد الشيخ رحمة الله الكيرانوى الذى نحن الآن بصدد ذكره .

الولادة و التعليم :

ولد الشيخ رحمة الله الكيرانوى فى أسرة العلماء و المشائخ فى الثلث الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (جمادى الأولى سنة ١٢٣٣ﻫ) فى زمن عصيب بلغ النهاية القصوى من الأزمات و الفتن ، و كانت الدولة المغولية تلفظ أنفاسها الأخيرة ، و كانت غارة الهجوميين قد أقامت سوقها من النهب و الفساد الذين كانوا يرقبون آخر ثمرة يجنيها حظهم فى تلك الظروف الراهنـــة ، و فقد الأمن و السلام ، والهدو و الاستقرار ، و عمت الفوضى و الفساد ، و كانت أم الشيخ الكيرانوى قد رأت فى المنام ما عبر بأن الله سيملأ حجرها بقمر يشرق العـالم بضوئه الهادىء ، فظهرت تباشير مؤهلاته المميزة منذ نعومة أظفاره ، يشاهدهـا الناظر ، فيقول بلسان الشاعر الفارسى الكبير و هو السعدى : لمعت على وجهـه نجوم الرفعة و السمو ، وذلك « بالفطانة و الفقه » سافر إلى دهلى و هو ابن اثنتى عشرة سنة ليتتلمذ على أساتذتها الكبار ـ بعد أن قرأ القرآن الكريم و الكتب الدرسية الفارسية و العلوم الدينيه على مشائخ أسرته ـ حيث التحق بمدرسة الشيخ محمد حيـاة ، و حقق غايته بالاقامة فيها ، و ساقــه طلب العلم إلى الشيخ المفتى سعد الله المرادآبادى (و هو تلميذ الشيخ العلامة المحدث عبد العزيز الدهلوى) فى لكناؤ ، و تلقى الطب من طبيب حاذق فى عصره ، و هو « فيض محمد » بحكم تقاليد زمانه وعادة الأسرة المتبعة ،وهو يقدر طلبه للعلم و تذوقه الذى كان يتمتع به ، والدافع القوى إلى الاستفادة من مختلف أصناف العلم بحيث إنه لم يأل

جهداً فى تلقى العلوم الرياضية من « لوكار تم » و هو يومئذ من أبرع علماء الرياضية و أعظمهم صيتاً ـ

مأثرته الفذة :

كان الشيخ الكيرانوى يتمتع بالنفوذ العلمى ، و العاطفة الصادقة للجهاد فى سبيل الله ، و قول الحق ، والجرأة ، والحمية الدينية ، وما إلى ذلك من خصائص شخصية مما لا يستوعبه مقال ، بل إنما يحتاج لبيانه إلى تأليف مستقل .

و الواقع أن هذا المقال لايمكنه أن يستوعب وصفاً واحداً من أوصافه الكثيرة و لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، فمن كتمان الحق بل من تناسيه أن لا نذكر وصفاً من أوصافه ، بل مأثرة من مآثره الجليلة ، و لو بايجاز ، مما لا يصور شخصية واحدة فحسب ، بل يصور الأهداف و الغايات التى أراد تحقيقها من خلال جهوده و جهاده ، و إنها مأثرة يدين لها العالم الاسلامى ، فضلا عن شبه القارة الهندية ، وهى مجادلاته مع القسيس « فندار » و المبشرين المسحيين ، ورافق الكيرانوى فى مهمته هذه الدكتور وزير خان وأعانه فى ذلك ، فى وقت وضع الانجليز مخططات تبشيرية لا لاستعمار الهند سياسياً فحسب ، بل و دينياً و خلقياً كذلك ، و هو عملية التنصير ، و كان الانجليز يستغلون كل الذرائع الممكنة لتحقيق أهدافهم بالاضافة إلى وسائلهم المتوفرة . وكانوا يستخدمون كل الأساليب من الوعد والوعيد ، وكانوا لا يترددون حتى عن القتل و الشنق للقضاء على كل إمكانيات المكافحة ضد المسلمين ، و سد كل المنافذ لاحقاق الحق و إبطال الباطل ، فالجهود التى بذلها الشيخ الكيرانوى فى مجادلة القسيس فندار فى أحرج الآونة ، لم تزلزل أقدام القسيس فحسب بل وقطعت دابر المسيحية التى كادت تثمر فى شبه القارة الهندية ، و صرفت وجه

سبل المسيحية فى الأيام الأولى للاستعمار البريطانى ، بل الاستبداد المسيحى على الأصح ، و إنها لمأثرة لا ينساها التاريخ ، و قد رعب خصمه القسيس رعباً بل سحر بشخصيته سحراً لم يترك فيه صبراً على المقاومة ، فاضطر إلى مغادرة البلاد ليتوقى سوء عاقبته ، و لكنه توجه إلى « تركية » بحكم طبيعته الماكرة ـ و هى يومئذ ـ بلاد مسلمة أشرفت على الزوال ـ و اتخذ القسطنطينية مركزاً لنشاطاته و برامجه التبشيرية ، وأبى الله إلا أن يقبل الكيرانوى إلى تركية فيجادل القسيس، وبرغمه على الخروج منها (نذكر تفاصيله فيما يأتى) فاضطر القسيس إلى مغادرتها كذلك ، و لم يوفق للرجوع إليها أبداً ، وإن الميزة التى تميز بها الشيخ الكيرانوى عندئذ بمجادلته مع القسيس لم يعترف بها العالم الاسلامى و علماؤه فحسب ، بل اعترف بها و شكرها خليفة المسلمين كذلك ، و ذلك بصورة دعوة وجهها إلى الشيخ الكيرانوى ابزور تركية بصفته ضيفاً ملكياً ، و منح خلعة ملكية خاصة ، و يشهد بميزته هذه كتابه الفذ : إظهار الحق ، الذى علقت عليها صحيفة « لندن تائمز » بعد ما تم طبعه و نشره : سينتهى دور الازدهار للديانة المسيحية إذا مازلنا نطالع ذلك الكتاب ، ومما يقدر أهمية الكتاب أنه تم نقله إلى عدة لغات أوروبية و آسيوية (مثل الانجليزية ، و الفرنسية ، و التركية ، و الكجراتية ، و الأردية) وطبعت ترجمته الأردية مؤخراً فى باكستان باسم « قرآن سے بائبل تك » (من القرآن إلى الانجيل) بمقدمة تجدر مطالعتها بصفة خاصة .

إنه لا يسهل علينا تقدير الظروف التى ظهرت فيها رحمة الله بصورة « رحمة الله الكيرانوى » و نحن فى القرن العشرين ، و ذلك الزمان و إن لم ندركه ، إلا أن التاريخ قد سجله لنا ، و لعل القارى لا يعتبر ذاك غير حدير إذا كشفنا

الجرح والتعديل وإمامه يحى بن سعيد القطان

محمد كمال أختر الندوى
خريج الدراسات العليا
بكلية الشريعة و أصول الدين بجامعة ندوة العلماء

الجرح و التعديل من المواضيع التى تحمل أهمية كبيرة لارتباطها بالحياة الانسانية ارتباطاً وثيقاً ، وبالنظر لخطورة الموضوع و قيمته الكبيرة اعتنى به كبار المحققين و جهابذة الأعلام المصنفين ، فدبجوا بيراعهم فى هذا المجال و استخدموا أقلامهم فى الذود عن الشريعة الاسلامية الغراء ، و الثروة الحديثية الطاهرة .

يدل التاريخ الأسلامى على أنهم خاضوا هذا المضمار العلمى فسبروا السين والشين و ميزوا الصحيح عن السقيم ، حتى ظهر هذا المصدر التشريعى العظيم فى ثوب أبيض و أجمل ، فعاد كهيئته الطبيعية السمحة البيضاء « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » (١) و لا تزال مجهوداتهم تذكر و تشكر عبر القرون و الأجيال .

إن اختلاف اللون و الجنس والتعصبات الحزبية و الآراء الفقهية و اختلاف الأفكار والنظرات والأسر والشعوب هى الحوافز التى تنتج الخلافات و التناقضات و طالما تؤدى إلى جدال و عراك لم يأذن به الله و رسوله .

و هناك ينشأ سؤال « هل بهذه العوامل يستطيع رجل أن يجرح رجلا و يحط من شأنه ، أو يوثق أحد رجلا و يرفعه من الحضيض ؟ أم له شروط و قيود ؟ ثم ما هو تاريخ الجرح و التعديل نشأة و تطوراً و تأثيراً فى الحياة ؟

---

(١) سورة الحجر الآية : ٩ .

و للاجابة على هذه الأسئلة لا بد من البحث عن هذه التفاصيل فيحلو لى أولا أن أبين الجرح و التعديل لغة و اصطلاحاً يسهل به الفهم و الادراك .

فالجرح فى اللغة يقال : جرحه يجرجه إذا أثر فيه بالسلاح ، قال الحطيئة :

ملوا قراه و هرته كلابهم   وجرحوه بأنياب و أضراس

و يقال جرح الحاكم الشاهد إذا عثر عنه على ما تسقط به عدالته من كذب (١) و أصل التعديل كما قال ابن منظور: عدل قال الباهلى « رجل عدل وعادل جائز الشهادة ومقنع فى الشهادة » وتعديل الشهود أن تقول: إنهم عدول، و منه قول كثير .

و بايعت ليلى فى الخلاء و لم يكن   شهود على ليلى عدول مقانع (٢)

و أما تعريفه اصطلاحاً فقد ذكره الامام أبو حاتم الرازى فى الجرح و التعديل ، فقال « هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة و تعديلهم بألفاظ مخصوصة (٣) .

الجرح و التعديل فى القرآن و الحديث :

إذا سرحنا النظر فى القرآن الكريم و السنة النبوية نجدهما حافلين بأمثلة كثيرة من الجرح والتعديل، بحيث إن القرآن يمدح فئة مؤمنة على معتقداتها الصالحة النزيهة وأخلاقها الفضلة النبيلة ، ويذم فئة مشركة على قولها الكذب وافترائها على الله ، قال الله تعالى «يايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً

(١) راجع لسان العرب ٢٤٥/٣ حرف الحاء .

(٢) لسان العرب ٤٣/١١ - ٤٣١ .

(٣) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى م-٣٢٧ ج ١ ص/ب من المقدمة و راجع « السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى » ص ١٠٩ .

المباشرة به بأن المؤلفات التى ألفت خلالها تبلغ مأة كتاب ، و ذكر الشيخ إمداد الصابرى ،صاحب (آثار رحمت) ـ وهذا كتاب يحتوى على أحوال الشيخ الكيرانوى، و استفدت منـــه كثيراً ـ فهرساً يجمع خمسة وسبعين كتاباً ، أما الكتاب الذى بلغ القمة الفنيـة فى الموضوع دون غيره فهو « إظهار الحق » و قد سبق ذكره آنفاً و كتاب إزالة الأوهام ، و هو تاليف الكيرانوى نفسه ، بالاضافة إلى ثمانيـة مؤلفات بقلم المؤلف كان لها أثر إيجابى بالغ فى الأوساط العلمية .

الحمية و الحزم :

و كان من الطبيعى فى مثل هذه الاوضاع أن تكون فى نفسه كراهية زائدة للانجليز ، واكل ما يتعلق بهم من أمور، فلم يكن يستنكر التحاق المسلمين بالمدارس التبشيرية فحسب ، بل إنه كان يراه فكرة تبلغ الغاية من الخطورة التى لا بد أن يحذر منها الناس ، وذلك لأن الأهداف وراء تلك المعاهد العلميـة كما يقول خبير إنكليزى فى التعليم و التربية : أن يكون الطالب هندى اللون و الجنس ، إنجليزى الفكر و القلب ، و إنها لحقيقة أثبتتها التجارب و الاحداث فيما بعـــد ، و كان الشيخ الكيراوى يرى ذلك خلافاً لغيرة المسلمين وحميتهم الدينية ، مرة بلغه أن ابن ذى قرابة له قد التحق بمدرسة تبشيرية ، فاضطرب له الشيخ اضطراباً شديداً، و أقلق باله ، و لم يقصر جهداً فى تنحية الولد منها إلى أن فاز بمرامه (ذلك هو الولد الشيخ محمد سعيد الذى كان مساعداً للشيخ معاضداً له فى تحقيق أهدافه لخدمة الاسلام و المسلمين)

مآثره فى الجهاد :

لم تقتصر نشاطات الشيخ الكيراوى على الجهاد بالقلم و اللسان ، بل و برز إلى ساحة الوغى كذلك ، فقد أبلى بلاءاً حسنا فى وقعه « شاملى » الشهيرة فى أولى

المكالحات لاستقلال الهند من الاستعمار البريطانى سنة ١٨٥٧م ، حتى أفزع الجيش الانجليزى و قائد قواده و هزمهم ، و كان جامع « كيرانة » يومئذ قد تحول إلى ثكنة للجاهدين حيث كان يتم تربيتهم و تنظيمهم الحربيان ، و يقدر دور الشيخ بأن الناس كانوا يجمعون على ضرب من الطبل منادياً : الملك لله ، والحكم للولوى رحمة الله (لعلهم كانوا يفعلون ذلك جواباً على ما كانت الشركة الهدية الشرقية تنادى به : البلاد للملك ، و الحكم للشركة) .

و لكن الانجليز لما غلبوا على المسلمين المجاهدين ، أصدرت الشركة الأمر بالقبض عليهم أجمعين ، فأما الذين تم القبض عليهم ، فقد قضوا نحبهم ، ووجدوا ما وعد الله و رسوله حقاً ، و الذين لم تتمكن الشركة بالبطش لهم ، فقد نجحوا في محاولاتهم للخروج من الهند و الهجرة إلى مكة المكرمة ، و كان منهم الشيخ الكيرانوى ، فقد وصل إلى ميناء « سورت » راجلا ، و قد أعياه السفر ، و ما لقى من المشاق و الآلام ، و قطع المفازة و الطرق الخطيرة و الغابات المخوفة ، ووفق للوصول إلى « جدة » فصادرت الشركة جميع أمواله و ممتلكاته تنكيلا بما فعل الشيخ ، ثم انتقلت إلى حلفاء الانجليز و مواليهم بثمن بخس دراهم معدودة ، و قد حفظه لنا التاريخ بجميع تفاصيله .

« يتبع »

عن بعض لمحاته و لمعاته ، يصورهـا أديب الأردية و مورخ الهند العظيم ألطاف حسين حالى :

« كان الاسلام محاطاً بالأخطار فى الهند ، كاللسان بين الأسنان ، فمن جهة كان التبشير بالمرصاد ، و لم يكن يصبر على بعض الصيد الغث لملأ بطنه فى أثناء الجدب ، بل كان دائماً يتربص الصيد السمين ، وكانت عيونها مرتكزة على مسلمى الهند ، فكانت صحـافتهم الأوربية كلهـا تمطر وابلا من رصاصهـا على الاسلام ، و كانوا يشهرون مواضع الضعف فى الاسلام و ينالون منـــه بشتى الأساليب ، و كانوا ينتقدون خلق النبى ﷺ و سيرته الطاهرة ، وقد وقع كثير من المسلمين فريستهم ، قليل منهم بحكم جهلهم الاسلام ، ومعظمهم بحكم الفقر والجدب ، السائدين على المجتمع ، و قد تنبه لذلك علماء المسلمين مثل الشيخ رحمة الله و الدكتور وزير خان ، و قيضهما الله لهذه المهمة ، فألفوا كتباً فى مقاومـة المسيحيين ، و جادلوهم مباشرة ، وبذلك نفعوا المسلمين كثيراً » ثم يذكر حالى بعض التفاصيل و يقول : و لم تكن أى صعوبة فى قيام الحركة و انطلاقها ، و كان المسلمون فى حاجة إلى القيادة ، و لم يكن أحد أجدر بقيادة المسلمين من الشيخ رحمة الله الكيرانوى ، فأسس الحركة ، و اتخذ « دهلى » و آكره « مركزاً لمواصلة المهمة »

تتجلى مما قاله « حالى » مدى سمية المسيحية و خطورتها للاسلام و المسلمين ، و المحاولات التى كان يقوم بها المبشرون لنشر الديانة المسيحية بين الجماهير .

يشير العلامـــة السيد سليمان الندوى إلى جوانب أخرى خطيرة لازدهار المسيحية :

« تركزت الهجمات المتواصلة من ثلاث جهات بعد استيلاء الانجليز على الهند ، وبدأت التبشيرات المسيحية تواصل حملاتها على الاسلام ملوية على طاقتها السياسية

الحديثة ، و نشطت الحركة « الآرية » وتجرأت فى الهندوكينيا للهجوم على المسلمين بعد ما نجوا من ملوك المسلمين ، وبدأت الظواهر القشورية اللاعة للعلوم الأوروبية و آدابها و مدنيتها تعشى أبصار المسلمين ، فقيض الله الشيخ رحمة الله الكيرانوى و الدكتور وزير خان (من آكره) ثم الشيخ محمد قاسم النانوتوى ، و الشيخ السيد محمد على المونكيرى وغيرهم المقاومة لمبشرين المسيحيين ، وفندوا اعتراضاتهم بالحجج و البراهين ، و مزقوها كل ممزق ، و بصفة خاصة لم يكن الدكتور وزير خان و الشيخ رحمة الله الكيرانوى بأقل من التأييد الالهى و النصرة الغيبية فى باب الرد على المسيحية »

و كان الشيخ محمد قاسم النانوتوى (مؤسس جامعة ديوبند الاسلامية) آية للنصرة الالهية فى مقاومة الآربين ، وعلى رأسهم « سوامى ديانند سرسوتى » ولا شك فان مهمة نشر العقائد الاسلامية الصحيحة ، و رد البدع وقمع الخرافات التى تحققت بجهود الشيخ النانوتوى و الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى ، و آخرين من تلك الجماعة المقدسة ، نشاهد بقية آثارها أمامنا حتى إلى يومنا هذا » و كان من الخير أن قام طالب فى جامعة محمد بن سعود الاسلامية ، بالرياض ، باعداد بحث للحصول على الدكتوراة على مباحثات الشيخ رحمة الله الكيرانوى و القسيس فندر ، و نجاح الشيخ على القسيس ، و الطالب هو محمد عبد القادر بلكاوى .

المقاومة الناجحة :

و بالجملة ، فقد كانت نتيجة جهود و جهاد تلك الفئة المؤمنة ، المخلصة ، المكافحة لأجل دينها ، ذات الحمية الدينية ، أن تعرقل ازدهار المسيحية و انسدت المنافذ لانتشارها ، حتى اضطر أصحابها التبشيريون إلى أن يتخذوا فى آخر الأمر موقف الانهزامية و الدفاع ، و يقدر مدى أهمية الموضوع و حتميته و علاقتهم

بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (١) ذكر المفسرون و المحدثون فى شأن هذه الآية أن النبي ﷺ بعث وليد بن عقبة ابن أبى معيط مصدقاً إلى بنى المصطلق فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم ، فيرجع إلى النبي ﷺ فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث نبي الله ﷺ خالد بن الوليد و أمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاؤا أخبروه أنهم متمسكون بالاسلام وسمعوا أذانهم و صلاتهم ، فأخبره الخبر ، فانزل الله هذه الآية (٢) .

فأمر الله تعالى بالتبين و الفحص عن أحوال المخبرين كيلا يصاب الناس بالجهالة فجرحه الله و أطلق عليه الفسق و قال الله تعالى « لعنه الله و غضب عليه و جعل منهم القردة و الخنازير و عبد الطاغوت (٣) فذم الله عز و جل اليهود فى هذه الآية أعنف الذم وجرحهم غاية الجرح حتى جعل منهم القردة والخنازير .

و قال الله عز و جل حكاية عن شأن المؤمنين الصادقين « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون (٤) انظروا كيف مدح الله هؤلاء العباد البارين المطيعين و بين رضاه بهم فوثقهم و جعلهم من الأبرار الفائزين بالمرام ، و أيضاً قال الله تعالى بعد الاشارة إلى المؤمنين على أعمالهم الصالحة « رضى الله

(١) سورة الحجرات الآية : ٦ .

(٢) انظر الجرح و التعديل ٢/٥ ، ٦ و تفسير ابن كثير ٦/٣٧٢ و تفسير المظهرى نقلا عن الطبرانى و بغوى للقاضى ثناء الله فانى فتى ٢ / ٤٥، و أسباب النزول للشيخ على بن الحسن الواحدى ص ٢٩٠ تفسير سورة الحجرات .

(٣) سورة المائدة الآية ٦٠ .

(٤) سورة المؤمنون الآيات ١-٢ .

عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشى ربه » (١) و أخرج الخطيب بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا استأذن على النبي ﷺ فقال إئذنوا له فبئس رجل العشير أو رجل العشيرة ـ فلما دخل ألان له القول قالت عائشة يا رسول الله قلت الذى قلت فلما دخل ألنت له القول قال : يا عائشة «إن شر الناس منزلة يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء فحشه » ففى قول النبي ﷺ للرجل بئس رجل العشيرة دليل على إخبار المخبر بما يكون فى الرجل من العيب و ليس بغيبة و قال كذلك أئمتنا فى العلم لهذه الصناعة (٢) .

فثبت بهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المذكورة أن الجرح والتعديل يوجد فى القرآن و السنة و يستنبط جوارهما بصفة عامة و فى الأمور الشرعية بصفة خاصة و ليس بعيب و لا غيبة كما تدل على ذلك نصوص المحدثين .

قال :ـ عفان كنت عند اسماعيل بن علية فحدث رجل عن رجل بحديث ، فقلت لا تحدث عن هذا فانه ليس بثبت ، فقال اغتبته فقال اسماعيل ما اغتابه و لكنه حكم عليه أنه ليس بثبت (٣) .

و قد قيل للبخارى إن بعض الناس ينقمون عليك التاريخ ، يقولون : فيه اغتياب عن الناس ، فقال إنما ذلك رواية و لم نقله من عند أنفسنا (٤) ولأجل هذا ، قام الأئمة المحدثون بجرح الرواة وتعديلهم صيانة للشريعة الاسلامية من اختلاط الحابل بالنابل و الصحيح بالسقيم ، و ما خافوا فى ذلك لومة لائم ، فأدوا أماناتهم العلمية و مسئوليتهم التى ألقيت على عواتقهم .

---

(١) سورة البينة الآية : ٨ .
(٢) انظر الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى ص ٣٨-٣٩ ملخصاً .
(٣) الجرح و التعديل ٢٢/١ .
(٤) راجع «السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى» ص ١١٠ طبع بيروت .

و من المعلوم لدى الدارسين أن هذا الجرح و التعديل يجب فى بعض الأحيان ، قال العلامة عبد الحى اللكنوى ضمن تنبيهاته و تحذير المومنين من الشر: ومنه جرح الشهود عند القاضى وجرح رواة الحديث وهو جائز بالاجماع ، بل هو واجب للحاجة (١) لكن من الواجب للمحدث أن لا تختفى هذه الحقيقة على عينيه أن قضية الجرح و التعديل قضية دقيقة خطيرة نيطت به كرامة الرجل و سفسفته ، فاذا وثقه أحد يصبح عزيزا فى المجتمع و أثيراً فى الناس ، و إن جرحه أحد يروح بغيضاً ساقطاً يزدرى به الأقارب و الأجانب ، فلا بد من تفحص أحوال الرواة من الناحية العلمية و العقائدية و الرجاحة العقلية و العفة النفسية أولا ، و الحكم على ثقاهته أو ضعفه ثانياً ، و إلا فيكون خاطئا فى حكمه تاركاً للقرآن و متعدياً إلى أصول الجرح و التعديل ، قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً (٢) و قال العلامة اللكنوى : ولا جرح من لا يحتاج إلى جرحه ومنعوا من جرح العلماء الذين لا يحتاج إليهم فى رواية الأحاديث بلا ضرورة شرعية (٣).

لمحة عن تاريخ الجرح و التعديل :

لما جاء الاسلام ونزل النور الالهى بواسطة الروح الأمين إلى النبى الأمى الكريم تنور العالم بنوره الوهاج ، و تنورت صحارى الجزيرة العربية و قفارها و رمالها حتى دخل الناس فى دين الله أفواجاً فكانوا يتلقون تعاليم الاسلام مباشرة عن الرسول ﷺ ويطبقونها على حياتهم ويمثلونها أحسن تمثيل فكان ﷺ ، يتلو عليهم القرآن ويبين ، ويفصل المجمل ويفسر المبهم ويشرح الخفى كما هو شأنه ، « و أنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون (٤) »

(١) الرفع و التكميل فى الجرح و التعديل ص ٤ .
(٢) سوره الحجرات ١٢ . (٣) الرفع و التكميل ص ٥ .
(٤) سورة النمل ٤٤ .

« لقد من الله على المومنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة (١) ففى هذا المجتمع كان المسلم يثق بأخيه المسلم لكونه مسلماً ولا يتصور أحدهم الكذب فيما بينهم و كانوا أبعد شئ منه، وتقشعر منه جلودهم. لأنهم سمعوا نبيهم يقول: من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار (٢) فلما التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، فكان الصحابة يهتدون بهديه و يقتفون آثاره و يرون أنه الفوز العظيم فى الدنيا و الآخرة لسماعهم قول النبى ﷺ: أنا تارك فيكم ثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة رسوله ٣).

فلم يزالوا على هذه السيرة النزيهة، ثم إنهم واجهوا نوعاً جديداً من الناس ممن اعتنقوا الاسلام بعد وفاة الرسول ﷺ فكانوا لا يتحفظون ولا يحتاطون فى نقل الروايات فتغيرت نظرتهم نحو هولآء المسلمين الجدد وجعلوا يحذرون منهم أشد الحذر، قال ﷺ « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم و إياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم (٤) وأخرج مسلم بسنده قول ابن عباس، بشير بن كعب إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب و الذلول تركنا الحديث (٥) وقال لم يكونوا يسئلون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة سئلوا (٦) وقال ابن سيرين « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » وقال ابن المبارك « الاسناد

(١) سورة آل عمران ١٦٤ .

(٢) سنن ابن ماجة ص ٥ و رواه أصحاب الستة .

(٣) مشكاة المصابيح ج ١ ص ٣١ .

(٤) مقدمه صحيح مسلم ص ٩ - ١٠ بالطبعة الهندية .

(٥) نفس المصدر ص ١٠ . (٦) أيضاً ص ١١ .

من الدين و لولا الاسناد لقال عمن شاء ما شاء » (١) و قال سفيان الثورى « سمعت جابراً يحدث بنحو من ثلاثين الف حديث لا أستحل أن أذكر منها شيئاً » (٢) .

و لم يكن لهم التلبيس إلا عن طريق وضع الأحاديث النبوية فجعل الناس يتفحصون . قال العلامة السيوطى ، وهو يلقى الضوء على تاريخ الجرح و التعديل فقال « و ازداد ذلك فى عصر صغار التابعين بعد الخمسين و المائة ، و فيها كان كبار أتباع التابعين وظهرت الفرق السياسية و انتشرت النحل والعصبية و ازدحمت الثقافات الأعجمية المعارف الشرعية وظهر من يتعمد الكذب ترويجاً لبدعته و انتصاراً لمذهبه ونحلته ، فاضطر العلماء الجهابذة علماء الجرح و التعديل إلى اتساع النظر و الاجتهاد فى التفتيش عن الرواة ونقل الأسانيد ، ثم عد اسماءهم (٣) .

أشهر علماء الجرح والتعديل وتعريف بعض الكتب المؤلفة على هذا الموضوع:

تكلم فى الجرح و التعديل محدثون و علماء وخلق كثير يعسر إحصاؤهم فى هذا المقال الوجيز فأذكر المعروفين منهم ، ولهم دور فعال فى هذا المجال ، قال الدكتور مصطفى السباعى : « و من أشهر علماء الجرح والتعديل فى هذ القرن الثانى ، معمر — م —١٥٤ وهشام م — ١٦٧ و الأوزاعى م —١٥٧ والثورى م —١٦١ و حماد بن سلمة — م ١٦٧ والليث بن سعد م — ١٧٥ وابن المبارك م —١٨١ و ابن عيينة م —١٩٨ و وكيع بن الجراح م — ١٩٧ . و من أشهر علماء هذه الطبقة يحي بن سعيد القطان م —١٩٨ و عبد الرحمن بن مهدى م —١٩٨ و كانا حجتين لدى الجمهور فمن وثقاه قبلت روايته و من جرحاه ردت و من اختلف فيه رجع الناس إلى ما ترجح عندهم (٤) .

(١) أيضاً ص ١٢ . (٢) أيضاً ص ١٥ .
(٣) تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى م—١٩١ ج ١— ص ٤٠ .
(٤) السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى ص ١١٠ .

و قد ألف فى علم الجرح والتعديل كتب كثيرة منها ما أفرد بذكر الثقات ومنها ما أفرد بالضعفاء و منها ما جمع بين الثقات و الضعفاء .

فأشهر الكتب من النوع الأول كتاب الثقات لابن حبان البستى، والثقات لابن قطلوبغا م ٨٨١ فى أربعة مجلدات ، و الثقات لخليل بن شاهين م -٨٧٣ .

و من أشهر من ألف فى النوع الثانى البخارى و النسائى ، و ابن حبان ، والدار قطنى وابن الجوزى وابن عدى وكتابه الكامل فى الضعفاء أوفى الكتب فى ذاك ، و قد ألف الامام الذهبى كتابه ميزان الاعتدال من كتاب ابن عدى .

و النوع الثالث أشهر الكتب منه تواريخ البخارى الثلاثة الكبير و كتاب الجرح و التعديل لابن حبان و الجرح و التعديل لأبى حاتم الرازى و الطبقات الكبرى لابن سعد و من أجود الكتب التكميل فى معرفة الثقات و الضعفاء و المجاهيل (١) .

فى ضوء هذه الدراسة نستطيع أن نقول أن علم الجرح والتعديل علم جليل من أجل العلوم التى نشأت ، لا نعرف له مثيلا فى تاريخ الأمم الأخرى .

إن هذا الجيل من المحدثين الأعلام هو الذى بنى على سيل وضع الحديث السد العرم ، و استخرج من بحر السنة اللآلى والدرر الكامنة فى أغواره وطياته، ولكل مهم خدمات و مآثر خلفت آثاراً رائعة ، ولو رحت استقصى صور مآثرهم لطال الكلام و ضاق المقام فلا أذكر هنا إلا واحداً من هؤلاء الأئمة « الامام يحى بن سعيد القطان و مآثره فى الجرح و التعديل »

هو يحى بن سعيد الفروخ القطان التيمى ابو سعيد البصرى الأحول الحافظ ، روى عن سليمان التيمى و حميد الطويل و اسماعيل بن خالد وعبيد الله بن عمرو

(١) ملخص من كتاب « السنة و مكانها فى التشريع الاسلامى » ص ١١١

يحى بن سعيد الأنصارى و هشام بن عروة و هؤلاء أشهرهم و بلغ عدد شيو
إلى تسع وثلاثين نسمة كما يبلغ عدد تلامذته إلى ثمانية عشر ،أشهرهم نجله الن
محمد بن يحى بن سعيد و حفيده أحمد بن محمد و إسحاق و على بن المدينى و
بن معين و عمرو بن الفلاس (١) .

آراء العلماء فى ضبطه و إتقانه و زهده و ورعه :

قال على بن المدينى : سمعت يحى بن سعيد اختلفت إلى شعبة يوماً ف
اجعل بيننا وبينك حكماً فقال رضيت بالأحول يعنى (يحى بن سعيد القطان

قال القواريرى عن ابن مهدى : ما رأيت أحسن أخذا للحديث ولا أ
طلباً له من يحى بن القطان أو سفيان بن حميد ، قال الساجى عن على بن الم
« ما رأيت أعلم بالرجال من يحى القطان (٢) .

قال أحمد بن حنبل : إليه المنتهى فى التثبت فى البصرة و قال : صالح
أحمد عن أبيه يحى بن سعيد أثبت عن هؤلاء - يعنى ابن مهدى ووكيعاً وغير

قال الأثرم - سمعت أحمد يقول رحم الله تعالى يحى القطان ما كان أ
وأشد ثقة - قال : أبوبكر بن خلاد سمعت ابن مهدى يقول « لو لقيت ابن
خالد لكتبت عن يحى القطان عنه ، لأعرف صحيحها من سقيمها (٣) قال

(١) انظر تهذيب التهذيب ٢١٦/١١ و جاءت ترجمته فى تاريخ بغداد ٣٥/١٢
و تذكرة الحفاظ ١٩٨/١ و تهذيب الأسماء ٢/ ١٥٤ و خلاصة تهذ
الكمال ص ٢٦٣ و شذرات الذهب ٣٥٥/١ وطبقات بن سعد ٤/
و العبر / ٣٢٧ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢١٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ص ٢١٨ .

عمار : كنت إذا نظرت إلى يحى ظننت أنه لا يحسن شيئاً فاذا تكلم أنصت له الفقهاء ، قال العجلى : بصرى ثقة فى الحديث كان لا يحدث إلا عن ثقة (١) وأخرج الذهبى قول ابن منجويه يقول « يحى القطان هو الذى مهد لأهل العراق رسم الحديث ، و بحث عن الثقات و الضعفاء » وقال النسائى ـ « أمناء الله على حديث رسول الله مالك وشعبة ويحى القطان (٢) قال ابن سعد : كان ثقة مأموناً ربما حجة ، و قال أبو زرعة كان الثقات الحفاظ ، وقال أبو حاتم : حجة حافظ ، قال النسائى » « ثقـــة ثبت مرضى » قال بندار : اختلفت إلى يحى عشرين سنة فما أظن أنه عصى الله تعالى قط » قال أبو داوٗد عن يحى بن معين « أقام يحى بن القطان عشرين سنة يختم القرآن فى كل ليلة ولم يفته الزوال أربعين سنة (٣)

و لذلك قال الحافظ الذهبى « يحى القطان محدث زمانه » (٤) .

من هذه الآراء للعلماء الجهابذة يستطيع القارىء الكريم أن يقدر جلالته وإمامته وعلو كعبه فى الجرح و التعديل ، فكان من المحدثين الصيرفيين المعدودين الذين منحهم الله ملكة وهبية لنقد الأسانيد و متونها ، فكانوا يحكمون بالصحـــة و الضعف فور سماعهم لرواية الحديث لاطلاعهم الدقيق على الأسباب الخفية والعلل القادحة التى تسبب رفض الحديث .

إن يحى القطان هو أوسع النقاد فى القرن الثانى كلاماً فى الرجال و إن لم ينقل عنه شئ كثير فى الجرح والتعديل شأن المتقدمين كابن المبارك وشعبة الحجاج ،

(١) نفس المصدر ص ٢١٩ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠ طبع بيروت .

(٣) تهذيب التهذيب ص ٢١٩ (٤) ميزان الاعتــــدال ج ٤ ص ٣٨٠ طبع بيروت .

و إن ما نقل عنه يحمل أهمية كبيرة لأن النقد فى عصره كان فى أطواره الأولى تتكون نواته و يتثبت أساسه .

و هنا نذكر بعض ألفاظه الواردة فى الجرح و التعديل فى مختلف الكتب المؤلفة على هذا الموضوع .

قال القطان « حفص أوثق من أصحاب الأعمش » (١) ، قال الرازى بسنده عن على بن المدينى سألت يحيى بن سعيد عن اسحاق بن يحيى بن طلحة فقال ذاك شبه لا شئ » و قال فى حديث أبى اسحاق » أبى الغض لم يكن هذا الشيخ بثبت (٢) قال القطان : لا استحل أن أروى عن يحى بن أبى حية أبى جناب الكلبى (٣) قال على : « كان القطان لا يحدث عن ميمون أبى عبد الله (٤) قال عباس الدورى « سمعت يحيى يقول » و من هنا الماس نظر أمه حتى يتكلم فى الصحابة (٥) ، ناصح العلاء أبى العلاء البصرى مولى بن هاشم ويعرف بناصح البكرى قال يحيى « ليس بثقة » (٦) ، نجيح أبو معشر السندى الهاشمى كان يحي بن سعيد يستضعفه جداً و يضحكه إذا ذكره (٧)

هذا الشئ القليل من جرحه وتعديله الذى اطلعت عليه مباشرة، وهناك رسالة قدمها الاستاذ سلمان الحسينى الندوى لنيل شهادة ماجستر بجامعة الرياض بالمملكة السعودية ونقل فيها ألفاظه الواردة فى الجرح والتعديل التى اشتملت عليها المجلدات الثلاثة الأول من كتاب تهذيب التهذيب ١/ ٢/ ٣/ للحافظ بن الحجر العسقلانى

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٢ . (٢) الجرح والتعديل ج ٢ ص ٣٣٦ .
(٣) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣١٨ . (٤) نفس المصدر ص ٢٣٥ .
(٥) أيضاً ٢٣٧ . (٦) أيضاً ٢٤٠ .
(٧) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٢٤٦ .

من شاء فليراجع ، كان يحي القطان من الناقدين المتشددين فی طبقته، و لذلك عده المحدثون من المتعنتين ، كما قال الحافظ الذهبي (١) و قال العلامة اللكنوى إذا وثقه ابن مهدى و ضعفه يحي القطان فلا يترك لما عرف من تشديد يحي (٢) و من هذه الآراء و الأقوال فی الجرح و التعديل يستطيع الدارس أن يقدر جهوده التی بذلها و المآثر التی قام بها ، و أظن أنه قد ظهرت بعض الجوانب المهمة و انجلت مآثره فی الجرح و التعديل التی حاولت إبرازها فی هذه المقالة الوجيزة ، فان إمامنا هذا يحق أن يعد من المؤسسين الذين أرسوا الحجر الآساسی للجرح و التعديل ثم رفعوا قواعده و أعمدته التی شيد فوقها بنيان هذا العلم المبارك ، كما أن مآثره تجدر بأن تكتب بمداد النور على خدود الحور .

رحم الله المحدثين أمثال إمامنا هذا ، إنهم بذلوا كل ما كانوا يملكون من غال و رخيص و نفس و نفيس فی سبيل الاحتفاظ بالتشريع الاسلامی عن النقد و التمحيص ، وشمروا عن ساق الجد كلما دس به الدساسون و الكذابون و وضع الوضاعون و المختلقون حتى جاءهم اليقين و لكل أجل مسمى » .

و هكذا أسلم هذا الامام الجهبذ الناقد نفسه إلى الله و فاضت روحه يوم السبت صفر سنة ١٩٨ ، أدعوا الله أن يتغمده برحمته و أدخله فی فسيح جناته و منحه من خزائنه و خيراته ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ، كما أدعو أن يوفقنی لاتباع شريعته و يلحقنی فی عداد الذين خدموا الدين الاسلامی الحنيف ، و ما توفيق إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب » .

أحب الصالحين و لست منهم لعل الله يرزقنی صلاحاً .

(١) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٩٧ .

(٢) الرفع و التكميل ص ١٨ .

في ضوء العلم الحديث :

و نكتب ما قدموا و آثارهم

بقلم : الدكتور ابراهيم الراوي
دكتوراه فى الطب و الجراحة
بغـــداد ـ العراق

أى كتاب يدون سيرة حياة إنسان من البشر و يسطر أفعاله و يكتب ما فعل و ما قال لا يمكن له أن يستوعب كل دورة حياته ، بصورة دقيقة كالفلم السينمائى الذى يسجل الصورة و الصوت ، الفعل و القول ، ولكن هـــذا الفلم يعجز أيضاً عن ضبط وتثبيت ما يجول فى أعماق النفس البشرية و ما هو خارج نطاق المادة والمرئيات والمحسوسات (و إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) .

إن عملية تثبيت كل ما يدور فى دورة حياة أى إنسان تتم بطريقة الكتابة بشكل يعلمه الله و يخصص لكل إنسان على هذه الأرض ملائكة تسجل أفعال الخير وأفعال الشر ، كل حسب اختصاصه (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ منه قول إلا لديه رقيب عتيد) و تنتهى حياة الانسان بتأليف كتاب لتأريخ حياته يرتبط بروحه الصاعدة إلى السماء و يحفظان فى سجل الغيب لحين موعـــد اللقاء ، لقاء يوم المحاكمة و الحساب عن سلوكية الانسان على هـــذه الأرض ، كتاب مسطور بحروف مدونة على صفحات يفهمها و يقرؤها كل قارئ أو أمى ، عالم أو جاهل ، عربى أو أعجمى ، توحيد لغات العالم بلغة يوم القيامة التى يفهمها البشر جميعاً .

و يفتح كل إنسان كتاب أعماله قبل موعد المحكمة بدافع حب الاستطلاع فيندهش من دقة المراقبة و إخلاص المراقبين و أمانة التقارير المقدمة للحكمة و يقول فى نفسه (ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضراً و لا يظلم ربك أحداً) .

و تفيد الدلائل العلمية الحديثة مؤخراً عن اكتشاف العلماء اليوم طبقات الأثير المغناطيسية فى الجو مبتدئة من ارتفاع يعلو رؤوس البشر قليلا تسجل كلام البشر و تخزن هذا الكلام فى طبقات الأثير آلافاً و ملايين من السنين ، كما تسجل أفلام التسجيل المغناطيسية أصوات الانسان و تخزنها على أشرطة خاصة لمدة قرون

و يتفاءل العلماء بقدوم ذلك اليوم الذى يستطيع فيه الانسان أن يتوصل إلى تحليل كلام البشر على مختلف لغاتهم وعبر آلاف السنين الماضية و التى خزنها طبقات الأثير المغناطيسية فى سماء الحياة الدنيا من فوق رؤوسهم .

إذا نجح العلماء فى محاولاتهم فسوف يتيسر للانسان المعاصر أن يضع جهازاً فوق صخرة مضيق جبل طارق لتحليل موجات الأثير هناك و التقاط خطبة القائد طارق ابن زياد بصوته ورنة حنجرته من قبل (١٤٠٠عام) .

طبقات الأثير منهمكة ليل نهار فى التقاط كلام البشر و خزنه ، و إذا ما أتى ذلك اليوم الذى سيحلل كلام الانسان المخزون عبر القرون الطويلة ، يضع جهازه فوق سطوح دار جده القديم ليسمع ماذا كان يتكلم الانسان ، جده و أبوه و هو طفل صغير طوال حياة عمر مديد ، و اسوف يتوصل إلى الحقيقة الثابتة ، إن معظم كلام البشر عبر آلاف السنين وطبقات الأثير منهمكة فى التقاطه و خزنه ما هو إلا مجرد لهو و عبث و شحناء و خلاف و تناحر و افتخار ، كما

نرى اليوم فى كلام الصحف و المجلات والاذاعة فى العالم ، و القرآن العظيم أظهر لنا حقيقة كلام الانسان منذ مئآت القرون (لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) ثلاثة مجالات فقط يكون فيها كلام الانسان بناءاً و جديا و نافعاً و ما عداهـا فما هو إلا مجرد لهو و تبذير للوقت وصرف للطاقات من دون جدوى ، أولها الكلام من أجل حل مشاكل العالم الاقتصادية و المعيشية و رفاهية الحياة و سعادة الدنيا و الأمن و الاطمئنان ، و ثانيها الكلام فى مجالات الدعوة و العقيدة و نشر الايمان و تربية الجيل الصالح و تثبيت أحكام الله على أرض الله ، و ثالثها الكلام من أجل إطفاء الفتن و نيران الحروب و العداوات و الفساد فى الأرض على المستوى الفردى و الجماعى و الدولى .

إذا ما سجل إنسان كلامه خلال أسبوع واحد و استمع إلى كلامه خلال هذه المدة القصيرة من عمره فسيرى ما أكثر الساعات التى قضاها فى الكلام الفارغ ، كلام كثير ولكنه لا يجدى نفعاً بل هو وبال على صاحبه (من كثر كلامه كثر ذنبه) (قل خيراً أو أصمت) ، (و هل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) .

أن الاكتشافات المذهلة فى الكون و التى يتوصل إليها إنسان هذا القرن و ينجح فى تسخيرها و الاستفادة منها باختراع الآلات و الأجهزة العجيبة التى يقف الانسان أمامها حائراً ومندهشا ، صنعها الانسان بعقله الجبار الذى هو من صنع الله ، كل ذلك يثبت عظمة التصميم المذهل و الاتقان العجيب الذى صنعته القوة الآلهية الخارقة وتكشف هذه الاسرار كل يوم جديداً عن مذهلات الكون التى تجسم حقيقة هذه القوة الخارقة صانعة المعجزات فى ملكوت اللانهاية من سموات و أكوان (و يخلق ما لا تعلمون) .

توصل العقل البشرى اليوم إلى اختراع الأجهزة الالكترونية العجيبة فى صنعها الدقيق و تصميمها المدهش و عملها المنظم ، إذا فتحت ما فى داخل الحاسبة الالكترونية التى تجمع الأرقام و تضربها و تقسمها فى زمن أقل من أجزاء الثانية فسوف لا ترى شيئاً سوى نقاط وخطوط و سطوح ، وكذلك الساعة الالكترونية و كل الأجهزة فى كل مجالات الحيات العملية المعاصرة ، إلا أن هذه الأجهزة لم تفعل شيئاً إلا أن سخرت (الالكترون) : الخلقة الالهية العجيبة التى لا ترى فى العين المجردة ، كما يسخر الرجل الحيوان المنوى فى تلقيح بويضة أنثاه لانتاج المعجزة الالهية الكبرى (إنساناً جديداً من العدم) افرأيتم ما تمنون أ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ! ! ؟ ؟ .

وكذلك الاقمار الاصطناعية التى تسخر ما خلق الله من عجائب فى الكون من دوران و جاذبيات و حواجب للصوت ، و التلفزيون و الراديو و اللاسلكى و التلفون فى تسخير الموجات الكهربائية و المغناطيسية و الصوتية و الضوئية التى تحير العقول فى قدراتها و قابلياتها العجيبة فى النقل للصوت والصورة بين القارات و بين الكواكب و الأجرام السماوية .

(سخر لكم ما فى السموات و ما فى الأرض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة) فهل أنتم له شاكرون ؟؟ !! ...

صور و أوضاع :

هزة فى المعسكر الاشتراكى

واضح رشيد الندوى

تحدث اليوم فى العالم الاشتراكى مفاجآت لم تكن فى حسبان أذكى الساسة والمحللين الصحفيين قبل سنة واحدة ، فقد كان المستر جوربا شوف ـ وهو أصغر قادة روسيا الذين تولوا زمام الحكم فى العصر الأخير ـ قد أشار إلى ضرورة القيام باجراءات تصحيحيه لدى توليه منصب سكرتير الحزب الشيوعى ، و لكن لم يكن يدرك أحد فى ذالك الوقت أنه ينوى إجراء إصلاحات ثورية فى نظام الحكم ، و فى النظام الاجتماعى ، و فى النظام الاقتصادى ، و فى العلاقات مع البلدان التى تتعامل معها روسيا ، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد فوجئ العالم بما يحدث الآن فى الاتحاد السوفيتى الذى يعتبر قلب العالم الاشتراكى ، و القلعة الأخيرة للشيوعية ، إلى حد أن أحد المراقبين السياسيين أدلى بتصريح أن الاتحاد السوفيتى يمر بمرحلة انقلاب و أن نظاماً جديداً يحل محل النظام التقليدى .

بدأ المستر جوربا شوف عهده بالهجوم على سلفه ، وهو عمل غير مفاجئ ، بل يسير على الخط الاشتراكى المعهود ، لأنه من طبيعة الاشتراكيين أنهم يحملون سلفهم مسئولية الاخفاق فى الأهداف ، و المساوئ التى يعانيها الشعب ، و كان التلاوم طبيعة الاشتراكيين عبر العصور ، و سار على هذا الخط جميع قادة الاتحاد السوفيتى ، و على نهجهم سار قادة البلدان الاشتراكية الأخرى وزعماء الثورة فى العالم العربى ، أما المفاجأة التى كان الناس يشكون فى بداية الأمر فى تحققها هى خطوات المستر جوربا شوف التى اتخذها عن تغيير سياسة الاتحاد السوفيتى إزاء أفغانستان ، ثم اتخاذ اجراءات لتخفيف التوتر فى المنطقة ، ثم العجلة التى تمت بها مرحلة المفاوضات ، و إسراع الاتحاد السوفيتى إلى سحب أفواج من الجيش السوفيتى من أفغانستان رمزاً لحسن النية و الجدية فى القرار ، و كان يستدل من هذه الخطوات أن الاتحاد السوفيتى يتخذ هذه الاجراءات لادراك القيادة الجديدة بعدم جدوى

الوجود السوفيتى فى أفغانستان وضخامة الخسائر المستمرة التى كانت تؤثر على الميزانية الروسية كثيراً و تشوه سمعة البلاد ، و تضعف موقف الاتحاد السوفيتى كرائد سلام فى المنابر الدولية ، و هو الوسام الذى كان الاتحاد السوفيتى قد اكتسبه بتأييده لحركات النضال ضد الاستعمار الأوربى فى العالم .

كان لقرار جورباتشوف بالانسحاب من أفغانستان مبررات كثيرة ، و لكن اتخاذ هذا القرار الحاسم كان يعكس صرامته و إدراكه للواقع ، و فهمه الدقيق للوضع الذى تولى فيه الحكم ، و جرأته على مواجهة الوضع بوعى ، و قد كسب بهذا القرار بعض ما خسرته القيادة السابقة ، و أنقذ المستر جورباتشوف بهذه السياسة الواعية بلاده ، من خسائر فى الأرواح و الذخيرة الحربية ، و المعدات التى كانت تتصعد يوماً فيوماً و إدانة العالم التى كانت تحدق ببلاده .

كانت مفاجأة العالم الكبرى بالاجراءات التى تلت هذا القرار ، و لا يعرف ما إذا كانت هناك صلة بين القرارات الحاسمة التى اتخذها المستر جورباتشوف أخيراً وبين قراره حول أفغانستان ، ولكن النتائج التى أدت إليها حرب أفغانستان ، و الضغوط التى فرضتها على اقتصاد روسيا ، و الامتعاض الشديد الذى نتج بسبب الخسائر الجسيمة فى الشعب الروسى ، كانت طبعاً من العوامل الكامنة وراء هذه القرارات ، فانها هى التى دفعت روسيا أساسياً إلى هذه الاجراءات التصحيحية

ظهر هذا الموقف أثر القمة الأمريكية السوفيتية ، وبعض المحللين السياسيين قد أدركوا فعلا بوجود مؤشرات إلى تقارب جديد بين روسيا و أمريكا ، وكان هذا التقارب فكرياً و لم يكن مجرد تقارب سياسى ، و كان ناجماً عن تحول فى التصور العام للاوضاع العالمية ، التحول الذى كان أشبه بالتحول فى موقف الصين إزاء الولايات المتحدة بعد محادثات كيسنجر ، و قد حدثت فى الصين بعد تلك الجولات من المحادثات و الزيارات التى جرت بين قادة الصين والولايات المتحدة الأمريكية ثورة داخلية ، فألغت الصين بعض القيود المفروضة فى لمجالات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية ، و سمحت بحريات فردية و جماعية ، و فتحت مجالات

للاستثمار الأجنبي ، و أقرت برغبة الشعب فى تحسين مستوى المعيشة و إقامة اتصالات حرة مع العالم الخارجى ، و أكثر من ذلك أعلنت الصين أن فلسفة ماركس كانت غير سديدة للعصر الحاضر و إنما كانت فلسفة غير صالحة للتطبيق ، و اعترفت القيادة الصينية بهذا الموقف أنها لم تكسب كثيراً من السياسة التى كانت تسير عليها ، و انضمت إلى ألد أعدائها امريكا التى كانت تصفها بأنها صنم الرأسمالية .

و لعل نفس التحركات تحدث فى روسيا اليوم ، و كان يجب أن تحدث هذه التحركات قبل عشرين سنة و لكن الزعماء الذين تولوا الحكم فى روسيا خلال هذه الفترة كان معظمهم من الذين نشأوا فى حضن قادة الثورة الشيوعية ، فكانوا مقهورين ، و مبهورين بهم ، و لم يكونوا فى مستوى القيادة الواعية فسببوا بهذه التبعية الفكرية خسائر جسيمة لبلادهم و لمن خضع لهم و لم تكن روسيا خسرت مادياً و خلقياً ما خسرته فى حربها فى أفغانستان .

كان آخر هؤلاء القادة الذين حكموا بقوة السلاح و بعناد و عدم مبالاة بشقاء الشعب ، برزنيف وهو الذى تعانى روسيا اليوم من نتائج سياسته الغير الحكيمة ، أما الذين حكموا فى فترات محدودة بعد برزنيف فقد كانوا يحكمون من المستشفى ، و لم يكن فى وسعهم أن يفعلوا أكثر من أن يبقوا فى الحكم .

لقد ظهر للعالم بعد الانفتاح الذى حدث فى عهد جورباشوف أن الشيوعية فشلت فى إسعاد الشعب الذى حكمته أكثر من ستين سنة ، و أنها لم تحقق أهدافها ، ولو جزئيا ، و أن البلاد ظلت معتمدة على الدول الرأس مالية فى اقتصادها و زراعتها ، رغم جميع القيود ، و الاغلال التى فرضت على الشعب ، ورغم المساحة الواسعة التى كانت تخضع للنظام الاشتراكى ، ورغم الخسائر الجسيمة التى تقدر بعدة ملايين فى سبيل تطبيق النظام الاشتراكى ، ويظهر الآن امتعاض الشعب السوفيتى من هذا النظام بجلاء ، و يرحب الشعب بالاجراءات الجديدة ،

و صارح بعض المتحدثين بهجومهم على القادة السابقين و كشفوا عن مدى عناء الشعب فى ظل هذه السياسة المستبدة .

و بجنب هذه الاجراءات الاقتصادية و الاجتماعية ، و السماح بالحريات للنقد ، و التصرف ، و الملكية ، أعلن جورباشوف إرادته باطلاق الحرية للدول التى ترتبط بالاتحاد السوفيتى بموجب حلف «ورسو» و أعلن بعض القادة أن التدخل فى تشيكوسلواكيا كان خطأ و أفادت التقارير الصحفية بأن روسيا تسحب قواتها من المجر ، فكأن نظاماً جديداً يتطور ، نظاماً أكثر انفتاحاً ، و أقرب إلى نظام الجالية الأوربية ، و إذا حدث ذلك فيؤمل أن تنال الجمهوريات الاسلامية بعض الحريات ، و تنال الأقليات أيضاً بعض الاعتراف .

إنها فرصة للتفكير ، فقد كانت الشيوعية و الاشتراكية مذهباً من المذاهب التى كانت تعتبر حلا للشاكل المعاصرة ، وكان فى العالم الاسلامى بصفة عامة وفى العالم العربى بصفة خاصة قادة كانوا يعادون الدين و القيم لتاثرهم بهذا المذهب ، و كان الاتحاد السوفتى يعرض كأسوة و كقدوة ، و لكن الاتحاد السوفيتى نفسه يدين تلك النظم التى قامت فى البلاد فى تلك العهود و تعترف القيادة المعاصرة بأن تلك السياسة كانت خاطئة و لم تكسب للبلاد كرامة ، و لا حلت مشاكلها ، إنها فرصة لتفكير هؤلاء العقلاء ، الذين عجزوا عن فهم الاشتراكية و قدسوا مجرمين سفكوا دماء الأبرياء ، و أهانوا المقدسات .

إنها فرصة لاعادة النظر فى كثير من البلدان الاسلامية التى لا تزال فيها نظم الاستبداد قائمة ، وتسد فيها منافذ الحرية ، و يجرى الاصرار على سياسة التأميم ، والقيود الاجتماعية ، و النظرية ، ويفرض قادتها على شعوبهم ظروفاً غير طبيعية ، عليهم أن يحاسبوا بين الخسائر والمكاسب ويدرسوا الحياة دراسة طبيعية، ويسمحوا للمخلصين ، و المواطنين الأوفياء ، بارشاد البلاد ، وتصحيح الأوضاع .

إن هذه الاجراءات التصحيحية تستحق أن تتخذ أيضاً فى بلادهم بحكم التبعية و الوفاء لمعلمهم، فان الاتحاد السوفيتى أسوة لبعض البلدان ، فيقتضى الوفاء أن تتخذ الاجراءات التصحيحية فى تلك البلدان التابعة أيضاً .

من حفر حفرة وقع فيها

كانت تجربة المسلمين التى قامت مع النظم الأوربية قاسية ومحرجه ، و بصفة خاصة تجربتهم مع بريطانيا بتقسيم بلدان المسلمين ، و قد شاهد المسلمون أنفسهم خلال هذه التجربة أن صداقتهم مع الدول الغربية كانت صداقة من جانب واحد و لم يكسب المسلمون من الثقة التى وضعوها فى قادة الدول الغربية إلا التمزق ، و التناحر ، و استغلال ثرواتهم ، و إضعاف مكانتهم و تشويه سمعتهم و إفساد ثقافتهم و مثلهم .

كانت تجربة المسلمين مع بريطانيا وفرنسا تجربة قاسية للغاية لأنهما برزتا فى الأفق كدولتين مستعمرتين أوليين ، وأبدت هاتان الدولتان أشد الكراهية و العداء ليس للاسلام وحده بل للمسلمين و البلدان الاسلامية ، وكان همهما الوحيد إضعاف قوة المسلمين وتشتيت شملهم ، و غرس مشاكل فى وطنهم ، ودعم النزاعات و الصراعات العقائدية فيهم ، و استنزاف مواردهم ، ولا يزال المسلمون يتجرعون مرارة الحكم البريطانى و الفرنسى ويعانون من المشاكل التى أنشأتها الدولتان، ولو بحثت مشاكل المسلمين فى العالم لرجعت أكثر من ٧٥ منها إلى العهد البريطانى الفرنسى ، و فى مقدمة هذه المشاكل مشكلة لبنان ، و فلسطين ، و نيجريا ، و الصومال ، والفلبين ، و السودان ، و القضايا التى يعانى منها المسلمون فى شبه القارة الهندية و الدول المجاورة ، كلها ناتجة عن دسائس بريطانيا و فرنسا والدول الاستعمارية الأخرى المتحالفة معهما كهولندا ، و البرتغال و إيطاليا .

كانت سياسة « فرق تسد » الدعامة الكبرى التى كانت تقوم عليها سياسة

الدول الاستعمارية ، و فى مقدمتها بريطانيا فلم تكرس هذه الدول جهودها على إيجاد صراع بين المسلمين و غير المسلمين فى مختلف البلدان التى استعمرتها بل ركزتها على توسيع الفجوة بين فرق المسلمين أنفسهم ودعمها لتضخيم الخلاف و النزاع بينها . و نشأت بتشجيع الحكام البريطانيين فرق جديدة فى المسلمين ونالت كل دعم منهم لتوسيع نشاطاتها ، فانقسمت الأمة الاسلاميـة إلى فرق متناحرة على فروع ومسائل جزئية ، واستغل الحكام هذه الخلافات لتطويق المسلمين ، وكل ذلك يثبت فى الوثائق السياسية التى توجد فى مكتبات العالم .

كانت هذه السياسة مصدر شقاء كبير للدول النامية التى تواجه صراعات داخلية ، و صراعات بين الجيران ، على أساس اللغة ، و الثقافة و القوميـة ، و العقيدة والنظم السياسية و الاقتصادية ، وقد أريقت دماء كثيرة بهذا الصراع ، وذهب ضحيتها ملايين من المواطنين الأبرياء ، و لا يخلو بلد استعمرته بريطانيا أو فرنسا من هذا الصراع .

لقد مثلت هاتان الدولتان دوراً شيطانيا كبيراً ، وكانت جنايتهما كبيرة ، و انتفعتا بهذه الدسائس مدة طويلة ، و لكن لكل أمر نهاية ، و قضاء محتوم ، وجاء فى المثل « من حفر حفرة وقع فيها » فتواجه بريطانيا اليوم أوضاعا محرجة و أوبئة خلقية و اجتماعية تهدد كيانها و تعرض وجودها للخطر .

لقد خلقت بريطانيا معظم هذه الصراعات فى العالم وكسبت منها منافعها ، ولكن بريطانيا تعانى من نفس المعضلة التى خلقتها .

يفيد تقرير نشرته إحدى الصحف البريطانية ، أن وزير داخلية بريطانيا حذر أخيراً بأن بريطانيا تواجه توتراً عنصرياً واسع النطاق يؤدى إلى اشتباكات دموية بين مختلف الأقليات العنصرية و الدينية ، فمن جهة بين البيض و الملونين ومن جهة أخرى تواجه بريطانيا صراعاً بين مختلف الفرق المسيحية ، وأعربت وزارة الداخلية عن قلقها البالغ بتصعد الصراع الطائفى بين السيخ والهندوس ، والمسلمين ،

أو الاسلامين و الأفروكيريبين ، و أضافت تقول إن بريطانيا تواجه وضعا أخطر من ١٩٨١ و ١٩٨٣ حيث حدثت اشتباكات دموية واسعة النطاق .

و نشرت « Daily Telegraph » انذار وزير الداخلية الذى وجهه بعد لقائه مع رئيس الشرطة، و جاء فى التقرير أن المستر هورد وزير الخارجية حذر رئيسة الوزراء المستر تاتشير فى اجتماع سرى لمجلس الوزراء بخطر وقوع صدامات واسعة النطاق، و تشتمل المناطق التى يخشى أن تقع فيها هذه الاضطرابات غرب لندن، برمنجم ، و ولورهيمنن مانجستر ، بجنوب لندن ، و وجه رئيس لجنة المساواة العنصرية المستر ميخائيل دى ، اللوم إلى الحكومة أنها لم تتخذ اجراءات فعالة للحد من ممارسة التمييز العنصرى بين البيض و السود ، و إن هذه السياسة مسئولة إلى حد كبير عن الصراعات التى توجد فى المملكة .

إن التحليل النفسى لنزعة الارهاب، والتطرف يؤدى إلى الشعور بالحرمان، و استغلال فرد أو طبقة لفرد أو طبقة أخرى و عدم منحها حقوقها المشروعة ، و كان ذلك العامل الأكبر لنشوء الارهاب والتطرف فى مختلف دول العالم ، إنه مسئول عن الارهاب فى العرب لأنهم حرموا من حقوقهم ، و الارهاب فى السود لأنهم ينالون مهانة بأيدى البيض ، و يستعبدون فى بلادهم ، و الارهاب فى الشباب المسلمين لأنهم يشاهدون أن مقدساتهم و ثقافتهم و لغتهم لا تنال الاعتراف ، و الاحترام اللائق ، و كذلك فى معظم التنظيمات الارهابية يسود هذا الشعور .

فاذا كانت بريطانيا تظن أن الشعوب فى العالم لا تزال فى غفلة عن حقوقها، و أنها تستطيع أن تستعمرها كما استعمرت فى الماضى فانها تعيش فى جنة الحمقاء و سيزول هذا الوهم قريباً ، و تمهد بريطانيا نفسها عرضة للتقسيم و التجزئة كما عرضت الدول الأخرى التى استعمرتها للتقسيم و التجزئة ، و لا تستطيع بريطانيا و كل من سلك هذا الخط أن تتجنب هذه العاقبة المؤلمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

عميد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

صفر ١٤٠٩هـ - سبتمبر و أكتوبر ١٩٨٨م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الاسلامي، مؤسسة الصحافة والنشر، ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama,

P. O. Box 93. Lucknow (India)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

لكى لا نجاهد فى غير عدو !

لا خلاف فى أن المهمة الأولى و الأساسية التى نيطت بهذه الأمة و أخرجت لها ، هى مهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لذلك فانها تميزت عن جميع الأمم و الشعوب فى نمط الحياة وأسلوب التفكير و ممارسة النشاطات ، و مواجهة الظروف ، و معالجة الأمور ، و ذلك كعلامة بارزة لأمة الدعوة و التوجيه ، التى أخرجها الله سبحانه لبناء العالم ، و إقامة العدل و الاحسان فى المجتمعات البشرية ، و العودة بالانسان إلى منهج الحياة القويم و تعريفه بالوظيفة التى إذا قام بها بالدقة والأمانة ، والشعور بالأهمية فانه يتولى دور البناء والسعادة ، و تقريب الحياة إلى الغاية المنشودة ، و ربط مصيرها بالقوة الالهية المطلقة ، و بهذا المنطلق يصدر جميع تصرفات الانسان المسلم فى توجيه العقل إلى اتخاذ الوسائل التى تعينه فى الوصول إلى الهدف ، و تفجر طاقاته المكنونة فى صالح الحياة و إسعاد العباد و البلاد .

و نظراً إلى أصالة هذه المهمة و شرفها و سموها عن كل الملابسات المادية و النفسانية ، ثارت حولها أهواء و أغراض و أقيمت ضدها معوقات و عراقيل تمنعها عن تمثيل دورها المرتقب فى بناء و تربية الانسان ، و الارتفاع به عن الأغراض و الأعراض الهابطة الرخيصة ، إلى قمة العبودية والايمان بالله ورسوله و اليوم الآخر ، و إلى منصب القيادة والوصاية على العالم ، و ذاك بدعم حياته مع الايمان الخالص و العقيدة الراسخة ، بالعلم و العمل و القوة و المؤهلات الانسانية التى تتكفل بتهيئة الوسائل و إعداد الالتزامات من كل نوع مما يحتاج إليه الانسان فى حياته المادية و ضروراته المعاشية ، و هو بذلك يمثل سمة القصد

و الاتزان وميزة الاعتدال بالجمع العادل بين دينه ودنياه ، ويتأهل للقيام بالواجب الدينى الذى يعود عليه منذ اللحظة الأولى التى انتمى فيها إلى الدين ، إذ أن الاسلام ليس كالديانات يعتنى بجانب واحد و يترك حبل الآخر على غاربه ، و لكنه يحارب هذه النزعة الانزوائية بشيء كثير من الجدية و يسميها رهبانية ، تلك التى عرفت فى تاريخ اليهود و النصارى و لدى الزعماء الدينيين المتطرفين من طوائف البشر التائهة بالاعتزال عن الدنيا و منافعها طلباً للعبادة ، على أن الاسلام لم يقر بهذه العزلة و لم يعتبرها من الدين ، إنما أراد تأسيس الحياة على الاستمتاع من الدنيا مع الاقبال على الآخرة ، و قال : « و لا تنس نصيبك من الدنيا و أحسن كما أحسن الله إليك » فالأخذ من الدنيا و الاستمتاع منها بقدر ما نحتاج إليه فى الاعداد الآخرة واجب لا يستهان به فى أى حال و لا ظروف .

لا شأن لهذه الأمة التى أكرمها الله بجميع صفات الحياة والايمان ، بالتطرف فى أى جانب فكرى أو عملى ، وهى غنية بالنظرة الشمولية و الفكرة الواسعة لجميع مناحى الحياة و المجتمع و فى كل الظروف و الأوضاع ، فكما أن للتطرف مجالا فى الأمور التعبدية و الشئون العملية و الايمانية كذلك له مجال أوسع فيما يتعلق بالفكر و شرح المفاهيم و المعانى الخلقية و الاجتماعية و بيان حقائق الكون و الأشياء ، و تعيين مواقف الحياة و الانسان و دور المسلم فى أداء وظيفته و مسئوليته التى يتحملها على عاتقه كداعية إلى الله و الاسلام ، و تفادياً من مثل هذا التطرف فى القول و العمل وصف الله تعالى هذه الأمة بالوسط وميزة القصد لكى تتم شهادتها على الناس ، ويتخذوها دليلا على المنهج العادل الذى يسير عليه الانسان فى هدوء نفسى وسعادة قلبية دونما خوف أو خطر أو قلق و تضايق ، و أى شهادة أعظم على هذه الوسطية من شهادة الله « و كذلك

جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، و يكون الرسول عليكم شهيداً » .

إن شرعية القيام بمهمة الدعوة بالتزام الحكمة و الموعظة الحسنة ليس فيها أى التواء و لا غموض ولكنها بالغة فى الوضوح واليسر إلى آخر المدى ، ذاك أن الله تعالى خاطب رسوله محمداً ﷺ بهذا الامر و نص عليه فى محكم كتابه بقوله : أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة ، و جادلهم بالتى هى أحسن ، فكيف بالمسلمين الذين هم مكلفون باتباع رسوله ﷺ و مسئولون عن الاهتداء بهديه فى جميع أمور الحياة ، و خاصة فى شأن الدعوة التى هى وظيفة المسلم الأولى . و بدونها لا يتحقق الاسلام بالمعنى الكامل و لا تعتبر أمة الاسلام ذات رسالة سماوية خالدة و دعوة إلهية شاملة ، و على هذا المعتقد الفكرى يتأسس منهج العمل الاسلامى و وظيفة المسلم الدعوية و متطلباتها فى حياة الاسلام الاجتماعية .

إن السير على المنهج الذى خطه الاسلام لأتباعه و التزام بمادته فى جميع الظروف و الأحوال ليتكفل بالنجاح فى المهمة الدعوية التى يتولاها المسلم فى هذه الدنيا ، و هو مسئول فى كل حال عن وضع طاقاته و إمكانياته كلها فى المسار الصحيح للدعوة إلى الله و إعلاء كلمته ، و تمثيل القدوة الاسلامية الصحيحة السليمة للحياة الفردية و الجماعية ، بحيث يرغب فيها الناس و يتمنون أن ينضموا إلى جماعة المسلمين و يستفيدوا من معطيات الاسلام للانسان من الأمن و الدعة و العدل و الرخاء و الانسجام .

لقد ظل الاسلام مركز إشعاع و نور و هداية للانسان بطريق الدعوة و الارشاد و التوجيه و الهداية ، و قيض الله فى كل فترة و عصر رجالا أكفاء قاموا بهذه المسئولية فى ضوء العلم و العقيدة و بينوا للناس شريعة الله و أحكامه ، و تعاليمه ، و كانوا يرون إلى العالم كله شرقاً و غرباً بنور بصيرتهم ، و يتخذون حكمة الدعوة فى ضوء العلوم و الاتجاهات و الأفكار و الفلسفات التى تعتنقها الشعوب و تصدرها الامم العالمية إلى المجموعات البشرية ومجتمعات الانسان ،

و لم تكن نظرتهم قاصرة محدودة ، و لا فكرهم منزوياً فى ركن واحد و لا فقههم مرتكزاً على واجهة خاصة ، إنما كانوا يستعرضون ظروف الانسان و مطالب العلم و الحضارة ، و مشكلات الاجتماع و السياسة ، و كانوا يدرسون القضايا الحيوية و المسائل المهمة ذات الخطورة والتأثير ، تتراءى لهم تيارات فكرية مضادة جارفة ، تندلع ألسنتها لابتلاع كل القيم الايمانية والخلقية ، فسرعان ما كانوا يأخذون أهبتهم لمواجهتها ويقومون بالاعداد اللازم لمعالجة الوضع الذى يعيشونه ، لاتنقصهم فى كل ذلك حكمة و لا مراعاة ظروف و نفسية ، و لا رؤية إيمانية شاملة .

من ثم كانت الدعوة الاسلامية تنال ترحيباً واسعاً فى المجتمعات الانسانية ، وكانت الشعوب التى لم تعرف الاسلام ولا جربته ، أو عرضت لها صورة مشوهة للحياة الاسلامية ، تقبل إلى دراسة الاسلام وتجربة تعاليمه وشريعته ، برغبة صادقة تمخضت بنتائج طيبة ، واتسع نطاق المجتمع الاسلامى بزيادة أعضاء جدد إليه ودخول عدد وجيـــه ممن هداهم الله إلى دينه ، و أكرمهم بشريعته ، و رفع قدرهم بنور عقيدته ، و كشف بصيرتهم بحجة كتابه و سنة رسوله ﷺ ، و بدأت المجموعات البشرية و المجتمعات الانسانيـــة تترى بالدخول فى دين الله أفواجاً ، فكان ذلك فتحاً كبيراً بنصر من الله توفيقه و تأييده .

واستمر علماء الاسلام ودعاته يودون واجبهم الدينى نحو هذا العالم ويعرضون على الناس الاسلام عقيدة وشريعة ، فكراً ومنهجاً ، بالأسلوب الذى تتطلبه حكمة الدعوة ، كل حسب قدرته و مؤهلاته ، فان أصحاب العلم و التحقيق يدعون الناس إلى الاسلام بطريق نشر التعليم و تحقيق جوانبه و شرح أسراره و دقائقه ، و أهل القلم و الكتابة و البحث و التأليف بواسطة الكتابة و التأليف ، والرد على الشبهات و قمع الباطل بالحجة و الاقناع ، و رجال الدعوة و الفكر بتوجيه الفكر الاسلامى و الدعوة إلى الله عن طريق الدراسة و الجولات و الخطابات و الشرح و البيان ، و رجال التربية و الاصلاح بطريق القدوة العملية و تقديم الأسوة الحسنة تناولوا الناس بالتوجيه الخلقى و التغيير العملى .

هكذا كانت الجماعات الاسلاميــة تمارس عملها الدعوى و مهمتها التربوية ، و تمثل الاسلام كقاعدة صلبة للحياة الانسانية ، إذا قامت عليها عاشت فى كنف من السعادة بكل ما فيها من معنى، بعيدة عن هموم المشكلات وأحزانها ، وبمعزل عن جميع الأدواء الخلقية و العوامل النفسية ، واثقة فى رحمة من الله ونصرته فى كل حين، جاعلة وعد الله بالأمن و السرور فى اعتبارها، و مؤمنة بقوله تعالى « بلى من أسلم وجهه لله و هو محسن فله أجره عند ربه و لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

و لكن المسلمين تداولت عليهم الأحوال دائماً ، و تلاعبت بهم الأهواء فانحرفوا عن الجادة وعاشوا فى خلافات وظروف شاذة لا تليق بهم ، و أصبحت مجتمعاتهم بمسيس الحاجة إلى الاصلاح و تغيير ماضيها بمستقبل دينى جديد ، وقد دخل الفساد بأوسع أبوابه إلى حياتنا فى الزمن الأخير نتيجة للمحاولات الخبيثة والمجهودات الجدية التى تبذل من قبل الحركات المشبوهة والجماعات المنحرفة المعادية لتغيير الأفكار الدينية بأفكار مادية واهية، ولزعزعة إيمان المسلمين بالعقائد الأساسية و إضعاف صلتهم بالاسلام و إثارة الاعجاب فيهم بالحضارات والفلسفات الوضعية التى لا تتناول قضايا الانسان والحياة بالعلاج الجدى المطلوب ، وإنما تتولى تعقيد المفاهيم وتشويه الأهداف، وتتردى بأصحابها فى هاوية سحيقة من الدمار والقلق والشقاء.

ولا شك فان مجتمعات المسلمين بوجه عام تعيش اليوم بعيدة عن الاسلام و تحت مظلات الاباحية و المادية والاغراءات الحضارية ، و إن الفلسفات الفكرية واقفة بالمرصاد لكى تبتلع العقائد الاسلامية و تجرد أصحابها عن جميع الخصائص الايمانية و العلاقات الثنائية بين العبد وربه ، و إن الحركات المشبوهة من الصليبية الحاقدة على الاسلام و المسلمين ، والماسونية المتآمرة على سلامة الدين ، والعلمانية و المذاهب الهدامة و الأفكار الزائفة كلها تدبر مخططات ومؤامرات ضد الاسلام و تتمنى تصفية الاسلام من مجتمعات و دول المسلمين و تذويبه فى بوتقتها بحيث لا يشعر به المسلمون .

و من واجب علماء المسلمين ودعاتهم و مفكريهم أن يتنبهوا إلى هذه الحقائق و يدرسوا قضيـة الاسلام بتعمق و بصيرة و يتعرفوا مواضع نشاطهم وأساليب عملهم ، و يدركوا مدى أهمية المجهودات التى تبذل فى سبيل الدفاع عن الاسلام و ترسيخ جذور العقائد فى قلوب المسلمين ، والرد على الشبهات التى تثار حتى فى أوساط الشباب و الدعاة و المفكرين ، و يعرفوا قيمة هذا العمل الذى يحتمـه الواجب الدينى عليهم ، و يطالب به منهم بحجمه المطلوب .

إذن ليس من الذكاء و البصيرة الدينية أن نبدد جهودنا فى جبهات داخلية متعددة تختص باختلاف المذاهب الفقهية حيناً ، و تتصل بالمسائل الفروعيـة التى لا تمس جوهرة العقيدة و الايمان ، حيناً آخر ، و ليس من الفقه الايمانى أن نركز على قضايا خلافية بين الفقهاء و الأئمة ، و نترك ما يهجم على المسلمين من أفكار هدامة تهدد إيمانهم و معتقداتهم الدينية ، و نتغافل ما يخطط ضد الاسلام من مؤامرات و مخططات ، تنفذ بكل دهاء و دقة فى بيوت المسلمين و مجتمعاتهم و فى مدارسهم و جامعاتهم و مراكزهم و معاقلهم .

ليس من المعقول أن نثير من المشكلات الاجتماعيـة و نبعث من القضايا الدفينة ما يستنزف طاقاتنا و يستنفد وسائلنا فى مجال نحن نواجه فيه حروباً فكرية و حضارية تشن علينا من القوى المعادية العالمية ، و تفرض علينا من المؤسسات الدولية الصليبية ، مما يجعل المسلم يرتد عن دينـه و ينسل عن عقائده ، و يعيش ردة خطيرة فى بيته و مجتمعه مع أهله و أولاده ، سواء شعر بذلك أم لم يشعر .

نحن بحاجة أكيدة إلى إفراز الجهات التى نضع فيها مؤهلاتنا و نركز عليها جهادنا العلمى و الفكرى ، حتى لا نكون « كالباحث عن حتفـه بظلفه » فيتفرج علينا الأعداء ، و يضحكوا على مدى الغباء الذى نحن فيه ، بملء أشداقهم . فلا ينبغى أن نضل طريقنا نحو الجهة المنشودة و يفلت الزمام من أيدينا ، و لا حول و لا قوة إلا بالله ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

حكمة الدعوة و مرونتها

و مجاراتها لكل بيئة و عصر

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

القرآن كتاب هداية و دعوة قبل أن يكون كتاب أحكام وشريعة :

إن القرآن كتاب هداية و دعوة قبل أن يكون كتاب أحكام و شريعة - مع إجلالنا و تقديرنا للأحكام و الشريعة - إن الأحكام و الشريعة لا غنى عنهما ، و لكن القضية ، قضية الأولية ، قضية الطابع الغالب ، و قضية الغاية التي يدور حولها القرآن ، فانا أعتقد - في ضوء دراستي القاصرة المحدودة - أن القرآن هو كتاب هداية و دعوة ، قبل أن يكون كتاب أحكام و شريعة ، لأن الهداية هي الأساس للايمان ، والدعوة هي الأساس لنقل هذا الايمان ، فاذا كان هذا هو الشأن ، فلا شك في أن القرآن هو كتاب هداية ودعوة قبل أن يكون كتاب شيء آخر .

الدعوة لا يمكن أن تخضع لقوانين مرسومة و تتقيد بها :

فما هي الأحكام التي يشرحها القرآن الكريم في موضوع الدعوة ، و ما هي الآداب التي يؤكد عليها القرآن و يدعو إليها ؟ هل هناك قوانين مرسومة و أحكام مضبوطة للدعوة ؟ إني أعتقد أن الدعوة لا يمكن أن تخضع لقوانين مرسومة و أحكام مضبوطة ، لأن الدعوة تعتمد على المحيط و على الظروف و البيئة ، و على الجو و الملابسات ، فاذا كانت الدعوة تعتمد على الواقع و هو يختلف ، و إذا كانت الدعوة تعتمد على الارتجال ، و لا أريد الارتجال الكلامي اللساني إنما أريد الارتجال العقلي ، و الذي يسميه أهل البلاغة بحضور البديهة ، و إذا كانت الدعوة تعتمد كذلك على مكامن المرض ومكامن الضعف في النفس الانسانية ، و في المجتمع الانساني ، فانه ما يمكن أن يقال : يجب على الداعي أن

يفعل كذا و يتكلم بكذا ، و يظهر فى المظهر الفلانى و إن كان المظهر البلاغى ، و بدأنا نشرع هذه الاحكام و نرسم هذه الخطوط و إن كانت خطوطاً عريضة ، ونقول : تنطلق الدعوة من الخط الفلانى إلى الخط الفلانى ، و لا تتخطى هذه الحدود و الخطوط ، فقد يتورط الداعى فيما تورط فيـــه سيد مع خادمه ، كما تحكى حكاية لطيفة ، تقول القصة : إن رجلا استخدم خادماً، وكان هذا الخادم ذكياً قانونياً ، طلب من السيد أن يضع له قائمة الواجبات ، ما هى الواجبات التى أكلف بها ، فوضع له قائمة ، تعمل كذا فى الوقت الفلانى ، وتعمل كذا ، و تذهب إلى السوق وتحضر لنا الحاجيات اليومية من لحوم و خضر وغير ذلك ، و تقوم بخدمة فلانية ، فأخذ هذه القائمة و احتفظ بها ، و مرة ركب هذا السيد جواداً ، و لكنه لسوء الحظ ارتبكت رجله فى الركاب ، و أراد أن يتغلب على هذه المشكلة فما نجح ، وكان الخادم واقفا ، فاستعان به و قال : أغثنى يا فلان فأخرج الورقة من جيبه وفتحها و مدها إليه وقال : أين فى هذه القائمة أن السيد إذا ارتكبت رجله بالركاب فانى أعينه ، و السيد يعانى مرحلة فاصلة بين الموت و الحياة يخشى عليه أن يسقط أو أن يتورط فى مشكلة أخرى ، و لكن هـــذا الخادم اعتمد على هذه القائمة و كان أميناً عليها مرتبطاً بها ، و رفض أن يعينه لأنه غير مكلف بهذه الخدمة ، لذلك يقول الشاعر العربى ، و قد كان العرب على جانب عظيم من سلامة الفطرة و من الانتفاع بتجارب الحياة :

إذا كنت فى حاجـــة مرسلا فأرسل حكيماً و لا توصه

الدعوة لها مساحة زمانية و مساحة مكانية :

أما الدعوة فأمرها بعيد وساحتها واسعة جداً ، ولها مساحة زمانية و مساحة مكانية ، و كلتاهما واسعتان ، أما المساحة الزمانية فهى تمتـــد من مصدر الدعوة - إذا كان نبياً ، و إذا كان مؤسس دعوة كبيرة - إلى ما لا نهاية له ، كذلك

لها مساحة مكانية واسعة ، فقد يكون الداعى فى الشرق و قد يكون فى الغرب ، و قد ينتقل الداعى من الشرق إلى الغرب ، فاذا كان قد تمرن على طبيعة الشرق فانه لا يستطيع أن يقوم بمهمته فى الغرب .

الايجاز و الاعجاب فى آية الدعوة ، سعتها و عمقها :

فكان من إعجاز القرآن انه لم يتعرض لأحكام تفصيلية فى موضوع الدعوة و إنما وكلها إلى العقل السليم ، وإلى الذوق المستقيم وإلى العقيدة الراسخة و الفكرة المتغلغلة فى الأحشاء ، ثم حاطها بسياج واسع ، هو السياج الوحيد الذى يستطيع أن يحيط بالدعوة ، وهو قوله تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١) » ، تشعرون بمدى أبعاد الاطلاق الذى جاء فى هـــذه الآية و أبعاد التقيد الذى جاء فيها ، فأطلق قال : « أدع إلى سبيل ربك » ، ما حدد و ما عين شيئاً معيناً خاصاً . فمثلا تدعون الناس إلى الايمان بالله وحـــده و إلى العقيدة الصحيحة و تحثون على الصلاة ، تدعون إلى مكارم الأخلاق و إلى الفضيلة أو تدعون الناس إلى الشعور بكرامة الانسانية ، و « سبيل ربك » يحوى كل شئ ، إنه يمتد و يسع الآفاق ليست هذه الآفاق فقط ، إنها آفاق الأديان السماوية و آفاق الحاجات البشرية و الحياة الانسانية ، فاستحضروا الاعجاز الكامل فى قوله تعالى : « أدع » و هو لا يختص بالخطابة و لا يختص بالكتابة و لا يختص بالوعظ و النصيحة ، إنما قال : « أدع » ، و الدعوة عامة تشمل هـــذه المعانى كلها ، وهذه الأساليب كلها ، ثم قال « إلى سبيل ربك » ، وأى كلمة أوسع أفقاً ، و أعظم إطلاقاً من قوله ـ تعالى ـ « سبيل ربك » .

إن الحكمة ـ الكلمة البليغة العربية التى جاءت فى الآية ـ لا أعتقد أنها من الممكن ترجمتها أو نقلها إلى لغة أخرى ، و كذلك « الموعظة » كلمة مطلقة ،

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥

و « الحسنة » أيضاً كلمة مطلقة ، و هنا جاء القرآن يحل هذه المشكاة فأطلق وقيد وأوجز وأعجز ، فقال : «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» الآية .

و قد جاءت هذه الآية فى سياق الآيات التى تتحدث عن أكبر داع من الأنبياء قبل الرسول ﷺ ، و هو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، وقال : « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ، و لم يك من المشركين ، شاكراً لأنعمه اجتباه و هداه إلى صراط مستقيم ، و آتيناه فى الدنيا حسنة ، و إنه فى الآخرة لمن الصالحين ، ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم ، و ما كان من المشركين (١) » ثم بعد ذلك يقول : « أدع إلى سبيل ربك » فلهذه الآية صلة خاصة بدعوة سيدنا إبراهيم ، هنالك خيط يربط بين سيدنا إبراهيم و بين أمر الدعوة ، إن ورود هذه الآية فى سياق الحديث عن سيدنا إبراهيم يدل على أن سيدنا إبراهيم كان آخذاً بهذا الطريق ، ملتزماً بهذا الأدب ، وكانت دعوته مؤسسة على الحكمة و الموعظة الحسنة و الجدال بالتى هى أحسن .

الأمثلة و النماذج عنصر هام استخدمه القرآن فيما يتعلق بالدعوة :

و لكن هنا عنصر آخر ، استخدمه القرآن و اعتمد عليه و هو من أهم العناصر و من أكبرها تأثيراً و وقعاً فى النفس و إعانة على أداء هذه المهمة ، و ذلك العنصر هو الأمثلة العملية و النماذج الشخصية ، فالقرآن إذا كان قد ترك الأحكام التفصيلية الدقيقة و القواعد المضبوطة المعينة للدعوة ، فانه قد ملأ هذا الفراغ - إذا كان فراغاً - بنماذج من سيرة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، و من دعوتهم ، و هى نماذج مؤثرة فى القلوب ساحرة للنفوس ، فان النماذج لها من التأثير ما لا يكون لأى عنصر آخر ، لا للعناصر المنطقية ، و لا للعناصر الكلامية الجدلية ، و لا للعناصر النفسية ، فكل الصحف السماوية من أولها إلى

(١) سورة النحل الآية : ١٢٠-١٢٣ .

آخرها اعتمدت على النماذج العملية ، وهى قطع بديعة تستهوى النفوس ، من سير الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، و أكثرها مقتبسة من سير أربعة من كبار الرسل ، أولهم سيدنا ابراهيم عليه السلام و ثانيهم سيدنا يوسف و ثالثهم سيدنا موسى ، و مسك الختام هو خاتم الأنبياء و الرسل محمد رسول الله ﷺ .

نموذج من دعوة مؤمن ما زال يكتم إيمانه :

و القرآن لم يغفل نكتة مهمة جـداً ، و هى أنه إذا كان قد اقتصر على نماذج نبوية فقط ، فكان للانسان أن يقول ـ فى أى زمن من الأزمان ـ أين نحن من هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ؟ هؤلاء هم الذين أكرمهم الله بالرسالة و بالوحى و النبوة ، و أيدهم بروح منه ، فكيف نقلدهم و كيف نستطيع أن نترسم خطاهم ، فعرض القرآن نموذجاً لانسان لم يكن نبياً و لم يكن من كبار أصحاب الرسل ، هو مؤمن من آل فرعون ، والقرآن اكتفى بقوله : «وقال مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » (١) ، يعنى أن أحواله و ظروفه لم تسمح له باظهار دينه ، و لو كان على ذروة عالية من الايمان لأعلن إسلامه كما أعلن سيدنا أبو بكر ، وكما أعلن سيدنا عمر ، و كما أعلن سيدنا أبو ذر ، ولكنه مؤمن كان لا يزال يكتم إيمانه ، و قد مكنته هذه الفرصة ـ وهى عدم ظهور إيمانه وإعلانه الحرب على قومه ـ من ظهوره فى مظهر صديق ناصح و زميل محب للخير لاخوانه ، و هى فرصة يجب أن يستفيد منها الداعية الحكيم الذى يكون فى هذا الوضع ، ويستفيد منها الداعية الذى لا يكون فى هذا الوضع ، فيتلقى منه دروساً فى ترقيق الكلام وتنويعه ، و التبصير بالواقع وقصص الماضين وعواقب الأمور و كلا وعد الله الحسنى .

(١) سورة المؤمن الآية : ٢٨ .

٣ ـ التحـــذير

من إتجاهات التجميد و التمييع و التجزئة للاسلام

فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى

ومما يميز تيار الوسطية الاسلامية : وقوفه عند خط الاعتدال بين المفرطين و المفرطين ، و التنبه ـ و التنبيـــه أيضاً ـ إلى وجوب الحذر من الاتجاهـات المنحرفـة ـ عن جهل أو عمـد ـ فى تفسير الاسلام ، و التى تنتهى بتحريف الاسلام عن حقيقته ، كما أنزله الله على رسوله ، و أشد هذه الاتجاهات خطراً : ثلاثة لا يجوز لنا أن نغفل الحديث عنها هنا ، و لو بايجاز و اختصار .

(١) اتجاه تجميد الاسلام :

من هذه الاتجاهات ما يعمل على تجميد الاسلام ، وصبه فى قوالب حجرية ، لا تقبل المرونة و لا تسمح بالتغير ، و لا تتسع لتفتح أو حوار .

يمثل هذا الاتجاه صنفان متناقضان :

١ـ صنف يتمسك بأقوال الأقدمين من أئمة المذاهب و أتباعهم لا يحيد عنها ، و لا يرضى بها بديلا ، معتقداً أن السلف لم يتركوا شيئاً للخلف ، رافضاً كل اجتهاد جديد أيا كان صاحبه ، و كانت الحاجة إليه ، فلا يقبل هؤلاء اجتهاداً انتقائياً ، ولا إنشـائياً ، لا فردياً ، و لا جماعياً ، ظانين أن كتب الأقدمين تحوى كل شئ ، و فيها إجابة عن كل سؤال ، غافلين عما طرأ على الحياة من تغير هائل ، وتطور كبير ، بعد الانقلاب الصناعى ، والتطور

التكنولوجى ، و التواصل العالمى ، الذى جعل العالم (قرية كبرى) كما قال أحد الأدباء .

و أنى أسأل هؤلاء : هل يجدون فى كتب الأقدمين حكم زراعة الأعضاء فى الجسم البشرى ، و حكم الملاحة الجوية ، و صلاة رواد الفضاء ، و تخزين القرآن و الحديث فى (الكومبيوتر) و غيرها و غيرها من القضايا الجديدة ؟؟

و هذا الصنف لا يمثل تياراً بارزاً فى قلب الصحوة الاسلامية ، و إن كان يمثل تياراً كبيراً فى قلب الأمة الاسلامية .

٢- و صنف يدعى التمسك بالنصوص ، و خصوصاً من السنة ، رافضاً أقوال المتقدمين و المتأخرين ، جاعلا من نفسه (مذهباً خامساً) يحكم على المذاهب كلها و لا تحكم عليه ، يقول عن الأئمة العظام ، بل الصحابة الكرام : هم رجال و نحن رجال !

و أنا أسمى هؤلاء (الظاهرية الجدد) و إن لم يكن لهم علم الظاهرية ، فيهم حرفيتهم .

وكثيراً ما يغفل هؤلاء عن طبيعة النصوص الجزئية ، ودلالالتها وملابسات ورودها : أ هى عامة أم خاصة ، مطلقة أم مقيدة ، محكمة أم منسوخة ، ثابتة أو متغيرة ، موجبة أو مخيرة ، أصلية أم فرعية ، قطعية أم ظنية ؟

فلا بد من النظر فى هذا كله ، ليعلم ما يقبل تعدد الأفهام و ما لا يقبل و ما يحتمل وجهة نظر جديدة و ما لا يحتمل ، و ما تتغير فيه الفتوى بتغير الأزمنة و الأمكنة و الأعراف و الأحوال ، و ما لا يتغير بحال .

و هذا ما يحتاج إلى أهلية خاصة و أفق واسع ، كثيراً ما يفقده أولئك المتشددون الذين يحجرون ما وسع الله .

و قد انتهى الجمود على بعض النصوص الجزئيـة دون ربطها بغيرها من النصوص و القواعد الكلية ، بأناس من هذا الصنف إلى ما انتهى إليه الخوارج من قبل ، فسقطوا فى هوة تكفير أهل القبلة ، و إخراج الناس من الملة بالجملة .

و لو نظروا إلى القضية نظرة شاملة متوازنة ، و قابلوا النصوص بعضها ببعض ، و ردوا المتشابهات إلى المحكمات ، و الجزئيات إلى الكليات ، لاتضحت لهم الرؤية ، و سلم حكمهم من الغلو المهلك ، ولم يقعوا فى خطيئة تكفير المسلم.

لقد حذر الاسلام من التكفير ، إبقاء على الأصل ، و حملا لحال المسلم على الصلاح و مطاردة للغرور الذى ينظر إلى الناس باستهانة و احتقار ، و إلى النفس باستعلاء و استكبـار .

إن الاسلام لا يسمح ببابوية تصدر ضد النـاس قرارات الحرمان أو تمنحهم صكوك الغفران !

٢ـ الاتجاه إلى تمييع الاسلام :

هذا الاتجـاه المتشدد « تجميد الاسلام » تقابله اتجاهات متعددة أخرى تشترك كلها فى القصد إلى « تمييع الاسلام » و تفريغه من مضامينه الثابتـة و أحكامه الخالدة .

هذه الاتجاهات المغرضة و المشبوهة على اختلافها وتباينها ـ حاولت و تحاول جاهدة تحريف الاسلام عن حقيقته ـ و لى عنانه عن غايته ، و تطعيمه بعنـاصر غريبة عنه ، و حذف أشياء تعد من مقوماته الذاتية ، و تفسير مبادئه وأحكامه بما يخدم أهدافها ، و يتفق مع مصالحها .

فهناك اتجاه يمكن أن نسميه « تنصير الاسلام » ، أى تفسيره تفسيراً يذيب الفوارق بينه و بين النصرانيـة ، يسوى بين التوحيد و التثليث ، و بين القرآن

المحفوظ و الانجيل المحرف ، و يزعم أن الجميع مسلمون : هذا مسلم عبـــد الله بشريعة محمد و ذاك مسلم عبد الله بشريعة المسيح ، و اليهودى أيضاً مسلم ، فقد عبد الله بشريعة موسى ! !

و مما يدخل فى هذا الاتجاه : الحملات المنكرة على خصائص الاسلام فى أحوال الأسرة من إباحـــة الطلاق ، و تعدد الزوجات ، و المحاولات المتكررة هنا و هناك لمنعهما ، و تحريم ما أحل الله ، تأثراً بالأفكار الغربية النصرانية .

و هناك اتجاه سماه بعضهم « بلشفة الاسلام » و هو يعمد إلى تفسير الاسلام تفسيراً يلصقه بالاشتراكية الماركسية ، أو يلصق به الاشتراكية الماركسية ، مستغلا ما فى الاسلام من تقييد للملكية ، و إنصاف للطبقات الكادحة ، و حرب على السرف و الترف و الشح ، و جعل الناس شركاء فى ضروريات المعيشــة ، و حرص على تنمية الانتاج ، و عدالة التوزيع و إقامــة تكافل اجتماعى يشمل فئات المجتمع كلها . . . الخ .

كما حاول أصحاب هذا الاتجاه تفسير أحداث السيرة النبوية ، و مواقف الصحابة ، و تاريخ الاسلام عموماً ، من خلال فلسفتهم الماركسيـــة فى التفسير المادى للتاريخ ، حتى قسموا الصحابة بين يمين و يسار ، و أداروا المعارك من خلال مازعموه من صراع الطبقات

و لا غرو أن قرأنا و سمعنا من يجمع بين الشئ و ضده ، كما قال بعضهم أنا مسلم ماركسى ، أو ماركسى مسلم . و سمعنا دعوة إلى الاسلام اليسارى أو اليسار المسلم . و كذلك الاسلام الاشتراكى أو الاشتراكية الاسلامية ، و قرأنا عن اشتراكية الرسول ، و اشتراكية عمر ، و اشتراكية أبى ذر

و هناك اتجاه ثالث مقابل للاتجاه الثانى و مضاد له ، و يمكن أن نسمه

«رسملة الاسلام» أى تفسير الاسلام تفسيراً يجعله أقرب إلى الرأسمالية، مستغلا ما فى الاسلام من عناية بحرية الفرد وحقوقه و رعاية حوافزه الذاتية، و إباحة الملكية الفردية، و ما يتبعها من تفاضل فى الأرزاق والتفاوت بين الأفراد و الطبقات.

و شرعية الميراث والوصية، وغير ذلك مما ينافى الفلسفة الجماعية التى تقوم عليها الماركسية، فضلا عن المادية الجدلية التى تعتبر الدين أفيون الشعوب.

و يدعم هذا الاتجاه تفسيره هذا، بأن الرأسمالية تقوم فى جانبها السياسى على المبادىء الديمقراطية، التى تتفق مع مبدأ الشورى والبيعة فى النظام الاسلامى.

و لا عجب أن قرأنا و سمعنا أيضاً عن الاسلام الليبرالى، و عن الليبرالية الاسلامية ورأينا من يحاول تبرير الفوائد الربوية، محرفاً كلمات الله عن مواضعها.

و يكفى للرد على كلا الاتجاهين السافلين و فساد دعواهما: أن كلا منهما ينقض الآخر، ولايمكن أن يكون الاسلام فردياً و جماعياً، رأسمالياً واشتراكياً فى الوقت ذاته، و لكن الاسلام حوى أفضل ما فى المذهبين العالمين، وتنزه عن مساوئهما، وهو على كل حال أسبق منهما زمناً، و أرسخ قدماً، فلا يجوز أن ينسب المتقدم إلى المتأخر.

و الحق أن الاسلام منهج متميز بذاته، و لا يوصف إلا بأنه الاسلام، و قد يتفق مع هذا المذهب أو ذاك فى أصل أو أكثر من أصوله، و لكنه مستقل عنها تماماً فى أهدافه و طرائقه، فى مقوماته و خصائصه، و فى أنواع أحكامه، و مصادر إلهامه و إلزامه.

و أود أن أقول كلمة هنا لمن يدعو إلى الاشتراكية أو الديمقراطية بدعوى أن هذه، أو تلك، تتفق مع الاسلام: لماذا لا تدعون إذن إلى الاسلام نفسه؟

لماذا تدعون الأصل و تدعون إلى الفرع ؟ إذا كان فى هذه المذاهب المستحدثة ما فى الاسلام ، فقــد أغنانا الله تعالى بالاسلام ، و إن كان فيها ما يخالف الاسلام فلا نرضى بغير الاسلام بديلا .

٣ــ إتجاه تجزئة الاسلام :

و ثالث هذه لاتجاهات هو الاتجاه إلى تجزئة الاسلام ، و تقطيع أوصاله .

فالاسلام منهج كامل لحياة البشر ، مادية و روحية ، فردية و اجتماعية ، دينية و دنيوية ، مثالية و واقعيــة ، فلا بد أن يؤخذ الاسلام كله كما أمر الله ، عقيدة و عبادة ، و أخلاقاً و معاملة ، و تشريعاً و توجيهاً و أخوة و تنظيماً .

و مما يؤسف له أن الاسلام ابتلى بقوم جعلوه لحماً على وضم ، فأعملوا فى كيانه المتماسك سكين التقطيع و التجزئة ، مغيرين لطبيعته التى أنزله الله عليها ،

فهناك من يريد هذا الدين مجرد عقيدة نظرية بلا عبادة ولا عمل ، وحسبك أن تنطق بالشهادتين لتأخذ صكاً بدخول الجنة و النجاة من النار ، مع أن الايمان الحق لا يوجد بلا عمل ، كما يتضح ذلك من مئات النصوص من القرآن والسنة ،

و منهم من يريده عبادة بلا أخلاق ، أو أخلاقاً بلا تعبد ، ، برغم قول الله تعالى (و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون) و قول الرسول « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

و منهم من يريده عقيدة و عبادة و أخلاقاً ، و لا يريده تشريعاً و لا نظـاماً للحياة .

إنه مسلم فى المسجد يؤدى فرض الله و يقرأ كتاب الله ، و لكنـــه إذا خرج من المسجد تعامل بالربا الذى حرمه الله و إحتكم إلى محاكم تقضى بغير ما أنزل الله ، و اعتنق أفكاراً مضادة لما شرع الله .

إنه فی المسجد دینی ، و فی خارج المسجد علمانی . یؤمن ببعض الكتاب و یكفر ببعض ، یأخذ من القرآن آیة الكرسی ، یتلوها و یتبرك بها ، و لا یأخذ آیة المداینة ، و كلتاهما فی سورة واحدة ، یتمثل أمر الله إذا قال (كتب علیكم الصیام) و یتوقف فی أمره (كتب علیكم القصاص) أو (كتب علیكم القتال) و كلها واردة فی سوره واحدة بصیغة واحدة .

یؤمن و یعمل بقوله تعالی فی سورة المائدة (یا أیها الذین آمنوا إذا قمتم إلی الصلاة فاغسلوا وجوهكم و أیدیكم إلی المرافق و امسحوا برؤسكم و أرجلكم إلی الكعبین) إلی آخر آیة الطهارة المعروفة .

و لكنه لا یقف هذا الموقف من قوله تعالی فی نفس السورة (والسارق و السارقة فاقطعوا أیدیهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، و الله عزیز حكیم) و قوله (و من لم یحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، هم الظالمون ، هم الفاسقون) .

لقد كان الغالب علی عمل الناس فی العصور الماضیة الزیادة فی الاسلام بالاحداث و الابتداع و إضافة ما لیس من الدین إلیه ، و التقرب إلی الله بما لم یشرعه ، و دخل فی دین الله بدع ما أنزل الله بها من سلطان و لا قام علیها من برهان ، و كل بدعة ضلالة ، و كل ضلالة فی النار .

أما هذا العصر فحنة الاسلام فیه تتمثل فیمن یریدون أن یحذفوا منه ما هو من صلبه و من مقوماته و من خصائصه .

و لا غرو إن قامت فی الهند نحلة جدیدة تحت شعار نبوة زائفة ، كل همها أن تحذف من الاسلام فریضة الجهاد فی سبیل الله ، لیبقی الاسلام ضعیفاً أعزل بلا قوة ، ویعیش المسلمون تحت سلطان الكفار ، یطیعونهم ولا یعصون ،

ويستسلمون ولا يقاومون، لأن طاعة أولى الأمر واجبة ولو كانوا كفاراً غاصبين.

و قام فى بعض بلاد المسلمين من يفصل بين الاسلام و الحكم ، و ينادى به ديناً بلا دولة ، و عقيدة بلا شريعة ، و قرآناً بلا سلطان .

و هذه الدعاوى كلها يرفضها جزماً منطق الاسلام أصولا و فروعاً .

إن الاسلام فى عقائده و عباداته وأخلاقياته وتشريعاته ، وحدة مترابطة ، لا يقبل التجزئة ، و لا يجوز أخذ بعضها و إهمال بعضها ، فان الذى شرعها واحد ، وهو الله تعالى الذى أمر بطاعته فيها ، وحذر من تركها أو ترك بعضها.

يقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة و لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) أى ادخلوا فى شرائع الاسلام جملة ، و لا تطيعوا الشيطان فى الاعراض عن شئ منها .

و يقول سبحانه (و أن احكم بينهم بما أنزل الله ، و لا تتبع أهواءهم ، و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) .

و التحذير هنا من دسائس غير المسلمين و اتباع أهوائهم التى تحاول دائماً أن تفتن المسلم عما أنزل الله إليه من كتاب ، و ما يشرع له من أحكام ، إن لم يكن عن الكل ، فعن بعض ما أنزل الله ، و ربما رضوا بذلك كخطوة أولى تتبعها خطوات ، على أن فتح باب التفريط فى جزء من دين الله لا يؤدى إلا إلى ضياع الدين كله .

و من هنا أنكر الله تعالى فى كتابه على بنى إسرائيل تجزئتهم لدينهم ، و أخذهم ببعض منه و تركهم لبعض ، فقرعهم بهذ الأسلوب الشديد البالغ الشدة (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض . فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، وما الله بغافل عما يعملون)

٤– الفهم الشمولی للاسلام

و إذا كان تيار الوسطية ، يرفض الأفهام التی تقوم على تجزئة الاسلام ، فانه يتميز بفهمه الشمولی للاسلام ، فهو لا يركز على شعبة من الاسلام دون شعبة ، و لا بعد دون بعد ، بل يسلط الأضواء عليها جميعاً ، و بخاصة ما أهمله المسلمون ، أو أعطوه دون حقه وحجمه فی تعاليم الاسلام ، و من هنا كان الاهتمام بالأبعاد الخمسة التالية :

شعبة تتجه إلى النفس فتصلحها بالتزكية . و هذا هو البعد الايمانی .
وشعبة ،، ،، المجتمع فتصلحه بالعدالة . ،، ،، ،، ،، الاجتماعی .
وشعبة ،، ،، الحكم فتصلحه بالشورى ،، ،، ،، ،، السياسی .
وشعبة ،، ،، النظم فتصلحها بالتشريع . ،، ،، ،، ،، التشريعی .
،، ،، ،، الحياة ،، بالحضارة ،، ،، ،، ،، الحضاری .

البعد الايمانی :

فأما الشعبة الأولى - أو البعد الأول - فهی أساس البناء كله ، فالمجتمعات لا تصلح إلا بصلاح الأفراد ، و الأفراد لا يصلحون إلا بصلاح الأنفس ، و الأنفس لا تصلح إلا بالتزكية « ونفس و ما سواها فألهمها فجورها و تقواها ، قد أفلح من زكاها ، و قد خاب من دساها » (سورة الشمس : ٧ — ١٠) .

و من هنا كانت مهمة الرسول — ﷺ — فی أمته أنه : « يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم » (سورة الجمعة : ٢) و التزكية شیء أعمق من التعليم ، التعليم يتصل بالراس ، والتزكية تتصل بالنفس والتزكية مشتقة من « زكا — يزكو » إذا طهر ونما ، فهی تطهير وتنمية معاً ، أو تخلية و تحلية ، تخلية من الرذائل ، و تحليه بالفضائل ، و مكارم الاخلاق التی بعث الرسول ليتممها .

إن سنة الله فى التغيير الاجتماعى ، أن يسبقه تغيير نفسى عميق ، يجعل الفرد كأنه إنسان جديد ، حين تتغير أهدافه و آماله و حوافزه و مفاهيمه ، ونظرته إلى نفسه و إلى الكون والحياة من حوله ، و إلى رب العالمين من فوقه .

إنه لم يتغير اسمه ولا صورته ، ولكن تغيرت أعماقه ، فأصبح قادرا على تغيير سلوكه و علاقاته ، وتغيير الحياة فى محيطه ، و هـذا منبع التغيير للمجتمع كله ، كما قرر ذلك القرآن : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (الرعد الآية ١١) .

و العامل الأساسى فى هذا التغيير و هذه التزكية هو الايمان بالله و اليوم الآخر ، هو التوحيد الذى يجعل المؤمن يستعلى على متاع الدنيا و زينتها ، لأنه يعلم أن ما عند الله خير و أبقى ، وهو الذى يحرره من الخضوع لمخلوق مثله فى الأرض أو فى السماء من رجال الملك أو من رجال الدين ، لأن شعاره « ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئاً و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » (سورة آل عمران: الآية ٦٤) وهو الذى يمنح صاحبه الثقة و القوة ، فلا يهن ولا يضعف ولا يستكين مهما نزل به من المحن و الشدائد ، لأنه يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وهو يقرأ دائماً « قل : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا و على الله فليتوكل المؤمنون » .

وهو الايمان الذى غير عرب الجاهلية ـ عرب الأصنام و الخمر و الزنا و الربا و المنكر و البغى ـ إلى صحابة محمد ﷺ : أبر الناس قلوبا ، و أطهرهم نفوسا ، و أصلحهم أعمالا ، و أزهدهم فى دنيا ، و أحرصهم على دين .

و الايمان الاسلامى ليس مجرد معرفة ذهنية تنير العقل بما تكشف له من حقائق الوجود الكبرى : الله و الوحى و الانسان و المسئولية و الجزاء .

إنه أعمق من ذلك و أوسع مدى ، إنه نور يضئ العقل ، ويقين يغمر القلب ، و مثل تحفز الارادة ، وضمير يوجه السلوك .

و إن شئنا عبرنا بما عبر به الأقدمون من سلفنا ، فقلنا : إنه إعتقاد بالجنان ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح و الأركان .

ولا غرو أن عرض لنا القرآن الكريم الايمان مجسداً فى أعمال و أخلاق و مواقف ، لتكون مرآة ، يرى كل أمرىء فيها نفسه ، ماذا أخذ منها ، و ماذا ترك .

أنظر إلى قوله تعالى فى القرآن المكى : « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، و الذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، و الذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون ، و الذين هم على صلواتهم يحافظون » . . . »

و انظر فى القرآن المدنى إلى قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » (سورة الحجرات الآية ١٥) .

و قوله سبحانه : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون ، وعداً عليه حقاً فى التوراة و الانجيل و القرآن ، و من أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين » (سورة التوبه : ١١١ ، ١١٢)

و قوله جل شأنه « و المؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ، و يقيمون الصلاة ، و يؤتون الزكاة و يطيعون الله و رسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » (سورة التوبة : ٧١) .

و عرضت السنة النبوية الايمان فى بضع وسبعين شعبة ، تتمثل فيها العقائد السليمة ، و العبادات الخالصة ، و الأخلاق الفاضلة ، و المعاملات المستقيمة ، و العلاقات الطيبة ، و المثل الانسانية الرفيعة .

و حسبنا أن نقرأ مثل هذه الأحاديث :

« الايمان بضع و سبعون شعبة ، و الحياء شعبة من الايمان » .

« المؤمن من أمنه الناس على دمائهم و أموالهم » .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

« من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه ، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر ، فليصل رحمه ، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

« ليس بمؤمن من بات شبعان ، و جاره إلى جنبه جائع .

كما عرض لنا القرآن الايمان فى مواقف بطولية نرى فيها أثر الايمان يغنى عن كل بيان .

اقرأ قصة سحرة فرعون ، و انظر كيف غيرهم الايمان ، و انشأهم خلقا آخر ، من (حواة) يسحرون أعين الناس بالباطل ، إلى (هداة) يدعون الناس إلى الحق .

لقد جاؤا إلى فرعون ، ينتظرون الأجر و الزلفى منه أن كانوا هم الغالبين ،

و يقسمون بعزته أنهم لهم الغالبون ، و لكنهم ، لما وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، انكشف القناع عن قلوبهم ، ومثلت الحقيقة الكبرى أمام أعينهم ، فاعلوها صريحة فى وجه فرعون لم يرعهم تألهه ، ولم يرهبهم جبروته ، و لم يثنهم وعيده و تهديده بالقتل والصلب ، لقد جعل الايمان من ضعفهم قوة تتحدى كبرياء فرعون و جنوده و تقول له فى قوة المؤمنين ، و إيمان الأقوياء :

« فاقض ما أنت قاض، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر و الله خير و أبقى ، إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلا » (سورة طه : ٧٢ — ٧٥) .

إن البعد الايمانى ليس مجرد بعد روحى ، إنه كذلك — كما رأينا — بعد أخلاقى ، و بعد بطولى . . بعد يجعل الانسان انسان حق ، و شعاع هدى ، وينبوع خير ورحمة للعالمين ، و فى الحقيقة « اكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا » .

لذة الانتظار . . . للموت

بقلم الدكتور أحمد محمود الخليفة
مدير المركز الاسلامى بميونيخ

مما استأثر الحق تبارك و تعالى به فى علم الغيب عنده «موعد الموت .. و «ميقات يوم القيامة» حتى رسول الله وحبيبه لم يعلمه الله تبارك و تعالى بميعاد موته .

و الناس فى الحياة الدنيا فى مقابل هذه الحقيقة المجهولة أصناف أربعة :

١- صنف يحاول جاهدا التعرف على علم الغيب . . . و نرى ذلك فى أولئك الذين يزورون العرافين والمنجمين محاولين كشف ستار المجهول لتصير الحياة كلها معلومة .

٢- صنف عمم المجهول فى حياته ، فتكاسل عن كشف أستار المجهول، يخلطون فى ذلك بين المجهول الذى يخبئه الله ليكتشفه الانسان المستخلف فى الأرض عندما يصل الانسان إلى مرحلة من النضج تؤهله لكشف المجهول . . . وبين الغيب الذى لا يعلمه إلا الله، ولا يكشفه الله للانسان إلا يوم القيامة .

٣- صنف خلط فى التميز بين المجهول والغيب ، فعامل هذا على ذاك و ذاك على هذا ، فبذل الجهد و الوقت و المال لكشف الغيب المستور و أهمل فى بذل الجهد لعلم المجهول المخبأ .

٤- صنف أيقن وصدق برسالة الرسل الهداة، وأخضع حياته لمنهج الله ..... فعلم للغيب المستور مكانته، فلم يضيع فى سبيل كشفه نعمما رزقه الله إياها . .

وعلم أنه مكلف من الله بالنظر فى المعلوم لكشف المجهول المخبأ ، ولذا لم يوفر جهداً و لم يدخر وسعاً فى سبيل تحقيق ذلك التكليف ، و هؤلاء هم الحكماء من العلماء .

هذه الأصناف الأربعة نواجهها ونقابلها فى حياتنا اليومية باستمرار ، ونعرف عن قرب بعضاً من آثار هذا المنهج الفكرى فى الحياة النفسية لهؤلاء الافراد ، ونحب اليوم أن نحاول كشف الستار عن أحد الأسرار ، وهو نظرة الأصناف الأربعة إلى قضية الموت وما يستتبع هذه النظرة من نتائج نفسية عليهم .

الصنف الأول :

فالذين حاولوا ويحاولون كشف الغيب نرى أنهم يجتهدون فى مختلف أنشطة حياتهم الصحية والعلمية والفلكية للتعرف على وسائل لاطالة العمر و تحديد طوله عن طريق بعض الشواهد فى حياة الانسان ، وهؤلاء كلما ظنوا أنهم اقتربوا من معرفة وكشف الغيب لم يجدوا شيئاً ، وظلوا هكذا يدورون فى رحى التجارب المعملية و الاستقرائية دونما أقل فائدة عملية وعلمية تذكر . . . تتذكر مع ذلك قول الحق تبارك و تعالى (أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن مآء حتى إذا جآءه لم يجده شيئاً) (النور ٣٩) .

و أيضاً مع الموت ظنوا نفس الظن ، منطلقين فى ذلك من منطلق حب الحياة و كراهية الموت ، فيتحدثون عن قهر الموت و ما شابه من تعبيرات ، و يحاولون تقنين كراهيتهم للموت معتمدين فى ذلك على نصوص محرفة من التوراة من أن آدم عليه السلام قد أكل من شجرة الخلد وبذا يحق له ولنسله الخلود ، إلا أنه أكل أيضاً من شجرة المعرفة التى تجعله فى غير حاجة إلى الخالق ، ولذا غضب عليه الرب وتركه يموت . . . ومع حماية الصلب المزعومة فقد تم تخليص الانسانية

المسيحية من الذنب الموجب للموت ، إلا أن الانسان لم يوقف الحروب ولم يؤمن بعد جميع بنى آدم بيسوع المخاص ، ولذا يبقى الموت بين بنى البشر حتى يتم إيمان الجميع و سلام الجميع فيخلد الجمع « سفر التكوين » .

و عليه فاليهودية و النصرانية و من خلفهما الصهيونية يشجعون مثل هذه التجارب لاثبات صحة ما حرفوا من الكتاب ، و ليغلفوا به حبهم للدنيا و كراهيتهم للموت .

هذا الموقف يزيد من كراهيتهم للموت ، فقد ناصبوه العداء ، وكلما تبين لهم بقاؤه وعدم قهره كلما زادت كراهيتهم له و زادوا فى أبحاثهم التى نعلم — بإيماننا — سلفا أنها نوع من المحال لأنها تدخل فى دائرة الغيب الذى استأثر به رب الأرض و السماء رب الحياة و الموت . . .

أما لو بحثوا فى الشئون الصحية و سلامة الطرق و تخفيض التسلح المدمر و القنابل الذرية والنووية و الهيدروجينية و حافظوا على سلامة البيئة أرضا وماءاً و هواءاً من التلوث لكان أجدى لهم و أنفع ، فيمكنهم بذلك العيش فى سلام مع جند الله . . . ومع هذا السلام يأتى الاطمئنان و يذهب القلق و الخوف الذى يتسبب لهم فى حبهم للدنيا و كراهيتهم للموت .

و من السراب الذى يلاقيه القوم قضية زيادة متوسط الأعمار ، فيظنون أنهم على طريق معرفة أسرار الموت والحياة ليتمكنوا بعدها من الخلود ، متناسين فى ذلك أن المجتمع طويل العمر مثل المجتمع قصير العمر ، سينتهى حتما ويفضى للموت . . . و هذا هو السراب . . . لأن الخلد ليس للانسان على الأرض . . . وقضية التداوى غير قضية التخليد . . .

و هذا هو الفارق بين أهل هذا الصنف و بين أهل التوحيد و التصديق

الذين يعلمون الفروق بين التداوى و التخليد ، فيعملون للتداوى فى الدنيا والتخليد فى الآخرة ، فتراهم يفرحون بهذا و بذاك .

الصنف الثانى :

هذا الصنف أفرط فى تغييب كل شئ — لجعل الحياة كلها غيبيات) فتواكل تواكلا ممقوتاً ذميماً ، فظن أتباع هذا الصنف أنه طالما أن الله هو الرزاق الوهاب فلا عليهم من السعى شئ . . . و طالما أن الصحة و المرض من الله فلا عليهم للتداوى سبيل . . . و هكذا ، متناسين ما ورد فى سنة الرسول الأمين أن الله ما خلق داءاً إلا وخلق له الدواء ، وكذا حديث الحبيب المصطفى ﷺ «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً» . . . فان كان الرزق من الله فهو يعطيه بشرط التوكل عليه حق التوكل . . . «كالطير» . . . و إن كانت الصحة من الله فهو سبحانه يهبها أيضاً لمن سعى فى معرفة الدواء لكل داء . . . و هكذا

هذا الصنف المفرط هو أحد أسباب البلاء الذى يمر به العالم الاسلامى من مشرقه إلى مغربه ، فجمهور هذا الصنف هو الذى لا يسعى إلى نشر الوعى الاقتصادى و الوعى الصحى والوعى الاجتماعى و الوعى السياسى تاركا لغيره تسيير دفة الحياة مكتفياً بالمقدار الذى حدده ذلك الغير له . . . هذا الغير ممكن أن تكون الميكروبات فى حالة التواكل الصحى ، و يمكن أن يكون أهل الربا و الاستغلال فى التواكل الاقتصادى ، و يمكن أن يكون أهل الخداع و النفاق وقاطعى الأرحام فى التواكل الاجتماعى ، ويمكن أن يكونوا حكام السوء و أتباع الاعجاب بالنفس من الديكتاتوريين فى التواكل السياسى ، ويمكن أن يكونوا علماء السوء فى التواكل الدينى . . . . . و هكذا ، فهؤلاء يسيرون الدفة بسعى وعمل

ـ و إن كان باطلا ـ و أهل الافراط الغبي يرجعون كل جزء إلى المشيئـة الالهية دون النظر إلى تحقيق موجبات المشيئة .

و هؤلاء ينظرون إلى قضية الموت من نفس المنظار ، فتضيع عليهم فرصة مباركة فى الاعتبار بالموت و الاتعاظ به ، فقد أصدروا سابقاً قرارهم فيه بأنه من الله وكفى . . أليس هو سبحـانه المحيى و المميت ؟ بلى عز شانه ، تضيع عليهم فرصة تمنى و اختيار سبب الموتة . . فالذين آمنوا وجاهدوا يتمنون موتة الشهادة ، فان هم فازوا بها فقد فازوا بالخير الـ‍ـثير ، و إن هم حرموها لم يحرموا أجرهـا الوفير ، فأى الفريقين أرشد و أيهما أرقى درجة ؟

ويعمم هؤلاء ـ و للاسف ـ هذه النظرة ، فالهداية من الله ولا ينظرون إلى أمر الله لهم بنشر دعوته فيتكاسلون عنها . . . و المرض من الله ولا يحاولون البحث عن الدواء . . . والفقر من الله ولا يحاولون السعى خروجا من قبضته . . . و عليه تضيع من هؤلاء حلاوة الخيرات و النعم . . . تضيع حلاوة الصحـة وتضيع حلاوة الاستغناء وتضيع حلاوة الهداية . . وتضيع حلاوة الموت . . . قبل الموت ، بعد الموت .

الصنف الثالث :

و هذا هو الصنف المسكين الذى رغب فى التفرقة بين الغيب الذى استأثر بعلمه رب العالمين و بين المستور المخبأ إلى حين . . . ولـكنه و للاسف لم تؤمله إمكانياته إلى بلوغ هذا العلم ، فخلط بين الأمرين فى التعامل . . . فتراه جازعا عند موت حبيب آملا فى « قهر » الموت . . . هذا بالرغم من أنه تكاسل عن علاج المرض أو نظافة البيت و الطريق معتقداً أن المرض و الشفـاء من الله ، وليس عليه أو له إلا القبول و الرضا و التسليم بما قدره علام الغيوب .

هذا الصنف يحتاج بشكل ماس إلى تصحيح مفاهيمه عن الغيب والمستور ، حتى يرضى عند الموت ، وحتى يبحث عن العلاج عند المرض بل و حتى يسعى للوقاية من الاصابة بالأمراض ، و إذا نظر كل منا حوله - بل إذا نظر إلى نفسه لرأى هذا النموذج ، فللاسف فهذا التفكير هو المسيطر على شعوبنا بعكس ما كان عليه الأولون من المسلمين .

و المشكلة فى التعامل مع هذا الصنف تكمن فى اعتياده على هذا التقسيم المعكوس ، بالاضافة إلى حالة الرضا العام فى المجتمع عن هذا التقسيم - فالكل مشارك فيه بدرجة من درجات المشاركة ولو بالصمت ... هنا تزداد المهمة صعوبة لاقناع الأفراد أو المجتمع بخطأ ، و انعكاس هذا التصور . . . ولكن ماذا وجائزة الجهاد و البشارة باحياء السنة بعد موات الأمة تتلالا فى سماء الآمال مما يشجع القلوب و الجوارح على اختيار هذا الطريق فلا بد لأهل العلم و المعرفة دوام تذكير أهل هذه الطائفة بما هم فيه و عليه .

الصنف الرابع :

وهو الصنف الوسط المعتدل العارف لحقيقة التقسيم بين الغيب و المجهول .

هذا العلم الذى يحرك الانسان عابداً لله ناظراً فى الكون محافظاً على ما فيه محققاً لتمام معانى الاستخلاف فى الأرض . فنراه فى ذلك يبحث عن أدوية الأدواء و الأمراض ، ساعياً للوقاية منها قبل وقوعها . كما نراه محققاً للعدالة الاجتماعية بين طبقات المجتمع الواحد حامياً للنفس البشرية و البيئات الاجتماعية عما يهدد بنية وتشكيل المجتمع ... كما نراه ساعياً إلى استكمال معانى العزة والكرامة له و لوطنه و للاجيال التالية من بعده ، فان استكملها سعى للحفاظ عليها والعمل على عدم إهدار أى منها . . . و هكذا يستعين بالله فى كشف المستور ، فيفتح الله عليه ، و ينزل عليه من الالهامات ما يعينه على مهمته .

و نراه فى الجانب الثانى راضياً بقدر الله فى الغيب ، فهولا يجزع عند موت حبيب إنما يحزن و لا يصدر منه ما يغضب الله ، و لا يجزع عند ما يرزق بالأنثى إنما يسعد مستبشراً ببشارة المصطفى ﷺ ، ولا يجزع إن ناداه مناد الجهاد إنما يستبشر بغفران الرحمن و منازل الشهداء ، و لا يجزع إن أصابته الأوضاع و هاجمته الأمراض بالرغم من حرصه على الوقاية و ممارسة العلاج ، فهو يعلم أنه ما أصابت المؤمن الشوكة فما دونها إلا كتب الله له بها أجراً ، و لا يجزع إن أفلست تجارته بالرغم من أمانته و تزكيته لماله عند حلول الحول و أخذه بأسباب الربح الحلال ، إنما هو فى ذلك جميعاً يحرص على معرفة قدر الله تعالى رب الأسباب لما أصابه ، ورب الأسباب التى تخرجه مما أصابه ، فان وفقه الله لمعرفة الأسباب كان من الشاكرين فيجزيه رب العالمين ، و إن لم يعرفها صبر على ما هو فيه فيجزيه أيضاً رب العالمين ، و لننظر فى ذلك إلى قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

« عجباً لأمر المؤمن . . . إن أمره كله له خير . . . وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . . .

إن أصابته سراء شكر . . . فكان خيراً له

و إن أصابته ضراء صبر . . . فكان خيراً له »

هنا يكون لانتظار رسل الموت طعم آخر .

هذا الانتظار الذى يدفع المؤمن لمراقبة الله تعالى ، فهو لا يعلم - بحمد الله - متى سيقابل ملك الموت ، فتى قابله كان على أهبة الاستعداد ، سعيداً مستبشراً ، ألم ينصح الحبيب المصطفى ﷺ لفاطمة رضى الله عنها و أرضاها ، لما جزعت عند مرض موته مخبراً بأن ما سيصبح عليه خير له مما هو فيه ، و سيف

الله المسلول الذی قابل موته بشجاعة و رضی متمنیاً أن لو مات فی ساح الوغی و الشرف مجاهداً مستشهداً فی سبیل الله مخضباً فی دمائه ، الم یکن لسان حال الأولین الاستبشار بلقاء الأحبة « محمد وصحبه » ، ألم یتغن بعضهم بقول الشاعر .

و لست أبالی حین أقتل مسلماً علی أی جنب کان فی الله مصرعی

فأی مذاق هذا الذی کان یرافق استقبال المؤمنین للموت ؟ ! ! !

و فوق هذه الدرجة هناك درجـة استقبال الحیاة فی الشهادة ـ رزقنا الله إیاها و أنزلنا منازلها ـ هذه الدرجـة یقول الله عن أهلهـا (و لا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله أمواتاً . . .) ، و یقول سبحانه (و لا تقولوا لمن یقتل فی سبیل الله أموات . . .) ، و یقول رسول الله ﷺ عن طریقة استقبـال أهل هذه الدرجة لحیاة الشهادة (للشهید عند الله عز و جل ست خصال : أن یغفر له فی أول دفقة من دمه ، ویری مقعده من الجنة ، و یحلی حلة الایمان ، و یزوج من الحور العین ، و یجار من عذاب القبر ، و یأمن من الفزع الأکبر و یوضع علی رأسه تاج الوقار ، الیاقوتة منه خیر من الدنیـا و ما فیها ، و یزوج اثنین وسبعین زوجة من الحور العین ، و یشفع فی سبعین إنساناً من أقاربه) فأی خیر هذا الذی یتسبب لأهل هـذه الموتة ، و أی فرحة یلقاها عنـد الموت وعند اللقاء ، ثم هذه البشارات الطیبات لا تنفد ، فها هو الحبیب یطمئن أهل هذه الموتة بقوله (الشهید لا یجد مس القتل إلا کما یجد أحدکم القرصة یقرصها) إذن فهذه الشهادة متعة فی أولها ، رحمة فی آخرها ، هذا بالاضافة إلی ما یرویه الثقات من کرامات شاهدوها فی بعض الشهداء یطمئن الله بها عباده و یغیظ بهـا الکافرین ، و لا نطیل فی سرد الکرامات إنما نقصد أن استقبال الموت بالرضی من ناحیة أهل الایمان یرقی عند استقبالهم للشهادة إلی ما فوق الرضی . . . ألا

ألا و هو مستوى الشوق .

و المرء فى الحياة الدنيا يشتاق لكل أمر عزيز غال ، و يستعد للتضحية فى سبيله بما يملك ، فالذى ينتظره و يشتاق إليه أغلى عنده مما ينفق .

إن كان هذا هو شعور الانسان فى مقابل ماديات الحياة التى تبلى و تنفد و هى ما يطلق عليه العرض الزائل ، فكيف يكون الحال إن كانت التجارة مع الله تبارك و تعالى و قد تحدد سعر القبض و هو ما أشارت إليه الآيات السابقة و حديث و بشارة المصطفى ﷺ ، فان كان هذا هو العرض ، فكيف بالثمن ؟

إن المؤمن المشتاق لاتمام هذه الصفقة يرى أن الثمن هو المال و النفس (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة) ، فيعلم المشتاق أنه ليس هو مالك المال و لا النفس ، إنما المشترى هو المالك الحق ، أما المشتاق فله فقط حق الاستخدام مستخلفاً فيهما فى الحياة الدنيا .

فالبائع للجنة هو الله ، و المشترى هو المشتاق ، و الثمن ا س منه إنما من الله ، إنما المشتاق يستحق هذه المنزلة لأنه أطاع فى إتمام الصفقة عالماً قدره فيها ، و هنا يأتيه كرم الكريم سبحانه بالجنات و ما فيها .

و على ذلك نرى كيف أن انتظار الموت سبب من أسباب مراقبة المؤمن لله تعالى ، فيقوم بالطاعات مبتعداً عن المحارم ، أى يستمتع بالطيبات و يحتمى من الخبائث ، ألم يقل رب العزة تبارك و تعالى عن نبيه ﷺ (يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث) ، وكيف بنا وبالانسان يعيش على هذا النهج ؟ كيف بقلبه ؟ كيف بعقله ؟ كيف ببدنه ؟ كيف بروحه ؟ كيف بالناس من حوله ؟، إن هذا النموذج الصالح المصلح الذى يصفه الله تبارك وتعالى فى قوله « محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا

من الله و رضوانا سيماهم فی وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فی التوراة ومثلهم فی الانجيل، كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) ، فكأن انتظار الموت سبب من أسباب كل هذه السعادة و تلك المنازل فی الدنيا والآخرة ، وكأن تغييب وتجهيل موعد الموت هو سبب تمام هذه السعادة.لأن المسلم يعيش حياته كلها على هذا المنهج، أما لو كشف الله تبارك وتعالى عنه هذا الغيب فيمكن للبعض أن يفسدوا دهراً - فيشقوا بأنفسهم ويشقى من يخالطهم - أملا منهم أن يحاولوا إصلاح ما فسد فی آخر مراحل حياتهم ، فيصطدموا حينئذ بالأزدواجية المنهجية فتفشل خطواتهم، لأن من حولهم من لم تحن بعد ساعتهم ، هنا يفسد الانسان عمراً ، ثم لا يستجاب له فی الآخرة ، فكيف بالحياة و مر مذاقها ؟ فالحمد لله أن أخفى عنا و استأثر وحده بعلم الساعة . . .

و يزداد الخير لمن يرقى لدرجة الشوق و انتظار الشهادة . فنجد أن مكافأة الله له تتخطى طول حياته على الأرض و لحظة الشهادة و استقبالها ، فنرى آثاره تبقى إلى يوم القيامة . وثوابه يظل فی ازدياد حتى بعد موته ، فأی لذة هذه التی يذوقها أهل انتظار الشهادة و تمنيها ؟ . . هذا ما جعل الحبيب المصطفى ﷺ ينذر المؤمنين من الزهد فی هذه الدرجـــة و ما يوصل إليها ، فيقول « من مات و لم يغز و لم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق » . .

فاللهم إنا نسألك و أنت أهل السؤال أن ترزقنا الشهادة فی سبيلك . .

اللهم اكتبنا مع المجاهدين الفائزين لاعلاء كلمتك . .

اللهم إنا نسألك صحبة النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين . .

اللهم ارزقنا حلاوة الايمان ، و حلاوة انتظار الموت ، و حلاوة الشهادة .

اللهم لا تخيب آمالنا ، ولا ترد رجاءنا ، واختم بالصالحات أعمالنا. يا كريم.

المجتمع البشرى و الحاجة إلى التعليم

فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء
تعريب : محمد إبراهيم الردولوى

المجتمع البشرى : يطلق المجتمع على مجموعة من أفراد البشر تعيش فيما بينها وتمارس أعمالها على أساس رابطة من الروابط فى جوانب الحياة المتشعبة ، تجمعها وحدة اللانة والمطق، إن تكوين المجتمع ضرورة طبيعية لا محيص عنها ، ذاك أن الانسان لا يسعه أن يعيش حياة هنيئة ذات هدوء و طمأنينة بالانعزال عن الآخرين و بدون تعاون فيما بينهم ، إنه يحتاج إلى هذا التعاون المشترك لتزويد حياته بوقود العمل الهادف ، فمثلا الرغيف الذى يأكله الانسان يحتاج إلى أيد عاملة و جهود بشرية وتعاون كبير ، فانه لكى يكون رغيفاً يحتاج إلى الزراع الذى يحرث الأرض ، و النجار الذى يصنع المحراث ، و الذى يهيىء الرحى أو الطاحون ليكون الحب طحينا ، ثم الذى يحمله إلى السوق و يعرضه فيها للبيع ، و بعد ذلك إلى الانسان الذى يوفر الحطب و يحضر النار ، بتعاون هؤلاء و تعاملهم جميعاً يتهيأ الرغيف للانسان الذى يأكله ، و مثل ذلك تماماً الملبس و المسكن و حوائج الانسان الأخرى فى الحياة، تطول قائمتها أو تقصر حسب معيشته عسراً أو يسراً، تمر بهذه المراحل والوسائط الكثيرة ، والتعاون المشترك فيما بينهم فى هذه الأمور واتجاههم إلى جهة واحدة يشكل مجتمعاً إنسانياً يصوغ الحياة صياغة جيدة على طرائق مفيدة تعود عليها بالخير، ويتمتع بما حوله من تسهيلات ووسائل كيفما تقتضى حاجاته.

دور التعليم : و لما أن الانسان يود ان يخلف لمن يأتى بعده من الأجيال القادمة حصائد مجهوده و ما وصل إليه من نتائج عن تجاربه فى الحياة و دراساته للاوضاع و تعاونه فيما بين بنى البشر واستفادته العامة ليستغنوا عن صرف الجهود فى الجوانب التى تم تحقيقهـــا ، و التجارب التى اكتملت ، وليدفعوا عجلة التحقيق و التجربة و الحصول على المعـارف الجديدة إلى الامام ، و لتحقيق هذا الهدف تختار عملية التعليم فى الناس التى هى فى الحقيقة نوع من أعمال التربية و التنشئة التى يؤديهـــا بعض أفراد الانسان نحو بنى جنسهم على ميولهم و أذواقهم الخاصـة و المحددة .

التعليم عن طريقة غير منضبطة :

إن دراستنا للتاريخ ترشدنا إلى أن عملية التعليم هذه تبدأ فورما يتكون المجتمع مجتمعاً فنشاهد أن الأحداث وكثيراً من غير المثقفين فى المجتمع يتلقون قصداً أو عفواً من كبارهم المنتظمين العاملين و ذوى الخبرة شطراً كبيراً من الانضباط و السلوك الحسن و التجارب و الطرق العمليـــة فى الحياة إلى حد كبير و ذلك نتيجة لاحتكاكهم بهم فى شئون الحياة ، ويكفيهم فى هذا الأخذ والاعطاء استخدام العقل الانسـانى العـام الذى لا يفارق الانسـان لحين و يعمل عمله دوماً بدون انقطاع ، الأطفال يخالطون أبويهم و يرونهما فى أعمال مختلفة و أسـاليب عديدة داخل المنزل، والأبوان أنفسهما يأخذان بأيدى الصغار أو الكبار ويقومان بلفت أنظـار السذج غير المتعلمين أو من هم أدنى منهم مكانة أوسناً إلى بعض المواطن الخفية والغامضة مما لا يتنبه له كثير من الناس، وعلى هذا المنوال يبدأ عمل التعليم ينطلق ، و هذا فى الحقيقة شكل بدائى للتعليم غير المنضبط .

تحول التعليم غير المنضبط إلى المنضبط : وهذه الطريقة غير المنضبط للتعليم تصبح أساساً للتعليم المنضبط تدريجياً فى يوم من الأيام وذلك أن المجتمع الانسانى كلما ترتقى فيه الصناعات و تتسع مجالات العمل يقوى الشعور فيه بالحاجة إلى العناية بتعلم الأحداث و الجهال و أن يؤخذوا بالتوجيه و الارشاد بصورة خاصة و من هنالك وجد نظام التعليم المنضبط .

بداية التعليم المنضبط : إذا أمعنا النظر و تعمقنا فى المرحلة البدائية للتعليم المنضبط وجدنا أنه يبتدىء من المساجد والمعابد والأوساط الدينية ، إذ كان القائمون على المعابد و المعنيون بالدين و الأخلاق و المشتغلون بأعمال الدعوة و الاصلاح يقدمون المعارف و التوجيهات الاصلاحية فى مجتمعاتهم و يطلعون الناس على هذه الأمور فى محيطهم بصرف النظر عن شيوع الطرق المتبعة للتعليم و الالقاء أو عدمها ، و إن لم تشهد مجالسهم نظما مستحدثة و مضبوطة و مقرراً منهجاً للتعليم مما يسود فى المدارس الحالية و تتمتع به الكليات و الجامعات إلا أن النتائج كانت متساوية أو أحسن مما يتمخض عنه هذه النظم الحديثة لتحقيق هذه الأغراض ، ثم إن هذه الأعمال التربوية البسيطة تتشكل عن طريق المواعظ و النصائح شكلا منسقاً منضبطاً للتعليم و الالقاء ، و جاء دور الحلقات فالتفت الطلاب حول المعلم وهو يعلمهم معتمداً على الكتب المقررة بصورة منظمة ، و تدرجوا فى تحسين الطرق التعليمية من طور إلى طور الأحسن فالأحسن ، كان المنطلق التعليمى عند المسلمين هو الصفة النبوية ، وقامت مراكز التعاليم الدينية فى هذا المجال بعمليات التوسيع والتطوير ، فجامع القروين فى مدينة فاس بمراكش و جامع الزيتونة فى تونس و جامع الأزهر فى القاهرة يرجع تاريخ كل منها إلى أكثر من ألف سنة ، كلها مساجد بدىء منها التعليم الدينى حتى عادت جامعات

أثرية عظيمة ، كما أن أكسفورد و كيمبردج فى بريطانيا وسوربون فى فرنسا، كلها بدأت من مدارس الكنائس النصرانية و هى اليوم تعتبر من الجامعات الدولية فى العالم .

حث القرآن الكريم و السنة المطهرة على التعليم : ليس عند المسلمين كتاب يحتوى على مشتملات الأخلاق و كرامة الانسان و الروحانية و على المعارف الدينية أكثر أهمية و قيمة و أعمق تأثيراً من القرآن ، و قد جاء فيه فى غير ما مرة التنويه بالعلم و الثناء عليه وتناول العلم و مذاكرته بأسلوب مدح و إطراء فقال سبحانه « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وأول ما بدىء به الوحى إلى رسول الله ﷺ هو لفظ « اقرأ » و حصل للطلاب المسلمين نصيب وافر من الثروة العملية و من ثروة أحاديثه ﷺ كما حض عليه الصلاة و السلام طلاب العلم على الاستقاء من ينابيع العلوم و كان مسجده ﷺ يضم أول مدرسة أسست ألا وهى « الصفة » التى تمت إليها جميع المدارس والجامعات فى العالم الاسلامى .

المفهوم الاسلامى للعلم :

ورد قوله ﷺ ترغيباً فى العلم و بياناً لأهميته « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع » و كل لفظ يعين معناه والمراد منه السياق الذى استعمل فيه ، مثلا عند ما يستعمل فلاح لفظ « المعلومات » فيدل هذا اللفظ على المعلومات التى تتعلق بالأرض و الزراعة و الحرث فقط فكذلك لفظ العلم الذى ورد فى الحديث السابق يراد به العلم الذى يتوصل إليه المرء فى ضوء الكتاب و السنة و بهدايتهما له .

و لكن لا يفهم من ذلك أن الشرع يقصد قصر العلم و وسائل الحصول عليه فى إطار خاص، فان الرسول ﷺ أعطى الجوانب التى تتصل بحياة الانسان

بل هى ضرورة لا حياد منها ، وتستحق الانتباه و الاهتمام بها حقها فى الاستفادة و الاستثمار ، نذكر كمثال أن النبي ﷺ لما رأى خبرة صحابته الزراعية فى تأبير النخل قال : « هذه من أمور دنياكم » فأمور الدنيا فى الحديث مصطلح يشمل جميع العلوم الدنيوية بدون تفريق بين هذه وتلك و مسموح لنا بالاستفادة من التجارب البشرية فى هذه الأمور و نتقدم و نرتقى على أساس هذه التجارب و المعارف و نختارها لاسعاد الانسان فى الحياة الدنيا .

كثيراً ما تناول القادة الدينيون و الزعماء السياسيون ومربو الأجيال والمسلمون موضوع التربية والتعليم، و قد ركز القرآن عنايته الخاصة بهذا الجانب ، و قد جاء فى الحديث النبوى على صاحبه الصلاة و السلام : « بلغوا عنى و لو آية » .

كل مجتمع يهمه التعليم :

لا يخلو عصر من العصور إلا و قد حاول الانسان أن يتخذ المقومات والوسائل التى تساعده فى نشر التعليم لتحسين وتنمية مجتمعه، و ليبقى حياً خالداً ، يسعى فى تطوير هذه الوسائل و تحويلها من طرق مبهمة غير منهجية و منضبطة حسب كفاءاته العلمية و يرتقى بحياته الاجتماعية بتقديم خدمات مشكورة نحو التعليم و التثقيف، و المجتمعات التى وقعت فريسة الاهمال فى هذا الجانب المهم خابت فى سعيها للوصول إلى أقدار القوة و الازدهار و لم تصب أهدافها المنشودة أو فوائد تذكر .

بدأت نهضة أوربا و أميريكا الناميتين واستعارتهما القوة والتقدم عند ما نشأ فيهما الاعتناء بالتعليم ، و استعارت أوربا ميل الاهتمام بالتعليم و العلم والاشراف عليهما من حضارة المسلمين فى الأندلس ، والتى كانت ممزوجة من علوم المسلمين وخبراتهم إلى شئ من علوم أوربا القديمة و تجاربها التى جعلها المسلمون جزءاً من علومهم

التجريبيـــة و استفادوا منها و قامت أوربا باختبارات جديدة على أســاس المبادىء و العلوم التى أخذوهــا من المسلمين و دفعوا العلوم المادية الدنيوية تتقدم و تسير حتى تحتل اليوم مكانة الأستاذ للعالم المادى، و من المصادفات المؤلمة المؤسفـة أن عصر التقدم الأوربى الذى يبدأ من القرن السادس عشر كان عصر الانحطـاط والغفلة بالنسبة للمسلمين، الأمر الذى أدى إلى تفلت زمام الحكم من أيدى المسلمين إلى الاوربيين ، و إلا فكانت مدنية المسلمين هى التى وحدها أثرت فى معظم أصقاع العالم الزاهرة ، وكانت علماء المسلمين و فلاسفتهم لعبوا دور أساتذة العصر عندئذ .

التعليم عند المسلمين :

يتصل تاريخ ابتداء التعليم عند المسلمين بظهور الاسلام وبروز الرسالة المحمدية ، فانهم رأوا فى القرآن الكريم معلماً أى معلم، الذى لم يرشدهم فحسب بل أرشد الانسانية جمعاء إلى المبادىء القويمــة و النظم الصالحة للحضارة و المدنية و للعلم و الانسانية و وصف لهم طرق معالجتها فى الحياة ، و لما استتب لهم علم القرآن أضافوا إلى ذلك دراسة معارف وعلوم الأمم الأخرى و استعرضوا آراء علمائهم و فلاسفتهم و استفادوا منها كلما ألحت عليهم الحاجـــة إلى ذلك ثم زودوها بزيادات نادرة فانصاغت بذلك فى قالب جديد .

و من المعلوم أن صحوة أوربا من سباتها لم تكن إلا فى الزمن المتأخر فبنت مدنيتها و علومها الغربية على علوم المسلمين و مدنيتهم لما كان المسلمون أقرب قادة لهم يستحقون الجدارة بالاتباع والتأسى ، ولكنها نسبت نفسها إلى المدنيات الغربية المأثورة عن التاريخ القديم للعصبية القومية و الوطنية و حاولت طبع حضارتهـا بطبيعتها وروحها ، و بنت حياتها الخلقية و الحضارية على الحضارة الرومية القديمـة و الفلسفة الاغريقية .

الاستفادة من أوربا فى الحقيقة هو الأخذ من العلوم الغربية :

حصلت أوربا على القوة فى الحياة الدنيا لسموها ونجاحها فى العلوم التجريبية فى الكون وحصلت لها السيطرة والغلبة فى عدة مجالات من الحياة المادية فدعت الحاجة الشعوب و الأقوام الأخرى و منها المسلمون كذلك إلى البحث فى هذه العلوم و التجارب و مدى نجاحها و النظر فى الجوانب التى يمكن الاستفادة منها ، و مما زاد هذه الحاجة إلحاحاً أن المسلمين فى القرون الأخيرة عاشوا الانحطاط و التزمت و الجمود العلمى ، الواقع الذى أحوجنا إلى الأخذ من علوم أسلافنا و تجاربهم من حيث الدين و الأخلاق و صفاتهم الحسنة و نظراتهم السامية فى جانب و من الكشوف و البحوث التى تركتها لنا جهود القدامى من المحققين لاسعاد الحياة والمدنية فى جانب آخر التى هى من متطلبات الحياة الانسانية الأكيدة ، فهناك أمامنا دوران يمكن أن نستفيد منهما معاً ، دور أسلافنا المسلمين و دور الأجانب من غير المسلمين ، وعملا بمبدأ الأثر النبوى على صاحبه الصلاة والسلام « الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها » يجب أن نأخذ من كل ، وعلى ذلك فنأخذ بكل صالح ونافع من وسائل التعليم و أساليبه مما جربه علماء الغرب الاخصائيون فى مجال التعلم و التربية .

التعليم و الحياة الاجتماعية و انعكاسات كل منهما على الآخر :

الوشيجة بين التعليم و الحياة وطيدة و عميقة ، و يؤثر كل واحد منهما على الآخر ، يتبادلان الأخذ و التأثر فيما بينهما ، طرق التعلم و مواده نتائج الأفكار و العقول التى تنبعث من الطبقات المختلفة فى المجتمع و لا تستطيع أن تنفصل من تصوراتها و طبيعتها أو تتحرر من أفكارها ، فأى نظام يضعونه أو يديرونه لا بد أن تؤثر فيه مشاعرهم وتصوراتهم عن شعور منهم أو بدون شعور ، وأفكارهم

التی تفاعلت مع بیئتهم و محیطهم الخاص ، و بذلك تكون الطبقات أو الأفكار التی لها السیطرة و السیادة فی المجتمع تؤثر و تتسرب فی الأهـداف و المواد التعلیمیة لنظام تلك البیئة .

و مثل ذلك تماماً یؤثر التعلیم أیضاً علی الحیاة وأثره كذلك قوی وشامل وإن كان التعلیم المنهجی یقتصر علی طبقة خاصة فی المجتمع من الأحداث والصغار إلا أن نتائجه تعم المجتمع بكله .

و زیادة للوضوح أن الجیل الذی نقوم بتعلیمه أو علی تعلیمه یبرز فی المجتمع فی عشرین عاماً علی الأكثر مؤثراً قویاً بعد أن كان أضعف فاقد التأثیر یكون فی المجتمع بمثابة العمود الفقری و هو جیل الشباب الذی یكون عضواً مسئولا عن كل قوة و تقدیر فی المجتمع .

و نظراً إلی هذا الجانب قال الشاعر الهندی المعروف أكبر الاله آبادی مؤكداً علی أهمیـة التعلیم ما معناه « من الأسف أن فرعون لم یتنبه لتأسیس الكلیات فانه لو فعل ذلك لم یلصق بنفسه وصمة عار باقیة للیوم » أی لو أنه نظم لأطفال بنی إسرائیل وسائل التعلیم ومناهج التربیة بحیث یلقیها علیهم الأساتذة الأقباط و من طبعوا علی العقلیة الفرعونیة علی نظم و معدات فرعونیـة جاءت أهداف التعلیم طبقاً لهذه العقلیة و تغذت عقولهم بها و نشأت علیها انصرفوا إلی تحقیق أغراض فرعون فی شبابهم بدل أن یجتهدوا فی التحرر و التخلص منه ولم یحتج فرعون إلی الفتك بهم و تحققت أغراض القتل بدونه .

مثال حی علی ذلك :

لما صدر الحكم بتنفیذ اللغة الهندیة كلغة رسمیة فی البلاد ، كان الناس یسخرون منها نظراً إلی بؤس حالها و قلة شأنها و لكنها بعد أن استمر التعلیم بها ٢٥ أو

٣٠ عاماً متتابعاً عادت لغــة أصيلة للمجتمع الهندى و أصبحت تحتل الدرجــة الأولى فيــه .

ضرورة التفهم للمبادىء و الطبائع :

وعلى ما قررنا تزداد أهمية التعليم ومنهجه و نظرياته فى بناء المجتمع و تربيته و لا بد لذلك من معرفة تفاصيل التعليم حسب طبائع المجتمع و على اختلاف الطبقات ، و لمعرفة ذلك يحتاج إلى العلم بالمعارف والآراء و التجارب التى سبقت للعلماء المتقدمين ، ومما يجب معرفته قبل كل شئ هو الالمام بالتعلم المنهجى المنضبط و يندرج تحته دور المدرســة و مكانتها و العناصر التى تتكون بها من الطلاب و مواد التعليم و نظرياته المتضاربة ، و مما يتعلق بالمجتمع ينبغى أن نعرف مكانة الحياة الأسرية ومرتبتها نحو الأعمال التعليمية وما هى مؤثرات الوسائل الدينية فى التعليم و ما يمكن أن تكون ، إن أهداف التعليم تشتمل على الجوانب و المصالح المتنوعة مثلا خدمة المصلحة القومية أو الديمقراطيـة أو الخلقية أو المصالح الحكومية و السياسية و الآثار و النتائج المترتبة على تطور وسائل النشر و الاعلام و ما إلى ذلك كثير من وسائل وأهداف التعليم التى تستحق الدراسة والاستنتاج منها.

كما يحتاج فى ذلك إلى معرفة أذواق المستمعين و طبائعهم و الكوائف التى تطرأ لمشاعرهم و نفسياتهم و ما تأثيرها على العمليات التعليمية وما هى كيفية التأثير حالا و مآلا ؟ !

عهد إبراهيم و بنيه ، عليهم الصلاة و السلام

— ٢ —

الشيخ عبد الكريم بارك
تعريب : الأخ محمد اكرم الندوى

تتابع الرسل والأنبياء من عهد نوح إلى عهد إبراهيم عليهم السلام ، لكن الانسان كان دون مستوى الحضارة و المدنية و لم يدون له التاريخ ، أما عباقرة التاريخ فلا تزال حياتهم باقية خالدة ، و لا نعرف عن الحياة الشعبيــة فى هذا العهد إلا ما ذكره القرآن الكريم ضمن دعوة الأنبياء أممهم إلى الايمان و الاصلاح و التزكية ، و لكن لا نهتم بتاريخ هذا العهد اهتمامنا بتاريخ العهــد الذى يبتدىء بابراهيم عليه السلام .

إن أتباع الديانات الثلاث الكبرى ، اليهودية و المسيحية و الاسلام فى العالم اليوم يرون إبراهيم عليه السلام إماماً وقائداً لهم ، وقد نص القرآن الكريم على إمامته للناس حيث يقول « و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال إنى جاعلك للناس إماماً ، قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » البقرة ١٢٤ .

و نثبت هنا ما كتبه الأستاذ المودودى رحمه الله تحت هذه الآية الكريمة :

« إن إبراهيم عليه السلام ، أول نبى بعد نوح عليه السلام أرسله الله تعالى لنشر دعوة الاسلام العالمية ، إنه ظل يتجول إلى أعوام طويلة فى النواحى المختلفة من العراق و مصر و الشام و فلسطين و صحارى العرب و دعا الناس إلى عبادة الله وحده ، ثم عين خلفاءه لنشر الاسلام فى المناطق المختلفة ، استخلف ابن أخيه لوطاً فى شرق الأردن وابنه إسحاق فى الشام و فلسطين ، و ابنه إسماعيل داخل

الجزيرة العربية ، ثم قام فى مكة ببناء البيت الذى يعرف باسم الكعبة ، و جعله الله مثابة للناس و مركزاً لهذه الدعوة .

تشعبت من إبراهيم عليه السلام سلالتان كبيرتان :

١ــ أبناء إسماعيل ، الذين سكنوا الجزيرة العربية و استوطنوها ، و إلى هذا الفرع تنتمى قريش وبعض القبائل العربيه ، واما القبائل العربية التى لم تكن لها وشيجة نسبية باسماعيل عليه السلام ، فانها كانت كذلك ـ بحكم تأثير الدين فى قليل أو كثير ـ تصل حبلها بحبله و تمتز باتباعه و الانتماء إليه .

٢ــ و أبناء إسحاق نشأ فيهم كثير من الانبياء كيعقوب ويوسف و موسى وداؤد و سليمان و يحى و عيسى عليهم السلام ، ولما كان يعقوب معروفاً بلقب إسرائيل اشتهرت به سلالته ، و إن الامم التى اعتنقت دينهم فانها إما أن فقدت شخصيتها ، أو حافظت على نسبها و لكنها ظلت تدين لدينهم و تتبع سبيلهم ، و لما تسرب الانهيار و الانحطاط إلى هذا الفرع أدى إلى اليهودية أولا ثم إلى المسيحية .

كانت رسالة إبراهيم عليه السلام هى دعوة العالم إلى طاعة الله ، و إصلاح منهج الحياة الفردية و الجماعية للبشر وفق التوجيهات الربانية وطبقاً للتعاليم السماوية كان عبداً لله قانتاً يطيع ربه ، و يتبع هداه ، و يبلغ رسالته ، و يبذل جهده و يركز اهتمامه على أن يخضع الناس كلهم لرب الكون و يطيعوه و هذه هى الخدمة التى أكرم من أجلها بامامة العالمين و قيادتهم ، ثم توارث منصب الامامة أبناء إسحاق و يعقوب و عرفوا ببنى إسرائيل ، أرسل فيهم الأنبياء و المرسلون و أنزل إليهم الكتب و الصحف الالهية و أمروا بهداية العالم و توجيهه نحو الصراط المستقيم ، و هذه هى النعمة التى ذكرهم الله بها مراراً ، وهم الذين اتخذوا للبيت المقدس قبلة لهم فى عهد سليمان عليه السلام و بقى معقلا للدعوة

الالهية وقبلة للمؤمنين ما داموا قائمين على الحق داعين إليــه (تفهيم القرآن الجزء الأول) .

و من ثم فان النبي محمداً ﷺ و أصحابه كانوا يتجهون إلى بيت المقدس في صلواتهم حتى أعلن الله إعلاناً صارماً بعزل بني إسرائيل عن منصب الامامة ، و بيت المقدس هي القبلة الأولى للسلمين ، و من المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ، و هي : بيت الله الحرام و المسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى - و قد أكد النبي ﷺ هذه الحقيقة في حديثه الذي قد استفاض و اشتهر .

(الأسراء و المسجد الأقصى)

و للمسجد الأقصى أهمية تاريخية و اتصال وثيق باسراء النبي ﷺ ، و هذا هو المسجد الذي افتتح الله به سورة بني إسرائيل حيث يقول .

« سبحان الله الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » (سورة الاسراء ، الآية ١) .

إن هذه الآية الكريمة توكد أن المسجد الأقصى مكان ميمون شريف بارك الله حوله ، و هو المنزل الأول للرحلة القدسية المعجزة التي شرف بها النبي ﷺ ، و من هذا المكان الكريم عرج به و معــه جبريل عليه السلام إلى عالم الملكوت ، إن رحلته من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى من دون أن يركب طائرة أو صاروخاً - آية عجيبة ، و أعجب من ذلك رحلته التي منطلقها المسجد الأقصى ، قطع مسافة مآت الملايين من الأميال و عرج به إلى حظيرة القدس الالهية ، وتبين لمرة أخرى فضل البشر على الملائكة ، فقد توقف جبريل عليه السلام في مكان معلوم ، و صعدت البشرية إلى أعلى منه و أسمى .

إن المسجد الأقصى مكان محترم و مبارك لدى المسلمين باعتباره قبلتهم الأولى ، و لكنها - زاده شرفاً و كرامة و قدراً - هي النقطة الوسط بين العالم المادي الكثيف و العالم الملكوتي السامي خلال رحلة نبينا محمد ﷺ ، ادرسوا سورة النجم و أمعنوا فيها النظر فانها تشهد بعلو مكانة البشرية التي يغتبط بها الملائكة بني آدم .

(يوسف عليه السلام و اليهود)

قد درستم قصة إبراهيم عليه السلام أنه سكن قرية في فلسطين في آخر أيام حياته ، و كان معه ابنه إسحاق و حفيده يعقوب الذي كان يلقب باسرائيل رزقه الله اثني عشر ولداً ، منهم يهودا ، لما ضعف تأثير الملة الحنيفة في بني إسرائيل و تغلبت عليهم السلالية المتنة جعلوا ينتسبون إلى السلالية بد لا من الملة السمحة التي اختارها الله لهم .

إن الله مكن يوسف في الأرض و جعله على خزائن مصر ، و قد فصل القرآن قصته تفصيلا في سورة تفردت بذكره ، ادرسوا هذه القصة و أمعنوا فيها النظر لتتمتعوا بأسلوب قصصي لطيف معجز ، ويتبين لكم كيف توصل بنو إسرائيل إلى الملك و الحكم ، و لكننا نكتفي هنا بأمور مهمة .

إن إخوة يوسف طرحوه في غيابت الجب حسداً من عند أنفسهم وحسبوا أن العقبة قد زالت و تمهدت لهم الطريق ، و لكن الله بالغ أمره يفعل ما يشاء قد جعل لكل شئ قدراً .

فالتقطه بعض السيارة من الجب ، وباعوه في سوق مصر بثمن بخس دراهم معدودة و اشتراه عزيز مصر ، وبوأه في بيته و أكرم مثواه . فلما شب و أصبح فتى يافعاً أحبته امرأة العزيز و ابتليت به ، و لكن الله نصره فنجح في صيانة

كرامته و شرفه و رفض طلبها فاشتدت عاطفتها الغرامية و عزمت على أن تقضى شهوتها ، و غلقت الأبواب و انقضت عليه ، فجاءه نصر الله و خرج من عندها مصوناً مكرماً ، إلا أنها رمته بتهمة الاعتداء ، و لكن الله برأه و شهد شاهد من أهلها بطهارة يوسف و نزاهته « و قال يوسف رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه » فزج فى السجن و كان يقضى أيامه عابداً لله و داعياً إليه ، يقول القرآن بلسانه عليه السلام :

« إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله و هم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائى ابراهيم و اسحق و يعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ، ذلك من فضل الله علينا ، و على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون (سورة يوسف ٣٧ - ٤٠) .

تحدث بهذا الخطاب إلى رجلين من المسجونين قبل أن ينبئهما بتأويل رؤياهما ، الأمر الذى يوكد أن تأثير دعوة يعقوب عليه السلام لم يمح من فكره و قلبه ، رغم مفارقته أباه منذ مدة طويلة ، إنه قدم عقيدته فى أسلوب واضح أخاذ حين سنحت له الفرصة ، و أعلن إعلاناً جازماً بترك ملة قوم لا يؤمنون بالله و هم بالآخرة هم كافرون .

إن شخصية يوسف الذى كان يملك عقيدة راسخة و إيماناً قوياً ثابتاً بالتوحيد الربانى لم تعجب بنى إسرائيل حتى ينتموا إليه ، و أحبوا أن يربطوا أنفسهم بأخيه يهودا ، و يشهد التاريخ أن أحبارهم و رهبانهم كذلك وقعوا فى هذه الهوة و لم يتمالكوا أنفسهم فضلا عن عامة الناس و جماهيرهم .

و موجز القول: إن تأويل الرؤيا كان سبباً فى خلاصه من السجن و مكن الله يوسف من ملك مصر، وبعد أن تبوأ عرش مصر دعا أبويه وإخوته وأبناءهم إليها فاستوطنوها ، فكان ذلك مبدأ دخول بنى إسرائيل فى مصر .

كان حكم يوسف عليه السلام مستمداً من الشريعة الالهية ، و بدأ بنو اسرائيل يدعون الشعب المصرى إلى الملة الحنيفية ، حتى انتشر الدين فيهم ، ونال بنو إسرائيل مكانة رفيعة و شرفاً و عظمة لما تمكنوا من ملك مصر ، و إن الدعوة إلى الدين الالهى زادت ملكهم و حكمهم توطداً و ثباتاً .

و دامت سلطة بنى إسرائيل و حكمهم فى مصر إلى أربعة قرون ، و إن الذين آمنوا من الشعب المصرى امتازوا فى دينهم و منهجهم و ثقافتهم عن الذين تمادوا فى الشرك و الكفر .

و بلغ عدد هذا الركب الاسرائيلى إلى مليونين تقريباً حتى عهد موسى عليه السلام و نسى أبناء الأسرة النبوية و الذين آمنوا معهم مكانتهم ، و ذابوا فى الحضارة المصرية المشركة و تسربت إليهم المعتقدات الباطلة و الأفكار المنحرفة ، كما نشاهد المسلمين اليوم فى الهند ، فقد مزجوا دينهم الخالص بالعقائد الباطلة و العادات الوثنية ممن جاورهم من الامم المشركة ، وانتحلوا نحلة القبورية الحديثة حيال الدين الالهى القائم على الأسس المتينة من الكتاب و السنة .

هذه هى الجريمة التى اقترفتها بنو إسرائيل قبل قرون فأرسل الله كثيراً من الأنبياء فيهم لتقويم أودهم و محو ما وقعوا فيه من الشرك و البدع و الجاهلية ، و لكنهم كانوا قد انغمسوا فى الشرك فعميت أبصارهم و قلوبهم حتى لم يستحيوا من قتل الأنبياء .

فغضب الله عليهم لقتلهم الأنبياء و قولهم على الله غير الحق ، واستعبدهم الفراعنة و استذلوهم ، و لو لا أرسل إليهم موسى بالتوراة لامحت آثارهم من التاريخ .

وبعد نضال طويل و كفاح مرير وجهاد مضن نجاهم الله من قيود فرعون ، و استخلفهم الله فى مصر و فلسطين و ألقى على عاتقهم مسئولية إقامة التوراة فى أرض الله

لكن لما ظهر فيهم الفساد بعد عهد موسى عليه السلام عادوا إلى التصرفات المشركة القبيحة و الجرائم الممقوتة التى التصقت بهم قبل أن يرسل إليهم موسى عليه السلام ، ولكنهم لم يمرقوا من دين موسى عليه السلام ، ولم يهجروا التوراة جماعياً إلا أن بعض أحبارهم ممن غلب عليهم حب الدنيا طفقوا يحرفون التوراة ويشوهون الدين ، فأرسل الله إليهم الرسل تترى لاصلاح ما ظهر فيهم من الفساد و تطبيق شريعة الله و إقامة التوراة فى الأرض ، حتى ختم الله الرسالة فى بنى إسرائيل بآخر نبيهم عيسى عليه السلام ، و بشر المسيح بن مريم عليه السلام بنبى يأتى من بعده اسمه أحمد .

(و إذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة و مبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) سورة الصف الآية ٦) .

نظرية « الاباحية » و مفاهيمها

الاستاذ سلطان أحمد الاصلاحي
تعريب : الأخ آفتاب عالم الندوى

الانحرافات الفكرية والعقلية المختلفة التي منى بها دعاة « التقدم » و « التنور » فى أوربا رغبة فى حل القضايا الانسانية بالتجافى عن مصدرى القوة والهداية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ و بالحرص على تحرير المرافق الدنيوية من ربقة الشرع والدين، منها « الاباحية » (Permissiveness) أى نظرة الحياة الجنسية الجامحة العارمة ، و قد يتبادر إلى الأذهان مع كلمـــة الاباحية (Permissiveness) مفهوم إهمال التعاليم الالهيـــة فى جميع مرافق الحياة و الانفلات من قيود الدين و حدوده ، و لكن الواقع يختلف عن ذلك ، فان الاباحية (Permissiveness) إنما تعنى انطلاق الانسان من كل كبت وقيد فى الحياة الجنسية خاصة ، وكلمة الاباحيـــة و إن كانت تتضمن لغـــة ، السلوك الاجتماعى (Social Conduct) والتطورات الاجتماعية (Social Changes) أيضاً (١) لكن معنى « الحياة الجنسية الجامحة يغلب على جميع المعانى الأخرى ، و على الأكثر فان « الاباحية الجنسية » بأوسع معانيها تتضمن القانون الاصلاحى" لحرية « ممارسة الشذوذ الجنسى» (Homo Sexuality) و إزالة الرقابة من عالم السينما وتبادل الآراء والنقاش بكل حرية حول الموضوع الجنسى الذى كان محظوراً من قبل (٢) .

---

1 Chambev,s Family Dictionary, Edinbargh, 1981.

2 Chamber,s Twenteeth Century Dictionary, Allied Publishers, New Delhi 1973. Oxford Advanced Lener's Dictionary of Current English, Darya Ganj, New Delhi, 1982.

و لذلك فان المجتمع الاباحى (Permissive Society) هو الذى تتوافر فيه جميع تسهيلات الحرية من كل نوع بوجه خاص (١) و إن هـــذا المصطلح لم يكن له وجود قبل ١٩٦٠م (٢) .

بداية هذا التصور :

هذه الفوضى الجنسية التى يعبر عنها مفكرو الغرب و خبراؤه عن الثورة الجنسية (Sexual Revolution) يرجع تاريخها إلى ١٩٢٠م ، و قد بلغت هـــذه الفوضى قمتها فى نحو ١٩٧٠م حيث نرى أن السلوك الجنسى (Sexual Attitudes يقفز إلى الاباحية (Permissiveness) قفزات واسعة ، وتبتدىء سلسلة واسعة من الاصلاحات القــانونية الاجتماعية التى تعتبر السلوك الجنسى (Sex Behavior) قضية شخصية محضة (٣) وتتخذ موجة « الاباحية الجنسية بعد ١٩٦٠م منحى محدداً آخر يتمثل فى الاباحية الجنسية قبل الزواج (Premarital Sexual Permissiveness) مما يجعل الاباحية الجنسية مرادفة للاباحية الجنسيــة قبل الزواج ، معنى ذلك أن الغرب قد عيل صبره وشق عليه أن ينتظر المراحل المستقبلة لمزاولة النشاط الجنسى العارم ويرى لزاما أن يمر الانسان بجميع تجــارب السلوك الجنسى قبل الزواج ، و إن الباحثين و المفكرين الذين أبرزوا قسمات هذه النظرية و أوضحوا ملامحهــا

---

(١) المرجع السابق

Chambev,s Family Dictionary, Chambev,s Twentieth Cantury Dictionary

(٢) المرجع الساق .

(3 The Sociology of Sex P. 245 — 246 — Edited by James Moshenslin & Edward Sagrin, Shocken Books, New York 1980.
أيضاً Jra, L. Reiss : The Socil Context of the Premanital Sexual Permissiveness P. 8. H o N, Rinehart & winston New Yark, 1967.

و أبعادها جلية واضحة فى مقدمتهم السيد ارا - ال - رئيس (Mr. Ira. L. Reiss) الذى قام باستعراض أمريكا و دراستها الوافية فى هذه الخلفية وجعل الاباحيــة الجنسيــة قبل الزواج (Premarital Sovual Premissiveness) حديث المجالس و موضوع الساعة لعلم الاجتماع (Burning Topic of Sociology) وقد أفرد فى هذا الموضوع كتابين عدا مقالاته المختلفة التى نشرت فى الجرائد المثالية لعلم الاجتماع، أحدهما : المعايير الجنسية قبل الزواج فى أمريكا (Premarital Sexual- - Standards in America) (١) وثانيهما : الخلفية الاجتماعية للاباحية الجنسية قبل الزواج (The Social Context of the Premarital Sexual Permissiveness) من الأسف أننى ما عثرت على الـكتاب الأول رغم جميع التقصى والمحاولة ، ولـكن الـكتاب الثانى بين أيدينا وسترد مراجعه فيما بعد ، و الدور البارز الذى لعبـه المؤلف فى هذا المجال نستطيع أن نقدره بعض التقدير بمجرد النظر إلى عناوينها ، مثل ١- « المعيار المزدوج فى المبـاشرة قبل الزواج - نظرية مرفوضــة » (٢)

(The Double Standard in Premarital Intercourse A Neglected Concept)

٢- تقدير الاباحية الجنسية قبل الزواج (٣) .

(The Sealing of Premarital Sexual Permissiveness)

٣- النهضة الجنسية ــ تلخيص وتحليل (٤)

(Sexual Renaissance, A Summary & Analysis)

٤- الطبقات الاجتماعية و الاباحية الجنسية قبل الزواج (٥)

(Social Classes & Premarital Sexual Permissiveness)

---

(١) المطبوع : New York Free Press 1960.

(2) Social Forces, March 1956,

(٣) Social Forces May 1964. الصفحة ١٨٨ إلى ١٩٨ .

(٤) Jaurnal of Socilissues Aj 1966. الصفحة ١٢٣ — ١٣٧ .

(٥) America Sociological Review, October 1965. الصفحة ٧٤٧-٧٥٦ .

و محاولات المؤلفين الآخرين فى هذا المجال كما يلى : ١ـ كتاب رابرت بل (Robert Bell) « الجنس قبل الزواج فى مجتمع متغير » (١) -Premarital (-Sex in Changing Society) ٢ـ كتاب جان غيغنان John Gagnon « المباشرة قبل الزواج والعلاقات الشخصية المتبادلة » (٢) -Premarital Intercourse (-& Interpersonal Relationships)

و يناسب لنا أن نلقى نظرة على الانحراف الجنسى التاريخى فى أوربا قبل أن نعرف مدى توغل الاباحية الجنسية و سريانها فى شرايين أوربا وتضليل الشيطان للانسان باسم العلم والفن و التنور ولا سيما فى أمريكا العالم المتحضر الحديث التى نفقت فيها سوق الاباحيـــة الجنسيـــة قبل الزواج -Premanital Sexual (- Permissiaeness)

الانحراف الجنسى التاريخى لأوربا :

من سوء حظ أوربا أنها لم تحظ بالاعتدال الجنسى فى أى دور من أدوار تاريخها ، فكانت مدة طويلة فريسة المسيحية المزعومة المشوهة بيد بوليس Saint Paul الذى حرف التعاليم المسيحية وجعل من الرهبانية و التبتل (Celibacy) قدوة للحياة الانسانية ، وبغض البصر عما أن العالم المسيحى كله لم يعمل بهذه القـــدوة المعارضة للفطرة البشرية عن إخلاص و طواعية قط فان الكنيسة نفسها ظلت أيام عظمتها و نخارها فريسة الانحرافات الجنسية الهائمة و الشهوة الجنسية الجامحة فضلا عن الدهماء و الجماهير ، و كان البابوات و القساوسة الكبـار منغمسين فى التهام الشهوات و انتهاب الملذات ضاربين الدين والخلق والقيم عرض الحائط (٣)

(1) Englewood Clibbs, N. J. Frentice Hall 1966.

(٢) Basten : Littl, Brown, 1975. و راجعوا كتـاب ارا ، ال ، ريس (The Social Context) لمراجع المجلات و الكتب الأخرى .

(٣) تاريخ أخلاق أوربا: ليكى، نقلا من كتاب سيد جلال الدين العمرى

حتى إن محاكم التفتيش تحولت إلى مكامن الدعارة و مواخير الفجور يترصد فيها الفاسق لطلبته و ينال فيها الفاجر بغيته (١) و ابتدأ بعد ذلك عهد النهضة (Renaissanca) و التنور (Enlighment) فى أوربا تحت ضغط اعتداءات الكنيسة التى صربت الرقم القياسى و عوامل أخرى يطول ذكرها مما أدى إلى انفلات أوربا النهائى من نير الشرع و الدين نفسه بجانب التحرر من ربقة المسيحية (٢) و بتحرر الانسان من قيود الشرع و القيم لم يعد يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً بحتاً ، هذا هو عصر قمة « التنور » الذى برز فيه أمثال سغمند فرويد (Sigmund Freud, 1856 — 1939) على مسرح العالم فى أواخر القرن التاسع عشر الذى صدع بأن الدين و القيم إنما انبثق من الجريمة النكراء ، وأهمل الدين و الخلق ألبتة . و اعتبر الانسان حيواناً محضاً ، ورسم للانسانية صورة الفرد الذى يسعى جاهداً طوال حياته لتحقيق لذائذه و و إرضاء شهواته مدفوعاً

---

* « المرأة فى المجتمع الاسلامى » بالأردية ، ٢١٥ — ٢١٦ ، المكتبة المركزية الاسلامية دلهى الطبعة السادسة ١٩٨٤م .

(١) مقالة صاحب المقال : « خلفية التصور المحدود للدين » بالأردية ، الأوضاع التى تمر بها الكنيسة المسيحية اليوم تحزن القلب وتدمى العيون ، فالكنيسة فى أمريكا ليست متلطخة بالانحرافات الجنسية فحسب بل تشجع الخلاعة و الدعارة عياناً و جهاراً و توفر لذلك الفرص تحت إشرافها ، راجعوا للتفصيل كتاب سيد قطب الشهيد « الاسلام و مشكلات الحضارة » .

(٢) راجعوا للتفصيل سلسلة مقالاتى : « نظرة على ضحايا محاكم التفتيش فى أوربا » و « فصل السياسة عن الكنيسة فى أوربا » فى مجلة « تحقيقات إسلامى » بالأردية الصادرة من جامعة على كره يوليو سبتمبر ١٩٨٣م ، و يناير و مارس ١٩٨٤م .

إلى ذلك بدفعة من الطاقة الشهوانية (Libido) التى لا تكف عن الالحاح و الكبت و التى وصفها بأنها أولى درجات التكوين النفسى للانسان ، وهو يرى أن الطاقة الشهوانيــة لا بد أن تكون حرة طليقة ترتع حيث شاءت و تمارس ما شاءت و أن الانسان حر فى أمر « الجنس » وهو قضيته الشخصيــة و شأنه الذى يريد ، فانه مضطر فى ذلك ومدفوع ، فلو كبح جماحه وفرضت عليه الكوابت و الحواجز لوقع بدونما شك فريسة العقد النفسيــة و الاضطرابات العصبيــة (Repression) التى لا تقف عند حد فى إفساد طبيعة الانسان و تبديد نشاطه الحيوى و الانحراف به عن الطريق السوى . لجملة القول أن قضيــة الانسان الجنسية قضية بيولوجية بحتة (Biolagical Problem) لا تمت إلى الدين و القيم بصلة ما ، فان الانسان نفسه طبيعياً كيان لا أخلاق لا توجد فى طبيعته نوازع الخير والشر (١) .

فاذا كانت هذه هى مكانة الانسان فى أعين رواد التطور و دعاة التحضر والتنور فى أوربا وجل همه لديهم أن تدور حياته حول الجنس (Sex) و إشباع الرغبات و إرضاء الشهوات فما يعجبكم لو تخبط هذا الانسان المسكين فى أوحال الاباحية و التبذل و الاسفاف وفاق حسبـان الحاسبين فى الدعارة و الشذوذ ، لكن هذه المسألة كانت إلى الآن مسألة سيكولوجية (Psycholagical) ها هى ذى تدخل الآن فى نطاق علم الاجتماع (Sociolagy) إن دراسة طبيعة الانسان

(١) راجعوا لمعرفة نظريات فرويد فى هذا الصدد كتب الأستاذ محمد قطب : الانسان بين المادية و الاسلام ، و التطور و الثبات فى حياة البشرية ، و جاهلية القرن العشرين ، ومنهج التربية الاسلاميــة ، و شبهات حول الاسلام ، وكتاب الأستاذ سيد قطب : الاسلام ومشكلات الحضارة .

وحقيقته و تحديد المواقف اللائقة له فى مجال الحياة علم يبحث فيه علم النفس و الاجتماع فاذا تقرر اعتبار الانسان حيواناً فى هذا النطاق فكل ما بقى فى نطاق «علم الاجتماع» هو أن يدرس الوحدات الاجتماعية المختلفة من نواح شتى ويضيف فى مجاله مواد جديدة بتحليل و استعراض المواقف الانسانية فى ضوء الاحصائية الناشئة من الهيكل الاجتماعى الذى يعيش فى وسطه، منذ أن تحررت أوربا عن ربقة الدين والقيم، نلاحظ أن المجتمع يتقدم وتتبعه الأفكار والنظريات التى تتألف و تتشكل ، هذا هو الوضع السائد فى علم الاجتماع الحديث فى قضية الجنس ، والسر فى شعبية «إرا ، ال ، ريس» ليس إلا أنه عرض قضية الجنس الحديثة للغاية فى علم الاجتماع الحديث بصورة منسجمة متناسقة فى ضوء دراسته للمجتمع الأمريكى و أتحفها بآراء و كشوفات و مصطلحات حديثة براقة .

الاباحية الجنسية خارج العلاقة الزوجية :

الاباحيـــة الجنسية قبل الزواج (Premarita lSexual Permissivcness) أخف جرما من الاباحية الجنسية بعد الزواج و خاصة من وجهة النظر الاسلامية، أما اعتبار الاباحية الجنسية قضية نابضة بالحياة من علم الاجتماع (Sociolagy) فقد تم حاليا ، و أوربا تبيح الاباحية الجنسية خارج العلاقة الزوجية قبل ذلك بكثير على الاطلاق غير مفرقة فيما إذا كان الانسان منضماً فى سلك الزواج أو ليس بمنضم فيه ، فليس من المستقذر عندما أن يرضى الانسان شهواته و يحقق لذائذه ورغباته الجنسية خارج نطاق الزواج، وإذا كان أى نقص أو خلل تشعر به أوربا فى ذلك فانما هو أن الطريقة الأمثل أيام رضاعة وتنشئة الأطفال تتبلور فى الاكتفاء بزوجة واحدة (Monogamaus Pattern) فان القرآن و البراهين على كل حال تؤيد ذلك ، كما أن الحجج الناصعة لنفسية الأطفال (Child Psychology) أيدت

النظرية التى تعتقد بالأهمية القصوى للاستقرار البيتى (Home Stability) وتشعر بمسيس الحاجة فى التنشئة الطبيعية للاطفال إلى علاقة الأبوين (١) و إن الشعور بضرورة الزواج فى الغرب إنما هو من ناحية أن رضاعة الطفل وتنشئته السليمة الطبيعية تتوقف على هذه الطريق وحدها ، وبما أن تدابير تحديد النسل لم تنجح نجاحها المرجو فيمكن أن يؤدى الاتصال الجنسى خارج نطاق الزواج إلى توليد أطفال رغم أنف الأبوين ممن يثيرون قضية رضاعتهم و تربيتهم ، أما الوسائل الأخرى لحل هذه القضية فينقصها الشئ الكثير و نتائجها غير مشجعة (٢) .

اقتراف الاساءات الجنسية (Sexual offence) له وجهان فقط :

ا — اختطاف البراعم من الذكور و الاناث .

ب — أن يقوم الانسان فى ذلك بسلوك يدهش الناس أو يشغلهم ، فمن المقرر بعد ذلك أن الانسان أيما شاء اختار من أنواع السلوك الجنسى لن يتعرض له القانون ما دام لا يؤثر ذلك على المجتمع تأثيرا ما ، فرجلان شابان مهما وقفا من موقف حسب أهوائهما لن يمنعهما أحد فان ذلك قضيتهما الشخصية ، و إنما يجب عليهما مراعاة أن يكون هذا الموقف مناسباً ولائقاً و وقوراً ، و لا يغيبن عن البال أن هذا الرضى يتضمن رضى رجلين أيضاً ، ويمنح لهم القانون الحرية التامة فى « اشتهاء المماثل » (Homo Sexuality) بعد مراعاة هذه الآداب ، يقول إلكس كمفرت (Alex eomfort) : « هذا هو القانون السائد فى جميع الدول المتحضرة الغربية تقريباً » (٣) .

(1) Alex Comfort : Sex in Society P. 85, 86 Gerald Duck work & Co. Ltd. London, 1963.

(٢) المرجع السابق الصفحة : ٨٩ — ٩١ .

(٣) المرجع السابق ١٣٩ .

الأسس الايديولوجية للاباحية الجنسية :

إذا اقترف الانسان خطأ وهو يعتقد أن ذلك العمل خاطئ فقد يرجى أن يتدرج إلى جادة الاعتدال بالموعظة و الارشاد و يستدرك ما فاته و لكن الشخص الذى يعمل الخطأ ويعتقد صحته ويطمئن إليه و يقتنع به بحكم دلائل قد تعجبه فمن الصعب جداً إصلاحه و اهتداؤه إلى سواء الصراط ، و سلام الله على المريض الذى يعتبر مرضه صحة ويحسب علامات المرض علامات الصحة و العافية ويزعم أن لديه دلائل و براهين وفق لها بعد جهد جهيد ، وما أكفر وما أجهل الذين يحسبونه مريضاً يحاولون إقناعه بمرضه بدل أن يحبذوا أراءه المذهلة وأفكاره النادرة وينتفعوا بها ، إن مثل العالم الغربى الحديث و شأن الجنس (Sex) كمثل هذا المريض فى نهاية المطاف و على غاية الخط ، فان العالم الغربى الحديث لا يعد الاباحية الجنسية وجموحها عيباً وشنيعة بل يعتبرها تحفة نادرة وثمرة طيبة لتقدمه وثوره ضد المجتمعات الرجعية المتخلفة ، فقد يقال إن كل شخص مفطور على السلوك الجنسى بصوره المتنوعة منذ كونه جنيناً ، وإنما الفرق فى السلوك الذى يعجب الشخص أكثر ، ويتوقف ذلك فى عامة الأحوال على الوراثة (Heredity) و الأحوال البدائية و الوسط و ألوان الحضارة المنوعة التى يعيش فى أجوائها و يقضى فيها حياته ، و أنواع السلوك الجنسى التى هى وديعة فى الانسان فطرياً ، عديدة منها السادية (Sadism) و هى إنحراف جنسى يتلذذ فيــه المرأ بانزال صنوف العــذاب بمحبوبه ، و منها الماسوشية (Mosoehism) و هى إنحراف جنسى يتلذذ فيــه المرأ بالاضطهاد يصيبه من قبل رفيقــه ، و منها الفتشية (Feishism) و هى انحراف جنسى يتمثل فى تركيز الشهوة الجنسية على جزء من الجسد كالفخذ مثلا أو على جورب أو خصلة شعر أو ثوب تحتى ، و منها اللواط و اشتهاء المماثل

(Homo Sexuality) و منها النرجسية (Narcissism) تتمثل فى افتتان المرأ بحسنه و جماله ، هذه الصور المختلفة للسلوك الجنسى كلها مودعة فى طبيعة الانسان وتختلف صورها ظهوراً فى شخص دون شخص حسب ازدياد نسبة الضغط للعاطفة الجنسية المختلفة العناصر فى أى نوع من أنواع السلوك الجنسى وانحدارها إليه (١) و من الواضح أن أبشع صور الانحراف الجنسى كالسادية و الماسوشية إذا تم اكتشافها فى طبيعة الانسان جنينياً فعلام العجب واللوم ؟ إذا ظهر هذا الانحراف البغض فى المجتمع و تفاقم شرها و اشتعل أوارها و بذلك تنحل قضية الاتصال الجنسى خارج نطاق الزواج ، و ذلك أن أبشع أنواع الانحراف الجنسى إذا كان جزء من النشأة الطبيعية للانسان فالاتصال الجنسى خارج نطاق الزواج أمر أهون منه و أخف ، و إن المجتمع الذى يبيح صور الانحراف الجنسى المذكورة أعلاه لا عجب فيه إذا جاوز الحد فى الشذوذ الجنسى و ضرب فيه الرقم القياسى ، و يستطرد هذا المؤلف ساخراً من القيم الدينية و الخلقيــة ضمن النظام التقليدى للزواج بحيث إن هذا النظام يريد أن يلبس كل قدم حذاء فى طراز واحد بضم كل شخص بنفس السلك من الزواج ، حيث يقول : « لا شك أن كل قدم لها مقياس نموذجى و لكن أنواع زى الحذاء متعددة متنوعة » (٢) .

(There is a model size of foot as well as a fashion in foot wear.)

و يضيف قائلا « يسألنى الناس أن أى موقف من مواقف السلوك الجنسى أكثر اعتماداً على العقل و الفطنة ؟ » ثم يجيب بنفسه « لا يعنى هـــذا السؤال إلا كأن يسألنى أحد عن أنسب الأغذية و أفضلها ؟ » (٣) و إذا كان

(١) المرجع السابق ص : ١٢٩ (٢) المرجع السابق ص : ٨٥ .

(٣) المرجع السابق ص : ٨٥ ، ٨٦ .

تصريح الكس كمفرت يحمل أى تعقد و غموض فاليكم مؤلفاً آخر يشرح المسألة بعيداً عن كل تعقد و غموض .

يقول جج بن لندسى (Judge Benlindsey) فى كتابه (Marriage The Companionate) (الزواج الرفاق) الذى ترك فى مجتمعه أثراً ملموساً :

« رأيى أن أفضل نظرية للمجتمع فى شأن الجنس خارج نطاق الزواج (Extra-marital Sex) هو أن يقر المجتمع بأن بعض الرجال يحملون نزعات تجارب الجنس المتنوعة بينما الآخرون يعدمون مثل هذه النزعات فليس من واجب المجتمع أن يقف تجاه الذين يحملون فى طبائعهم مثل هذه النزعات موقفاً متميزاً ، ما داموا يراعون حقوق الآخرين بصورة لائقة و يحترمونهم فان عمليتهم هذه إذن قضيتهم الشخصية التى يستقلون بالحكم فيها و شأنهم فى ذلك شأن رجل مختار فى أمر الدين أو السياسة » (١) .

المكانة التى يحظى بها الدين مع السياسة واضحة من هذا التصريح فلا شك أن الانسان حط من شأن الدين و وصل فيه إلى أقصى الغاية ، و إنما يهمنا الآن أننا نستطيع أن ندرك فى ضوئه موقف الانسان المعاصر تجاه الجنس ، فالانسان يتطلع إلى الحرية الكاملة و يتوق إلى الجموح العارم فى أمر الجنس ، و إنما يتحتم أن يكون ذلك مصحوبا بمراعاة آداب الموطنة حتى لا يلحق « المتحضرين » أى إزعاج أو مضايقة ، أما الجنس ففيه متسع كبير و لا حاجة فيه إلى الخلق و القيم فان الانسان طليق فى قضية الجنس و لا يجوز أن يفرض عليه أى نوع من الكوابت و القيود .

قضية بيولوجية بحتة :

سبق أن أشرت إلى أنه يقال إن قضية الجنس قضية بيولوجية

(1) The Sociolgy of Sex P, 72.

(Biological Problen) و ينبغى أن تحل على الأسس البيولوجية و لا مشاحة فيه للدين و القيم و الخلق فانه يحدث المشاكل و يعقد الأمور فى هـذه المسألة عفواً ، و إنه روايات و أساطير للمجتمعات الرجعية فى العهد الرجعى المتخلف فقد انتهى دوره ، يقول إلكس كمفرت : إن الصور المجددة من الاتصال الجنسى التى نتوخاها و ننشدها لا بد أن تكون ميولنا و اتجاهاتنا نحوها مستندة إلى المبادىء البيولوجية العامة و لا ينبغى أن يقوم أساسهـا على المعايير الناشئة من السلوك السائد فى المجتمعات القديمة المتخلفة (١) و الاستناد إلى المبادىء البيولوجية العامة يعنى إذا حدثت أى قضية بيولوجية فينبغى أن تحل على الأسس البيولوجية ، فاذا اطمأن الانسان إلى القضية البيولوجية بكامل الوجه باستخدام التدابير الناجحة لمنع الحمل فلا داعى إلى القلق والاضطراب أيا كان نوع الاتصال الجنسى ، و يضيف المؤلف قائلا : ـ و هو يتناول التعاليم الدينية فى شأن الزواج بالنقد و التحليل ـ إن التعاليم الدينية زادت القضية غموضاً وتعقداً حيث ربطت تصور الزواج بعملية الجماع بدل التوليد فان الحجة البيولوجية الاكتفاء بزوجة واحدة تتوقف على وجود الأولاد إلى حد كبير ، و قال و هو يناقش مسألة الزواج أن الأهمية التى تحملها المباشرة غير المنتجة فى المجتمع ضئيلة جداً أو شبه معدوم (٢) المراد واضح و هو أن التأكيد الشديد من الشرع على الاكتفاء بزوجة واحـدة إنما يهدف إلى كثرة التوليد .

و الاتصال الجنسى خارج نطاق الزواج سيؤدى إلى تحميل المجتمع تبعات أولاد لا ولى لهم ، و لـكن الدين لماذا يأنف و يستشيط غضباً على المباشرة غير المنتجة التى تمكن المرأ من مباشرة أكثر من امرأة بدون أن يشعر أى خطر نحو

(1) Alex Comfert : Sex In Society P. 87.

(٢) المرجع السابق ص : ٨٩ .

التوليد ، و يوضح المؤلف هذه القضية بأسلوب متغاير فى مناسبة أخرى حيث يقول : « مما لا شك فيه أن الأدوية المانعة للتوليد لو استمرت نسبة رواجها و انتشارها كما هى الآن فلن نجد أحداً يستحق العقوبة ، لأن الطريق الأمثل لاستكشاف المجرم سيستند يوما فيوما إلى الحكم بالشق بفحص الأمور و تحليل النتائج لا على أساس التقليد و العواطف (١) .

فقد اتضح الأمر جلياً أن التدابير الموثوق بها لمنع التوليد ستحول دون الوصول إلى النتائج الوخيمة ، فبمراعاة هذه الآداب التى مر ذكرها لا إثم و لا كراهة فى المباشرة غير المنتجة أيا كانت و مهما كانت و لن تجد التقاليد البالية و العواطف التى تستمد قوتها و حياتها من الشرع و الخلق لن تجد أى صدى و تجاوب فى هذا المجال ، قالت للأستاذ سيد قطب (رحمه الله) إحدى الفتيات الأمريكيات فى معهد المعلمين (جريلى كولورادو) فى أثناء مناقشة عن الحياة الاجتماعية فى أمريكا :

« إن مسألة العلاقات الجنسية مسألة بيولوجية بحتة ، وأنتم الشرقيون تعقدون هذه المسألة البسيطة بادخال العنصر الأخلاقى فيها ، فالحصان و الفرس ، و الثور و البقرة ، و الكبش و النعجة ، و الديك و الفرخة . . . لا يفكر أحد منها فى حكاية الأخلاق هذه و هو يزاول الاتصال الجنسى و لذلك تمضى حياتها سهلة بسيطة مريحة » (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص : ١٣٩ .

(٢) من كتاب « أمريكا التى رأيت » لمؤلفه الأستاذ سيد قطب الشهيد نقلا من كتابه « الاسلام و مشكلات الحضارة » ص ٧٤ .

طه حسين . . . :
مهندس التغريب و العلمنة فى العالم العربى

—٢—

بقلم : د . ظفر الاسلام خان

و لم يقتصر طه حسين على تطبيق مناهج النقد الأوروبية على القرآن الكريم و الأدب العربى بل حاول - كما يقول الأستاذ أنور الجندى - فصل الأدب عن الفكر الاسلامى و دعائمه و قيمه و إطلاقه حراً لا يرتبط بقيم و لا ضوابط و لا حدود ، و يذهب إلى أقصى ما ذهبت إليه الآداب الغربية من كشف و جنس و إلحاد » ، (ص : ٦٤ ، ٦٥) .

و قال طه حسين فى جرأة غريبة :

« أنا أريد أن أدرس تاريخ الأدب فى حرية و شرف كما يدرس صاحب العلم الطبيعى علم الحيوان والنبات . . من الذى يكلفنى أن أدرس الأدب لأكون مبشراً للاسلام ، أو هادماً للالحاد ، وأنا لا أريد أن أبشر ولا أريد أن أناقش الملحدين » (ص : ٦٥) .

وكان طه حسين شديد الاعتزاز و التمسك بالفرعونية ، وكان يقول :

« إن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين و ستبقى ، بل يجب أن تبقى و تقوى ، و المصرى فرعونى قبل أن يكون عربياً ، و لا يطلب من مصر أن تتخلى عن فرعونيتها ، و إلا كان معنى ذلك : إهدمى يا مصر أبا الهول والأهرام وأنسى نفسك واتبعينا . لا تطلبوا من مصر أكثر مما تستطيع أن تعطى ، مصر لن تدخل فى وحدة عربية سواء كانت العاصمة القاهرة أم دمشق أم بغداد ، و أؤكد

قول أحـــد الطلبة القـائل : لو وقف الدين الاسلامى بيننا و بين فرعونيتنا لنبذناه » (ص : ٦٦) .

ويقول طه حسين عن الفتح العربى الاسلامى ورد فعل مصر حسب رأيه :

« و التاريخ يحدثنا كذلك بأن رضاها عن السلطان العربى بعد الفتح لم يبرأ من السخط و لم يخلص من المقاومة و الثورة ، و أنها لم تهدأ أو لم تطمئن إلا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة فى ظل ابن طولون و فى ظل الدول المختلفة التى قامت بعد » (ص : ١٢١ ، ١٢٢) .

و قد أثار نشر كتاب « فى الشعر الجاهلى » فى صيف ١٩٢٦ ضجة فى مصر لدرجة أن المدعى العام (رئيس النيابة) استجوب طه حسين بصورة مفصلة وقد أورد الأستاذ جابر رزق فقرات مفصلة من تقرير رئيس النيابة (ص: ١٧٢ ، ١٨٦) وأغرب شئ نراه فى هذا التقرير هو أن طه حسين ، حين تمت مواجهته بفقرات من كتابه ، دافع عن نفسه قائلا : « إنه كتب الكتاب للاخصائيين من المستشرقين بنوع خاص » (ص : ١٧٩) و حين أخبره المدعى العام بأن مبشراً مسيحياً يتستر تحت اسم « هاشم العربى » قـد عبر عن أفكار مماثلة فى كتاب عربى صدر مؤخراً نفى طه حسين أن يكون على علم بكتاب كهذا (ص : ١٨١) ، و كتب المدعى العام تقريره هذا أن طه حسين عجز عن الرد على كثير من أسئلة خلال الاستجواب ، و علق على هذا قائلا :

« المؤلف إذن فى واحدة من اثنين : إما أن يكون عاجزاً وإما أن يكون سيئ النية.. الذى نريد أن نشير إليه إنما هو الخطأ الذى اعتاد أن يرتكبه المؤلف فى أبحاثه حيث بدأ بافتراض يتخيله ثم ينتهى بأن يرتب عليه قواعد كأنها حقائق ثابتة . . . » (ص : ١٧٩ ، ١٨٠) .

و أحرجت الجامعة المصرية بسبب هذه الضجة التى أثيرت حول آراء طه حسين فطردته الجامعة ، إلا أن حلفاءه السياسيين عينوه على الفور مستشاراً فى وزارة المعارف (التعليم) و تمكن أصدقاؤه السياسيون الأقوياء من إعادته مرة أخرى إلى الجامعة المصرية عميداً لكلية الآداب ، وسرعان ما أصبح طه حسين مدير الجامعة المصرية ثم جامعة الاسكندرية ، و دعى لانشاء جامعتى أسيوط و إبراهيم (عين شمس الآن) .

و نشر طه حسين كتابه « مع المتنبى » فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣٧ و قد أظهر الأستاذ محمود محمد شاكر فيما بعد فى دراسته الكبيرة : « المتنبى » (القاهرة ١٩٧٧) أن طه حسين سرق مادة كتابه هذا من كتابين حول الموضوع أحدهما للشاعر المعروف الدكتور عبد الوهاب عزام ، و الآخر للمستشرق بلاشير ، كما استفاد طه حسين من بحث للاستاذ شاكر نفسه كان نشره فى عدد خاص من مجلة المقتطف فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣٦ ، و كان الأستاذ شاكر سباقاً إلى الاشارة إلى هذه السرقة الأدبية عبر ١٢ مقالا نشرهما بمجلة البلاغ القاهرية خلال فبراير (شباط) مايو (أيار) ١٩٣٧ .

و يعلق الأستاذ شاكر أن طه حسين :

« كان يسن سنة متلفة مفسدة للحياة الأدبية و الحياة العقلية والحياة النفسية فى الجيل البائس الذى أنا منه بسطوة سطواً عرياناً على مقالة الأعجمى المستشرق مرجيلوث (عن الشعر الجاهلى) ثم بسطوه على آخرين لم أذكرهم ، سطواً متلفماً بالتذاكى و الاستعلاء و العجب » (ص : ٢٢) .

و كان أهم عمل أصدره طه حسين هو كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » وقد نشر هذا الكتاب سنة ١٩٣٨ حين كانت قضية الثقافة الشغل الشاغل للمثقفين

المصريين فى أعقاب المعاهدة البريطانية المصرية سنة ١٩٣٦ ، التى ضمنت استقلال مصر ، والكتاب كما يقول طه حسين فى مقدمته ، يهدف إلى « أن يرسم للناس سبيل النهضة التعليمية فى عهد نهضتنا و استقلالها » (ص : ٢٠) و كان هذا الكتاب أهم من كتاب سلامة موسى « اليوم و الغد » ، لأن طــه حسين على عكس الآخرين من أدعياء العلمنة والتغريب ، كان فى موقف يسمح له بالتأثير فى مستقبل التعليم فى مصر كأستاذ جامعى و عميد و مدير جامعة و مستشار بوزارة المعارف ثم وزيراً لهذه الوزارة فى آخر وزارة وفدية سنة ١٩٥١ قبيل الانقلاب الذى قاده جمال عبد الناصر .

و الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى بجامعــة الاسكندرية فى كتابه « الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر » (١٩٥٤–١٩٥٦) قد لخص لنا أهم الوصول التى يحتوى عليها كتاب طه حسين :

١ ـ الدعوة إلى حمل مصر على الحضارة الغربية و طبعها بها و قطع ما يربطها بقديمها و إسلامها .

٢ ـ الدعوة إلى إقامة الوطنية و شؤون الحكم على أساس مدنى لا دخل فيــه للدين ، أو بعبارة أصرح : دفع مصر إلى طريق ينتهى بها إلى أن تصبح حكومتها لا دينية .

٣ ـ الدعوة إلى إخضاع اللغة العربية لسنة التطور ودفعها إلى طريق ينتهى باللغة الفصحى التى نزل بها القرآن إلى أن تصبح لغة دينية فحسب كالسريانيــة و القبطية و اللاتينية و اليونانية (ص : ٣٠ ، ٣١) .

و يرى طه حسين فى كتابه هذا أن السبيل الوحيد للتقدم و النهوض هو محاكاة الأوروبيين و تبنى كل ما هو أوروبى تبنياً كاملا ، المحمود منها و المكروه

على حد سواء ، و يطرح الدكتور طه حسين بطريقة مسرحية التساؤل الآتى فى ثانى فقرة من كتابه ، « أمصر من الشرق أم من الغرب » ؟ ثم ينطلق ليثبت أن العقل المصرى ليس شرقياً ، بل هو عقل صاغته مؤثرات البحر الأبيض المتوسط و يقول : إن مصر احتفظت بشخصيتها المستقلة حتى فى ظل الاسلام و يقول موجهاً كلامه للمصريين :

« و لا ينبغى أن يفهم المصرى أن الكلمة التى قالها (الخديوى) اسماعيل و جعل بها مصر جزءاً من أوربا قد كانت فناً من فنون التمدح و لوناً من ألوان المفاخرة ، و إنما كانت مصر دائماً جزءاً من أوروبا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية و الثقافية على اختلاف فروعها و أنواعها » (ص : ٣٤) .

و يشن طه حسين هجوماً قوياً على الأزهر فى هذا الكتاب ، و هو يرى أن استمراره « صراع بين القديم والجديد » ، وهو يدعو إلى إنهاء إشراف الأزهر (آنذاك) على التعليم الابتدائى فى أنحاء البلاد و إدخال « التعليم الحديث » إلى كل المدارس .

و يضايقه « المفهوم الاسلامى » للوطنية ذلك المفهوم الذى يرسخه الأزهر فى أدمغة تلاميذه وهو يرى أن الأزهر لا يصلح حتى لرعاية اللغة العربية ويقول : « إننا انتهينا إلى عصر يجب أن تكسد فيه سوق التجارة باتهام الناس بالخروج من الدين » (ص : ١٢٥) .

و لم يجد طه حسين الجرأة الكافية حينذاك ليدعو إلى إلغاء الأزهر نفسه ، إلا أنه يدعو إلى خطة تهدف إلى تحجيم الأزهر فيدعو إلى إنشاء « معهد الدراسات الاسلامية » بكلية الآداب بالجامعة المصرية لينافس الأزهر فيقول :

« وليس من شك فى أن طبيعة الحياة المصرية تقتضى أن تعنى كلية الآداب

عناية خاصة بالدراسات الاسلامية على نحو علمى صحيح، لأن كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوروبية ، وهى تعرف جهود المستشرقين فى الدراسات الاسلامية» (ص : ٣٧) .

و طه حسين مستاء من « القداسة » التى يضفيها رجال الدين على اللغـــة العربية بينما هو يريدها لغة وطنية أولا و قبل كل شئ فتكون « ملكا لنا نتصرف فيها كما نشاء » (ص : ٣٨) و هو يريد تطوير اللغة العربية «حتى يصبح الفرق بين لغة الكتابة و الأدب و بين لغة القرآن مثل الفرق بين الفرنسية و اللاتينية» (ص : ٣٧) وكان طه حسين قد كتب فى تقرير قدمه إلى نجيب الهلالى حين كان هذا الأخير وزيراً للمعارف سنة ١٩٣٥ قائلا : « إن الأمر يقتضى إحداث ثورة عنيفة على القديم و تغيير العلوم اللغوية و الأدبيـــة فجأة و فى شئ يشبه الطفرة » (ص : ٣٧) .

و كان طه حسين من أشد المعارضين للازهر و كلية دار العلوم و المدرسة العليا للعلمين ، فكان يرى فى هذه المؤسسات معـاقل « للقديم » . . و قد ضمت كلية دار العلوم إلى الجامعة المصرية نتيجة جهود طه حسين ، كما تم إلغاء المدرسة العليا للعلمين ، و نتيجة لهذا أصبحت كلية الآداب بالجامـعة المصرية أكبر مصدر للمدرسين (ص : ٧٠) و كان حفظ القرآن إجبارياً فى الأزهر و كلية دار العلوم الأمر الذى يراه طه حسين « منتهى التخلف » (ص : ١٥٠) و استبدل طه حسين حفظ القرآن بتدريس اللغة اللاتينية فى كلية الآداب حين كان عميداً لها، وحين وصل عبد الناصر إلى سدة الحكم سنة ١٩٥٢ عقب الانقلاب العسكرى فى يوليو (تموز) من تلك السنة قام بالغاء المحاكم الشرعية، ولا ننسى أن عبد الناصر و رفاقه كانوا نتاج التعليم « الحديث » ، وتشجع طه حسين فنشر سلسلة مقالات

صحفية بعنوان : « الخطوة الثانية » ، فى أعقاب إلغاء المحاكم الشرعية يطالب بالغاء الأزهر ، و كانت هذه خطوة كبيرة لعبد الناصر فلم يقدم على إلغاء الأزهر إلا أنه حصل على النتيجة ذاتها باخضاع الأزهر « للتطوير » سنة ١٩٦١ الذى أصاب مناهج الأزهر الدراسية الأزهرية عن إشراف شيخ الأزهر .

و تمكن طه حسين و زملاؤه و تلاميـــذه فى نهاية الأمر من إخضـاع التعليم المصرى للأطر الغربية العلمانية فنجد أن الكتاب الدراسى « المجمل » المقرر على طلاب الثانوية يحوى كل ما أراد طه حسين تعليمه حول تطوير العربيـــة وكان كثيرون من الناس ينادونه بخليفة (القسيس) دنلوب الذى وضع أساس التعليم العلمانى فى مصر خلال عهد اللورد كرومر ، فكانوا يقولون « انتهى عهـد دنلوب و بدأ عهد طه حسين » (ص : ٧٢) .

و ينادى طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة » بتدريس اللغتين اللاتينية و اليونانية فى المدارس المصرية «ضماناً لمساوقة الغرب و السير معه فى اتجاه واحد» (ص : ١١٨) و يتجاهل طـه حسين فى تخطيطه لثقافة مصر ماضيهـا القريب (الاسلامى) و لا يريد لها إلا أن تكون استمراراً لماضيها البعيد (الفرعونى) و حاضرها القريب و هو الاتجاه الحرفى التفكير (ص : ١٢٠) ولا بد مـــن رفض الاسلام فى العصر الحديث .

« الدين الاسلامى يجب أن يعلم فقط كجزء من التاريخ القومى ، لا كدين إلهى منزل بين الشرائع للبشر فالقوانين الدينية لم تعد تصلح فى الحضارة الحديثـة كأساس للأخلاق و الأحكام و لذلك لا يجوز أن يبقى الاسلام فى صميم الحياة السياسية أو أن يتخذ كمنطلق لتجديد الأمة ، فالأمة تتجدد بمعزل عـــن الدين (ص : ٨٥) .

و أنشأ طه حسين مجلة « الكاتب المصرى » لتوطيد العلاقات بين الحضارة الغربية والعالم العربى ، طبقاً لقول زوجته ما دام سوزان فى مذكراتها (ص : ١٦١) و كان طه حسين كرئيس لمجمع اللغة العربية ، فقد فتح أبوابه على مصاريعها للمستشرقين تماماً كما كان أبوه الروحى لطفى السيد فتح لهم أبواب الجامعة المصرية الأهلية و غنى عن البيان أن عضوية بمجمع اللغة العربية و التدريس بجامعة مصرية يسبغان الاحترام و القبول على المستشرقين .

و كان طه حسين يعيش حياته الخاصة تماماً كما كان ينادى فى حياته العامة فكانت الفرنسية هى لغة الحديث داخل بيته و كان قد سمى ابنه بـ « كلود » وابنته بـ « مرغوبيت » . . . و كان مساعده الشخصى المسيحى فريد شحاتة معاراً له من قبل اليسوعيين فى القاهرة (ص ١٠٠) ، و كان طه حسين يمضى صيفه كل سنة فى باريس برفقة أسرته و يزعم شحاتة الذى كان مساعده الشخصى لمدة ٤٠ سنة : أن طه حسين اعتنق النصرانية لكى يتزوج من سوزان عند ما كان يدرس فى باريس (ص : ١٤٢) و لا تنكر مدام سوزان هـذا الزعم و لا تؤكده تماماً كما ظل زوجها يلتزم الصمت إزاء هذه القضية طيلة حياته ، ولكنها تتحدث فى مذكراتها عن زواجها من هذا الشاب المصرى الأعمى بأنه كان « رسالة » وتمت مراسم الزواج فى كنيسة قروية على يدى قسيس كاثوليكى .

و مذكرات مدام سوزان مليئة بذكر القسيسين و الكرادلة و المستشرقين الذين كانوا يزورون طه حسين و يزورهم ، ولكن لا ذكر فى هذه المذكرات لمسجد ولو مرة واحدة لقد عاشت هذه السيدة الفرنسية ٦٠ سنة فى مصر و لكنها لم تتعلم العربية إنها تتحدث عن كل أنواع الموسيقى الغربية والأوبيرات والمسرحيات الفرنسية ، إلا أن كتابها صامت عن أى ذكر لسيد درويش أو أم كلثوم أو محمد عبد الوهاب وتقول مدام سوزان فى مذكراتها أن طه حسين ذكر لها ذات مرة، بكثير من التهكم وقائع إحدى جلسات الجمعية الملكية للدراسات التاريخية : « يجب

الاهتمام حصراً بمصر الاسلامية ! أما ما تبقى من العالم فلا يهمنا ! لا تهمنا مصر الفرعونية و الهللينية أو الرومانية ! هل نحن مستقلون؟ ! نعم أم لا ؟ » ، وتضيف مدام سوزان : « و كنت أثور غضباً » . . (ص : ١٦١ ، ١٦٢) وهذا يذكرني بتجربة شخصية مررت بها سنة ١٩٦٩ حين كنت أدرس بالقاهرة و كنت أزور كاتباً مصرياً يمكن اعتباره خليفة طه حسين أو على الأقل أحد أهم رجال الفريق الذي تركه طه حسين خلفه ، و هذا الكاتب هو الآخر متزوج من سيدة فرنسية و بعد أن قدمت لنا القهوه ، سألتني هذه السيدة عما كنت أفعله في مصر ، فقلت لها : إنى أدرس بكلية دار العلوم فقالت لى بلغتها الانجليزية الركيكة : « لماذا ؟ إذهب إلى أوكسفورد إذهب إلى كمبردج » فسألتها : لم لا تنصحينني بالذهاب إلى السوربون ؟ فقالت : « كيف لى أن أقول ذلك ! ففرنسا هي بلدى » .

و ظل طه حسين طوال عمره متشبثاً بشخصيات قوية تحميه من أمثال لطفى السيد وعبد الخالق ثروت (الذى تولى رئاسة الوزارة مرتين فى العشرينات والذى أهدى إليه طه حسين كتابه « فى الشعر الجاهلي ») و ظل طه حسين متشبثاً حتى بالملكين فؤاد و فاروق ثم حاول بعد انقلاب عبد الناصر أن يثبت أنه كان من أعداء الملكية ! و كان طه حسين قبل سفره إلى أوروبا من مؤيدى حزب الأمة الذى أنشأه اللورد كرومر و الذى كان معادياً لفكرة الوحدة الاسلامية أو العربية و كان يسعى للوصول إلى تفاهم مع الاحتلال الانكليزى .

و انضم طه حسين إلى حزب آخر موال للانكليز ، هو حزب الأحرار الدستوريين بعـــد عودته من فرنسا إلى مصر ، و أصبح من الكتاب المواظبين بجريدة هذا الحزب « السياسة » والتى كان كبار الاقطاعيين قد أنشأوها سنة ١٩٢٢ و ظل طه حسين يكتب فى هذه الصحيفة مدة طويلة يهاجم بشدة سعد زغلول الذى كان يطالب بالاستقلال الكامل و لكنه ترك هذه الصحيفة حين غير محمد حسين هيكل سياستها التحريرية سنة ١٩٣٢ ، و الآن انضم طه حسين إلى حزب

« الاتحاد » الذى كان أنصار الملك فؤاد قد أنشأوه ، و بدأ يكتب فى صحيفة هذا الحزب (الاتحاد) و كان يهاجم سعد زغلول وخليفته النحاس باشا ، و عاد طه حسين إلى أحضان حزبه القديم لبعض الوقت فى منتصف الثلاثينات إلى أن سقط فى حضن حزب الوفد لسعد زغلول و مصطفى النحاس نفس ذلك الحزب الذى يهاجمه لنحو ١٥ سنة ، وكان طه حسين عندها من كبار كتاب جريدة « الكوكب » الوفدية يدبج القصائد عن فضائل حزبه الجديد و زعمائه !

وسرعان ما صعد نجم طه حسين فى ظل حزبه الجديد ، وتنقل فى مناصب عديدة إلى أن أصبح وزير المعارف فى آخر وزارة وفـــدية قبيل انقلاب يوليو (تموز) ١٩٥٢ ، والآن وضع طه حسين يده فى أيدى الحكام الجدد ، و ساهم مع العقيد صلاح سالم فى إنشاء صحيفة النظام الجديد « الشعب » التى اندمجت فيما بعد فى صحيفة «الجمهورية» و لم يحصل طه حسين على مناصب هامة فى ظل النظام الجديد ، إلا أن أفكاره نفذت بقوة ، و ظل طه حسين فى منصبه كرئيس لمجمع اللغة العربية وظلت أجهزة الاعلام الرسمية تشير إليه بلقب «عميد الأدب العربى» .

و ابتكر طه حسين عهداً جديداً من القهر الايديولوجى الذى يسميه منتقدوه بـ « الارهاب الثقافى » و وضع طه حسين مصطلحات جديدة مثل « القديم » و«الجديد» ، و«التقليد» و«التجديد» ، و«التخلف» و«التقدم» ، و «الجمود» و«التحرر» ، و «ثقافة الماضى» و «ثقافة العصر» الخ . . وقد استخدم هو و أتباعه مجموعة من هذه المصطلحات سياطاً لضرب الذين رفضوا الاستسلام له ، بينما استخدموا المجموعة الأخرى لحث و تخويف من أطاع و أبى على حد قول الأستاذ شاكر .

وكما يقول الأستاذ أنور الجندى ، رفض كل معاصرى ومرافقى طه حسين طريق التغريب فى نهاية الأمر من أمثال منصور فهمى و زكى مبارك و إسماعيل مظهر ومحمد حسين هيكل ، وبقى طه حسين «وحده يدافع عن التغريب والاستشراق و التبعية الثقافية لأوروبا حتى اللحظات الأخيرة من حياته» (ص : ٧٤) .

الأدب و الاسلام

فى ميزان الواقع و التاريخ

—(٢)—

سعيد الأعظمى الندوى

تقليد الأدب الاسلامى :

أعتقد أن هذه العناصر التركيبية للادب الاسلامى إنما هى من معطيات تلك النظرية ، و اضطرت جميع الآداب العالمية إلى أن تقلد الأدب الاسلامى على اختلاف حجمها ، و لا يكاد يتوصل أى أدب إلى النجاح و يفوز بالهدف بالاستغناء عن هذه العناصر ، ذلك لأن الأدب مع خصائصه الأدبية ولونه الفنى لا يمكنه أن يتخلى عن هذا التركيب الأساسى ، فالذين ينادون بهتاف « الأدب للادب » هم أيضاً يعتبرون هذه العناصر من مكونات أدبهم ، أياً كان هدفهم وراء ذلك عاجلا أو طارئاً . فقد تأكد لديهم أنه لا بد لهم من محاكاة العناصر التركيبية للادب الاسلامى فيما إذا أرادوا أن يقدموه كأدب ، ويدعى ذلك أدباً ، و إن كانوا يعبرون عن تصور الطهر و النزاهة و روح الموضوعية فى هذه العناصر بالرجعية و الجمود الفكرى .

إن كل ما ظهر من الاتجاهات الأدبية نتيجة للحياة المادية للغرب والحضارة المادية فهى مقتبسة أساسياً من نظرية الأدب الاسلامى ، و الفرق بينهما أنها ركزت أحياناً على نقطـــة الجنس و الجمال ، و تارة ألبست العواطف و المشاعر زى الحسن والجمال وسميت باسم الأدب ، وأحياناً رفض وجود الله تعالى و الآخرة ومنح الفلسفه و العقل طلاوة الأدب ، و اعتبر الانسان حيوانا وجودياً محضاً ،

ثم وجهت إليه بكل صراحة و وضوح الدعوة إلى الترف والاستمتاع بنعيم الحياة و زخارفها (إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) .

قضية التقيد و الالتزام فى الأدب الاسلامى :

الأدب الاسلامى : يقوم على أسس و ركائز إسلامية خالصة ، وكما ذكرنا سالفاً أن تصور الأدب الفنى إنما هو عطاء التعاليم الاسلامية وهو ينبع من منبع الرشد و الهداية للكتاب و السنة ، الأدب كلمة عربية ، و استعمل الأدب فى معناه اللغوى قبل الاسلام كذلك ، ولكن لما ظهر الاسلام ، علم الانسان آداب العيش و أساليب الحياة و أخضع له جميع أجزائها و جوانبها ، و كذلك قام بالتعبير عن الحياة و الكون و الانسان بغاية من الوضوح و البراعة فى أسلوب جميل رائع جدا ، وحدد موقع كل منها وعين وظيفته و مكانته ، وقد كان كل ذلك فى أسلوب يستوفى جميع شروط الجودة و الكمال الفنى و الجمالى ، وكانت عناصرها التركيبية بالغة مبلغ الكمال فى الاتزان و الاتساق من كل ناحيـــة ، لذلك فانه نموذج عال للادب الفنى ، و يقوم على أساسه بناء الأدب الجميل .

و من هنا فان الأدب الاسلامى مبدأ لجميع آداب العالم ولم يكن قبل ظهور الأدب الاسلامى أى تصور لأى كلمة ترادف الأدب فضلا عن أن يكون تصور الأدب سائداً عاماً آنذاك . و كان الأدب اليونانى والرومانى يعرفان باسم : الثقافة أو الفنون الجميلة (Culture and Fine Arts) إلى أن طلعت شمس الاسلام النيرة و وزعت خيراتها من الآداب العالية الرفيعة الغالية ، و من هنالك عمت الكلمات و المصطلحات التى ترادف و تقارب الأدب معنى فى جميع لغات العالم ، ففى الانجليزية و الفرنسية عمت كلمـــة لتريشر (Literature) بعد اكتشاف الأدب الاسلامى ، وهى فى الواقع كلمة لاطينية اشتقت من Lita اللاطينية ، و كذلك دخلت الكلمات التى تحمل وتعطى معنى الأدب فى اللغة الألمانية و الروسيـــة وسائر اللغات الأخرى .

و بعد هذا القدر الموجز من التفصيل لا نشعر بأى صعوبة فى التصريح بأن الأدب الاسلامى بذاته أدب ملتزم ، قائم على أساس من القيم الخلقيـــة ومتقيد بها ، بل و إن كلمة الأدب ذاتها لا تستثنى من هذه القاعدة ، ولكن المحاولات لا تزال تبذل من قبل القوى المضادة للاسلام والشعوب المادية للقضاء على التصور الحقيقى للحياة و الكون و الانسان و الحط من مكانتها و مفهومها السامى . . . . . . و كذلك بذلت جهود لفصل الأدب عن مفهومـــه الطبيعى الصحيح وقطع صلته المتوطدة المباشرة عن الاسلام بعد اعتباره نظرة إنسانية عامه ، وفصله عن الروح الاسلامية تحت ستار المصطلح البراق الجميل لفلسفـــة الأدب حتى عاد الأدب مصطلحاً مشوهاً مشبوهاً ، حصره عامة الناس فى متعة اللسان و حلاوة البيان و ظنوه مجرد أداة تسلية و آلة طرب حتى بقى الأدب فى الأوساط الدينية للمسلمين فناً زائداً و طائلا ، و الذين كانوا يشتغلون به بدأ الناس يتصورونهم أقرب إلى الدنيا منهم إلى الدين .

كان من أكبر نجاح الفنانين الغربيين أنهم أدخلوا فى أذهان المسلمين هذا المفهوم الخاطئ للادب ، و أكدوا لديهم أنه فن وجد لمجرد اكتساب الجاه وحسن السمعة من زخارف الدنيا وعرضها منعزلا عن الدين ، و لترسيخ جذور هذا المفهوم الخاطئ قسموا الأدب فى الاتجاهات المادية المختلفة وشكلوا الأدب النقدى كفلسفة مستقلة . و وضعوا له مقومات وضوابط مفترضة و سحروا بها أعين الناس من الطبقة المثقفة ، ثم نشأت مدارس مختلفة للادب والنقد ، بعزل المفهوم الاسلامى عنها حتى أصبح الأدب الاسلامى أمراً غريباً داعياً إلى العجب والضحك ، وأصبح انتماؤه إلى الاسلام جريمة لا تغتفر ، و يمكننا أن نقدر ما أنشأه أهل الغرب من المذاهب المادية و ما حققوه من ممارسات و محاولات لدعم هذا التصور للادب و نشره

و تعميمه ، أنه تم حتى الآن إنشاء مدارس و مذاهب و حركات مختلفة كثيرة للادب ولا تزال وجهات النظر الفلسفية تضيف إلى قائمتها. وتتولى إشاعة الفاحشة والضلالة و إنكار القيم الدينية باسم الأدب، وتستمر المحاولات الحثيثة للتأكيد على أن الحياة والكون إنما هما مجرد وسيلة للاستمتاع بملذات الحياة الدنيا وزخارفها.

إن فلاسفة الأدب يقسمون الأدب إلى قسمين فى عامة الأحوال، تشبيهى وتمثيلى، فالأدب الذى لا يهدف إلا إلى الأدب يدعى بالأدب التجريدى أيضاً، و القسم الثانى أدب الأحداث ، و هذا الصنف من الأدب يقوم بمهمة التعبير و التفسير عن حقائق الحياة و أحداثها ، ويعرف هذا الصنف بالأدب التجسيدى ، و لكنه لا يتخطى حدود العالم المادى ، و لا يتناول الأحداث و الوقائع التى ترتفع عن حواس الانسان ولا يستطيع إدراكها ، والواقع أن الأدب التجريدى ليس إلا فكرة موهومة ، وليس هناك ما يبرر بقاءه فى عالم الواقع ، ولذلك تقوم أكثر الاتجاهات و المذاهب الأدبية على أساس الأحداث المحسوسة و المادية .

المذهب الكلاسيكى :

إن كلمة كلاسيكل Classical معناها فى اللغة : العالى الرفيع يقول H. L. Lucus إن هذه الكلمة مأخوذة من كلاسس Classes اللاطينية التى تحمل معنى الازدحام ، و كانت تستخدم فى عهد الامبراطور لرومانى توليس King Tulius للطليعة المرصعة الجيدة من الكتيبة ، و فى القرن السابع للميلاد استعملت الكلمة للادباء الفحول و الكبار ، و فى نفس الوقت استخدموا «كلاسيس» للمؤلفات اليونانية ، و بدأت الكتب التى ألفت فى اللاطينية تعتبر أدبا رفيعاً ، و عرف فيما بعد بالأدب الكلاسيكى ، فاطلق هذا المصطلح من مفهومه الضيق و عم استعماله للنماذج العالية الرفيعة للادب ، وبذلت الممارسات لتفضيل ممثلى الأدب الكلاسيكى

على ممثلى الاتجاهات و المذاهب الأدبية الأخرى .

كان هذا الاتجاه الأدبي جديراً بالثناء و الاعتناء إلى حدما فى البداية ، فقد قام بدور بارز فى رفع مستوى الثقافة و إن كانت الرجعية توغلت فيه إلى حد التقديس ، حيث كان ممثلو الأدب الكلاسيكى يعتبرون معصومين عن الخطأ ، إنهم وضعوا من عند أنفسهم مقاييس للادب والفن ، و رفضوا كل أدب لا تتوافر فيه تلك الشروط المفروضة .

إن موضوع الأدب الكلاسيكى الذى يدور حوله هو الأدب اليونانى و الرومانى القديم ، فهو يتميز بالجمود و الرجعية ، و يعتبر الأمور المادية المحسوسة جديرة بالاعتناء و العمل و يرفض التصورات المعنوية و التى لا تدركها الحواس الظاهرة ، ولا يهتم بالشئون الحضارية و الثقافية ، و يعرض عن الأمور الطبيعية غير الثقافية ، الأدب الكلاسيكى يعتنى بالجمال الظاهر و اشكل الظاهر وحده ويهمل ما فى داخل الجسم و يتصوره أحرى بالاعراض وعدم الالتفات ، و من أهم و أردأ جوانبه أنه ليس فيه أى مجال للصدق و البساطة و التعبير عن الطبيعة و الفطرة ، و بكلمات أخرى : الأدب الكلاسيكى مرادف للتمة الفكرية و الكلفة و الصناعة و المبالغة ، و من أمثل و أقدم رجال هذا الاتجاه « هومير » و جليوس ، و هورس ، فكل شخص يكون قريباً من أدبهم ينال التقدير منهم و المكانة عندهم .

الأدب الرومانى :

كان الأدب الكلاسيكى يمثل معياراً غير طبعى ، و لذلك حاولت الأجيال القادمة رفضها و التمرد عليها ، فظهر فى بداية القرن التاسع عشر الأدب الرومانسى ،أدب التحرر والانطلاق كرد فعل له،وكان من هدفه الأول هو زعزعة جميع القيود العقلية القديمة التى فرضها الأدب الكلاسيكى والقضاء عليها ، و أن

يعتبر الأدب وسيلة للتعبير عن العواطف و الأفكار ، و يربط الأدب بالمبادىء و الضوابط الجديدة ، لكي يمضى الأديب فى عمله الفنى بكل حرية ويتمكن من التعبير عن العواطف بأسلوب جميل مؤثر رائع جداً ، و يقوم بنشاطاته الأدبية خروجاً عن جو الحضارة الضيق إلى بيئة الريف الطبيعية .

من ميزة هذا الأدب أنه يصور العواطف و الأفكار ، متحرراً عن قيود الشعر و الوجدان ومنسحباً عن عالم العمل ، وتوجد الروح الثورية سائدة على هذا الأدب ، و يتميز عما عداه من الآداب بالتفلت و التحرر الفكرى ، ذلك لأن محوره الخاص الذى يدور حوله هو عالم الخيـال ، و انطلاقاً من هذا الأساس فانه يبذل قوته الابداعية فى خضم التصورات المفروضة ، و من أبرز ممثلى هذا الاتجاه الأدبى روسو Rousseau ولامارتن Lamartine .

و كان الأدب الواقعى فى صورة الخضوع أمام الأحداث المحسوسة السائلة رد فعل لهذا الاتجاه الأدبى ، و على عكس الأدب الرومانسى ، فان أتباعه و زعماءه حاولوا البحث عن حقيقـة الكون و الحياة فى الأحداث المحسوسة و المادية على أساس التجربة و الاختبار .

الاتجاه الرمزى :

ظهر الاتجاه الرمزى فى الأدب و الشعر مع نهاية القرن التاسع عشر رداً على الأدب الواقعى ، و كما يبدو أن الأدب الرمزى كان يهدف إلى البحث عن الأسلوب الحديث فى الأدب و الشعر و لكنه فى الحقيقة كان رد فعل ضد شيوع الفكر العامى و تحكمه فى الشعر و الأدب ، و كان هـذا معارضاً لتصور الديموقراطية ، قام بها الطبقة المترفة ، فقد كثر الشعراء فى هذه الطبقة ممن حاولوا إدخال الموسيقى الصاخبة فى الأدب الشعرى باسم الرمزية وتطبيقها على حياتهم الخاصة

و مجتمعهم ، فالدنيا عندهم ليست إلا نغماً و جمالا ، ومجرد عشق ومتاع ، ولم يكن ليتوافر لهم ذلك إلا فى هذا النوع من الأدب و الشعر ، و من أهم رجال هذا المذهب فلاين Veline ومالارميه Mallarme و بودلير Boudlaire .

المذهب السريالى :

لكن الاتجاه الرمزى لم يحقق النجاح بسبب كيفيته و طبيعته الخاصة وتمثيله لطبقة محدودة ، وتجمعت ردود فعل أدت إلى ظهور المذهب السريالى فى الأدب الشعرى فى منتصف القرن العشرين ، فكان المذهب الرمزى وجهة نظر سيكولوجية بحتة ، يعنى كونه حقيقة أخرى غير الواقع ، الأدب الرمزى يهدف إلى التعبير عن الحقائق الكامنة فى اللاوعى وهو يمكن اللاوعى من التعبير عن المشاعر و الأفكار بدون أن يزاحمه أى وازع خلق وفنى ، و فى ١٩٢٤ أصدر اندرى برتيان قرار هذا الاتجاه الأدبى و أوضح فيه أن الأدب السريالى يرمى إلى إنشاء أدب جديد مع الانحراف التام عن جميع التقاليد الخلقية ، و لكن هذا الاتجاه لم يستطع أن يمتد إلى مدة مديدة لأجل معارضته الفطرة و الطبيعة .

المذهب الوجودى :

إن من أكبر الاتجاهات الأدبية وأكثره تأثيراً على الأدب الحديث هى الفلسفة الوجودية التى جذورها قديمة وعميقة جداً ، و لكنه جاء جان بول سارتر أخيراً فى منتصف القرن العشرين وخلع على الفلسفة الوجودية لباس الأدب ، و اعتبر الانسان و جوداً مستقلا بذاته ، ومنحـــه جميع أنواع التصرفات ، وقام بترويج اتجاه « الذاتية » المطلقة ، و فى القرن التاسع عشر حاول كيلجارد خلال أيضاحه علة الوجود الانسانى أن يضغط على أن الوجود الانسانى شئ مستقل بذاته ، فالانسان هو الذى خلق هذا الوجود و تمتع بتصرف فى كل عمل ، و بهذه الفلسفة الالحادية لم يتأثر الناس فكرياً فحسب بل انعكس ذاك كله على الأدب ، ولعل السبب فى ذلك هو الزمان الذى عم فيه هذا الاتجاه فانه كان عهد الصراع

الفكرى و الاضطراب الطبعى ، وحدث آنذاك فراغ ، كان لا بد من ملئه .

إن السبب الأكبر وراء شيوع الاتجاه الوجودى هو أنه أرخى الزمام لنزوات النفس و أهوائها بالاستغناء عن المثل الخلقية و الضمير الانسانى ، و ألغى تصور الاله بتاتاً فى الأذهان، وكذلك يرى النظام الخلق فانه لا يعنى الايمان به إلا أن يحدد حرية الانسان بالقيود الخلقية ، و يعتقد سارتر : بأنه لا وجود حقيقياً فى الانسان للانحدار الخلقى و الانحطاط بذاته ، و لكنها أمور نسبية نقضى بها بعد مشاهدة الآخرين ، فينبغى أن نوطد صلتنا بأنفسنا و نعتمد عليها دون أن نرى إلى الآخرين بل نعتقد الرؤية إلى الآخرين جريمة، وكذلك يرادف تقديس الآخرين و التقيد بأى أصل خلقى إضرار الحرية و الشخصية الذاتية .

إن هذه الوجهة للنظر للذهب الوجودى نتيجة الانزعاج و الثورة والفشل و التأسف و الازدراء و الكآبة و الألم و ثمرة الشعور بأن الانسان يعجز عن التعبير عن وجوده بوجه يتوخاه ، فالبيئة و الأحوال و المجتمع و تقاليد الأسرة و عاداتها هى التى تكون عرقلة وعقبة فى الطريق، فكان السبب الأكبر وراء هذا الاتجاه الذى حمله سارتر هو الشعور بالحرمان ، حيث تركت ويلات الحرب و آثار دمارها وفتكها تأثيراً بالغاً على فكره مما أداه إلى تقديم اتجاهه السلبى فى صورة « الوجودية » كرد فعل له، وإن رأيت بعين الواقع والبصيرة تجدها رد فعل لمركب النقص الهائل الذى وقع سارتر فريسته ، فانه عاش عاماً كاملا فى الزنزانات فى ألمانيا ، و فى هذه الفترة ثارت فى ذهنه و فكره عاصفة الثورة و الازدراء والفشل العنيفة ، حيث ركز جميع جهوده على بث مثل هذا الاتجاه المنهار الأساس الذى ينبعث فى جو من الشعور بالفراغ ، ولعب دوراً هاماً فى تحرير الالحاد و اللاخلاقية و الحياة كلها من كل نوع من القيود الانسانية و الخلقية باسم الأدب الوجودى .

و من أبرز حملة لواء هذا الاتجاه و أجدرهم بالذكر المفكر الفرنسى فى القرن التاسع عشر مارسيل Marcel وجان بول سارتر ، و ألبركامو ، و اندريه جيد ،

و هيدجز، مارسيل و إن كان معتدلا إلى حدما فى أفكاره حيث كان لا يرفض المثل الخلقية و الانسانية أمام الآخرين، و لكنه ينتهى كذلك فى نهاية المطاف إلى منطلق من الالحاد و الحرمان، فانه قام بدور عظيم فى تلويث الوجود الانسانى بالأقذار و الجرائم الخلقية.

المذهب البرناسى :

و فى القرن التاسع عشر جاء الشاعران الفرنسيان ليكونت وى ليسلى وتيوفل جويتر ونزلا فى الميدان ضد الاتجاه الرومانسى والرمزى، و أنشاءا اتجاهاً جديداً للادب باسم الأدب البرناسى، فى الواقع كان هذا الاتجاه رد فعل ضد العاطفية التى دخلت فى الأدب.

كان أهل اليونان اتخذوا أصنافاً شتى من الآلهة الباطلة، و كان من بينهم شاعر يؤمن باله له كان اسمه أبولو Apollo و كان يعتقد أن إلهه فى فن الشعر يسكن فوق جبل برناس Parnass و من هذا المنطلق فان الشعراء الماديين الغربيين للقرن التاسع عشر سموا شعرهم بالبرناسية Parnassism لأجل إعطائه لون القدسية الفنية إنتماءاً إلى ذلك الجبل و عرضوه على الناس كاتجاه أدبى مستقل.

و خلاصة هذا الاتجاه أنه ليس الأدب و الشعر إلا مجرد أداة تسلية وآلة طرب، وهما لا يرميان إلى هدف بناء، و قد نودى هذا الاتجاه بـ « الأدب للادب » وسماه بعض الناس بالمذهب الأدبى لـ « أبولو » ويسمى أيضاً بالأدب البرناسى.

إننا ذكرنا جزءاً من الاتجاهات و المذاهب المادية حول الأدب، و لكنه يوجد الآن عدا ذلك كثير من النظرات و المذاهب الأدبية، وهى لا تزال فى ازدياد دائم واتساع مستمر، فنلاحظ أن هذه المحاولات التى تبذل باسم الأدب إنما هى مؤامرة مكثفة للقضاء على الأدب و القيم التى جاء بها الاسلام، لكن الأدباء المسلمين و المفكرين لا يتفطنون لها بل يقعون هم أنفسهم فريسة لهذه المؤامرات، و يقدمون مساعدة غالية فى إنجاح هذ المحاولات الهدامة.

إخـــاء

الأستاذ محى الدين عطية
الكويت

أ تدرى أين سكناه
أخوك ، و أين مسماه
و هل عيناك تفلته
إذا فاتتك عيناه
أخوك يعيش كالتاريـ
ـخ ... فى جنبيك مسراه
بلا لغة ، تصافحه
و تدمع حين تلقاه
كأن النهر مفطور
على تقبيل مجراه
لئن ضاقت به الدنيا
فصدرك أنت مأواه
و تسخو دونما من
تخفف عنه بلواه
و ترفع دونه حملا
إذا كلت ذراعاه
و تسدل حوله ستراً
إذا الشيطان أغواه
ترى أخراك مثمرة
فقد أخصبت دنياه

الشيخ رحمة الله الكيرانوى ،
جهوده العلمية و جهاده ضد حركة التنصير
—(٢)—

فضيلة الشيخ برهان الدين السنبهلى
رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة و أصول الدين ، جامعة ندوة العلماء

رحمة الله فى بيت الله :

يكفينا لمعرفة وصول الشيخ رحمة الله إلى بيت الله و نشاطاته التى قام بها هناك ما كتبه الشيخ محمد سليم ، وهو حفيد الشيخ الكيرانوى الذى ساعده فى تحقيق أهدافه الدعوية .

وصل هذا المجاهد فى الله متجشماً كل ما لاقاه من آلام السفر الطويل ومتاعبه ، إلى مركز الاسلام ، لكى يتمكن من خدمة الاسلام فى ظل الكعبة المقدسة ، و قد توجه معظم أعضاء هذه الجماعة العملية إلى مكة المكرمة ، و كان الحاج إمداد الله قد وصل إليها قبل وصول الشيخ الكيرانوى بقليل . و كان اللقاء بينهما فى المطاف ، و كان السيد أحمد دحلان رئيس علماء مكة - فى ذلك الزمان - له حلقة درس فى المسجد الحرام يقصدها أعيان المدينة وعامة الخلق ، فاستعرض الشيخ الكيرانوى الظروف ، و اتصل بعلماء الحرم المكى الشريف ، و قد عرفه الشيخ أحمد دحلان فى مجلس على عام ، فسأله عن حاله وما صادفه من الظروف فأعرب عنه الشيخ بايجاز ، ثم دعا الشيخ دحلان من غد إلى منزله ، فذكر له الكيرانوى كل ما وقع من المحاولات الدينية الجليلة و الظروف القاسية و نجاح المسلمين البارز فى مقاومة النصارى ، والظروف القاسية بعد ثورة ١٩٥٧م بتفاصيلها الضرورية ، فأبدى الشيخ دحلان عن سروره ، و أذن له أن يدرس رسمياً فى المسجد الحرام .

دعوة السلطان :

ذكرت فى بداية المقال أن القسيس « فندر » اضطر إلى مغادرة الهند بعد الانهزامات المتتالية فى المجادلة مع الشيخ الكيرانوى، إلا أنه أراد أن يتخذ تركية مركزاً لجهوده و نشاطاته التبشيرية ، فادعى هناك - كذباً و مراءاً - أنه قدم تركية بعد ما هزم علماء الهند ، و تركهم خلفه منهزمين فى المجادلات ، فأرسل السلطان إلى شريف مكة أن يتساءل الحجاج الهنديين عن واقع هذه المجادلات ، ثم يخبره بأمرها ، فأمر الشريف الشيخ دحلان أن يعرف هذا الأمر بكل تفاصيله ، ثم ينبئه بما علم ، و لأجل أن اشيخ دحلان كان قد تعرف إلى الشيخ الكيرانوى وعرف شخصيته فى أول حديثه بذكر المجادلات مع المسيحين و تأثر به كذلك ، فقال له دون أى تردد إن العالم الذى جادله القسيس هو موجود الآن هناك ، فكان ذلك مناسبة لسفر الشيخ الكيرانوى إلى تركيـة ، فذهب إلى تركية سنة ١٢٨٠هـ الموافق ١٨٦٤م ، مكرماً بدعوة من السلطان ، فما أن بلغ القسيس نبأ قدوم الكيرانوى تركية ، حتى اختفى من القسطنطنية ، وألف الشيخ كتابه : « اظهار الحق » على طلب من السلطان، وهو كتاب أحدث ضجة و ضجيجاً فى العالم المسيحى (و قد عرفناه فيما سبق) و ذهب الكيرانوى مرة أو مرتين غير الأولى إلى تركية على دعوة وجهها السلطان إليه ، و أكرمه بخلعة التكريم وسيف مرصع ، ثم ودعه .

الشكيمة و الأنفة :

هذا الكتاب و إن كان ألفه الشيخ على طلب من السلطان ، إلا أنه لم يذكر حتى اسم السلطان فى مقدمته ، فضلا عن خلعة التكريم و غيرها ، فأشار إليه بعض حاشية السطان فأجابه الشيخ قائلا : لا ينبغى أن تتطرق شائبــة من شوائب المصالح الدنيوية فى هذه الخدمة الخالصة للدين .

نشاطاته التعليمية فی أرض الحرم :

إن أرض الحرم - و إن لم تكن تخلو من العلماء الكبار و أصحاب الفتيا ، و المتخصصين فی الفنون فی زمن الشيخ الكيرانوی ، وكانت حلقات التدريس نترامی هنا و هناك - إلا أن العجب ان مدارس الحرم لم تكن قررت مستوی دراسياً خاصاً ، ولا نظماً إدارياً يجمع الشمل ، و يهيئ مرافقات الاقامة والطعام للطلبة ، فكانت نتيجتـــه صعوبة إقامة الطلبة الوافدين من الخارج لارتواء ظمأهم العلمی و وجود العراقيل فی سبيلهم ، أما إذا أحرز أحد بعض نجاح فی حل هذه المشكلة ، فلم يكن يقدر النجاح فی تكوين المؤهلات و الكفاءات العلمية و الأدبية المنشودة بحكم الأساليب التقليـــدية للتدريس و إن أقام طويلا وتحمل المشاق ، خاصه أولاد المهـاجرين الذين هاجروا من الهند إلى مكة ، كان ينقصهم جوانب مهمة من التعليم ، بل كان يرادف تعليمهـــم العدم و الفاقة فی غالب الأحيان ، فكيف لا يشعر بهذا النقص عالم ذو حساسية زائدة واهتمام بالغ لمثل هذه الأمور ، مثل الشيخ رحمة الله الكيرانوی .

تأسيس المدرسة الصولتية و تاكيد الصناعة مع العلم :

إن الاجرآت التی اتخذها الشيخ فی مكة نظراً إلی نظام التعليم و التربية ، يذكرها الشيخ محمد سليم حفيد الشيخ و أمين المدرسة الصولتية سابقاً : كان الشيخ الكيرانوی اول من شعر بحاجة أهل الحرم وطلبة العلوم الاسلامية فی مثل تلك الأوضاع ، وفكر فيها ، فظهرت فی ذهنه فكرة حكيمة ، وهی أن ترفع قواعـــد مدرسة سيدنا عبد الله بن عباس رضی الله عنه البادية فی أرض الحرم ، و يؤسس معهد للصناعة حتی يعرف الطلبة الصناعة و الأعمال اليدوية ، بالاضافة إلی اهتمام بالغ لقضايا تعليم أولاد المهاجرين و العرب و تربيتهم الدينية ، و حتی لا يكون أولاد المهـاجرين و أهل الحجاز كلا علی الناس بعدما يقعون فريسة للفقر و الافلاس بعد إكمال المرحلة الدراسية الابتدائية .

فاتفق أن تأسست مدرسة فى سنة ١٢٩٠هـ لتحقيق تلك الأهداف و الغايات المنشودة ، وبقيت المدرسة إلى مدة فى غرف من دار لرجل هندى ثرى ، ثم قيض الله من هيأ قطعة أرض و بناية للدرسة خاصة ، وهى السرية السيدة صولة النساء بيجوم، من كالكته، فانتقلت المدرسة إليها عام ١٢٩١هـ الموافق ١٨٧٤م وسميت باسم تلك المرأة الكريمة « المدرسة الصولتية » و الذين كانوا يهتمون بشئون المدرسة كان أكثرهم من المهاجرين الهنديين ، و تحولت هذه المدرسة عبر الأيام إلى أكبر مؤسسة علمية فى الحجاز حيث إنها تمتاز بمبانى مختلفة لسكن الطلاب ، و صفوف الدروس ، و المكتبة العامة ، و ما إلى ذلك مما يحتاج إليه فى المعاهد العلمية (وهى ميزة لم تكن تتصف بها أى مؤسسة عندئذ فى الحجاز).

المسجد الأثرى :

و اهتم الشيخ الكيرانوى ببناء مسجد فخم على حدة ، و ذلك من أنقاض مكتبة من فناء الحرم المكى الشريف ، و لا شك فانها كانت أكبر مدرسة فى الحجاز إلى الأيام المتأخرة ، و كان خريجوها يتولون مناصب جليلة مثل القاضى و الادارى و الأستاذ ، و صاحب الافتاء - و قد تلقى الشريف حسين بن على (عالم الحجاز) من هذه المدرسة ، مضت مدة أكثر من قرن منذ أن تأسست المدرسه، ومع ذلك لم ينقطع فضلها لبرهة من الزمن طيلة هذه الأيام على الرغم مما واجهته من الأزمات والمحن ، وعبرت المدرسة تلك المراحل بسلام باذن الله ، و بحسن قيام الذين تولوا إدارتها و تيقظهم وتصرهم للامور ، و من آيات فضل الله على مؤسسة أو جماعة أن يقيض لها فى كل زمن عصيب رجال مخلصون ، عالبو الهمة ، ينقذون سفينتها من ورطة الغرق إلى شاطئ النجاة باذن الله .

فاذا وضعنا المدرسة الصولتية على هذا المحك وجدناها فى أعلى ذروة من النجاح و الفلاح ، و ذلك لأن الذى أسسها و اهتم بشؤنها فى أيامه الأولى هو شخصية

عبقرية مثل الشيخ رحمة الله الكيرانوى ، ثم ابن أخيه الشيخ محمد سعيد ، ثم الشيخ محمد سليم ، و الذين قابلوا الشيخ محمد سليم و عرفوه ـ و يوجدون الآن ـ و تأثروا به و أعجبوا بخصائصه البارزة التى رفعت مكانتـــه و بالكفاءة العليا للامور الادارية ، و الفاعلية ، و الظرافة ، وحب العلم ، و المواساة و الاخاء الاسلامى عددهم كثير ، و قد ذكر الشيخ حميد الدين السنبهلى والدى فى وقائع سفره من أوصاف الشيخ محمد سليم ما صادفه ، والشيخ حميد الدين من أبناء المدرسة المبرزين و علماء المسلمين فى الهنـــد فذكر خلاصتـــه قائلا : كان مجلسه مجلس فضل يصيب منه كل من زاره ، يجتمع عنده أعيان المدينة ورجال من الأسر عالية ، و كان ملجئاً للرجال البارزين الذين كانوا يسافرون إليها من الهند . . . . . وكان الشيخ مثالا حياً للاخلاص و حسن السيرة و الأخلاق ، مجلسه مجلس الظرافة و الطراوة ، لا يرغب عنـــه الجليس ، بل لا يرتوى ظمأه ، و كان له طول باع فى العلوم و الفنون و أساليب التدريس و التربية ، و كانت المدرسة الصولتية نموذجاً مثالياً لمؤهلاته الادارية ، و هى التى لم ينقطع فضلها ، بـــل سارت على منهجها بحسن النظام رغم ما واجهته من أحرج الآونة و أقلقها ، وبالجملة إذا كانت المدرسة داراً للتدريس ، فلاشك أن مجلسه كان داراً للتهذيب » .

المدرسة الصولتية و مآثرها الخاصة :

كانت المدرسة الصولتية تجمع بين كل العلوم و الفنون التى كانت وقت ذاك مدروسة مقررة فى كل مدرسة دينية ، و كان الدرس النظامى رائجاً فيه أساسياً بشىء من الاصلاح و التغيير ، و الميزة التى تمتازبهـا هذه المدرسة هى تكوين المتخصصين فى القراءة و التجويد ، كان علماء الهند و قراؤها مفتضحين لأخطائهم فى قراءة القرآن الكريم ، فكان العرب يترددون فى أداء الصلاة خلفهم ، و بعث هذا الشعور القائمين على شئون المدرسة على أن يركزوا على

هذه النقطة، فكانت النتيجة أن المقتطفين من مائدتها لم يقتصروا بين العجم فحسب، بل اشتهر من بين العرب أنفسهم رجال تخرجوا من هذه المدرسة، و طارصيتهم فى العالم، و خاصة فان الهنديين الذين استفادوا منها، و استقوا من رحيقها المختوم، قاموا بنشر هذا الفن فى شبه القارة الهندية، حتى إن كل مقرىء فى الهند مدين بفضل المقرىء عبد اللطيف، والمقرى عبد الله المكى، و المقرىء عبد الرحمان المكى رحمهم الله، و هنا آخرون ممن سواهم قاموا بنشر هذا الفن فى شبه القارة الهندية مثل الشيخ أشرف على التهانوى، و الشيخ عبد الوحيد إله آبادى، و الشيخ ضياء الدين، و الشيخ عبد المالك لكهنؤى، و الشيخ المقرىء حميد الدين السنبهلى، رحمهم الله.

الأعمال الخيرية للمدرسة :

و قد اهتمت المدرسة من أيام الشيخ محمد سليم بخدمة الحجاج من شبه القارة الهندية وبنجلاديش بأشكال منوعة، وهو عمل زاد المدرسة قبولا وشهرة، بين الجماهير، و من ناحيـــة أخرى كلما ارباج الحجـاج فى ظلهـا دعوا الله مخلصين، لصالح المدرسة و القائمين على إدارتها، و هذا أمر يصعب تقديره، و خاصة فى هذا الزمان، و الواقع أن هذه المدرسة «رحمة» من الله لأولئك الحجاج الوافدين الغرباء، معظمهم أهل الأرياف، قليلو القرأة والكتابة، والشيخ محمد شميم ـ نجل الشيخ محمد سليم ـ الذى هو أمين المدرسة، ليس محتفظاً بما عهدته المدرسة من المثل العليا فحسب بل إنما يستزيد ذاك بصفة مستمرة. فجزاه الله أحسن الجزاء، وكل ذلك نابع من تلك الينبوع الذى يسميه التاريخ «رحمة الله الكيرانوى» و قد انتقل إلى جوار رحمه الله فى ٢٢ خلون من رمضان سنه ١٣٠٨هـ، ودفن فى جنة المعلاة بمكة المكرمة، رحمه الله رحمه واسعة، و أدخله فى فسيح جنانه

صور و أوضاع :

جمود أعــداء الجمود

واضح رشيد الندوى

تتغير المواقف اليوم بتغير الوضع وتطور المعرفة، فان التعرف على ما يحدث خارج البيئة المحدودة التى يعيش فيها الانسان، يدفع الانسان إلى محاسبة النفس، وإعادة النظر فى المواقف و المناهج التى يتبعها الانسان، لأنه يقارن بينه و بين ما يتبع غيره من منهج، و سلوك وتطور منهجه، و يعدله حسب معرفته، و لا يتمادى فيه، لأنه يعرف أن التمادى لا يسبب إلا مزيداً من العيب و التخلف، و لا يستطيع أن يدفن رأسه فى الرمال كما تفعله النعامة، لأن هذا العمل لا يجدى فى هذا العصر، فمن دفن رأسه فى الرمال، فان هناك رجالا يتحملون مهمة اخراجه من الرمال.

تغير الوضع كثيراً، و بدأ الانسان اليوم يعرف أكثر، و يقوم بتعديل موقفه فى ضوء تجربته، و معرفته و سلوكه مع الناس، و يشاهد هذه التحولات فى السياسة المعاصرة، و فى العقائد و النظرية، و حتى فى أكثر المجتمعات تقيداً كالمجتمع الاشتراكى الذى يتحول فيــه الأبطال إلى عصابة مجرمين، و البناة إلى هدامين، و لكن بعض المتعلمين و المثقفين فى هذا العصر، و ليس الجهلاء، يعيشون اليوم فى حالة الجمود الفكرى، و التقليد الأعمى و تقديس من اعتبروهم كباراً و أبطالا فى مرحلة من المراحل فلا يغيرون موقفهم و لا منهج حياتهم، كأن الساعة وقفت، أو كأنهم لا يزالون فى عهد الطفولة، الذى يثق فيه الطفل بكل ما يصدر ممن هو أكبر منه، و يؤمن به.

مثل هذه الحالة التقليدية العمياء و الجمود الفكرى لا توجد فى الطبقه التى توصف بالجامدين ، و الرجعيين ، و المقلدين ، و إنما توجد فى كبار العقلاء ، و الحداثيين و التقدميين ، من الصحفيين ، و السياسيين ، و أساتذة الجامعات ، و توجد هذه الطبيعة فى أكثر البلدان الغربية تقدماً فى العلم و مسايرة للحضارة الغربية ، و فى الطبقة التى تقود حركة العلم و البحث العلمى ، و ما أعجب هذه الظاهرة ، و ما أغرب هذا الضعف الخلقى الذى يعانى منه هؤلاء الرجال .

يعانى كثير من الكتاب فى الصحف ، ومؤلفى الكتب فى الدول الاسلامية اليوم من هذا الضعف الطبيعى . فان الذين سحروا بحضارة الغرب و سيادته ، لا يزالون مسحورين به ، و الذين قدسوا القادة الذين رباهم الاستعمار لحمل مسئوليات خاصة لا يزالون مسحورين بهم رغم تغير الزمان ، و تغير التيارات و رغم اكتشاف الفضائح الكبرى التى وقعت فى تلك العصور ، و رغم معرفتهم لما مثلته هذه القوى . والتيارات الفكرية الخاصة بها من أدوار فى إذلال الشعوب الاسلامية ، و العربية ، بصفة خاصة ، لكنهم رغم علمهم بالنكسات التى لحقت بلادهم ، و الهزائم التى اصابت فى مجالات العمل المختلفة و تعقد المشاكل ، لم يتزحزح ايمانهم بتلك التيارات الخاسرة ، و المناهج والمذاهب الفاشلة فاذا سحروا بأديب عبدوه أو بفيلسوف قدسوه ، و بفكر ضال تمسكوا به ، و إن افتضح هذا الفيلسوف و المفكر فى عقر داره ، و القائد فى حكمه .

كان نقد هذه الشخصيات و سياستها فى بداية عهدها نقداً عقلياً و فكرياً ، ولكن بعد أن ظهرت حقيقة الشخصيات التى سيطرت على العالم الاسلامى للعيان ، و اكتشفت هوياتها ، و نشرت وثائق عن المؤمرات و الدسائس التى كان بعض هؤلاء القادة من حلقاتها ، كيف يصعب على هؤلاء الكتاب أن يعرفوا حقائق يعرفها عامة الناس ، إنه ليس إلا الجمود ، أو الجحود ، والتمادى فى الغى .

إن التنويه بمصطفى كمال ، و جمال عبد الناصر ، و من سلك طريقهم من القادة ، فى هـذا العصر ، و الاشادة بسياستهما و إن كانت فى مناسبات الاحتفال بذكرى ميلادهم أو ذكرى ثورتهم ، خلاف للعقل و الفهم العاديين ، و من يقوم بهذا التنويه يدل على فقـدان ضميره ، أو عدم صلاحيته للتمييز ، أو عبوديته الفكرية ، و جموده الذهنى ، و أن الجمود و التقليد جزء من طبيعته ، و أخلاط مزاجه .

لايزال عدد من الصحفيين فى مصر ينوهون بجمال عبد الناصر ، الذى لقبه كثير من الناس بالزعيم الخاسر ، ويذكرون فعاله بأن رفع مكانة الأمة العربية ، ورفع مصر من مستواها الأولى ، و قهر أعداءه ، و غير الأوضاع ، و هم يعرفون أن مصر لم تخرج بعد من آثار النكبات التى سببها عبد الناصر و أن الشعب المصرى لم يتخلص بعد من تبعات سياسته رغم الأجراءات التصحيحية الكثيرة .

و قد فعلت الحكومات التالية كثيراً فى تحرير الشعب المصرى من تلك التبعات و لكن لا تزال بعض الآثار باقيـة لذلك العهد المرهب ، الذى قلب الموازين .

كان من الأفضل أن يحتفل بثورة يوليو التى سببت الكثير من الشقاء لمصر و العالم العربى ، كما يحتفل اليابانيون بذكرى سقوط القنبلة الذرية على هيروشيما و ناجاساكى . وكما يحتفل الألمانيون فى يوليو بذكرى حصار برلين الذى قامت به روسيا .

إن الثورات التى كانت على أساس محاربة القديم و المتوارث ، و إقلاع كل نظام و محاربة كل من له كرامة و نبل و مكانة فى المجتمع قامت بتصفيـة العناصر التى تحمل الكفاءات والقدرات العلمية و الذهنية ، و صلاحيات الابتكار

و الابداع ، و الفكر الحر ، من أجل إثبات حكمها و إقرار نظامها ، و لم تترك إلا الجامدين و المقلدين من أصحاب الأقلام ، و الاداريين ، الذين لا يعرفون إلا الشرح والتأويل ، و التنفيذ و التطبيق ، ونزح أصحاب العقول الناضجة المبتكرة إلى الخارج فيعيشون فى المنفى منعزلين عن الحيـاة .

يصادف كل من يتصفح الصحف و المجلات و المؤلفات الجامعيـة هذا الجمود الفكرى فى معالجة الأفكار ، و مناقشة النظم و المذاهب ، فيلاحظ كأن العالم وقف فى السياسة فى عهد عبد الناصر ، و فى الفكر فى عهد طـه حسين ، و كذلك فى الفن و العلم و الأدب لدى بحوث الرجال الذين كانوا من مواليد عهد السيطرة الأوروبية ، فيناقشون تلك النظريات البالية ، و الأفكار العقيمة التى لم تجلب للعالم إلا الشقاء ، و المعاناة .

فقدت كثير من المصطلحات و التعبيرات و النظريات قيمتها فى هذا العالم، لأنه عالم التجربة و التطبيق ، فقد كان الالحاد مثلا رمزاً للعلم فى العصر المـاضى و هو اليوم رمز العلم و التجربة ، و يتوب عن الالحاد كثير من الفلاسفـة و العلماء و كبار الساسـة فى العالم ، و كذلك المذاهب الاجتماعيـة و الاقتصادية الكثيرة التى نشأت و غلبت ثم فشلت فى التطبيق و التجربة كالماركسية و غيرها من النظريات الاقتصادية و الاجتماعية و النفسيـة ، فاذا ردد أحد صوته فى الدفاع عنها ، أوفى تلقينها فكـأنه يعيش فى عهد ما بين الحربين الكونيتين ولكن الذى نشأ فى بيئة الجمود لا يستطيع أن يفهم هذا التغير .

إن كثيراً من الكتاب لم يستطيعوا بعد خمـين سنة من تقدم العلم والفكر أن يأتوا بشئ جديد فى دراسات اللغة و الأدب ، و الثقافـة و الفن ، و إنما كان اعتمادهم على ما كتبه الكتـاب الغربيون أو النصرانيون فيقومون بنقلها

و شرحها ، و يبدو بعض الكتاب كأنهم يكتبون بعد مطالعة كتاب لأحد المستشرقين أو الصليبيين فيعكسون أراءه فی كتاباتهم و ينتقدن التاريخ الاسلامی و يثيرون قضايا تاريخيه لا صلة لها بهذا العصر ، و قد كان أليق بهم أن يبحثوا عهد الاستعمار السياسی و الفكری ، و يكشفوا القناع عن الشخصيات التی كانت اداة فی أيدی الاستعمار ، ويناقشوا الأفكار التی سحرت النفوس ، وفقدت معانيها و فشلت فی التجربة ، و يحلوا مشاكل المجتمع فی ضوء هذه التجربة فی إطار ظروف بلادهم و ميول شعوبهم ، و عقائد و عادات سكان بلادهم و ما تملك هذه البلدان من مواهب .

ما دام العالم الاسلامی يعيش فی هذه الحالة النفسية ، وسادت طبيعة النقل والتقليد لما حدث فی أوربا فی ظروف التطور الفكری ، و التجربة السياسية و ما تكتبه أقلام علماء الغرب بتأثير الحروب الصليبية ، وما حدث فی العالم الاسلامی بتأثير مؤمرات الدول الاستعمارية ، فان المشاكل التی يعانی منها العالم الاسلامی تظل و تدوم من غير حل و تسوية و لا يمكن أن يحدث تغير فی الفكر .

منطق العصر ، منطق الدجل

يجری العالم اليوم وراء المصطلحات ، و يكون تصوراته عن النظم و الأشخاص فی ضوء هذه المصطلحات ، و قد خدع الناس بهذا التفكير الخاص ، و هو التفكير اللغوی المجرد ، بنظم كثيرة ، كالديموقراطية ، و الاشتراكية و الانسانية ، و الحرية ، و الأمن العالمی ، و العفو ، و العدالة ، و المساواة ، والاعلام، والبحث الموضوعی ، وكانت جميع هذه الألفاظ لافتات ، أو بالأصح ستائر تستر الوجوه السوداء ، و النفوس الشيطانية ، فكانت الاشتراكية والشيوعية التی ارتفعت كتيار جارف ضد ما سماه أقطابها بالاستغلال ، و الاستعمار ، نوعاً

بشعاً للاستغلال و الاستعمار ، و لا تزال خريطة الاتحاد السوفيتي تلوح إلى الاستعمار البغيض ، فيه استعمار التتر الذى شردوا من أوطانهم ، و المسلمين الذين أجبروا على ترك دينهم و ثقافتهم ، و الشعوب الأخرى التى أجبرت على التخلى عن ثقافتها و لغاتها ، و كذلك فى الدول التى قبلت الاشتراكية لم تبق سياسة الاستعمار فحسب بل توسعت ، و تكشفت ، فحرمت شعوب تلك البلدان أدنى الحريات التى تتمتع بها شعوب بلدان أخرى ، و يبرز ، هذا الاستعمار و الاستغلال جلياً فى شطرى ألمانيا و اليمن .

ولا تصور فى المجتمع الاشتراكى عن الأقلية ، والمجتمعات الفرعية ، و لا الثقافات الفرعية ، و لا الدراسة الحرة ، و الاطلال على العالم الخارجى ، و أى استعمار يكون أسوأ من هذا الاستعمار ، لكن الاشتراكية قوة ضد الاستعمار ، و لا تزال ، و هكذا يثق الناس بها بالاسم .

وقامت الاشتراكية بصيانة حقوق العمال ، ومن يتابع الأخبار يعرف ما هو وضع العمال و فرص العمل فى المجتمع الاشتراكى ، و قد حدثت ثورة ، وإن كان مصيرها الفشل فى عدة بلدان اشتراكية تابعة للمعسكر السوفيتى من أجل حقوق العمال .

و فضحت الاشتراكية اليوم و عرف العالم خيبتها فى كل المشاكل الاجتماعية ، و لكن لا يزال بعض النفوس مخدوعين بها ، فقد انتقد أحد كبار قادة الحزب الشيوعى فى الهند إصلاحات المستر جوربا تشوف ، و وصفها بالانحراف عن طريق الاشتراكية و دافع عن استالين ، و اعتبره من بناة الاتحاد السوفيتى ، و موسس المجتمع الانسانى الجديد ، هذا السفاك الذى قتل أكثر من ثلاث مائة ألف شخص لنخوته ، و قتل عدداً من معارضيه لذاته ، كان من بناة المجتمع الانسانى الجديد .

و مثل الاشتراكية العلمانية التى تخدع كثيراً من الناس ، و مثلها الجمهورية ، و الجمهورية والعلمانية مثل العصا السحرية اليوم ، يحسب كثير من الناس أن اتخاذ هذين النظامين أو حمل هاتين اللافتتين يحل جميع المشاكل ، و الواقع أن العلمانية غطاء لفرض دين الأغلبيـــة ، و الجمهورية غطاء لفرض حكم الشخص المنتخب ، بأى طريق من الطرق ، بالمال ، بالخداع ، وبتفريق الناخبين ، وتزوير الانتخابات ، و بتخويف الناخبين إذا كان فى الحكم ، و الانتخاب يؤهله ليفعل ما يشاء و إذا حصل على أغلبيـــة ثلثى الأصوات ، فانه يستطيع تعديل الدستور ، و يصبح مستبداً كالديكتاتور و لا يسأل عما يفعل ، و إن سأله السائل زج بالسائل إلى السجن بتهمة الخيانة و التجسس .

و فى هذا العصر أصبحت عدة ديكتاتوريات جمهورية لأن العلم اخترع وسائل لانتخاب المستبدين بأغلبية ٩٠٪ فى المائة .

و إجراء الانتخابات بصورة لا يشترك فيهـــا الجمهور ، كما تجرى هذه الانتخابات فى عدة بلدان ثورية ، فافغانستـــان جمهورية ، و سوريا جمهورية ، و اليمن الجنوبى جمهورية ، إنها جمهوريات بلا تمثيل الجمهور ، لـكنهـا جمهوريات لأن قادتها أطلقوا هذا الاسم على حكمهم ، و نالوا بذلك الشرعية لحكمهم ، و بوضع لافتة الجمهورية و يستحقون كل امتياز و اختصاص ، و كل تصرف فى أموال الدولة ، لأنهم إذا سئلوا عن تفاصيل أعمالهم و نفقاتهم يمكنهم أن يقولوا إنه يتنافى مع مصلحة الدولة .

أصبحت الملـكية تعبيراً قديماً فيه كل عيب و لـكن إذا درست حياة بعض الملوك وحياة بعض روساء الدول أو رؤساء الوزراء لكانت حياة رؤساء الوزراء أو رؤساء الجمهوريات أكثر كلفـة ، و أكثر سلطة و رقابة ، و كان الجمهوريون بعد عن شعوبهم من الملوك التقليديين .

كذلك العلمانية فكم من بلدان علمانية تفرض منهجها الخاص ، أو مذهبها الذى تتبعه الأغلبية و تسبغ عليها ثوب القومية و الوطنية ، و تدمج الأقليات ولكن عملها ذلك لا يعتبر تطرفاً ولا أصولية ولا تزمتاً ، لأن العمل يصدر باسم العلمانية ، والجمهورية و التقدمية ، ولكن إذا كانت جميع الأقليات تعيش فى أمن وسلام مع الأغلبية يتبع كل منهم دينه فى نظام يرتبط بالدين ، فهو مرفوض ، لأنه يقوم على أساس تفكير دينى و التفكير الدينى رجعية ، و أصولية ، وتزمت .

و مثل العلمانية و الجمهورية ، معاهدات الصداقة فى القاموس المصرى ، تحمل معانى معكوسة لأن المعاهدات العسكرية أصبحت مشئومة ، فوجد اصطلاح جديد و هو اتفاقية الصداقـة ، و ترتبط باتفاقيات الصداقة موسكو بعدة دول و لا يعتبر ذلك انحيازاً أو تحالفاً ، رغم أن هذه الاتفاقيات فى طبيعتها عن المعاهدات العسكرية القديمـة ، و كذلك حلت منظمات الوحدة ، محل الكتل القديمة ، و قد شاعت هذه المنظمات للوحدة فى هذا العصر ، و لا ينظر إليها بالنظرة التى كان ينظر بها إلى الكتل ، و الأحلاف ، و هكذا تستمر صياغـة المصطلحات ليبقى الوضع كما كان و تختلف الأنظار التى ينظر بها إليها .

لقد اختار لمفكرون المعاصرون هذا النوع من التورية فى كل مجال من مجالات الحياة لتجنب الانفعال المباشر و لتغطية أعمالهم فى السياسة و الثقافـة و الاجتماع و الاقتصاد و الحرب ، و السلام ، فقد قال أحـد وزراء الدفاع (و الدفاع تعبير حديث بمعنى الحرب) إن السلام أقوى سلاح من أسلحة الحرب ، يعد معاهدة السلام ، و قال أحد رؤساء الدول خلال حرب مع دولة مجاورة : الهجوم أفضل طريق للدفاع .

و هكذا يسير منطق العصر ، أليس ذلك منطق الدجل .

أنشأها :

فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٣٧٠ھ/ ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

ربيع الأول ١٤٠٩ھ - أكتوبر و نوفمبر ١٩٨٨م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الاسلامي، مؤسسة الصحافة والنشر، ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama,
P. O. Box 93. Lucknow (India)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتـــــاحية :

لماذا يبكى المسلمون على ضياء الحق ؟ !

لم يكن اغتيال الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق خسارة دولة مسلمة كباكستان ، و لا خسارة العالم الاسلامى فى حاكم مسلم فحسب ، و إنما خسر فيه المسلمون على اختلاف ديارهم و بلدانهم أقوى قائد مسلم كان يتولى رئاســـة دولة أقيمت باسم الاسلام و كان يسعى جاهداً مخلصاً لتطبيق الشريعة الاسلامية فى هذا العصر ، و تمثيل دولة الاسلام النموذجية بتشريعها ، وقوانينها ، و دستورها الاسلامى ، فى العالم الحديث الذى ينظر إلى الاسلام من خلال منظار أسود ، و لا يراه يصلح فى أى حال لقيادة الانسان المعاصر ، و لكن الجنرال ضياء الحق توصل بدراسته المحايدة للاسلام و الشريعة الاسلامية إلى أن الاسلام هو المنهج العادل و الشامل الذى يتفرد بالقيادة العالمية من غير شك ، و يتميز بتوجيـــه الانسان فى جميع مجالات الحياة فى كل عصر و مصر ، و هو يتكفل بمثله العليا بالتأثير على جميع الأفكار و النظرات العالمية التى تمثلها الأوساط العالميـــة الكبرى فى مجالات العلم و الاجتماع و السياسة ، و يقدر على توحيـد القيادات العصرية كلها على الهدف الأسمى ، و هو توفير السعادة و الأمن و السلام للانسان ، أفراداً و جماعات ، و شعوباً و حكومات .

لقد كان الجنرال ضياء الحق واضح الفكرة و النظرة عن الاسلام و شريعته ، بحكم الاقتناع الذى حصل له فى مجال القيادة للاسلام ، و الفهم الصحيح المتزن الذى تمتع به فى ضوء دراساته المقارنة بين الاسلام والنظرات الفلسفية الأخرى التى تعرض اليوم للانسان ومشكـلاته وتتزعم الحركات التحررية التى تستهدف القيادات الدينية والالتزامات الخلقية ، وكان يرى أنه لا بد من الانتفاع بالعلوم والصناعات و التكنولوجيا الحديثة لدعم الفكرة الاسلاميـــة و تفجير طاقة الايمان و العقيدة

لخدمة المصالح الاجتماعيــة و السياسية و بناء سيرة الانســان فى ضوء هذا المزيج الميمون من العلم و الايمان ، و لاعادة بناء الوطن الاسلامى على هذا الاساس الأصيل ، لذلك فقد وضع إمكانياته فى تنفيذ قوانين الاسلام فى بلده الاسلامى و عزم على تطبيق الشريعة على الحياة و المجتمع ، و طلب من علماء الشريعــة و فقهاء الاسلام فى بلاده أن يساعدوه فى تحقيق هذه العزيمة ، و يقوموا بتجربة تطبيق الشريعة الاسلاميــة فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، عسى أن يكون ذلك منطلقاً لتحكيم شريعـــة الله فى العالم كله ، و يذوق الانسان المسلم حلاوة الحكم الاسلامى مرة أخرى و بالتالى يسرع العالم والدول الراقية إلى تبنى هذه التجربة إذا نجحت فى إعطاء الانسان الحديث ما هو بحاجة إليه اليوم من الأمن والاستقرار و العدل و السلام ، و السعادة الحقيقية .

كانت قضية الأمن و الاستقرار من بين القضايا الأساسية التى بذل لتحقيقها مؤهلاته و إمكانياته الغالية ، و وفق إلى إقناع الشعب المسلم فى بلده بأن تأسيس المجتمع على أسس الاسلام الاجتماعيــة يتكفل بحل جميع القضايا و المشكلات الاجتماعية التى تعانى منها المجتمعات الانسانية فى كل مكان ، بالاضافة إلى ما كان يحرص على بناء اقتصاد البلاد على أساس العدالة الاجتماعية الاسلاميــة ، و فى ضوء شريعة الاسلام ، و كتب له النجاح إلى حد ملحوظ فى تنفيذ نظام الزكاة و العشر ، و النظــام المصرفى اللاربوى الذى نال قبولا و رواجاً فى الشعب الباكستانى ، و منــذ أول ابريل ١٩٨٥ قامت البنوك و المؤسسات المالية بتمويل الشركات و الأفراد على أساس الشريعة الاسلاميـة و امتنعت البنوك عن قبول الودائع الربوية بتاتاً ، و أعلنت التعامل على أساس المشاركة فى الربح و الخسارة، والمضاربة فى الأعمال التجارية ، كما وفق إلى تنفيذ بعض العقوبات الاسلامية التى مهدت له الطريق نحو تنفيذ الحدود الشرعية .

كان شديد الاهتمام بالعلاقات الدولية و خاصة بالدول الاسلامية ، فكان يستعرض بصفــة مستمرة أوضاع العالم الاسلامى ، و يمد إلى الدول الشقيقة يد

الصداقة و التعاون من غير أى تحزب أو انحياز ، و قد ركز اهتماماته على توحيد صفوف الأمة الاسلامية وتذكيرها بالمسئولية التى تقع عليها فى موضوع التضامن و الوحدة ، ذاك أنه كان يعتقد من أعماق قلبه أن هذه الأمة هى التى تستطيع أن تمثل دوراً مهماً جداً فى توطيد العلاقات الدولية على الأهداف البناءة و المقاصد الايجابية النزيهة ، إذا قدرت لها العودة إلى سابق رسالتها و مكانتها ، فقد باح بنظرته هذه نحو الأمة الاسلامية و مكانتها و دورها ، فى خطابة الذى افتتح به مؤتمر تطبيق الشريعة الاسلامية منذ تسع سنوات من اليوم ، جاء فيه :

« لكى تعود الأمة المحمدية إلى سابق مكانتها و حالها و تقوم بدورها المرتقب فى توطيد و تحسين العلاقات الدوليـــة ، يلزم علينا أن نميز النظرات و العقائد الاسلامية من غيرها ، و نقوم بتحليلها حتى نتمكن من تحديد العناصر غير الاسلامية وإقصائها عن الحياة العملية ، واستبدالها بالمثل الاسلامية الخالصة ، إنى أعرف أن ذلك عمل صعب يبلغ من الدقة بمكان ، و لذلك فقد وجهت طابى إلى حضراتكم نحو توحيـد المجهودات الفردية التى تبذل من هذا النوع فى بلدان مختلفة و على مستويات شتى ، إذ أنى متأكد أننا إذا بدأنا نحن بعمليـة التطهير و التوحيـد هذه بجدية مطلوبة فسوف لا ننجح فى تبنى المنهج الاسلامى على مستوى البلدان والمجتمعات فحسب ، بل سنوفق - بتأييد من الله - إلى توحيد العالم الاسلامى و توطيد دعائمه كذلك ، وفقنا الله تعـالى لهذا العمل الجليل ، و تقبل مجهوداتنا المتواضعة » .

تكفى هذه الكلمة الوجيزة لبيان ما كان يعتقد به من أنه لا يمكن التقدم والازدهار فى أى مجال من المجالات الفردية و الجماعية ، و السياسية و الاقتصادية إلا بالمنهج الذى يقرره الاسلام للحياة والانسان ، فبذلك يتوافر الأمن والاستقرار والرفاهية و القوة و الثقة والشجاعة و العدل فى المجتمع البشرى و على المستوى

العالمى ، و بذلك وحده تنتهى فترات الشقاء التى تمتد اليوم بالحروب الداخلية ، و الخارجية ، و بالاستغلال البشع فى معظم قطاعات الناس وطبقاتهم ، و بالنهامة و الشره البالغين للمادة و المال ، و مع ذلك حرص أشـــد الحرص على تنشيط المنهج الاسلامى للحياة و وضعه على منصة الحكم لكى يؤدى وظيفته المنوطة به من قيادة الانسان و تسيير دفة الدولة و الحكم بالعدل الذى لا نظير له فى الفلسفات و النظرات الحديثة للحياة .

كان ينظر إلى المجتمعات الاسلامية و العالم الاسلامى من خلال المنظار الاسلامى ، و يتابع باهتمام بالغ القضايا و المشكلات المعقدة الكثيرة التى تتوزع المسلمين و تحطم معنويتهم ، و تفقـد العالم الاسلامى هيبته و مكانته فى قلوب الشعوب و الأمم الأخرى ، ولقد بلغ به القلق الشديد لهذه القضايا مبلغاً لم ير فيه بدأ من بذل مجهودات ضخمـــة فى سبيل توحيد صفوف المسلمين و إنهاء الخلافات التى تستولى عليهم و تأخذ منهم كل مأخذ ، فمن يتناسى اهتمامه الكبير فى تقوية العلاقات الودية بين الدول المسلمة ، ومن ينسى أنه استطاع بسياسته القوية النافذة أن تعود باكستان إلى عضوية منظمـة المؤتمر الاسلامى ، و تقـدم مدداً غالياً فى قضية الوحـدة و التضامن ، و فعلا قام ضيـاء الحق بدور مهم و مشكور فى هذا المجال و قاد مسيرة الأمة الاسلامية نحو الوحدة و الثقة والتعاون ، يشهد على ذلك ما تظاهر به من شجاعة نادرة فى مؤتمر القمة الاسلامية الثالثة الذى انعقد فى الدار البيضاء فى شهر يناير فى عام ١٩٨٤م ، بتقديم قرار عودة جمهورية مصر العربية إلى عضوية منظمة المؤتمر الاسلامى ، و الدفاع عن حقوق مصر بصمودها فى رد العدوان الاسرائيلى .

كل ما فعله ضياء الحق فى هذا المؤتمر لم يكن إلا نابعاً من روح الوحدة والتضامن الاسلامى التى كان يحلم بها فى العالم الاسلامى كله بوجه خاص ، تشع

هذه الروح فى كلمتـه التى ارتجلها فى تلك المناسبة ، و ضغط فيهـا على التضامن و التعـاون تأكيداً على حاجة الأمة الاسلامية إلى الوحدة الايمانية ، و هى تعبر عن وجهة نظره الاسلاميه :

« هناك عقيدة واحدة للبلاد الاسلامية ، و هى عقيدة الاسلام و عقيدة الرسول عليه الصلاة و السلام ، يمكنك أن تقول أنك عربى ، و لكنك إذا كنت مسلماً فمعناه أنك من أتباع الرسول عليـــه الصلاة و السلام ، أرجو أن نفكر فيما هو صالح لنا كمجموع ، يجب أن نتحد من أجل مصالحنـا نحن ، إذا اتحدت شعوبنا التى يبلغ عددها ٩٢٥ مليونا فيمكننا أن نحرك الجبال عن أماكنها »

و قد اتبع سياســـة الحكمـــة و التفاهم و السلام مع الدول المجاورة والدول الآسيوية ، و قد نجح بسياسته الحكيمة فى هدم جدار الكراهية بين بلده و دولته الشقيقة الهند ، وما فتئ يبذل جهوده للتوصل إلى حل سلمى للقضايا التى تشغل بال البلدين المجاورين ، الهند و باكستان ، كما أنه تابع بأهمية بالغـة قضية الجهاد الاسلامى فى أفغانستان و لم يأل وسعاً فى إيجاد حل للتدخل السوفياتى فى أفغانستان و إقناعـه بالعودة إلى بلاده و ترك الشعب الأفغـانى حراً فى تقرير مصيره ، و لا شك فان جهوده أثمرت فى هذا المجال ، و التجأ الاتحاد السوفياتى إلى الانسحاب عن أرض الأفغان ، كما أن قلقه العظيم على الحرب العراقية الايرانية كان شديداً ، و ما كان يترك أى فرصة لانهاء هذه الحرب المشئومة على وجه دائم ، ولعل قلبه يكون قد ثلج بتوقف حرب الخليج وقبول كلا الفريقين قرار الأمم المتحدة حول إيقاف الحرب ، أما موقفه من قضية فلسطين فواضح جداً ، حيث إنه اعتبرها قضية بلاده و شعبه و بذل لها من الالتزامات و الاهتمامات ما أمكنه ، غير أنه كان يطـالب بكل جدية و صرامـة باخلاء أرض فلسطين لأبنائها ، و انسحاب الكيان الصهيونى عنها من غير تأخير ، لكى يستتب الأمن

و يعود المشردون و اللاجئون الفلسطينيون إلى بلادهم و تتاح لهم فرصة العيش بين أهليهم و إخوانهم .

و كان الرئيس ضياء الحق حاكما مثاليا عصرياً يجمع بين الاهتمامات السياسية الحديثة ، و الروح الايمانية المتيدة القوية ، ما كان يتخلى عن عقيدته و دينه للحظة واحدة حتى فى أحرج الساعات و أدق الظروف ، إنه مثل شخصية الحاكم المسلم العملاقة فى المحافل العالمية و على المنابر الدولية ، و استطاع بها أن يثبت مصداقية المنهج الاسلامى على جميع المستويات المعنية ، و يؤكد جدارة الشريعة الاسلامية بحل المشكلات و القضايا التى أعيت حلولها كبار المفكرين و الفلسفيين فى الحضارات المادية اليوم .

لم يغفل الرئيس ضياء الحق يوماً واحداً أن يتسع فى دراساته المقارنة ، ويتفهم طبيعة الدين الاسلامى ، ومسايرته مع العصر الحديث وملابساته وظروفه ، فكان يدرس الأفكار المعاصرة الجديدة و يقارن بينها و بين الفكر الاسلامى الأصيل ، و هو يعتمد فى ذلك على مؤلفات أقطاب الفكر الاسلامى و فى مقدمتهم المفكر الاسلامى الكبير و الداعية العظيم سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، الذى كان يعرفه عن كثب و يحبه و يجله من أجل خدماته الكبيرة للفكر الاسلامى و الدعوة الاسلامية .

هذا ، وله أعمال جليلة كثيرة تذكر و تشكر على مر الأيام ، فاذا قارناها مع مستوى معيشته الساذجة ورغبته عن استغلال منصبه العظيم لخدمة أى مصلحة تتعلق بنفسه أو بفرد من أفراد عائلته وأقاربه ، شهدنا له بالعبقرية فى مجال السياسة و بفراسته الايمانية ، و انطلقت الألسنة بالدعاء له و لمن كان معه ، و من أجل هذا و ذاك فقط يبكى عليه المسلمون و يحزنون .

فاغفر اللهم زلاته و ارحمه ، و أدخله برحمتك فى زمرة الشهداء الصالحين و حسن أولئك رفيقاً ﴾ .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

نموذجـــان
من دعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

نموذجان من دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام :

موضوع حديثنا اليوم سيدنا إبراهيم عليـــه الصلاة و السلام ، و هنالك نموذجان من دعوته ، إذا قارن الانسان بين هذين النموذجين ملكته روعـــة الحكمـة و روعة الدعوة النبوية ، نموذج حين دعا والده ، و نموذج حين دعا قومه ، و ترون تنوع الأسلوب ، و ليس تنوع الأسلوب فقط ، بل تنوع فهم النفسية و الدخول إلى أغوار النفس الانسانية ، فاذا تأملتم فى الآيات التى وردت فى دعوة سيدنا إبراهيم عليـه الصلاة و السلام لوالده ، عرفتم كيف يدعو الولد الوالد ، ثم إذا قارنتموه بالأسلوب الذى دعا فيه قومه ، عرفتم أسلوباً آخر يليق بالمقام ، فأنا أقرألكم أولا الآيات التى وردت فى دعوته لوالده .

دعوة الولد للوالد :

« و أذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ، إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر ، و لا يغنى عنك شيئاً ، يا أبت إنى قـــد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهـدك صراطاً سوياً ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً ، يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً » (١) .

---

(١) مريم - ٤١ - ٤٥ .

إثارة للحنان الأبوى :

أولا تتأملون فى قوله : « يا أبت » لهجة فيها الرقة ، و فيها البر ، و فيها التواضع ، وهذا يرجع إلى الذوق السليم ، كذلك كان الذين قد تذوقوا القرآن و تشربوا روحه ، إذا قرأوا آيات العذاب كان يرتعد صوتهم و يحمر وجههم ، و إذا قرأوا آيات الرحمة ترق قلوبهم و تلين أصواتهم ، فالولد إذا خاطب أباه بقوله « يا أبت » أثار فيه الحنان الأبوى ، و كان يمكن لابراهيم أن يصيح فيقول : يا سيدى ، أو يقول : يا شيخ الكهان ، لأنه كان كاهناً ، و لكنه يقول : « يا أبت » تعمد إبراهيم هذه الكلمة ليصل بها إلى أعماق قلبه ، و يثير فيه الحنان ، فالولد مهما بلغ الغضب من والده إذ ناداه بقوله : « يا أبت » يا والدى الكريم ، رق و تهيأ لسماع كلامه ، إن إبراهيم أثار فيه الحنان قبل أن يثير فيه الايمان ، و الحنان يسبق الايمان أحياناً ، فقد يكون الوالد حنوناً و لا يكون مؤمناً ، فهذا الحنان هو الذى يستطيع الانسان أن يعتمد عليه ، ولا ينبغى للداعى الحكيم أن يغفل هذا الجانب ، وإذا أغفل هذا الجانب فانه أساء إلى نفسه ، و أساء إلى دعوته ، وإذا كان غليظاً « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » (١) فالرسول عليه الصلاة و السلام رعى هذا الجانب مع عمه أبى طالب ، فخاطبه فى مواضع دقيقة محرجة بقوله : « يا عم » .

فقال حين رأى حيرته فى أمر الدعوة إلى الاسلام و ارتباكه فيها و تخوفه من معرة قريش ، « يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

و كانت نتيجة هذه الرقة مع الصرامة ، و إثارة العاطفة الانسانية فى أبى طالب - مع إيثاره لدين آبائه - أن قال له - و قد خاطبه بقوله : يا ابن

(١) آل عمران - ١٥٩ .

أخى ، كما خاطبه رسول الله ﷺ بقوله : « يا عم » ، ـ : « إذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله ما أسلمك لشئ أبداً » (١) .

حسن اختيار سيدنا إبراهيم للدلائل :

ثم إن سيدنا إبراهيم اختار من الدلائل فى إثبات كون هذه الآلهة لا تستحق العبادة ، الأشياء المحسوسة الملموسة اليومية ، لم يبدأ بالأشياء التى تعتمد على المنطق و تعتمد على الذكاء النادر ، و تعتمد على بحوث علميــــة أو نظرات فلسفية ، إنما اختار الشئ الذى يفهمـــه الطفل ، لأن والده ، كان فى الطفولة العقلية ، و إن كان متقدماً فى السن ، فخاطبه كما يخاطب الطفل : « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر و لا يغنى عنك شيئاً » ، ثم قال « إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك » ، و هذا من دواعى السرور للوالد العاقل فينبغى أن يفتخر و يستبشر بتفوق ولده فى العلم و المعرفة ، و العقل و الوعى ، و ما كان فيــه شئ من المبالغة و خرق العادة ، لأن هذا يقع كثيراً ، يتعلم الولد و لا يتعلم الوالد و يكون الولد أعلم من والده « يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً » ، يا أبت لا تعبـــد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً » ، إن كل آية من هذه الآيات وراءها معان عميقة و حكم دقيقة ، إنه لم يذكر الشيطان بصفات تدق و بصفات يلتوى فهمها على هذا الرجل الساذج البسيط ، الذى بلغ من غباوته أن كان ينحت الأصنام ثم يعبدها ، إن أكبر جنايات إبليس ، أنه كان للرحمن عصياً ، « يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً » .

---

(١) سيرة ابن هشام ، ق ١ ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

الاعتماد على الفطرة و الواقع فى دعوته عليه السلام لقومه :

ونقارن هذا الأسلوب بالأسلوب الذى دعا به سيدنا إبراهيم قومه ، تعرفون الفرق ، فيقول القرآن :

« و اتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه و قومه ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون » (١) .

تأملون فى هذه الآيات و تعرفونها من أولها إلى آخرها ، فأولا تتفكرون فى حكمة سيدنا إبراهيم فى الدعوة ، لأنه لم يقترح من نفسه أسماءاً أو صفات لهذه الآلهة ، حتى لا يثير هؤلاء فيردون عليه و ينكرونها ، بل استنطقهم أولا فقال : « ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون » ، و هنالك يلجأ إلى الدلائل المنطقية ، أو الاشارات الفلسفية وقال : « هل يسمعونكم إذ تدعون، أو ينفعونكم أو يضرون » فان الحياة الانسانية تدور حول هاتين النقطتين ، يسمع الانسان إذا دعى ، و ينفع و يضر إذا استعين ، هـذا الخيط الذى يربط فرداً بفرد ، و وجوداً بوجود ، و مؤسسة بمؤسسة ، اختار هذين الشيئين و هما القطبان اللذان تدور حولهما رحى الحياة كلها .

« قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » ، هذا الذى كان يريد سيدنا إبراهيم أن يقولوه ، فهذا هو جواب العاجز ، جواب المنقطع ، يعنى ما هو الدليل على هذه الأسماء ؟ هل لها مسميات ؟ و هذه الأصنام المنحوتة و الأوثان المنصوبة و الآلهة الخيالية الأسطورية الأخرى ، هل لها فائدة فى الحياة ؟ و قدرة على العمل و مكنة من النفع و الضرر ، و سند من العلم ؟ .

(١) الشعراء - ٦٩ - ٧٣ .

استفادة ثروة الذكاء و البيان و طاقة الدفاع عن النفس من المخاطب :

و تستمرون فى دراسة هذه الآيات ، تنتقلون من معنى إلى معنى فتفهمون الفرق بين الأسلوبين ، و فهم سيدنا إبراهيم العميق الدقيق ، للنفسية الانسانية ، و قدرته و براعته فى الدخول إلى مداخل النفس الدقيقة ، و إلى أغوارها العميقة ، كيف استخرج كل ما عندهم من ثروة ذكاء ، و ثروة بيان ، و ثروة دفاع عن النفس ، و آخر سهم فى كنانتهم كانوا يستطيعون أن يطلقوه « بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » فسيدنا إبراهيم استنفد كل ما عندهم من قدرة جواب فأصبحوا مفلسين ، أصبحوا فقراء ، أصبحوا لا شئ عندهم ، ثم بدأ يوجه إليهم الدعوة و يدعوهم إلى الله و إلى التوحيد ، فقال :

« أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فانه عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، و الذى يطعمنى و يسقين ، و إذا مرضت فهو يشفين ، و الذى يميتنى ثم يحيين ، و الذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين » ، (١) .

المنهج القرآنى ، إثبات مفصل و نفى مجمل :

هنالك نكتة عجيبة من معجزات القرآن ، وهو ما نبه عليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، فقال : إن فلاسفة اليونان إذا عرفوا واجب الوجود ، أو المبدأ الفياض - على حد تعريفهم - فانهم يتوسعون و يدققون فى نفى ما لا يليق به عندهم (من الصفات و غيرها) أما إذا تعرضوا للاثبات فانهم يختصرون و يجملون ، ففى الفلسفة نفى مفصل ، و إثبات مجمل ، بالعكس من القرآن ، فهنالك إثبات مفصل و نفى مجمل ، فى وصف الله تعالى ، فى أسمائه و صفاته و كذلك فى

(١) الشعراء ٧٥ ٨٢ .

الأديان السماوية و تعاليم الأنبياء إثبات مفصل و نفى مجمل (١) » اقرأوا القرآن فى الاثبات و الحديث عن الله تعالى : « هو الله الذى لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، هو الله الذى لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم » (٢) .

واقرأوا قوله تعالى فى النفس : « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » (٣) .

وكذلك يقول شيخ الاسلام : إن مآت من أساليب النفى لا تقوم مقام إثبات واحد ، و قد صدق ، فان هذه الحياة التى نعيشها و التى عاشتها البشرية الاولى كلها ، إنما عاشت على الاثبات ، و ما عاشت على النفى نسبة ضئيلة جداً إلى الاثبات .

الانطلاق و التدفق فى الحديث عن الله تعالى :

فسيدنا إبراهيم قال فى جواب قولهم : « نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين » « هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون » فاكتفى بالنفى المجمل ، و لكنه لما جاء إلى ذكر الله تعالى و الدعوة إليه توسع و استعان بالاثبات المفصل ، فقال :

« إنهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين و الذى هو يطعمنى و يسقين ، إذا مرضت فهو يشفين ، و الذى يميتنى ثم يحيين ، و الذى

(١) المعنى مأخوذ من « كتاب النبوات » لشيخ الاسلام ابن تيميـة ، و التعبير للمؤلف .

(٢) الحشر - ٢٢ - ٢٤ ، (٣) الشورى - ١١ .

أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين » (١) خمس خلال ، هنالك خصلتان فقط ، « هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون » ، لكنـه لما ذكر الله تعالى وتحدث عنه ، كأنه شعر بطرب و جاشت نفسه ، فتوسع فى الحديث عنه تعالى ، إن الانسان إذا ذاق شيئاً لذيذاً فانه يلوكه و يمضغـه و يديره فى الفم ، أما إذا كان الشئ مراً - و لا بد منه - فانه يبتلعـه ابتلاعاً و يتخلص منـه بسرعـة .

فلما ذكر الله تعالى تحركت العاطفة فيه و جاش فيه الايمان فقال : « فانهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى و يسقين ، و إذا مرضت فهو يشفين ، و الذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

مناسبات لطيفة :

هنالك جاشت نفسـه مرة أخرى ، فثار يدعو الله تعالى مع أنه ليست هذه مناسبة الدعاء ، فقال : « رب هب لى حكما و ألحقنى بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، و اجعلنى من ورثة جنة النعيم (٢) و هنالك خطر أبوه بباله و تذكره ، فانه كان من القادة إلى هذه الوثنيـة ، و السادن الكاهن المعروف فى البلد ، فقال : « و اغفر لأبى إنه كان من الضالين (٣) ثم استحضر القيامة فقال : « ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم (٤) » .

و اقرأوا أخيراً : « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ، و لم يك من المشركين ، شاكراً لأنعمه ، اجتباه و هداه إلى صراط مستقيم ، و آتيناه فى الدنيا حسنة و إنه فى الآخرة لمن الصالحين (٥) .

(١) الشعراء ٧٧ - ٨٢ ، (٢) الشعراء ٨٣ - ٨٥ ، (٣) أيضاً ٨٦ .
(٤) أيضاً ٨٧ - ٨٩ ، (٥) النحل ١٢٠ - ١٢٢ .

التحــذير
من اتجاهات التجميد و التمييع و التجزئة للاسلام
— ٢ —

فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى
عميد كلية الشريعة و رئيس الدراسات الاسلامية بجامعة قطر

البعد الاجتماعى :

و أما الشعبة الثانية فهى التى تتجه إلى المجتمع ، لتقيم فيه العدل ، و تزيل المظالم و البغى ، و تعطى كل ذى حق حقه .

لقد أعلن القرآن الكريم إن إقامة العدل بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط » (سورة الحديد الآية : ٢٥) و القسط هو العدل .

و جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تنوه بالعدل و القسط ، و تثنى على المقسطين ، كما أعلنت حرباً لا هوادة فيها على الظلم والظالمين و على كل من يعينهم أو يركن إليهم ، بل كل من يسكت عنهم و لا ينكر عليهم ، فان الساكت عن الحق قريب من الناطق بالباطل ، بل جعل القرآن مجرد الركون إلى الظلمة موجباً لعذاب الله و سخطه « و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار . . . » (سورة هود : الآية ١١٣) .

وأشد أنواع الظلم : هو ظلم الأقوياء للضعفاء ، ظلم الأغنياء للفقراء ، ظلم أرباب العمل للعاملين ، أن يعمل الانسان الكثير و لا يجد القليل ، ثمرة لعمله ، و ألا يعمل آخر شيئاً و يجد كل شئ ! أن يوجد فى الناس من يضع يده على بطنه يشكو عضة الجوع ، وبالقرب منه من يضع يده على بطنه أيضاً يشكو زحمة التخمة .

و يزيد الأمر سوءاً أن يكون الذى يشكو الجوع و الحرمان هو العامل الكادح المكدود ، فهو يزرع و لا يحصد ، و أن يكون الذى يشكو التخمة هو القاعد المتبطل ، الذى يجنى ثمار ما غرسته أيدى الآخرين المتعبين !

إن الاسلام لا يدع هذه الفوارق تتسع ، فيتسع معها الخرق على الراقع ، بل يتدخل - بقوانينه و وصاياه ، بوازع السلطان و وازع القرآن - للحد من طغيان الأغنياء ، و الرفع من مستوى الفقراء ، و تحقيق الكفاية التامة لكل من يعيش فى ظل دولته ، مسلماً كان أو غير مسلم ، عن طريق تيسير العمل الملائم له إن كان قادراً ، و عن طريق الكفالة من المجتمع والدولة إن كان عن العمل عاجزاً ، أو كان قادراً ولم يجد عملا مناسباً أو كان دخله من عمله لا يتمم كفايته من مطالب الحياة .

و إلى جانب ذلك حرم الاسلام على الأغنياء السرف و الترف و الربا والكنز ، واعتبر المال الذى فى أيديهم مال الله ، و هم مستخلفون فيه ، وفرض عليهم فيه حقوقا مؤكدة ، الزكاة أولها و ليست آخرها .

و الاسلام مستعد لتجييش الجيوش و إعلان القتال لانتزاع حق الفقراء من براثن الأغنياء ، كما فعل الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

و إذا كان بعض الأديان قد عنى بالفرد و بالجانب الروحى فيه خاصة ، فان الاسلام فى كتابه وسنته - إلى جانب عنايته الكبيرة بالفرد - قد عنى بالمجتمع الانسانى ، و علاج مشكلاته و أدوائه ، و ذلك لأنه دين انسانى ، جاء بتكريم الانسان ، وتحرير الانسان ، ففيه تتعانق المعانى الروحية والمعانى الانسانية ، وتسيران جنباً إلى جنب .

و الاسلام لا يتصور الانسان فرداً منقطعاً فى فلاة ، أو منعزلا فى كهف أو دير ، بل يتصوره دائماً فى مجتمع ، يتأثر به و يؤثر فيه ، و يعطيه كما يأخذ

منه ، و لهذا خاطب الله بالتكاليف الجماعة المؤمنة لا الفرد المؤمن « يأيها الذين آمنوا » و كانت مناجاة المؤمن لربه فى صلاته بلسان الجماعة لا بضمير المفرد « إياك نعبد و إياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم » ، لهذا قلنا : إن مقتضى عناية الاسلام بالانسان ، العناية بالمجتمع كله ، فالانسان اجتماعى بالفطرة ، أومدنى بالطبع ، على حد تعبير القدماء .

و إذا كان الاسلام قد عنى بالمجتمع عموماً ، فانه عنى عناية خاصة بالفئات الضعيفة فيه ، و هذا سر ما نلاحظه فى القرآن الكريم من تكرار الدعوة إلى الاحسان باليتامى و المساكين و ابن السبيل و فى الرقاب ، يستوى فى ذلك مكى القرآن ومدنيه ، وذلك لأن كل واحد من هذه الأصناف يشكو ضعفاً فى ناحيته ، فاليتيم ضعفه من فقد الأب ، والمسكين ضعفه من فقد المال ، وابن السبيل ضعفه من فقد الوطن ، و الرقيق ضعفه من فقد الحرية .

و إذا كانت بعض المجتمعات تهمل هذه الفئات الشعبية الضعيفة ، و لا تلقى لها بالا فى سياستها الاجتماعية و الاقتصادية ، و لا تكاد تعترف لها بحق ، لأنها لا ترجى و لا تخشى ، و ليس بيدها خزائن المال ، و لا مقاليد السلطان - فان رسول الاسلام محمداً - ﷺ - قد نبه على قيمة هذه الفئات ومكانها من المجتمع فهى عدة النصر فى الحرب ، و صانعة الانتاج فى السلم ، فبجهادها و إخلاصها يتنزل نصر الله على الأمة كلها ، و بجهودها و كدحها فى سبيل الانتاج يتوافر الرزق لها .

•

و إلى هذه الحقيقة يشير حديث النبي - ﷺ - لسعد بن أبى وقاص ، حين قال له فيما رواه البخارى : « هل تنصرون و ترزقون إلا بضعفائكم ؟ » .

و من هنا حرص الاسلام على أن تكون هذه الفئات الجاهدة المجاهدة ، مستريحة فى حياتها ، مطمئنة إلى أن معيشتها مكفولة ، و أن حقوقها فى العيش

كريم مضمونة ، بحيث يجب أن يوفر لكل فرد فيها على الأقل حد الكفاية ، ل تمام الكفاية من مطالب الحياة الأساسية ، إذا عجز عن العمل ، أو قدر عليه . لم يجده ، أو وجده و لم يكن دخله منه يكفيه أو يكفيه بعض الكفاية دون تمامها ، على أن الاسلام لم يغفل من حسابه أن القوى قد تطرأ عليه ظروف بجعله فى مركز الضعف والحاجة ، لغرم فى مصلحة خاصة أو عامة ، أو لانقطاعه عن ماله و وطنه فى سفر و غربة أو لاضطهاده و إخراجه من وطنه على يد قوة طاغية من الداخل أو غازية من الخارج ، ففرض لهذا النوع (الغارمين و ابن السبيل) من المساعدة والعون ما ينهض بهم إذ عثروا ، ويمدهم بالقوة إذ ضعفوا و يصلهم بالحياة و قد انقطعوا .

و لكن ما المورد المالى الذى يحقق هذه الأهداف ، ويفى بهذه المطالب ؟ . هنا يأتى دور الزكاة التى جعل الشرع جل حصيلتها لهذه الأغراض الاجتماعية ، و هى ليست بالشئ الهين ، إنها العشر أو نصفه مما أنبت الله من الثروة الزراعية ، و ربع العشر من الثروة النقدية و التجارية ، و نحو هذا المقدار ـ تقريباً ـ من الثروة الحيوانية ، و خمس ما يعثر عليه من الكنوز ، بالاضافة إلى خمس الثروة المعدنية و البحرية كما يرى بعض الفقهاء .

و لقد كان من روائع الاسلام ، بل من معجزاته الدالة على أنه دين الله حقاً : أنه سبق الزمن ، و تخطى القرون ، فعنى ـ منذ أربعة عشر قرناً مضت ـ بعلاج مشكلة الفقر و الحاجة ، و وضع الفقراء و المحتاجين ، دون أن يقوموا بثورة ، أو يطالبوا ـ أو يطالب لهم أحد ـ بحياة انسانية كريمة ، بل دون أن يفكروا هم مجرد تفكير فى أن لهم حقوقاً على المجتمع يجب أن تؤدى ، فقد توارث هؤلاء على مر السنين و القرون أن الحقوق لغيرهم ، و أما الواجبات فعليهم !!

و لم تكن عناية الاسلام بهذا الأمر سطحية و لا عارضة ، فقد جعلها

من خاصة أسسه ، وصلب أصوله ، وذلك حين فرض للفقراء، و ذوى الحاجة، حقاً ثابتاً فى أموال الأغنياء يعطى طوعاً بدافع الايمان ، و إلا أخذ كرهاً بقوة السلطان .

البعد السياسى :

و أما الشعبة الثالثة ، فهى التى تقرر الشورى قاعدة للحكم فى الاسلام .

و لا بد لنا من التأكيد على هذه القاعدة الاسلامية الجليلة ، التى اعتبرها القرآن أحد مقومات المجتمع المسلم و وضعها بين الصلاة و الانفاق مما رزق الله و هما من أركان الدين .

يقول تعالى فى وصف مجتمع المؤمنين فى القرآن المكى : « و الذين استجابوا لربهم و أقاموا الصلاة و أمرهم شورى بينهم و مما رزقناهم ينفقون » (سورة الشورى الآية : ٣٨) .

و يقول فى القرآن المدنى مخاطباً النبى ﷺ « فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الأمر » (سورة آل عمران الآية : ١٥٩) .

و إذا كان النبى المؤيد بالوحى مأموراً بالمشاورة فغيره أولى :

و كان - ﷺ - أكثر الناس مشاورة لأصحابه ، فيما ينوبه من أمور ، و طالما نزل عن رأيه إلى رأيهم ، وخصوصاً إذا وجد الخبرة أو الكثرة معهم.

إننا نتبنى القول بوجوب الشورى ، و بأن نتائجها ملزمة ما دامت صادرة من أهلها فى محلها ، و حسب أمتنا ما لاقت من الطغاة و المستبدين .

أما حكاية (المستبد العادل) الذى لا ينهض بالشرق غيره كما قيل فهى مرفوضة ، إذ لا يجتمع العدل والاستبداد ، فالعادل لا يكون مستبداً ، و المستبد لا يكون عادلا ، و كيف يكون عادلا من يرى نفسه عليماً بكل أمر ، وحكيماً

فى كل قضية ، لا يسأل عما يريد ، و لا يسأل عما يفعل ، كأنما هو إله يفعل ما يشاء ، و يحكم ما يريد و لا معقب لحكمه ؟ !

إن الاسلام يرفض الاستبداد و الطغيان ، و يقيم الحكم على أساس البيعة و الاختيار ، ثم على التشاور و التفاهم ، موجباً المشاورة على الحاكم ، و النصيحة على المحكومين ، و من مجموع هذين تتكون المجالس الشورية .

و عندئذ لا حاجة لنا إلى استيراد الديمقراطية الغربية ، فى شريعتنا ما يغنى عنها ، و ما يعفينا من مساوئها الناشئة عن الروح المادية و النفعية و الفردية التى هى من إفراز العقلية الغربية .

على أنه لا حرج علينا أن نقتبس من نقاط القوة فيها ما يلائم شعوبنا ، ولا يتعارض مع شريعتنا ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

إن الاسلام يرفض أن يفرض على المسلمين من يقودهم رغم أنوفهم ، ولو كان يقودهم من نصر إلى نصر ، فان الذى يقاد رغم أنفه هو البهيمة العجماء و ليس الانسان المكرم - أى انسان - فما بالك بالمؤمن ؟ .

إنه يذم إمام الصلاة الذى يؤم قوما لا يرضون عن إمامته ، مع أنه يؤمهم فى عبادة ، كما جاء فى الحديث عن الثلاثة الذين لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً : « رجل أم قوما و هم له كارهون . . . » الحديث فاذا كان هذا فى (الامامة الصغرى) مذموماً مرفوضاً عند الله تعالى ، فكيف يقبل فى (الامامة الكبرى) أن يقود رجل قوماً وهم له كارهون ؟ وعليه ساخطون ؟!

إن الاسلام يرفض أن تزوج الفتاة البكر بغير أذنها ، و أن تفرض عليها حياة لا ترضى عنها ، فكيف يتصور أن يقبل الاسلام أن تجبر أمته على حياة لم تخترها ، و لم يؤخذ رأيها فيها ؟

إن الاسلام جعل أمر الأمة بيدها ، فهى التى تختار إمامها و حاكمها عن

اقتناع ، و تبايعه عن رضا ، حين تجد فيه تحقق الشروط ، و تكامل الأوصاف العقلية و النفسية و الخلقية و العملية اللازمة لقيادة الأمـــة ، و قد أفتى الامام مالك بأن من بايع إماما و هو مكره ، فان بيعته باطلة ، لأن شرط البيعة توافر الحرية و الاختيار .

فاذا اختارت الأمة حاكمها ، و بايعته طائعة راضية ، فمن حقها - بل من واجبها - أن تراقبه بأمانة ، و أن تحاسبه بدقـــة ، و أن تنصح له باخلاص ، و أن تعينه إذا أحسن و تقومه إذا أساء ، كما قال أبو بكر رضي الله عنه ، فان النصيحة لب الدين ، والتواصي بالحق والصبر ، أحد شروط النجاة من الخسران ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أحد مقومات المجتمع المسلم (و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . .) (سورة التوبة الآية : ٧١) كما أنه أحـــد وظائف الدولة المسلمة المنصورة من الله «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر » (سورة الحج الآية : ٤١) .

والامامة في الصلاة مثال مصغر لامامة الأمة في الحياة ، وقد علم الاسلام المأمومين أن يصححوا الامام إذا أخطأ ، و يذكروه إذا نسي ، حتى يردوه إلى الصواب ، و عليه أن يدع رأي نفسه لرأيهم ، و ينزل عند قولهم ، و لو خالف ما تعتقده صواباً .

كما علم الاسلام المسلم ، أن يقول في قنوته إذا أوتر - كما في المذهب الحنفي : « نشكرك اللهم و لا نكفرك ، و نخلع و نترك من يفجرك » و هذا معناه زرع الثورة و التمرد على الظلم و الفجور في نفسية كل مصل قانت لله .

والأمة التي ملكها الاسلام حق تولية الحاكم ، هي التي ملكها حق تقويمه ، بل عزله إذا انحرف عن جادة الاسلام ، و لم يجد معـــه نصح و لا توجيه ، رخصوصاً إذا أتى كفراً بواحا عندها فيه من الله برهان .

و قد قال أبو بكر رضى الله عنه : « أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

و قال عمر : « من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومنى » .

و قبلهما قال النبي ﷺ : « السمع و الطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب و كره ما لم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة » متفق عليه.

و لا يرضى الاسلام عن أمة تؤيد حاكمها فى الصواب و الخطأ ، وتسير وراءه فى الحق و الباطل ، و تمدحه إذا عدل ، و لاتنقده إذا ظلم ، و لو كان من باب الخوف والتهيب ، و يعتبر أمة من هذا النوع قد فقدت مبرر وجودها ، و بطن الأرض خير لها من ظهرها .

« إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم : يا ظالم ، فقد تودع منهم » .

و الاسلام يندد بالجبابرة الطغاة المتألهين ، كما يندد بمن أتبعهم على باطلهم ، و ينظم القرآن الكريم الرعية مع الراعى الظالم المتجبر فى سلك واحد إذا هم مشوا فى ركابه ، و اتبعوا أمره ، كما قال تعالى فى قوم فرعون : « فاتبعوا أمر فرعون و ما أمر فرعون برشيد » (سورة هود الآية : ٩٧) وقال فى فرعون « فاستخف قومه فاطاعوه ، إنهم كانوا قوما فاسقين » (سورة الزخرف : ٥٤) وقال فى ذم عاد قوم هود : « واتبعوا أمر كل جبار عنيد » (سورة هود : ٥٩) .

و ما لم تقم الأمة بهذا الواجب ، فهى معرضة لسخط الله و عذابه ، و نقمته العامة التى تنزل بالجميع ، فتصيب المقترفين للنكر ، و الساكتين عليه ، كما قال تعالى : « و اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » (سورة الأنفال الآية ٢٥) و فى الحديث : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » « يتبع »

الشريعة الاسلاميه شريعة إلهية خالدة

الأستاذ السيد جلال الدين العمرى
مدير معهد البحث و التصنيف الاسلامى بعليكره ، الهند
تعريب : الأخ محمد رضى الاسلام الندوى

يظن بعض الناس، ويسود هذا الظن مختلف الفئات و الأوساط بأساليب متنوعة وطرق شتى: أن الشريعة الاسلامية نزلت فى وقت خاص وبيئة خاصة، ولم يبق الآن ذلك العهد و لا تلك الأوضاع ، بل نعيش فى عهد جديد و أوضاع جديدة ، فلا يمكن أن نتبع الشريعة ونعمل بها حسب ما نزلت ، ولا تستطيع الشريعة أن تساير مقتضيات العصر الحديث ، ولا تستطيع الأمة المسلمة أن تخرج من ورطة الانحطاط الجارى إذا لم ترض باصلاح أو تعديل ملائم فيها ، و من الناس من لا يجهر بهذا القول و لكنه يبدو مضطرباً قلقاً فيما تهوى به نفسه ، و هو أن يجعل الشريعة الاسلامية متجانسة للعصر الحديث كيفما اتفق له ، لئلا يستحى هو و الذين ينادون باسم الشريعة ، على عدم اتزانها ، و لذلك لا يترددون شيئاً فى إدلاء بيان أو شرح للشريعة لا يلائم اللغة و الأسلوب ، و لا مفهوم الشريعة الموثوق به و تعامل الأمة .

هذه الأفكار لا تختص بقضية للشريعة دون أخرى ، بل يتسع ويشمل مجالها شمول الشريعة الالهية و توسعها ، فنهم من يرى النقيصة فى نظام العبادات للاسلام ومنهم من يريد تغيير نظامه الاجتماعى ، و منهم من يشعر بحاجة رتق الثلمة التى يراها فى حضارته و ثقافته ، و منهم من يشير على المسلمين بالترقيع فى تعاليمه الاقتصادية ، و منهم من يود إزالة الهمجية و الوحشية من حدوده

و تعزيراته ، فاذا جمعنا هذه الأفكار بنسق خاص تمثلت صورة مدهشة مروعة للاسلام ينفر منها الرجل ويفر منها ، بدلا من أن يحبها و يشتاق إليها ، بل ويشك فى أن هذه الشريعة نزلت من عند الله أم لا ؟

و إن ظهرت هذه الأفكار من قبل معاند أو معارض للاسلام ، أمكن أن يحاول فى إقناعه بمغزى الشريعة ، و مثل هذه المساعى لا تزال تظهر فى درجة ما إذا مست الحاجة إليها — ولكن الأسف أن مثل هذه الأفكار تظهر بين فينة وأخرى من قبل الذين يعرضون أنفسهم كمنتقين للاسلام ومحبيه ، مع أن الرجل الذى يؤمن بأن الشريعة ليست من وضع أحد من الناس بل أنزلها الله سبحانه وشرحها رسوله من قبله ، لا يمكنه أن يعبر عن مثل هذه الأفكار .

أعلن الله سبحانه فى كلمات صريحة واضحة بمناسبة حجة الوداع (أى قبل وفاة النبى ﷺ بثلاثة أشهر) :

« اليوم اكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً »
(المائده — ٣)

إن كلمة « الدين » فى هذه الآية تشمل الشريعة ، بل إن هذه الآية نزلت فى سياق بعض الأحكام الشرعية ، و بذلك تشير الآية إلى أن الشريعة أصبحت كاملة من كل ناحية فلا تنزل بعدها شريعة جديدة ولا يكون فيها حذف أو زيادة ولا تعديل أو نسخ إلى يوم القيامة ، وكذلك هذه الآية نصت على ختم النبوة ، لأن الشريعة لا يقع فيها التغيير فى شئ — صغيراً كان أو كبيراً — إلا بواسطة الأنبياء ، فحينما نزلت شريعة دائمة فلا حاجة إلى رسول جديد ، و لا يعنى أى حذف أو زيادة فى الشريعة إنكار ختم النبوة فحسب بل يكون ذلك مترادفاً لايصال ذلك المنكر نفسه إلى درجة النبوة .

اقدم هنا موجز ما فسر به الحافظ ابن كثير رحمه الله هذه الآية تفسيراً جيداً :

« هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الامة حيث أكمل تعالى دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله و سلامه عليه، و لهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الانس و الجن ، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شئ أخبر به فهو حق وصدق، ولا كذب فيه ولا خلف ، وقال ابن عباس : هو الاسلام ، أخبر الله النبي ﷺ و المؤمنين أنه قد أكمل لهم الايمان ، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، و قد أتمه الله فلا ينقصه أبداً ، و قد رضيه الله فلا يسخطه أبداً » (تفسير ابن كثير) المكتبة التجارية مصر ١٣٥٦هـ الجزء الثانى ص/ ١٣ .

و الحقيقة أن الذى يؤمن بتعاليم الله و رسوله لا يتصور حذفا أو زيادة أو نقصاناً فى الدين فان تكميل الدين و ختم النبوة قد توليا إنهاء هـــذا الاحتمال عنده إلى يوم القيامة .

من أهم أهداف الشريعة تحديد الحرام و الحلال من الله سبحانه، فقد أحل الله جل وعلا للانسان الطيبات من الأشياء التى تحبها الفطرة السليمة ، وتنفع الصحة البدنية و الأخلاق و الروح ، و كذلك حرم الخبائث من الأشياء التى تأباه فطرته وتوجه إلى صحته وخلقه أثراً سيئاً ، ولذلك بين الله سبحانه وصفاً من أوصاف رسوله ﷺ :

« ويحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث » (الأعراف — ١٥٧) .

حرمت الرهبانية الطيبات ، فأعلن الاسلام أن ليس مما يقرره الدين، وقال :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا و اشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده و الطيبات من

لرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » (الأعراف : ٣٢ — ٣٣ وقال :

« و مالكم ألا تاكلوا مما ذكر الله عليه و قد فصل لكم ما حرم عليكم » (الأنعام — ١٢٠)

و بالاضافة إلى ذلك أشار إلى أنه لا يستحق أحد أن يحكم فى شئ بالحلة أو الحرمة إلا الله ، حيث قال :

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال و هذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب أليم » (النحل : ١١٦ — ١١٧) .

قال الحافظ ابن كثير :

« ويدخل فى هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعى أو حلل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أباح الله لمجرد رأيه وتشهيه » (تفسير ابن كثير الجزء الثانى ص/٥٦٠) .

فاذا لم يحق لأحد أن يحكم بالحلة أو الحرمة فى شئ إلا الله ، و أنه قد فصل للناس ما حرم عليهم فلا مجال لحذف أو زيادة فى الشريعة (لا يدخل فى هذا البحث الاجتهاد الذى يكون فى ضوء أحكام الشريعة من الحلال و الحرام لأنه يكون تابعاً لها) .

تدبروا فى هذه القضية من ناحية أخرى ، فقد عبر القرآن الكريم أحكام الشريعة بحدود الله فى مواضع عديدة ، قال بعد سرد أحكام الصيام :

« تلك حدود الله فلا تقربوها » (البقره — ١٨٧) .

وقال وهو يبين أحكام الطلاق : « تالك حدود الله فلا تعتدوها ، و من

يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . . . . و تلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » (البقره — ٢٢٩ — ٢٣٠) .

وقال فی موضع آخر بصدد أحكام الطلاق :

« و تلك حدود الله، و من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » (الطلاق : ١) وبشر بالجنة على طاعة الله و رسوله و رعاية حدوده، و أوعد بالنار على عصيانهما و تعدى حدوده ، فقال بعد ذكر أحكام الارث و الوصية :

« تلك حدود الله ، و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، و ذلك الفوز العظيم ، و من يعص الله و رسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » (النساء : ١٣-١٤) .

فهل يجرأ مسلم أن يتخطى الحدود التی أقامها الله سبحانه فی مختلف شئون الحياة ، و أكد على الالتزام بها ، ونهى عن تعديها ، وعصيانها بشدة، أو عن أن يستبيحها أو يشير على أحد بأن يتعداها ،قال الله عزوجل فی مشرکی العرب : و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله » (يونس — ١٥) فالذين يريدون تغييرا فی دين الله و شريعته ، لا تختلف فكرتهم عن فكرتهم تلك ، رد القرآن الكريم على طلب المشركين هذا أنه لا يستطيع أحد حتى النبی أن يغير شيئاً من دين الله لأن ذلك تغيير ما أنزله الله سبحانه عليه :

«قل ما يكون لی أن أبدله من تلقاى نفسی ، إن أتبع إلا ما يوحى إلی ، إنی أخاف إن عصيت ربی عذاب يوم عظيم » (يونس — ١٥) .

فهل يمكن بعـــد ذلك أن يطالب مسلم يؤمن بالله و رسوله بالتغيير فی الشريعة الاسلامية ؟

حقيقة الحج بين العبادات الاسلامية

الدكتور / محمد يونس النجرامى
الأستاذ بالقسم العربى بجامعة لكنو الهند

(أعدت هذه المقالة للمؤتمر الأوروبى الاسلامى الأول ، الذى عقد فى مدينة لندن فى الفترة ما بين ١-٣ من شهر يوليو ١٩٨٨م) التحرير

قد ربط القرآن الكريم سعادة الانسان و فلاحه بالايمان و العمل الصالح ، فالايمان أساس و العمل الصالح بناء يقوم عليه ، و قد برهن القرآن الكريم على ذلك بالتاريخ الانسانى نفسه حيث يقول : « والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

كلما كانت حياتنا منحرفة فى المجال العملى كان إيماننا أضعف و أهون ، و ذلك لأن مخالفة الانسان لما يعتقده ويتحمس له تناقض الفطرة البشرية ، فمن منا يجترى على إلقاء أصبعه فى النار بعد أن اعتقد أن النار محرقة لا محالة .

فالتقصير العملى إنما يدل على ضعف عقيدتنا و إيماننا ، مفهوم العمل الصالح واسع جداً فهو يحمل بين جوانحه جميع صور الخير و أجزائه ، كما أن لفظ « العبادة » أيضاً واسع جداً و تحديدها فى أعمال و تقاليد خاصة إنما يعنى مفهومها الضيق ، فان العبادة فى الواقع هى التضرع و الابتهال والانكسار و تقديم العبودية ، و الانصهار التام لوجه الله فى بوتقة الأعمال الصالحات .

و لذلك شهد لسان النبوة بأن العبودية هى كل عمل يشف عن عبودية الانسان و طاعة أحكامه ، و على العكس من ذلك مهما كان العمل قيما وجليلا

لا یعد عبادة إذا کان خالیاً من روح العبودة و لم یکن مما یبتغی به وجه الله ، حیث یقول النبی ﷺ « إنما الأعمال بالنیات و إنما لکل امریء ما نوی » .

فة التعلیم النبوی هذه جعلت العبادة غایة لتزکیـــة القلب و إخلاص العمل ، قال رسول الله ﷺ « بنی الاسلام علی خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، و إقام الصلاة و إیتاء الزکاة و صوم رمضان و حج البیت »

حقیقة هذه العبادات لیست إلا الانقیاد و التفانی و نکران الذات ، فما هی الصلاة ؟ إن الصلاة أن یظهر العبد عبودیته أمام الرب سبحانه و تعالی وهی عبودیة الروح و الجسم أمام الله عز و جل و تعبیر عما یجیش فی القلب من مشاعر و عواطف متدفقة ، و هی استجابة القلب الضـارع ، و سلوی الروح المتعطشة وشفاء القلب المضطر وبلسم الخاطر القانط واستجابة لصوت الفطرة ، هی مکسب الحیاة و غایة الوجود ، فان الأرض تهتز باحدی سجداتها .

والزکاة أیضاً تهدف إلی تزکیة القلب و الروح من المآثم و غوائل النفس و مکائد الشیطان ، فتزکیة القلب و صفاء الروح و طهارة النفس من أهم مقاصد البعثة النبویة و من أصول غایات الدین ، وبالعمل بها تصفو وتزدان مرآة النفس من أصداء المال و الظهور ، و کلما کانت العبادة أخفی و أستر من أعین النـاس کانت أثمن عند الله ، فقبولها و قیمتها تضمر فی الاخفاء و نکران الذات بحیث لا تعلم یمینه ما أنفقت شماله .

و الصوم لیس إلا تضحیـة الانسان بأطماعه و أهوائه و رغباته لابتغاء رضی الله سبحانه وأحکامه ، والصوم یکسب الانســان التقوی والصبر و الجلادة و الشکر و الایثار و الأوصاف الجیدة الأخری کنتیجة طبیعیة له .

والحج عبادة الجسم والمال معاً ، وهو عبارة عن تطهیر النفس وتنقیة الأفکار و تزکیة القلب و تصفیة الروح و الجسد ، و عن تضجع الروح وتوجع القلب مع

إنكار حب المال ، و تضحية كل رخيص و غال فى سبيل الله بالقلب الفياض و الروح المضطربة و العاطفة الجياشة و الهيام الزايد و الوله المطرد ، ، مما هو أوج مجده و علوه و قمة ظهوره و رقيه .

و الحج يجدد ذكرى التفانى و الانقياد و الخضوع أمام الرب تعالى ملبيا لدعوة سيدنا إبراهيم ، وهى ذكرى وقعت قبل آلاف السنين ، فالملة الابراهيمية كنهها و قوامها من التضحية و التفانى .

فتضحية المال و تضحية الروح و القلب وتضحية الأحلام و الأمانى ، إن هى إلا انعكاس هذه العاطفة الداخلية و صورة صادقة لها .

والحج جامع بين جميع العبادات، فهو صلاة بما فيه من المزايا و الخصائص و النور و التجلى و الفداء و التفانى ، و التضرع ، و الابتهال ، كما هو صوم بما فيه الصبر و التحمل و التغلب على الأهواء و العزوف عن الشهوات ، و هو يمثل الزكاة ـ بما فيه تضحية بالمال و الفداء ، و الايثار ، والحج من أكبر مظاهر التوحيد الربانى وأروع صورة منه ، حيث العبد ينخرط فى سلك الأخوة والمحبة متناسيا جميع القرابات و العلائق و الروابط و مجتازاً جميع الحدود و المسافات الجغرافية ، و يوطد علاقته مع الله وفاء و محبة ، و عندما هو يطوف البيت و يسعى بين الصفا والمروة ويقدم عاطفة التوحيد الصادقة فى ميادين منى ومزدلفة وعرفات فلا يتمالك الله عز وجل دون أن يقول : إن هذا العبد قد ولى وجهه من العالم لأجلى .

فنى هذا الجو الذى تنزل فيه السكينة والفيوض الربانية ، وتتفجر فيه ينابيع محبة الله ومعرفته والتفانى فى سبيله ويريد الانسان التائه فى ظلمات الجهل والبدع أن يتخلص منها إلى نور العقيدة الصافية ويريد أن ينال حظه الموفور من حب الله ورأفته ورحمته و التفانى فى سبيله ، فنى مثل هذا الجو وفى مثل هذه اللحظات الحانية إذا ارتكب الانسان أى عمل شائن لم يكدر صفو الحج بل كدر جميع صفو العبادات الاسلامية و الشعائر الدينية و جرح روح جميع العبادات الاسلامية معاً .

الفوائد البنوكية بين الاباحة و التحريم

بقلم : معالى الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين

[كان الدكتور إبراهيم الناصر رفع البحث الذى كتبه بعنوان « موقف الشريعة الاسلامية من المصارف » إلى معالى الشيخ صالح الحصين و طلب منه أن يكتب ملاحظاته على البحث بكل صراحة وبدون مجاملة فكتب له رسالة مطولة نقتطف منها ما يأتى مع ملاحظة أنا حافظنا على عبارات الأصل عدا حالات نادرة اقتضى حسن السياق تغيير اللفظ مع بقاء المعنى] « التحرير »

الملاحظة الأولى :

ليست مناقشة بل هى بالأحرى عتب ، إذا كان الانطباع لدى عند قراءتى للبحث لأول وهلة أنه لم يكتب بجدية تتناسب مع موضوعه بل أخشى أن يكون كتب بطريقة أقرب إلى العبث و عدم الاحتفال .

لا أقصد ـ و قد انتصبتم للاجتهاد فى الافتاء فى مسألة ترونها جديدة و خطيرة » ، (ص ١١) إنه كان يجب أن تطلعوا على النصوص الشرعية المتصلة بالموضوع وأن تعملوا القواعد الفقهية فى الاستنباط منها ، وأن تستخدموا المقاييس و الموازين الشرعية للترجيح بين الأدلة ، فأنتم معذورون فى التقصير فى هذا ، لأنه ليس لديكم الامكانيات اللازمة لذلك .

أقول لا أقصد هذا وإنما أقصد أنه كان يتوقع منكم و قد تصديتم للكتابة فى مثل هـذا الموضوع أن تتقيدوا بمنهج البحث العلمى تفكيراً وتعبيراً ، الأمر الذى حرم منه هذا البحث كما يتضح من الملاحظة الثانية .

الملاحظة الثانية :

أدق وصف للبحث أنه خليط مشوش من اقتباسـات أخذت من كتابة سابقة ، كانت أكثر جدية و قد حورت للهدف نفســه الذى رمى إليه البحث و هو التماس المخرج الفقهى لاباحة (الفائدة الربوية) .

و الاشكال جاء من أن الكتابة المشار إليها كانت عرضاً لنظريات متباينة و متعارضة ، فكل نظرية منهـا ذهبت مذهباً فى التأسيس و التخريج ، و كان من المستحيل أن يجئ باحث فيأخذ بها جميعاً فى وقت واحد ، إنك لا تستطيع أن تصل إلى هدف واحد بالسير فى اتجاهين متعارضين .

إن الباحث لم ينتبه لهذا التناقض الذى وقع فيه البحث لأنه فى حمى الوصول إلى النتيجـة التى قررها مسبقاً لم يبال أن يصل إليها بمقدمات وهميـة أو يكون إيصالها للنتيجة وهما ، لقد اكتفى بصورة الحجـة ، لا حقيقتها ، عناه أن يورد الشبهة و لم يهتم بايراد الدليل .

إن الكتابة المشار إليها التى اقتبس منها هى بحث « محل العقد » فى كتاب (مصادر الحق) للأستاذ السنهورى ، و بدون أن يشير لهذا المرجع نقل منه بالنص (١) و قد يكون الأمر فى هذا قاصراً على عدم الالتزام الخلقى لو أحسن

(١) الصفحات رقم ٤ ، ٥ ، ٦ فنقلهـا بالحرف من (مصادر الحق) الجزء الثـالث من ص ١٩٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ .

النقل و لم ینقل بعض الأفكار نقلا خاطئاً ، و لو استطاع الاستفادة من المعلومات التی تضمنها هذا المرجع ، أو من طریقة البحث التی انتهجها و لکن كل ذلك لم یحصل .

لقد اهتم الأستاذ السنهوری ـ غفر الله له ـ كما اهتم الباحث بالوصول إلى إباحة الفائدة ، وعرض ثلاث نظریات فی الموضوع ، و جاء الباحث فاقتبس من كل هذه النظریات مع اختلافها فی الأساس و تعارضها فلم یكن غریباً أن یؤدی هذا الخلط المشوش من الاقتباسات إلى وقوع البحث فی التناقض و البعد عن الطریقة العلمیة .

لقد قرأت البحث عدة مرات بغرض مناقشته و لکنی انتهیت إلى أن من المستحیل أن تناقش مناقشة علمیة بحثاً یبعد كل هذا البعد عن الطریقة العلمیة ولا یلتزم بقواعد المنطق القانونی و رأیت أن السبیل الوحید لمناقشة البحث أن أرده أولا إلى الأصول التی أخذ منها و أن أعرضها بالصورة التی وردت بها فی مرجعه ثم أناقشها ، و یتضح هذا بالملاحظة الثالثة :

الملاحظة الثالثة :

عرض الأستاذ السنهوری فی مصادر الحق ثلاث نظریات لاباحة الفائدة :

(١) نظریة الدکتور معروف الدوالیبی و هی موضوع محاضرة ألقاها فی مؤتمر الفقه الاسلامی المعقود فی باریس عام ١٩٥١م ویلخصها الأستاذ السنهوری بما یأتی :

الربا المحرم إنما یكون فی القروض التی یقصد بها إلى الاستهلاك لا إلى الانتاج ففی هذه المنطقة ـ منطقة الاستهلاك یستغل المرابون حاجة المعوزین والفقراء ویرهقونهم بما یفرضون علیهم من ربا فاحش ، أما الیوم و قد تطورت النظم الاقتصادیة و انتشرت الشركات و أصبحت القروش أكثرها قروض إنتاج

لا قروض استهلاك فان من الواجب النظر فيما يقتضيه هذا التطور فى الحضارة من تطور فى الأحكام ، و يتضح ذلك بوجه خاص عند ما تقترض الشركات الكبيرة و الحكومات من الجماهير و صغار المدخرين ، فان الآية تنعكس و الوضع ينقلب و يصبح المقترض و هو الشركات والحكومات هو الجانب القوى المستغل ويصبح المقرض أى صغار المدخرين هو الجانب الضعيف الذى تجب له الحماية ، فيجب إذاً أن يكون لقروض الانتاج حكمها فى الفقـــه الاسلامى و يجب أن يتمشى هذا الحكم مع طبيعة هذه القروض و هى طبيعة تغاير مغايرة تامة طبيعة قروض الاستهلاك . . . و الحل الصحيح أن تباح قروض الانتاج بقيود و فائدة معقولة و يمكن تخريج هذا على فكرة الضرورة أو فكرة المصلحـــة أى تقديم المصلحة العامـــة على المصلحة الخاصة ، كما لو تذرع العدو بمسلم فيقتل المسلم للوصول للعدو .

ب ــ نظرية الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله وهى كما تتلخص من المرجع المشار إليه آنفاً كما يأتى :

الربا المحرم هو ربا الجاهلية وحده فهو الربا الوارد فى القرآن الكريم وهو الربا الذى يؤدى إلى خراب المدين ، أما ربا النسيئة و ربا الفضل الواردان فى الحديث الشريف فالنهى عنهما إنما جاء للذريعة إلى الربا المحرم القطعى و هو ربا الجاهلية و هذه الذريعة مظنونه لاقطعية فالشيخ رشيد يرى أن بيع الأصناف الستة بمثلها مع التفاضل فضلا عن تثمير الأموال فى الشركات التجارية كل هذا لا يدخل فى الربا المحرم ، يقول « و إنما يظهر من سبب النهى عن هذه البيوع أنه سد لذريعة الربا المحرم القطعى و هذه الذريعة مظنونة لا قطعية و من المنهيات فى الحديث ما هو محرم و ما هو مكروه و ما هو خلاف الأولى . . .

(٣) نظرية الاستاذ السنهورى ـ غفر الله له ـ و ملخصها :

الأصل فى الربا تحريم الربا فى جميع صوره سواء كان ربا الجاهلية أو ربا النسيئة أو ربا الفضل، على أن هناك صورة من الربا هى أشنع هذه الصور، صورة الربا الذى تعودته العرب فى الجاهلية فيأتى الدائن مدينه عند حلول أجل الدين و يقول « إما أن تقضى و إما أن تربى » ، و هذا أشبه بما نسميه اليوم . . الربح المركب . . هذه الصورة من الربا فى العصر الحاضر هى التى تقابل ربا الجاهلية و هى محرمة تحريماً قاطعاً لذاتها ، تحريم مقاصد لا تحريم وسائل ، أما الصور الأخرى من الربا ، الفائدة البسيطة للقرض و ربا النسيئة و ربا الفضل فهى أيضاً محرمة ، و لكن التحريم هنا تحريم وسائل لا مقاصد ، بعض هذه الصور و هى الخاصة بالأصناف الستة و بفائدة القرض وردت بنصوص صريحة فى الأحاديث الشريفة ، و بعضها و هى الخاصة بالأصناف الأخرى . . . كان من عمل الفقهاء و هى تقوم على صناعة فقهية لا شك فى سلامتها و كلها وسائل لا مقاصد وقد حرمت سداً للذرائع ، ومن ثم يكون الأصل فيها التحريم وتجوز استثناءاً إذا قامت الحاجة إليها و الحاجة هنا معناها مصلحة راجحة فى صورة معينة من صور الربا تفوت إذا بقى التحريم على أصله ، عند ذلك تجوز هذه الصورة استثناء من أصل التحريم و تجوز بقدر الحاجة القائمة فاذا ارتفعت الحاجة عاد التحريم .

و فى نظام اقتصادى رأسمالى كالنظام القائم فى الوقت الحاضر فى كثير من البلاد . . . تدعو الحاجة العامة الشاملة إلى حصول العامل على رأس المال حتى يستغله بعمله ، و قد أصبحت شركات المضاربة و غيرها غير كافية للحصول على رأس المال اللازم . . القروض هى الوسيلة الأولى وكذلك السندات ، والمقترض

منا هو الجانب القوى و المقرض هو الجانب الضعيف . . فما دامت الحاجة قائمة للحصول على رؤوس الأموال من طريق القرض . . فان فائدة رأس المال فى الحدود المذكورة تكون جائزة الاستثناء من أصل التحريم ، نقول فى الحدود المذكورة و نقصد بذلك (أولا) أنه لا يجوز بحال مهما كانت الحاجة قائمة أن تتقاضى فوائد على متجمد الفوائد فهذا هو ربا الجاهلية الممقوت (ثانياً) وحتى بالنسبة للفائدة البسيطة يجب أن يرسم لها واضع القانون حدوداً لا تتعداها من حيث سعرها و من حيث طريقة تقاضيها ومن وجوه أخرى ، و ذلك حتى نقدر الحاجة بقدرها .

و حتى بعد كل هذا فان الحاجة إلى الفائدة لا تقوم كما قدمنا إلا فى نظام رأسمالى كالنظام القائم فاذا تغير هذا النظام ويبدو أنه فى سبيله إلى التغيير ، عند ذلك يعاد النظر فى تقدير الحاجة فقد لا تقوم الحاجة فيعود الربا إلى أصله من التحريم ، انتهى .

بعد استعراض هذه النظريات لن أناقشها من ناحية الفقه الشرعى و إنما أترك لرجل من أعظم رجال القانون فى العالم العربى و هو الأستاذ السنهورى أن ينقض النظريتين الأوليين على أساس المنطق القانونى ، وقبل ذلك ألفت النظر إلى الاختلاف الكامل بل إلى التعارض بين النظريات الثلاث فى الأساس الذى بنت عليه الأمر الذى لا يسمح بالجمع بينها كما فعل الباحث .

عن النظرية الأولى نظرية الدكتور معروف الدواليبى يقول الأستاذ السنهورى فى المرجع السابق الاشارة إليه « يؤخذ على هـذا الرأى أمران :

١ — يصعب كثيراً من الناحيـة العمليـة التمييز بين قروض الانتاج

و قروض الاستهلاك حتى تباح الفائده المعقولة فى الأولى و تحرم إطلاقاً فى الثانية ، قد يكون واضحاً فى بعض الحالات أن القروض قروض إنتاج كالقروض التى تعقدها الحكومات و الشركات ، لكن . . من القروض صوراً أكثرها وقوعاً و هي القروض التى يعقدها الأفراد مع المصارف فهل هى قروض إنتاج تباح فيها الفائده المعقولة أو هى قروض استهلاك لا تجوز فيها الفائدة أصلا ؟ وهل نستطيع هذا التمييز فى كل حالة على حدة ، فنبيح هنا ونحرم هناك ؟ ظاهر أن هذا التمييز متعذر و لا بد إذاً من أحد أمرين إما أن تباح الفائدة المعقولة فى جميع القروض أو تحرم فى جميعها .

٢- إذا فرضنا جدلا أنه يمكن تمييز قروض الانتاج فان تخريج جواز الفائدة المعقوله فى هذه القروض على فكرة الضرورة لا يستقيم ، فالضرورة بالمعنى الشرعى ليست قائمة و إنما هى الحاجه لا الضرورة و ينبغى التمييز بين الأمرين .

و عن نظرية الشيخ محمد رشيد رضا يقول السنهورى فى المرجع ذاته :

غنى عن البيان أن القول بأن ربا النسيئه و ربا الفضل إنما نهى عنهما فى الحديث الشريف نهى كراهة لا نهى تحريم لا يتفق مع ما أجمعت عليه المذاهب الفقهية ، و قد اعترض الأستاذ زكى الدين بدوى بحق على هذا الرأى فى مقاله المنشور فى مجلة القانون و الاقتصاد حيث قال « إنه يتعذر التسليم . . بقوله بعدم دخول الأصناف الستة فى الربا المحرم لأن بيع هذه الأصناف و إن كانت وسائل و ذرائع إلى الربا إلا أنها وسائل و ذرائع منصوصة و دلالة الأحاديث عليها لا تختلف فيها الأفهام ، أما قوله إن النهى عن بيع هذه الأصناف كان تورعاً لافادة أن بيعها خلاف الأولى أو للكراهة فقط لا للتحريم ، فدعوى تتعارض مع ظواهر النصوص و المأثور عن الصحابة ، ويبدو أنه يجب الذهاب إلى مدى أبعد مما ذهب إليه الأستاذ زكى الدين ، و القول بأن ربا النسيئه و ربا الفضل لا

لا يقتصران على الأصناف الستة المذكورة فى الحديث الشريف بل يجاوزانها إلى ما عداهما إليه المذاهب الفقهية من الأصناف الأخرى ، وهذا هو الذى انعقد عليه الاجماع ، و إن كل ذلك ربا محرم لا مكروه فحسب .

و ننتهى الآن إلى مناقشة نظرية أستاذنا السنهورى فنقول :

إذا كان الأستاذ السنهورى معذوراً من وجهة أنه حرر نظريته و الواقع المعاش فى ذلك الوقت أنه لا يوجد تطبيق مصرفى عملى إلا محكوماً بأحد النظامين النظام اللاربوى الشيوعى و النظام الربوى الرأسمالى فان الوضع الآن قد تغير و وجدت تطبيقات عملية و تجارب معاشية انظام مصرفى ليس ربويا ولا شيوعيا ، هذا من ناحية ، أما من الناحيةالأخرى فان الحاجة حينما تعتبر مثل هذا الاعتبار فى بعض الأحكام إنما يقصد بها الحاجة التى تفرض على الانسان من الخارج و لا يستطيع دفعها ، أما أن يكون فى إمكان الانسان دفع الحاجة ثم لا ينشط لذلك فلا يجوز اعتبارها فى هذه الحال ، وواضح بعد تغير الظروف و نجاح التطبيقات للنظام المصرفى غير الربوى أن فى إمكان أى دولة إسلامية أن تحول نظامها المحلى - على الأقل - إلى نظام لاربوى لو أرادت ذلك ، و سيأتى لهذا زيادة بيان إن شاء الله .

ومن حيث بناء النظرية على التمييز بين صورة من صور ربا الجاهلية بالقول بأنها المقصودة فى القرآن و المحرمة تحريم مقاصد ، وربا النسيئة ـ ومنه ربا القرض - بالقول بأنه ليس من الربا المقصود فى القرآن و محرم تحريم وسائل فهو خطاء واضح كالشمس ، و وهم زل به عالم جليل نقصد به الشيخ رشيد رضا (و ندعو الله أن يعفو عنه فى جانب حسناته الجليلة و الله أعلم بها) و لكن لا يجوز تقليده فى زلته و لو لم ترد النصوص موضحة أن ربا الجاهلية لا يقتصر على تلك الصورة لوجب أن تستيقن ذلك من طبائع الأمور و حكم العقل .

كانت مكة وادياً غير ذى زرع فلم يكن اقتصاد قريش قائماً على الزراعة و إنما كان قائماً على التجارة و كانت لهم رحلتا الشتاء و الصيف و كان منهم أصحاب الأموال (الممولون) و أصحاب العمل (المحتاجون للتمويل) و كان من الطبيعى أن يكون القرض الاداة الرئيسية للتمويل ، و لا يعقل أن الممولين من قريش لم يعرفوا إلا القرض الحسن الذى لا يكون فيه ربا .

و عند ما أعلن النبى ﷺ وضع ربا الجاهلية تحت قدميه الشريفتين لم يفهم أحد أبدا أنه وضع فقط صورة (إما أن تقضى أو تربى) وترك ربا القرض قائماً غير موضوع و حين وضع ربا العباس ، لم يكن الموضوع فقط ما كان على صورة « إما أن تقضى أو تربى » و النصوص تشهد بهذا ، فقد روى الطبرى عن السدى فى تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و ذروا ما بقى من الربا) قال نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب و رجل من بنى المغيرة كانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربا إلى أناس من ثقيف . . الحديث ج ٦ ص ٢٣ كما روى عن السدى فى تفسيره قوله تعالى (و إن تبتم فلكم رؤوس أموالكم) قال الذى أسلفتم و أسقط الربا ج ١ ص ٢٧ ، و السلف فى اللغة هو القرض .

و العلماء عند ما ذكروا صورة (إما أن تقضى و إما أن تربى) على أنها ربا الجاهلية كانوا يقصدون التمثيل و لم يقصدوا حصر ربا الجاهليـة فى هذه الصورة ، يقول ابن القيم فى أعلام الموقعين : « ربا النسيئة هو الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية ، مثل بصورة (إما أن تقضى أو تربى) و أفسد من فهم أن ربا الجاهلية قاصر على صورة « إما أن تقضى أو تربى » نسبة ذلك إلى ابن عباس رضى الله عنـه و أنه لم يكن يرى ربا فى غير هذه الصورة ، فى حين أن هذا

غير صحيح إنه إنما نقل عنه فقط الخلاف فى ربا الفضل ، و ها أنا أنقل من كتاب السنهورى نفسه « قال ابن رشيد: أجمع العلماء على أن بيع الذهب بالذهب و الفضة بالفضة لا يجوز إلا مثلا بمثل يداً بيد إلا ما روى عن ابن عباس و من تبعه من المكيين أنهم أجازوا بيعه متفاضلا و منعوه نسيئة فقط و إنما صار ابن عباس إلى ذلك لما رواه عن أسامة بن زيد عن النبى ﷺ أنه قال لا ربا إلا فى النسيئة ، فأخذ ابن عباس بظاهر الحديث فلم يجعل الربا إلا فى النسيئة .

بل إن بحث الدكتور إبراهيم الناصر نفسه وردت فيه هذه العبارات (ص ٨) و قال الشافعى رحمه الله فى كتاب اختلاف الحديث : « كان ابن عباس لا يرى فى دينار بدينارين و لا فى درهم بدرهمين يداً بيد بأسا و يراه فى النسيئة و كذلك عامة أصحابه .

الملاحظه الرابعة :

وردت فى البحث هذه التقريرات الانفعالية فى المقدمة ـ « لن تكون هناك قوة إسلامية بدون اقتصاد و لن تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك و لن تكون بنوك بلا فوائد ، إن وظيفة الجهاز المصرفى فى اقتصادها تشبه القلب بالنسبة لجسم الانسان ، يقوم البنك بتسيير النقود فى عروق الحياة الاقتصادية لأى بلد لتعيش وتزدهر (ص ١) و فى الخاتمة « نستخلص ضرورة الترخيص بالقرض بفائدة ، بذلك تتحقق أهداف الفائدة العامة خارج نطاق أى تحريم أو حظر قانونى فى استخدام مدخرات المواطنين فى تعزيز و تقوية الاقتصاد الوطنى ، فالعائد سيصبح ثابتاً و مضموناً و مثمراً و ذلك بسبب تنوع و توسع المشروعات ، و النتيجة تحقق القوة الاقتصادية التى بدونها لن تكون هناك قوة إسلامية » ص ٢٠ .

أحقا أن الدكتور إبراهيم يعيش معنا على هذه الأرض ؟

فى المدة الأخيره العنوان الذى لا نفتقده يومياً فى الصحافة و الاذاعة الحديث عن دول العالم الثالث و من بينها مع الأسف عدد من البلدان الاسلامية و تخبطها فى مشكلة الديون للدول و البنوك الأجنبية حيث تعانى العجز عن تسديد فوائد الديون لا عن أقساطها فحسب ، لنترك هذه الصورة و لننتقل لصورة ثانية ، لقد وجدت البنوك الربوية فى العالم الاسلامى أو فى جزء منه على الأقل منذ أكثر من مائة سنة ، و لم تنجح البلدان الاسلامية فى إقامة نظام يصلح أن يكون نداً أو مثيلا لنظام فى البلدان المتقدمة إلا فى النظام البنكى ، ربما كانت الاختلافات يسيرة بين بنك فى الرياض أو فى جده و بنك فى جنيف أو لندن ، و لكن هل تحققت النتيجة التى تنبأ بها الدكتور إبراهيم : القوة الاقتصادية ، إن الهزائم التى يعانى العالم الاسلامى منها فى المجال العسكرى و السياسى ليست أكبر من الهزائم فى المجال الاقتصادى ، إن المصارف الربوية ونظام الفائدة لم يخلق للعالم الاسلامى إمكانيات تمكنه من اجتياز حاجز التخلف ، و إذا اعتبر معيار التخلف مدى العجز عن الانتفاع بالامكانيات (لا أقصد فقط الامكانيات الماليــة ، و إذا اعتبر معيار التخلف مدى العجز عن الانتفاع بالامكانيات (لا أقصد فقط الامكانيات المالية ، بل و لا الامكانيات الايجابية بل أقصد أيضاً الامكانيات السلبيــة) فان بلدان العالم الاسلامى مع الأسف (مقلا ومستكثراً) عاجزة لا عن العمل بل عن عدم العمل ، إذ من المعروف و المشاهد أن بلدان العالم الاسلامى يتخبط فى مشاكل كان يمكن أن تحلها باتخاذ مواقف سلبية ولكنها مخذولة حتى عن ذلك ، بالتأكيد أن نظام الفائدة لم يكسبها قوة اقتصادية والبنوك (لم تسير الدم فى عروق حياتها الاقتصادية لتعيش وتزدهر) .

و لكن ألا يمكن أن يكون الأمر على العكس من ذلك ؟ لقد شرط الله لنصرنا أن ننصره (إن تنصروا الله ينصركم) و وضع لنا قانوناً أصدق من القوانين الرياضية (فان لم تفعلوا) (أى لم تذروا الربا) فأذنوا بحرب من الله و رسوله ، لو آمنا حق الايمان بكلمات الله لكان لنا شأن آخر .

غير أن اليقين أضحى مريضاً مرضاً باطناً كثير الخفاء

الملاحظة الخامسة :

إن النظريات التى سبقت الاشارة إليها فى الملاحظة الثالثة قد وجدت بضغط من عوامل الواقع المعاش عند وجودها و ذلك ما يلتمس به العذر لأصحابها فى الخطأ ، و لكن الظروف تغيرت كثيراً و تلك العوامل تجاوزها الزمن فما بال الدكتور إبراهيم يصر على أن يحارب تحت راية من أشباح الماضى ، فى الوقت الذى وجدت فيه تلك النظريات و أشباهها ، لم يكن يوجد على أرض الواقع مصرف واحد يقوم بمختلف الخدمات المصرفية دون أن يحتاج لاستخدام أداة الفائدة .

أما الآن فربما بلغ عدد المصارف اللاربوية خمسين أو يزيد إذا استثنينا باكستان و إيران ، و بحسب التقرير الذى أصدرته حكومة الباكستان فى عام ١٩٨٥م فقد تحولت جميع فروع المصارف البالغة سبعة آلاف فرع إلى النظام المصرفى اللاربوى ، و قد اهتمت بهذه الظاهرة دراسات و بحوث كثيرة للخبراء الاقتصاديين و الماليين الغربيين لعله يكون مفيداً للدكتور إبراهيم أن نقتبس من أحد النماذج لهذه البحوث ، ففى عام ١٩٨١م نشر أنجو كارستن الأستاذ فى مؤسسة السياسة الاقتصادية فى جامعة كيل (ألمانيا الغربية) و كان حينذاك يعمل خبيراً فى البنك الدولى نشر بحثاً عن الاسلام و الوساطة المالية ، نشرت ترجمته مجلة أبحاث الاقتصاد الاسلامى (١/٢) ، و أورد هنا بعض ما ورد فى المقال أو ملخصه :

عدد المقال مبررات وجود المصرف اللاربوى فلم يفته الايضاح عن المبرر الاقتصادى و هو المقولة الاقتصادية المسلمة أن (معدلات الفائدة تعوق الاستثمار و العمالة) ثم تكلم عن مدى نجاح المصارف الاسلاميـــة (و لم يكن بين يديه فى ذلك الوقت إلا معلومات عن حوالى ٢٠ مصرفاً) فقـــال « تشير البيانات المحدودة التى أتيحت لنا إلى أن المصارف الاسلامية عملت بنجاح لا بأس به فى العام الماضى ١٩٨٠م ، فنى باكستان أعلنت المصارف التجارية عن حصص الأرباح على حسابات الادخار القائمة على المشاركة وعلى الودائع المؤجلة للنصف الأول من عام ١٩٨١م و تم دفع معـــدل سنوى (٩٪) للاولى بينما أغلت الثانيـــة (٥، ١١٪) فى حين كان عائد الحسابات الربوية المقابلة (٥، ٩٪) لستة أشهر - و سجل البنك الاسلامى الأردنى ربحاً كليـا بنسبة (٢ ، ٨٪) لحسابات الاستثمار لعام ١٩٨٠م فى حين أن المصارف التقليدية أى الربوية فى الأردن دفعت عام ١٩٨٠م معدلات ما بين ٧ ، ٥ ، ٧ للحسابات المؤجلة لسنة كما أن المودعين لدى بنك البحرين قبضوا عام ١٩٨٠م معدلات أرباح ٩-٥ ، ٩٪ على حســاب الودائع و ٥ ، ٥٪ على حسابات الادخار بينما كانت معـدلات الفائدة للفترة نفسها على المصارف البحرانية الربوية لثلاثة أشهر ٥ ، ٧-٨٪ و على الودائع لمدة ٦-١٥ شهراً ٥-٨-٥ ، ٩٪ .

ثم يقول « إن المعلومات عن مستوى أداء المصارف الاسلامية قليلة فى الواقع إلا أنهـا تشير إلى أن المصارف الاسلاميــة قادرة على مزاحمة المصارف التقليدية » .

ثم يشير فى بحث آثار النظام المصرفى الاسلامى على التنمية الاقتصادية و الاستقرار إلى أنه « لدى تحليل الانعكاسات الناشئة من تحويل أساس عمليات

القطاع المصرفى إلى المشاركة فى الربح والخسارة ، فان من المنافع المحتملة للتوسع فى عمليات المشاركة فى ظل بعض الظروف تحصيل معدلات العائد الحقيقية اللاحقة من آثار التغيرات غير المتوقعة فى معدل التضخم و زيادة معدل المرونة الواقعى فى الظروف التى تكون فيها الفوائد الاسمية (لزجة) و زيادة تدخل الوسطاء الماليين فى الأداء المالى للمقترضين و جاذبية الوسائل المالية للمدخرين الذين يشعرون بزواجر دينية حيال الأصول التقليدية ذات الفائدة ، لقد تعمدت كثرة الاقتباس من الأستاذ كارستن و إن كان يتحــدث عن مرحلة مبكرة من تاريخ المصارف الاسلامية وهى مرحلة تجارب و خطوات أولى لكى يقارن الدكتور إبراهيم بين طريقة تفكيره و طريقـــة تفكير الأستاذ كارستن بين التفكير المستشرف للمستقبل لرجل غير مسلم ، و طريقة تفكير مسلم يعيش أسير أفكار الماضى .

أرجو أن الدكتور إبراهيم يتابع بالقراءة و الاطلاع الكتابات المستجدة فى مجال القـانون و الاقتصـاد ومع ذلك فسوف أتطفل بأن أذكر له أن مجلة الادارى فى عددها الصـادر فى كانون الثانى لعام ١٩٨٧م نشرت على صفحاتها ٣٥ ـ ٥١ بيانات إحصائية عن أكبر مائة مصرف عربى فى البلاد العربية و أوربا و يتبين من هذه البيانات أن مصرفاً إسلامياً فى إحدى دول مجلس التعاون حصل على المركز الأول بين البنوك المحلية فى تلك الدولة فى مردود الأسهم و واردات الأصول و فى مجال المصرف الأكثر فعالية ، أما عند مقارنته بكل بنوك المملكة فانه يتقدمها فى كل هذه المجالات بمراحل، ولعل مما يثير دهشة الدكتور إبراهيم أن يعرف أن هذا المصرف مشهور بتشدده و محافظته وحرصه على التقيد بالقيود التى يتسامح فيها غيره ، وقد حقق هذا الانجاز بدون استخدام أداة الفائدة ..

الملاحظة السادسة :

قرأت مرة فى إحدى صحفنا أن مائة وستين الف شخص تقدموا للمساهمة عندما

طرحت أسهم أحد البنوك الربوية الاكتتاب العام فى حين قدرت عدد المواطنين السعوديين الراغبين فى الاستثمار و القادرين عليه و الذين علموا عن طرح الأسهم فى الاكتتاب ثم نسبت لهم عدد المتقدمين، فملا أصابنى فزع شديد وخشيت أن يكون لذلك دلالة على مدى ما وصلت إليـــه منزلة الدين فى مجتمعنا و وصول هذه الدلالات إلى درجة أن تستسهل هذه النسبة الكبيرة من المواطنين اقتحام خطر الربا و أن ينضموا بسهولة إلى الجانب الذى آذن الله بالحرب ، غير أنى رجعت إلى نفسى وقلت لعل من هؤلاء كثيراً لا يهون عليهم ارتكاب معصية أقل خطراً، ولذا ، ما تفسير هذه الظاهرة . ؟ و أجبت : لعل تفسيرها أن هؤلاء قد تقحموا الخطر تحت تأثير الاتجاه العام دون أن يكون لذلك دلالتـــه على هوان أمر الاسلام فى قلوبهم ، ولو صح هذا التفسير فلا شك أن كثيراً من هؤلاء النذر والمواعظ تقرعهم كلما سمعوا خطبة أو قرأوا القرآن يعانون من الصراع النفسى ، لذلك فانى أخشى أن يكون البحث مصدر فتنة لمثل هؤلاء، إن العوام ـ وأقصد العوام هنا غير المختصين فى الفقه أو القانون ـ لا سيما مع الرغبة الشديدة فى تخلص من الصراع النفسى و الميل الجـارف لطمأنة الضمير لن يكونوا فى حالة منية ونفسيه قادرة على تقييم البحث، إنهم ليسوا فى وضع يمكنهم من التمييز بين لحقائق و الأوهام بين الحجج الصورية و الحجج الصحيحة بين الشبه و الأدلة ، لذلك فان البحث سيؤدى دوراً لم يقصده كاتبه فهو الاضلال بغير علم و إنى لدق ـ أخشى على الكاتب من مقتضى الآيه الكريمة (ليحملوا أوزارهم كاملة م القيامه و من أو زار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) عافانا الله إياكم ، ولا أجد للاخ المكرم ـ و النصيحة له فرض ـ لا أجد له مخرجاً و هذه الآثار ، فرحمة الله وسعت كل شئ وهى مكتوبة للمتقين .

الملاحظة السابعة :

أقدم الأخ المكرم على أمر منكر حينما أقدم على التعرض لكلام الله بتفسيره بجهل و الصفحة الأولى و الثانية أبلغ شاهد على ذلك ، و لا أدرى أين عزب فهمه عندما أقدم على تفسير (لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) فى صفحه (١٤) فجاء بتفسير كان ينبغى أن يثير الضحك و السخرية لو لا أنه يتعرض لكلام الله فحقه أن يثير الغضب ــ هدى الله الأخ المكرم و أنقذه من وعيد « من قال فى القرآن برأيه أو بغير مالا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » ــ

وقال الله تعالى (و أن تشركوا بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) فقرن القول على الله بغير علم بالشرك به أعاذنا الله و إياكم.

الملاحظه الثامنة :

إن من العبث حقا تتبع شبه البحث وحججه الوهمية ، و تسويد الورق بمناقشتها واحدة واحدة ولكن إذا كان الأخ المكرم الدكتور إبراهيم لا يزال جاهلا أن ربا النسيئة ليس من الأمور الغامضة و لا الأمور التى ليس للاجتهاد فيها مجال و أن إجماع الأمة على تحريمه تحريم مقاصد لا وسائل من الأمور غير الخفية فضلا عن النصوص القاطعة الثبوت، القاطعة الدلالة فلعله يفيده أن يعرف وهو حديث عهد بالعمل فى مؤسسة النقد أن الجهاز الذى يعمل فيه كان حريصاً على المصلحة العامة و ازدهار الاقتصاد و مدركا لأسباب رقيه ، ومع ذلك فبجهد المحافظ السابق للؤسسة و مساندة و متابعة المحافظ الحالى، قامت المؤسسة بعمل دؤب وجهــــد متواصل و بذل مشكور حتى أثمر ذلك مشروعاً متكاملا لقيام مؤسسة مصرفية إسلامية لا تستخدم الفائدة، وقامت وزارة التجارة ثم مجلس الوزراء بدورهما

المشكور فى هذا السبيل والآن يوشك أن يخرج هذا المشروع إلى النور (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) .

لعل من المناسب أن يضاف إلى الملاحظات السابقة هذه الملاحظة :

أن نظام مؤسسة النقد العربى السعودى (و هى البنك المركزى للمملكة) ينص فى المادة الثانية منه على أنه ((لا يجوز لمؤسسة النقد العربى السعودى دفع أو قبض فائدة)) وينص فى المادة السادسة منه على أنه ((لا يجوز لمؤسسة النقد العربى السعودى مباشرة أى عمل يتعارض مع قواعد الشريعة الاسلامية السمحاء فلا يجوز لها دفع أو قبض فائدة على الأعمال) .

ومع صراحة هذه النصوص فاما أن يكون الدكتور إبراهيم الناصر لم يطلع على نظام المؤسسة و هذا هو الأحرى و إن كان غريباً أن لا يطلع المستشار القانونى للمؤسسة على نظامها .أو يرى أن المؤسسة قائمة على قواعد تخالف المنطق السليم و تخالف التفسير الصحيح للشريعة إذ يقرر نظامها أن دفع وقبض الفوائد يعارض الشريعة فى حين يرى هو أن دفع وقبض الفوائد يوافق الشريعة ، وأنه لا اقتصاد سليماً بدون بنوك تبنى عملياتها على الاقراض والاقتراض بالفائده .

نظرية « الاباحية » و مفاهيمها

-٢-

بقلم : الأستاذ سلطان أحمد الاصلاحی

تعريب : الأخ آفتاب عالم الندوى

يقول الكس كمفرت (Alex Comfert) و هو ينتقد التصور الجائر للزواج الذى يتم على الأساس الدينى و مقابل ذلك يشرح التفسير الانسانى المنشود للقيم الجنسية فى العصر الحديث : « زعمت التعاليم و الوصايا الدينية دائماً أن بعض السلوك و التصرفات مآثم غير لائقة فى كل حين و آن ، فنريد الآن أن نبلور دعاوى القيم فى شئ واحد فقط ، و هو أنه ينبغى أن لا يؤدى السلوك الانسانى فى أى مجال من مجالاته المختلفة إلى إزعاج الآخرين و مضايقتهم عمداً ، و بغض البصر عن هذه النقطة فانه يرجى أن استخدام السيكولوجيا (Psycoloqy) و البيولوجيا (Bioloqy) كمصادر المعايير (Sources Of Standards) يوسع آفاق تفكير الجماهير و يعزز وعيهم و شعورهم و يؤهلهم لحل قضيـة عاطفيـة حديثة تهم الباحثين و الاخصائيين و تشغل بالهم ، كما أن هذا النظام الأخلاقى يذكر الفرد بدلا من أن يعتبر الاتصال الجنسي خارج العلاقة الزوجية محظوراً فى كل وقت يذكره بالمسئولية التى تعود عليه من قبل زوجته و أولاده و الآخرين ، و كيف يرد على هذا السؤال بجواب معين ؟ يتوقف ذلك على شعوره الاجتماعى (١) إنه يوضح ذلك بالمثال التالى :

(1) Sex In Society P. 125

« إن زوجة تتخذ لها عشيقاً و إن زوجاً يخص لنفسه عشيقة يمكن أن لا يكونا يعملان بأبسط صور الاتصال الجنسى السائدة فى المجتمع البريطانى الحديث و لكنه يمكن حقاً أن يكونا قد اختارا لهما حلا ناجحاً و معقولا جداً لقضاء شهواتهم و حاجاتهم الخاصة ، وإذا حدثت فى ذلك بعض التعقيدات أو المشاكل فانها ترمز إلى أنهما يعيشان عوامل تعقيدات أخرى تحول دون شعورهما القديم و تؤثر عليه ، و لا داعى هنا إلى توجيه ذلك إلى التقصير و الامتعاض وإهدار كرامة العظمة الاجتماعية كما لا حاجة إلى تسلية المجتمع و ترويضه بكل وجه ، و يضيف فى هذا الصدد قوله التهائى قائلا : إن بعض الزواج المنيق و بعض الشخصيات الفذة تحتاج إلى دعامة للدعارة (Adulterous Prop) لتثبيت أنفسها و توثيق عراها ، يمكن أن يكون ذلك غير ناضج (Immature) غير أنه مجال فسيح ، و يبدو من اللازم أن ثقافتنا سوف تعتنق ذلك شأن الثقافات الأخرى و توسع أفاقها لاحتضان ذلك (١) و يستطرد قائلا : إن كثيراً من الرجال يشعرون بالحاجة إلى زوجتين إضافيتين (Complementary Wives) كما أن نساء يشعرن بالحاجة إلى زوجين إضافيين أو مركزين إضافيين للحب والهيام على الأقل، فلو أصررنا أولا أنه ينافى القيم الخلقية و العقيدية و ثانياً إذا استقر ذلك وجب على كل مركز من الحب والغرام أن يطالب بحقوقه الخاصة فلو أصررنا على ذلك لأحدثنا متاعب و جلبنا ويلات كثيرة لا تحدث كليا أو جزئيا لو سمحنا كل شخص بحل قضيته شخصياً (٢) »

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٦ ·

(٢) السابق ص ١٢٦ ·

فاذا اطمأن الانسان إلى الدعارة و الاستهتار وارتاح بها إلى هذا الحد قال بكل وقاحة : « فاذا كانت العفة و الطهارة خيراً أو معروفاً فليست إلا كالفاقة و سوء التغذية (Malnutration) (١) .

الفوضى الجنسية المتطلقة :

كانت أوربا قد انفلتت من نير الدين و تصور عقاب الآخرة و مخافة الله قبل مدة طويلة كما هي لا تخاف فى انحرافها الجنسى و جنوحها العارم من أى ضرر أو خســـارة عاجلة ، كان « أن ون » (٢) (Un Win) البريطانى المخطط المعروف للعمران قد قال : إن أى مجتمع لو سمح له أن يزاول النشاط الجنسى قبل الزواج لثلاثة أجيال على الأقل سيظل يتسكع فى دياجير التخلف و الجمود (Zoistic Condition) و بقاؤه فى هذه الحالة يعنى أنه تائه فى المناهج و الطرق الدينية و الاجتماعية القديمة جداً و يكون بحكم الولادة فى صورة شبه بهيمية ضئيلة الصلاحيات و المؤهلات للتوصل إلى الطرق الراقيـــة المثلى (٣) و يقول هذا المصنف معلقاً على رأى، أن ون « هـــذه النظرية الممهدة على أسس « علم الانسان » (Anthropoloqy) قلما تجد من يعتقدها و يتحمس لها من العلماء بعلم الانسان (٤) و كذلك نبـــه ميس (Mace) إخصائى بريطانى فى الاجتماع قائلا : قد تقرر علمياً أن القيود الجنسيـــة كلما أرخى فيها العنان تزعزع كيـان الحضارة و متى لا محالة بالزوال ، و يزعم الكس كمفرت وهو ينتقد رأى ميس : أن ذلك غير ثابت بالتاريخ بتاتاً و يرى أن الغاية الوحيدة لمثل هـــذا التصور

(١) السابق ص ١٣٦ .

(2) Tswn Planning In Pracli ce P. 632-33-654

(3) Sex In Society P. 123

(٤) المرجع السابق .

الارتفاعى هى انتاج نوع من القوة السيكولوجية مثلما يتم تكوين الطاقة الكهربائية بحبس الماء فى السد (١) و يقول المصنف بمزيد من الصراحة و الوضوح : إن البراهين والحجج التى يستند إليها خطر الاتصال الجنسى قبل الزواج هى مؤقتة إضافية (Adhoc) لا تمت إلى مستنبطات علم الانسان بصلة ما ، و قد قدمت التدابير الملائمة للحمل فى العصر الحديث لهذه القضية حلا ناجعاً .

الاباحية الجنسية قبل الزواج :

قد سبق أن ذكرنا أن الضغط الشديد فى الاباحية الجنسية (Sexual Permissiveness) ينصب على الاباحية الجنسية قبل الزواج (Premarital-sexual Permissiveness) مما يشير واضحاً إلى أن الاباحية الجنسية بعد الزواج باتت قضية ثانوية فى العالم الحديث ، فالقضية الخطيرة فى الحضارة الحديثة هى الاباحية الجنسية قبل الزواج حيث يستلزم الفتيان و الفتيات مرورهم بجميع مراحل و تجارب الزواج قبله ، قد ذكرت سابقاً أن الفضل فى تقديم الاباحية الجنسية قبل الزواج بصورة منطقية منظمة فى مجال علم الاجتماع إنما يرجع إلى ارا ، ال ، ريس (Ira . L . Reiss) الذى أدهش العالم الغربى كله بآرائه وأفكاره ، لفت أنظاره إليه ، و ينبغى أن نستمع إلى الانجازات و الانتصارات التى حققها يس فى هذا المجال بلسان أحد المعجبين به : كان المصنفون يكتفون قبل إنجازات يس بذكر تغييرات الخلق الجنسية بشأن الاباحية وعلى غرار ذلك استعمل ريس ضاً الاباحية المتصاعدة بشأن تغيير الأخلاق الجنسى كمعيار و لكنه بالعكس م قدم لطبيعة الاباحية الجنسية تعبيراً فعالا جداً مما أثر على من جاءوا بعده

(1) Beleifs & Attitudes in class Relation.

تأثيراً ملموساً (١) وتتلخص اكتشافات ريس فى أن المباشرة قبل الزواج ملائمة جداً للرجال و النساء كليهما فى بعض حالات خاصـة إذا كان عقد الزواج (Engaqement) مقروناً بالعلاقـة الوثيقـة و الحب الزائد أو النزوع القوى (2) . Strong Affection

انتهاء المعيار المزدوج :

من مزايا الفلسفة الجديدة للاباحية الجنسية قبل الزواج أنها تنعى على المعيار المزدوج فى الرجال و النساء ، لا شك أن أوربا الجديدة قد حظيت بالدعارة العارمة و الخلاعـة المستهترة بالخروج على قانون الفطرة و الشرود عن الدين و الشريعة لكنه يزعجها الشعور بأن المرور بجميع مراحل الاتصال الجنسى قبل الزواج و قضية الأب غير المتزوج و الأم غير المتزوجـه ليست مما يرحب به ، كان من المحتم أن الولد إذا استسهتر و انحرف فلا تكون عفـة الفتاة و عذرتها فريسة العيب و الشين .

من خصائص التصور الجديد للاباحية الجنسية قبل الزواج أنه قضى على هذا التمييز و الازدواجية نهائيا ، كما قيل « إن التيار الشديد للميل الاباحى وخاصة إزدياد التعايش الجنسى بدون الزواج (Non Maritat Cohabilation) الذى يكون كثيراً ما فاتحة الزواج و مبعثه فى المستقبل مما يمثل نظرية متغيرة خاصة بالنسبة إلى طبقة النساء فان البكارة (Virqinity) لم تعد تحمل أى قيمة و أهمية لدى الفتيان الزملاء الذين يتفكرون فى الزواج ، (٣) و من المعلوم أن الاستعراض الشامل لدواعى الفوضى الجنسية فى أمريكا قدمه لأول مرة العالم بالحيوان (Zoologist) كنزى (Kinsey) الذى نشر بعض أجزاء تقريره لسنـة ١٩٤٨م ،

(1) The Socloqy Of Sox P, 31-32 .

(٢) المرجع السابق ص ٣١ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٢ .

و يقول هنت (Hant) نقلا من هذا التقرير : لقد تضاعف بعـــد هذا التقرير معدل الفتيات اللاتى زاولن النشاط الجنسى قبل الزواج ، و الذى ساعد هذا التضاعف هو اعتبار أن المعيار المزدوج قد انتهى دوره و برزت الاباحية المساواتية (Egalitarian Permissiveness) على المسرح ، و إنما الفاصل أن تكون الأواصر بين الزميلين موطدة بالحب والغرام (١) و أخيراً يلفت الأنظار إلى أن الجنس الاتفاق يزداد رواجاً وقبولا فى المراهقين (Adolescents) والشباب حيث يقول :

« إن عدد هائلا من الفتيان و الفتيات لا يرضى الآن بتاتاً بأن يستنكر على النشاط الجنسى قبل الزواج حتى ولو كان النزوع لطيفاً جداً (Mild Affection) عسى أنهم يفضلون أن يكون الجنس منوطا بالحب و الغرام و يحددون أنفسهم فى هـــذا النطاق عملياً و لكنهم لا ينتقدون على الجنس الاتفاق فى الرجال و النساء العزاب و لا يشعرون فيه بشئ من التقصير ، و فوق ذلك أنهم لا يستبعدون ذلك لأنفسهم أيضاً » (٢) .

ويقول مصنف آخر جون كيكنان (John Gagnon) معلقاً على هذا الأخلاق الجنسى الجديد (New sexual Morality) : لا نزال نقترب إلى الطريق الايجابى « نعم » لكلا الجنسين بشأن مزاولة النشاط الجنسى مع الصنف المضاد قبل الزواج (Premarital Hetro Sexual Activity) ، (٣) و يقول المصنف بمزيد من الوضوح : إن هذا التغير يبرهن على انتهاء المعيار المزدوج و تطور الطبيعة الاباحية للاخلاق الجنسى (٤) .

الوضع فى أمريكا :

أمريكا التى تصدر الموكب فى مجال الاباحية الجنسية قبل الزواج نستطيع أن نقدر وضعها فى ضوء تقرير جون كيكنان ، الذى مفاده أن النساء بمعدل

(١) (٢) (٣) (٤) المرجع السابق ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ .

٥٠٪ و الرجال بمعدل ٩٧٪ مررن بعض الشئ بتجارب الاتصال الجنسى ، بينما الرجال بمعدل ٢٠٪ و النساء ١٥٪ اكتوين بنار الاتصال الجنسى بالصنف المضاد قبل الزواج و ذقن حلوه و مره ، و يضيف على ذلك تقرير مؤسسة لعب الأطفال (Play Boy Foundation) لسنة ١٩٧٣م أن الاباحية الجديدة قبل الزواج لم تحتفظ فى هذه السبعينات بالرقوم القياسية السابقة فحسب بل قطعت شوطاً بعيداً فى هذا المجال ، و مما يبعث على الأسف البالغ أن النساء اللاتى زاولن النشاط الجنسى قبل الزواج لم يتأسفن شيئاً على ذلك (١) و كان « ول دورانت » قد قال قبل ذلك بكثير فى كتابه « غرائب الفلسفة » : إن نصف مليون فتاة فى أمريكا وقفن أنفسهن للاباحية (٢) يذكر السيد قطب الشهيد وقد شاهد أمريكا قبل أربعين سنة مشاهدة شخصية فى أحد فنادق واشنطون :

« كنت مع زميل مصرى نتزل فى فندق واشنطون ـ بعد وصولنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بيومين اثنين ـ وقد أنس إلينا عامل المصعد الزنجى لأننا أقرب إلى لونه و لأننا لا نحتقر الملونين فجعل يعرض علينا « خدماته » فى « الترفيه » ويذكر « عينات » فى هذا الترفيه بما فيها « الشذوذات » المختلفة ، وفى أثناء العرض جعل يقص علينا أنه كثيراً ما يكون فى إحدى الحجرات « زوج » من الفتيان أو الفتيات ثم يطلبان إليه أن يدخل إليهما زجاجة كوكاكولا دون تغيير لوضعهما عند دخوله .

و لما بدأ علينا الاشمئزاز و الاستغراب و قلنا له : أما يخجلان ؟

أجاب بدوره متعجباً لاشمئزازنا و تعجبنا و سؤالنا عن الخجل :

لماذا إنهما يرضيان ميولهما الخاصة و يمتعان أنفسهما (٣) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠ (٢) الانسان بين المادية و الاسلام .

(٣) الاسلام و مشكلات الحضارة ص ٧٥ .

و يقول فى موضع آخر :

« و كانت إحدى المدرسات فى المعهد المركزى لتعليم اللغة الانجليزية للغرباء بمعهد ويلسون للمعلمين بواشنطون تلقى على مجموعة من طلبة أمريكا اللاتينية درسا فى تقاليد المجتمع الأمريكى ،و فى نهاية الدرس وجهت سؤالا إلى طالب من جواتيمالا عن ملاحظاته على المجتمع الأمريكى فقال لها : لقد لاحظت أن فتيات صغيرات فى سن الرابعـــة عشرة و فتيانا صغاراً فى سن الخامسة عشرة يزاولون علاقات جنسية كاملة ،و هذا وقت مبكر جدا لمزاولة هذه العلاقات ،فكان ردها فى حماس :

« إن حياتنا على الأرض قصيرة جدا وليس هنا وقت لنضيعه أكثر من سن الرابعة عشرة » (١) .

الدول الأوربية الأخرى :

لا يختلف وضع الدول الأوربية الأخرى عن أمريكا كثيرا ، فالحركة الجنسية الثورية منتعشة فى الاتحاد السوفيتى و اسكاندنافيا (Scandinavia) أما اسكاندنافيا فقد فاقت الولايات المتحدة الأمريكية فى الاباحية الجنسية (٢) و أما الاتحاد السوفيتى الذى يعتبر أقل إباحية بل رجعياً نستطيع أن نقدر وضعه الاباحى الجنسى قبل الزواج بوقائع الحيــاة التعليمية لرئيسة غورباتشوف ، و كان يسكن زمن التعلم فى رواق ضيق يسع عشرة آلاف طالب بصعوبة و كانت تسكن فيها الطالبات أيضاً بدون أى تمييز ،مما يوفر لهم فرص الزمالة بين الطلاب و الطالبات فيضطرون إلى التخلية (٣) و غورباتشوف الذى يعتبر رجلا مجتهــداً قانونياً دقيقاً فى مراعاة المواعيد وتشف سياسته الجديدة عن جديته و اعتداله يكشف عن نفسه فى مقابلة له قائلا :

(١) السابق ص ٣٧ .

(٢) صحيفة ، آسيا ، لاهور ٢٤ يناير ١٩٨٨م ص ١٥ ، ١٦ . (٣) المرجع السابق .

« كنا عشرة طلاب نسكن فى غرفة واحدة وبما أنا كنا نضطر أحياناً إلى التخلية فتوافقنا على أن يتمتع كل منا بالتخلية فى الغرفة لساعة على الأقل » (١) و كان غرام غوربا تشوف مع زوجته الحالية « رئيسة » قد تم فى هذا الرواق و كانت تدرس الفلسفة آنذاك .

فاذا كان وضع دولة أقل إباحية (Less Permissiveness) بل رجعية مثل روسيا لحدث عن الدول الأوربية المتنورة المتجددة ولا حرج ، و أما فرنسا فيكفى عن تصويرها ما علقـه بول بيورو قديما : « يعترف الشباب فى قرى و أعمال فرنسا فضلا عن مدنها بأنهم لما لم يعودوا عفيفين فكيف ينبغى لهم بأن يطالبوا العفة من خطيباتهم ، و إنه ظاهرة متفشية فى بركندى بون و المنـاطق الآخرى بأن الفتاة تتزوج و قد عقدت صداقتها مع فتيان عديدين فلا تحتاج إلى إخفاء حالها السابقة من خطيبها ولا يستنكر أقرباؤها على دعارتها و فجورها شيئاً ، حيث يذكرون ذلك ترفيهاً وفكاهة ، ويحاول العريس الذى لا يعرف حياتها السابقة فحسب بل يعرف أصدقاءها الذين أرضوا منها ميولهم ، يحاول أن لا يشك أحد بأنه يستكره من سابق نشاطات عروسه شيئاً (٢) وهى ظاهرة متفشية فى فرنسا و يشاهد كثيراً أن الفتاة المثقفة التى تشتغل فى مكتب أو شركة قد كلفت بشاب و بدأت تقضى معه ساعاتهـا الخالية وتفضل أن تعيش معه حتى يتسنى لها الانفصال متى شاءت إذا أشبعت ميولها وقضت منه وطرها ، و استكرهه الناس أول ما بدأ فى المعامل و المصانع بين العمال و لكن المصيبة تسهلت مع عموم هذا البلاء و قد انتشر الآن فى الطبقة المثقفة العليا وحل محل النكاح فى الحياة الاجتماعية (٣) .

(١) المرجع السابق . (٢) المرجع السابق .

(٣) الحجاب لمؤلفه سيد أبو الأعلى المودودى .

أما بريطانيا فتقرير الجمعية الطبية البريطانية لسنة ١٩٥٩م معروف عنها بأن كل فتاة ثالثة تعترف فيها بأنها زاولت النشاط الجنسى قبل الزواج و كذلك كل ولد من عشرين ولدا يكون ولد الزنا (١) .

هذا هو وضع جميع الدول الأوربية تقريباً فى الاباحية الجنسية قبل الزواج .

مستقبل الاباحية الجنسية قبل الزواج :

من مظاهر ما اختاره العالم الحديث من الاباحية الجنسية قبل الزواج عن طريق مدروس و بكل طمأنينة أن مستقبلها مشرق لديه ، و لا يمكن أن تعود النظريات الجنسية القديمة فى زمن قريب حيث يدعى بل (Bell) بكل قوة وثقة بأن ربط الاباحية بعنصر الحب و النزوع سيزيد من رواج الاباحية الجنسية قبل الزواج لدى العدد الهائل من الفتيان، ومستقبل هذا الأخلاق الجنسى فى أمريكا مشرق جداً فانها على يقين بأن العودة إلى الماضى مستحيل وإنما يمكن أن تحدث أوضاع لا يمكن التنبأ بها الآن ، و لا سيما فى أمر الرقابة الاجتماعية التى يمكن أن تؤدى إلى حركة ارتجاعية خفيفة (Mild Backlash) و لا شك أن الجنس إذا كان لارضاء الشهوات فقط بفوائد الرواجح أو بدونها لا لتوليد الأطفال ما دام العقد بين البالغين بالتزام و طواعية بدون إكراه وعلى الأرجح مع الصنف المتغاير فان ذلك يجد قبولا و تجاوباً فى مرافق الحياة الأمريكية ، وهب لو أن حركة ارتجاعية ظهرت فانها ستكون ضد الاشتهاء بالمماثل ومعارضة القوانين فى الطبقات الاجتماعية السفلى والدعارة (Pornography) والبغاء (Prostitution) ولكن يغلب الظن أنه ستنشأ صور الهدوء و الصلح كما حدث ذلك فى الدعارة العارمة و الزواج الفاحش مع « المجذوبين » (Swalgers) (٢) .

---

(١) المرأة فى المجتمع الاسلامى بالأردية ص ٢٢٧ .

(2) Sociology of Sex , p . 39 , 40

طرق جديدة للاباحية الجنسية قبل الزواج :

كما أن نظرية الاباحية الجنسية قبل الزواج تتجدد وتتفنن فى الغرب كذلك وضعت مصطلحات و طرق جديدة تحقيقاً لهذا الغرض ، فأولا كانت توجد مصطلحات زواج الحب (Love Marriage) و المغازلة (Caurt Ship) تمتما بالزواج قبل أن يتم تقليدياً ، ولكن الآن تقدمت المصطلحات بتقدم طرق الحب و المغازلة قبل الزواج ، الانطلاق التام فى التودد و المغازلة و الحرية الزائدة التى يتمتع بها الفتيان و الفتيات فى الغرب متذرعين باختيار الزوج من مصطلحاتها الجديدة ديتنك - Datting) و (بيتنك - Petting) و يعنى ذلك أن الفتيان و الفتيات يلتق بعضهم ببعض بكل حرية و يصرفون كل ما فى جعبتهم من تنزه و تفرج و تلذذ و تقبيل ولمس و مغازلة كى يتفطنوا لطبائع ونزعات بعضهم لبعض و يتسنى لهم الحكم بأنهم « زوج » ناجح ، فاذا كان الحكم بنعم فقد يتم الزواج تقليدياً و إذا كان بلا ، فانهم يعيدون هذا اللعب الجنسى الطويل مراراً و تكراراً حتى يعودوا بنجاح (١) .

المغازلة و اللمس و التقبيل :

نستطيع أن نعبر عن « ديتنك و بيتنك » بالمغازلة و زواج الحب ، يتفرع ، ديتنك فى المجتمع الغربى إلى قسمين (١) : اجتماعى و (٢) : شخصى .

أما الاجتماعى فيجتمع فيه كثير من الفتيان و الفتيات فى مأدبة ، نزهة ، نادية أو مدرسة و يتعارفون فيما بينهم و يقترب بعضهم إلى بعض و يتجاذبون و يتقاربون حتى تبتدىء مرحلة « ديتنك » ، و يجعلون يلتقون فى الخلوة .

والمرحلة الثانية للاختلاط الحر بين الفتيان والفتيات هى « نيكنك » (Necking) وهى عبارة عن الملاقات البدنية التى تقتصر فيما فوق العنق مثل التقبيل والعناق. والمرحلة الثانية هى « بيتنك » (Petting) وهى عبارة عن اللمس والتلاعب

(1) Sex for youngs p . 156

بین الفتیان و الفتیات باللس والمس و التودد والمغازلة وقد یہیج فیها بعض الفتیان و الفتیات فیجامعون (١) .

قد سبق لمن ذکرنا أن الغرب اختار الاباحیة الجنسیة بطواعیة و بدون تأسف أو خجل ، و لا یختلف وضعه فی هذه الطرق الجدیدة أیضاً ، و لذلك نری أن الحرکة التی تعمل جاهدة لکی یمر الفتیان و الفتیات بتجارب الاتصال الجنسی قبل الزواج تحقیقاً للحیاة الزوجیة الناجحة و الملاءمة قد حظیت بالتجاوب و المساعدة لدی الأجیال الناشئة کما أن جماعة من النساء الاسکوندنافیة قامت بدعایة شاملة لترویج نظریة أن تحدید المرأة أوالرجل لزوج واحد من الرجعیة والأصولیة و علی العالم أجمع أن یتحرر منها ،کما أنها تدعو بحماس إلی الاتصال الجنسی قبل الزواج .

صور أخری للفوضی الجنسیة :

و هناك صور أخری للحریة الجنسیة حیث تتوافر نواد و محافل یشبع فیها الفتیان و الفتیات میولهم وراء ستار تحصیل العلوم الجنسیة کما أنه تتم « الجراحة البلاستیکیة » للاعضاء الجنسیة فی الرجال والنساء المسنة تحقیقاً لزیادة القوة الجنسیة و انتهاب لذة أکثر ، و کذلك یعم استخدام الأعضاء الخاصة الصناعیة للترف الجنسی و تتوافر الداعرات و البغایا فی کل حین و آن کما تتوافر الثیاب الجاهزة فی الطرقات و الدکاکین .

الاباحیة الجنسیة قبل الزواج – بعض نماذج للبیئة الاجتماعیة :

و إلیکم الآن بعض نماذج لها من کتاب ارا ، ال دیس « البیئة الاجتماعیة للاباحیة الجنسیة قبل الزواج » الذی وجهت فیه أسئلة تفصیلیة إلی طلبة ستة معاهد و کلیات أمریکیة باستخدام الأسالیب الجدیدة للدراسة و الاستعراض ، و استعمل تقریر آخر « لناشیونال أدولت سیمبل » ، و بذلك ظهر عدد جمیع الطلبة ٢٧٣٤ ، تمت هذه الدراسة من ١٩٥٩ إلی ١٩٦٣م (٢) نقل المصنف فی هذا الکتاب

(1) Sex for youngs , p , 156
(2) The Social Contex of P. S . P, .P, 12 – 13

دراسات من الماضي أيضاً. مثلا قامت صحفيتان إبان ١٩٣٠ بدراسة ميول الطلبة ، أفادت هذه الدراسة أن ٢٥ ٪ من الرجال كانوا غير عزاب ، و تفيد دراسة المصنف نفسه أن ٢ ٪ من الفتيات و ٣ ٪ من الفتيان اعترفوا بالمباشرة بينما أقر ٣٢ ٪ من الفتيات و ٦٤ ٪ من الفتيان بالمباشرة فى « كلية ايو » .

كما أن هذه الدراسات تشير إلى أن الملونين فى أمريكا أكثر إباحية من البيض (Whites) (١) كذلك أفادت هذه الدراسات أن معاهد الملونين (Negroes) وكلية البيض بنيويارك متقدمة فى الاباحية ، الفرق التى هى متخلفة اجتماعياً أكثر إباحية ، و المناطق التى تتمتع بالتسهيلات المدنيـة كثيراً أكثر إباحية مثلها ، كان الطلبة البيض من العالية متأخرين فى الاباحيـة ومتفوقين فى الحب الروائى ، بينما كان الوضع فى طلبة الكليات بالعكس ، و هذه العلاقة السلبية وجدت فى النساء ، إن نساء أمريكا أقل إباحية من الرجال و ذلك لأن إذن الأبوين بالاباحية يخف فى حق النساء . كما أن الرجل يكون فى ذلك أقرب إلى زملائه و أصدقائه بالنسبة إلى أبويه (٢) .

و بعد هذه الدراسات يلخص المصنف رأيه قائلا : الاباحية بالنزوع هى التى تسود المجتمع اليوم بدل تبويبـات العفة (Abstinence Classification) والمعيار المزدوج ، و المصنف معجب بهذا الوضع و مسرور ، ويرى لو أن أحداً من الجانبين يتمنى أن يسلك الغرب طريق العفة و الطهارة و يمتنع عن الفوضى الجنسية و الدعارة فانه يخط على الماء فان أوربا لا توجد فيهـا مثل هذه الرغبة بتاتاً ، و يزعم المصنف أن أحداً لو شاء أن يختار طريق العفة شخصياً فله أن يفعل ، و لـكنه يجب عليه أن يعترف بأن الغرب لم ينجح فى تاريخه الممتد إلى ألفى عام فى إرغام أكثرية جيل من الرجال للالتزام بهذا القانون (٣) .

(١) المرجع السابق ص ١٥ . (٢) المرجع السابق ص ١٣٧ ، ١٣٩ .
(٣) » » ١٧٦ .

قواطع الأدلة
فى الرد على من عول على الحساب فى الأهلة

فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجرى

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد و على آله و أصحابه و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد رأيت مقالا لأحمد بن عبد العزيز اللهيب ، نشرته جريدة « الرياض » فى عددها ٧٢٦٤ — الصادر فى يوم الجمعة الموافق للسابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٤٠٨هـ ، و عنوان هذا المقال (الشهر الشرعى و التقاويم الهجرية المتداولة) و قد اشتمل هذا المقال على عدة أمور عظيمة الضرر على الكاتب و على كل من اتبعه على قوله الباطل .

أولها : الابتداع فى الدين و الشرع فيه بما لم يأذن به الله .

الثانى : مخالفة النصوص الثابتة عن النبى ﷺ فى اعتبار دخول الشهر و خروجه برؤية الهلال أو إتمام العدة ثلاثين يوماً إذا لم ير الهلال .

الثالث : الأخذ بما نفاه رسول الله ﷺ عن أمته من العمل بالحساب فى دخول الشهر و خروجه ، وقد قال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى إن الأخذ بالحساب أو الكتاب قد صرح رسول الله ﷺ بنفيه عن أمته والنهى عنه ،قال وما زال العلماء يعدون من خرج إلى ذلك قد أدخل فى الاسلام ما ليس منه ، فيقابلون هذه الأقوال بالانكار الذى يقابل به أهل البدع ، انتهى ، وهو مذكور فى صفحة ١٧٩ من المجلد الخامس و العشرين من مجموع الفتاوى .

وقال أيضاً فى صفحة ١٨٢ من المجلد المذكور : «إن الأخذ بالحساب من زلات العلماء» وقال أيضاً فى صفحة ٢٠٧ من المجلد المذكور : «لا ريب أنه ثبت بالسنة الصحيحة واتفاق الصحابة أنه لا يجوز الاعتماد على حساب النجوم كما ثبت عنه فى الصحيحين إنه قال (إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته) و المعتمد على الحساب فى الهلال كما أنه ضال فى الشريعة مبتدع فى الدين فهو مخطئ فى العقل وعلم الحساب فان العلماء بالهيئة يعرفون أن الرؤية لا تنضبط بأمر حسابى » انتهى .

وقال أيضاً فى صفحة ١٣٢—١٣٣ من المجلد المذكور : «إنا نعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن العمل فى رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الايلاء أو غير ذلك من الأحكام المعلقة بالهلال بخبر الحاسب أنه يرى أو لا يرى لا يجوز ، و النصوص المستفيضة عن النبي ﷺ بذلك كثيرة و قد أجمع المسلمون عليه ، ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلا ولا خلاف حديث، إلا أن بعض المتأخرين من المتفقهة الحادثين بعد المائة الثالثة زعم أنه إذا غم الهلال جاز للحاسب أن يعمل فى حق نفسه بالحساب ، فان كان الحساب دل على الرؤية صام و إلا فلا ، و هذا القول و إن كان مقيداً بالاغمام و مختصاً بالحاسب فهو شاذ مسبوق بالاجماع على خلافه ، فأما اتباع ذلك فى الصحو أو تعليق عموم الحكم العام به فما قاله مسلم » انتهى .

الرابع : مخالفة السنة الثابتة عن النبي ﷺ فى قبول شهادة العدول من المسلمين على رؤية الهلال فى دخول شهر رمضان و خروجه و العمل بها ، وقد قال الله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) قال الامام أحمد رحمه الله تعالى : «أتدرى ما الفتنة؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شئ من الزيغ فيهلك » .

الخامس : تقديم العمل بالحساب على العمل بالسنة ، و هذا من الشرع فى الدين بما لم يأذن به الله .

السادس : بلبلة أفكار العوام و بعض المنتسبين إلى العلم وتشكيكهم فى شهادة العدول على رؤية الهلال فى دخول شهر رمضان و خروجه .

السابع: الطعن فى الشهود العدول ورميهم بالتسرع فى تأدية الشهادة، وقد صرح بذلك فى قوله : إن الشاهد حينما يرى الشهر فى التقويم ناقصا فانه يقوى عزمه بالتسرع بتأدية الشهادة ، كذا قال ، وهذا من سوء الظن بالشهود الذين يشهدون على رؤية الهلال والطعن فيهم بمجرد ظنه أنهم يعتمدون فى شهادتهم على التقويم.

الثامن : الطعن فى القضاة ورميهم بالتساهل فى قبول الشهادة على رؤية الهلال ، و قد صرح بذلك فى قوله ، و كذلك القاضى تزيد ثقته بالشهادة لأنه يحسب أن ذلك من توافق الرؤية مع الحساب الصحيح و الواقع بخلاف ذلك ، كذا قال ، و هذا من سوء الظن بالقضاة، وقد قال الله تعالى (إن بعض الظن إثم) .

التاسع : الطعن فى ولاة الأمر الذين يعملون بحكم القضاة بقبول شهادة العدول على رؤية الهلال و يأمرون الرعية بالعمل بشهادتهم .

العاشر : زعمه أن العمل بالحساب أضبط و أيسر مما كان عليه الأمر فى عهد السلف الصالح و من بعدهم .

و الجواب أنه يقال هذا الزعم خطأ مردود بقول النبى ﷺ (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا، وعقد الابهام فى الثالثة ، والشهر هكذا وهكذا وهكذا) يعنى تمام الثلاثين ، رواه الامام أحمد والبخارى و مسلم و أبو داود و النسائى و ابن ماجة من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

و قد قال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية فى الرد على الذين يحسبون

مسير القمر: «إنه ليس لأحد منهم طريقة منضبطة أصلا، بل أية طريقة سلكوها فان الخطأ واقع فيها فان الله سبحانه لم يجعل لمطلع الهلال حساباً مستقيماً، بل لا يمكن أن يكون إلى رؤيته طريق مطرد إلا الرؤية — إلى أن قال —: إعلم أن المحققين من أهل الحساب كلهم متفقون على أنه لا يمكن ضبط الرؤية بحساب بحيث يحكم بأنه يرى لا محالة أو لا يرى البتة على وجه مطرد و إنما قد يتفق ذلك أو لا يمكن بعض الاوقات» انتهى، وهو فى صفحة ١٨٢—١٨٣ من المجلد الخامس و العشرين من مجموع الفتاوى.

وقال أيضاً فى صفحة ١٧٤ من المجلد المذكور: «إن أرباب الكتاب والحساب لا يقدرون على أن يضبطوا الرؤية بضبط مستمر و إنما يقربون ذلك فيصيبون تارة ويخطئون أخرى» وقال أيضاً فى صفحة ٢٠٨ من المجلد المذكور: «إن طريقة الحساب ليست طريقة مستقيمة ولا معتدلة، بل خطؤها كثير و قد جرب، وهم يختلفون كثيراً هل يرى أم لا يرى، وسبب ذلك أنهم ضبطوا بالحساب ما لا يعلم بالحساب فأخطأوا طريق الصواب، و قد بسطت الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع وبينت أن ما جاء به الشرع الصحيح هو الذى يوافقه العقل الصريح» انتهى.

الحادى عشر: إنكار ما هو ثابت بالتواتر من رؤية الهلال فى أول النهار فى المشرق ثم رؤيته بعد الغروب فى ذلك اليوم من المغرب، و هذا يقع كثيراً فى أيام الصيف الطوال، و قد أخبرنا بعض الثقات برؤيتهم له فى أول النهار و بعد الغروب فى ذلك اليوم، و الأخبار بهذا كثيرة و مستفيضة فلا وجه لانكارها لان إنكارها صريح فى المكابرة.

الثانى عشر: حكايته الاتفاق على القول الشاذ الذى نقله عن ابن قتيبة و المراكشى ومفتى قطر، و هو زعمهم أنه لا يمكن أن يرى الهلال بالغداة فى المشرق بين يدى الشمس و بالعشى خلف الشمس فى يوم واحد، و هذا القول

الشاذ مردود بما هو ثابت بأخبار كثير من الثقات برؤيتهم الهلال بالغداة فى المشرق بين يدى الشمس ثم رؤيتهم له بالعشى خلف الشمس ، و من أنكر أخبار الثقات فقوله هو المنكر فى الحقيقة ، و أما حكاية الاتفاق على القول الشاذ الذى ذكره صاحب المقال فلا شك أنه من المجازفة و القول بغير علم .

الثالث عشر : اعتماده على ظنه وحسابه فى دخول شهر شوال فى سنة ١٤٠٨هـ فقد زعم أن القمر سيغرب قبل غروب الشمس يوم الأحد الموافق للتاسع و العشرين من رمضان ، و قد ظهر خطؤه فى ظنه و حسابه الذى ليس بمنضبط وذلك بثبوت رؤية الهلال فى ليلة الاثنين فى عدد من المدن و القرى فى المملكة العربية السعودية ، و رؤى أيضاً فى غير المملكة العربية من البلاد المجاورة لهـا كما قد ذكر ذلك فى بعض الاذاعات .

الرابع عشر : خطؤه فى تحديد وقت صلاة الظهر و وقت صلاة العصر حيث جعل آخر وقت الظهر هو أول وقتها وجعل آخر وقت الاختيـار لصلاة العصر هو أول وقتها ، و من كان بهذه المثابة من الجهل بوقت صلاة الظهر و صلاة العصر فينبغى له أن يعرف قدر نفسه ولا يتطاول على القضاة و الشهود العدول ولا يتكلف ما لا علم له به من معرفة دخول الشهور و خروجهـا بمجرد حسابه المبنى على الظن و التخرص ، فقد قال الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) و هذا نص عبارته فى دخول وقت الظهر و دخول وقت العصر قال : و إذا كان ظل الشئ مثله فقد دخل وقت الظهر و إذا كان مثليه فقد دخل وقت العصر .

و الجواب أن يقال هذا خطأ مخالف للنص و الاجماع على أن أول وقت

الظهر إذا زالت الشمس، قال الموفق فى المغنى: «أجمع أهل العلم على أن وقت الظهر إذا زالت الشمس، قاله ابن المنذر و ابن عبد البر وقد تظافرت الأخبار بذلك»، انتهى، وقال الخرقى فى مختصره: «و إذا زالت الشمس وجبت صلاة الظهر و إذا صار ظل كل شئ مثله فهو آخر وقتها، و إذا زادت شيئاً وجبت العصر و إذا صار ظل كل شئ مثليه خرج وقت الاختيـار» انتهى، ويدل لقول الخرقى ما رواه عبد الرزاق و ابن أبى شيبة و الشافعى و أحمد و أبو داود و الترمذى و غيرهم عن ابن عبـاس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (أمنى جبريل عند البيت فصلى لى الظهر حين زالت الشمس وكانت بقدر الشراك، ثم صلى بى العصر حين كان ظل كل شئ مثله ثم صلى بى المغرب حين أفطر الصائم ثم صلى بى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلى بى الفجر حين حرم الطعـام و الشراب على الصائم، قال ثم صلى بى الغد الظهر حين صار ظل كل شئ مثله ثم صلى بى العصر حين صار ظل كل شئ مثليه ثم صلى بى المغرب حين أفطر الصائم، ثم صلى بى العشاء فى ثلث الليل الاول، ثم صلى بى الفجر فأسفر ثم التفت إلى فقال يا محمد هذا وقت الأنبياء قبلك، الوقت فيما بين هذين الوقتين) هذا لفظه عند عبد الرزاق، ونحوه عند أحمد من طريق عبد الرزاق، و قال الترمذى حديث حسن صحيح وصححه أيضاً ابن خزيمة و الحاكم و أبو بكر ابن العربى المالكى، قال الترمذى: و فى الباب عن أبى هريرة و بريدة و أبى موسى وأبى مسعود الأنصارى و أبى سعيد و جابر و عمرو بن حزم و البراء و أنس، ثم روى باسنـاده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: (أمنى جبريل) فذكر نحو حديث ابن عباس بمعناه وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

قال وقال محمد — يعنى البخارى — أصح شئ فى المواقيت حديث جابر

عن النبي ﷺ ، انتهى المقصود من كلام الترمذي رحمه الله ، وقد روى حديث جابر النسائي و ابن حبان في صحيحه و الدارقطني و البيهقي ، و قد تركت تخريج الأحاديث التي أشار إليها الترمذي إيثاراً للاختصار ، وبعضها في الصحيح ، و فيها مع حديثي ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أبلغ رد على صاحب المقال .

فصل

في ذكر النصوص الدالة على اعتبار رؤية الهلال في دخول الشهر و خروجه ونفي الكتاب و الحساب في ذلك ، و ما جاء في قبول الشهادة على رؤية الهلال و العمل بها .

الحديث الأول : عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال (لا تصوموا حتى تروا الهلال و لا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له) رواه مالك و الشافعي و أحمد و البخاري و مسلم و أبو داود و النسائي و ابن ماجة ، و في رواية لمسلم أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فضرب بيديه فقال (الشهر هكذا و هكذا و هكذا) ثم عقد إبهامه في الثالثة (فصوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته فان أغمي عليكم فاقدروا له ثلاثين) و في رواية لأحمد و البخاري و مسلم و أبي داود و النسائي أن رسول الله ﷺ قال (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا و هكذا و هكذا) وعقد الابهام في الثالثة (و الشهر هكذا و هكذا و هكذا) يعني تمام ثلاثين ، و لفظه عند البخاري قال (إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب ، الشهر هكذا و هكذا) يعني مرة تسعة و عشرين و مرة ثلاثين .

و قد رواه الشافعي عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (الشهر تسع و عشرون فلا تصوموا

حتى تروا الهلال و لا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين) و رواه البخارى من طريق مالك بنحوه أخصر منه ، و رواه البيهقى من طرق كثيرة و فى بعضها أن رسول الله ﷺ قال (إن الله تبارك و تعالى جعل الأهلة مواقيت، فاذا رأيتموه فصوموا و إذا رأيتموه فأفطروا فان غم عليكم فاقدروا له أتموه ثلاثين) و قد رواه ابن خزيمة فى صحيحه بنحوه ، و عنده فى آخره (فان غم عليكم فاقدروا له واعلموا أن الشهر لا يزيد على ثلاثين) و رواه الحاكم بنحوه و قال صحيح على شرطهما و وافقه الذهبي على تصحيحه .

الحديث الثانى: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فان غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما) رواه الامام أحمد و مسلم و النسائى و ابن ماجـة ، و فى رواية لمسلم و النسائى أن رسول الله ﷺ قال (صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته فان غمى عليكم الشهر فعدوا ثلاثين) و قد رواه الترمذى بنحوه و قال فى آخره (فعدوا ثلاثين ثم أفطروا) ثم قال: حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح ، و رواه الدارقطنى وقال فى رجاله : كلهم ثقات ، و رواه أيضاً من عدة طرق وقال هذه أسانيد صحاح ، و فى رواية لمسلم (فان غمى عليكم فأكملوا العدد) و قد رواه البخارى و لفظه : قال النبي ﷺ أو قال أبو القـاسم ﷺ (صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته فان غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) .

الحديث الثالث : عن ابن عبـاس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقـال (لا تصوموا حتى تروا الهلال و لا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين) رواه مالك و أبو داود و النسائى و اللفظ لمالك ، و فى رواية أبى داود (فان حال دونه غمـامة فأتموا العدة ثلاثين ثم أفطروا)

و فى رواية للنسائى أن رسول الله ﷺ قال (صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين) و قد رواه الامام أحمد و لفظه (صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته فان حال بينكم و بينه سحاب فكملوا العدة ثلاثين) و رواه الترمذى و النسائى بنحوه و قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، و صححه أيضاً ابن خزيمة و الحاكم و الذهبى .

الحديث الرابع : عن ربعى بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة) رواه أبو داود و النسائى و ابن حبان فى صحيحه ، و رواه ابن خزيمة فى صحيحه مختصراً ، و فى رواية للنسائى عن ربعى عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (لا تقدموا الشهر حتى تكملوا العدة أو تروا الهلال ثم صوموا و لا تفطروا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثلاثين) وقد رواه الامام أحمد بنحوه و إسناده صحيح على شرط الشيخين و رواه الدارقطنى من طرق وقال فى رجال أحدها : كلهم ثقات .

الحديث الخامس : عن عائشة رضى الله عنها قالت (كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام) رواه الامام أحمد و أبو داود و ابن خزيمة و ابن حبان فى صحيحيهما و الدارقطنى وقال هذا إسناد حسن صحيح ، و رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين و وافقه الذهبى فى تلخيصه .

الحديث السادس : عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه خطب الناس فى الذى يشك فيه فقال ألا إنى جالست أصحاب رسول الله ﷺ و سألتهم و إنهم حدثونى أن رسول الله ﷺ قال (صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته و انسكوا لها

فان غم عليكم فأكملوا ثلاثين ، فان شهد شاهـدان فصوموا و أفطروا) رواه الامام أحمد و النسائى و الدارقطنى ، و فى رواية أحمد (و إن شهد شاهـدان مسلمان فصوموا و أفطروا) و فى رواية الدارقطنى (فان شهد ذوا عدل فصوموا و أفطروا و انسكوا) .

الحديث السابع : عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (إذا رأيتم الهلال فصوموا و إذا رأيتموه فأفطروا فان غمى عليكم فعدوا ثلاثين يوما) رواه الامام أحمد و أبو يعلى و الطبرانى فى الأوسط و البيهقى ، قال الهيثمى : و رجال أحمد رجال الصحيح .

الحديث الثامن : عن أبى بكرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا المدة ثلاثين يوما) رواه البزار و الطبرانى فى الكبير و البيهقى ، قال الهيثمى و فيه عمران بن داور القطان وثقه ابن حبان و غيره و فيه كلام ، قلت و ما تقدم من الأحاديث الصحيحة يشهد له و يقويه .

الحديث التاسع : عن مسروق و البراء بن عازب رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأتموا ثلاثين) رواه الطبرانى فى الكبير .

الحديث العاشر : عن طلق بن على رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل جعل هذه الأهلة مواقيت للناس فاذا رأيتموه فصوموا و إذا رأيتموه فأفطروا فان غم عليكم فأتموا المدة ثلاثين) رواه الامام أحمد و الطبرانى فى الكبير و الدارقطنى ،و رواه البيهقى مختصراً ولفظه قال رسول الله ﷺ (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروا الهلال فان غم عليكم فأكملوا المدة ثلاثين)

و رواه الامام أحمـد و الطبرانی أیضاً مختصراً بنحو روایة البیهق ، قال الهیثمی و فیه محمد بن جابر الیمای وهو صدوق ولکنه ضاعت کتبه وقبل التلقین ، قلت وما تقدم من الأحادیث الصحیحة یشهد لحدیثه و یقویه .

الحدیث الحادی عشر : عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقدموا هذا الشهر صوموا لرؤیته و أفطروا لرؤیته فان غم علیکم فعدوا ثلاثین ، رواه الطبرانی فی الأوسط والبیهق ، قال الهیثمی : وفیه ابن اسحاق و هو مدلس و لکنه ثقة ، قلت وما تقدم من الأحادیث یشهد له و یقویه .

الحدیث الثانی عشر : عن رافع بن خدیج رضی الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (أحصوا عدة شعبان لرمضان و لا تقدموا الشهر بصوم فاذا رأیتموه فصوموا و إذا رأیتموه فأفطروا فان غم علیکم فأکملوا العدة ثلاثین یوما ثم أفطروا) رواه الدارقطنی .

الحدیث الثالث عشر : عن ابن عمر رضی الله عنهما قال ترای الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أنی رأیته فصامه و أمر النـاس بصیامه ، رواه أبو داود و الدارمی و ابن حبان فی صحیحه و الدارقطنی و الحاکم و البیهق و قال الحاکم صحیح علی شرط مسلم و أقره الذهبی .

الحدیث الرابع عشر : عن ابن عباس رضی الله عنهما قال : جاء أعرابی إلی النبی ﷺ فقال : أبصرت الهلال اللیلة قال : (أتشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله) قال : نعم ، قال : (یا بلال أذن فی الناس فلیصوموا غداً) رواه أهل السنن و ابن أبی شیبة والدارمی و ابن خزیمة و ابن حبان فی صحیحیهما و الدارقطنی و الحاکم و البیهق ، وقال الحاکم : صحیح الاسناد متداول بین الفقهاء ولم یخرجاه ، و وافقه الذهبی علی تصحیحه .

الحديث الخامس عشر: عن ربعى بن حراش عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: اختلف الناس فى آخر يوم من رمضان فقدم أعرابيان فشهدا عند النبي ﷺ بالله لأهلا الهلال أمس عشية فأمر رسول الله ﷺ الناس أن يفطروا، رواه أبو داود عن مسدد وخلف بن هشام المقرىء، قال: و زاد خلف فى حديثه و أن يغدوا إلى مصلاهم.

إسناده عن مسدد صحيح على شرط الشيخين و إسناده عن خلف صحيح على شرط مسلم، و قد رواه الدارقطنى من طريق أبى داود وقال: هذا إسناد حسن ثابت، و رواه أيضاً من طريق آخر و قال: هذا صحيح، و رواه الامام أحمد باسنادين صحيحين على شرط الشيخين ولفظه عن ربعى بن حراش عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: أصبح الناس صياما لتمام ثلاثين قال: فجاء أعرابيان فشهدا أنهما أهلا الهلال بالأمس فأمر رسول الله ﷺ الناس فأفطروا، و رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى مستدركه من طريق اسحاق بن إسماعيل الطالقانى: حدثنا سفيان بن عيينة عن منصور عن ربعى بن حراش عن أبى مسعود رضى الله عنه قال أصبح الناس صياما لتمام ثلاثين فجاء رجلان فشهدا أنهما رأيا الهلال بالأمس فأمر رسول الله ﷺ الناس فأفطروا، قال الطبرانى: لم يقل أحد فى هذا الحديث عن أبى مسعود إلا اسحاق بن إسماعيل الطالقانى، قال الهيثمى: وهو ثقة، قلت: قد وثقه ابن معين و يعقوب بن شيبة و أبو داود و الدارقطنى و عثمان بن خرزاذ وابن حبان وابن قانع، وقال الحاكم بعد إيراد الحديث: صحيح على شرط الشيخين و وافقه الذهبى فى تلخيصه، و قد رواه الدارقطنى بنحوه.

الحديث السادس عشر: عن أبى عمير بن أنس بن مالك قال: حدثنى عمومة لى من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: غم علينا هلال شوال فأصبحنا

صياما فجاء ركب من آخر النهار فشهدوا عند رسول الله ﷺ أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمرهم رسول الله ﷺ أن يفطروا من يومهم و أن يخرجوا لعيدهم من الغد ، رواه الامام أحمد و أبو داود و النسائى و ابن ماجة بأسانيد صحيحة ، وقد رواه الطحاوى فى (شرح معانى الآثار) و الدارقطنى و البيهقى وقال : هذا إسناد صحيح ، وقال الخطابى : حديث أبى عمير صحيح فالمصير إليه واجب .

الحديث السابع عشر : عن أبى مالك الأشجعى عن الحسين بن الحارث الجدلى - جديلة قيس - أن أمير مكة خطب ثم قال: عهد إلينا رسول الله ﷺ أن ننسك للرؤية فان لم نره و شهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما فسألت الحسين بن الحارث من أمير مكة، قال لا أدرى ثم لقينى بعد فقال: هو الحارث بن حاطب أخو محمد بن حاطب ، ثم قال الأمير : إن فيكم من هو أعلم بالله و رسوله منى و شهد هـذا من رسول الله ﷺ و أومأ بيده إلى رجل ، قال الحسين فقلت لشيخ إلى جنبي: من هذا الذى أومأ إليه الأمير قال: هذا عبدالله بن عمر وصدق ، كان أعلم بالله منه ، فقال : بذلك أمرنا رسول الله ﷺ ، رواه أبو داود وإسناده حسن ، و رواه الدارقطنى مطولا بنحو رواية أبى داؤد و مختصراً لم يذكر قوله فى عبدالله بن عمر رضى الله عنهما، وقال فى إسناد المختصر: إسناد متصل صحيح .

قال ابن الأثير فى جامع الأصول النسك العبادة و المراد به ههنا الصوم .

(يتبع)

الصغار . . . أساتذة الكبار

بقلم : الدكتور/ أحمد محمود الخليفة
مدير المركز الاسلامى بميونيخ

أعتذر أولا للقارئ الكريم إن كان تخيل أن العنوان معكوس . . . فانى قد قصدت فعلا أن الأولاد و الصغار الذين نربيهم و نعلمهم هم فى الحقيقة أيضاً أساتذة لنا نحن الكبار ، بحيث يمكننا أن نتربى منهم و من تصرفاتهم الأساليب و المناهج الفطرية و التى يغفل عنها الكبار فى كثير من الأحيان .

و الذى دفعنا للحديث فى هذا الموضوع هو نقاش تم مع أحد الألمان عن مضار الخمر و تأثيراتها العقلية و النفسية و الاجتماعيـــة ، و فى الختام قال : فى الحديث جانب منى فانه فى شبابه كان لا يطيق شرب البيرة مثلا و لكن زملاء الدراسة بدأوا فى التهكم و السخرية مما دفعه إلى شربها ، و لما سألته عن مذاقها ، قال لا يطاق فى المرة الأولى و لكنه اعتاد عليه . . . و كانت الاجابة أن مذاق البيرة لم يتغير ، إنما الذى تغير فيك هو إحساسك بالطعم فقد ساء الاحساس حتى استوى عنده البيرة مع العصير . . . و وافق الرجل على أن تغييراً حدث عنده ، و استمر الحديث . . . إنمـا ذهنى كان قد شرد فى انعكاس و انتكاس الفطرة البشرية بمثل هـــذه الممارسات . . . و ماذا لو نظرنا إلى ممارسات الأطفال قبل انتكاس فطرتهم بسبب التأثيرات الخارجية من أهل وأصدقاء ووسائل اعلام ومجتمع كامل . . . و هل لو رأينا فى الأطفال ما يتعارض مع ما تعارف عليه مجتمع ما فأيهما نقدم و أيهما نؤخر ؟ . . أو بمعنى : هل يلزم أن نغير من سلوك الأطفال الفطرى إلى ما تعارف عليه المجتمع . . . أم أن علينا أن نرجـع و نصحح من سلوكياتنا مع ما يتناسب و الفطرة التى خلق الله الناس عليها و الظاهرة فى سلوك الأطفال ؟ . . .

وقبل أن نحاول الاجابة على هذه الأسئلة وجب علينا أولا دراسة أوضاع الأطفال الفطرية ، و لذا أرجو القارئ الكريم أن يغمض عينيه مرة قبل قراءة المقال ومرة بعد القراءة متذكراً مواقف الأطفال و ما تشير إليه . . . و هل فعلا يمكن أن يتعلم الكبار منهم أم أن الصغار لا يجوز لهم إلا الجلوس على مقاعد التعلم ؟

و الحقيقة أن أستاذية الصغار لا تتوقف على باب الكبار فقط ، بل إنهم و هم من الكبار يتعلمون نجدهم يعلمون أخوتهم الصغار و يقومون بذلك بدور المساعد للآباء ، بل إنهم يقومون بواجب الوساطة التربوية أحياناً بين أجيال متباعدة ، فكم من أخ رعى أخوته فى حياة والديه بسبب فروق الأعمار و انشغال الآباء بكثرة الأعباء و الأعمال . . . هذه المشاهد تحملنا نفكر جدياً فى أسلوب معاملة الطفل الصغير الذى تؤهله ظروفه إلى القيام بكل هذه المهام .

و لننظر الآن إلى أولادنا نظرة فاحصة حيادية ، و لنبحث فيهم عن مكانة الاستاذية و إنى لعلى يقين أن كلا منا سيرى فى ولده ما لم يره من قبل . . . . و مع هـذا فهناك مواقف مشتركة بين جميع الأولاد الأساتذة يمكن أن نجملها فى التالى :

١ – صدق الوعد :

كم من مرة واعـدنا أولادنا على شئ ما مثل زيارة قريب أو صديق ، أو الخروج للتنزه أو لشراء بعض الحاجيات ، أو وعده باحضار لعبة أو هدية له ، وننسى أو نتناسى الوفاء بالوعد ظناً منا أننا نتعامل مع « طفل لا يعى » ، وحينما نرجع إلى البيت نفاجأ بهذا الطفل يسأل عن الوعد الموعود ، فعندما نعتذر أونحاول التهرب نسمع منه ما يسعدنا «ألم تعدنى بذلك ؟» ، هنا نحتضن الطفل «العجيب»

و نفرح بكلماته . . . . و لكننا لا نتعلم من الدرس الذى ألقاه علينا « الطفل الصغير » .

هنا أقول لكل أب : عليك أن تراجع موازينك للصغر و الكبر ، فأنت مرة تعامل ولدك على أنه الطفل الصغير ، و مرة أخرى على أنه الكبير . . وهذا ما يجعلك تتهرب مرة من ملاحقاته بالوعد الكاذب، ثم تتهرب منه بسبب الوعد الكاذب . . . ثم أنت تفرح لتعليقه الك « ألم تصدق بذلك ؟ » ، ثم ما أنت لا تعبأ بالدرس و لا تقلع عن إخلاف الوعـــد . . و لتسأل نفسك : « لم هذه الازدواجية فى معالم الشخصيـــة ؟ » ألم يكن من الأفضل أن تعامل الطفل بالصدق فى الوعد ، ثم إن أهملت هـذه مرة ، فلم تكرره مرات . . . . هيا معى نتعلم صدق الوعد من أولادنا .

ثم أليست هذه الحوادث دليلا على توافق و موافقة الفطرة البشرية لقضية يكثر فيها الجدل أحياناً عن « صدق الوعد » . . . ؟ و علينا أن نراجع أنفسنا : متى تحولنا عن الفطرة إلى ما نحن عليـه الآن من إخلاف الوعد ؟ و إن كنا نرجو عودة لله تعالى صادقة فعلينا هنا واجبان : الأول المحافظة على فطرة الجيل الجديد فيبقى على خيره من صدق الوعد و غيره من مكارم الأخلاق ، والواجب الثانى هو أن نعيد أنفسنا و لو قسراً إلى هذه الفطرة . . . وبغير هذا نكون كمن يلهو و لا يعرف للهوه هدفا .

٢ ــ القدوة الحسنة :

و هذه يمكن لكل واحد منا أن يتحدث فيها بلا ملل و ان يكتب عنها بلا كلل ، فكل منا واجه ويواجه من الأولاد الشئ العجيب المباشر وغير المباشر.. و نقصد بالمباشر ما يواجهنا به الأساتذة الصغار عنـــد تأنيبهم عن عمل ما مثلا

فيقولوا لنا بالصريح : و لماذا تفعل أنت كذا ؟ موجهين الحديث للام أو الاب على سواء ، او إذا طلبنا من الطفل ألا يرتدى زياً معيناً فيقول : و لماذا ترتدى أنت كذا ؟ أما العجيب غير المباشر فهو أن نلحظ من الاولاد تصرفا معيباً ، و لما نبحث عن سبب اقترافهم هـذا التصرف نعلم فى النهاية أنهم يقلدون بذلك الاب أو الام أو العم أو معلم الفصل . . . أو . . . أو . . . و هنـا نعلم ما علينا من تبعات مقـابل أولادنا ، فانهم يحاكون ما نقول و ما نفعل دون وعى منهم، حتى إذا ما رغبنا يوما أن نصحح لهم هذا ابوا أن يستجيبوا لنا فقد دخلوا فى مرحلة العمل بوعى و هنا يصعب التغيير إلا لمن اراد الله به خيراً .

هذا المثال نراه يتكرر فى مواقف كثيرة . . . فى الوعى المرورى، فاحترام الاشارات الضوئية للسيارات و المشاة يقوم بها الأولاد تقليـــداً للاباء ، و كلما زاد إهمال الكبار فى احترام هذه الاشارات زاد بالتالى إهمال الأطفال بل وتعودهم إهمال احترام الاشارات . . . و يتكرر المثال فى إلقاء القمامـة فى الشارع دون المحافظة على نظافة المدينة مما يكلف الدولة ما لا تطيق و يسئ إلى سمعـــة البلاد و العباد ، و ما كان للطفل أن يلقى بالقمامة فى الطريق إلا لأنه رأى الكبـار لا يالون و يفعلون مثل ذلك . . . كما يتكرر المثال فى إسراف الكبار فهم يضيئون من المصابيح ما يحتاجون و ما لا يحتاجون و يفتحون صنابير المياه فى ضرورة و غير ضرورة ، حتى إن الأطفال يتربون على ذلك ثم يصعب بعد أن يكبروا التخلص من مثل هـذه العادات . . . إذن فالأولاد يحتاجون منـا القدوة الحسنة لأنهم يقتدون بنا على كل الحالات ، و هم يعاتبون علينا عند قولهم « بابا فعل نفس الشئ و لم يكلمه أحد » . . . هذا الدرس يجب علينا أن نعيه ونفهمه من الأولاد ، و مع استيعابنـا للدرس فانا سنحرص أمام الأولاد على أن نظهر

بما يليق بنا كقدوة لهم ، و حينئــذ سيصلح حالنا ، لأننا سنقلل من الاسراف و نقلل من إلقاء القاذورات فى الطرقات و سنقلل من امتهان إشارات المرور إلى غير ذلك ، فنكون بذلك قد أعطينا الدرس للاولاد و تعودنا نحن تدريجياً على فعل الخيرات و البعد عن غيرها .

٣ — الاحسان و إعطاء الصدقات :

ليتذكر كل منا آخر مرة خرج فيها مع ولده الصغير و التقى فيهـا بفقير ، و لنتذكر ماذا قال الطفل لأبيه و أمه . . . بالتأكيد سأل الصغير عن سبب فقر هذا الرجل ، ولماذا ملابسه بالية و غير نظيفة ؟؟؟ و إذا أجبنا عليه لأنه لا مال عنده ، تعجب المسكين و قال : و لماذا لا يملك مالا ، و هنا يقف الوالد أمام ولده حائراً ، فهو أمام أستاذ كبير فى حجم صغير ، لحقاً : لماذا هذا الرجل الفقى لا مال عنده ؟ لماذا لا يعمل و يقى نفسه ذل السؤال بل لمـاذا لا يتحول من آخذ إلى معط ؟ ألم يقل لنا الحبيب المصطفى أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، فلم نقبل أن نكون من أصحاب السفلى ، و لا حول و لا قوة إلا بالله . . . أما إن كان الفقير عاجزاً عن العمل لكبر سنه و عجزه عن الكسب فنجـد أن الصغير يلتفت إلى والده طالباً منه أن يساعد هذا المحتاج . . . و نسأل انفسنا كم من مرة استجبنا فيها لطلب ولدنا وأستاذنا فى نفس الوقت ، و كم من مرة خيبنا ظنه ؟؟؟ لنعلم كم من مرة استجبنا لنداء الفطرة و كم من مرة استعصينا عليها ، و لنشكر أستاذنا الصغير على هذا الدرس فقد وعى بنقاء فطرته أن القوى يجب وأن يعمل ، سأل السؤال دون البحث عن كلمات منمقة ودون دراسة للفلسفة أو علوم الاجتماع ، و كذا سأل أباه متعجباً و لماذا لا تساعده أنت و تعطيـه من المال ؟ بل إنى أذكر طفلى حينما رأى صورة أم و صغيرها من المهاجرين الأفغان و حال البؤس

يقفز من عيونهما : و سألنى صغيرى عن سبب البؤس ، و لما أخبرته أن جنداً من الروس أخرجوهم من بيوتهم ، قال ببراءة ابن الثلاث سنوات : إذن فالروس كفار و أنا سأقضى عليهم و عليك أنت أن ترسل للولد و أمه نقوداً . . . يا سبحان الله ، بهذه البراءة و البساطة عرف أن الظالم كافر يستحق القصاص منه ، و علم ان الذى يعلق الصورة فى مكتبه ليس بقادر على إخراج الكفار من ديار المسلمين إنما قصارى جهده تقديم العون المادى ، اما المجاهدون فانهم فى غنى عن الصور التى تذكرهم بحاجة الأم ووليدها للغذاء والكساء فهو يقدم على ذلك حاجتهم لحماية الشرع و الحق . . . فشكراً لك ولدى على هذا الدرس و شكراً لرفقائك على الدروس التى يعطونها للكبار .

٤ ـ حب الخير للآخرين :

ألم يقل لنا الحبيب المصطفى « لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، و إنى بعد ما أرى تصرفات الأساتذة الصغار أرى أن اكتمال الفطرة لا يتم إلا بحب الخير للآخرين كما يحبه الانسان لنفسه ، و أدعو الأخوة الآباء (التلاميذ) أن يقلبوا فى ذاكرتهم عن مثل هذا الموقف مع أحد أولادهم (أساتذتهم) . . ألم يذهب كل أب يوما مع أحد أولاده للسوق تاركاً بقية الأولاد فى المنزل ، ولما يحب الوالد أن يشترى للصغير هدية أوقطعة من الحلوى يسعد الولد بطفولة و يقول بأستاذيه « بابا أشترى قطعة أخرى لأختى » . . . أو مثلا « بابا من فضلك أشترى لصديق فلان قطعة أخرى ـ خاصة فى اللعب » و هكذا نرى أن الأستاذ الصغير يضرب المثل فى حب الخير للآخرين . . ويمكن أن يستولى الصغير فى الطريق على قطعة الحلوى الخاصة بأخته إن أحس بجوع ، و هذا أيضاً من الفطرة أن يحافظ المرء على حياته ، فشكراً لآبائنا الصغار الذين

علونا حب الآخرين و إن كان الآخرون من المنافسين فهو أصدق حب فطرى ، أما إن نحن ألقينا فى روع أولادنا أن هذه اللعبة ملكك ولا تدع أحداً يقترب منها ، و هذه الحلوى خاصة بك ، فانا ننمى فى الطفل حب الذات على حساب حب الغير ، ثم نشكو من تزايد معدلات الاجرام و القتل و السرقة بالرغم من أننا بما فعلناه فى طفولة الصغير قد عكرنا عليه صفو الفطرة التى خلقه الله تعالى عليها فتحول بذلك من الحب إلى الأنانية و من تمنى زوال النعمة من الآخرين ، ألم يحذرنا المصطفى من ذلك عند قوله (يولد الانسان على الفطرة فأبواه اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) . . . صدقت ياحبيبى يا رسول الله . . . نعم إن الآباء هم الذين يتدخلون فى عمل الفترة فيفسدون منها ما استطاعوا ، بل قد يستعينون بغيرهم إتماماً لافساد هذه الفطرة .

٥ـ مناطق العورة من الانسان :

و بالرغم من وضوح هذه النقطة فى حياة الانسان و عدم الحاجة إلى التذكير بها إلا أننا رأينا اعترافاً بجميل الأولاد الاساتذة أن نذكر لهم ما يواتينا من نقاط يستحق عليها الأساتذة أن نتقدم لهم فيها بالشكر ، و نراجع أنفسنا بحيادية كاملة سواء كنا من أنصار السترة أو من أنصار العرى الكامل أو الجزئى ، ألا نذكر يوماً تعاملنا فيه مع طفل الجيران لما ذهبت والدته إلى السوق أو مرضت و قعدت بالمستشفى فترة أو اضطرت لزيارة والدتها المريضة . . . المهم ما أكثر المناسبات التى نتعاون فيها فنحتضن و لساعات أو أيام قلائل أولاد الجيران . . ألا نذكر يوم أن ابتلت ملابس الصغير وحاولنا أن نغير له ملابسه ، و كيف أن هذا الصغير تحول إلى أسد هصور معترضاً و محتجاً و لم يقبل أن نقوم له بتغيير

الملابس ، إنما أصر على أن يقوم بذلك وحده ، ولما لم يتمكن من ضبط الملابس أتانا بشكله المضحك لنقوم ببعض التعديلات .

و نناقش هذه القضايا مبعدين نداء الفطرة أحياناً عن مجال المناقشة ، أما إذا نظرنا لأولادنا قبل أن تمتـــد إليهم أيدينا بالتخريب فانا نرى كيف أن الله فطر المخلوقات جميعاً محبة للسترة ، و ما ينطبق على الملبس يمكننا أيضاً أن نشهده فى المأكل و المشرب ، و لنقدم للطفل مجموعـــة من المشروبات من حليب و شأى و قهوة ، و لننظر لرد فعل الأولاد تجاه المشروبات ، و كيف أن نفس الطفل تعاف بعضها ـ بنداء الفطرة ـ و كيف أنهـا تقبل على البعض الآخر ، و هنـا نعرف كيف أن الفكر البشرى قد أفسد الفطرة ، و هنـا نفهم سبب المناقشات السفسطائية نديرها أحياناً بالرغم من أن الأدلة و البراهين من أنفسنا و ليس من خارجنا تعفينا بفضل الله من الاستمرار فى مثل هذه المناقشات ، فشكراً لأساتذتنا الصغار الذين أعفونا بنقـاء فطرتهم عن البحث عن الأدلة و البراهين فى الكثير من المناقشات .

٦ــ حب التعلم و المعرفة :

و هذه نراها جميعاً فى أطفالنـا ، بل إننا نضجر أحياناً من هذه الصفة ، و نرجع ذلك خطئاً إلى الجهل الكامل الذى يولد عليه الطفل ، ألم يسألنا أولادنا عن كل شئ يصادفهم و عن سبب بعض الظواهر كالمطر و الزلازل و الحروب ، حتى إننا نتهرب أحياناً من الاجابة بل قد نترك الغرفة للصغير من كثيرة ملاحقاته لنا بأسئلته المحرجة أحياناً لجهلنـا بالجواب إذا سأل مثلا فى الشئون الهندسيـــة و التكنولوجية أو فى الشئون العسكرية و السياسية ، أو نتهرب من الطفل لانشغالنا

عنه بأشياء أخرى نراها أكثر أهمية من أعطاء الطفل جواباً عن سيل أسئلته المتلاحقة . . . هذا السيل الذى نحتاج إلى أن نقف عنده وقفة صدق وإخلاص مجيبين عن الأسئلة التالية : (هل ابنى الصغير حقاً جاهل؟) (هل من الضرورى أن يعرف الصغير سبب الحرب الأفغانية و حرب الخليج و الاعتداء على سكان المخيمات فى صبرا و شاتيلا و أسباب اضطهاد المسلمين فى الفلبين و . . . و . . . و . . . ؟؟؟) (هل سيفهم طفلى حقاً تفسير الظواهر الكونية من سحاب وبرق و رعد و مطر و زلازل و فيضانات . . . و . . . و . . . ؟؟؟) (وهل إذا تمكنت أنا من شرح كل هذا لطفلى هل سيستوعبه ؟ و إن استوعبه هل سيفيده يوما فى حياته إن عرف الجواب اليوم منى أو عرفه غداً من معلم المدرسة ؟) (هل هناك من فرق بين نتائج المعرفة المبكرة و المعرفة المتأخرة ؟) . . . كل هذه الأسئلة و كثير مثلها يجب أن يتفرغ كل أب لنفسه و لو دقائق فى عمره ليعرف الجواب عنها ، و لا يحتاج الأب لسؤال علماء التربية وعلم النفس ، إنما ليبحث فى نفسه هو عما تعلمه فى حياته . . . عما درسه فى المدارس وعما مارسه مع أبيه منذ صغره فى التجارة و ما سمعه من حديث بين والدته و خالته و بين ما درسه فى المعامل و المدرجات الجامعيـــة و ما تابعه من أحداث فى نشرات الأخبار و البرامج التعليمية فى وسائل الاعلام ... وهنا سنجد أن كمية كبيرة من معلوماتنا لم نكتسبها عن طريق الدراسة إنما من كمية الممارسات اليومية العـامة ، وبذا نعرف مدى الخدمة التى نقدمها لابنائنـا حين الاجابة عليهـم بصدق عن أسئلتهم ، وطبعاً يمكن أن يكون الجواب مبسطاً على قدر مداركهم . . .

ولا يقف الأولاد عند حد من حدود المعرفة بما نسميه اليوم بالتخصص إنما هم يسألون فى كل المجالات وعن كل شئ ، و من الطبيعى أن اهتمامات كل

فرد فينا تظهر بوضوح فى أحد المجالات ، إنما لا يعنى هذا إهمال أبواب المعرفة الأخرى و ينعزل الانسان عنها ، فالطفل لم يقصر اهتماماته على ألعابه فقط و رفاق الطفولة فقط ، إنما اهتم بكل شئ كما اهتم بكل أحد ، وهنا نذكر قول الحبيب المصطفى ﷺ (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) لأن هذا الاهتمام جزء من فطرة الانسان ، و من لم يهتم فقد عكس فطرته التى فطره الله عليها . . . فشكراً لاحبائى الصغار و الأساتذة الكبار الذين عفونا عن سؤال أى أستاذ ، فقد تأستذوا بطلابهم العلم ، و علينا إن أحببنا موقف الاستاذية أن نتقن موقف طالبي العلم . . . ففى طلب العلم أستاذية و فى الاستغناء عنه جهل .

أخشى أن يمل القارىء أن نعدد له مواقف أستاذية الأطفال فيشعر أمامهم بغير شعور المعلم و المربى ، إنما قيمة الوالد و المعلم فى المدرسة تزداد زيادة واضحة مع ارتفاع المستوى العلمى و التربوى عند الأولاد ، فهذه الزيادة دليل على رعاية الآب و المعلم لفطرة الطفل أيما رعاية و حمايتها من العاديات ، و العناية بالطفل و إعطائه ما يحتاجه بصدق الاب و حكمة المعلم و حنان المربى و وعى الناقل و الملقن . . . كل هذه الصفات فى الاب و المعلم و المربى يمكن قراءتها فى تصرفات و أسئلة الطفل الصغير .

ثم انخرج من دائرة تعديد مآثر الطفولة الفطرية ، و لنتحرك سريعاً إلينا ، نحن الآباء . . . . ألم نكن صغاراً يوماً ما ؟ ألم نكن تتمتع بموقف الأستاذية الفطرية هذا ؟ ألم نكن من صادقى الوعد المحسنين المحبين للخير لكل البشر المحافظين على مأكلنا و ملبسنا المحبين للمعرفة و التعلم ؟ . . . فكيف بنا بربكم ننتقل من هذه المكانة إلى ما نحن عليه الآن من احتياجنا إلى من يذكرنا دائماً بعمل الخير بكافة مناحيه و يطالبنا بالعودة إلى نقاء فطرتنا التى خلقنا الله عليها ، وكيف بنا نحتاج

إلى ترغيب و ترهيب حتى نستجيب للعودة إلى الأصل الذى خلقنا الله له و عليه، بل قد نحتاج أحياناً إلى تعزير و عقاب على اختلاف صور العقاب هذه . . هل بقوانين وضعية أنتجها الفكر البشرى، أم بحدود سماوية حددها خالق البشر وخالق الفطرة و العارف بما يعيد الأمور إلى نصابها؟ . . . المهم ليست قضيتنا الآن فى شكل القوانين إنما فى ضرورتها ليرجع الانسان عن مصادمة الفطرة إلى موافقة الفطرة التى خلق الناس عليها . . . وهنا نجد أن الله أرسل الرسل لذلك ، ولنقرأ و نتذكر قول الحبيب المصطفى ﷺ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » هـذه الأخلاق الموافقة للفطرة والتى تتعرض للتغيير و التبديل عن طريق التربية فى البيت أو المدرسة أو وسائل الاعلام أو الأعراف الاجتماعية ، هذه الأخلاق الفطرية هى التى أرسل الله رسله ليكملوها و يزيدوها حتى أتى الحبيب الخاتم فأتمها فى نفس البشر المقتفين آثاره ﷺ ، أما من أبى فقد أتته البشائر من الله إن تاب بالجنة و إن أصر على معصيته بالعذاب الأليم . . .

المهم، هو السؤال كيف بنا تحولنا عن موقف الأستاذية الفطرية إلى موقف الحاجة إلى الترغيب و الترهيب و التعزير و العقاب ؟

وكيف بنا نرجع عن هذا التخلف الفطرى لنتسلم ثانية مكانة القيادة الفطرية، والتى بها تستكمل موقف القيادة العقيدية فنعيد للبشرية مجداً تليداً كانت تفتخر به و تتباهى به وسط مخلوقات الأرض و السماء ؟

هذا و هذا هو ما سنعرض له فى حلقة مقبلة إن شاء الله . . .

صور و أوضاع :

الرئيس ضياء الحق، استثناءات لا تجتمع فى زعيم

واضح رشيد الندوى

فقد العالم الاسلامى فى ١٨/ أغسطس ١٩٨٨ م شخصية فذة لا يجود بمثلها الزمان إلا نادراً ، فى مثل تلك الطبقة التى كانت تنتمى إليها ، وبمثل تلك التربية و الثقافة التى نالتها و البيئة التى عاشت فيها .

لقد اجتمعت فى تلك الشخصية استثناءات كثيرة قلما تجمع فى شخصية ، كان الاستثناء الأول أنه كان أول حاكم عسكرى ، وصل إلى الحكم بالثورة ، و بفرض الأحكام العرفية ، و كان رفقته ومؤيدوه ومنفذو أوامره عسكريين ، لكنه لم يكن عسكرياً فى إجراءاته ، وسلوكه ، و معاملته مع الشعب ، و لم يبق حكمه على نظام المخابرات و الأمن ، و التأميم ، و الرقابة و تكميم الأفواه ، و التعتيم ، و وسائل الاستبداد ، و قمع المعارضة الذاتية أو الاجتماعية كما هو المألوف فى العالم المعاصر الذى أصبحت الثورة فيه الوسيلة النافعة و المرجحة للوصول إلى الحكم ، ووسائل القمع و التكميم و التعتيم وسائل ناجحة و مؤثرة للبقاء فى الحكم .

بقى الرئيس ضياء الحق فى الحكم إحدى عشرة سنة و هى مدة طويلة بالنسبة للحكام السابقين له ، و فى خلال هذه الفترة الطويلة كان معارضوه ، و معارضو النظرة الأساسية لبلده ، يتمتعون بحرية كاملة للانتقال ، و التحرك و التصرف ، و نشر الأفكار ، و أكثر من ذلك بحرية القيام برحلات إلى الدول التى كانت تساند الحركات المناوئة لحكم الرئيس ضياء ، و تمول و تربى أعداؤه ، و لم يكن هؤلاء الزعماء المناوؤن له ينتقلون إلى دول الأعداء و يعيشون فيها مدة من الزمن و يغذون الصحافة و وسائل الاعلام ببيانات صريحة فى العداء بل كانوا

يتمتعون بحرية العودة إلى البلاد ، و العيش فيها بأمن و سلام ، و قد أثارت بيانات بعض الزعماء ردود فعل عنيفة فى البلاد لأنها كانت ضد وجود باكستان و سلامتها ، و ضد الأفكار الاسلامية التى تحتضنها باكستان كدولة قامت بالاسلام و كانت ضد منهج الحكم فى باكستان واتجاهات البلاد إلى القوى العالمية و المصالح القومية ، كبيانات زعيم الانفصال فى السند ج . م سيد الذى يدعو إلى العودة إلى عهد ما قبل الاسلام وأظهر ميله إلى الأفكار الوثنية ، وولى خان ، و والده عبد الغفار خان اللذين أدليا ببيانات ضد تصور باكستان الأساسى ، فى مناسبات عديدة ، لكنهم لم يواجهوا أى تأنيب ، أو استجواب من قبل رجال الأمن ، فضلا عن المعاقبة ، و لو حدث شئ من هذا القبيل أو اتهم أحد بمثل هذه الميول فى بلد عسكرى آخر ، لما سمع له اسم فى الأحياء فى اليوم التالى أو أجبر على الحياة فى المنفى طول بقاء ذلك الحكم ، و يشاهد ذلك فى عالمنا المعاصر كثيراً ، فقد انتقد سخاروف تدخل القوات السوفيتية فى أفغانستان فتجرع مرارة ذلك العمل سنوات لقى فيه كل نوع من العذاب ، و واجه عشرات من الزعماء أشد العقوبات على نقد الحكم فى عالم الثورة و هو شائع فى عالم الثورة .

كذلك ، كانت معاملة الرئيس استثنائية مع ابنة الزعيم الذى أقام الثورة ضده ، و التى كانت ألد أعدائه ، تتربص به الدوائر ، وتكيد له الدسائس ، و دبرت عدة مؤامرات و تعرضت عدة شخصيات كبرى لحملات الاغتيال ، و الاختطاف ، عن طريق عصابة ذو الفقار الارهابية التى كانت تتألف من انصار «بوتو» وكانت تسعى لاعادة اعضاء تلك الأسرة إلى الحكم ، بأعمال عدوانيـة ، و اختطفت طائرات باكستانية ، و و وقعت حوادث الانفجار بمؤامرة هؤلاء المنحرفين ، و لكن الرئيس ضياء احتمل كل ذلك لأنه كان يؤمن أن الخير ينتصر على الشر ،

و الاصلاح أفضل من المعاقبة ، و أن الارشاد يهدى الغاوين فى النهاية ، فكان لا ينفعل بأعمال هؤلاء المنحرفين و لا ببيانات بينظير بهتو التى لم تخف نواياها ، و اتصالاتها بالدول غير الصديقه مع باكستان ، فرحب بها فى بلاده ، وسمح لها بالبقاء فيها و بممارسة نشاطاتها ، و احتمل أسوا الاستفرازات من قبلها .

كذلك كانت الصحافة فى عهد ضياء الحق ، تتمتع بحقوق النقد الصريح ، التى لا تتوفر فى كثير من الدول التى تتشدق بحرية الصحافة ، وكل من يراجع الصحف و المجلات التى كانت تصدر فى عهده يجد نقداً لاذعاً له ، و لمناهجه ما لا يوجد له نظير إلا فى الدول الديموقراطية الراقية ، بل كانت صحف باكستان تتجاوز الحدود فى بعض الأحيان .

كان الرئيس ضياء الحق متحمساً للغاية للاسلام و لتطبيق التعاليم الاسلامية و إصلاح الأوضاع فى البلاد ، و بذل ما كان فى وسعه من مجهود ، و كانت حياته الشخصية وسلوكه وسيرته تتناسب مع هذا التصور العالى ، والمقصد السامى ، فكان حاكما عادلا ، و كان مسلماً متديناً منيباً إلى الله ، خاشعاً فى حياته الخاصة ، يكرم العلماء و رجال الدين غاية الاكرام و يعامل رفقاءه ، معاملة أخوة واحترام ، و إن تعدى زملاؤه و أدلوا بآراء معاندة له ، لكنه كان يحتمل هذا المكروه ، ويتجنب اجراءات البطش و الاستبداد ، و كان حريصاً على العودة إلى النظام الديموقراطى و لكنه كان يعرف ما تلوث به هذا النظام و ما لصق به من اتجاهات و عادات تتنافى مع روح هذا التصور ، و لأجل ذلك درس نظم الحكم و الدساتير فى الدول المختلفة و كان يريد صياغة نظام لا يتنافى مع العصر و لا يتعارض مع تصور المجتمع المسلم المتحفظ .

لم يكن الرئيس ضياء الحق رغم ارتباط بلاده فى مجال الدفاع بالولايات

المتحدة و اعتماده عليها ، من المرتبطين فكرياً و ذهنياً بها ، ورغم الأخطار التي كانت تحيط به من جارتين قويتين معاندتين له ، ورغم الأعباء الكثيفة على كاهله من أجل إغاثة ثلاثة ملايين من اللاجئين الأفغان ، كان يتحرك في مصلحة بلاده ، و مصلحة الأمة الاسلامية و القضايا الاسلامية بكل حرية و ينتقد مواقف الولايات المتحدة كلما تعارضت مع مصلحة بلاده ، و لذلك لم يكن بمثابة حليف مقيد ، وإنما كان في الواقع زميلا وكان يجتهد دائماً أن تبقى مصلحة بلاده موضع رعاية و اعتبار أول .

كان انحياز الرئيس ضياء إلى الاسلام واضحاً ، سواء رضي به من كان يتعامل معه من زعماء الدول الأوربية أم لم يرضوا ، فعند ما أتيحت له فرصة لالقاء خطاب في الأمم المتحدة ، شعر بمسئوليته كحاكم مسلم لبلد مسلم يقوم على نظرية الانتماء إلى الاسلام فوجه دعوته و أبدى انتماءه إلى الاسلام و رفع صوت الاسلام وأوضح منهج الاسلام في الحياة ، فتحولت هذه الكلمة إلى محاضرة دعوية ، وكان لها دوى في الأوساط العالمية ، وهو مثال لوضوح رؤيته و صدق انتمائه إلى الاسلام و صلابته في الموقف ، وثقته بالنفس ، ما لا مثيل له في تاريخ المنابر الدولية .

لقد رفع الرئيس ضياء باكستان من الصفوف الخلفية للامم في خريطة العالم و وضعها في مقدمة الدول المناضلة لبقائها ، بحرية ، و دعوة ، و منهج ، و اتخذ في هذا السبيل جميع الوسائل و منها الوسائل المادية ، التي دعا إليها القرآن الكريم لخلق الرعب و الهيبة في قلوب الأعداء ، فكانت الاعدادات لانتاج القنبلة الذرية شوكة في قلوب الأعداء و فعل الأعداء كل ما كان في وسعهم للقضاء على هذه القوة المتطورة ، و لكن الله سلم .

إن الرئيس ضياء و قد عددت الصحف مناقبه المتعددة ، و في حياته

دروس و عبر كثيرة ، استثناء فى جوانب كثيرة ، إنه كان مجاهداً داعياً ، حاكماً عادلا ، سياسياً حكيما ، يحل المشاكل و المعضلات بالنكت ، و أحياناً بالتندر ، واللعب ، والتى وصفها مرة بدبلوماسية الكريكت ، و قد صرف بهذه الدبلوماسية أخطر الحرب بين البلدين ، واعترف العالم بذكائه ، ولا يجتمع مثل هذه المواهب و القدرات فى شخص واحد ، إلا فى الأفذاد الذين قلما يجود بهم الزمان ، غفر الله له و جعله قدوة لن خلفه ، و لأمثاله فى العالم الاسلامى ، و قد قال الشاعر العربى ابو فراس الحمدانى ما يطابق هذا الوضع :

سيفقدنى قومى إذا جـد جـدهم
و فى الليلة الظلماء يفتقد البـدر

و لكن موقفنا كواثقين بنصر الله و قدرته ، و بصلاحية الأمة الاسلامية فى الانتاج و إنجاب الأفذاذ كما أمرنا الاسلام يختلف عن موقف الشاعر فنقول : إنا لله و إنا إليه راجعون، اللهم اخلفنى فى مصيبتى وارزقنى خيراً منه .

الاشتراكية تتراجع فى بورما

أصيبت الاشتراكية بنكسة أخرى بعـد النكسات فى الصين ، و الاتحاد السوفيتى ، و أفغانستان ، و بولندا .

كانت هذه النكسة الأخيرة فى بورما حيث تراجع النظـام الاشتراكى ، بعد أن لاذ إلى الفرار من البلاد الحاكم الذى فرض هذا النظام على البلاد وسلب حرية شعبها ، و نهب ثروتها ، و قربها من الفقر بعـد أن كانت من الدول التى تزخر بوسائل الرفاهية و النعيم .

إن هذه النكسة جاءت بعد أن انتصر العمال فى كفاحهم فى بولنده ، وكان هذا الكفاح الذى كان يستمر من عدة سنوات يتم عن الشعور بالشقاء و البؤس فى عمال المصانع و القيود الباهضة المفروضة عليهم و الأجور الزهيدة التى كانوا يتقاضونها و هم الذين قامت الاشتراكية باسمهم ، و بوعد نقلهم إلى النعيم و إنقاذهم من بطش المستأجرين ، وأصحاب الأموال ، وقد كانت أحداث بولنده تقوم بتعرية الفكر الشيوعى ، والنظام الاشتراكى والكشف عن مساويه ، و كان هؤلاء العمال يعاملون بالبطش و القهر فى العهود السابقة و لكن التراخى فى فرض هذا النظام و إعادة النظر فى منهجه الذى حدث بعد تولى جوربا تشوف الحكم فى الاتحاد السوفيتى ، أدى إلى اتخاذ موقف لين نوعاً ما مع هذه الحركة عدولا عن موقف الحكام السابقين .

و قبل ذلك وقعت مظاهرات فى الاتحاد السوفيتى و طالب المتظاهرون بمنح الولايات التى دمجت إلى روسيا بعد ثورة لينين ، الحرية ، أو الحكم الذاتى ، و احتملت قوات الأمن هذه المظاهرات و لم تسلك مسلك قمعها باستبداد ، كما كان يقع فى السابق .

إنه أيضاً موشر إلى تغير فى اتباع المنهج الاشتراكى للحكم ، و يدل على أن هذا المنهج بدأ يفقد سيطرته على النفوس .

لقد ظهرت خيبة النظام الاشتراكى فى تحقيق أهدافه المنشودة فى بورما ، البلد المجاور للهند و الذى تدفقت منه أفواج من النازحين إلى الهند فى عام ١٩٦٢ بعد أن قام الجنرال نيووين فيه بثورة اشتراكية ضد يونو ، الزعيم المحنك ، وقام بتأميم كل مصلحة و مؤسسة فى البلاد ، واستولى على الأموال و الممتلكات و شرد الناس و قتل ألوفا من أبناء البلاد ، و تحول مآت من الأغنياء إلى فقراء

و استولى على ثروتهم الارهابيون الاشتراكيون ، و اختار الجنرال نيووين جميع وسائل القمع و الكبت فى البلاد ، لكنه لم يوفق فى إسعاد شعبه ، و إنما جلب شقاء و معاناة واسعة و تعرضت البلاد للتمزق ، و الفقر ، و الجهالة فى هذا العهد الطويل .

و بعد ٢٦ سنة من حكم حزب واحد ، و هو الحزب الاشتراكى ، و فرد واحد ، و هو نيووين ، و صحافة مذهب واحد ، و هى صحافة الحزب ، و بعد دعاية مكثفة و أحلام و أمان طائلة للمستقبل الزاخر ، رجع نيووين على أعقابه وفر من البلاد ، تاركا بلاده فى حالة حرب أهلية ، و ساد الشغب شهراً كاملا حتى تولى الحكم يونو الذى كان الجنرال نيووين قد ثار عليه ، و عاد النظام القديم ، وهكذا بعد الدماء و سلب الحريات و قتل النفوس ، وتشريد المواطنين ، ٢٦ سنة كاملة تحت النظام الاشتراكى ، يعود الوضع القديم ، بانتفاضة الشعب البورمى ، و قد شارك فى هذه الانتفاضة الشعبية رجال الجيش ، و ساندوا المتظاهرين للحرية ، و سيعود نظام الأحزاب السياسية المتعددة .

إن الأحداث فى بورما مؤشر إلى تطور كبير و هو انتشار الشعور بالخيبة فى صلاحية النظام الاشتراكى و المنهج الاشتراكى للحكم ، و الاقتصاد ، و الحياة الاجتماعية و قد أثبت الشعب البورمى كفاءته و قدرته على تغيير الوضع ، رغم صغر حجم البلاد ، وقربها من الدول الاشتراكية الكبرى ، و سيتصعد هذا الشعور فى الدول الاشتراكية الأخرى التى تتجرع شعوبها مرارة هذا النظام القاهر ، الذى تفقد فيه الشعوب الشرف و المجد ، و الحرية ، و لا يجلب مقابله إلا الفقر ، أو الخبز فى طابور طويل ، و فى ظل الكرباج .

مطبوعات جـــــديدة

رسالة دكتوراة مهمة

حول إعجاز القرآن الكريم

تقدم الباحث عودة الله منيع القيسى برسالة دكتوراة إلى الجامعة الأردنية ، فى مجال ـ الاعجاز البيانى للقرآن الكريم ـ وكان عنوان الرسالة (تنوع صيغ الكلمات ذات الأصل اللغوى الواحد فى القرآن الكريم ، لتنوع ألوان السياق والمعانى) ، وقد تم نقاشها بتاريخ ١٩٨٨/٦/٢٥ ، ونال عليها درجة الدكتوراة، وقد جاء هذا الموضوع دليلا جديداً يضاف إلى الأدلة الأخرى التى قدمها الأسلاف على أن القرآن كتاب معجز ، لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه .

وقد ناقش الباحث مأتين و ستاً وأربعين صيغة فى رسالته ، فوجد بالدليل الواضح أن كل صيغـــة جاءت فى مكانها حقاً الذى لا تسد فيه مكانها الصيغة الأخرى . . لعلل لفظية و معنوية . . راجعة إلى السياق القرآنى الذى وردت فيه كل صيغة ، هذه العلل توجب ورود صيغة، و تضعف أن ترد الصيغـة الأخرى المشتقة من أصلها اللغوى فى مكانها ، و نورد على ذلك مثلا واحداً مما ناقشه فى هذه الرسالة من صيغ كثيرة ، هو صيغتـا (لم تستطع ـ لم تسطع) فالأولى وردت على الأصل ، أى وردت كاملة الحروف ، أما الثانيـــة فقد حذفت منها التـاء التى تسبق الطاء ، يقول الباحث عودة الله القيسى .

وردت كلمة (لم تستطع) مرة واحدة ، فى قوله تعالى : « قال : هذا فراق بينى و بينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً » (١) ، قال ذلك الرجل الصالح إلى موسى ـ عليه السلام ـ .

---

(١) سورة الكهف ـ الآية ٧٨ .

و وردت كلمة (لم تسطع) ـ بحذف التاء ، مرة واحدة كذلك فى قوله تعالى : « و أما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ، و كان تحته كنز لهما ، و كان أبوهما صالحاً ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما و يستخرجا كنزهما ، رحمة من ربك، وما فعلته عن أمرى ، ذلك تأويل ـ ما لم تسطع ـ عليه صبراً »(١) قال ذلك الرجل الصالح إلى موسى ـ عليه السلام ـ .

فلماذا وردت الصيغة . . مرة (لم تستطع) و مرة أخرى (لم تسطع) ـ بحذف التاء ـ ؟

لقد أثبتت التاء فى الصيغـــة الأولى . . جرياً على الأصل ، و الأصل لا يحتاج إلى التعليل ، و حذفت من الثانية ، فجاءت على الفرع ، لثلاثة أسباب :

الأول ـ أن كلمات الآية التى وردت فيها صيغة ـ لم تستطع ـ كانت أقل ـ إلى الثلث ـ من كلمات الآية التى وردت فيها صيغـة ـ لم تسطع ـ ، فكانت ، قلة الكلمات فى الآية الأولى توجب إتمام حروف الصيغة الاولى ، و كثرة الكلمات فى الآية الأخرى تسمح بتقليل حروف الصيغة الثانية . ذلك . . ليحدث توازن بين الآيتين : قليلة الكلمات اكتملت فيها الصيغـــة ، و كثيرة الكلمات نقصت فيها حرف الصيغة (٢) .

الثانى : أن الأصل فى اللغة « البيان و التبيين » فاذا أمكن أن يبين المعنى المقصود مع قلة الحروف كان أولى (لأن الطبيعة البشرية تميل إلى تقليل الجهد إذا وفى بالهدف) أما ترى أنهم قالوا : (ويلمه) عن (ويل لأمـه) عندما كثر استعمال هذا التعبير و أصبح مفهوماً ؟ وإذاً ـ بما أن الصيغة ـ لم تستطع ـ

(١) السورة السابقة ـ الآية ٨٢ .
(٢) الكشـاف : ١/١٣٤ .

قد وردت فى السياق آنفاً ، و كان تكرارها مرة ثانية يجعلها مفهومة و لو حذفت بعض حروفها . . فقد سهل ذلك حذف التاء منها عندما كررت ، و قد وقع الحذف على ـ التاء ـ دون غيره ، لأن فى الكلمة حرفاً يغنى عنه ، لقربه منه فى المخرج ، هو ـ الطاء ـ .

السبب الثالث : أن موسى ـ عليه السلام ـ كان قبل أن يفسر له الرجل الصالح أسباب فعلاته الثلاث ، غير قادر على الصبر . . فكان نطق الكلمة الدالة على ذلك بكامل حروفها أولى ، لكى تعبر تعبيراً واضحاً عن حالته ، و تكون صيغتها موازية لحالة عدم القدرة على الصبر .

أما بعد أن فسر الرجل الصالح لموسى فعلاته الثلاث ـ خرق السفينة ، و قتل الغلام ، و بناء الجدار ـ فقد أصبح موسى فى حال قدرته على الصبر . . فلم يعد ما يدعو إلى تأكيد المعنى الأول باللفظ ، بعد أن زال أثره عن موسى ، فكان أقل لفظ أو أدنى صيغة للكلمة . . كافية للتعبير عن الحال ، و كانت قلة اللفظ موازية لزوال الحال (١) فقد كان موسى يستطيع الاستمرار مع الرجل بعد هذا التفسير : لو لا أن الحكمة الالهية تريد للامور أن تقف عند هذا الحد .

وعلى هذا . . يبدو قول الراغب الأصفهانى : (ويقال : استطاع . . واسطاع بمعنى (فما استطاعوا أن يظهروه ، و ما استطاعوا له نقباً) (٢) . . دالا على المعنى العام ، أما المعنى الخاص . . فلا ، لأن لكل من الصيغتين ظلالها التى تعبر عن معنى أو حال لا تعبر عنه الأخرى ، كما وضح لنا من التحليل السابق .

(١) مفاتيح الغيب : ٦/٦٨ ، ٦٩ .

(٢) انظر : الكرمانى : البرهان فى توجيه متشابه القرآن ١٢٢ و النووى : المنثورات : ٢٧٧ .

لقد حرص الباحث على أن يكون رأيه فى كل صيغة قائماً على التعليل و التدليل حقاً ، وهذا ما لمسناه فى مواد الرسالة كلها ، يقول فى مقدمة البحث : « و لم أقدم رأيا انطباعياً قط ، و إنما كنت أقدم رأياً علمياً ، إذ كنت أحلل اذكر العلل و الأسباب و كنت إذا أوردت رأياً ، أوردت العلل التى ترجحه و الأسباب التى تؤكده ، و هذه هى حدود العلم فى النقد : فالنقد ذوق معلل ، أو ذوق يتبع منهج العلم فى توضيح قضاياه »

وهذا البحث جديد لأن القدامى لم يتناولوا كل مسائل هذه الظاهرة بالدرس و البحث ، إنهم لم يتنـاولوا إلا عشرين مسألة من مئة و ثلاث عشرة مسألة تنـاولها هذا البحث ، فكان بذلك أول بحث يستقرى جميع هـذه الصيغ فى القرآن و يعكف على تحليلها و تعليلها ، فيقدم بها دليلا جديداً على إعجاز القرآن فى مجال النظم و البيان .

رؤية إسلامية للاستشراق

بقلم الدكتور مانع بن حماد الجهنى
الأمين العام للندوة العالمية للشباب الاسلامى - الرياض

صدر أخيراً كتاب قيم للدكتور أحمد غراب أستاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك سعود تحت عنوان (رؤية إسلامية للاستشراق) والكتاب رغم صغر حجمه يقع فى حوالى المائة صفحة من القطع المتوسط إلا أنه يحمل الكثير من الحقائق.

فهو يعرف الاستشراق تعريفاً محدداً واضحاً ذاكراً أنه دراسات أكاديمية للاسلام يقوم بها غربيون بهدف تشويه الاسلام و التشكيك فيه وجر أتباعه إلى التبعية لهم ، و هذه الدراسات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستعمار الغربى و التنصير الكنسى ولا تلتزم بالموضوعية و الامانة العلمية فى تناولها للاسلام .

و يوضح أن الاستشراق ليس ظاهرة جديدة و إنما هو امتداد لمواقف المشركين و أهل الكتاب من الاسلام من بدء ظهوره ، حين عمدوا إلى تأويل القرآن تأويلا فاسداً ولبسوا الحق بالباطل وكتموا الحق رغم علمهم به .

وقد كشف المؤلف عن موقف الغرب من الاسلام قبل الحروب الصليبية و بعدها و نظرتهم إليه باعتباره يمثل خطراً حقيقياً و تحدياً سافراً لحضارتهم الغربية، وأنهم فى هجومهم على الاسلام وتكذيبهم للرسول وإنكارهم للوحى إنما يستجيبون لمشاعرهم المضطغنة و أحقادهم الخبيثة، وقد أبرز المؤلف مواقف بعض المستشرقين فى عصرنا الحديث مثل مونتجمرى وات ومكسيم رودنسون و غيرهم كما أشار إلى مؤتمر المنصرين الذى انعقد فى اوكسفورد فى الفترة من ١٨ — ٢٥ أغسطس ١٩٨٦م و رأسه كينيث كراج .

و يشير المؤلف إنصافا للحق إلى مواقف بعض العلماء المسيحيين من العقيدة المسيحية المحرفة و صدور كتاب «أسطورة الاله المتجسد» حيث ينفون فكرة تأليه عيسى عليه السلام و ينادون ببشرية المسيح و يرفضون خرافة الاله المتجسد .

و قد تعرض الكتاب فى فصوله المختلفة لأبرز القضايا و المسائل التى تتصل بالاستشراق و ناقشها مناقشة موضوعية فى فصوله المختلفة تحت عناوين (مفهوم الاستشراق — الاستشراق ليس ظاهرة جديدة — موقف المستشرقين من الاسلام فى القرون الوسطى و عصر النهضة — موقف المستشرقين فى العصر الحديث — الاستشراق و الاستعمار — الاستشراق و التنصير — أسطورة الاله المتجسد — كلمة أخيرة) .

وخلص إلى القول بأن الاستشراق يمثل عداوة عقائدية للاسلام و أن معظم المستشرقين لا يلتزمون بالموضوعية العلمية، و يناشد المسلمين فى آخر الكتاب

أن ينتبهوا إلى خطورة الاستشراق و يتحرروا من التأثر بافرازات المستشرقين السامة تحت تأثير دعايات مبطلة أو انبهارات كاذبة ، ولا يركنوا إلى الذين ظلموا فتمسهم النار .

بقى أن نقول بأن المؤلف يصل إلى قارئه من أقرب طريق و يستوعب الموضوع بشكل واضح ولا يعمد إلى استعراض المعلومات و إنما يسوق الحقائق مدعمة بالدليل و البرهان، فجزاه الله خيراً على ما بذل فيه من جهد ، و الله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

ملحمة فلسطين

تلقينا من الشاعر الاسلامى الكبير الدكتور عدنان على رضا النحوى عضو مجلس الأمناء لرابطة الأدب الاسلامى ، ديوانه القيم الذى صدر أخيراً من دار النحوى للنشر و التوزيع بالرياض ، يحمل اسم « ملحمة فلسطين » وما جاء فى المقدمة من تعريف بهذا الديوان المشرق يغنينا عن تسجيل أى ملاحظة نحوه ، يقول صاحب الديوان :

« مع هذه الملحمة لا أهدف إلى أن أسجل تاريخ فلسطين و لا تاريخ قضيتها ، فهذا التاريخ أوسع من فسحة هذه الملحمة .

و لكن لا بد من وضع معالم عن القضية ، و معالم فى تاريخ فلسطين و منزلتها فى الاسلام ، و معالم فى طريق العودة إليها ، لذلك جاء الباب الأول يضم جميع هذه المعالم فى ثلاثة فصول ، لتكون هى المقدمة النثرية بين يدى الملاحم والقصائد، ليقدم الشعر و النثر صورة لملحمة فلسطين الممتدة مع التاريخ ، لتكون هذه الصورة إشراقة إيمان و عقيدة ، و لهفة شوق و حنين ، و وثبة عزيمة و جهاد .

ولا بد للؤمن أن يحمل صورة إيمانية عن قضاياه، عن قضايا العالم الاسلامى، عن واقعه الذى يعيش فيه، حتى يمده العلم بالواقع بالزاد الذى يحتاجه على درب الايمان، ليرسم خطة ونهجاً، يصدق به النية لله سبحانه و تعالى، وينير به الدرب على صراط مستقيم، و تشرق الأهداف جلية فى أفق السمى و الجهاد، يقوم ذلك كله على إيمان صادق وعلم كريم بمنهاج الله قرآنا و سنة.

ويضم الباب الثانى ثمانى ملاحم و قصائد تدور حول أهم أحداث القضية فى تاريخها الحديث، مثل تل الزعتر، وحرب المخيمات، و زيارة القدس، و الأحداث الأخيرة (الانتفاضة) و وثبة الشراع، و غيرها.

و لا يعنى هذا الكتاب أن القصائد التى يعرضها هى حصاد ما قلته عن فلسطين، فالدواوين الشعرية والملاحم التى صدرت تناولت قضية فلسطين بأحداثها و تاريخها و آمالها، و كذلك سائر قضايا العالم الاسلامى و همومه و أحداثه، مثل الحرب الأهلية اللبنانية، و سقوط الخلافة، وفتح القسطنطينية، و الجهاد الأفغانى وغير ذلك، من خلال التصور الاسلامى لهذه القضايا و الواقع الذى نعيش فيه».

نهنئ أخانا الفاضل الدكتور النحوى على هذه الهدية الكريمة التى أكرم بها جميع الأوساط العلمية و الأدبية، و الزاد الشعرى الدسم الذى أضاف به إخوانه من الأدباء و الشعراء الاسلاميين.

مجلة « بحث و نظر »

ورد إلينا العدد الثانى من مجلة « بحث و نظر » التى أصدرها مركز البحث العلمى التابع للامارة الشرعية لولايتى بهار و أريسه، تلك المؤسسة الفقهية و العلمية التى يشرف عليها عالم الهند الكبير فضيلة الشيخ منة الله الرحمانى، نجل العلامة الشيخ محمد على المونكيرى (مؤسس ندوة العلماء بالهند) والأمين العام لمجلس الأحوال الشخصية للسلمين فى الهند.

أنشأها :
فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسنى رحمه الله
في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

المجلد الثالث والثلاثون — العدد الثامن

جمادى الأولى ١٤٠٩هـ - ديسمبر ١٩٨٨م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الاسلامي، مؤسسة الصحافة والنشر، ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama,
P. O. Box 93. Lucknow (India)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــــــة :

موقف المسلمين من المدائح النبوية !

تتضافر الأدلة من كل نوع على أن الاسلام دين النوع البشرى بأكمله، وأنه دين قيم ومنهج ربانى كامل، خالد شامل بحكم الشهادة القرآنية، فهو يتفق و طبيعة الانسان فى جميع الأزمنة والأمكنة، ولذلك عبر الله عنه بفطرة الله « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » هذه الفطرة الالهية هى التى قضت أن يتولى إبلاغ هذا الدين وشريعته إلى الناس كافة، رسول مبعوث من الله، رحمـة للعالمين وخاتم النبيين، فبعث الله تعـالى محمداً ﷺ بالهدى و دين الحق ليظهره على جميع الأديان و اختاره فى الجزيرة العربية بين قوم أميين، بعيدين عن جميع الآداب و الفضائل الانسانية، منهمكين فى اللذات و الشهوات، مقهورين بالأهواء النفسيـــة، عائشين فى العداوات و الحزازات، فلو لا كان هذا الدين كما وصفه الله تعالى حاجة الفطرة الانسانيـة، و الرسول عليه الصلاة و السلام رحمـة للعالمين، و شاهداً و مبشراً و نذيراً، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً، لما تيسر له تحويل العالم من وجهة الشقاء إلى ساحة السعادة، وتغيير العادات والطبائع السيئة بالأخلاق والطبيعة الحسنة الجميلة.

كانت بعثة الرسول ﷺ إلى هذا العالم رحمة من الله للعالم كله و منـة منه على الانسان الذى هداه إلى الايمان و أكرمـه بالفضائل و الخلق النبيل الكريم، لقد صنع النبى ﷺ من الحياة الانسانية الضائعة حياة انسانيـــة كريمة ذات قيم و مثل عاليـــة، و سهر على تحويل الطاقات الانسانية التى أهدرتها التقاليد القبلية و الكبرياء القومية و الأنانية البغيضة، إلى طاقات إيجابية بناءة، و تفجيرها لصالح الحياة و الكون، و ربط الانسان بمصدر القوة و الايمان، و إشعاره بقيمته التى لا تعادلها قيمة أو ثمن، ولا شك فان العالم قد خلع الله عليه لباس الحياة والنمو

و الازدهار من جديد ، و أنقذ الانسان من شفا حفرة من النار و الدمار إلى رحاب من الحياة واسعة « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ».

و سوف لا نتمكن من إحصاء أيادى الرسول الكريمة النقية على الانسان وحسناته البيضاء على الانسانية الشقية المعذبة ، لا نستطيع أن ندرك مدى ارتباطه القوى العميق بوحى السماء و توجيهات الرب تبارك و تعالى و علاقته الوطيدة بمنبع الالهام الالهى و العقيدة الايمانية ، و تلك هى الميزة التى رفعت مكانته و جعلته آخر الأنبياء و خاتم الرسل ، و منحته العبقرية النبوية المتميزة ، و لدينه الكمال ، و لدعوته الخلود ، و لمنهجه الشمول ، و للانسان عن طريقه العزة و السمو ، فشهد التاريخ البشرى تحولا لا نظير له فى تاريخ الديانات و المناهج الفكرية فى جميع مناحى الحياة ومجالات النشاط ، و ذلك ما من الله به على الناس فقال « و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » لقد كان واقع هذا التحول يحمل من ظلال الرحمة و العطف ما دفع الانسان إلى بناء هذا العالم من جديد على أساس من الفضيلة و العقيدة ، و العيش فيه على وحى من الشريعة و فى ضوء تعاليم السماء ، غير أن هذا التحول لم يكن مفاجئاً بل و قد سبقه من المحن و المعاناة ما تحمله رسول الله ﷺ ، و سجله تاريخ الاسلام ، و لم يكن تلقائياً و لكنه تناول الناس بالتعليم و التزكية و الاقناع ، و قدم دليلا من أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً .

أرسله الله تعالى على خلال من الذروة تعذر مثالها فى غيره من الأنبياء و صفات ممتازة فاقت كل وصف ، و مدحه الله تعالى بأحسن ما يمدح به رسولا « إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا ، صلوا عليه و سلموا تسليماً » ، و يقول « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً و داعياً

إلى الله باذنه و سراجاً منيراً و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً ، « ما كان محمـــد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله وخاتم النبيين » و « و إنك لعلى خلق عظيم » و « و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » حتى ضم طاعته بطاعته فقال « و أرسلناك للناس رسولا و كفى بالله شهيداً ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ، و من تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً » و « و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبيناً » والآيات فى هذا المعنى كثيرة بل إن كتاب الله ايزخر بمعانى المدح للرسول عليه الصلاة والسلام و الثناء عليه .

فالرسول الكريم الذى هذا شأنه و مكانته ، و هذه قيمته و عظمته ، كيف لا يمدحه المسلمون ، وكيف لا يطيلون النفس فى الثناء عليه و لا يفيضون فى أداء ضريبة الحب و الوفاء له بأحسن ما يملكونه من ملكة القول و الكلام ، و طاقة القريض و النعت الجميل ، و كيف لا يعتبرون من سعادة الحياة إذا وفقوا لاستخدام القلم و اللسان فى مديحه ، و لابداء عواطف الحب و الولاء له ولدينه الذى جاء به ، بل الواقع أن المسلمين مطالبون بذلك فى جميع مراحل حياتهم و مأمورون باطاعته الكاملة و الانقياد لشريعتـــه الشاملة الخالدة ، ومدعوون إلى حبه و اتباعه ، الذى يؤدى إلى حب الله تبارك و تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم » و صرح بهذا الاتباع و الولاء لسان النبوة فقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لمـا جئت به » و قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده و ولده و الناس أجمعين » .

كل ذلك لأن النبي ﷺ هو المرسل من الله و الموحى منه ، و أنه المبلغ لرسالته و شريعته وتفاصيل دينه و تعاليم كتابه إلى الناس كافة ، طبقاً للوحى الذى يوحى به إليه ، و من هنالك كان رسول الله ﷺ هو المتولى الوحيد و المفسر الأول لدين الاسلام ، و بتعبير آخر : هو خاتم الرسل لدين قد أكمله الله تعالى على يده و ربط به مصير الانسان و الكون و الحياة ، وختم عليه الوحى و أتم

به النعمة على النوع البشرى من كل جانب، فاذا قارنا بين الوضع السيئ المنحل، و حياة الشقاء و الذل والبهيمية التى عاشها الانسان قبل بعثة الرسول ﷺ ، وبين الوضع الذى سعد به الانسان، والسعادة الكاملة و النعمة السامقة التى نالها الانسان بعد بعثة الرسول ﷺ لما وسعنا إلا الشكر الجزيل الدائم المستمر على نعمة الاسلام و سعادة الوحى المنزل ، و كرامة الايمان ، و إن من الشكر و التقدير لهذه النعمة التى حملها الرسول ﷺ إلينا أن لا ننسى حق الشعور بقيمتها و لا نغفل واجب المدح و الثناء على من اختاره الله تعالى لشرف الوحى ونعمة الاسلام لكى يكرمنا بالانتماء إليه و يجعل شخصيته العظيمة أحب إلينا من كل شئ .

فلا غرو إذن أن يتجه المسلمون نحو النبي المصطفى ﷺ بأداء ضريبة الحب و الولاء له ، و تنطلق ألسنتهم بالثناء عليه و تقديم المديح إليه ، كل شعب بلغته و لهجته و أسلوبه ، و بطبقاته العالية و الدانية ، و بشعرائه و أدبائه و علمائه و فضلائه ، و شيوخه وشبابه ، و بسكانه فى المدن و القرى، و برجاله و نسائه، على السواء ، و فعلا أقبل المسلمون على هذا الجانب الحساس و تظاهروا بهذه الروح المؤمنة الرقيقة و العواطف النبيلة الشفافة فى مجال المدائح النبوية و فنونها الخلابة الساحرة ، و قد ظهر هذا اللون الثابت من مديح الرسول ﷺ فى حياته وخلال جهاده و دعوته ، ولا سيما بعد ما تمت الهجرة إلى المدينة المنورة ومست الحاجة هناك إلى الرد على المشركين والدفاع عن الاسلام وعن النبي ﷺ بصورة شعرية ، كانت عمدة الشعراء فى الدفاع عن قضايا الدين وتوجيه الهزيمة نحو الأعداء، وتثبيت دعائم النبوة ، و تأكيد نعمة الاسلام و خلود رسالته ، و أنه هو الطريق الوحيد إلى السعادة فى الدين و الدنيا ، و حياة العز و الكرامة فى كل مكان ، ولا شك فان شعراء الرسول ﷺ قاموا بكل أمانة و إخلاص بأداء هذا الواجب المهم بالشعر القوى و بالتفنن فى مديح الرسول عليه الصلاة والسلام بكلام دسم ذى تأثير عميق يعمل فى نفوس الكفار و المشركين عمل الأسنة و السيوف ، و قد فسروا الدين و شرحوا تعاليمه فى ضوء الوحى و سنة رسول الله ﷺ .

فهذا حسان بن ثابت الأنصارى كان جنة للرسول ﷺ يمدحه و يدافع عنه و يتناول الكفار بسهام من الشعر حادة تنفذ إلى ما وراء القلوب ، و هو يعتز به و بالنور الذى حل به فى ديارهم ، فمثلا يقول فى مدح الرسول ﷺ :

نبي أتانا بعد يأس و فترة ... من الرسل والأوثان فى الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيراً و هادياً ... يلوح كما لاح الصقيل المهند
و أنذرنا ناراً و بشر جنة ... و علمنا الاسلام ، فالله نحمد

و يقول بمناسبة الهجرة إلى المدينة :

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ... و قدس من يسرى إليهم و يغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا ... عمى ، و هداة يهتدون بمهتدى
لقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد

هذا ، و إن العصر الذى نعيش فيه ، وهو عصر يتميز بالمادية و الماديين ، ليدعونا إلى نشر سيرة النبي ﷺ العطرة على أوسع نطاق ، و إبراز شخصيته الفذة بكل أسلوب ممكن من المدائح النبوية والقصائد الشعرية والكتابات الأدبية ، إذ أن مدح النبي ﷺ لا يعنى إلا مدح تلك المثل والقيم الايمانية العليا التى حمل رايتها النبي ومثلها فى ذاته وفى دعوته و جهاده و حياته وحياة أصحابه ، إن الثناء عليه إنما يعنى الثناء على المنهج الذى جاء به إلى هذا العالم و وجد فيه الانسان جميع مفاهيم العز والعلو و السعادة و الكرامة والهداية ، و أدرك فيه ضالته من العلم و الحضارة و الأخلاق و الفضائل ، و السياسة و الاجتماع ، فنحن حينما نشيد بحياة النبي ﷺ فانما نشيد فى الواقع بذلك الدين الخالد العظيم الذى كان رحمة و عدلا و سعادة وهناء للعالم أجمع ، و عند ما ننشد أناشيد الحب و الولاء للنبي عليه الصلاة و السلام فلا نتوخى بذلك إلا تعظيم شعائر الله و تمجيد شريعته التى التجأت إليها الحياة الانسانية و نالت فيها بغيتها من الهدوء و الاستقرار و الأمن و السلام .

و بالمناسبة فلابد من الاشارة إلى أن هناك عدداً من الشعراء و المعنيين بالمدائح النبوية يتجاوزون فى شعرهم ومدائحهم حدود الأدب، ذلك أنهم لا يبالون بما إذا صدر منهم من المديح ما يجعل الرسول ﷺ فى درجة الله تبارك و تعالى أو قريباً منه ، بل و قد وجد ناس منهم رفعوا منزلة الرسول على الله تعالى و خلعوا عليه صفات الله تعالى و ربطوا به الخلق و الأمر ، على أن الرسول ﷺ قد نزه نفسه عن كل ذلك ، و نهى عن كل إطراء أو مغالاة فى المدح ، قائلا : لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح بن مريم فجعلوه ابنا لله ، و قال : أنا عبد الله و رسوله ، و قال : أنا ابن امرأة من العرب كانت تأكل القديد ، و غير ذلك مما أكد فيه عبديته ونزه فيه نفسه عن كل معنى من معانى التقديس الذى يسويه بالله تعالى .

و انطلاقاً من هذا المبدأ الحكيم عقدت رابطة الأدب الاسلامى العالمية ندوة علمية حول المدائح النبوية برئاسة سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى و دعوة منه (١) ، حضرها مندوبون من جميع أنحاء الهند من الأوساط العلمية و الأدبية و من خارج الهند كذلك ، ممن أدلوا ببحوثهم و آرائهم حول الموضوع و ساهموا فيه بحماسة و نشاط ، و من بين التوصيات التى اتخذتها الندوة ما جاء فيه التركيز على عقيدة التوحيد وتنزيه المدائح النبوية عن كل شائبة من شوائب الشرك و عن كل ما يعارض منصب النبوة و مقام النبى ﷺ .

و ليعلم أن المغالاة والاطراء فى مدح النبى ﷺ وخلع صفات الألوهية عليه إنما يرادف إهانة الرسول ﷺ و تقليل شأنه ، و أن المؤمن الصادق لا يرضى بأى مدح أو نعت ينال من شخصية الرسول ﷺ بله أن يعظمها و يرفع قيمتها .

(و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون) .

سعيد الأعظمى

(١) فى مدينة أورنغ آباد فى الفترة ما بين ٢٥ - ٢٧/ صفر ١٤٠٩هـ ، و ليراجع للتفصيل المقال المنشور فى آخر العدد عن هذه الندوة .

التوجيه الإسلامي

البيت الإسلامي

الأمة الاسلامية ، وحدتها و وسطيتها فی آفاق المستقبل[1]

بقلم : سماحة العلامة الشيخ أبی الحسن علی الحسنی الندوی

وحدة التربية و التعليم و انسجامها مع طبيعة الأمة الاسلامية و رسالتها و غايتها ، هو العامل الأكبر الأقوى لبقاء وحدة الأمة و وسطيتها ، و استمرارهما و بروزهما .

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام علی سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد و آله وصحبه أجمعين ، و من تبعهم باحسان ودعا بدعوتهم إلی يوم الدين .

أما بعد ! أيها السادة ! إن الله سبحانه و تعالی وصف الأمة الاسلامية عند ظهورها و بعثتها ، و اتخذ الوسطية سمة لها و شماراً بين الأمم ، و استخدم كلمة البعثة ، عن قصد و بينــة ، فان الله تعالی قال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله (١) و قال الرسول صلی الله عليــه و آله وسلم مخاطباً لأصحابه — رضی الله عنهم — « إنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين (٢) » وقال ربعی بن عامر رسول المسلمين عند رستم قائد قواد المملكة الساسانية الايرانية : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلی عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلی سعتها ، و من جور الأديان إلی عدل الاسلام (٣) ».

(١) سورة آل عمران — ١١٠ .

(٢) رواه الترمذی عن أبی هريرة رضی الله عنه .

(٣) البداية و النهاية ، ج / ٧ ، ص / ٣٩ — ٤١ .

(١) أعد هذا المقال القيم لملتقى الفكر الاسلامی الجزائری الثانی والعشرين المنعقد فی الفترة ما بين ٣٠ اغسطس — ٥ ستمبر ١٩٨٨م .

وكانت اللغة العربية عند نزول القرآن — ولا تزال — غنية بكلمات النعت و الوصف ، و المدح و الاطراء ، منها ما تضفى على هـــذه الأمة معنى العبقرية و العملاقية ، وتجعلها فوق مستوى الشعوب والأمم — إذا لم تجعلها فوق مستوى الانسانية — و تكسوها لباسا فضفاضا هو أوسع من قامتها ، و أكبر من قيمتها ، و قد حكى القرآن نفسه عن اليهود والنصارى فى وصفهم لأنفسهم قولهم ، فقال : (وقالت اليهود و النصارى نحن أبناء الله و أحباؤه) (١) .

ولكنه اقتصر على كلمة الوسطية وقال : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » (٢) وكلمة « الوسط فى الكلمات — فى حجمها الصغير و وزنها الكبير — كهذه الأمة بين الأمم الانسانية فى قيمتها الكبيرة ، و فائدتها الكثيرة وقامتها الصغيرة المعتدلة (نسبياً إذا قورنت بالمجموعـــة البشرية قديما و حديثا و الشعوب السائدة المالكة لأسباب القوة و الرخاء و الترف فى الماضى و الحاضر) .

و الكلمات اللغوية و المفردات تتعرض للمحنة ، كما تتعرض الرسالات و المؤسسات ، و المعانى الشريفة الفاضلة ، و خلال الجمال و الكمال و الفضيلة فى أزمان مختلفة ، و بيئات متنوعة ، و ذلك لكثرة استعمالها فى محلها و فى غير محلها ، و انطلاق الألسنة و الأقلام بها بسهولة ، فيفهمها الانسان العـارف باللغة العربية فى نطاق فهمه لهذه اللغة ، و فى مجـال تجاربه و اختبـاره لمن وصف بـ « الوسطية » فى الرجال ، أو اتصف بالاعتدال و الاتزان من الأعمال ، أو يرجع إلى معجم عربى معول عليه فيعرف معناها فى مجال الشرح الذى لا تتخطاه المعاجم مهما توسعت و استفاضت ، فكان ذلك كله حجاباً لفهم المعانى التى احتوت عليها

(١) سورة المائدة — ١٨

(٢) سورة البقرة — ١٤٣ .

هذه الكلمة العربية القرآنية ، وعجز عن إدراك أعماقها و أبعادها ، و وزنها الحقيق فى القياسات التى تقاس بها الأمم و المجموعات البشرية حتى أمم الانبياء فى زمن بعثتهم و بعدها .

و لا يشعر الانسان المتذوق للغة ، المنصف بالطبيعة ، بسعة هذه الكلمة و شمولها ، وعمق أغوارها ، و اتساع أبعادها و آفاقها ، بعض الشعور ، حسب توفيق الله تعالى أولا ، ثم بذكائه و بعد نظره وسعة صدره ، و قدرة إنصافه و اعترافه ثانياً ، إلا إذا كان واسع الاطلاع على تاريخ العصور التى سبقت البعثة المحمدية و ظهور الاسلام ، و نزول القرآن ، و المجتمعات الجاهلية بشتى أنواعها و أقاليمها و مناطقها و عصورها ، و استعراضها استعراضا شاملا دقيقاً فى ضوء كتب التاريخ الأمينة ، و شهادات معاصريها الجريئة ، و آثارها الباقية من أدب وشعر وفلسفة و حكايات و أساطير ، و معابد و آثار و حفريات ، و بقايا هذه الشعوب فى بلاد مختلفة و ماتدين به وتعمل ، وعرف — بعض المعرفة من خلال التاريخ — ما كانت تقاسيه هذه المجتمعات الجاهلية من تناقض بين العلم و العمل ، و الذكاء و التبجح وشق الشعرة فى الفلسفة وعلم الفلك و العلوم الرياضية ، وبين الأخلاق و العشرة و التطبيق (١) و بين التجرد الروحى و الارتكاس المادى ، و بين المادية الجامحة و الرهبانية الغالية المتطرفة ، و بين اتخاذ الأسباب أرباباً ، و بين التواكل وترك الأسباب بتاتاً ، و بين تقديس الدم و السلالات و تركيزه سياسياً و إدارياً فى بيوتات حاكمة ، و روحياً و دينياً فى بيوتات كامنة ، و ما

(١) ليرجع إلى مقال المؤلف « دور الاسلام الجذرى البناء فى مجال العلوم الانسانية » الذى عرض لملتقى الفكر الاسلامى الحادى والعشرين فى سطيف ، الجزائر ، طبع مكتبة الصحوة — القاهرة .

كانت تعانيه من اصطراع بين الفرد و الجماعة و المحكومين و الحاكمين ، و بين البذخ و الأناقة و الترف الذى بلغ إلى حد الخيال والشعر و بين ما كانت تمانيه الشعوب من فقرمد قع وعجز تقشعر منه الجلود و تذرف له العيون . وما كانت تمتاز به من خلط بين الوسائل و الغايات ، و المحكمات و المتشابهات ، و الثوابت التى لا تتغير ،و التطورات التى تخضع لاختلاف الزمان و المكان ، زد إلى ذلك عدم بقاء الأديان على نقائها و أصالتها و فقد من يجدد هذه الديانات و يردها إلى أصلها و روحها و رسالتها (١) .

وكذلك الشأن مع العصر الحاضر الذى يقوده الغرب — بمعناه الواسع — حضارياً و سياسياً و اقتصادياً و فكرياً — فانه يتأرجح — و أحياناً كثيرة يصطرع بين شيوعية غير فطرية ، و رأسمالية غير خلقية ، وبين حضارة راقية و اكتشافات مذهلة ، وتسخير الكثير من طاقات الكون ، و بين أخلاق وحشيـــة و عقول صبيانية ، ونكتفى فى ذلك بشهادة واحدة لأحد الكتاب الغربيين فى العصر القريب ، يقول الأستاذ جود الانجليزى (Prof. Joad) رئيس قسم الفلسفة فى جامعة لندن :

« إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة ، ولكننا نستعملها بعقل الأطفال و الوحوش » (٢) ويحكى عن فيلسوف معاصر ، قوله مخاطباً للغربيين :

« إنكم تقدرون أن تطيروا فى الهواء كالطيور وتسبحوا فى الماء كالسمك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض كانسان » (٣) .

(١) ليرجع إلى مقال « ندرة شخصيات التجـــديد فى الديانات الأخرى » فى كتاب « رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام » ج/١ ، ص / ١٥—٢١ ، طبع دار القلم الكويتية .

(2) Guide to Modern Wickedness, p. 261

(٣) أيضاً p. 293 .

لذلك كله و فى ضوء ذلك كله جاءت كلمة « الوسطية » فى وصف الأمة الاسلامية نداءاً صارخاً منبهاً للعقول والمشاعر و الأذواق، موقظاً لها من السبات، مثيراً للاستغراب و الدراسة و التفكير فى آن واحد ، متحديا للعصبية الدينيــة أو السلالية و الاقليمية التى دانت بها ديانات كثيرة ، ولا تزال .

و فى نفس الوقت تثير هذه الكلمة وما تتبعها كلمة « لتكونوا شهداء على الناس » الاعتزاز فى حملة رسالة الاسلام و أتباع هذا الدين ، والشعور بالكرامة و المسئولية و التبعة فى آن واحد ، فانهــا تستلزم معنى الوصاية على الأمــــم ، و الاشراف على العالم و النهوض بالحسبة الخلقية ، و الرقابة المعنوية ، و قيادة الركب الانسانى فى كل فترة من فترات التاريخ ، وبقعة من بقاع العالم ، و بالاخلال بذلك أو التنازل عنه يحرمون نفوسهم من كونهم أمة وسطا و جدارتهم لأن يكونوا شهداء على الناس ، و ذلك شبه انتحار معنوى جماعى و كفران بنعمة الله .

وذلك لا يتحقق — فى شروط كثيرة لا يتسع هذا المقال اشرحها — إلا بأن يكون العمل التربوى والتعليمى فى هده الأمة — على اختلاف بلادها وتنوع أوضاعها — منسجماً متجاوباً مع رسالة هذه الأمة و طبيعتها و الغـاية التى بعثت لأجلها ، والسر فى صيانة الله لها على كثرة أعدائها وسعة « الوسطية » والوحدة فى هذه الأمة و جدارتها لأن يكون أبناؤها شهداء على الناس كافلا بذلك ضامناً له لا يتخلى عن وظيفته ، و لا يتكاسل — فضلا من أن يخون أو يعارض — فى أداء مهمته ، لذلك سيكون حديثى مركزاً على البحث عن الوضع التربوى و التعليمى فى البلاد الاسلامية و مدى وفائه لرسالته و تجاوبه للغـاية التى بعثت لها هذه الأمة و وصفت بالوسطية و أكرمت بالشهـادة على الناس فى كل زمان و مكان ، فان نظام التربية و التعلم هو العامل الأقوى فى بنـاء الأمة ونقل

خصائصها و رسالتها و عقيدتها وخلقها إلى الأجيال الصاعدة ، وهو المعول الهدام - إذا أسيئ استخدامه أو استورد من مصدر لا يؤمن بقيمه ومثله - لكيان هذه الأمة و جوهرها ، و الحاجز الأكبر بين ماضيها و حاضرها ، و الصائغ المدمر لمستقبلها .

جاء عهد الاحتلال الأجنبي وغزو الغرب الفكري و الثقافي ، و وقع الشرق الاسلامي - بإرادة أو بغير إرادة - في حضانة التربية الغربية ، ونظمها التعليمية ، و مناهجها الفكرية ، وقيمها ومثلها العليا ، وتصورها للحياة و الانسان ، ونظرتها إلى العلوم و الآداب ، كما يترامى الطفل الصغير في أحضان مرب كبير ، وقبل نظامه التعليمي ، و بالأصح فكرته التعليمية ، بحذافيرها و على علاتها التي ولدت ونشأت و اختمرت في بيئة تؤمن بعقائد و أسس ، و مبادىء وقيم ، و مفاهيم و مثل ، تختلف كل الاختلاف عن العقائد والأسس ، و المبادىء والقيم ، والمفاهيم والمثل ، التي يؤمن بها المجتمع الاسلامي أو يجب أن يؤمن بها ويعيش لها ، و يجاهد في سبيلها ، بل تقوم على نفيها و هدمها أحياناً ، و التهكم بها و الاستهانة بقيمتها أحياناً أخرى ، فكان مثله كمثل رجل يتناول السم الزعاف ليعيش ، و يشرب الماء الملح الأجاج ليروى غلته ، وحكموا في تخطيط برامجهم التعليمية ، و مؤسساتهم العلمية الاخصائيين أو المستشارين من البلاد الأجنبيـــة ، و لم يستوردوا منها المقررات الدراسية فحسب ، بل النظرات التعليمية و التصورات التربوية ، و أرسلوا البعثات إلى الخارج تنشأ في أحضان المربين الغربيين و الأساتذة الأجانب ، ثم أطلقوا أيديهم و منحوهم كل حرية في تخطيط البرامج التعليمية و سياسة التعليم في هذه الأقطار الاسلامية .

فكانت النتيجة وجود طبقـــة مضطربة في العقائد و الأفكار ، و السيرة

و الأخلاق ، أحسن أحوالها أن تكون مذبذبة بين الفكرة الغربية و الفكرة الاسلاميـــة ، و إلا فهى فى أكثر الاحيان تنسلخ من كل ما يدين به مجتمعها و أمتها و بلادها .

و ذلك شئ طبيعى لا يستغرب وجوده ، إنما يستغرب عكسه ، وقد يكون هؤلاء الأخصائيون أو المستشارون و تلاميذهم مخلصين فى عملهم يريدون الخير للاقطار الاسلامية و الأجيال المسلمة فى هذا التخطيط التربوى ، و فى هذه السياسة التعليمية ، و لكن ذلك لا يمنع من تعرض هذه الأقطار و الأجيال لهذا الاضطراب الفكرى ، أو التناقض المبدئى ، و لكثير منهـــم العذر فى ذلك لقلة معرفتهم بهذا الدين و أسسه و مبادئه ، وطبيعة هذه الشعوب الاسلامية وما يتفق مع شخصيتها و رسالتها ، وما يتنافى معهما ، وقد تكون محاولتهم لانقاذها — باخلاص وحسن نية — ذريعة إلى هلاكها .

وقد أعجبنى ما قاله الأستاذ Don Adams عن هؤلاء الموجهين أو المستشارين الأجانب فى كتابه (١) « المخطط التربوى للمجتمعات المعاصرة » يقول :

« إن أبلغ مثل يضرب للاضرار التى تلحق بالشعوب بخطأ ، يصدر من المستشارين التعليميين الأجانب ، ما جاء فى حكاية شرقية ، تصور موقف هؤلاء المامرين تصويراً دقيقاً ، زعموا أن ناحيـــة من النواحى أصيبت بفيضان عظيم ، تورط فيه قرد وسمكة ، وكان القرد شاطراً و محنكا قد جرب مثل هذه الفيضانات ، فتسلق فرع شجرة و أمن خطر هذا الفيضان ، و وقع بصره على السمكة تكافح تيار الفيضان ، وتطفو على سطح البحر ، و احتمل القرد العطف على هذه السمكة المسكينة و رق لها قلبه ، فنزل من الشجرة و أنقذ السمكة بكل إخلاص من هذا

(1) N. Thut And Don Adams : Educational Patterns in Contemporary Societies Megraw Hill Book Co. New York (1964) p. 352 .

الخطر ، وجاء بها إلى الساحل و ألقاها على الرمل حيث لا تصل إليها الأمواج وكانت النتيجة ظاهرة لا تحتاج إلى تفسير .

و قد اتفق أعظم علماء التربية فى العهد الحاضر على « أن عملية التربية فى أمة وبلاد ليست بضاعة تصدر إلى الخارج ، أو تستورد إلى الداخل ، كالمصنوعات أو المواد الخام ، أو الحاجيات و المخترعات التى لا تختص ببلد دون بلد ، إنما هو لباس يفصل على قامة هذه الشعوب و ملامحها القومية ، و تقاليدها الموروثة ، و آدابها المفضلة ، و أهدافها التى تعيش لها ، و تموت فى سبيلها (١) و أن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التى يؤمن بها شعب أو بلد ، و تغذيتها بالاقناع الفكرى القائم على الثقة و الاعتزاز وتسليحها بالدلائل العلمية ، إذا احتيج إليها ، و وسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة ، و نقلها سليمة إلى الأجيال القادمة ، و إن أفضل تفسير لنظام التربية هى أنها « السعى الحثيث المتواصل يقوم به الآباء و المربون لانشاء أبنائهم على الايمان بالعقيدة التى يؤمنون بها ، و النظرة التى ينظرون بها إلى الحياة و الكون ، و تربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثة صالحين للتراث الذى ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم ، مع الصلاحية الكافية للتقدم و التوسع فى هذه الثروة » (٢) .

وقد جاء فى تقرير تربوى قدمه بعض كبار خبراء التربية فى بريطانيا ما خلاصته:

« إن مصلحة الحكومة فى أن تطمئن إلى أن المدارس القائمة فى حدودها

(١) مقتبس من محاضرة كاتب السطور « مهمة التربية و التعليم » المدرجة فى كتابه « نحو التربية الاسلامية الحرة .

(٢) يرجع إلى دائرة المعارف البريطانية مقالة « التربية » و كتابات أحد أئمة فن التربية فى العهد الحاضر جان ديوى (John Dewey) .

كفيلة بنقل جميع أجزاء الحياة القومية إلى الأجيال القادمة ، جيلا بعد جيل ، إن الفكرة التى يجب أن تسيطر على سياسة الحكومة التربوية المرسومة و تسندها ، هى أن ينشأ الأطفال ورثة للخصائص القومية ، و خلفاء آبائهم بالجدارة (١) .

و يقول F . W . Gardford فى كتابه « التربية و الغاية الاجتماعية » .

« إن أفضل محك لنجاح التربية و إخفاقها ، هو تقاليد المجتمع و القيم السائدة ، فهى الأسس التى تقوم عليها خصائصها و بقاؤها ، ومما لا بد منه أن لا تكون بينها و بين التربية فجوة فكرية أو عدم انسجام ، فعلينا أن نلاحظ دائماً أن كل محاولة للتقدم تقوم على القيم المقررة التى يؤمن بها هذا الشعب فيجب أن تقوم عليها جميع التجارب التى يقوم بها رجال التربية » (٢) .

و نكتفى بشهاده أخرى أكثر تركيزاً و أشد صراحة لأحد علماء التربية ، Vernon Mallinson يقول :

« إن التعليم القومى عبارة عن ميثاق فكرى تتجلى فيه غاية المجتمع المشتركة و مساعيه المشتركة ، و يمثل هذا الميثاق العاطفة القومية ، و يكون مزيجاً من خصائص لا بد منها لتحقيق مطامع هذا المجتمع و أهدافه » (٣) .

و بذلك سلم الغرب من هذا التناقض الذى يعيشه الشرق ، سواءاً الأقطار الاسلامية منه وغير الاسلامية ، فلا وجود فى الغرب لهوة عميقة سحيقة فكرية

(1) Secondary Education With Special Reference To Grammar And Technical Schools. H. M. S. O. 1931 PP 147 - 148

(2) F. W. Gardford فى كتابه Education And Social Purpose, London (1962) PP 46 .. 47 .

(3) An Introduction To The Study Of Comparative Education, London (1957 p 4 .

و عقائدية بين الشعب و القيادات ، أو الجماهير و الحكومات ، إنما هناك طراز واحد ونمط واحد للمبادیء و القيم و المثل و الغايات ، وليس هناك صراع فكری ونفسی عنيف قاس بين مختلف الطبقات و أفراد المجتمع ، و لذلك أمن الثورات الداخلية ، و المؤامرات ضد سلامة الشعب ، و مصالح البلاد .

أما الأقطار الاسلامية — و أرجو عدم المؤاخذة — فهی مسرح للتناقض العجيب بين الطبقات الحاكمة أو الزعيمة ، و بين الجماهير ، فی جانب ، و بين الطبقات المثقفة ثقافة عالية ، و الطبقات التی تغلب عليها الأمية ، و بين الطبقات المتدينة المحافظة و بين الطبقات المتحررة التقدمية فی جانب آخر ، و ذلك كله نتيجة نظام التربية الغربی المستورد من الخارج ، أو المصوغ فی الداخل علی فكر النظام الغربی و خطوطه ، فهو ينشیء جيلا لا يسيغ العقائد و الحقائق التی يقوم عليها المجتمع الاسلامی أو الأمة الاسلامية ، لأن ما يعطيه هذا النظام و يغرس فی النفوس و العقول ، يتناقض تناقضاً واضحاً مع العقائد و الحقائق التی يؤمن أو يجب أن يؤمن بها هذا المجتمع أو الأمة ، و إذا أساغها فانما يسيغها بمعجزة أو بتأثير خارجی يضعف سلطان هذا النظام ، و ذلك شاذ لا يقاس عليه .

و إذا وجدت هذه الطبقة أو الجيل الذی نشأ فی أحضان هذا النظام ، و رضع بلبانه ، بقی فی صراع دائم مع عقيدة الشعب و عقليته و عواطفه و اتجاهاته فاذا كان قوی النفس قوی الارادة ، حاول أن يزيل أنقاض العهد القديم أو الرجعية (كما يقول بعض أفراد هذه الطبقة) ويخلص الأمة و البلاد من ركام الماضی ، و هنالك تقوم معركة تستهلك طاقات و كفايات كانت الأمة أحوج اليها ، و تقوم حرب داخلية قد تكون أطول و أعنف من الحروب الخارجية ، و هذه قصة بلاد ابتليت بزعامات دانت بمبادیء و فلسفات ثورية أو قومية أو علمانية .

و إذا كان هؤلاء الأفراد ضعيفى النفس و الشخصية و الارادة ، أصيبوا بمركب النقص، وبكره شديد للعقائد و الأهداف التى يؤمن بها الشعب ، فيحيكون المؤامرات و يمالئون الأجانب و ينتهزون كل فرصة للتخلص من ضغط الشعب الدينى ، و نفوذ الدعاة الذين ينادون بالاسلام ، فتكثر حوادث الخيانة القومية وتعيش البلاد فى جو من الاضطراب و الارهاب ، و عدم الثقة والشك و البلبلة الفكرية .

و لا سبيل إلى التخلص من هذا الوضع غير الطبيعى وغير الضرورى ، إلا قلب هذه الأوضاع التعليميـــة رأساً على عقب ، و صياغتها صياغة جذرية جديدة ، وهى قضية العالم الاسلامى الكبرى، و ضرورته القصوى ، ونداء الوقت و فريضة الساعة .

وهنا أختم حديثى باستعارة قطعة من إحدى كتاباتى السابقة ، و معذرة للمستمعين الكرام الذين مرت بهم هذه القطعة قديماً :

« وحل هذه المشكلة — مهما تعقد وطال و احتاج إلى الصبر و المثابرة — ليس إلا أن يصاغ هذا النظام التعليمى صوغاً جديداً ، و يلائم بعقائد الأمـــة المسلمة و مقومات حياتها ، و أهدافها و حاجاتها ، و يخرج من جميع مواده روح المادية و التمرد على الله و الثورة على القيم الخلقية و الروحية ، و عبادة الجسم و المادة ، وينفخ فيـــه روح التقوى و الانابة إلى الله ، و تقدير الآخرة و العطف على الانسانية كلها . فمن اللغة و الآداب ، إلى الفلسفة و علم النفس ، و من العلوم العمرانية إلى علوم الاقتصاد و السياسة ، لا تسيطر على كل ذلك إلا روح واحدة ، ويقصى استيلاء الغرب العقلى ، و يكفر بامامتـــه و سيادته ، وتجعل علومه و نظرياته موضوع الفحص و الدراسة الجريئة ، و يوضع ماذا جنى

نفوذ الغرب و سیطرته علی الانسانیة و المدنیة ، و تدرس علومه بشجاعة وحریة ، وتعتبر کمواد خام (Raw Material) نصنع منه ما یوافق حاجاتنا و رغباتنا، و عقیدتنا و ثقافتنا .

إن هذا العمل ولو کانت فی طریقه عقبات و عراقیل ، ولو تأخرت نتائجه ولکنه حل وحید للموجة الطاغیة التی اکتسحت العالم الاسلامی من أقصاه إلی أقصاه ، موجة التجدد و التغرب التی تتحدی الکیان الفکری للاسلام و جهازه الاجتماعی ، وظلت تهدد حیاته و بقاءه وصدقه ، و تنافی و تتحدی فی غیر حیاء و تحفظ اتصاف هذه الأمة بالوسطیة وکون المسلمین شهداء علی الناس ، وکون الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله وسلم شهیداً علیهم ، نتیجة لذلك أصبحت عاطفة الشعوب المسلمة و تضحیاتها و جهودها و إخلاصها و وفاؤها (التی هی السبب المباشر الأساسی فی إنشاء الحکومات الاسلامیة و تحریر البلاد المستعمرة) وسیلة مستغلة و قنطرة موقتة یستغنی عنها بعد الوصول و یخشی من بقائها علی أصلها و قوتها .

وأختم البحث بقطعة لشاعر الاسلام الدکتور محمد اقبال یخاطب فیها « المسلم » وهی تلقی الضوء علی مرکز الأمة الاسلامیة فی هذا الکون ، و دورها فی قیادة العالم ، و إسعاد الانسانیة ، و إنقاذ الأمم ، یقول الشاعر الحکیم والفیلسوف الکبیر :

« أنت للناموس الازلی حارس و أمین ، و لارادة سید هذا الکون یسار ویمین (١) .

لقد کانت نشأتك من التراب ، ولکن بك قوام العالم وبقاء الأمم ، اشرب کأساً فائضة من الیقین ، و انهض من حضیض الظن و التخمین ، و انتبه من

(١) یعنی أنه آلة بید القدرة الالهیة و جارحة لها .

السبات العميق الذى طال أمده و اشتدت و طأته .

الغياث من الأفرنج الذين خلبوا العقول و سحروا النفوس ، الغياث من هؤلاء الذين خدعوا مرة بالرقة و الدلال ، و مرة بالقيود و الأغلال ، و تارة مثلوا دور « شيرين » و طوراً لعبوا دور « أبرويز » (١) لقد أصبح العالم كله خراباً يباباً باغارتهم و غزوهم .

يا بانى الحرم ! و يا خليفة إبراهيم عليه السلام ! انهض لبناء العالم من جديد ، انتبه من السبات العميق الذى طال أمده و اشتدت وطأته » (٢) .

وأشكر ملتقى الفكر الاسلامى الجزائرى ، و من له فضل فى تنظيمه حكومة و شعبا ، على إتاحة الفرصة لى للحديث فى موضوع هام حساس ، فى أوانه و مكانه ، و لله الحمد أولا و آخراً

---

(١) يشير إلى قصة غرامية فارسية قديمة تناقلها الأدباء والشعراء فى إيران والهند ، تمثل فيها « شيرين» دور المرأة الفاتنة التى هام بها الأبطال ، و « ابرويز » دور الملك القاهر الذى عشقها و استأثر بها .

(٢) زبور عجم ، ص / ١١٦ — ١١٨ ، باختصار و توسع .

التحـــذير

من اتجاهات التجميد و التمييع و التجزئة للاسلام

— ٣ —

فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى
عميد كلية الشريعة ورئيس الدراسات الاسلامية بجامعة قطر

البعد التشريعى :

و الشعبة الرابعة من شعب الاسلام تتجه إلى الأنظمة والعلاقات ، فتصلحها بالتشريع الذى يحقق العدل ، و يقيم الموازين القسط ، بل ما بعث الله الرسل ، و لا أنزل الكتب إلا ليقوم الناس بالقسط ، كما بين ذلك القرآن « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط ، و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس » (سورة الحديد ٢٥) .

و لهذا قال الامام ابن تيمية : (لا بد للناس من كتاب هاد ، و حديد ناصر) يعنى أن الكتاب يمثل الحق ، و الحديد يمثل القوة ، و لا تستقيم الحياة إلا بهما .

و من ثم اتفق المسلمون من جميع الفرق و المذاهب على أن الاسلام عقيدة و شريعة و العقيدة هى الأساس ، و الشريعة هى البناء ، فقد جاء الاسلام منظماً لحياة الانسان بوضع الأصول الضابطة لها ، و المنارات الهادية لمسيرتها ، و وضع الأشارات الحمراء عند خشية الصدام ، حتى إن أطول آية فى كتاب الله نزلت فى تنظيم شأن صغير من الشئون المدنية للانسان ، وهى (آية المداينة) .

و قد قام لخدمة الشريعة علم عظيم من علوم المسلمين ، هو (علم الفقه) و هو علم إسلامى المنشأ ، إسلامى المصدر ، إسلامى الوجهة ، إسلامى المنهج ،

تفرغ له من نوابغ الأمة أئمة كبار ، فصلوا مسائله ، وقعدوا قواعده ، وضبطوا به الحياة الاسلامية ، فردية و اجتماعية ، منذ يولد الانسان إلى أن يموت ، بل قبل الولادة ، و بعد الوفاة .

كما وضعوا لضبط استدلالاته ، فيما فيه نص ، أو فيما لا لا نص فيه ، علما جليلا ، هو علم (أصول الفقه) الذى يعتبر من مفاخر التراث الثقافى الاسلامى و هو المعبر الأصدق عن (فلسفة المسلمين) أكثر من تمثيل مدرسة الفلسفة المشائية الاسلامية ، كما قال بحق شيخنا مصطفى عبد الرزاق رحمه الله .

و للشريعة الاسلامية خصائص تميزها عن كل الشرائع و الأنظمة ، سواء أكانت دينية أم وضعية .

فهى شريعة ربانية ، لأن مصدرها الأساسى وحى الله فى كتابه ، و على لسان رسوله ، فهى تشريع عليم حكيم ، بر رحيم ، خلق الانسان و هو أعلم بما يصلحه و يرقى به فرداً و مجموعاً « ألا يعلم من خلق ، و هو اللطيف الخبير ؟ » (سورة الملك : ١٤) .

و هى شريعة إنسانية ، لأن الانسان هو الذى يفهمها ، وهو الذى ينفذها ، و لأن محورها و مبناها على رعاية مصالح الانسان فى المعاش و المعاد ، مصالحه الضرورية و الحاجية و التحسينية ، و المحافظة على دينه و حياته و عقله و نسله و عرضه و ماله ، فهى شريعة رب الانسان من أجل صلاح الانسان .

وهى شريعة أخلاقية ، ليست مهمتها تقنين ما تعارف عليه الناس - كما كان القانون الرومانى - بغض النظر عن صواب العمل أو خطئه ، خيريته أو شريته ، و لكن مهمتها تقنين الأخلاق ، و النظرة إلى الانسان من حيث أنه « كلف مسئول ، قبل أن يكون مطالباً سائلا .

(...)

و هى شريعة واقعية ، فهى لا تحلق - كالطوباويين - فى مثاليات مجنحة ، بل تشرع للانسان على الأرض ، تقدر دوافعه ، و تراعى ضروراته ، و ترعى حاجاته ، و لا تغفل الأعذار الطارئة ، و الأحوال الاستثنائيـــة ، و الظروف المخففة ، ولهذا كان من أوصاف رسولها عند أهل الكتاب أنه « يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات ، و يحرم عليهم الخبائث ، و يضع عنهم إصرهم و الاغلال التى كانت عليهم » .

و هى شريعة منطقية ، لأن أحكامها - فيما عدا التعبديات المحضة - معللة مفهومة ، فهى لا تجمع بين مختلفين ، و لا تفرق بين متماثلين ، و لهذا شرعت القياس لاعطاء الشئ حكم نظيره إذا اشتركا فى العلة الجامعـــة ، و لم يكن بينهما فارق معتبر ، وكان من أدلتها عند المحققين من فقهائها : الاستصلاح والاستحسان و رعاية العرف . . و غيرها .

و هى شريعة خالدة متجددة معاً ، تجمع بين الثبات و المرونة ، فهى خالدة فى أصولها و كلياتها و مصادرها ، لأنها خاتمة الشرائع الالهية ، و لهذا تكفل الله بحفظ مصدرها الأول و هو القرآن « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » ، و هو يتضمن حفظ السنـــة ، فان حفظ المبين يقتضى حفظ بيانه ، كما قال الامام الشاطبي .

و هى متجددة فى فروعها وجزئياتها ، لأن الله تعالى أودع فيها من عوامل السعة والمرونة ، ما يجعلها صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ، من اتساع منطقة (العفو) و هى منطقة الفراغ من النصوص التشريعيـــة ، التى تركت للاجتهاد البشرى ، رحمة من الله غير نسيان . و من اهتمام الشريعة بالنص - غالباً - على المبادئ و الأصول الكلية لا على الجزئيات و التفصيلات . . و من قابلية معظم

النصوص الجزئية لتعدد الأفهام و التفسيرات . . و من تقرير محقق العلماء أن الفتوى تتغير بتغير الزمان و المكان و العرف و الحال .

و لقد دخلت هذه الشريعة بلاد الحضارات العريقة ، فى فارس و العراق و الشام و مصر ، و شمال افريقيا ، و الهند و غيرها . . فلم يضق ذرعها بجديد ، ولم يعجز فقهها يوما أن يجد فى طبها دواء لكل داء وفى أصولها حلا لكل مشكل .

و لا غرو أن استبحر فقهها ، وتعمقت أصوله ، وامتدت فروعه ، وتنوعت مدارسه ، و تعددت مذاهبه ، ما بين ظاهرى يتمسك بحرفية النص ، و قياسى يعمل بالرأى ، و متوسط بين هذا و ذاك ، و بمجموعها يكون ثروة حقوقية لا نظير لها فى أمة من الأمم ، وهو ما شهد به الدارسون حتى من غير المسلمين .

و لقد مضت على الأمة الاسلامية ثلاثة عشر قرناً ، و الشريعة الاسلامية هى المرجع الفذ فى كل شئونها ، وعلاقاتها ، فهى أساس القضاء وأساس الفتوى و هى الدستور ، و هى القانون ، لا يفكر حاكم أو محكوم — مجرد تفكير — فى تجميدها أوالبحث عن بديل لها ، كيف وهم يقرأون فى كتاب ربهم أنهم لا خيار لهم أمام حكم الله و رسوله : « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا و أطعنا » (سورة النور الآية : ٥١) .

كما أنها تمثل فى اعتقادهم عدل الله بين عباده ، و رحمته فى خلقه ، و حكمه فى أرضه « و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟ » (المائدة : ٥٠) .

و لو لا دخول الاستعمار الغربى إلى ديارنا منتهزاً غفلتنا وضعفنا وتفككنا و سعيه الدءوب من أول يوم (لعلمنة) الفكر و التشريع ، ما تصور أبعد الناس إغراقا فى الخيال ، أن تغدو القوانين الوضعية الأجنبية منافسة للشريعة الاسلامية الالهية ، بله أن تطاردها و تعزلها عن سلطانها فى دارها ، و تحتل منصبها الذى لم يشاركها فيه أحد ألفاً و ثلاث مائة عام .

كل ما كان يطالب به المستنيرون من أبناء الاسلام هو التحرر من ربقة التقليد و العصبية و المذهبية ، و تجديد الاجتهاد فى فقه الشريعة ، و هو ما عبر عنه بعضهم بفتح باب الاجتهاد ، مع أن أحداً لا يملك إغلاقه وقد فتحه رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و لهذا لا أجد مبرراً لفريق من أبناء أمتنا يلعنون الاستعمار قديمه وجديده و مع هذا يتمسكون برواسبه و مخلفاته فى حياتنا الثقافية و التشريعية .

و لا أستطيع ان أفهم كيف نعطى ـ باختيارنا ـ الوضع الذى نشأ عن دخول الاستعمار أوطاننا ، و تحكمه فى رقابنا ، و سيطرته على مقدراتنا الثقافية و التعليمية و التشريعية و الاجتماعية والسياسية ـ نعطى هذا الوضع شرعية البقاء ، و الدفاع عن الذات ، و نمنحه الحق فى منافسة الشرعية الاسلامية الربانية، بحيث يجوز لنا أن نفاضل بين الوضعين ، و نختار أى السبيلين ؟ !

الصحوة و تطبيق الشريعة الاسلامية :

إن مما يميز الصحوة الاسلامية المعاصرة تعالى صيحاتها للطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية ، فلم تعد همساً فى المجالس ، أو حديثاً عارضاً فى الأندية و الحلقات ، بل دوياً هائلا ، ترده الجماهير ، و تتجاوب به الآفاق فى جهات الدنيا الأربع .

و لم يعد بامكان أحد أن يتجاهل هذا المطلب الشعبي ، الذى يكاد يحوز الاجماع لو استفتى الشعب عليه .

و من حق الشعوب الاسلامية أن تطالب بالرجوع إلى شريعة ربها ، و أحكام دينها ، لتحل محل القوانين الوضعية الدخيلة ، التى فرضت عليها بقرارات فوقية منذ دخول الاستعمار الغربي إلى ديار المسلمين .

و لكن تيار الوسطية الاسلامية له هنا جملة ملاحظات أساسية يجب أن ينبه عليها :

١ - إن ما تريده الصحوة الاسلامية أكبر من مجرد تعديل مواد القوانين الوضعية بمواد إسلامية ، فالقانون وحده ، لا يبنى المجتمعات ، و لا يحى موات الأمم ولا ينفخ الروح فى الشعوب الهامدة ، إنما تصنع ذلك العقائد و القيم و الأخلاق .

و لهذا ينكر الاسلاميون الواعون حصر الدعوة إلى الاسلام فى الجانب القانونى ، وحصر الجانب القانونى فى تنفيذ الحدود و العقوبات ، و كأن الاسلام كله لخص فى قطع يد السارق ، و جلد الزانى و القاذف و السكير ! و إن هذا و إن كان من الاسلام ، فليس هو كل الاسلام ، و لا أهم ما فى الاسلام و لا أول ما يطلب فى الاسلام ، و لو قرأنا المصحف و تدبرنا آياته ، لم نجد العقوبات تبلغ منها عشراً .

إن الاسلام عقيدة سليمة ، وعبادة خالصة ، و خلق قويم ، و عمل صالح و عمارة للارض ، و رحمة للخلق ، ودعوة إلى الخير ، وتواص بالحق ، وتواص بالصبر ، و جهاد فى سبيل الله .

كما أنه تشريع و قانون ينظم العلاقات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية فلا يجوز أن يطغى الجانب التشريعى على غيره من جوانب التربية و التوجيه التى تشمل سائر مجالات الحياة .

و لهذا ينادى تيار الوسطية الاسلامية بالدعوة إلى الاسلام كل الاسلام ، لا بمجرد تطبيق الشريعة بالمعنى الضيق الذى فهمه الكثيرون .

أجل ، إننا نريدها حياة إسلامية متكاملة ، حياة توجهها عقيدة الاسلام و تسودها مفاهيم الاسلام ، و تحركها قيم الاسلام ، و تقودها أخلاق الاسلام ، و تضبطها تقاليد الاسلام ، و أخيراً تحكمها تشريعات الاسلام .

٢ - إن الشريعة لا يمكن أن تطبق تطبيقاً حقيقياً إلا إذا قام على تطبيقها أناس يؤمنون بقدسيتها ، و يتعبدون لله بتنفيذها ، و هذا يجعلهم يحرصون على

فهمها فهما دقيقاً ، و على فقه أحكامها و مقاصدها فقهاً عميقاً ، و يتفانون في تذليل العقبات أمامها ، كما يحرصون على أن يكونوا صورة طيبة لمبادئها ، و أسوة حسنة لغير المقتنعين بها ، يراهم الآخرون في إيمانهم و أخلاقهم و سلوكهم ، فيحبون الشريعة لما يرون من آثرها في حياتهم .

و هكذا كان الصحابة والمسلمون الأوائل ـ رضي الله عنهم ـ أحب الناس الاسلام بحبهم ، و دخلوا فيه أفواجا ، متأثرين بأخلاقهم و إخلاصهم ، فقد كان كل منهم قرآنا حياً يسعى بين الناس على قدمين .

إن عيب كثير من التجارب المعاصرة لتطبيق الشريعة الاسلامية ، التي كانت موضع المؤاخذة و التنديد من الناقدين و المراقبين : أنها نفذت بأيدي غير أهلها أعني غير دعاتها و رعاتها ، أي على أيدي أناس كانوا من قبل في صف المناوئين لها ، أو على الأقل ، من الغافلين عنها ، غير المتحمسين لها .

إن الرسالات الكبيرة تحتاج إلى حراس أقوياء من رجالها و أنصارها يكونون هم المسئولين الأوائل عن وضع قيمها و تعاليمها النظرية موضع التنفيذ ، و بغير هذا يكون التطبيق أمراً صورياً لا يغير الحياة من جذورها ، و لا ينفذ بالاصلاح إلى أعماقها .

٣ ـ إن تطبيق الشريعة ليس عمل الحكام وحدهم ، و إن كانوا هم أول من يطالب بها ، باعتبار ما في ايديهم من سلطات تمكنهم من عمل الكثير من الأشياء التي لا يقدر عليها غيرهم ، وقد كان بعض السلف يقولون : لو كانت لنا دعوة مستجابة لدعوناها للسلطان ، فان الله يصلح بصلاحه خلقاً كثيراً .

و هذا كان في عصر لم يكن زمام التعليم والاعلام ، و التثقيف و التوجيه و الترفيه بيد السلطان كما هو اليوم .

و مع هذا نقول : إن على الشعب مسئولية تطبيق الشريعة في كثير من الأمور التي لا تحتاج إلى سلطان الدولة و تدخل الحكام .

إن كثيراً من أحكام الحلال و الحرام، والأحكام التى تضبط علاقة الفرد بالفرد و الفرد بالأسرة ، و الفرد بالمجتمع ، قد أهملها المسلمون أو خالفوا فيها عن أمر الله ، و تعدوا حدود الله ، و لن يصلح حالهم إلا إذا وقفوا فيها عند حدود الله تعالى ، و التزموا بأمره و نهيه بوازع من أنفسهم ، و شعورهم برقابة ربهم عليهم .

و يجب على الدعاة و المفكرين و المربين أن يبذلوا جهودهم لتقوم الشعوب بواجبها فى تطبيق ما يخصها من شرع الله ، و لا يكون كل همها مطالبة الحكام بتطبيق الشريعة و كأنهم بمجرد أن يرفعوا أصواتهم بهذه المطالبة قد أدوا كل ما عليهم !!

٤ — إن التدرج سنة من سنن الله فى خلقه ، و شرعه ، فقد خلق الانسان أطواراً ، علقة ، فمضغة ، ، فعظاما . . الخ ، و خلق الدنيا فى ستة أيام ، الله أعلم بكل يوم منها كم هو ؟

كما أنه فرض الفرائض وحرم المحرمات، وفق سنة التدرج مراعاة لضعف البشر و رحمة بهم .

و الشريعة قد اكتملت بلا شك . و لكن تطبيقها فى عصرنا يحتاج إلى تهيئة و إعداد لتحويل المجتمع إلى الالتزام الاسلامى الصحيح ، بعد عصر الاغتراب و التغريب .

و قد تم بعض هذا فى بعض البلاد ، و بقى بعض ، و هو يحتاج إلى بذل الجهود ، لازالة العوائق ، و منع الهزات ، و ايجاد البدائل ، و تربية المنفذين الذين يجمعون بين القوة و الأمانة ، و اجتماعهما فى الناس قليل ، طالما شكا منه الأقدمون حتى قال عمر : اللهم إنى أشكو إليك عجز الثقة ، و جلد الفاجر !

و لهذا لا مانع من التدرج فى التطبيق ، رعاية لحال الناس ، كما فعل عمر ابن عبد العزيز حين قال لابنه المتحمس الذى عاب عليه بطء التنفيذ : يا بنى إن الله ذم الخمر فى آيتين ، ثم حرمها فى الثالثة ، و إنى أخشى أن أحمل على الناس الحق جملة ، فيدعوه جملة ! يعنى إنه يريد أن يسقيهم الحق جرعة جرعة .

كل ما نؤكده هنا ألا يكون هذا مجرد تكأة لتأجيل العمل بالشريعة ، و تمويت الموضوع بمرور الزمن ، باسم التدرج و التهيئة .

و لهذا نطالب بوضع الخطة للاعداد و التغيير ، تعليمياً و إعلامياً ، وثقافياً و اجتماعياً ، بادئين بما لا يحتاج إلى تدرج وتهيئة ، وإنما يحتاج إلى صدق التوجه و صحة العزيمة ، و إذا صدق العزم وضح السبيل .

الاسلام ليس مادة هلامية :

و لقد أوهم بعض الذين كتبوا مشككين أو معارضين للدعوة إلى تطبيق الشريعة أوهموا أن الشريعة المدعو إلى تطبيقها مادة (هلامية) رجراجة غير محددة و لا منضبطة ، يستطيع كل حاكم أو كل فريق أن يفسرها كما يشاء .

حتى وجدنا من يقول : أى إسلام تدعوننا إليه ، وتطالبوننا بتحكيمه ؟ فقد رأينا الاسلام الذى ادعى بعض الحكام تطبيقه هو اليوم يختلف من بلد إلى آخر، فهناك إسلام السودان ، و إسلام إيران ، و إسلام باكستان ، و إسلام ليبيا ! ! أو كما عبر أحدهم بصراحة: إسلام النميرى أم إسلام الخمينى أم إسلام ضياء الحق، أم إسلام القذافى ؟

ونقول لهؤلاء : إن الاسلام هو الاسلام ، غير مضاف إلى أحد إلا إلى من شرعه أو من بلغه ، فهو إسلام القرآن و السنة ، و لا يرتبط باسم شخص إلا باسم محمد ﷺ الذى بعثه الله به بشيراً و نذيراً ، و داعياً إلى الله باذنه و سراجاً منيراً .

و مهما اختلفت التفسيرات أو اختلفت التطبيقات لشريعة الاسلام ، فستظل هناك دائرة غير ضيقة و لا هينة ، تمثل الوحدة الاعتقادية و الفكرية و الشعورية و السلوكية للأمة ، تلك هى دائرة (القطعيات) التى أجمعت عليها الأمة فكراً و عملا ، و رسخت فى عقولها و قلوبها و حياتها على امتداد القرون الأربعة عشر ، التى قطعتها هذه الأمة .

هناك قطعيات فى العقيدة و الفكر . . و قطعيات فى العبادة و الشعائر ، و قطعيات فى الشريعة و النظم . . و قطعيات فى الأخلاق و الآداب . . و كلها مما لا يختلف فيها اثنان و لا ينتطح فيها عنزان ، كما يقولون .

و هذه القطعيات وحدها هى أساس التغيير ، و محوره ، و هى التى تحدد الاتجاه و الأهداف ، و ترسم المنهج و الطريق ، و تميز الملامح و القسمات .

و أما ما عدا القطعيات من أحكام و أنظمة ، فهو لم يترك لعبث الأهواء المتسلطة أو شطحات الأفكار الجامعة ، لاستبداد السلطات المتحكمة ، تفهمه كما تريد ، و تفسره كما يحلو لها ، دون أصل تستند إليه ، و لا برهان تعول عليه .

كلا ، بل هناك (أصول) و (قواعد) وضعها أئمة الاسلام ، للاستيثاق من ثبوت النص الشرعى أولا ، ثم لفهم دلالته ثانياً ، ثم للاستنباط فيما لا نص فيه ثالثاً .

ومن ثم وجد علم أصول الفقه ، وقواعد الفقه ، وأصول الحديث وأصول التفسير ، و نحوها من المعينات اللازمة للفهم و الاستنباط .

و لا بأس أن تتعدد المدارس فى الفهم والاستنباط ، على أن يقوم ذلك على أصول منهجية علمية مبنية على الدليل ، لا على الهوى أو التقليد .

و ربما كان هذا الخلاف مصدر إثراء للفكر الاسلامى ، و للعمل الاسلامى إذا وضع فى إطاره الصحيح .

انتشار الاسلام فى الغرب

بقلم : الدكتور محمد سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » الرياض)

لقد زرت أميركا أربع مرات فى سنوات مختلفة ، و فى كل مرة يظهر لى الجانب الاسلامى ، و الاقبال عليه بصورة أوضح من ذى قبل .

فى المرة الأولى كان انطباعى عن أميركا لا يعدو استطلاعات كثير من الصحفيين و معلومات رصدها مصطفى أمين فى كتابه « أميركا الضاحكة » الذى صدر منذ أكثر من ربع قرن .

و الصحفيون الذين زاروا بلاد الغرب نقلوها للقراء بصورة تبهر القارىء ، وتظهر الجوانب المادية و الحضارية المفقودة فى عالمنا العربى ، مثل :

- إبراز جانب التفكك الأسرى ، و فقدان المحبة بين الأسرة، و انعدامها بين أفراد الأسرة الواحدة ، أو طبقات المجتمع .
- الاهتمام بالجانب المادى ، و الاتجاه إلى العمل الجاد ، و انعدام التراحم و التعاطف بين أبناء المجتمع ، فالانسان يقدر بماله و بمستواه الوظيفى .
- البناء الشامخ ، و ناطحات السحاب التى ترتفع فى كبد السماء فى شكل مذهل ، و تنظيم ينعدم وجوده فى بلاد الشرق .
- المصانع الكثيرة ، و التقدم العلمى و التكنولوجى .
- غزو الفضاء و التفوق فى الأقمار و الطائرات و الاتصالات .
- الوفرة المالية و الرخاء و النعيم الذى يحيط بكثير من الأفراد .
- إلى جانب الجريمة وتفشيها كرد فعل للرخاء و ضريبة للحضارة .

و فى غير ذلك مما يحاول الكتاب إبرازه ، إلا أنى لم أجد ذكراً للجانب الاسلامى مما يهمل المسافر إلى هناك و هو من المسلمين يتصور نفسه قادماً على بلاد لا يذكر اسم الله فيها ، و أبناؤها قد اندمجوا فى الحياة الدنيا ، و نسوا ما يتعلق بالصلة بالله .

و لكن قد يبعد هذا عن ذهن الانسان ما يجده مكتوباً على الدولار الأميركى وهى عبارة « نحن نثق بالله » .

مما يدل على أن هناك جانباً دينياً عقائدياً لم يذكره الصحفيون فى مشاهداتهم .

فى كل مرة يستعيد المرء ما علق بذاكرته ، فينبهر مما يرى من التقدم الملى و الحضارى ، لأن طبيعة الانسان إنكار ما لم ير ، والتأثر عجباً مما يشاهد ، وخاصة أن العلم قد خدم أولئك القوم و سخروا نتائجه للرفاهية ، و لمكافحة الاجرام ، الذى نشأ كرد فعل و شعور بالحرمان من بعض طبقات المجتمع التى لم ترحمها الحضارة ، ولم تفكر فيها الطبقة المترفة .

ولما كانت جميع الوسائل الأمنية المتشددة ، و طرق الحماية للمجتمع من حيث :

- محاولة منع الناس عن استعمال النقود أو حملها والاستعاضة عنها بالبطاقات .
- استخدام آلة خاصة فى البنك لاستلام النقود المودعة ، أو إعطاء نقود من الحساب لمن يرغب السحب من حسابه ، نظير إيصالات حاضرة تتأكد من الرصيد و مقداره ، و تضبط ذلك بدقة .
- وضع لوحات تحذيرية فى كل مكان بتجنب الأماكن المشبوهة و الحذر من المجرمين .
- وضع أجهزة للرقابة على الأماكن التجارية والبنوك حيث هى مطمع المجرمين .
- حماية من يستلم النقود ، فى عمل الصناديق بزجاج لا يخترقه الرصاص ،

و وضع أجهزة دقيقة لاستلام البطاقات أو النقود فى محطات البنزين وبعض أماكن البيع بمسارات خاصة من مكان لمكان ثم تعود البطاقات وتنفتح محطة البنزين لأخذ مقدار من البنزين يتلاءم مع ما دفع من نقود.

إلى آخر ما يشاهده المرء فيأخذ بلبه من جانب ، و يحمد الله على نعمة الأمن و الاستقرار من جانب آخر ، و هـــذا بفضل من الله ثم بفضل تطبيق الشريعة الاسلامية التى شعر الأمريكيون بأنها الوسيلة الوحيدة لاصلاح المجتمع الاميركى من الجريمـــة و تخليصه من ويلاتها ، و أن الحضارة و العلم و الحيطة و غيرها من سبل السلامة لم تعمل شيئاً فى مدافعة الجريمة و هـــذا ليس كلاماً إنشائياً أو دعاية للاسلام ، و لكنه واقع ملموس كما شاهدته و سمعته هناك من عدة جهات ، وسوف ترى يا أخى القارىء ذلك من بعض الوقائع التى أنقل لك .

ففى رمضان عام ١٤٠١هـ أدركنى أول يوم منه فى مدينة مونتجمرى بولاية ألباما ، ومكثت بها الأيام الثلاثة الأولى ، و التقت بامام مسجدها المستأجر ، لأن المسلمين هناك لم يستطيعوا امتلاك مسجد لأداء الصلاة فيـــه ، و اسمه حبيب الرحمن ، يعمل مشرفاً اجتماعياً باحدى المدارس ، و داعيـــة إلى دين الاسلام ، كان هو أول من أسلم فى هذه المدينة ، حيث بلغ عددهم ٢٥ شخصاً ما بين ذكر و أنثى و صغير و كبير ولكل واحد منهم قصة فى إسلامه .

كانت بداية الحديث عندما صلينا معه التراويح فى أول يوم و لأول مرة فى هذا المسجد كما يقول : و قد وصل لهذا المسجد مجموعة من المسلمين و الطلاب فى هذه المدينة فكان من بينهم الأردنى و الأندونيسى والمصرى والمغربى والنيجرى ، و السعودى و جنسيات أخرى لا يحضرنى ذكرهم الآن .

فبعد الصلاة بدأ التعارف وذكر البلد ، و بالنسبة للاميركان طلب منهم ذكر تاريخ الاسلام و انطباعه فى نفس كل واحد منهم .

ثم قام إمام المسجد ليتحدث فبكى وكان بكاؤه مبعثه الفرحة عن هذا الدين الذى يربط الأمم و يتعارف الناس بواسطة شعائره ، فمن كان يعرف عن هؤلاء لو لا رابطة الدين و الرغبة فى أداء شعائر الدين الاسلامى ، و تحدث عن قيمة المسجد و دوره فى ربط المسلمين الجدد بأمريكا ببعضهم وحل مشكلاتهم .

ثم قال إن أميركا دولة لا تعارض أى دين ، فللفرد حرية اختيار الدين الذى يريد ، و لكن من واقع عملى أحب أن أبشركم بشىء ، و هو أن الاسلام مقبول و مرغوب فى أمريكا من الفئات الشعبية ، و من الحكومة نفسها ، و من سلطات الامن ، لانهم يرون فيه صلاحاً للمجتمع وقضاء على الجريمة التى استفحل أمرها ، و إن رجال الأمن و المسئولين عن السجون فى كل ولاية يبحثون عن الدعاة المسلمين و استضافتهم لزيارة السجون و دعوة المساجين للاسلام ، و هى بطاقة تسمح لى ولمن يرافقنى بدخول السجن فى أى وقت ، و ما على المسئولين فى السجن إلا جمع المساجين لى للتحدث إليهم وقت ما أشاء ، و أنا ذاهب غداً العصر فمن شاء منكم أن يرى بعينه ويسمع بأذنه ليحكم بنفسه فليتفضل فوافق بعض الاخوة على أن يأخذوا معهم طعام الافطار لتناوله مع الصائمين من المسلمين الجدد وتطفلت عليهم للذهاب معهم حباً فى الاستطلاع من جانب وللتوثق من جانب آخر .

ثم قام بعض الاميركيين و كلهم من الملونين للاخبار عن قصة إسلامهم ، فتحدث من سمى نفسه حسن ، ليقول : كنت من المجرمين المحترفين ، و ما كنت لاخرج من السجن حتى أعود إليه ثانية ، حتى مللت هذه الحالة ، ولكن ما العمل ، و المجتمع هنا لا يرحم و العمل المناسب لم أجده و المخدرات التى وقعت فيها تطالبنى المزيد من المال ، و القانون يعيننى على مواصلة الاجرام ، و فى يوم من الايام كادت حياتى تنتهى لانى اعترضت الطريق فطلبت من صاحب سيارة أن

بوصلى من مكان لمكان فى طريقـــه ، فوافق و عاملى برفق و أركبنى ، و فى الطريق تحرك عامل الاجرام فى نفسى فأشهرت مسدسى عليه و أمرته بالوقوف و تسليم السيارة بما فيها، و إلا قتلته ورميت جثته على الطريق فوافق وكنت أظنه مستسلماً وقبل أن تقف السيارة تماماً فوجئت و بحركة سريعة منـــه بأن يخطف مسدسى بيسراه و فى يمناه مسدس آخر ويطلب منى النزول من السيارة و الاتحاء جانباً عن الطريق و تسليم ما لدى حتى الملابس و لم يبق إلا الداخلية ، ليقتلنى و يرمينى كما كنت أنوى أن اعمل به فسلمت ما يريد و رجوته ألا يتركنى بمثل هذه الحالة ، و أن قتلى لا يفيده بشئ ، فأطلق النار بجانبي يميناً و يساراً ليخيفنى، و اتصل بجهاز معه ، وقبل مفارقته المكان إذا بسيارتى بوليس تقفان بجانبي فتركنا ومضى ، و اقتادونى رجال البوليس للسجن ، و بدأت أفكر فى حياتى و وضعى وما يجب أن التمسه مخرجاً لما أنا فيه .

و فى يوم من الأيام كان الشيخ حبيب الرحمن يلقى محاضرة فى المسجد فاندفعت مع المستمعين ، وسمعت كلاماً لامس أوتار قلبي عن الاسلام الذى لم أسمع عنه شيئاً من قبل ، و عن معالجته لمشكلات الفرد و الجماعة ، و كان من حديثه شئ يتعلق بى فشعرت كأنى المدعو لهـــذا الكلام ، و بعدها كنت أترقب حضوره و أسأله و آخذ عنـــه حتى قررت الاسلام ، فخرجت من المسجد بعد تخفيف الحكومية و تغيرت طباعى ، و هذبنى الاسلام ، وانتهى بحمد الله عامل الاجرام و العنف من نفسى ، فوجدت لى عملا بسيطاً فى أحد المصانع كحارس وقنعت به و تركت المخدرات لأن دينى الجديد الاسلام يحرمها على ، و أقنعت زوجتى بالاسلام فأسلمت وتحجبت ، و نرجو أن ينشأ أطفالنا على الاسلام .

وقد لمست منه اهتماماً بالاسلام فنى يوم لاحق كنت أتجول مع زميل لى

فى أحد الأسواق التجارية الكبيرة، و إذا بالأخ حسن ومعه زوجته وطفله يدخل السوق فقال : كأنكم تريدون شراء مأكولات ، فانا معاشر الاميركيين بدأنا نعرف شيئاً جديداً بعد إسلامنا عن المصانع هنا ، فهى تضع فى البسكويت و الخبز و الكعك و الجبن نسبة من شحوم الخنزير ، و سوف أحذركم من ذلك و أبين لكم الأسماء والاصطلاحات التى توضح ذلك وأريكم الأنواع الخالية من ذلك لأن ديننا الاسلامى يأمرنا بالتناصح والحذر من كل محرم، و الخنزير محرم علينا معاشر المسلمين بنص الكتاب، فشكرنا له ذلك حيث أعطانا درساً جديداً لم يخطر لنا ببال .

أما موعد زيارة المسجد فقد ذهبنا بمصاحبة حبيب الرحمن ، وعند بوابته قابلنا الضابط المسئول وعلامات الفرح والبشر على محياه ، و بعد الحديث المعتاد قال : إننا نرحب بالمشرفين الاجتماعيين الاسلاميين فى غالبية سجون أميركا ، لأن دراسة مكافحة الجريمة أثبتت أن جميع الوسائل التى تعمل فكرياً و إعلامياً وصحياً لم تعط مؤشرات معينة على مفعول ما فى تخفيف حدة الجريمة ، و لا فى الاعانة بالقضاء عليها ، و الاصلاحيات التى حرصت عليها إدارات السجون لم تحقق طائلا .

رجال الدين عندنا — ويعنى بهم رجال الكنيسة — يقومون بأدوار الوعظ و الارشاد وجذب الناس للصلاة و التحدث إليهم فى الكنيسة بعد كل صلاة ، فترق بعض القلوب ، وتهدىء أصحابها، مما يستحقون به تخفيف المدة المحكوم بها ، لحسن سلوكهم ، و لكن ما يكادون يخرجون للمجتمع حتى يعودوا لأعمالهم الاجرامية من جديد ، فيرجع المجرم للسجد مرة و مرات ولذا فمن الملاحظ أن رواد السجون من أصحاب السوابق المتعددة، و من المتمرسين فى الاجرام إلا أن الظاهرة التى لوحظت تأثير المسلمين العجيب ، و تحويلهم النفوس من حالة إلى حالة ، فقد شاهدت و شاهد غيرى بأن كثيرين من المجرمين العتاة ، عندما

دخلوا الاسلام فى السجون صلحت أموالهم . و تغيرت طبـاعهم ، فعلاوة على تخفيف مدة الحكم عليهم إلا أننا لم نر واحداً منهم عاد للسجد مرة أخرى .

ومن هنا أخذنا نحن رجال الآمن فكرة عن الاسلام بأنه الطريق الصحيح لاصلاح النفوس و القضاء على الجريمة ، و جعل رقابة ذاتية على الشخص تمنعه من عمل أى شئ فيه مضرة للجتمع ، بل يحرص الفرد منذ خروجه من المسجد على البحث عن عمل و لو بسيط يعيش منه و يستقر .

حتى فى الأعمال البسيطة لم نجد لهم ذكراً فى دور الشرط : فلا مشاجرة و لا مشادة ، و لا إيذاء للجيران و لا تحايل .

و من هنا فاننا نبحث عن المشرفين الاسلاميين ، و تسهل مهماتهم و تقيهم بما يجعلهم يعملون معنا فى التوجيه و التثقيف .

لقد فرحنا بهذا الحديث فى مكتب ضابط السجن ، لأنه شهـادة للاسلام ممن لا يدين بالاسلام ، هذه أقرب شهادة تلامس أوتار القلوب ، و بعـد قليل جاءه أحد أعوانه يخبره بأن كل شئ جاهز ، فدخلنـا مع بوابة السجن ، فكأن أمامنا كنيسة قد حرصوا على تزويد كل سجن بواحدة منها و يأتيها أحد القساوسة بين وقت وآخر ، وكنا نظنها فى البداية مسجداً لـكن هذه الـكنيسة كانت مكسوة باللوحات المكتوبة بعضها باللغة العربية بآيات قرآنية كريمة ، و بكلمات ترحيبيـة بشهر رمضان .

و مثل ذلك فى داخلها ، و عرفنا أن المسلمين فى هذا المسجد و عددهم يزداد يومياً طلبوا بمناسبة حلول شهر رمضان أن تكون الـكنيسة لهم فى رمضان ليحولوها مسجداً لعدم وجود مسجد فيه ،وأخبروهم فى مكانة رمضان عند المسلمين فى الصوم والعبادة ، فرحب المسئولون عن المسجد بهذه الفكرة وسلموهم الـكنيسة

التى أحالوها إلى مسجد يجتمعون فيه و يتناولون طعام الأفطار و السحور مجتمعين فيه ، و يأتيهم من يعلمهم أمور دينهم .

فكان لذلك وقع كبير فى نفوسنا و نفوسهم و مكثنا معهم حتى جاء موعد الأفطار حيث تناولناه معهم و قدمنا لهم ما جئنا به معنا من طعام ، و لعلى لا استطيع التعبير عن ذلك الموقف لما له من تأثير عميق .

كان الحديث يدور حول الدين الاسلامى ، وما يجب على المسلم أن يعمله، و إجابات كثيرة على أسئلتهم عن الأحكام الشرعية فى الصيام والصلاة والطهارة و المعاملات و غيرها .

و كان مما يؤرق بعضهم :

- كيف أجد العمل المناسب بعد خروجى من المسجد .
- كيف أتعلم أمور دينى بعد أن أحسست بلذته فى قلبى .
- كيف أستطيع دعوة أهلى و أقاربى إلى هذا الدين .
- ما السبيل إلى حياة مستقرة هانئة .
- كيف نزوج بناتنا أو نجد لهن أزواجاً مسلمين وبعضنا يعيش فى قرية أو مدينة صغيرة لا يوجد بها مسلم غيره .

و تساؤلات كثيرة ، أجاب عنها الأخ حبيب الرحمن بما هو مفيد ومعين على الحل، لأن المنظمات الاسلامية المنبثقة من المساجد تتولى هذا عن طريق جمع التبرعات إلا أن المشكلة فى فقر المسلمين هناك ، إلى جانب أن المجتمع لا يفكر بغير المال حتى بلغ الامر إلى أن كل رواد الكنيسة ، إن لم يتعدموا مضار القساوسة يتصلون بالناس هاتفياً، ويعلنون فى الصحف اليومية بأننا نصلى من أجلكم عن طريق الهاتف رقم كذا ، و حسابنا فى البنك رقم كذا فما عليك إلا أن

تبحث عن الكنيسة التى تريد ، والمش الذى يعجبك ثم تحول له تكاليف هذه الصلاة على حسابه الذى أوضحه ، فيتصل بك فى الحال وأنت فى منزلك أو مزرعتك فيرتل لك ما يتلاءم زمنياً مع نقودك .

وكنا نرى مثل هذه الاعلانات ونظهر الحديث فيها مزاحاً ، وإذا به يؤكده لنا أحد المسجونين الذى دخل الاسلام بأن هذا حقيقة فقد كنت أدفع للقساوسة تحويلات على حسابهم فى البنوك لكننى لم أشعر بالروحانية و النفاذ إلى القلب بمثل ما رأيت عن علماء الدين المسلمين ، وهم لا يأخذون منا سنتاً واحداً ، بل يحرصون على تعليمنا بدون مقابل .

لقد ذكر فى هذا الحديث ما قاله سيد قطب رحمه الله فى أحد كتبه التى سجل بها انطباعه عن أميركا عندما زارها ، فقد قال حسبما سمعت من أخيه محمد بمحاضرة ألقاها بالرياض : كنت أتجول فى أحدى المدن الأمريكية فى نهار يوم أحد ، و بعد التجوال وجدت مقعداً قريباً من إحدى الكنائس و على ناحية أحد الشوارع فجلست عليه لأستريح وكان يوماً مشمساً فجاء رجل و استأذن بالجلوس بجانبي فأذنت له وجلس .

فقلت : هل أنت خارج من الكنيسة ؟ فقال : لا . ولا تظن أن الناس كلهم يذهبون إليها ، ثم بادرنى بالسؤال : هل أنت عربى ؟ . قلت : نعم ومسلم . و لما سألته عما يعرف عن الاسلام ؟ قال : لم أعرف عنه شيئاً و إنى متشوق لمعرفته .

ثم بدأ سيد قطب يحدثه عن الاسلام و محاسنه و رعايته للفرد و الجماعة و دور تشريعاته من حماية المجتمع وتنظيمه .

فقال وهو ينصت باهتمام : كل ما ذكرت جميل جداً وهو مما نبحث عنه ،

و لكن دينى هو هذا ، و أخرج من جيبه دولاراً ، فقال : هذا هو الذى يحقق لى ما أريد فى الحياة و بدونه لا أساوى شيئاً .

نعود لحديث الأخ حبيب الرحمن الذى قال : إن الجميات الاسلامية بدأت تهتم بالمسلمين الجدد فصارت تنظم لهم مساكن الاقامة و التعليم بعد الخروج من المسجد ، و التأهيل لبعض الأعمال ، و البحث عن الأعمال المناسبة لكل واحد منهم ، و متابعته فى عمله هذا للاطمئنان على ثباته و عدم وجود مشكلات تعترض ، وحل ما ينجم بينه و بين صاحب العمل .

و هذه الأماكن تكبر أو تصغر بحسب الامكانات المتاحة .

و قد رأيت نماذج لذلك تفرح المسلم بسلامة العمل فى صالح المسلمين فى أميركا ، مما يعطى مفهوماً عميقاً لأخوة الاسلام التى أخبر الله عنها بقوله : « إنما المؤمنون اخوة » و قول رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم و تراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر » و قوله ﷺ « من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » .

نعم رأيت مثل هذه الروح عندما زرت مدينة « سان انطونيو » فى جنوب تكساس بعد مونتجمرى مباشرة ، و فى الأيام الأولى من رمضان نفسه ، فلقد وجدت أعمالا قام بها المسلمون فى سجنى المدينة الكبيرين ، وهما من أكبر سجون أميركا ، كما أن المدينة من أكثر مدن أميركا إجراماً كما يقال .

لكن المفرح أن المسلمين قاموا بأعمال استحقوا عليها شكر الحكومة المحلية فى مكافحة الجريمة و رعاية المساجين بعد إسلامهم و خروجهم من السجن .

فكان من ضمن تلك الأعمال بناء مدينة إسلامية متكاملة فيها التعليم بأنواعه و جامعة يأتى إليها كثيرون فى أنحاء أميركا ، و أحياء خاصة للعزاب و للعوائل ، و للمسلمين الوافدين كالطلاب مثلا ، حتى يجدوا جواً إسلامياً يفيدهم ويفيد غيرهم ،

و يجدوا فيه المأكولات الاسلامية والذبح الاسلامى والمساجد و العبادة، وعبادات طبية و الجمعيات الخيرية .

ثم إيجاد مصانع صغيرة و بقالات ليعمل فيها المسلمون الجدد ، فيكون المال الاسلامى ذاهباً للجيوب الاسلامية ، و فى هذا مجال للتعاون و الترابط .

زرت هذا المشروع وهو فى بداية أمره ، وكان قد قام عليه ثريان عربيان هاجرا لأميركا و قد أنفقا من مالهما الشئ الكثير بعد أن اشتريا أراضى زراعية كبيرة لهذا المشروع .

لقد رأيت فى هذا المشروع عمالا و حراساً أسلموا جدداً، وهم من الأميركان البيض و الملونين على السواء ، وهم سعداء بهذا العمل ، فهو أول عمل لهم بعد الخروج من السجن ، و رأيت فى المركز الصحى امرأة مسلمة من أصل أوروبى، تعمل مع زوجها فى معالجة المرضى المسلمين ، و قد تأثرت هى و زوجها عندما تحدثنا معهم عن أسرهم وهل رضوا عن إسلامهم ؟ فقالت المرأة و اسمها فاطمة ، و زوجها واسمه إبراهيم : لقد بذلنا جهوداً كثيرة مع أسرتينا وهما من نيويورك لكى تدخلا الاسلام فكل منا يخشى عذاب النار على أبيه و امه ، و لا نزال نحاول بين الحين والحين لعل الله أن يهديهم للدخول فى دين الاسلام قبل فوات الأوان .

و هكذا نلمس الغيرة الاسلامية فى كل قلب، وعند كل من وقر الاسلام فى فؤاده ، فهو يغير الاحساس، ويربط من دخل فيه برباط المحبة مع كل أحد، لأنه لا يريد للناس إلا الخير و الفلاح .

فالاسلام يتمنى السعادة لكل فرد، ويسير بتعاليمه فى طريق المحبة والخير مع كل فرد فى نفسه ومع الآخرين ،وتحس هذا جيداً عندما تقابل و تحادث أشخاصاً من الذين دخلوا فيه جدداً فى بلاد الغرب ، حيث يشعر كل واحد بشئ جديد يجذبه لاخوانه وحسن التعامل معهم ، وبقوة تشده إلى عمل الخير والبحث عنه.

« يتبع »

أعلام المحدثين و مؤلفاتهم فى السنة

تأليف : الامام الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوى رحمه الله
نقله من الفارسية و حققه : محمد أكرم الندوى
مدرس بدار العلوم لندوة العلماء

الحمد لله حق حمده ، و الصلاة و السلام الأتمان الأكملان على محمد رسوله و عبده و على آله و أصحابه الموفين بعهده ، و من اتبعهم من العلماء الراسخين وراث علومه من بعده .

أما بعد فهذه رسالة أسميتها « بستان المحدثين » توخيت فيها — أصالة — أن أتحدث عن كتب الحديث التى يكثرون الاعتماد عليها و الاقتباس منها فى كتبهم و مؤلفاتهم ، وقد يتعجب القارىء مما إذ قرعت أسماعه هذه الأسماء اللامعة فى تاريخ السنة ، و ذكرت ـ تبعا ـ نبذاً من حياة أصحابها و أحوالهم ، فان قيمة الكتاب تعرف بقيمة مؤلفه ، وهو بمثابة نسبه الذى ينتهى إليه ، كما ركزت العناية على التعريف بكتب المتون ، و لكن يتخلله ذكر بعض الشروح الشهيرة للكتب المتداولة ، فانها احتلت مكانة المتون لاستفاضة شهرتها وتلقيها بالقبول والثقة بها ، و الاعتماد عليها و الاستناد اليها ، و الله تعالى يعصمنا من الخطأ والخطل ويثبت أقدامنا فى مواضع الزلل ، إنه مرجو منه فى الأولى و الآخرى ، و عليه التوكل و الاعتماد فى الدنيا و العقبى .

الموطأ

ألفه الامام مالك — رحمه الله — صاحب المذهب المتبوع ، يستغنى عن الوصف لكمال شهرته و ذيوع صيته ، و استفاضة مناقبه و فضائله ، ولكن أذكر نبذة من

حياته وشمائله تيمنا به وتحلية لهذه الرسالة بذكره، و هذا الذى نويته عند التعريف بالكتب الأخرى وأصحابها، ثم إن ما يقيد ويسجل لا يخلو من الفائدة والنفع.

نسب مالك :

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمر و (بفتح العين) بن الحارث بن غيمان (بغين معجمة مفتوحه بعدها مثناة تحتية ساكنة) بن خثيل (بخاء معجمة مضمومة و مثلثة مفتوحة ، بصيغة التصغير) كذا ضبطه الحافظ ابن حجر (١) فى الاصابة فى ذكر أبى عامر بن عمرو (٢) .

و ذكر الذهبى (٣) أبا عامر فى تجريد الصحابة ، فقال : « لم أر من ذكره من الصحابة ، وقد كان فى زمن النبى ﷺ ، و لابنه مالك رواية عن عثمان و غيره » و اكتفى ابن حجر بذلك (٤) .

---

(١) سيأتى ذكره .

(٢) الحافظ ابن جبر : الاصابة فى تميز الصحابة ٢٩٨/٧ .

(٣) وهو الامام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى الذهبى ، كان مولده سنة ثلاث و سبعين وست مأة ، وتوفى سنة ثمان وأربعين وسبع مأة ، وطلب الحديث وله ثمان عشرة سنة ، وطاف البلاد وسمع و استفاد ، وسمع منه الجم الكثير ، وما زال يخدم هذا الفن حتى رسخت فيه قدمه ، و ضربت باسمه الأمثال ، وسار اسمه مسير لقبه الشمس ، وله تصانيف كثيرة مفيدة ، منها سير النبلاء ، وتذهيب التهذيب ، و ميزان الاعتدال ، و المغنى ، و تذكرة الحفاظ ، و التجريد فى أسماء و الصحابة (ملخص من شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٦ / ١٥٦ .

(٤) الحافظ ابن حجر: الاصابة فى تميز الصحابة ٢٩٨/٧، قال الامام الذهبى: ...

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم (١) فى شرح مختصر خليل (وهو كتاب معروف فى الفقه المالكى ، و متداول بين المغاربة) : « أما أبو عامر فهو جد أبى مالك صحابى شهد المغازى كلها مع رسول الله ﷺ خلا بدراً » انتهى ملخصاً من الديباج المذهب (٢) لابن فرحون (٣) .

أبو عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان (وضبط بعضهم غيمان) الأصبحى الحميرى كان فى زمان النبى ﷺ ، و ابنه مالك جد مالك بن أنس مدنى تابعى سمع عثمان ، ولم أر أحداً ذكره فى الصحابة (تجريد أسماء الصحابة ١٨١/٢) و ذهب بعضهم إلى أنه صحابى كما قد ذكر ذلك المؤلف نفسه نقلا من شرح مختصر خليل و جاء فى الديباج المذهب : ذكر القاضى أبو بكر بن العلاء القشيرى أن أبا عامر بن عمرو جد مالك رحمه الله من أصحاب رسول الله ﷺ ، قال وشهد المغازى كلها مع النبى ﷺ خلا بدراً (ص ١٧) .

(١) وهو محمد بن إبراهيم التتائى أبو عبد الله شمس الدين المطرى قاضى القضاة بها ، قال البدر القرافى : « كان موصوفا بدين وعفة و صيانة و فضل و تواضع ، تولى القضاء ثم تركه ، و أقبل على الاشتغال و التصنيف ، له يد طولى فى الفرائض ، شرح المختصر (مختصر خليل) بشرحين ، سمى الكبير فتح الجليل و الآخر جواهر الدرر توفى بعد الأربعين وتسع مأة (ملخص من نيل الابتهاج على هامش الديباج لبابا التنبكتى ص٢٣٥) .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٧ اقتبسه المولف من شرح مختصر خليل ، ولكنى لم أظفر به ، فرجعت إلى الديباج المذهب إذ هو الأصل الذى اعتمد عليه محمد بن إبراهيم شارح « المختصر » .

(٣) وهو إبراهيم بن على بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن فرحون اليعمرى ،

و أعلم أن الدارقطنی (١) ضبط خثيلا جد مالك بالجيم المضمومة بدل الخاء المعجمة (٢) وخثيل هو ابن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح (٣) ونسب مالك إلى الحارث ذی أصبح فقيل مالك الاصبحی .

مولده :

ولد سنة ثلاث وتسعين كما روى أحد تلامذته الجلة (٤) وهو يحی بن بكير (٥) وحملت به أمه زمناً طويلا ، فقيل حملته أمه سنتين ، وقيل ثلاث سنوات (٦) .

وفاته :

وتوفی سنة تسع وسبعين و مأة (٧) وقد جمع شاعر مولده و وفاته فقال :

٭ عالم بحاث ، ولد و نشأ ومات فی المدينة ، وهو مغربی الأصل ، نسبته إلى يعمر بن مالك من عدنان ، رحل إلى مصر و قدس و الشام سنة ٧٩٢ه و تولى القضاء بالمدينة سنة ٧٩٣ه ثم أصيب بالفالج فی شقه الايسر فمات بعلته عن نحو سبعين عاما سنة ٧٩٩ه و هو من شيوخ المالكية وله «الديباج المذهب فی تراجم أعيان المذهب المالكی» و «تبصرة الأحكام فی أصول الأقضية و مناهج الأحكام (الدرر الكامنة ١/ ٤٨ ونيل الابتهاج على هامش الديباج ٣٠ — ٣٢) .

(١) سيأتی ذكره . (٢) القاضی عياض : المدارك ١/ ١٠٥ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٧ .

(٤) القاضی عياض : المدارك ١/ ١١٨ .

(٥) سيأتی ذكره .

(٦) القاضی عياض : المدارك ١ / ١٢٠ .

(٧) نفس المصدر ١ / ١١٩ .

فخر الأئمة مالك   نعم الامام السالك
مولده نجم هدى   وفاته فاز مالك

صفتـــه :

كان طويلا جسيما ، شديد البياض إلى الشقرة ، أعين ، حسن الصورة ، أشم ، أصلع ، كما كان أميرا المؤمنين عمر بن الخطاب ، و على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - أصلعين ، و كان عظيم اللحية ، تاما تبلغ صدره ، و كان يأخذ إطار شاربه ، لا يحلقه و لا يحفيه ، و يرى حلقه من المثلة ، و كان يترك له سبلتين طويلتين تمسكا بفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه كان يفتل سبلته إذا أهمه أمر (١) .

قال الواقدى (٢) عاش مالك تسعين سنة لم يخضب شيبته و لا دخل الحمام (٣) .

و كان يلبس الثياب المدينة الجياد و الخراسانية و المصرية المرتفعة العالية

---

(١) القاضى عياض : المدارك ١ / ١٢١ .

(٢) هو محمد بن عمر بن و اقدا لأسلمى مولاهم الواقدى أبو عبد الله المدنى الحافظ البحر صاحب التصانيف وأحد أوعية العلم على ضعفه ، وقال الذهبى فى تذكرة الحفاظ : « لم أسق ترجمته هنا لاتفاقهم على ترك حديثـــه » وقال : « وهو رأس فى المغازى والسير و يروى عن كل حزب ، مات سنة سبع و مأتين ، حمل عن ابن عجلان و ابن جريج و معمر و هذه الطبقة » ولى قضاء بغداد ، و كان له رئاسة وجلالة وصورة عظيمة عاش ثمانيا و سبعين سنة (ميزان الاعتدال ٣/٦٦٢ و تذكرة الحفاظ ١/٣٤٨) .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ٢٩ .

البيض ويتطيب بطيب جيد ، و يقول : ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا و لا يرى أثر نعمته عليه (١) فان كتمان النعمة كفر، يقول كاتب هذه السطور : إن السلف الصالحين كانت لهم نية خالصة صالحة فى استعمال الثياب الفاخرة النفيسة و تركها . فمن أحب الجودة والنفاسة فانما نوى أن يرى عليه أثر نعمة الله تعالى ، و من لبس الثياب البسيطة الصفيقة فبنية التواضع وحب الخمول، ولكل ما نوى، و الناس فيما يعشقون مذاهب .

يقول صاحبه الأشهب (٢) : كان مالك إذا اعتم جعل منها تحت ذقنه ، و أسدل طرفها بين كتفيه (٣) .

وكان مالك إذا اكتحل لضرورة جلس فى بيته وكان يكرهه إلا لعلة (٤) .

و كان خاتمه من الفضة وفصها حجر أسود ، نقشه : « حسبنا الله ونعم الوكيل » سأله يوما صاحبه المطرف (٥) عن اختياره لما نقش فيه ، فقال :

---

(١) القاضى عياض : المدارك ١ / ١٢٣ .

(٢) وهو من أهل مصر من الطبقة الوسطى من أصحاب مالك ، و أشهب لقب ، روى عن مالك و الليث و الفضيل بن عياض و جماعة غيرهم و قرأ على نافع وتفقـه بمالك و المدنيين و المصريين ، قال الشافعى ، « ما رأيت أفقه من أشهب » ولد سنة أربعين و مأة ، وقيل سنة خمسين و مأة ، و توفى بمصر سنة أربع و مأتين بعد الشافعى بثمانية عشر يوما ، (ملخص من الديباج المذهب ٩٨ و ٩٩) .

(٣) القاضى عياض : المدارك ١/١٢٣ ، و الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/١٨٨ ، و ابن فرحون : الديباج المذهب ١٩ .

(٤) القاضى عياض : المدارك ١ / ١٢٣ .

(٥) وهو مطرف بن عبد الله مطرف اليسارى، أبو مصعب المدنى ابن أخت

« سمعت الله يقول : « قالوا : حسبنا الله و نعم الوكيل » فأردت أن تكون هذه نصب عينى و لا تغيب عن بالى (١) .

و كان مكتوبا على بابه « ما شاء الله » فقيل له فى ذلك ، فقال قال الله عزوجل : ولولا إذا دخلت جنتك قلت « ما شاء الله » و دارى هى جنتى ، يريد ليتذكر به متى دخل (٢) .

أما داره التى كان ينزل بها فى المدينة فهى دار عبد الله بن مسعود ، و قد كان مكانه من المسجد النبوى مكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٣) .

قال أحمد بن حنبل (٤) قال الامام : ما جالست سفيها قط ، هذا أمر لم يسلم منه غيره ، قال أحمد بن حنبل : « ليس فى فضائل العلماء أجل من هذا » (٥)

✗ مالك ، ثقة ، لم يصب ابن عدى فى تضعيفه ، من كبار العاشرة ، روى عن مالك وغيره ، و روى عنه أبو حاتم و أبو زرعة والبخارى وخرج عنه فى صحيحه ، تفقه بمالك ، وقال ابن حنبل : كانوا يقدمونه على أصحاب مالك ، صحب مالكا سبع عشرة سنة ، مات سنة عشرين و مأتين بالمدينة وسنه بضع و ثمانون سنة (ابن حجر : تقريب التهذيب ٢٤٧ ، و ابن فرحون : الديباج المذهب ٣٤٦) .

(١) القاضى عياض : المدارك ١ / ١٢٣ و ابن عبد البر : التمهيد ١ / ٩٢ بتصرف يسير) .

(٢) القاضى عياض : المدارك ١ / ١٣٠ .

(٣) القاضى عياض : المدارك ١ / ١٢٤ .

(٤) سيأتى ذكره .

(٥) القاضى عياض : المدارك ١ / ١٢٧ .

فان مجالسة السفهاء تطفئ نور العلم، ولا بد لجليسهم أن ينحط من ذروة التحقيق إلى حضيض التقليد و هذا يقدح فى صفاء العلم .

وما رآه (أحد) قط أكل و شرب حيث يراه الناس (١) .

و كان - مع هذه الهيبة و الوقار - على مكانة عظيمة من الأخلاق الحسنة و المكارم الجميلة مع أهله و أولاده و غلمانه اتباعا لسنة نبيه ﷺ و أصحابه رضى الله عنهم .

علمه وفقهه :

و كان حرصه على طلب العلم شديداً ، ففى بداية الطلب إذ لم يكن عنده من المال ما يكفى لحاجته نقض سقف بيته وباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد (٢) .

و كان قوى الحفظ، يقول : ما استودعت قلبي شيئاً ثم نسيته (٣) وجلس للناس وهو ابن سبع عشرة سنة (٤) .

و يروى أنه كان بالمدينة محلة يغسل فيها النساء الميتات و أنه جئ إليها بامرأة ، فبينما هى تغسل إذ وقفت عليها امرأة فقالت : إنك زانية ، و ضربت يدها على عجيزة المرأة الميتة ، فالتزقت يدها ، فحاولت و حاول النساء رفع يدها فلم يمكن ذلك ، فرفعت إلى والى المدينة ، فاستشار الفقهاء فقال بعضهم : تقطع يدها ، وقال آخر : تقطع بضعة من الميتة، لأن حرمة الحى آكد، فقال الوالى : لا أبرم أمراً، حتى أوامر أبا عبد الله فبعث إلى مالك رحمه الله تعالى ، فقال :

(١) نفس المصدر ١ / ١٢٨ .
(٢) نفس المصدر ١ / ١٣١ .
(٣) نفس المصدر ١ / ١٣٥ .
(٤) نفس المصدر ١ / ١٤٠ .

لا يقطع من هذه ولا من هذه ، ما أرى إلا امرأة تطلب حقها من الحد ، فحدوا هذه القاذفة ، فضربها تسعة و سبعين سوطاً و يدها ملتصقة ، فلما ضربها تكملة الثمانين انحلت يدها (١) .

قال الامام : كتبت بيميني مأة ألف حديث (٢) .

قال الدارقطني (٣) : لا أعلم أحداً ممن تقدم أو تأخر اجتمع له ما اجتمع لمالك ، روى عنه رجلان حديثا واحداً و بين و فاتهما نحو من مأة و ثلاثين سنة ، الزهري شيخه (٤) توفى سنة خمس و عشرين و مأة (٥) و أبو حذافة

(١) محمد بن علوى المالكى الحسنى : أنوار المسالك ٣٤٤ ، و قد نقل هـذه القصة من شرح التجريد الصريح للعلامة الشرقاوى ٣٤٣ .

(٢) القاضى عياض : المدارك ١ / ١٣٧ ، و فى نسخة الأصل الفارسى ألف حديث و لعله خطأ من بعض الناسخين .

(٣) سيأتى ذكره .

(٤) وهو أعلم الحفاظ أبو بكر محمد بن مسلم ابن شهاب القرشى الزهرى المدنى الامام ، ولد سنة خمسين ، وحدث عن ابن عمرو وسهل بن سعد وأنس بن مالك و محمود بن الربيع و سعيد بن المسيب و أبي أمامة بن سهل وطبقتهم من صغار الصحابة وكبار التابعين ، و روى عنه عقيل و يونس و الأوزاعى و الليث و مالك و ابن أبي ذئب و سفيان بن عيينة ، يقول الليث : ما رأيت عالما قط أجمع من الزهرى ، قال عمر بن عبد العزيز : لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية من الزهرى ، قال مالك : بقى ابن شهاب و ماله فى الدنيا نظير ، قال الليث : كان من أسخى الناس ، حفظ القرآن فى ثمانين ليلة ، قيل لمكحول ، من أعلم من لقيت قال : ابن شهاب قيل ثم من ؟ قال ابن شهاب ، توفى فى رمضان سنة أربع و عشرين و مأة (الامام الذهبي : تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٩ — ١١١) .

(٥) و عند الذهبي أنه توفى سنة أربع و عشرين و مأة كما تقدم .

السهمی (راوية الموطأ) (١) توفی بعد الخمسین و المأتین رویا عنه حدیث الفریعة بنت مالك فی سکنى العدة (٢) .

یقول المؤلف : و روایة الزهری عن مالك من باب روایة الأکابر عن الأصاغر وهی لا تخلو من نوع غرابة ، و أصحاب الحدیث یسمون هـذا النوع « السابق و اللاحق » قال ابن حجر ، فی شرح نخبة الفکر : أکثر ما وقفنا علیه من ذلك ما بین الراویین فیه فی الوفاة مأة و خمسون سنة (٣) ثم ذکر المثال ، ویظهر هذا القدر من التفاوت فی الغالب فیما إذا روى الأکابر عن الأصاغر .

مجلسه و تحدیثه للناس :

و کان مجلسه مجلس وقار وحلم وعلم ، و کان رجلا مهیباً نبیلا ، لیس فی مجلسه شیء من المراء و اللغط ولا رفع صوت (٤) .

و کان لا یقرأ ، بل کان أصحابه یقرأون علیه وهو یسمع ، و ذلك لأن جماعة من العراق لم تکن ترى القراءة على الشیخ من وجوه التحمل فاختار أکثر علماء المدینة و الحجاز هذا المنهج دفعاً للوهم الخاطئ ، و إلا فقد کانت قراءة الشیخ سائدة عند أصحاب الحدیث قدیما (٥) .

وقد سمع یحی بن بکیر الموطأ من مالك أربع عشرة مرة (٦) .

---

(١) سیأتی ذکره .　　(٢) محمد الزرقانی : شرح الزرقانی ١ / ٥ .
(٣) الحافظ ابن حجر : شرح نخبة الفکر ٩٢ .
(٤) الامام الذهبی: تذکرة الحفاظ ١/١٩٠ ، والقاضی عیاض : المدارك ٢/١٢ .
(٥) من أراد التفصیل فلیراجع تدریب الراوی للسیوطی ٢٤٢ ، وفتح المغیث للسخاوی ١٧٥ و غیرهما من المؤلفات فی أصول الحدیث فی مبحث القراءة على الشیخ .
(٦) القاضی عیاض : المدارك ٢ / ١٤ .

توقيره للحديث النبوى الشريف :

قال ابن حبيب (١) «كان مالك إذا جلس لم يتحول عنها حتى يقوم» (٢) و يروى أنه لم يكن إلا يتخلى خارج حرم المدينة إلا لعلة .

و إذا جلس للتحديث تطيب ولبس ثيابا جددا ، و وضعت له منصة يجلس عليها و خرج من بيته بسكينة وخشوع وجلس بوقار وحلم ، و يوضع العود فلا يزال يبخر ، حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ (٣) .

قال عبد الله بن المبارك (٤) : كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب عشر مرات وهو يتغير لونه ويصفر وجهه و لا يقطع الحديث فلما تفرق الناس عنه ، قلت له : لقد رأيت منك اليوم عجبا ، فذكر له القصة ، فقال : لم أصبر تجلداً ، و لكن إجلالا لحديث رسول الله ﷺ (٥) .

مكانته و عظمته :

وحضر سفيان الثورى (٦) مجلس الامام مرة ، فلما رأى عظمته وهيبته و جلاله و أنوار مجلسه و بركاته أنشد :

---

(١) هو إبراهيم بن حبيب ، قال قاسم بن أصبغ : هو ثقة من أصحاب مالك ، وهو وصى مالك رضى الله عنه ، ابن فرحون : الديباج المذهب ٨٣ .

(٢) القاضى عياض : المدارك ٢ / ١٤ .

(٣) القاضى عياض : المدارك ١٤/١ — والسخاوى : فتح المغيث ٣٠٦ .

(٤) سيأتى ذكره .

(٥) ابن فرحون : الديباج المذهب ٢٣ ، باختلاف يسير ، فيه : فلدغته عقرب ست عشرة مرة .

(٦) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى أبو عبد الله الكوفى ، ثقة حافظ فقيه ، عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة ، و كان ربما دلس ، مات سنة إحدى وستين ، وله أربع و ستون (الحافظ ابن حجر : تقريب التهذيب ٩٦) .

يدع الجواب فما يراجع هيبة　　و السائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى　　فهو المهاب وليس ذا سلطان (١)

وقال بشر الحافى (٢) : إن من نعمة الدنيا أن يقول الرجل حدثنا مالك (٣) يعنى أن ما لكا قد بلغ فى الأبهة و الشوكة ذروة يعدون القراءة عليه و السماع منه من المفاخر الدنيوية مع أنها من وسائل الآخرة و أمور الدين .

موقفه من المحدثات و البدع :

و كان مالك يتمثل هذا البيت :

وخير أمور الدين ما كان سنة　　وشر الأمور المحدثات البدائع (٤)

و هذا البيت من باب الحكمة يشتمل على مضمون الحديث النبوى المعروف (٥) .

أقواله فى العلم :

و كان يقول : ليس العلم بكثرة الرواية و إنما هو نور يضعه الله فى

(١) القاضى عياض : المدارك ٢/٢٤، والحافظ ابن عبد البر : التمهيد ١/٨٤ .
(٢) وهو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزى المعروف بالحافى أحد رجال الطريقة رضى الله عنهم كان من كبار الصالحين وأعيان الأتقياء المتورعين، أصله من مرو، وسكن بغداد، كان مولده سنة خمسين و مأة و توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ست و عشرين و مأتين (ابن خلكان : و فيات الأعيان ١/٢٧٦) .
(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ٢٤ .
(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب ٢٤ .
(٥) فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : خير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها الحديث (سنن ابن ماجة ٦) .

القلب (١) ولا يخفى أن هذا الكلام دقيق عميق .

وقيل له ، ما تقول فى طلب العلم ؟ قال : حسن جميل و لكن انظر الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فالزمه (٢) و هذا أيضاً كلام فائض بالمعنى و الحكمة .

وقال : لا ينبغى للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيقه فانه ذل و إهانة للعلم(٣) .

تعظيمه للمدينة :

ولم يركب فى المدينة قط ، يقول : أنا أستحى من الله أن أطأ تربة فيها قبر رسول الله ﷺ بحافر دابة (٤) .

تأليفه للموطأ :

و لما صنف الموطأ عمل من كان فى المدينة يومئذ من العلماء الموطآت ، فقيل لمالك : شغلت نفسك بعمل هـذا الكتاب و شركك فيه الناس ، وعملوا أمثاله ، فقال ائتونى بما عملوا فأتى بذلك فنظر فيه ثم نبـذه و قال : لتعلمن أنه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به به وجه الله (٥) .

صدق مالك فلم يبق لهذه الكتب عين و لا أثر إلا ما يذكر من موطأ ابن أبى ذئب (٦) و عنى العلماء بموطأ الامام مالك ، و اتخذوه أساساً للاجتهاد

---

(١) القاضى عياض : المدارك ٢/٦٠ .

(٢) أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء ٦/٣١٩ .

(٣) و فى حلية الأولياء بلفظ : وذل و إهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيقه ٦ / ٣٢٠ .

(٤) القاضى عياض : المدراك ٢/ ١٠٢ ، باختلاف يسير فى بعض الكلمات

(٥) الحافظ ابن عبد البر التمهيد ١/٨٦

(٦) وهو الامام الثبت العابد شيخ الوقت أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبى ذئب القرشى العامرى المدنى الفقيه، حدث عن

و الاستنباط ، و القبول بقدر حسن النية .

مبشرات فی مالك :

ذكر أبو نعيم الأصفهانی (١) فی حلية الأولياء باسناد صحيح أن إسماعيل بن مزاحم المروزی (٢) - وكان من أصحاب ابن المبارك من العباد - قال رأيت النبي ﷺ فی المنام فقلت يا رسول الله من نسأل بعدك؟ قال: مالك بن أنس (٣).

و فيه عن مطرف عن أبی عبد الله مولی الليثيين (٤) — و كان مختاراً — قال : رأيت رسول الله ﷺ فی المسجد قاعداً و الناس حوله ، و مالك قائم بين يديه ، وبين يدی رسول الله ﷺ مسك ، وهو يأخذ منه قبضة قبضة فيدفعها إلی مالك ، و مالك ينشرها علی الناس ، قال مطرف فأولت ذلك العلم و اتباع السنة (٥) .

و فيه أيضاً عن محمد بن رمح التجيبي (٦) قال رأيت النبي ﷺ فيما يرى

ﷻ عكرمة وشعبة مولی ابن عباس ، و الزهری ونافع وخلق و عنه ابن المبارك و يحی القطان و خلق كثير ، قال ابن حنبل : كان أفضل من مالك إلا أن مالكا أشد تنقية للرجال منه ، قال الواقدی : ولد سنة ثمانين و كان من أورع النـاس و أفضلهـم ، توفی سنة تسع و خمسين و مأة (الامام الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٩١/١ — ١٩٣) .

(١) سيأتی ذكره . (٢) لم أقف علی ترجمته .

(٣) أبو نعيم الأصفهانی، حلية الأولياء ٣١٧/٦. (٤) لم أقف علی ترجمته .

(٥) أبو نعيم الأصفهانی : حلية الأولياء ٣١٧/٦ .

(٦) هو محمد بن رمح بن مهاجر التجيبي مولاهم المصری ثقة ثبت من العاشرة ، مات سنة اثنتين و أربعين و مأتين قال : أبو داود ثقة ولم أكتب عنه شيئاً ، قال ابن ماكولا : كان ثقة مامونا (الحافظ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٦٤/٩).

النائم فقلت يا رسول الله قد اختلف علينا فى مالك و الليث (١) فأيهما أعلم ؟ قال : مالك ورث حدى معناه أى علمى (٢) .

مالك و الزنادقة المبتدعون :

و عن يحى بن خلف بن الربيع الطرطوسى (٣) — و كان من ثقات المسلمين و عبادهم — قال : كنت عند مالك بن أنس ودخل عليه رجل فقال : يا أبا عبد الله ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟ فقال مالك : زنديق فاقتلوه (٤) فقد يخشى أن تنشأ من قوله هذا فتن كبيرة .

و روى عن جعفر بن عبد الله (٥) قال : كنا عند مالك بن أنس فجاءه

(١) وهو الليث بن سعد الامام الحافظ شيخ الديار المصرية و عالمها و رئيسها أبو الحارث الفهمي مولاهم الأصبهانى الأصل المصرى ، كان الشافعى يتأسف على فواته ، كان يقول : هو أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ، وقال أيضاً : كان أتبع للاثر من مالك ، وقال يحى بن بكير : هو أفقه من مالك ، لكن الحظوظ لمالك ، وقال ابن وهب : لولا الليث و مالك لضللنا ، روى عبد الملك بن يحى بن بكير عن أبيه قال : ما رأيت أحداً أكمل من الليث كان فقيه البدن ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ويحفظ الشعر والحديث حسن المذاكرة ما زال يذكر خصالا جميلة حتى عد عشرا ، لم أر مثله (الامام الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/٢٢٤–٢٢٦ .

(٢) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء / ٣١٧ .

(٣) قال الذهبي : ليس بثقة ، أتى عن مالك بما لا يحتمل ، و عنه أبو أمية و على بن زيد الفرائضى و جماعة (ميزان الاعتدال ٤ / ٣٧٢) .

(٤) أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء ٦ / ٣٢٥ .

(٥) لم أقف على ترجمته .

رجل فقال: يا أبا عبد الله! الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شئ ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود فى يده، حتى علاه الرحضاء يعنى العرق، ثم رفع رأسه ورمى بالعود، و قال: الكيف منه غير معقول، و الاستواء منه مجهول، و الايمان به واجب و السؤال عنه بدعة، و أظنك صاحب بدعة و أمر به فأخرج (١).

و عن أبى عروة - رجل من ولد الزبير (٢) - قال: كنا عند مالك فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية (محمد رسول الله و الذين معه أشداء... يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) فقال مالك: من أصبح و فى قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية (٣).

الموطأ و أحاديثه:

يقول عتيق بن يعقوب الزهرى (٤) وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقى هذا (٥).

ولم يبيض مالك كتابه طول حياته فكثرت رواياته على تراتيب مختلفة، و اختلف أصحابه فى بعض الأحاديث، قال أبو زرعة الرازى (٦) لو أن رجلا

(١) أبو نعيم الأصفهانى: حلية الأولياء ٦ / ٣٢٦.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) أبو نعيم الأصفهانى: حلية الأولياء ٦ / ٣٢٦.
(٤) لم أقف على ترجمته
(٥) القاضى عياض: المدارك ٢ / ٧٣.
(٦) هو الامام حافظ العصر عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ ←

حلف بالطلاق على أحاديث مالك التى بالموطأ على أنها صحاح كلها لم يحنث (١).

فلم يبلغ أى كتاب آخر فى الصحة و الثقة إلى هذا المنتهى .

بعض الأبيات فى وصف الموطأ :

ونثبت هنا أبياتا من قصيدة ابن سعدون (٢)

أقول لمن يروى الحديث و يسلك سبل الفقه فيه و يطلب
إن أحببت أن تدعى لدى الحق عالما فلا تعد ما يحوى من العلم يثرب ،
أتترك داراً كان من بيوتها يروح و يغدو جبريل المقرب
و مات رسول الله فيها و بعده ، بسنة أصحابه قد تأدبوا ،
فبادر موطأ مالك قبل فوته فما بعده إن فات للحق مطلب ،
و دع للموطأ كل علم تريده ، فان الموطأ شمس العلم والغير كوكب ،
و من لم يكن كتب الموطأ ببيته فذاك من التوفيق بيت مخيب ،

القرشى مولاهم الرازى ، كان من أفراد الدهر حفظا و ذكاء ، و دينا و اخلاصاً و علما و عملا ، قال أبو حاتم : ما خلف أبو زرعة بعده مثله ، مات فى آخر يوم من سنة أربع وستين و مأتين (الامام الذهبى: تذكرة الحفاظ ٢ / ١٣٧) .

(١) القاضى عياض : المدارك ٢ / ٧٣ .

(٢) وهو محمد بن سعدون بن على بن بلال البدرى ، كان من أهل العلم بالأصول و الفروع سمع من أبى إسحاق التونسى و ابن بالشاذ ، وله كتاب الاكمال لأبى اسحاق التونسى ،روى عنه أبو على الصدفى و أبو على الغسانى ، توفى باغمات سنة خمس و ثمانين و أربع مأة (ابن فرحون : الديباج المذهب ٣١١) .

جزى الله عنا فى موطاه مالكا — بأفضل ما يجزى اللبيب المهذب ،
لقد فاق أهل العلم حيا وميتا — وصارت به الأمثال فى الناس تضرب ،
فلا يزال يسقى قبره كل عارض — بمندفق ظلت عزاليه تسكب (١)

وللقاضى عياض (٢) قصيدة جميلة ودقيقة فى وصف المؤطأ ، يقول فيها :

إذا ذكرت كتب الحديث فخيرها — كتاب الموطأ من تصانيف مالك
أصح حديثا و أثبت سنـــة — و أوضحها فى الفقه نهجاً لسالك
عليه مضى الاجماع فى كل أمة — على رغم خيشوم الحسود المماحك
فعنه فخذ علم الديانة خالصا — فعنه استفـــد شرع النبي المبارك
وشد به كف الضنـــانة تهتدى — فمن حاد عنه هالك فى الهوالك (٣)

واعلم أن نحوا من ألف رجل سمعوا الموطأ من مالك و أخذوه عنه فكثرت رواياته و رواه عنه الطبقات المختلفة من الناس من الفقهاء و المحدثين و المتصوفة و الأمراء و الخلفـاء ، و أما الروايات المتـــداولة فى بلاد العرب فهى عـــدة روايات (٤) .

« يتبع »

---

(١) القاضى عياض : المدارك ٢ / ٧٨ ، الحافظ ابن عبد البر : التمهيد ١/٨٢ باختلاف يسير فى بعض الكلمات .

(٢) سيأتى ذكره .

(٣) القاضى عياض : المدارك ٢ / ٧٩ .

(٤) قال القاضى عياض : و الذى اشتهر من نسخ الموطأ مما رويته أو وقفت عليه أو كان فى رواية شيوخنا أو نقل منه أصحـاب اختلاف الموطآت عشرين نسخة ، و ذكر بعضهم أنها ثلاثون (المدارك ٢ / ٨٩) و ذكر المؤلف إحدى عشرة نسخة .

خلق آدم و نظرية النشوء و التطور

الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى

تعريب : الأستاذ محمد أكرم الندوى مدرس بدار العلوم لندوة العلماء

يقولون : إن عالمنا هذا الذى نعيش فيه ظهر إلى حيز الوجود قبل الميلاد المسيح بـ ٤٠٠٤ سنة و ظلت هذه الفكرة حقيقة ثابتة و سائدة فى أوربا حتى القرن الثامن عشر الميلادى ، و لكن الباحثين شككوا فى صدق هذه الفكرة ، و اتجهوا إلى إجراء بحوث جديدة أدت إلى أن عمر الأرض أطول من هـذا بكثير ، و أن القوى الطبيعية قطعت مسافة طويلة من الزمان فى تهذيبها و تسويتها و بناء صعيدها (١) .

تكونت أرضنا قبل ميلاد المسيح بـ ٤٠٠٤ سنة ، تبتنى هذه النظرية على أساس أفكار الكتاب المقدس ، إذ تؤكد نصوصه أن الله خلق الأرض و السماء وسائر المرافق الحيوية فى ستة أيام ، و خلق آدم فى اليوم السادس ، و الخطأ الرئيسى الذى وقع فيه الأحبار و الرهبان أنهم ـ بدلا من أن يعتبروا هذه الايام ست مراحل « Periods » ـ قاسوها بأيامنا هذه التى يعدل يوم منها أربعا وعشرين ساعة ، بينما نرى التعاليم الاسلامية تقرر أن يوما عند الله كألف سنة مما نعد (٢) بل و يمكن أن يكون خمسين ألف سنة (٣) فلا ترادف «الايام الستة» الاسبوع الذى عهدناه ، بل تعنى مدة طويلة ، لا يدرك كنهها إلا الذى أبدع الكون

(١) The Earth ص ١٣ ، طباعة لندن ١٩٨٤م .
(٢) انظروا سورة الحج الآية ٤٧ .
(٣) سورة المعارج الآية ٤ .

وخلقه ولم يكن شيئاً ، ومن ثم فان هنالك فرقا كبيراً و أساسياً بين آراء المسلمين و آراء أهل الكتاب ، و بالرغم من هذا الخلاف الشديد و البون الشاسع فما أغرب دعوى أهل الكتاب و أبعثها على العجب أن الأفكار الاسلامية مستقاة من اليهودية والمسيحية ، مع أننا نشاهد أن هذه الصحف المحرفة تعجز كل العجز عن مواجهة الأفكار والاكتشافات العلمية الحديثة و أما الآراء والأفكار الاسلامية فانها لا تتعارض و لا تتناقض مع التقدمات العلمية الحديثة على طول الخط .

منذ أن حدث بعد النهضة الأوربية الحديثة (Renaissance) الصراع بين العلم و الدين المسيحى أدى ذلك إلى أن الباحثين و الدارسين من علماء الغرب بدأوا ينظرون إلى كل ما يمت إلى الدين بأى صلة بعين ملؤها الريب و الشك ، و نشأت فى القرن الثامن عشر حركات تحدت فكرة إيجاد الكون فى ستة أيام و اعتبار مبدأ آدم قبل المسيح بأربعة آلاف سنة تحدياً فاضحاً ، بل و نسبت القصص التى نص عليها سفر التكوين من الكتاب المقدس إلى الأساطير و الأباطيل (Myth) و إن بوفون (Buffon) (١٧٠٧ — ١٧٨٨) هو أول من أثار قضية « إبداع الكون » و تحدى تشبيه خلق آدم بالله (كما ينص عليه ١/٢٦ سفر التكوين) ثم إن الاكتشافات الجيولوجية (Geology) أزاحت الستار عن تاريخ الأرض تتسم بالواقعية التاريخية أوسع بكثير من تقويم الكتاب المقدس ، و تضع الأصبع على الأخطاء الواردة فى القصص و الحوادث عن هبوط آدم، وظهر « كانت» (١٧٢٤ — ١٨٠٨) فزعزع أركان هذا الاستدلال مستندا إلى الدعائم الدينية الطبيعية المبتنية على الدقة و النظام ، و جاء دارون (١٨٠٩ — ١٨٨٢) فأتى على البقية الباقية وشن هجمة شعواء عن طريق نظرية النشوء و التطور على فكرة أبوة آدم ، فتفسيرات الكتاب المقدس لا تقوم على

التعبيرات العلمية عن الابداع و التكوين بل إنها خلاصة مجردة للمتقدات اليهودية التي تقوم على الوشائج الثلاثية للاله و الانسان و الكون (١) .

فالاكتشافات العلمية الحديثة (التي التحمت معها الأفكار المادية إلى حد كبير) تأهبت و أخذت عدتها وعتادها لزعزعة أركان الدين عن طريق بث بذور التشكيك فى كل شأن من شئونه ، و توجيه الطعون و الانتقادت اللاذعة إليه، و هذه المحاولات لا تزال مستمرة ، و لكن من الضرورى هنا ملاحظة أن أهل الغرب حينما ينتقدون الدين أو ينسبونه إلى التخلف والرجعية ، فانما يعنون بذلك الدين المسيحى ، فلم يكن لهم أى عهد إلا بهذا الدين ، بينما نرى الاسلام يقدم كل شيء فى صورة واضحة جلية مستندا إلى الحقيقة و الواقع ، فالعقائد و الأفكار الاسلامية لا تتعارض مع الاكتشافات و البحوث العلمية الحديثة بل و توافقها، لأن الاسلام دين الفطرة و السنة الالهية المطبقة فى الكون ، و لكن باللأسف البالغ فان المفكرين الغربيين لم يدرسوا الاسلام و حقائقه بهــذه الرؤية الفكرية و لو أنهم فعلوا ذلك لا ستثنوا الاسلام خلال انتقادهم للدين ، و على كل حال فقد آن الأوان أن يقوم العلماء و الكتاب من المسلمين و يدرسوا الاكتشافات و الأفكار العلمية الحديثة ويبرهنوا فى ضوئها على سمو العقائد والأفكار الاسلامية و يعرفوا البشرية التائهة الضالة بالهداية الربانية ، هذا من كبرى الضروريات العلمية فى العصر الراهن ، فالمسلمون اليوم هم المسئولون عن هداية النوع البشرى ، وهم الذين ألقى على كواهلهم هذا العبء الثقيل .

إن أشد النظريات تضليلا من بين النظريات المادية الموجودة اليوم هى

---

(١) Macmillan Dictionary Of Haitory Of Science ص ٦ ، طبع لندن ١٩٨٥م .

نظرية النشوء والتطور ، وقد ظهرت فى العصور الغابرة كذلك فى صور و أوضاع مختلفة ، و لكن شموليتها و استئسارها لقلوب الناس إنما هى من معطيات العصر الراهن ، فقد بلغت ذروتها فى معارضتها للدين و سحرت الباب المثقفين ، و يعنى تصديق هذه النظرية إنكار إبداع خالق الكون و ربوبيته ، فتفسير النشؤ والتطور أن أشياء العالم تنشأ و تتطور و من دون أدنى تدخل لمبدع الكون ، حتى أن المادة « Matter » كذلك ليس لها مبدع أو خالق ، بل إنها تواجدت بنفسها و تطورت إلى مادة الحياة ، ثم تكونت منها جرثومة الحياة ، حتى أن هذه الجرثومة تطورت من صورتها البسيطة إلى الأنواع المعقدة ، فسببت إيجاد ما لا يحصى من أنواع النبات والحيوان (Species) ، ثم إن هذه الجرثومة ومن دون أن تعمل فيها يد صانع أو مبدع تطورت وظهرت فى صورة الانسان، ترى هذه النظريات أن مادة الحياة البدائية استغرقت عشرات الملايين من السنين فى مراحلها التطورية إلى الانسان كما قد بينت ذلك بحوث و اكتشافات علم طبقات الأرض (Geology) و علم الآثار (Archaedogy) و توصلت النظريات الحديثة إلى أن عمر الأرض يقارب أربعة آلاف مليون وخمس مأة مليون سنة ، و إن بحوث علم الانسان (Anthropology) كذلك ترى أن الانسان وجد فى الأرض قبل ملايين من السنين فى صور مختلفة (من القرد إلى شبه الانسان) فكيف يصدق ما ينص عليه الكتاب المقدس من أن العهد البشرى إنما يرجع إلى ستة آلاف سنة (أى قبل المسيح بأربعة آلاف سنة) هذه هى القضية التى قد زعزعت إيمان المسيحيين ، و فى كلمة أخرى فان النظريات العلمية الحديثة قد اقتلعت المسيحية من جذورها ، و ليست معتقدات المسيحية و نظراتها الآن إلا بمثابة هذيان المجانين بل حسب تصريح دائرة المعارف البريطانية فان الصحف الدينية المسيحية قد استسلمت للتيار الجارف و السيل العرم للداروينية .

إن الموجة الرابعة للعقلية برزت سنة ١٨٥٩م بعد ما نشر كتاب « أصل الأنواع لمؤلفه دارون فى انجلترا فى عهد الملكة فكتوريا ، و اعتبر هذا الكتاب تحدياً مكشوفاً لسلطان الصحف الدينية ، فان هنالك تناقضاً مشيناً بين تفسير « سفر التكوين » للخلق و التفسير البيولوجى الذى يرى أن الانسان تطور من الأنواع السافلة ، وظل الصراع مستمراً إلى العقود من السنين وكان هذا الصراع عنيفاً و مليئاً بالحقائد و الضغائن ، و لكنه لفظ نفسه الأخير و لم تصمد انظرية التطور التى حظيت بالاقبال العام و التلقى الشامل .

الواقع أن الديانة المسيحية ليست مجموعة التعاليم الناقصة فحسب ، بل إنها لاتملك أى وسيلة تقاتل بها الأسلحة الحديثة الفتاكة و تذود عن نفسها الهجمات الشعواء التى تشنها عليها الأفكار و الفلسفات المتجددة ، فان الديانة المسيحية لم تكن ديانة أبدية خالدة ، و من هنالك فانها حافلة بالمعايب و المثالب ، و على العكس من ذلك فان الاسلام هو الدين الوحيد الذى لا يقدر على أن يمنع نفسه من الهجمات الفلسفية و العلمية المعاصرة فحسب ، بل إنه يستطيع كذلك أن يشن هجمات عنيفة على النظريات الضالة المادية الخاوية و يستأصل جذورها ، فالاسلام هو دين الله الوحيد و دينه الصادق القويم ، ولا يخفى أنه لو لم يكن من عند الله لما قدر على مواجهة أحدث النظريات و الاكتشافات العلمية الباهرة ، الأمر الذى يقرر أن لهذا الكون مبدعا لم يزل و لا يزال ، أفكاره أبدية خالدة لا يعروها زوال و لا تغيير كما أن ذلك يؤكد تأكيداً قوياً أن دين الاسلام هو دين الاله الذى أبدع الكون و من البين الواضح أنه مادام ليس هنالك أى تناف بين الاسلام و الكون (على عكس ما نشاهد من تناف بين المسيحية و الكون) فلابد لنا أن نقتنع بأن الكون و الدين يستندان إلى أصل واحد و ينبثقان من منبع واحد .

إن نظرية النشوء و التطور تحمل فى طيها اليوم تحدياً صارخاً للدين ، فكما أن الايمان بالله شعار لأتباع الديانات كذلك فان الخضوع لنظرية النشوء والتطور أصبحت بمثابة رمز لتجددية المثقفين ، لا يخفى أن هذه الظرية من مقررات المناهج الدراسية لجميع المدارس و الكليات كبحث أساسى للبيولوجيا ، وترسخ هذه الفكرة فى عقول الطلبة كحقيقة ثابتة لامراء فيها ، فانك ترى عقول الطلبة المسلمين فضلا عمن لايدينون الاسلام قد سرى إليها مفعول هذه النظرية السامة ، فلا بد لنا أن نهتم أولا بناشئينا و نمنع عقولهم من سموم هذه النظرية الملحدة .

و لا يخفى أن تطور الكون و تطور الحياة أمران متباينان و لكن الماديين يزعمون ـ ليتوصلوا إلى إنكار الله ـ أن الحياة ظهرت من دون أن يكون لها مبدع ، و إن امتداد الحياة ليس من صنع خالق ، و إنما هو تطور و ارتقاء مع أنها مزاعم و دعاوى لا تستند إلى برهان علمى و لا دليل ثابت ، هذه الدعاوى لا يمكن اثباتها فى أى معمل فى المعامل التجريبية ، بل الواقع أن الانسان رغم ما أحرز من تقدمات شاملة فانه لا يعرف أبجدية الحياة .

فمن الواجب المحتم على علمائنا أن يقبلوا على دراسة العلوم الحديثة دراسة عميقة و يثبتوا جهل هذه المزاعم المادية من وجهة النظر العلمية ، و يعتبر ذاك مأثرة تجديدية فى العصر الحديث و خدمة كبيرة للدين و هذا ما نعرفه باسم علم « الكلام » ، و هى حاجة علمية مهمة فى العصر الراهن .

ولا يخفى أن الاكتشافات العلمية و النظريات المادية أمران مستقلان لأن الماديين يخلطون أهواءهم بالحقائق العلمية فلا بد لنا من الفصل بينهما ، فالعلوم المجردة ثروة قيمة للمعارف البشرية ، و إنها حجة من الرؤية الاسلامية ، وملخص القول أنا لا نعارض إلا النظريات المادية ، و من بينها نظرية النشوء و التطور .

كان المتقدمون من علمائنا قد اخترعوا علماً الكلام لدحض مزاعم الفلسفة الاغريقية ، و الآن نحن مطالبون بتأسيس علم للكلام نواجه به العلوم و النظريات الحديثة لاسيما الأفكار و الفلسفات المادية ، فالعالم الاسلامى ينتظر اليوم إعادة تدوين علم الكلام ولا ينكر ما له من فضل و أهمية ، لئن لم يشعر مفكرونا و علماؤنا بخطورة و جدية الوضع الراهن ولم يقوموا بخطوة جادة تجاهه فان الزمان المستقبل لن يغفرلهم ولم يصفح عنهم ، الواقع أنه أصبح من اللازم المحتم مواجهة تيارات الالحاد واللادينية الناجمة من الفكر الغربى على أسس علمية ، و إنقاذ النوع البشرى بصفة عامة و العالم الاسلامى بصفة خاصة من تأثيراتها السامة ، و إننا مسئولون امام ربنا لوتغافلنا عن ذلك فان المسلمين هم الذين يتميزون بأنهم حملة شريعة خالدة و دين أبدى ، و من ثم منقذون للعالم بأسره ، فلئن فشلوا فى القيام بهذه المسئولية فمن ذا الذى يأخذ بيد العالم البشرى .

و لا يخفى أن علم الكلام الحديث لم يعد منحصراً فى نطاق المعتقدات بل قد امتد افقه إلى العبادات و الأخلاق و العقود وجميع شؤون الحياة ، فان صحة الأديان تتوقف اليوم على فلسفتها للحياة بأسرها، لاعلى مجرد معتقداتها وأفكارها، فلابد فى العصر الحديث لتقرير الاسلام ديناً متكاملا وخالداً من إثبات أن هذا الدين يقدر على معالجة القضايا البشرية فى كل مجال من مجالات الحياة ، الواقع أنه مادام الاسلام لا يقدم اليوم فى مواجهة الأفكار و الفلسفات المادية فى صورة فلسفة كاملة (تدحض بها الفلسفات الباطلة و تكون كلمة الله هى العليا) لايرجى حدوث أى انقلاب فى عالم الفكر والنظر ، ولن يستتب الأمر للاسلام ، و بكلمة أخرى فانه لابد لاحداث ثورة فكرية و عقلية من أن يقدم منهج الحياة الاسلامى فى صورة فلسفة جديدة ، فالحديد بالحديد يقطع ، و الفلسفة بالفلسفة

تدحض، لأن العصر الحديث عصر العقلية Rationalism ، ولن تقنع الناس اليوم إلا الأمور التى تستند إلى البراهين العقلية القاطعة و تعتمد على الأسس العلمية الثابتة ، و لن يجدى مجرد الوعظ و القاء الخطب أى نفع ، فقد تغيرت القيم (Values) فى زماننا هذا .

فأكبر عائق فى سبيل الدين اليوم هى الفلسفات المادية و الأفكار المادية وأكبر نظرية من بين هذه النظريات هى التى تعرف باسم نظرية النشوء و الارتقاء، الحقيقة أن هذه النظرية ليست حقيقة علمية و قانوناً طبيعياً (Law Of Nature) إنما هى قياس و افتراض ، إنها نشأت من أجل عداء الدين الناتج من الصراع التاريخى المستمر بين العلم و الكنيسة ، و قد ساهم اليهود و الاشتراكيون مساهمة فعالة فى نشرها على الصعيد العالمى تبنوها انطلاقاً من مصالحهم الشخصية و القومية و دعموها تدعيماً ، و أذيعت هذه النظرية و عنى بها عناية حتى أنها رغم كونها افتراضاً مادياً تشكلت فى صورة شجرة باسقة و أصبحت قضية مسلمة فى الدوائر العلمية بل احتلت مكانة العقيدة كأنها عقيدة حديثة فى مواجهة الدين و كما قدمنا أن مناهج الكليات والجامعات تتضمن مقرراتها فى موضوع البيولوجيا فصلا باسم « النشوء و الارتقاء » (Evolution) يركز فيه على أن أنواع الحياة المعقدة كلها نشأت من الأنواع البسيطة (من دون أى تدخل للاله) نشوءاً تطوريا ، الظاهر أن الاعتراف بصحة هذه النظرية يعنى انكار وجود خالق أو مبدع ، و إنكار الاله يؤدى إلى أن يتحرر الانسان من سائر القيود الدينية و الاجتماعية ، فانه إذا لم يكن من صنع رب مبدع و نشأ بنفسه نشوءاً تطورياً من دون أى تخطيط أو تصميم أو تدخل للاله فلماذا يستجيب لقيود خلقية و شرعية و يضحى بحريته و يدخل فى عنقه ربقة العبودية ، و لماذا يزهد فى ملذات الحياة و متعها و يعيش

حياة القناعـــة ، و موجز المقول أن « حيواناً متطوراً » أو « حيواناً جميلا » ـ ليس له خالق ولا مبدع ـ لماذا يربط نفسه بالملكوت و الملكوتية ، هذه كلها ثمار منطقية لتلك النظرية الموضوعة المزعومة ، و بناء على ذلك فان لهذه النظرية تدخلا كبيراً فى نشر الالحاد و اللادينية على المستوى العالمى كما يراه المتخصصون و المفكرون ، بل الواقع أن هذه النظرية قد أصبحت تحدياً صارخا للعالم البشرى فقد كتب أحد كتاب (The Encyclopedia Of Ignorance) تاملن (E. W. F. Tomlin) و هو يلقى ضوءاً مفصلا على الرد عـــلى نظرية النشوء و الارتقاء بالاستناد إلى متخصص فى معالجة « المــخ » كارل استيرن أن النوع البشرى يواجه اليوم ثلثة تهديدات كبرى منها نظرية النشوء والتطور ، و الآخريان هما الماركسية و الفرويدية (١) .

هذه هى خطورة القضية يواجهها العالم البشرى اليوم كأن هذه النظرية عرقلة كبيرة فى السبيل الدين ، و مادام هذا العائق لا يزحزح عن السبيل فان الانسان الخاضع للعقل اليوم لن يؤمن بالدين و يصدق بقضاياه ، و هذا الواقع ينطبق تماماً عـــلى أغلبية المثقفين من المسلمين فان أمثال هؤلاء المثقفين مهما تظاهروا بالاسلام تحت ضغوط التأثيرات الاجتماعية أو البيئة الدينية الأهلية لايرجى منهم أبداً أن يقتنعوا بسيادة النظام الدينى وحكمه اقتناعاً ناشئاً من قرارة نفوسهم ، إن اقتلاع هذه الفتنة من جذورها أو تغسيل المخ البشرى يتطلب أن يدحض أمثال هذه النظريات المادية فى مجال الاستدلال ، و يكشف عن مواضع الضعف فيها و مواطن الزيغ فى ضوء البراهين العلمية ، و لن يكفى مجرد إصدار الفتاوى ضدها ، وإن الأنبياء والمرسلين يتلقون من عند الله تعالى الآيات البينات والبراهين

(١) ص ٢٢٨ ، طباعة أوكسفورد ١٩٧٨م .

الساطعات لدحض عقلية عهودهم و إبطالها فيحكمون بين الناس فيما هم فيه يختلفون و يهدونهم إلى الصراط السوى المستقيم ، يقول الله تبارك و تعالى .

« كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين ، و أنزل معهم الكتاب بالحق يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (١) .

و يقول تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط (٢) » .

فمن أهم خصائص الرسل ومزايا الكتب السماوية أنهم يبعثون فى كل عهد لدحض فكرته و عقليته و القضاء على خلافاته الفكرية و الاعتقادية بقول فصل من عند ربهم يستند إلى الآيات البينات و البراهين الربانية ، و لما كانت الرسالة قد ختمت على النبي محمد ﷺ و توقف الوحى السماوى فان الله عزوجل قد حلى كتابه الأخير القرآن الكريم بالآيات البينات و البراهين الساطعة من كل نوع ، يواجه بها العقليات المختلفة إلى يوم القيامة ، فمن واجبات علماء الاسلام أن يقوموا للرد على المزاعم العقلية و يدرسوا العلوم الحديثة دراسة جادة عميقة ، و يقدموا للناس الآيات الالهية و البراهين الربانية وبذلك تنكشف جوانب متجددة ومعجزة للتوجيه الربانى و يتأكد الايمان بأنه كلام إلهى .

إن نظرية النشوء و التطور موضوع متسع و له جوانب متعددة فلا يمكن لشخص واحد أن يعالج جميع قضاياها و بحوثها ، و إن جماعة بكاملها تقدر على أن تخوض غمار هذا الموضوع ، ولقد استعصى على العد و الحصى ما نشر باللغة الانجليزية عن هـــذا الموضوع و لكن وجوما مقلقا و محزنا يغشى عالم اللغة الاردية ، كأن أمتنا لا تشعر بتاتا بخطورة هذه القضية التى هى بمثابة حد فاصل بين الحق و الباطل .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٣ .   (٢) سورة الحديد الآية ٢٥ .

يمكن أن يرى بعض الأشخاص أن الشعب الناطق باللغة الأردية لا يحتاج إلى مثل هذه الأمور، أو أن جهله بهذه الأباطيل أفضل من معرفته بها، ولكن يكمن فى طى هذه الوجهة خطأ كبير، لأن العالم الأردى ليس جاهلا بها جهلا تاماً، بل إن معرفته بالوجهة الفكرية الايجابية أكثر، حتى نرى أن بعض العلماء كذلك يتأرجحون فى هذه القضية، و قد أثرت شخصياتهم فى عالم الفكر و النظر تأثيراً كبيراً، و لم نطلع بعد على دراسة شاملة تقوم بتحليل هذه القضية على أسس الرؤية الاسلامية الصحيحة، و لا على فلسفة فكرية تقوم بالرد عليها أو دحضها، و بناءاً على هذه الأسباب فان المثقفين بصفة عامة قد استأسرت قلوبهم و سحرت عقولهم هذه النظرية المادية و ينظرون إلى تعاليم الاسلام بعين الريب و الشك، و ينكرون صحة الفكر القائل بخلق آدم و وجوده الشخصى، كأن شخصيته أقصوصة أو أسطورة تاريخية، فأصبح من اللازم المحتم علينا أن نقوم لانقاذ الجيل الجديد و الناشئين من أبناء أمتنا من موجات الالحاد واللادينية التى تحيط بهم من كل جانب.

هذا هو الوضع الخطير الذى دفع كاتب هذه السطور إلى إعمال الفكر فى مضامين هذه القضية منـــذ سنوات عديدة، و بعد الالمام بأبعاد هذه القضية و خطورتهـا قمت بدراسة القرآن الكريم بقلب مفتوح حتى اقتنعت بأن القرآن الحكيم و نظرية النشوء و التطور على طرفى النقيض، و لا يمكن إيجاد التطبيق بينهما، وإن العلماء والمفكرين الذين حاولوا التوفيق بينهما قد وقعوا فى خطأ كبير، وظللت أعمل التفكير و النظر و أجمع الدلائل و البراهين مما يدعم رأيى و يؤيد فكرى حتى تشكلت فى صورة كتاب، و هذا الكتاب الذى بين يدى القراء إنما هى الحلقة الأولى من هذا البحث، أكثرت فيه من تقديم الدلائل الشرعية التى تثبت أبوة آدم عليه السلام إثباتاً مقنعاً.

إنى ركزت فى هذا الكتاب على أن أقوم بعملية التطهير الفكرى لطبقة المسلمين ، و صيانة الجيل الجديد من تيارات الالحاد و اللادينية ، الواقع أن واجب إصلاح المسلمين يتطلب منا الأولوية قبل إصلاح النوع البشرى ، لابد من توجيههم إلى التعريف بنظرة الكتاب الذى يؤمنون به تجاه هذه الفكرة المادية ، و من ثم فقد أكثرت فى هذا الكتاب من العناية بالدلائل الشرعية و الاهتمام بها ثم عززتها ببعض الشواهد العلمية الحديثة ، و قد تعرضت فى البابين الأولين من هذا الكتاب لتقديم تعريف شامل بهذه النظرية و أبعادها و تحليلها و التعليق عليها ، فان هذا عهد الاستدلال و الاستنتاج لاتنفع فيه مجرد الدلائل الشرعية ، وانطلاقاً من هذا الشعور بخطورة منهج المعالجة قمت بتحلية هذا الكتاب بالنوعين العلمى و الشرعى من الأدلة و البراهين و حاولت تقديمها فى أسلوب جديد يصل به الدارس إلى أن كلا منهما يؤيد الآخر و يصدقه ، و يجتمعان و لا يختلفان ، كأنهما انبثقا من نبعة واحدة ، و ينتميان إلى دوحة واحدة .

إنى قمت باستعراض نظام الطبيعة و نظام الشريعة من وجهة فكر جديدة و حاولت تأليف فلسفة شرعية جديدة ، وهذه محاولة لم أسبق إليها ، و لكن لا أدرى إلى أى حد نجحت فيما نويت و أردت ، و لست مغترا بأنى عالجت القضية من سائر جوانبها ، و لا يخفى أن المحاولة الفردية لن تنجح فى الاحاطة بسائر الجوانب لهذا الموضوع الشامل .

و على كل حال فان صيانة النوع البشرى من الوقوع فى ورطات هذه النظرية المضللة الخاوية من الضروريات الأساسية فى هذا الزمان ، فانها عرقلة كبيرة فى سبيل الدين و الخلق و تأثيرهما فى الحياة البشرية ، و إن إعادة القيم الخلقية و البشرية إلى مكانتها لتعتبر من المآثر التجديدية فى العصر الراهن ، و هذه المأثرة

لن يحسن القيام بأدائها إلا الذين يحملون أمانة الرسالة الالهية الخالدة .

و أقوى شهادة تقوم لتدعيم نظرية النشوء و التطور أن العظام العتيقة البالية التى حصل عليها أثناء عملية حفر الأرض ، و التى يعبرعنها بالآثار الحفرية يقدر أنها ترجع فى قدمها إلى مآت الألوف من السنين ، وإن بعضا منها تتصل بالنوع الأدنى من الانسان المعاصر ، أى الأنواع (Species) التى تعتبر بين الانسان و القرد ، كان الانسان المعاصر تطور من الحيوانات السافلة و من دون أى تدخل إلهى إلى التشكل فى صورة حيوان أعلى (Higher Animal) ولا مكانة لآدم من بين هـــذه الأنواع المتعددة ، فلا تمكن نسبة أى نوع من الأنواع المختلفة من القرد حتى الانسان المعاصر إلى اسم « آدم » و بناءاً على ذلك فلن تصح تصريحات الكتاب المقدس و الصحف السماوية الأخرى عن آدم ، كما أن العلم الحديث يتحدى الكتاب المقدس فى دعواه أن عهد آدم يرجع إلى أربعة آلاف سنة قبل المسيح ، إذ البحوث الأثرية قد أثبتت أن الانسان وجــد فى الأرض قبل مآت الآلاف من السنين .

و كذلك لما رأى بعض المفكرين المسلمين أنه من الصعب و العسر بمكان التصديق بحقيقة آدم اندفعوا إلى الادعاء بأن قصة آدم فى القرآن الكريم ليست إلا تمثيلا ، و لا تمت إلى الواقع بصلة ، مع أن أحــدث البحوث الأثرية لم تصل إلى اليوم إلى نتيجة حتمية و نهائية ، ولم تظفر بأى شهادة أو دليل ، و إن مزاعمها لا تتعدى بعض الافتراضات و التخمينات .

إطلالة على المجتمع الغربي الحديث :

نظرية « الاباحية » و مفاهيمها

-٣-

بقلم : الأستاذ سلطان أحمد الاصلاحي

تعريب : الأستاذ آفتاب عالم الندوى
مدرس بدار العلوم ندوة العلماء

الشذوذ الجنسي :

من المبادىء الثابتة أن الشر يجلب الشر كما أن الخير يمهد الطريق إلى الخير ، و هذه حقيقة ناصعة نستطيع أن نلمسها بالبنان فى الغرب ، فانه لما تفلت من العفة و النزاهة الجنسية و تخلى عنها ، و أقبل على شقاء الاباحية الجنسية تعرض لأنواع منوعة من هذا الشر و الشقاء ، و ما زال ينحط فى بؤرة الوقاحة و الاستهتار ، و لأجل ذلك فحسب لم يعد هناك أى قيد أو حظر على مزاولة الشذوذ الجنسي و ممارسة العملية غير الطبيعية للرجال مع الرجال فضلا عن العلاقة الجنسية المفتوحة بين الرجل و المرأة ، و حظى اللواط و الشذوذ الجنسي (Homo Se ity) بالظهور و الانتشار فى المجتمع الغربي شأن الاباحية الجنسية المنطلقة ، أعلن برلمان ألمانيا شرعية ذلك قبل مدة بعيدة ، و بريطانيا هى أيضاً تسمح بنهب اللذائذ و إرضاء الشهوات باللواط و السحاق قبل الزواج و بعده على السواء ، (١) و نستطيع أن نقدر مدى سيطرة هذا الوباء و تغلغله فى أحشاء المجتمع الأمريكي بما أن الخواص وقعوا هناك ضحايا هذه الفضيحة فضلا عن الدهماء و الجماهير ، فقد يقال إن مزاولى اشتهاء المماثل ليسوا من عامة المجرمين فحسب بل هم من كل طبقة من القضاة والدكاترة ونجوم اللعب و رجال السياسة

---

(١) الجنس للفتيان ص ١٥٧ .

(Congress Men) (١) طبقاً للأنباء التي وصلت إلينا أخيراً فان مشتهى المماثل عقدوا مؤتمراً عظيماً بمدينة « منى بولس » في أمريكا و كان عنوان المؤتمر :

The National Conference Of Openly Lesbian And Gay Elected And Appointed Officials .

يعني : المؤتمر الوطني للموظفين المنتخبين من اللوطيين و المساحقات .

نالت أمريكا وحدها كرامة أن تم فيها انعقاد مؤتمر مشتهى المماثل بمثل هذه الأبهة و الاحتفال الكبير ، و ساهم في هذا المؤتمر عضوان من الكونغرس بكل وقاحـــة .

أحدهما السيد بأرنى فرينك ، و الآخر كيرى ستدز ، و كلاهما من ممثلي « ميسا جوتس » و ينتمون إلى الحزب الديموقراطي ، كما قدم أحد أعضاء البرلمان البريطاني أيضاً من بريطانيا لحضور هذا المؤتمر ، و اسمــه « الكريم » السيد « كرى اسمث» .

وكان ممن يديرون هذا المؤتمر شخصان : أحدهما عضو مجلس النواب الاقليمي و الآخر مستشار المدينة ، و كان عدد المساهمين في المؤتمر مأة ، و ذكر في كلمة الشكر للمؤتمر أن انعقاد هذا المؤتمر لهو نفسه نجاح كبير و انتصـار عظيم ، فانه لما انعقد مثل هذا المؤتمر لمشتهى المماثل قبل عامين كان عدد المساهمين خمسين على الأكثر، مما يشير إلى نجاح المؤتمر فيما يتبناه من أغراض وأهداف ، و ورد التصريح في تلك الكلمات بما يلي :

« مزاولة اشتهاء المماثل لم يعد شيئاً ممقوتاً تعافه الطبائع وتنكمش له النفوس فقد أخذ في الظهور و الانتشار و بدأ يتصاعد قبوله و رواجــه لدى الأوساط و المجتمعات ، و بذلك بدأت تتقلص و تندفع دوافع الروع و التلكأ من الذين

(1) The Sociology Of Sex P.227 .

يحتضنونه و يمارسونه و تحل محله الجراءة و العزيمة الأكيدة و التحرك و الانتعاش بخطى باحثة حثيثـــة ، حيث يشتغل الآن سبعون موظفاً من مشتهى المماثل فى مكتب « مير واشنطون » و أربعون فى هيئة والى نيويورك .

قال المشرفون على المؤتمر و هم يسلطون الضوء على الغايات و الأهداف التى يتوخاها المؤتمر : إن الغاية الأصيلة التى يرمى إليها المؤتمر وراء قصارى جهده تتمثل فى إعداد مرسوم لمشتهى المماثل ، و أضاف قائلا : :

قام المزاولون لاشتهاء المماثل باحتجاج فى شهر اكتوبر بواشنطون ، اشترك فيه مائتا ألف شخص ، و ألقى البوليس القبض على ١٦٢٤ شخص لفض الزحمة وتفريقها ، ولكن المؤتمر لن يكتفى بالاحتجاجات للاقناع بمطالبه وتحقيق أهدافه ، إن أعضاء المنظمة و المشرفين عليه ليسعون جاهدين لاتخاذ خطوة هامـــة ، الرجعيون أو المعارضون لاشتهاء المماثل يزدادون تزمتا و تعنتـــا ، فلن نستطيع الاحتفاظ بأنفسنا و تأمين مخططاتنا إلا بالوحدة و التضـامن ، و هناك صورة أخرى لمقاومتهم و هى أن نزيد مطالبنا و نضاعفها أضعافاً مضاعفة .

و قال أحد الخطباء المساهمين فى هذا المؤتمر : نحن الآن فى أقلية و لكن ليس بعيداً عندما نكون قد صادف موقفنا القبول العام و التجاوب الحار ، و من المؤسف أن مشتهى المماثل اعتبروا منبوذين و خلماء ، و فرض عليهم الحظر ممارسة نشاطاطهم فى حقل السياســـة و إلا سهل علينا الاقناع بمطالبنا ، فقد شهدنا فى الانتخاب الأمريكى أن المرشح الذى تفطن له المصوتون أنه من مشتهى المماثل تنكبوا عنه و قاطعوه ، و لكن الآن بدأت تتجلى تباشير النجاح كالأنبع الصبح ، حيث قد انتصر أحـد مشتهى المماثل فى الانتخاب « بســان فرنسسكو » و الآخر فى « كيرونيا الشمالية » وكان المصوتون يعرفون عنه ذلك

و أنه أيضاً لم ير بأسا فى إبداء ذوقه و غرامه باشتهاء المماثل ، رغم ذلك صوت له الجماهير حتى وفق للنجاح .

و قال خطيب آخر : لم يعد مشتهو المماثل ينظر الناس إليهم نظرة مقت و احتقار فى نقابة العمال ، كما أن الشيوخ و المتعطلين أيضاً لا يستنكرون على مشتهى المماثل .

إن « جيسى جيكسون » المرشح للرئاسة من الحزب الديموقراطى و الذى هو أسقف لقد أرسل رسالة النصح و المناصرة إلى المؤتمر التى قرئت فيه .

اتفق المؤتمر على أن تقدم مطالب مشتهى المماثل فى صورة مشروع فى البرلمان ، و أيده بعض ممثلى البرلمان ، و مطالب مشتهى المماثل كما يلى :

١ـ رفع الحظر عن تجندهم فى الجيش .

٢ـ توظيفهم فى الوظائف الادارية العليا .

٣ـ مساعدتهم بالدعم المالى .

٤ـ إزالة العنف و الكراهية ضدهم و مساندتهم بأوسع نطاق ممكن .

٥ـ لا يفرض الحظر على ما يريدون من المغادرة إلى أمريكا . (١)

إن فى هذا المحضر المفصل لمؤتمر أنصار اللواط المنعقد فى أمريكا لغنى و كفاية عن إلقاء مزيد من الضوء على مستقبل و حاضر الظاهرة المتفشية « لاشتهاء المماثل » فى أمريكا ، و قد بلغت بها الوقاحة و الخلاعة إلى أن أخذت تظهر بين فينة و أخرى المطالبة من الأساقف بانعقاد اجتماعات دعائية مستقلة لمشتهى المماثل ، حيث انعقد اجتماع دعائى قبل عدة أيام عند زيارة

---

(١) آسيا ، لاهور ، ٢٧ ديسمبر ١٩٨٧م - والخبر « مؤتمر أنصار اللواط فى أمريكا ، ص ٢٥ - ٢٦ .

« الآب جون بول » لأمريكا ، اشترك فيه ١٢٧ أسقف من أساقف البروتستانت و الأرثوذكس النصارى ، و طلب من الآب أثناء هذا الاجتماع عقد اجتماعات دعائية مستقلة لمشتهى المماثل (١) و قد بعد العهد بتقرير كنزى (Kinsey) عن أمريكا الذى يفيد أن نسبة ٤٪ إلى ١٨ ٪ من الرجال تزاول اللواط بفروق معدلات متفاوتة و أزمان مختلفة (٢) و نتيجة لفساد الذوق و تشوه الطبيعة ظهرت فى المجتمع الأمريكى صور شتى لهذه العملية الاجرامية الشائنة و وضعت لها مصطلحات خاصة (٣) .

كما عرفتم قبل مدة بعيدة أن ٣٣ شخصاً تم إقصاؤهم من الوزارة الخارجية فى أمريكا لتعرضهم للفوضى الجنسية المنطلقة ، و قيل لا يمكن أن توضع فيهم الثقة عن أسرار الحكومة (٤) .

تفشى ظاهرة مزاولة الاشتهاء بالمماثل فى النساء بجانب الرجال كما يتجلى ذلك بعنوان مؤتمر مشتهى المماثل بأمريكا الذى مر ذكره آنفاً ، فكما أن الرجال يأتون الرجال لتحقيق رغباتهم و إرضاء شهواتهم كذلك النساء يقضين مآربهن الجنسية من النساء ، أما اشتهاء المماثل فى الرجال فكلمة (Homo Sexuality) له معروف ، و لكن النساء يستخدمن لهن فى ذلك مصطلح (Lesbian) الجديد غير أن معدل هذه العملية البشعة ضئيل جداً فى النساء بالنسبة إلى الرجال (٥)

(١) جريدة « دعوت » الأردية الصادرة من دلهى العدد لـ ١٦ سبتمبر ١٩٨٧م ،

(2) The Socioloqy Of Sex P,226 .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٢٥ .

(5) The Socioloqy Of Sex P,227- 228 .

طبقاً لما أفادته المصادر أخيراً ، فان برلمان إسرائيل منح الشرعية لمزاولة اللواط بين الرجال الذين قاربوا العشرين فأكثر (١) .

الالتذاذ الانطوائى :

الصور المختلفة من الشذوذ الجنسى التى يشهدها العصر الحديث منها الالتذاذ الانطوائى ، و لا غرابة فان الانسان إذا جن وراء الجنس جنوناً و فقد وعيه و رشده بحيث تنازل عن العلاقة الطبيعية بين الرجل و المرأة و بدأ الرجال يرضون شهواتهم من الرجال ، والنساء من النساء فأى اعتداد بالتلذذ الانطوائى ؟ و ما الغرابة فى الاستمناء باليد (Masturbation) ؟ و لكن الانطلاق المطرد والجموح المتصاعد فى الجنس الذى تكتسح موجاته العصر الحديث و تهدده بالخطر المحدق لم يسبق له نظير من قبل ، فان ذلك يعد بمثابة تربية قيمة ملحوظة (Valuable Training) للحياة الزوجية المستقبلة بدلا من اعتباره خسارة خلقية أو رذيلة من الرذائل (٢) .

و فوق ذلك فقد يشار على الآباء و الأمهات أن يحرضوا أولادهم على ممارسة مثل هذه العمليات و النشاطات ، فان ذلك يعمل لهم عمل التدرب والتجربة (Reherasl) بعد تكامل عواطفهم الجنسية ونضجها ، و هو عمل طبيعى لائق بالتقدير و الاعجاب غير أنه ينبغى لهم أن يقوموا بذلك بكل تحفظ وسرية تامة ، و لا يتضايقوا بتاتاً بما لوحدثهم هرم مفند بأن ذلك مضر و مأثم من

(١) الجريدة « اندين اكبريس » الانكليزية الصادرة من دلهى الجديدة ٢٥/ مارس ١٩٨٨م بعنوان : إسرائيل تبيح « اشتهاء المماثل » .

(2) Sex In Society P. 108 .

المآثم، فانهم أنفسهم لا بد أن يمروا بهذه المرحلة و قاموا بمثل هذه الأعمال (١) وليس ذلك قضية تهم وتقلق أوربا فقط بل طبقاً لتقرير « كيول دمير » المتخصص الهندى فى الجنس: فان ثلاثين من المراهقين يتم خروج منيهم بالاستمناء (٢) .

و الالتذاذ الانطوائى تتعرض له الفتيات مثل الفتيان ، غير ان طريقتهن فى ذلك يغاير طريقة الفتيان ، كما يقل عددهن بالنسبة إلى الفتيان (٣) أما الفتيان فطريقتهم فى الالتذاذ الانطوائى إنما يتوقف على الاستمناء باليد ، و لكن الفتيات يستخدمن لذلك طرقاً متنوعة منها :

١- غمز عضو الشهوة بالأصابع أو مسه مساً رفيقاً .

٢- غط الأعجاز و الأفخاذ غطا شديداً إلى التحت بحيث تتمدد العضلات فتثير عضو الشهوة بدافع الضغط الشديد ، و قد تضغط فى هذه العملية أطراف الفرج حال تمددها على عضو الشهوة .

٣- بعض الفتيات يباشرن عملية الالتذاذ الانطوائى بادخال شئ يشبه ذكور الرجال فى فروجهن و بذلك يرضين شهواتهن (٤) .

داء الالتذاذ الانطوائى أيضاً داء عام مثل اللواط و السحاق و هو يعم الغرب و الشرق بتفاوت الدرجات ، غير أن الغرب تتوافر فى أسواقها المفتوحة الأعضاء الجنسية الخاصة الصناعية المتحركة بالبطاريات (الذكور و الفروج) التى يتسنى بها للرجال و النساء مزاولة الالتذاذ الانطوائى بكل يسر وسهولة، بينما الشرق و دول العالم الثالث متأخرة جداً فى هذا الصدد .

« يتبع »

---

(١) المرجع السابق (٢) الجنس للفتيان ص ٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١٤٩-١٥٠ و راجعوا للتفصيل : « استراتيجية الجنس بالأردية، لمؤلفه د/ كيول دمير ص ٤٠ مكتبة شمع ، دلهى الجديدة المطبوعة من مطبعة « روبى » ، دلهى .

قواطع الأدلة

فى الرد على من عول على الحساب فى الأهلة

(الحلقة الثانية)

فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجرى

و قد اشتملت الأحاديث التى تقدم ذكرها على فوائد كثيرة من الأحكام التى تتعلق بصيام رمضان و الفطر منه ، الأولى تواتر الأحاديث بالأمر بصيام رمضان لرؤية هلاله و الفطر منه لرؤية هلال شوال و إتمام العدة ثلاثين يوما إذا لم ير الهلال ، و فيها ، بل فى كل حديث منها أبلغ رد على صاحب المقال الباطل الذى قد حاول تشكيك الناس فى شهادة العدول عـــلى رؤية الهلال إذا كانت مخالفة للحساب الذى قد اعتمد عليه و خالف السنة من أجله .

الثانية النهى عن صيام رمضان و الفطر منه حتى يرى الهلال أو تتم العدة ثلاثين يوما .

الثالثة نفى الـكتاب و الحساب عن الأمة المحمدية فيما يتعلق بالأهلة لاستغنائها عن ذلك بالرؤية أو إتمام العدة ثلاثين يوما ، قال الحافظ ابن حجر فى (فتح البـارى) المراد بالحساب هنا حساب النجوم و تسييرها و لم يكونوا يعرفون من ذلك إلا النزر اليسير فعلق الحكم بالصوم و غيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم فى معاناة حساب التسيير و استمر الحكم فى الصوم و لو حدث بعدهم من يعرف ذلك ، بل ظاهر السياق يشعر بنفى تعليق الحكم بالحساب أصلا ، و يوضحه قوله (فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين) و لم يقل فسلوا أهل الحســاب و الحكمة فيه كون العدد عند الاغمـاء يستوى فيه المكلفون فيرتفع الاختلاف

و النزاع عنهم ، و قد ذهب قوم إلى الرجوع إلى أهل التسيير فى ذلك و ؟ الشيعة ، ونقل عن بعض الفقهاء موافقتهم ، قال الباجى : و إجماع السلف الصالح حجة عليهم ، وقال ابن بزيزة : وهو مذهب باطل فقد نهت الشريعة عن الخوض فى علم النجوم لأنها حدس وتخمين ليس فيها قطع ولاظن غالب مع أنه لو ارتبط الأمر بهما لضاق إذ لا يعرفها إلا القليل ، و قال ابن بطال : فى الحديث رفع لمراعاة النجوم بقوانين التعديل و إنما المعول رؤية الأهلة و قد نهينا عن التكلف ولاشك أن فى مراعاة ما غمض حتى لايدرك إلا بالظنون غاية التكلف ، انتهى.

و قال النووى فى (شرح المهذب) من قال بحساب المنازل فقوله مردود بقوله ﷺ فى الصحيحين (إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب الشهر هكذا وهكذا) الحديث ، قالوا ولأن الناس لو كلفوا بذلك ضاق عليهم لأنه لايعرف الحساب إلا أفراد من الناس فى البلدان الكبار ، فالصواب ما قاله الجمهور و ما سواه فاسد مردود بصرائح الأحاديث ، انتهى .

و قال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية فى الكلام على قول النبى ﷺ (إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب) و هو خبر تضمن نهياً فانه أخبر أن الأمة التى اتبعته هى الأمة الوسط أمية لا تكتب و لا تحسب ، فمن كتب أو حسب لم يكن من هذه الأمة فى هذا الحكم ، بل يكون قد اتبع غير سبيل المؤمنين الذين هم هذه الأمة فيكون قد فعل ما ليس من دينها ، و الخروج عنها محرم منهى عنه فيكون الكتاب و الحساب المذكوران محرمين منهياً عنهما ، ثم تكلم الشيخ رحمه الله تعالى على ما يتعلق بصفة الأمية وما يتعلق بمعرفة الكتاب و الحساب و أن من ذلك ما يكون ممدوحا و منه ما يكون مذموما و أطال الكلام فى ذلك ـ إلى أن قال ـ إذا تبين هذا فكتاب أيام الشهر و حسابه من هذا الباب فان من كتب مسير الشمس و القمر بحروف (أبجد) و نحوها

و حسب كم مضى من مسيرها و متى يلتقيان ليلة الاستسرار و متى يتقابلان ليلة الابدار ونحو ذلك فليس فى هذا الكتاب والحساب من الفائدة إلا ضبط المواقيت التى يحتاج الناس إليها فى تحديد الحوادث و الأعمال ونحو ذلك كما فعل ذلك غيرنا من الأمم فضبطوا مواقيتهم بالكتاب و الحساب كما يفعلونه بالجداول أو بحروف الجمل ، وكما يحسبون مسير الشمس والقمر و يعدلون ذلك و يقومونه بالسير الأوسط حتى يتبين لهم وقت الاستسرار و الابدار و غير ذلك ، فبين النبى ﷺ أنا أيتها الأمة الأمية لا نكتب هذا الكتاب ولا نحسب هذا الحساب، فعاد كلامه إلى نفى الحساب و الكتاب فيما يتعلق بأيام الشهر الذى يستدل به على استسرار الهلال و طلوعه ، وقد قدمنا فيما تقدم أن النفى و إن كان على إطلاقه يكون عاماً ، فاذا كان فى سياق الكلام ما يبين المقصود علم به المقصود أخاص هو أم عام ، فلما قرن ذلك بقوله (الشهر ثلاثون) و (الشهر تسعة وعشرون) بين أن المراد به أنا لا نحتاج فى أمر الهلال إلى كتاب و لا حساب ، إذ هو تارة كذلك ، وتارة كذلك ، و الفارق بينهما هو الرؤية فقط ، ليس بينهما فرق آخر من كتاب و لا حساب ، فان أرباب الكتاب و الحساب لا يقدرون على أن يضبطوا الرؤية بضبط مستمر و إنما يقربون ذلك فيصيبون تارة و يخطئون أخرى ، و ظهر بذلك أن الأمية المذكورة هنا صفة مدح و كمال من وجوه ، من جهة الاستغناء عن الكتاب والحساب بما هو أبين منه و أظهر وهو الهلال ، و من جهة أن الكتاب و الحساب هنا يدخلهما غلط ، و من جهة أن فيهما تعباً كثيراً بلا فائدة فان ذلك شغل عن المصالح إذ هذا مقصود لغيره لا لنفسه ، و إذا كان نفى الكتاب و الحساب عنهم للاستغناء عنه بخير منه ، و للمفسدة التى فيه كان الكتاب و الحساب فى ذلك نقصاً وعيباً ، بل سيئة و ذنباً ، فمن دخل فيه فقد خرج عن الأمة الأمية فيما هو من الكمال والفضل السالم عن المفسدة، و دخل فى أمر ناقص يؤديه إلى الفساد و الاضطراب ، و أيضاً فانه جعل هذا

وصفا للامة كما جعلها وسطاً فى قوله تعالى (جعلناكم أمة وسطاً) فالخروج عن ذلك اتباع غير سبيل المؤمنين ، و أيضاً فالشىء إذا كان اللامة لأنه أصلح من غيره و لأن غيره فيه من مفسدة كان ذلك مما يجب مراعاته و لا يجوز العدول عنه إلى غيره لوجهين لما فيه من المفسدة ، و لأن صفة الكمال التى للامة يجب حفظها عليها — إلى أن قال — فالكمال والفضل الذى يحصل برؤية الهلال دون الحساب يزول بمراعاة الحساب لو لم يكن فيه مفسدة ، انتهى المقصود من كلامه ملخصاً ، وهو فى آخر صفحة ١٦٤ و أول صفحة ١٦٥ ثم فى صفة ١٧٣ إلى أول صفحة ١٧٥ ثم فى آخر صفحة ١٧٦ من المجلد الخامس و العشرين من مجموع الفتاوى .

الرابعة أنه لا طريق إلى معرفة دخول شهر رمضان و خروجه سوى رؤية الهلال أو إتمام العدد ثلاثين يوماً ، و على هذا تدل الأحاديث التى تقدم ذكرها فلنراجع ففيها أبلغ رد على من جعل الحساب طريقاً إلى دخول الشهر وخروجه ، و قد قال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية الطريق إلى معرفة طلوع الهلال هو الرؤية لا غيرها بالسمع و العقل ، و قال أيضاً أما كونه يرى أو لا يرى فهذا أمر حسى طبيعى ليس هو أمراً حسابياً رياضياً ، انتهى ، و هو فى صفحة ١٤٦ و صفحة ١٨٦ من المجلد الخامس و العشرين من مجموع الفتاوى .

الخامسة أنه يقبل فى دخول شهر رمضان شهادة رجل واحد إذا كان عدلا ، والدليل على ذلك حديث ابن عمر رضى الله عنهما الذى تقدم ذكره وهو الحديث الثالث عشر و حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى شهادة الأعرابى برؤية هلال رمضان ، و فيه أن رسول الله ﷺ قبل شهادته و أمر الناس بالصيام ، و أما الافطار من رمضان فانه لا يقبل فيه إلا شهادة رجلين ، و الدليل على ذلك ما تقدم فى حديث عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال (فان شهد شاهدان فصوموا و أفطروا) و مثله ما تقدم فى حديث الحسين

بن الحارث الجدلى أن أمير مكة قال عهد إلينا رسول الله ﷺ أن ننسك للرؤية فان لم نره و شهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما ، و كذلك ما تقدم فى حديث ربعى بن حراش أن رسول الله ﷺ قبل شهادة الأعرابيين اللذين رأيا هلال شوال و أمر الناس أن يفطروا ، و نحوه ما تقدم فى حديث أبى عمير بن أنس ، و قد قال الترمذى لم يختلف أهل العلم فى الافطار أنه لا يقبل فيه إلا شهادة رجلين ، و قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية لو رآه اثنان علق الشارع الحكم بهما بالاجتماع ، و إن كان الجمهور لم يروه ، انتهى ، وهو فى صفحة ١٨٦ من المجلد الخامس و العشرين من مجموع الفتاوى .

السادسة أن رسول الله ﷺ أمر أمته أن يصوموا و يفطروا إذا شهد برؤية الهلال شاهدان مسلمان ذوا عدل ، و لم يأمرهم ان ينظروا إلى الهلال فى الليلة القابلة ليستدلوا برؤيته على صدق الشاهدين و بعدم رؤيته على كذبهما ، و لو كان ذلك مما ينبغى فعله لما ترك النبى ﷺ بيان ذلك لأمته لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع ، و فى قبول النبى ﷺ شهادة الأعرابيين اللذين شهدا برؤية هلال شوال و أمره الناس أن يفطروا و تركه البحث عما يستدل به على صدقهما أو كذبهما من طريق النظر إلى الهلال فى الليلة القابلة أبلغ رد على قول صاحب المقال الباطل أن عدم رؤية الهلال فى اللیلة القابلة مع الصحو دليل قاطع على عدم رؤيته فى الليلة الأولى ، و على قوله أيضاً أن عدم رؤيته عشية الثلاثين من الرؤية الأولى كاف فى تكذيب تلك الشهادة باتفاق ، و فيه أيضاً أبلغ رد على ما نقله من مختصر خليل والعذب الزلال أنه إذا لم ير الهلال بعد الثلاثين مع الصحو فان الشاهدين يكذبان .

و مما يرد به أيضاً على هذه الأقوال المحدثة الباطلة قول النبى ﷺ (عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجذ و إياكم

و محدثات الأمور فان كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة) رواه الامام أحمد و أهل السنن و ابن حبان و الحاكم من حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه ، و قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح و صححه الحاكم و الذهبى و قال ابن عبد البر حديث ثابت صحيح .

و مما يرد به عليها أيضاً قول النبى ﷺ (من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه الامام أحمد و البخارى و مسلم و ابو داؤد و ابن ماجة من حديث عائشة رضى الله عنها ، و فى رواية لأحمد و مسلم و البخارى تعليقاً مجزوماً به (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) قال النووى قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود و معناه فهو باطل غير معتد به ، انتهى .

و أما زعمه الاتفاق على تكذيب الشهادة إذا لم ير الهلال من الليلة القابلة ، فجوابه أن يقال هذا قول شاذ لم يذكر إلا عن نزر قليل من المتفقهة ، و على هذا فحكاية الاتفاق عليه خطأ كبير ومجازفة و قول بغير علم ، و قد قال الله تعالى (و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

و هذا القول الشاذ مخالف لما دلت عليه الأحاديث التى تقدم ذكرها عن ربعى بن حراش عن رجل من أصحاب النبى ﷺ ، و عن ربعى بن حراش عن أبى مسعود رضى الله عنه ، و عن أبى عمير بن أنس عن عمومته من الصحابة رضى الله عنهم ، ففى هذه الأحاديث أن رسول الله ﷺ قبل شهادة الذين شهدوا برؤية الهلال ليلة الثلاثين و أمر الناس أن يفطروا ، و لم يأمرهم أن ينظروا إلى الهلال فى الليلة القابلة ، و قد قال صلى الله عليه و سلم (خير الهدى هدى محمد و شر الأمور محدثاتها و كل بدعة ضلالة) رواه الامام أحمد و مسلم وابن ماجة من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

« يتبع »

القصيدة الداليــة

للشيخ أحمـــد التهانيسرى

ضبطها وشرحها : العلامة امتياز على عرشى المتوفى ١٩٨١م
مدير مكتبة رام ، پور الهند سابقاً

« و هو عالم يشبه اللآلى الفاظه ، و شاعر يحكى السلسال كلامه ، المقتبس للنور المعنوى ، والتلميذ للشيخ نصير الدين الأودى الدهلوى ، رحمه الله » المتوفى سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م » .

« و لما فتح الأمير تيمور دهلى (سنة ٨٠١هـ/١٣٧٩م) و سمع نبذاً من فضائله ، و شم عرفا من صنــادله ، رغب فى الملاقاة ، و تعطش إلى الموافاة ، و بعد ما عاينه متحلياً بفضائل أبهى من النجوم الزاهرة ، و متصفا بشمائل أعطر من الأزهار الناضرة ، اختاره للمجالسة و اصطفاه للموانسة ، و حين توجه الأمير من الهند إلى الروم ، تأخر مولانا عن موكبه العازم إلى أقصى التخوم .

« و لما عاد الأمير تيمور من الهند ، و لم يبق وضع دهلى على حالها ، و تجاوز النسج عن منوالها ، هاجر الشيخ أحمد من دهلى إلى كالپى ، و قطن بهذا المصر الجامع ، و اشتغل بتدريس العلوم واستغرق حياته فى عبادة الحى القيوم ، إلى أن انتقل إلى أشرف الحضرات ، و ارتقى إلى أرفع العتبات و دفن فى داخل قلعة كالپى .

وله قصدة دالية منها هذه الأبيات : (سبحة المرجان : ٣٧ و تسلية الفؤاد ١٤ الف ـ ١٥ ب) .

أطار لبى حنين الطائر الفرد — وهاج لوعة (١) قلبى التائه (٢) الكمد (٣)
و أذكرتنى عهودا بالحمى سلفت — حمامة صدحت (٤) من لاعج الكبد (٥)
باتت تؤرقنى، والقوم قد هجعوا (٦) — ما بين مضطجع منهم و مستند
ما زار طرفى غمض (٧) بعد بعدكم — و لا خيال سرور دار فى خلدى
ليت الهوى لم يكن بينى و بينكم — و ليت حبل ودادى (٨) غير منعقد
كانت لنا لب (٩) أيام و غرتها — ولت سراعاً على رغمى (١٠) ولم تعد
كأنه لم يكن بين الحمى أنس — إلى اللوى وكأن الحى لم تفد (١١)
لا عيش بعد لثيلات (١٢) اللوى رغداً — و لا وصول إلى ذاك الحمى بيدى
خل الأحاديث عن ليلى وجارتها — وارحل إلى السيد المختار من أدد (١٣)
محمد أحمد الهادى لأمته — إلى الصراط صراط غير ملتحد (١٤)
بر، رؤف، رحيم، سيد، سند — سهل الفناء، رحيب الباع والصفد (١٥)

---

(١) حرقة الحزن و الوجد ، (٢) الهالك و المضطرب العقل .
(٣) الحزين ، (٤) أى رفعت صوتها بالغناء .
(٥) يقال « لعج الحب أو الحزن فؤاده » إذا استحر فى قلبه .
(٦) أى ناموا ، (٧) النوم و انطباق الجفن .
(٨) فى سبحة المرجان : « و حبله كان فينا غير منعقد » .
(٩) فى تسلية الفؤاد (ورقة ١٥ الف) « كانت مراسم أيام » .
(١٠) فى « تسلية الفؤاد » : رغم ، (١١) أى لم ترد رسولا .
(١٢) جمع لثيلة و هى تصغير ليلة ، (١٣) هو أبو قبيلة .
(١٤) أى غير مائل ، (١٥) أى وسيع الباع و العطاء .

القصيدة الدالية للشيخ أحمد التهانيسرى

أفديك بالروح والقلب المشوق معاً و النفس و المال و الأهلين و الولد
قد عاقنى البعد عن مرمى أومله (١) و طال شوقى إلى لقياك ، يا سندى
أرجو الوفادة فى أرض حللت بها يا لهف نفسى إذا ما كنت لم أفد !
عطفاً على ورفقاً بى ، ومرحمة (٢) فليس غيرك يامولاى ، ملتحدى (٣)
يا رب صل وسلم دائماً أبداً على النبى ، نبى الحق و الرشد
و صحبه و ذويه الطاهرين ، ومن أحبهم شغفاً فى الغيب و العند (٤)
ما لاح برق وما سح (٥) الغمام على ربى الفلا (٦) فكساها حلة القثد (٧)
و ما تغرد غريد على فنن (٨) غض (٩) الأرومة (١٠) مخضل (١١) وملتبد (١٢)

---

(١) فى تسلية : « مرماى ، يا سكنى » ، (٢) فى تسلية : « مكرمة » .

(٣) أى ملجاى .

(٤) العند ، الجانب ، يقال : هو يمشى وسطاً لا عندا و المعنى لا يستقيم بهذا فلعله مصحف .

(٥) يقال : « سح الماء » إذا صبه متتابعاً غزيراً .

(٦) جمع رابية ، وهى ما ارتفع من الأرض و الفلا جمع فلاة وهى الصحراء .

(٧) القثد نبت شبه القثاء .

(٨) أى الغصن المستقيم ، (٩) الطرى الناعم .

(١٠) أصل الشجرة ، (١١) كثير الأغصان و الأوراق .

(١٢) يقال « التبد الورق » إذا تلبد بعضه على بعض و « التبدت الشجرة » إذا كثرت أوراقها .

من فقد رشده لا يرتدع إلا بالعقاب

واضح رشيد الندوى

يقول مثل : « إذا ذهب الحياء فافعل ما شئت » كذلك إذا فقد الانسان رشده بغلبة الشهوات ، و سيطرة الشراسة ، و حب المال ، فهو لا يميز بين الخير و الشر ، و الشريف و النذل ، و المحسن و المسيئ ، و إنما يهمه المال و الشهرة بين الناس فينغمس فى المنكرات ، و يتفتن فيها ليعرف بين الناس ، و يكسب المال و الغنى ، و يسوق هـــذا الهوس للمال و الشهرة بعض الناس إلى ارتكاب قتل ، و الاعتداء على شخص كريم له مكانة فى المجتمع ، و إلى انكار حقيقة من الحقائق الثابتـــة و معاداتها ، أو ارتكاب جريمـــة يعرف بها فى أوساط الناس و يؤمى إليه .

من أجل كسب المال والشهرة وغلبة طبيعة اللؤم يقوم بعض الشعراء والأدباء بالاعتداء على الاشراف من الناس ، و يكسب بعض أصحاب الأقلام ثروة طائلة بهذه الوسيلة الشنيعة ، وسيلة الاعتداء على أعراض الكرام ، و الزعماء و المصلحين الكبار ، و التعرض لهم و إشاعـــة أقاويل باطلة عنهم ، و قد بلغ لؤم بعض الشعراء و الكتاب ، و عادة الوقوع فى الأعراض ، أنهـــم لم يكتفوا بهجـاء الأغنياء و الأمراء ، بل هجوا الوالدين وهجوا أنفسهم ، وهجوا كل مـن أحسن

إليهم ، مثل العقرب الذى يلسع من أحسن إليه و من أساء و من دنا منه ، فلا ينجو أحد من لسعته .

فى الناس رجال طبيعتهم طبيعة العقرب ، و لؤمهم يشتد و يتضخم وتتسع آفاقه بقراءتهم و كتاباتهم و مطالعتهم ، و ما يأتى فى ضمن الثقافة ، لأن الكريم إذا تثقف حسنت سيرته واللئيم إذا تثقف ازداد لؤمه لأنه يلتقط من أدوات الثقافة وسائل لخدمة أغراض لؤمه ، و يعيب بفضل ما عنده من العيب .

قال أحد الأدباء . . . « إذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عياباً ، فانه إنما يعيب بفضل ما عنده من العيب ، وأول العيب أن تعيب ما ليس بعيب » .

و قال أحد الشعراء :

و إن أنت أكرمت الكريم ملكته و إن أنت أكرمت اللئيم تمردا

إن الذين يحملون اللؤم و طبيعة العقرب إذا وصلوا إلى المجتمع الذى تتوفر فيه حرية مطلقة و تتيسر لهم وسائل التعبير ، و عرفوا طبيعة أفراد المجتمع يصبح الوقوع فى الأعراض سلعة رابحة لديهم ، وإذا وجدوا من يكفلهم ، ويخدم مطامعهم ، و يروج أعمالهم ، أصدرت أقلامهم موضوعات مهينة ، لا صلة لها بالفكر و البحث ، وإنما ترجع إلى خدمة البطن والمعدة ، و قد وجدت فى أوربا منظمات و دور النشر التى تعكف على إشاعة الفحشاء و التقاط المساوئ من حياة الزعماء و الشخصيات الكبيرة ، و تشويه سمعة المصلحين الكبار ، حتى الأنبياء والرسل ، و تلتقط هذه الدور رجالا عيابين مدنسين ، يصورون عيوب ذاتهم فى تصوير غيرهم فى قصص و روايات و أفلام .

و قد زاد من هذا الاتجاه الشنيع عدم وجود الشعور بالتقديس والاحترام و عدم وجود قيم خلقية فى المجتمع الغربى ، حتى الأنبياء و كبار المصلحين لا

ينظر إليهم بالاحترام و النزاهة الخلقية ، و تعكس ذلك الموقف كتب اليهود والنصارى وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى التى تحمل صوراً جنسية لأنبيائهم ما تعافه النفوس و ينحط عن أدنى القيم الخلقية ، و قد صور اليهود حياة أنبيائهم تصويراً لا يقبله الذوق العام .

اجتمعت أسباب كثيرة ، حب المال ، سوء التغذية الفكرية ، وسائل الاغراء ، طبيعة المجتمع الأوربى ، و تصور الأديان الأخرى عن شخصياتها الكبرى ، و الحقد الصليبى و الصهيونى للاسلام و رسول الاسلام .

و ساعدت جميع هذه العوامل على إصدار كتاب « الآيات الشيطانية » ، بقلم رجل يحمل اسما إسلامياً ، و إن كان قد خرج من الاسلام بعد التأليف ، و هو سلمان رشدى ، هندى الأصل و بريطانى الجنسية و يهودى الصداقة و الولاء ، و الذى عرف بالتكسب بالأدب ، فقد صدرت من قلمه كتب مماثلة عن الشخصيات المرموقة وعرف بنهامته بتأليف كتب تقع فى أعراض الناس ، لأن الناس يقبلون على مثل هذه الكتب .

و وجد رشدى - وقد فقد رشده - من يمول مشروعه المادى وهى مؤسسة ...وكر للكتب ، التى عرفت بتشجيع المؤلفات التى تدور حول المساوىء و الخلاعة ...جتماعية و الخلقية عن كبار الشخصيات فى العالم ، فقدمت على هذا العمل ...شين ٠٠٠ ر ٥٠ ر ٨ جنيه استرلينى كمكافأة له ، لأنها عرفت أن هذا الكتاب ...ى يقع فى عرض الرسول الأعظم الذى تحقده أوربا كلها ، و الدول الوثنية التى ...كل سواد العالم سيأتى لها بمال وفير ، و لا يخدم هذا الكتاب مادياً فحسب ، إنما يخدم فكرياً ، و يخدم مطامع الصهيونية والصليبية ، أما العالم الاسلامى فتعرف ...سسة أن عدة بلدان منه موالية للغرب ، فلا تستطيع أن تجترىء على فرض

حظر و ستفرض دول قليلة ، الحظر عليه ، فتكسب أضعافا مضاعفة من هذا الكتاب .

كان الاقبال على هــذا الكتاب المهين ، فى الأوساط المعادية للاسلام و المسلمين متوقعاً ، لأن الاعتداء على ذات الرسول ﷺ كان موضوعاً محبباً لدى الصليبيين و الصهاينة و الوثنيين ، وقام بهذا العمل عدد من الكتاب فى الماضى ، و لكن لأول مرة تجرأ كاتب أن يؤلف رواية مقتبسة من الأكاذيب و الأباطيل التى انتشرت فى كتب الكتاب الاوربيين عن حياة الرسول ﷺ وكانت المفاجأة أن الكاتب يدعى أنه مسلم أو لأن اسمه اسم إسلامى ، فكانت هذه الرواية مفاجأة ، نالت تقديراً و إعجاباً و قبولا فى الصحف العالمية و كانت صحافة الهند الانجليزية و الهندية فى مقدمة الصحف فى عدائها للاسلام و رسول الاسلام ، و من عادتها أن تثير قضايا شائكة أو تردد ما روجه الكتاب الأوربيون ، فوجدت فرصة سانحــة للوثوب فى أعراض الشخصيات الاسلاميــة المقدسة ، وقد مر المسلمون بتجربة مريرة مماثلة فى الماضى ، فان الكتب ضد الرسول ﷺ و القرآن الكريم تصدر فى فترات مختلفة و يحتج المسلمون عليها ، و قد حدثت اشتباكات دامية فى الهند من أجلها ، لأن ذات الرسول ﷺ و القرآن الكريم و الكعبة المقدسة من الموضوعات التى لا يصبر عليهــا المسلمون ، و لا يحتملون أدنى إساءة إليها ، وهم مستعدون لأغلى تضحية فى سبيلها ، و عرفت الحكومــة الهندية هذه المشاعر بتجربتها السابقــة ففرضت الحظر على الكتــاب ، و هدأت أعصاب المسلمين فى الهند ، ولكن الصحافة غير الاسلامية أصيبت بصدمة شديدة على هذا الاجراء العادل ، و فقدت رشدها ، كما فقــد رشدى رشده ، و بدأت تهاجم المسلمين و تتهمهــم بالانفعــال الشديد ، و عدم التسامح ، و كبت حرية

التعبیر ، و تحدید نشاط الأدب ، لکنها نسیت أو تناست أنها کانت قد أثارت زوبعة شدیدة علی کتاب امبیدکار الذی کان قد أثار تهماً شنیعة علی شخصیة رام و کرشنا ، وفرض الحظر علی الفقرات المهینة فی الکتاب ، و علی کتاب «أطفال منتصف اللیل» لرشدی نفسه الذی شوه فیه سمعة اندیرا غاندی ، ففرض الحظر علی الکتاب .

لقد أصبحت أوربا الیوم بؤرة الفساد ، لاستغلالها العلم و الثقافة والأدب ، و التسلیة ، و أصبحت هذه الموضوعات البناءة موضوعات هدم و تدمیر عملی وفکری ، و الغریب فی الأمر أن هذا الهدم یجری باسم حریة البحث والتعبیر ، وقد أصبح هدف العلم البحث عن وسائل التدمیر ، و هدف الأدب التعبیر عن المساویء و الرذائل ، و لذلك یشق الانسان الیوم فی کل بلد یخضع لتأثیر الفکر الغربی .

ومما یبعث علی السرور أن الکتاب واجه رد فعل عنیف من المسلمین ففرض علیه الحظر فی عدد من بلدان العالم الاسلامی ، و تتردد عدة بلدان أخری لخضوعها لسادة الدول الأوربیة و لکنها ستثوب إلی الرشد ، و تعرف الطریق بتأثیر الرأی العام .

ندوة علمية و أدبية حول المدائح النبوية

قلم التحرير

عقدت رابطة الأدب الاسلامى العالمية فيما بين الفترة ٢٥ – ٢٧/صفر ١٤٠٩ھ الموافق ٧ – ٩ / أكتوبر ١٩٨٨م ندوة علمية أدبيـــة حول المدائح النبوية ، فى مدينة أورنغ آباد بولاية مهاراشتر (الهند) بتعاون من جامعة كاشف العلوم بمدينة أورنغ آباد (وهى أحد فروع ندوة العلماء) على دعوة من رئيس رابطة الأدب الاسلامى سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى، حضرها نحو خمسين مندوباً من مختلف الجامعات و المؤسسات العلمية الكبرى فى الهند ، و وفود من باكستان والدول العربية، والبحوث التى قدمت فى جلسات الندوة تجاوزت أربعين بحثاً منها تسعة بحوث باللغة العربيـــة و واحدة باللغة الانجليزية تدور حول دراسة مقارنة لمديح عيسى عليه السلام ومديح محمد ﷺ،والبقية الأخرى باللغة الأردية .

و معلوم أن رابطة الأدب الاسلامى تقوم بنشاطاتها العلمية و الأدبية بوجه مستمر ، و ذلك بعقد ندوات و ملتقيات علمية و أدبيــــة على المستوى العالمى و المستوى الاقليمى ، فالندوات التى عقدت على المستوين هى كما يأتى :

١– ندوة عالمية بمناسبة المؤتمر التأسيسى الذى عقد فى مدينة لكهنؤ ، برحاب ندوة العلماء فى عام ١٤٠٦ھ حول موضوع الأدب الاسلامى العام .

٢– ندوة علمية على المستوى الاقليمى حول دراسة الأدب الاسلامى بجوانبـه الثلاثة – الف– أدب السيرة ، ب– النقد ، ج– القصة .

٣– ندوة علمية فى مدينة جـےفور عاصمة ولاية راجستان، الهند. و قد استضافت الندوة جامعة الهداية لمؤسسها فضيلة الشيخ عبـد الرحيم ، و ذلك حول موضوع (المذاهب الأدبية الغربية و الأدب الاسلامى) .

٤ـ ندوة علمية عقدت فى جامعة ندوة العلماء عام ١٤٠٨هـ وكان موضوعها الرئيسى (حركة الامام أحمد بن عرفان الشهيد الجهادية وتأثيرها فى الأدب الأردى).

٥ـ ندوة علمية أدبية حول (المدائح النبوية ، تاريخها و أساليبها و شعراؤها) فى مدينة أورنغ آباد ، و قد انتهت الندوة بنجاح كبير ، و بكلمة ختامية عميقة التأثير لرئيس الرابطة سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، فكانت موضع اهتمام بالغ من المسلمين عامة و المعنيين بأدب المديح وشعر الوصف بوجه خاص .

وقد اتخذت الندوة توصيات عديدة حول الموضوع ، وهى كما يأتى :

١ـ إذا كانت الفرس والروم و اليونان تفتخر بثقافاتها و حضاراتها البائدة وتذكر وقائعها وشخصياتها و أعلامها وتتغنى بآدابها القديمة و أساليبها الدارسة ، و لا تستحيي رغم سخافة هذه الثقافات و الانحراف الذى وقعت فيه هذه الشخصيات فماذا يمنعنا نحن المسلمين عن الافتخار بماضينا العظيم و بآدابنا الاسلامية الفاضلة و الاشادة بها و إحيائها و دعمها .

فتلفت هذه الندوة إلى هذه النقطة المهمة و تؤكد على ضرورة الرجوع إلى مصادر أدبنا الاسلامى البناء المفيد و إلى استثارة الكامن من تراث أدبنا المجيد و إلى بنائه على الأسس الاسلامية النافعة .

٢ـ و إن الاشادة بشخصية الرسول ﷺ و مديحه و ذكره و المحبة له هو ابراز لشخصية إنسانية مثالية هى منارة هداية و مصدر قوة و إرشاد للحياة الانسانية فقد قام الرسول ﷺ باخراج الانسان من متاهاته وقام بتبصيره للطريق الصحيح المستقيم و بازالة فوراق اللون و الدم و المال و العتاد و أعلن بفكرة : كلكم من آدم و آدم من تراب .

فتعلن الندوة بقوة و صراحة بأن مدح رسول الله ﷺ هو مدح لأعظم شخصية إنسانية و أفضلها و أسماها وهى شخصية مثالية لجمع البشر .

وحيث إن مديح الرسول ﷺ لا يصدر إلا عن إيمان بما جاء به هذا الرسول العظيم و عن ثقة بما جاء به من تعليمات و إرشادات للحياة ، فان مديحه يرتبط بالتصورات الرشيدة التى تصدر عن هذا الرسول العظيم ، و النقطة الأساسية فيها هو التوحيد، فلا بد من المحافظة على التصور الصحيح لحياته السامية ولا بد من المحافظة على عقيدة التوحيد فى هذا المدح والتركيز عليها .

٤ـ إن اهتمام الشعراء المسلمين بمدح الرسول ﷺ يتطلب منهم أن يجعلوا أصناف أدبهم الأخرى أيضاً صافية وصالحة بتأثير ما آمنوا به، وما أحبوه من صفات الرسول العظيم ، فعليهم أن يحاربوا الرذيلة و الفساد و التصورات الهدامة و يخلصوا الأدب منها و يبنوا أدباً إسلامياً بمعناه الصحيح .

٥ـ إن مديح الرسول ﷺ صنف مشترك بين شعوب مختلفة و لغات مختلفة و أزمان مختلفة فهو عامر بأساليب و صور مختلفة منوعة فمن الواجب أن يسعى الأدباء المسلمون من نقل نماذج المديح النبوى من لغة إلى لغة أخرى حتى يعم هذا الصنف من الشعر الاسلامى فى لغات أخرى كذلك تتجلى فيه العالمية التى يتصف بها .

٦ـ إن هذه الندوة تنظر إلى كتاب الرجل المدعو «سلمان رشدى» فى لندن، الذى ارتكب فيه إهانة شخصية الرسول ﷺ و إهانة كتاب الله المجيد بقلق وسخط شديدين ، و تقدر خطوة الحكومة الهندية التى قامت بها بمصادرة هذا الكتاب و تطالب الحكومات الاسلامية و غير الاسلامية بتدابير لائقة لمنع مثل هذه الأعمال المنحرفة التى تسيئ إلى نفوس ألف مليون مسلم .

٧ـ تقوم هذه الندوة بتقديم تقديرها وشكرها إلى رئيس رابطة الأدب الاسلامى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى على عقد مثل هذه الندوة العظيمة و تقدم تقديرها و شكرها إلى جامعة كاشف العلوم و أهالى بلدة أورنج آباد على ما قاموا به من تهيئة أسباب راحة المندوبين و تسهيلات فى مجال عقد هذه الندوة .

إلى رحمة الله :

العلامة أحمد عبد العزيز المبارك فى ذمة الله

تلقينا نبأ وفاة العلامة الشيخ أحمد عبد العزيز آل مبارك رئيس القضاء الشرعى فى أبو ظبى ، بغاية من الأسى و الألم ، و ذلك عبر مكالمة هاتفية تكرم بها أخونا الفاضل الدكتور تقى الدين الندوى أستاذ الحديث بكلية الآداب بجامعة العين ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

ولعل هذا الحادث الفاجع وقع مساء الجمعة لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٩هـ الموافق ١٤/ ١٠/ ١٩٨٨م ، ذلك الذى أحدث فراغاً كبيراً فى صف العلماء الراسخين الغيارى فى العالم الاسلامى ، حيث إن الفقيد كان يعتبر سنداً وجيهاً فى القضايا الدينية والشئون الاسلامية ، ورمزاً للورع والعلم والغيرة الدينية ، فكان مرجعاً للناس حكومة وشعباً و حاكماً ورعية فى جميع المراجعات الدينية والمسائل الفقهية الاسلامية ، خاصة لأنه كان يرأس القضاء الشرعى فى الامارات ، و يمثل النموذج الأمثل للعلماء و الموجهين و المربين الاسلاميين ، ممن يقدرون الظروف و يراعون النفسية ، و يحرصون على إصلاح الأمة .

إن وفاته خسارة شديدة فى مجال العلم الدينى و النظرة الاسلامية السديدة نحو الحياة و المجتمع ، و بفقده خسرت الأمة عضواً كريماً نشيطاً من أعضائها البارزين الأعلام ، و حدثت ثلمة فى جدار الاصلاح و الافتاء و الدعوة ، نرجو الله سبحانه أن يسدها بواقع من الغيب .

و لقد كان الفقيد رحمه الله شديد الاتصال بندوة العلماء فى الهند و برئيسها الجليل علامة الهند الكبير سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، فقد شرف المهرجان التعليمى الذى أقامته ندوة العلماء فى عام ١٣٩٥ه الموافق ١٩٧٥م على دعوة من سماحته ، و قام بارساء الحجر الأساسى لمبنى المكتبة العامة الجديد، و ساهم فى برامج المهرجان بكلماته و بحوثه التى ألقاها هو و الوفد المرافق له ، ومنذ ذلك الوقت لم يأل جهداً فى دعم ندوة العلماء والاهتمام بقضاياها ومشاريعها فجزاه الله على أعماله وحسناته الكثيرة الخالصة أحسن ما يجزى به عباده المؤمنين المخلصين ، و لقد خلف الشيخ رحمه الله صفحات ناصعة من ذخائر الأعمال و الأيادى البيضاء و المؤلفات الاسلامية ، و الأتباع و التلاميذ المخلصين ، تقبل الله منه ذلك ، و أكرم مثواه بالنعيم والجنة (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى) .

و نحن إذ ننعى القراء الكرام فقيد العلم و الدين العلامة أحمد عبد العزيز المبارك ندعو الله سبحانه و تعالى أن يتغمده بالمغفرة و الرضاء ، و يمطر عليه شآبيب الرحمة و الهناء ، و يخلفه من يكون أهلا لحمل المسئولية و أداء الواجب ، و وفياً بالمبدأ و متمسكا بآداب الدين و ذيل الورع و الأمانة، فيكون خلفاً وفياً لسلف صالح ، قائماً على العهد بكل أمانة و إخلاص .

و ندعو الله سبحانه أن يلهم أهله و أنجاله و أصحابه و ذويه الصبر الجميل و يحسن مثوبتهم فى الدنيا و الآخرة .

اللهم أحسن عاقبتنا فى أمورنا كلها ، و اجعل آخرتنا خيراً من الأولى ، و اجعلنا من الراشدين فانك سميع مجيب الداعين .

و صلى الله تعالى على خير خلقه محمد و على آله و صحبه أجمعين .

س ـ الأعظمى

أنشأها :

مقيد الهجرة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

المجلد الثالث والثلاثون — العدد التاسع

جمادى الثانية ١٤٠٩هـ - يناير ١٩٨٩م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الاسلامي، مؤسسة الصحافة والنشر، ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama,
P. O. Box 93. Lucknow (India)

في هذا العدد

نرجو تصويب الأخطاء التالية في مقال « أمور مهمة لدراسة مسألة رؤية الأهلة »

ص ٧١ـ س٢٠ ـ الخطأ : لا و تصوموا ، والصواب : لا تصوموا .

ص ٧٥ـ س ٣ـ الخطأ : فلم يؤخذ ، و الصواب : فلم لا يؤخذ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــــــة :

أدب الدعاء و الذكر و الرسول عليه الصلاة و السلام

إن سيرة النبي ﷺ وحياته، أكبر و أغلى و أخصب زاد لكل مؤمن يريد أن يبنى حياته على أسس سليمة من العقيدة والايمان والعمل و السلوك، والواقع إنا لمطالبون كجزء من هذه الأمة العظيمة أن ندرس جميع الجوانب التى تحملها هذه السيرة النبوية الطيبة المشرقة لكى نستنير بها ما أظلم علينا من آفاق الحياة.

و من بين هذه الجوانب المشرقة جانب الدعاء الذى شغل قلب النبي ﷺ و فكره فى كل حين و آن ، ذلك لأن الدعاء جزء مهم للعبودية الخالصـــة ، و علامة للاطراح على عتبة المعبود المسجود ، ثقة فى رحمته ورأفته التى يشمل بها عباده المؤمنين بوجه خاص،. . . لذلك فان الدعاء إنما يعتبر من أعظم الوسائل التى يجب الأخذ بها والمحافظة عليها فى كل حين و آن، و لا سيما عند ما تشتد الكروب و تتأزم الأمور و تتوالى البلايا و الفتن و تستحكم حلقات المحن ، فان دعوات النبي ﷺ كلها مسجلة معلومـــة لكل مناسبة ولكل حال، سواء فى حال الشدة و الأزمة أو فى حال البهجـة و النعمة ، فان النبي ﷺ كان يلوذ بالدعاء و يلتجئ إلى التضرع إلى الله تبارك و تعالى عند كل نازلة و فى كل مناسبة ، و لذلك فان دعاءه ﷺ يعتبر من أقوى الآداب العالمية و أقربها إلى الواقع، إنه يصور ملامح العبودية أوضح وأجمل تصوير لا يقدر على ذلك ريشة فنان أو قلم كاتب و أديب مهما كان بارعاً.

إن الدعاء ليس معناه إلا أن يتصل العبد بالله تعالى اتصالا وثيقاً و يؤمن أجزم إيمان بأنه هو الذى يخلق كل شئ ، هو الذى يخلق الخير و الشر و يبتلى

بالشدة والضراء ويمنح الرخاء والسراء ، إن الدعاء يعنى أن يمد العبد يد السؤال لله تعالى بحاجاته و مطالبه ، و هو عند ما يقبل فى أموره إلى الله سبحانه و تعالى و يعتبره مصدر كل خير و منبع كل حسنة ، و حينما يلتفت المسلم إلى الخالق سبحانه فى شدته و محنتـــه و يتأكد أنه هو كاشف الكروب ، و دافع الشدائد و مزيل البلايا و المحن أقبلت عليه رحمته تملأ قلبه بالهدوء و الطمأنينـــة و تضفى عليه لباساً من السعادة و السرور ، فاذا به يشعر بأن نصرة الله رفيقـه و يد الله شريكه ، و تتنزل عليه السكينة و الرحمة .

لقد كان رسول الله ﷺ أكمل خلق الله اتصالا بالله تبارك و تعالى عن طريق أدب الدعاء و الذكر بل كان كلامه كله ذكراً و فكره كله عبراً ، فكان يعلم أصحابه رضى الله عنهـــم أن يكونوا على اتصال دائم بالله تعـالى لدى كل عمل و نشاط ، و عند كل مناسبة و فى كل حين و حال ، فقد كان من أدب دعائه إذا أخذ مضجعه أن يقول : « اللهم إنى أسلمت وجهى إليك و فوضت أمرى إليك و ألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ و لا منجى منك إلا إليك (١) و كان إذا استيقظ من الليل يقول : « لا إله إلا أنت سبحانك ، اللهم استغفرك لذنبي و أسألك رحمتك ، اللهم زدنى علماً و لا تزغ قلبي بعـــد إذ هديتنى و هب لى من لدنك رحمـة إنك أنت الوهاب (٢) » و كان إذا استيقظ من النوم يقول : « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور (٣) .

و لقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « الدعاء مخ العبادة » (٤) و قال : « الدعاء سلاح المؤمن » ، و قــد أخبره الله تعـالى بأنه قريب يجيب دعوة الداع

(١) صحيح مسلم ، باب ما يقول عند النوم و أخذ المضجع .
(٢) رواه أبو داؤد . (٣) رواه الشيخان . (٤) رواه الترمذى .

إذا دعاه، فقال تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » (١) وقال تعالى فى موضع آخر من كتابه و هو يأمر بالدعاء و يعد بالاستجابة ويهدد المستكبرين عن عبادته بدخول جهنم داخرين فيقول : « و قال ربكم ادعونى استجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » (٢) و لا شك فان الدعاء هو العبادة كما قد أشار إلى ذلك ﷺ فيما رواه النعمان بن بشير عن النبى ﷺ قال : « الدعاء هو العبادة » فالاستكبار عن الدعاء سبب لدخول جهنم ، و أمر الله سبحانه بالدعاء أيضاً فقال : «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين» (٣) و قال تعالى إشارة إلى أنه يجيب المضطر إذا دعاه : « أم من يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف السوء » (٤) .

و لقد كان رسول الله ﷺ طالما يسأل الله تعالى فى دعائه حسنة الدنيا و الآخرة و الوقاية من النار ، فعن أنس رضى الله عنه قال : « كان أكثر دعاء النبى ﷺ : اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » (٥) و عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول : « اللهم إنى أسألك الهدى و التقى و العفاف و الغنى » (٦) و عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » (٧) ، و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ يقول : « اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، و أصلح لى دنياى التى فيها

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٦ . (٢) سورة غافر الآية : ٦٠ .
(٣) سورة الأعراف الآية : ٥٥ . (٤) سورة النمل الآية : ٦٢ .
(٥) رواه الشيخان . (٦) رواه مسلم . (٧) رواه مسلم .

معاشي ، و أصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر ، وكان رسول الله ﷺ إذا استيقظ من الليل يقول: لا إله إلا أنت سبحانك اللهم استغفرك لذنبي وأسألك رحمتك، اللهم زدني علماً و لا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » (١) ، وعن عمرو بن عبسة أنه سمع النبي ﷺ يقول : « أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ، فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن » (٢) .

وقد كان رسول الله ﷺ كبير الاهتمام بآداب القيام في الليل و المناجاة مع ربه ساعات طويلة ، وقد روت كتب السنة أدعية كثيرة مما كان يدعو بها ربه في جوف الليل ، و نذكر هنا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول : اللهم لك الحمد ، أنت نور السماوات و الأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيام السماوات و الأرض ومن فيهن ، و لك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، و لك الحمد ، أنت الحق و وعدك الحق وقولك الحق ، و لقاؤك حق ، و النار حق ، والنبيون حق ، و محمد حق ، و الساعة حق ، اللهم لك أسلمت و بك آمنت و عليك توكلت و إليك أنبت و بك خاصمت و إليك حاكمت ، فاغفرلي ما قدمت و ما أخرت و ما أسررت و ما أعلنت ، أنت إلهي لا إله إلا أنت » (٣) .

و عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف و سأل ، ولا يمر بآية عذاب

---

(١) رواه أبو داؤد عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه الترمذي و قال حديث حسن صحيح . (٣) متفق عليه .

إلا وقف و تعوذ ، قال ثم ركع بقدر قيامه يقول فى ركوعـــه « سبحان ذى الجبروت و الملكوت و الكبرياء و العظمة ، ثم قال فى سجوده مثل ذلك » وعن عائشة رضى الله عنهـا قالت : فقدت النبي ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه و هو فى المسجد و هما منصوبتـان و هو يقول : اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، و بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » (۱) ، وعنها رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يدعو فى الصلاة فيقول : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، و أعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، و أعوذ بك من فتنة المحيا و الممات ، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم و المغرم ، فقال له قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ فقال: وإن الرجل إذا غرم حدث فكذب ،و وعد فأخلف »

و من دعاء النبي ﷺ ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات و رب الأرض و رب العرش الكريم » (۲) و عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا حزبه أمر قال : يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ، وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال : اللهم إنى عبدك و ابن عبدك و ابن أمتك، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عنـدك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي و نور صدرى و جلاء حزنى و ذهاب همى ، إلا أذهب الله همه و حزنه ، و أبدله مكانه فرجاً » (۳) .

---

(۱) رواه مسلم . (۲) متفق عليه .

(۳) أخرجه أحمد فى مسنده و ابن حبان فى صحيحه .

وعند ما كان النبي ﷺ يلقى العدو أوخاف ذا سلطان يدعو الله سبحانه ويطلب منه العون والنصر و يتعوذ من شره، فمن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوما قال : « اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذبك من شرورهم » (١) و كان يقول عند لقاء العدو : « اللهم أنت عضدى و أنت نصيرى ، بك أجول وبك أصول وبك أقاتل » .

وفيما إذا عرض الشيطان لأحد فليقل كما قال رسول الله ﷺ ، فعن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه و نفثه و نفخه ، لقول الله عزوجل » و إما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم » .

و إذا أنعم الله على العبد بنعمة فليقل : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : « ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل و مال و ولد فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيها آفة دون الموت » و عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا رأى ما يسره قال : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، و إذا رأى ما يسوءه قال : الحمد لله على كل حال .

وعلم النبي ﷺ مايدعو به العبد فيما إذا كان عليه الدين فمن على رضى الله عنه أن مكاتباً جاءه فقال له إنى عجزت عن كتابتى فأعنى ، قال ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ ، لو كان عليك مثل جبل ديناً أداه الله تعالى عنك، قل : اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغنى عن حرامك بفضلك عمن سواك (٢) .

(البقية على ص ٨٨)

(١) أخرجه أبو داوّد و النسائى .

(٢) رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن .

التوجيه الاسلامي

جوانب السيرة المضيئــة
فى المدائح النبوية الفارسية و الأردية

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

[بحث ألقى فى الندوة العلمية التى عقدتها رابطــة الأدب الاسلامى العالمية فى أورنغ آباد الهند، حول المدائح النبوية، فى الفترة ما بين ٢٥ — ٢٧ / صفر ١٤٠٩ھ الموافق ٧ — ٩ أكتوبر ١٩٨٨م ·

ننشره لما فيه من جوانب مضيئة للسيرة النبوية و إثارة لمعانى السيرة العطرة، و إبراز لشخصية النبى الكريم ﷺ بأسلوب جيد حكيم] التحرير

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم — أما بعد ! فان الملم بلغات العالم و آدابها و ثروتها الأدبية و مكتبتها الشعرية ، والمشتغل بالدراسات الأدبيــة المقارنة ، يعرف أن صنف المديح النبوى أو « النبويات » ثروة أدبية معنوية من أغنى الثروات الأدبية و الانتاج الشعرى ، وفيض القريحة و رشحاتها ، وتوليد المعانى و الانطلاق فى عرصاتها ، من بين لغات البشر المحفوظ تراثها ، الباقية آثارها ، و ذلك لعمق تأثير البعثة المحمدية فى العالم و فى الأجيال و النفوس البشرية ، و لكون سيرة سيد الأنبياء و خاتمهم ، معلومة و محفوظه ، متداولة متناقلة ، على اختلاف الأزمنة و الأمكنة ، و الأمم و البلاد ، و أخيراً لا آخرا لتعلق قلوب هذه الأمة و ارتباطها عقدياً و عقلياً و نفسياً و عاطفياً

- بنبيها — صلى الله عليه وآله وسلم — تعلقا لم يعرف فى تاريخ الديانات وفى واقع الامم لأى أمة بنبيها رغم ما عرفت من تخط للحدود الفارقة بين التوحيد والشرك ، و تأليهها له فى بعض الأحيان ، أو اعتقاد الابنية أو التبنى على الأقل .

و ذلك شأن المديح النبوى أو « النبويات » مع ثروة المدائح البشرية وشعر المديح فى تاريخ الأدب و الشعر ، فان الأول (المديح النبوى) يفوق شعر المديح و الوصف و قصائد المدح و الرثاء ، كما وكيفاً ، و قامة و قيمة ، ذلك لأسباب نفسية واقعية ، تحليلية طبيعية و عقلية ، فان الأول تقترن به العقيدة المتغلغلة فى الأحشاء ، المسيطرة على الأعصاب و قوى الفكر ، و الشعور العميق بالسعادة و التوفيق ، و الأمل فى النجاة و المغفرة فى بعض الأحيان ، و الزلفى عند الله ، و الرجاء فى الشفاعة ، وكل ذلك كافل باثارة المواهب الدفينة و تدفيق القريحة الخامدة ، و إثارة المعانى ، والحماس البيانى ، مع رقة الشعور الانسانى ، فان الشاعر إذا كان مدفوعاً من داخل نفسه ، مسوقا من إيمانه ، متجرداً عن الأغراض الخسيسة و المنافع المادية ، متجاوباً لقلبه و روحه ، عرف من بحر لا ساحل له و اقتنص نجوماً كانت فوق متناول يده .

هذا بالعكس من المدائح التى قيلت فى ملك أو أمير ، أو فاتح أو غنى ، فقد ارتبطت به مطامع و آمال فى بعض الأحيان ، أو مخاوف و توجسات فى أحيان أخرى ، و صدرت عن اقتراح وطلب ، و أملاها مقتضى الوقت ومصلحة الزمان ، و شتان بين هتاف الخارج ونداء الضمير ، و بين تحقيق رغبات المتملقين المقترحين أو الوصول إلى غايات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية ، و بين تحقيق رغبة الضمير المؤمن القاهرة (من غير عنف أو قسوة) و بين شكر و اعتراف بجميل ناله هذا الشاعر من الممدوح أو أمل فيه فى المستقبل ، وبين شكر و اعتراف

– بكل شعرة من شعرات جسمه و بكل جارحة من جوارحه – بما أنعم الله به عليه عن طريق هذا النبي من نعمة الايمان و كرامة الانسان ، ولم يزل و لا يزال بين الجمال و الكمال و بين الاشادة به و التغنى و الاهتزاز لهما داخلياً ، و الاعلان لهما خارجياً ، صلة قوية عميقة خالدة ، و تفاهم – من غير مخطط أو مؤامرة مصطنعة مدبرة – فأينما كان الجمال و الكمال الساحران سحراً حلالا ، و أينما كان الفضل و الاحسان – من غير عوض أو أمل فى مردود – كان الشعر البليغ ، و المديح الرقيق و البيان الساحر ، و الأدب الخالد ، و ذلك هو الباعث الأساسى الأقوى على وجود الشعر الذى طربت له الآذان وصفق له الزمان ، و نقل الانسان من عالم الهموم و الأحزان ، إلى عالم فسيح تهب فيه نفحات الايمان و الوجدان .

و من الفوارق الكبيرة بين شعر المديح العام و شعر المديح النبوى والنبويات ، أن انطباع شاعر المديح لممدوحه وتعبيره عن مظاهر عظمته ومحاسنه ، وحبه لمن يرثيه من الملوك و الأجواد . و الشجعان و الفاتحين ، والقادة والنابغين من الحكام أو العلماء ، و الصالحين ، يبقى محصوراً فى نطاق حياته و فى حدود ذاته ، لا شأن له و لا دافع إليه بعد وفاته أو بعد ما انتهى هذا الشاعر الراثى من رثائه ، و لا شأن له ببلده الذى ولد فيه أو مات فيه و دفن و قضى فيه حياته و عاش ، فقد كان هذا الممدوح أو المرثى بشراً من البشر ، كانت كل الفضائل التى امتازبها مقرونة مرتبطة بذاته و حياته . و انتهت بحياته ، و لم يكن لبلده مولده ومهجره – دور فى تاريخ تغيير مسيرة الانسانية و إنقاذ البشرية ، ولم تقترن به ذكريات الدعوة و الاصلاح والجهاد و الكفاح . و الايثار على النفس و الفداء ، و الأخوة الصادقة و الانسانية السامية . و آيات البطولة و الاستماتة

في سبيل الله و الشوق إلى الجنة والحنين إلى الشهادة و إيثار النبي - ﷺ - على على النفس و الأولاد ، و بالعكس قد خص الله بلدى الرسول بعبير الايمان و أريج الحب و الحنان ، فأحدهما مولد الرسول و مبعثه ، و ثانيهما مهجره و مدفنه ، لذلك كان الحنين إلى هذين البلدين والحرص على الوصول إليهما مشياً على الرأس ، و العين ، و كنس أرضهما بالأهداب و غسلهما بالدموع ، أمنية الشاق و المقيمين ، و أصحاب النبويات و الشوقيات من الشعراء والناظمين .

و كان ذلك أبرز و أقوى عنصر شعرى في هذا الصنف في الشعر الفارسي و الأردى لبعد هذه البيئات التي نبع فيها هؤلاء الشعراء عن مركز الاسلام و مدينتي الرسول عليه الصلاة و السلام ، لذلك جاء في شعر شعراء إيران و شبه القارة الهندية من شعر الحنين و الشوق و الشعور بالبعد و الهجران ، و شوق الوصول إلى البلدين الطيبين المباركين على جناح الشوق و الحب ، كما يقول الشاعر العربي في ممدوح بعيد غائب عنه :

فيا غائباً لو وجدنا له سبيلا مشينا على الأرؤس
على ذلك الوجه مني السلام و لا أوحش الله من مؤنس

و يمكن أن يقال بكل ثقة و بينة أن الشعر الذي قيل في اللغة الفارسية والأردية في الحنين إلى المدينة المنورة و تمثيلها في المخيلة ، و تصوير وصول الشاعر إلى أرضها — إذا قدرت له هذه السعادة — وسروره بذلك و اعتداده بهذه الكرامة وانتهازه لهذه الفرصة التي لم تتحقق لكثير من الأولياء الكبار وعباد الله الأبرار، يمكن أن يعتبر من أرق الشعر العاطفي و أقواه في الشعر العالمي الغزلي . فانه لا يزال يثير الأشواق ، و يدمع الآماق ، و ينزل إلى الأعماق ، و يثير الكوامن في نفوس العشاق .

إن الحديث عن مكانة المديح النبوى أو النبويات فى الشعر العالمى واستعراضه بوجه عام، مهما كان بايجاز واختصار، لا يتسع له هذا البحث القصير فانه موضوع كتاب أو سلسلة كتب و قد تكلم كاتب هذه السطور فى الموضوع بايجاز فى كتابه : « الطريق إلى المدينة المنورة » فى مقاله : « شعراء العجم فى مدح سيد العرب و العجم » (ص ٩٧ - ١٢٠) ، و لكنى أحدد موضوعى فى عنوان « جوانب السيرة المضيئة ، فى المدائح النبوية الفارسية والأردية » فى هذه المناسبة الكريمة الطيبة من جلسات الرابطة العالمية للأدب الاسلامى المنعقدة فى مدينة « أورنك آباد » البلد الاسلامى الذى قضى فيه الامبراطور المغولى المجاهد فى سبيل الله ، المحب لرسول الله ، المطبق لشريعته فى مملكته الواسعة ، المدينة التى قضى فيها شطراً من عمره ، وبوفاته تزعزعت الامبراطورية المغولية الاسلامية الأخيرة، فهى تستحق أن تسمى غرناطة الهند ، و كانت مدفنه .

و قد ازداد شعر المديح بتناوله جوانب السيرة قيمة و إفادة ، و قد كانت لفتات تاريخية تضئ جوانب السيرة و تعرض حقائق تاريخية فى بلاغة و إيجاز ، يقصر عنها التاريخ المطول مع قيمته العلمية — و يترك فى نفس القارىء انطباعات نفسية عميقة غلابة ليست فى متناول المؤرخين المسهبين ، و نختار فى عرض هذه النماذج اللغتين الفارسية و الأردية ، اللتين تزخر فيهما هذه الثروة ، و اللتين كان الناطقون بهما أكثر حاجة إلى هذه الايضاحات ، و تلخيص التاريخ الطويل المشرق فى أبيات معدودة و لفظ قليل و معنى عميق .

و نعرض من هذه النماذج مع رعاية الأدوار و العهود ، و نبدأ بالشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازى (المتوفى ٦٩١هـ) و نبدأ بشعره الذى معناه :

« إن اليتيم الذى نشأ أمياً وعاش أمياً ولم يقرأ القرآن فى كتاب ، استطاع أن ينسخ مكتبات شعوب كثيرة فتفقد قيمتها و حيويتها ، و ينشىء مكتبة جديدة كانت مصدر العلم و العرفان ، و منهل كل رائد و ظمآن .

إنه لغز من ألغاز التاريخ أن الحركة العلمية الكبرى فى العالم الانسانى والحركة التأليفية و الكتابية الكبرى فى النوع البشرى ، نبعتا من نبى أمى ، إن ارتباط هذه الحركة العلمية و هذه الخدمة الهائلة للعلم و الثقافة التى كانت هذه الأمة حاملة لواءها ، بهذه الأمية ، يثير تساؤلا تاريخياً يتطلب من عقلاء العالم و رجالات فلسفة التاريخ إجابة مقنعة عليه ، فان اليتيم الذى لم يتلقن مبادئ العلم ، استطاع أن ينسخ مكتبات الأديان وجعلها لا تغنى غناءاً و لا تحمل معنى .

و لكن المرء قد يفهم من هذا البيت أن معجزة النبي ﷺ فى هذا الصدد كانت سلبية ، حيث أنه قد نسخ المكتبات و الذخائر العلمية القديمة التى كانت قد تجردت عن رسالتها و دورها الايجابى وبدأت تمثل دور التضليل وتنشر الاباطيل، لكن الواقع أن هذه المعجزة كانت ايجابية بناءة أكثر من أن تكون سلبية، إنه نسخ ذخيرة كتب محدودة لكنه حبا الانسانية مكتبات واسعة زاخرة انقطع نظيرها فى تاريخ الامم .

لقد انبثق من النبوة المحمدية و تعاليمها الحماس و التفانى فى سبيل العلم وانطلقت حركة علمية عالمية خالدة ، مساحتها الزمنية من أكبر المساحات الزمنية، و مساحتها المكانية من أكبر المساحات المكانية ، و المساحة المعنوية أوسع من كلتا المساحتين (١) .

(١) ليرجع لمعرفة هذه المساحات و لمعرفة التنوع و التفنن فى الموضوعات ، إلى كتب وضعت فى ذكر المؤلفات التى ألفها علماء الاسلام فى عصور وأنحاء مختلفة، والفضلاء الغربيون المستشرقون فى العصر الأخير ، راجع هامش « الاسلام ، أثره فى الحضارة و فضله على الانسانية » (طبع مكتبة الصحوة ، ص / ٨٣) « القاهرة ».

و نكتفى هنا بشهادة لباحث غربى كبير و مؤرخ فرنسى شهير ، و هو الدكتور غوستاف لوبون ، يقول فى كتابه المشهور « حضارة العرب » .

« و الانسان يقضى العجب من المهمة التى أقدم بها العرب على البحث ، و إذا كانت هنالك أمم تساوت هى و العرب فى ذلك ، فانك لاتجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل ، و العرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا همهم إلى إنشاء مسجد و إقامة مدرسة فيها ، و إذا ما كانت تلك المدينة كبيرة أسسوا فيها مدارس كثيرة ، و منها المدارس العشرون التى روى « بنيامين التطيلى » (المتوفى ١١٧٣م) ، إنه شاهدها فى الاسكندرية ، هذا عدا اشتمال المدن الكبرى كبغداد ، و القاهرة ، و طليطلة ، و قرطبة إلخ على جامعات مشتملة على مختبرات و مراصد و مكتبات ، و كل ما يساعد على البحث العلمى ، و كان للعرب فى أسبانية وحدها سبعون مكتبة عامة ، و كان فى مكتبة الخليفة الحكم الثانى (١) بقرطبة ستمائة ألف كتاب ، منها أربعة و أربعون مجلداً من الفهارس ، كما روى مؤرخو العرب ، و قد قيل بسبب ذلك أن « شارل الحكيم » لم يستطيع بعد أربعمائة سنة أن يجمع فى مكتبة فرنسا الملكية أكثر من تسعمائة مجلد ، يكاد ثلثها يكون خاصاً بعلم اللاهوت » (٢) .

---

(١) ولد فى سنة ٣٠٢ و توفى ٣٦٦ - (٩١٤ - ٩٧٦) فكان هذا التقدم فى العلم و العناية بالمكتبات فى القرن الرابع الهجرى (القرن العاشر المسيحى) فكيف بعد ذلك ؟

(٢) حضارة العرب ، ص / ٤٣٤ ، تأليف الدكتور غوستاف لوبون ، ترجمة الأستاذ عادل زعتير (مطبعة عيسى البابى الحلبى و شركاه فى مصر) .

و يلى سعدى الشيرازى شاعر الهند بالفارسية الأمير « خسرو » الذى سلم له شعراء ايران بالزعامة و الامامة ، و شهدوا له بالاجادة و الابداع فى الشعر الفارسى ، يقول فى مقطوعة شعرية :

« إن أنفاس النبى — ﷺ — و أخلاقه قد نفخت الحياة فى العرب الذين كانوا فى احتضار ، و أطفأت فى وقت واحد شعلة أبى لهب (١) الوهاجة التى كادت تأتى على الأخضر و اليابس ، إنه وصل فى خطوتين من هـذا العالم إلى ذلك العالم (٢) ، و فى جولة من العالم المادى إلى العالم الروحى » .

و يقول مولانا عبد الرحمن الجامى (المتوفى ٨٩٨هـ) :

« يا من نسبــه عربى و لقبه أمى ، لقد دان بولائك و خضع لسيادتك العرب و العجم سواء ، إن فصاحتك استأسرت العرب ، و إن ملاحتك ملـكت قلوب العجم ، ما ضرك أن لا تقرأ و لا تكتب فبفضل جهودك و بمثلك تعلم الأميون و نبغ الجاهلون ، بك ابيضت صحيفة الأعمال و أشرق نورك فى الظلمات فلا ضير أن لا تخط سواداً على بياض أم تضم سواداً إلى سواد » .

يقول أسد الله خان (غالب) الدهلوى أشهر شعراء أردو المغزلين و أحظاهم بالقبول (المتوفى ١٢٨٥هـ) :

« إن بنانه لم يمسك القلم ، لـكنه سطر ما عجزت عنه أقلام التاريخ ، ما وضع قدمه على الصحراء إلا و تحولت إلى جنـة خضراء ، و ما تكلم مع كافر إلا حوله مسلماً مؤمناً ، يؤمن برب الأرض والسماء ، أنار الدنيا بنور الدين ، و أنقذ

(١) يعنى به الشاعر زعيم الـكفر و الجاهلية ، و قد اتخذ شخصية أبى لهب ، ممثلا لهذا الاتجاه .

(٢) يشير إلى الاسراء و المعراج .

المؤمنين من عذاب رب العالمين، حصاة عتبته تذيب الحديد وتلين الشديد، عاكف فى المحراب و قلبه معلق بخلق الله ».

و يليه زعيم الشعر الاسلامى الحديث الشيخ ألطاف حسين الملقب فى شعره بـ « حالى » (المتوفى ١٣٣٣هـ) صاحب المنظومة أو الملحمة الاسلامية المشهورة المقولة :

« نزل من غار حراء و فى يده إكسير من السماء، حول التراب تبراً، و الحصى دراً و جوهراً، أقبل إلى الأمة العربية التى كان يخيم عليها الجهل من قرون، فأحدث فيها ثورة جذرية انقلبت بها أوضاعها، وتغير بها مجرى التاريخ، إن الحجر الذى رفضه كل بناء و زهد فيه كل معمار، تناوله بيده الكريمة، و جعله حجر الزاوية، لقد هاجت سحابة من بطحاء مكة ملأت سمع الزمان و بصره، و شرق و غرب رعدها و برقها، فبينما رعدت على نهر « تاجه » فى أسبانيا أمطرت على نهر « كنج » فى شبه القارة الهندية، لقد أحيا غيثها مزرعة الانسانية القاحلة، و عم برها البر و البحر، فما ترى فى العالم من رواء و بهاء و نور و سناء إلا و الفضل فيه يرجع إلى البعثة المحمدية ».

ويقول الشاعر حفيظ الجالندرى صاحب الملحمة المشهورة بـ « شاهنامه إسلام »:

« إنه رد إلى الانسانية كرامتها و اعتبارها، و إلى أفراد النوع الانسانى حقهم فى الحياة، نكس الباطل، و قلب عروش الملوك الجبابرة، رفع رأس كل إنسان صاغر، و شرف قدر الأجير، و أهان المثرى المتأثر، لقد كان الفقر فخره، و لكنه كانت سطوة كسرى و قيصر تحت قدمه، إنه كسر سلاسل الظلم و الباطل التارية التى يصعب كسرها، و جبر القلوب المنكسرة المتهافتة التى يصعب جبرها، فصلوات الله عليك يا من كان كسره معجزة وجبره معجزة ».

نختم هذا الباب بنموذجين من شعر شاعر الاسلام الأكبر الدكتور محمد اقبال ، فهو مسك الختام و خير ما نختم به الكلام ، يقول الدكتور محمد اقبال :

« إن قلب المسلم عامر بحب المصطفى ﷺ ، و هو أصل شرفنا و مصدر فخرنا فى هذا العالم ، إن هذا السيد الذى داست أمته تاج كسرى ، كان يرقد على الحصير ، إن هذا السيد الذى نام عبيده على أسرة الملوك كان يبيت ليالى لا يكتحل بنوم ، لقد لبث فى غار حراء ليالى ذوات العدد ، فكان أن وجدت أمة . و وجد دستور ، و وجدت دولة ، إذا كان فى الصلاة فعيناه تهملان دمعاً ، و إذا كان فى الحرب فسيفه يقطر دما .

لقد فتح باب الدنيا بمفتاح الدين - بأبى هو و أمى - لم تلد مثله أم و لم تنجب مثله الانسانية ، افتتح فى العالم دوراً جديداً ، و أطلع فجراً جديداً ، كان يساوى فى نظرته الرفيع و الوضيع ، يأكل مع مولاه على خوان واحد ، جاءته بنت حاتم أسيرة مقيدة سافرة الوجه ، خجلة مطرقة رأسها ، فاستحيا النبى ﷺ و ألقى عليها رداءه ، نحن أعرى من السيدة الطائية ، نحن عراة أمام أمم العالم .

لطفه وقهره كله رحمة ، هذا بأعدائه وذاك بأوليائه ، الذى فتح على الأعداء باب الرحمة ، وقال : لا تثريب عليكم اليوم ، نحن المسلمون من الحجاج والصين و ايران و أقطار مختلفة ، نحن غيض من فيض واحد ، نحن أزهار كثيرة العدد متحدة الطيب و الرائحة ، لما لا أحبه ، و لا أحن إليه و أنا انسان ، وقد بكى فراقه الجذع و حنت إليه سارية المسجد ؟ إن تربة المدينة أحب إلى من العالم كله ، أنعم بمدينة فيها الحبيب » .

و يقول فى قصيدة أخرى :

« اكتسب صحراء العرب بفضل هذا النبى الأمى حلة أنيقة و أنبتت زهرة يانعة ، إن عاطفة الحرية نشأت فى ظل هذا النبى بل ترعرعت و نمت فى حجره و هكذا كان يوم هذا العالم المعاصر مدينا لأمسه .

لقد وضع قلباً نابضاً خفاقا فى جسد الانسان البارد ، و أزاح الستار عن طلعته الجميلة الوضاءة .

هزم كل طاغوت ، و حطم كل صنم ، و أورق كل غصن يابس وأزهر و أثمر ، إنه روح معركة بدر و حنين ، و إنه مربى الصديق و الفاروق و الحسين .

أذان صلاة الحرب وجرس سورة الصافات غيض من فيضه، جعل سيف صلاح الدين البتار و نظرة بايزيد النافذة مفتاح كنوز الدنيا و الآخرة .

جرعة من كأسه أروت العقل و القلب ، و التقى بها روح الرومى بفكر الرازى ، و اجتمع بها العلم و الحكمة و الدين و الشرع ، و الادارة و الحكم ، مع قلوب أواهة مخبتة منيبة فى الصدور .

إن جمال قصر الحمراء ، والتاج، الذى نال خراج الملائكة وإعجاب القديسين هو نفحة من نفحاته ، و لمحة قصيرة من لمحاته ، و ومضة من أنواره و بركاته .

ظاهره تلك التجليات و النفحات ، و باطنه در مكنون لم يطلع عليه العارفون ، و لم يصل إلى كنهه السالكون .

فلا ريب أنه يستحق ثناء الجميع وشكرهم وحمدهم ، لانه أسبغ نعمة الايمان على هذه الحفنة من التراب .

و أخيراً لا آخراً : من أبرز الجوانب المضيئة فى المدائح النبوية و أكثر

سماتها أصالة و أهمية إبراز أكبر مآثر الذوة المحمدية و أهدافها ، هى الدعوة إلى عقيدة التوحيد الخالصة النقية ، ونبذ الوثنية و الثنوية ، و الاشراك بالله بجميع أنواعه و مظاهره ، و ممكناته و مفترضاته ، و قد وردت هذه المعانى فى عدد من القصائد التى قيلت فى المدح النبوى ، فان البعثة المحمدية قد اقترنت بالدعوة إلى التوحيد السافر اقتراناً بحيث لا يمكن تصور أحدهما إلا بالآخر ، و لا يمكن الانصاف ـ إذا كان الانصاف ممكناً ـ لموضوع المدح النبوى ، إلا إذا أبرزت هذه الناحية الأساسية فى الحديث عن فضل البعثة النبوية و منها على العالم ، و معطياتها و منجزاتها .

و من الانصاف للموضوع أن يقال : إنه قد تورط عدد من أصحاب المدائح فى بعض المزالق ، بتأثير بعض البيئات الموبوءة أو ضعف الثقافة الدينية ، أو بسبب الاتجاه إلى الغلو و المبالغة التى اعتبرت من سمات الشعر و محاسنه فى كثير من الآداب و اللغات و العهود و الأدوار ، و قد أبدى العارفون لروح الدين و الغيارى على الاسلام فى كل زمان و مكان استنكارهم لذلك و اعتبروه شيئاً دخيلا طارئا على المدح النبوى .

و هنا نعرض نموذجاً واحداً للاشادة بعقيدة التوحيد الخالص عند أحد أئمة شعر المدح النبوى ، و هو الشيخ ألطاف حسين حالى ، صاحب المزدوجة المشهورة المعروفة بـ « مسدس حالى » يقول الشاعر .

« لقد وقعت رجة فى المحيط و اهتز المجتمع العربى ، حين نادى الرسول و قال بأعلى صوته : إنه لا يليق بالعبادة و لا بشهادة القلب و اللسان بالوحدانية إلا ذلك الواحد الصمد الذى يستحق وحده الطاعة والخضوع ، وامتثال الأوامر

مطلقاً ، فاذا كنتم مطرقين رؤسكم فأطرقوه أمامه ، و إذا كنتم خاضعين فاخضعوا له ، و إذا كنتم معتمدين على شئ فاعتمدوا عليه ، و إذا كنتم خائفين وجلين من أحد فاخشوا غضبه ، عيشوا على حبه و موتوا فى طلبه ، إنه مبرء من كل مشاركة ، و لا عظمة أمام عظمته ، إن العقل و الذكاء كليلان فى إدراك كنهه و صفاته ، و إن الشمس و القمر خاضعان ذليلان لأوامره ، و لا قيمة للملوك و فاتحين فى مملكته التى وسعت الأرض و السماء ، و لا قدرة لنبى و صديق على نقض ما أبرم و لا على إبرام ما نقض ، و ليس للرهبان و الأحبار ، و لا للأبرار و الأحرار دالة عليه حتى يستطيعوا أن يحققوا ما أرادوا و يشفعوا لمن ارتضوا ، فلا تغتروا كما اغترت أمم قبلكم ، ولا تدعوا لله ولداً ، ولا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم ، و لا تبالغوا فى شأنى فتسيئوا إلى ، و لا تتخذوا قبرى مسجداً ،

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

أبو الحسن على الحسنى الندوى

موقف الاستعمار و الصهيونيــة
من الصحوة الاسلاميــة

فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى
عميد كلية الشريعة ورئيس الدراسات الاسلامية بجامعة قطر

ومن اجتراءات الكاتب - محامى العلمانية (١) - وما أكثر اجتراءاته ! قوله :

« و فى اعتقادى أن من أشد أساطير حياتنا بطلانا ، القول الذى يشيعه كثير من أشياع الحركة الاسلامية بأن الاستعمار بوجه عام ، و الصهيونية بوجه خاص ، يخشون الصحوة الاسلامية ، و يعملون على محاربتها ، ففى مصر كان السادات يشجع التيار الاسلامى فى نفس اللحظة ، التى قرر فيها أن يكون توجهه أمريكياً ، و فى السعودية يظهر التحالف بين التزمت الاسلامى الذى يرعى معظم الحركات الاسلامية فى الأقطـار العربية رعاية مادية و معنوية ، و بين خدمــة المصالح الأمريكية بصورة لا تخطئها العين ، و فى السودان أصبح الاخوان حلفاء النميرى حين طبق شريعته ، التى لم يكن لها من الاسلام إلا الاسم ... و فى إسرائيل تقف سلطـات الاحتلال إلى جانب الطلاب ، المنتمين إلى الجمـاعات الاسلامية فى جامعات الأرض المحتلة .

ولا أدرى كيف يجترىء الكاتب على مثل هذا القول ، و آلاف الشواهد تكذبه ؟ ! و كيف يطاوعه قلمه أن يكتبه ، و هو يعلم فى قرارة نفسه أن الحركة الاسلامية مضطهدة من الغرب و الشرق على السواء ، وأن ما حاق بها من محن و مآسى مريرة ، كان بايحاء القوى الخارجية المعادية للاسلام ؟ ! .

---

(١) يشير إلى الكاتب المصرى فؤاد زكريا .

و الحق أن ما يقوله الكاتب مخالف تمام المخالفة لمنطق الدين ، الذى تملن نصوصه القاطعة موقف القوم من الاسلام وأمله ، و خصوصاً العاملين المتحركين منهم ، يقول القرآن :

(و لن ترضى عنك اليهود ، و لا النصارى ، حتى تتبع ملتهم) « البقرة : ١٢٠ » .

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، و يأبى الله إلا أن يتم نوره ، و لو كره الكافرون) « التوبة : ٣٢ » .

(و لا يزالون يقاتلونكم ، حتى يردوكم عن دينكم ، إن استطاعوا) ، « البقرة : ٢١٧ » .

و هو مخالف تمام المخالفة لمنطق التاريخ ، فمنذ الصراع مع بنى قينقاع ، وبنى النضير و بنى قريظة من اليهود ، و منذ معركة مؤتة ، و غزوة تبوك ، و موقعة اليرموك مع النصارى ، ومعارك حطين ، وبيت المقدس ، والمنصورة ، ودمياط ، و غيرها مع الصليبيين ، و الحرب لم تتوقف ، و هى مستمرة ، و إن تغيرت الأسلحة ، و تبدلت الأسماء .

و هو مخالف تمام المخالفة للواقع ، الحافل بالشواهد و الأدلة على أن القوم لا يخشون غير صحوة الاسلام ، و خروج المارد من القمقم ، الذى حبس فيه بالقهر أو الحيلة .

و أستطيع أن أنقل هنا شيئاً قليلا قليلا ، مما نشرته الصحف العربية من قلق اليهود و الصليبيين المستعمرين من الصحوة الاسلامية ، و رعبهم من أى تحرك إسلامى ، و عملهم الدؤوب لاخماد كل حركة بالدم و الحديد ، خشية أن تتحول إلى ثورة ، فدولة .

على أن ما ينشر بالعربية هو شئ قليل قليل، مما ينشر باللغات العالمية، و كذلك ما ينشر هو قليل قليل، مما يكتب فى تقارير سرية بين دوائر المخابرات و صناع القرارات، و موجهى السياسات، من وراء الستار.

الوثائق و الحقائق تتكلم:

و لن اعتمد - فيما أثبته هنا عن موقف اليهودية و الاستعمار من الصحوة الاسلامية - على استنتاجات الدعاة و المفكرين المسلمين و تنبؤاتهم، بل على المعلومات الموثقة المنقولة عن المصادر اليهودية والغربية نفسها، دون تدخل بتفسير أو تعليق، فالحقائق - وحدها - هى التى تتكلم:

(١) نشرت صحيفة « يدعوت أحرنوت » فى ١٩٧٨/٣/١٨ مقالا رئيسياً، حللت فيه الهجوم اليهودى على جنوب لبنان، الذى جرى فى ١٩٧٨/٣/١٥م وانتقدت فيه بشدة قيام التليفزيون اليهودى باجراء مقابلات مع الخائن المارونى سعد حداد، و انتقدت تمادى التليفزيون اليهودى فى إبراز معالم الفرح والبهجة، التى عمت القرى المارونية النصرانية، إزاء احتلال الجيش اليهودى لجزء كبير من جنوب لبنان.

و بررت الصحيفة انتقادها بأن ذلك التصرف الطائش تسبب فى حدوث ردة فعل عنيفة بين المسلمين فى لبنان، و كل البلاد العربية، و حتى فى فلسطين المحتلة أيضاً، وأن ذلك قد حرك فيهم الروح الاسلامية من جديد، وهو الأمر الذى ظلت « إسرائيل » وأصدقاؤها يحاولون كبته، والقضاء عليه، طيلة الثلاثين عاما الماضيـــة.

و أردفت الصحيفة تحليلها قائلة:

« إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة، هى جزء من

استراتيجية إسرائيل فى حربها مع العرب، هذه الحقيقة هى أننا قد نجحنا بجهودنا، وجهود أصدقائنا فى إبعاد الاسلام عن معركتنا مع العرب، طوال ثلاثين عاماً، و يجب أن يبقى الاسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد، و لهذا يجب ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا فى منع استيقاظ الروح الاسلامية بأى شكل، وبأى أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لاخماد أية بادرة ليقظة الروح الاسلامية فى المنطقة المحيطة بنا».

و اختتمت الصحيفة تحليلها قائلة:

«و لكن تليفزيوننا «الاسرائيلى» وقع فى خطأ أرعن، كاد أن ينسف كل خططنا، فقد تسبب هذا التصرف فى إيقاظ الروح الاسلامية، و لو على نطاق ضيق، ونخشى أن تستغل الجماعات الاسلامية، المعروفة بعدائها لاسرائيل، هذه الفرصة لتحريك المشاعر ضدنا، و إذا نجحت فى ذلك، و إذا فشلنا - بالمقابل - فى إقناع «أصدقائنا» بتوجيه ضربة قاضية إليها فى الوقت المناسب، فان على إسرائيل حينذاك أن يواجه عدواً حقيقياً «لا وهمياً»، و هو عدو حرصنا أن يبقى بعيداً عن المعركة.

و ستجد إسرائيل نفسها فى وضع حرج، إذا نجح المتعصبون، أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة، إذا قتل يهودياً، أو إذا قتله يهودى».

(٢) و فى عددها الصادر فى ١٧/ ١٢/ ١٩٧٨م و على الصفحة السابعة عشرة، نشرت صحيفة الصنداى تلغراف البريطانية مقالا بقلم بيرغرين دورستورن، أشار فيه إلى أن الغربيين يقعون فى خطأ كبير، حين يظنون أن الخطر الذى يتهدد مصالحهم فى الشرق الأوسط هو خطر الشيوعيين، لأن الخطر الحقيق الوحيد، الذى يتهدد مصالح الغربيين و أصدقائهم فى المنطقة هو

خطر المسلمين المتطرفين ، الذين تعاظم نشاطهم بشكل مذهل ، رغم كل ما أوقعته بهم النظم ، الصديقة للغرب فى المنطقة ، من محن و تنكيل .

و يؤكد كاتب المقال أن الاحداث الجارية فى منطقة الشرق الأوسط تشير إلى أن التيار الاسلامى المتطرف ، أصبح قائماً فى جميع بلدان المنطقة بدون استثناء .

و يقول الكاتب : إن أكبر خطأ يرتكبه الغربيون ، هو عدم تفكيرهم - بجدية - بضرورة التدخل العسكرى المباشر فى المنطقة ، فى حالة عجز الأنظمة الصديقة عن كبح جماح المتطرفين المسلمين ! و يؤكد أن شعور الغربيين بالندم و تأنيب الضمير إزاء تورطهم فى الحرب الفيتنامية ، يجب أن لا يكون سبباً فى إقناعهم بعدم استعمال القوة العسكرية ضد المتطرفين المسلمين ، لأن خطر هؤلاء المتطرفين المسلمين لا يقارن بأى خطر آخر ، مهما كان .

و ينهى بيرغرين دورستورن مقاله قائلا :

« إن مجرد الاكتفاء بمراقبة الانتفاضة الاسلامية فى الشرق الأوسط ، لن يفيدنا بشئ ، و إذا لم نبادر إلى مقابلة هذه الانتفاضة بعنف عسكرى ، يفوق عنفها الدينى ، فاننا نكون قد حكمنا على العالم النصرانى بمصير مهين ، يجلبه على نفسه ، إذا استمر تهاوننا فى مواجهة المسلمين المتطرفين » .

(٣) ذكرت صحيفة القبس الكويتية فى عددها الصادر فى ٢٦/ ١/ ١٩٧٩م نقلا عن وكالات الأنباء العالمية أن موشيه دايان ، قال فى خطاب ألقاه أمام وفد من الأمريكيين اليهود المتعاطفين مع إسرائيل : « إن على الولايات المتحدة و الدول الغربية أن تأخذ العبرة من أحداث إيران الأخيرة ، التى تمخضت عن اندلاع ثورة إسلامية ، بشكل لم يكن متوقعاً أبداً » .

و قال دايان :

إن على دول الغرب ، و على رأسها الولايات المتحدة أن تعطى اهتماماً أكبر لاسرائيل باعتبارها خط الدفاع عن الحضارة الغربية ، فى وجه أعاصير الثورة الاسلامية ، التى بدأت من إيران ، و التى من الممكن أن تهب بشكل مفاجئ و سريع و مذهل فى أية منطقـــة أخرى فى العـالم العربى ، و ربما فى تركيـا و أفغـانستان أيضاً .

و بنبرة غاضبـة حاقدة أكد موشيه دايان أن عدوه الأول هو الاخوان المسلمون ، و أنه لن يطمئن على مستقبل إسرائيل إلا إذا تم القضاء عليهم .

وانتقل موشيه دايان بعد ذلك إلى تهديد عرب فلسطين المحتلة المسلمين قائلا :

« إن عليهم أن يدركوا أن إسرائيل لن تسمح بانحرافهم نحو الاتجاهات الاسلامية المتعصبة ، و أنه فى الوقت الذى تشعر فيه إسرائيل أن العرب ، الذين بقوا فى فلسطين قد بدأوا فى التمسك بالاتجاهات الاسلامية المتعصبة ، فانهـا لن تتردد فى القذف بهم بعيداً ، لينضموا إلى إخوانهم « اللاجئين » .

(٤) و فى تعليقها على أحداث إيران و تركيا قالت صحيفة « كشلر الفايجلر » ، التى تصـدر فى كولونيا بألمانيا الغربية :

« إن الأحداث الأخيرة فى تركيا وإيران ، وعودة نشاط الاتجاه الاسلامى فى مصر ، و غيرها من الدول العربية ، تعطى الدليل على أن الاسلام وحده ، و ليست الدول الكبرى او الأنظمة الموالية لها ، هو الذى يلعب الدور الرئيسى فى منطقة الشرق الأوسط » .

و قالت الصحيفة « إن على الغرب أن يدرك ــ الآن ــ أن المستقبل القريب ، سيشهد تحولا جدرياً فى منطقـــة الشرق الأوسط لمصلحة الاتجاهات

الاسلامية ، و على الغرب ، إذا أراد المحافظة على الحد الادنى من مصالحه فى الشرق الأوسط ، أن يبدى مرونة فى تفهم مقاصد الاتجاهات الاسلامية ، التى تسعى للحصول على كيان جديد قوى ، يتلاءم مع « الاسلام » .

(٥) نشرت صحيفة الجروزلم بوست الصهيونية ، فى عددها الصادر فى ٩/٢٥/ ١٩٧٨ ، مقالا كتبه حاييم هير تزوغ السفير اليهودى السابق لدى الأمم المتحدة ، تحت عنوان « كى لا نخسر الأصدقاء ، ونشد من عضد الأعداء » قال فيه :

« إن ظهور حركة اليقظة الاسلامية بهذه الصورة المفاجئة المذهلة ، قد أظهرت بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماسية ، و قبل هؤلاء جميعاً ، وكالة الاستخبارات الأمريكية ، كانت تغط فى سبات عميق » .

و قال هير تزوغ :

« إن معلومات كثيرة عن طبيعة الاسلام و عن القوى الاسلامية الفعالة النشيطة ، كانت متوفرة لدى زعماء الغرب ، و خاصة أولئك المسئولين عن الأمن فى واشنطن ، وأن جهوداً كثيرة بذلت لكبت نشاط الحركات الاسلامية المتعصبة ، و لكن الأحداث الأخيرة فى المنطقة الاسلامية ، و عودة الاتجاه الاسلامى يمارس نشاطه على نطاق واسع فى مصر و أفغانستان و سوريا و تركيا و إيران و غيرها ، قد أظهرت أن جميع الأساليب ، التى اتبعت لكبت نشاط الحركات الاسلامية كانت أساليب فاشلة على المدى البعيد ، رغم ما حققته من نجاح لفترات قصيرة » .

و أردف حاييم هير تزوغ قائلا :

« إننا نشهد اليوم ظاهرة غريبة و مثيرة للاهتمام ، و تحمل فى ثناياها الشر

للمجتمع الغربى بأسره ، و هذه الظاهرة هى عودة الحركات الاسلامية ، التى تعتبر نفسها عدوة طبيعية لكل ماهو غربى ، و التى تعتبر التعصب ضد اليهود بشكل خاص ، و ضد الأفكار الأخرى بشكل عام فريضة مقدسة » .

(٦) اعترف مسئول يهودى كبير فى سلطات الاحتلال اليهودى فى فلسطين المحتلة ، فى مقابلة صحفية ، أجرتها صحيفة ها آرتس اليهودية ، فى عددها الصادر فى ٢ شباط ١٩٧٩ ، بأن هناك مزيداً من الدلائل تشير إلى تذايد المد الاسلامى ، الذى بدأ يظهر بين عرب « إسرائيل » على حد تعبير المسئول اليهودى ، والذين يبلغ عددهم حوالى نصف مليون ، و بين عرب الضفة الغربية و قطاع غزة ، الذين يبلغ عددهم حوالى مليون .

و قال المسئول اليهودى : « إن الذى يثير قلقنا هو أن مواقف العرب داخل إسرائيل بدأت تتحول من مواقف مبنية على قاعدة قومية ، إلى مواقف تستند إلى قواعد دينية ، و أن الشباب العربى بدأوا يتحولون عن زعاماتهم التقايديه إلى الزعامة الدينية ، التى يمثلها علماء الدين ، وهم فى غالبيتهم من الشباب ، الذين لا يستبعد أن تكون لهم ارتباطات بحركات إسلامية متعصبة » .

و مضى المسئول اليهودى يقول :

« إن خطراً حقيقياً بدأ يهـدد الاستقرار فى الشرق الأوسط ، و قسماً كبيراً من أفريقيا ، و هذا الخطر هو خطر انتشار ثورة إسلامية شاملة ، يقوم بها متدينون متطرفون » .

(٧) وفى ندوة عقدها أم معهد أبحاث يهودى متخصص فى رصد الشئون العربية كان موضوع احتمال انتشـار « يقظة إسلامية » فى فلسطين المحتلة ، هو الموضوع الرئيسى ، الذى تناوله عدد من كبار المتخصصين اليهود فى الشئون

العربية ، خلال ندوة خاصة نظمها معهد « شيلواح » فى جامعة تل أبيب فى أواخر شهر كانون الثانى ١٩٧٩ .

و قد أجمع العلماء اليهود المشاركون فى الندوة على أن اليقظة الاسلامية ، التى اجتاحت إيران بصورة مفاجئة و مذهلة و بدون سابق إنذار محسوس ، تنذر بأن ما حدث فى إيران ، يمكن أن يحدث فى أى مكان آخر فى المنطقة المحيطة بفلسطين المحتلة ، و يكاد يكون أمراً لا مفر منه أمام اليهود من التحسب له بشكل جدى .

وفيما يلى مقتطفات من أقوال العلماء اليهود المتخصصين فى الشئون العربية ، الذين شاركوا فى الندوة :

— البروفسور شارون : مستشار مناحيم بيغن — رئيس وزراء الاحتلال اليهودى للشئون العربية قال :

« ما من قوة فى العالم تضاهى قوة الاسلام ، من حيث قدرته على اجتذاب الجماهير ، فهو يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الاسلامية » .

— البروفيسور « يوشواح بورات » قال :

« إن المساجد هى — دائماً — منبع دعوة الجماهير العربية إلى التمرد على الوجود اليهودى » .

— البروفيسور « الباريش » قال :

« إن الاسلام قوة سياسية واجتماعية ، قادرة على توحيد الجماهير ، وخاصة فى الضفة الغربية ، حيث يقوم علماء الدين المسلمون بمهمة توحيد الصفوف ضد اليهود » .

— البروفيسور « موشيه شارون » قال :

« إن الجهود الأولى التى بذلت منذ أكثر من نصف قرن بواسطة علماء الدين المسلمين ، من أمثال مفتى فلسطين الأسبق الشيخ الحسينى ، و الشيخ حسن البنا فى مصر ، و غيرهما من العلماء المسلمين ، و التى ما زالت ، حتى الآن ، كان لها تأثير كبير فى كسب العالم الاسلامى إلى جانب العرب الفلسطينيين باسم الاسلام و باسم حماية الأماكن المقدسة الاسلامية » .

و ختمت الندوة أعمالها بالاشارة إلى عدة نقاط ، كان أهمها الاعتراف بوجود يقظة إسلامية حقيقية ، بدأت فى الظهور بين عرب فلسطين المحتلة ، رغم كل الجهود ، التى بذلها اليهود خلال الثلاثين عاماً الماضية لدمجهم فى المجتمع اليهودى .

(٨) و فى عددها الصادر فى ٢١/١٠/١٩٧٩م نقلت صحيفة الرأى الأردنية عن وكالة الأنباء الفرنسية أن صحيفة « الواشنطن بوست الأمريكية ذكرت أن الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر طلب من وكالة المخابرات الأمريكية أن تعد دراسة عن نشاطات الحركات الاسلامية فى العالم كله .

و نسبت صحيفة « الواشنطن بوست » إلى « ربيغنيو بريجينسكى » مستشار البيت الأبيض — آنذاك — لشئون الأمن القومى قوله :

« إن الارادة الأمريكية تشعر بقلق بالغ إزاء تزايد نشاط الحركات الاسلامية المنتشرة فى العالم الاسلامى و أن الولايات الأمريكية بحاجة إلى إعداد دراسة جديدة حول الحركات الاسلامية المتشددة ، ليسهل على الادارة الأمريكية وأصدقائها فى المنطقة الاسلامية مراقبتها عن كثب ، حتى لا تفاجأ باندلاع ثورة إسلامية جديدة فى أى مكان فى العالم الاسلامى ، لأن أمريكا حريصة على عدم السماح للاسلام بأن يلعب دوراً مؤثراً فى السياسة الدولية » .

(٩) و ذكرت صحيفة « القبس » الكويتية فى عددها الصادر فى ١٩٧٩/١/٢٤ ، أن مجلس الأمن القومى الأمريكى طلب من هيئة المخابرات البريطانية تزويد الادارة الأمريكية بكل ما يتوافر لديها من معلومات تتعلق بالحركة الاسلامية ، للاستعانة بها فى وضع الخطط الكفيلة بالقضاء على خطرهم قبل فوات الأوان .

(١٠) أوردت وكالة الأنباء الفرنسية فى نبأ لها من بيت المقدس بتاريخ ١٩ شباط « فبراير » ١٩٧٩م أن السلطات اليهودية قامت باعتقال اثنى عشر عالماً من علماء المسلمين ، و معظمهم من الشباب فى بيت المقدس .

و ذكرت الوكالة أن سلطات الاحتلال الاسرائيلى بدأت تبث رجالها فى المساجد ، لرصد الشباب المسلم ، الذى يرتاد المساجد بصورة متزايدة .

(١١) نقلت صحيفة « القبس » الكويتية فى عددها الصادر فى ١٩٨٦/٦/٣٠ عن صحيفة « فورتشن » مقالا تحت عنوان « الصحوة الاسلامية تقلق أمريكا ، و إسرائيل تتوقع جهاداً إسلامياً مقدساً لتحرير الأراضى » ، و جاء فى مقال « فورتشن » ما يلى :

« إن صحوة الاسلام الجديدة تزعج الاسرائيليين كثيراً ، فاسرائيل تعرف تماماً أنه إذا فشلت محادثات السلام مع مصر ، فانها ستكون هدفاً لحرب « الجهاد المقدس » ، التى ستشنها الصحوة الاسلامية المتزايدة . . . . »

و تردف صحيفة « فورتشن » قائلة :

« إنه حتى فى الجامعات العبرية فى إسرائيل بدأ الطلاب العرب المسلمون يبدون اهتماماً متزايداً بالعودة إلى دينهم ، و بدأوا يمارسون ضغوطاً على السلطات اليهودية للسماح بفتح كليات للثقافة الاسلامية ، والشريعة الاسلامية فى الجامعات اليهودية ، كما بدأ العديد منهم يطلقون لحاهم و يؤيدون العبادات الاسلامية ، فى حين بدأت الفتيات المسلمات فى ارتداء الزى الاسلامى الشرعى » . « يتبع »

انتشار الاسلام فى الغرب

(الحلقة الثانية)

بقلم : الدكتور محمد سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » الرياض)

لكن المشكلة التى تجابه المسلمين فى بلاد الغرب قاطبة : أميركا و أوروبا و استراليا ، أن كثيراً من المسلمين الذين و فدوا إليها و استقروا هناك جاؤا بخلافاتهم فيما بينهم وبنزعاتهم المتباينة ، وبتعصباتهم المتشددة لرأى دون رأى ، لحصل فى تلك المجتمعات الجديدة تباين و ذبذبة ، ما بين تأرجح لا يدرون معه عن الطريق السليم ، و ما بين تعصب لفئة دون فئة .

و الاسلام كما جاء به محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام بعيد عن تلك النزعات ، فهو فى جوهره نقى و طاهر ، بعيد عن التعصب الشخصى ، أو الانحراف المذهبى ، أو التأويل و التعطيل .

فالحلال فيه بين والحرام بين كما جاء فى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه : عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الحلال بين و إن الحرام بين و بينهما أمور مشتبهات ، فمن أتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه و عرضه ، و من وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا و إن لكل ملك حمى ألا و إن حمى الله محارمه » .

و فى الحديث الآخر : « إن الله حد حدوداً فلا تنتهكوها و حرم الله أشياء فلا تقربوها و سكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » .

فى الوقت الذى يقبل فيه فئات من البشر على الاسلام ، و يدخلون فيه عن طواعية فى شتى أنحاء المعمورة ، فان على المسلمين أنفسهم أمانة فى التبليغ و التوجيه ، لأن هذا القرآن الذى جعله الله هداية للبشر ما هو إلا ذكراً لمحمد (ﷺ) وأمته وهم سوف يسألون عن تبليغه للأمم الأخرى، حتى يأخذوه منهج سلوك و شريعة و عقيدة فى العمل و سبل الحياة .

يقول الله تعالى فى سورة الزخرف : « وإنه لذكر لك و لقومك وسوف تسألون ، و أسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمه آلهة يعبدون » (الآية ٤٤) والواجب على أبناء المسلمين لكى يؤدوا رسالة الاسلام، و ينطلقوا من أسلوبه فى الدعوة عرض جميع الأمور على كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ ، فما وافقهما أخذوا و ما خالفهما نبذوه و ابتعدوا عنه .

و بذلك يعود للاسلام نقاوته و صفاؤه ، و يشعر المسلم بآثار نعمة فى نفسه و فى أعماله كلها ، فقد روى فى كتب الترغيب و الترهيب أن شخصاً كان يطوف بالكعبة فى الثلث الآخر من الليل ، و كان كل دعائه الحمد لله الذى هدانى للاسلام وكفى به نعمة ، و بعد عام عاد إلى مكة ، فصار يطوف بالكعبة فى هدأة الليل ، و يردد ذلك الدعاء الذى كان يقوله فى العام الماضى ، و هو كل دعائه فى الطواف ، فسمع هاتفاً يقول : يا هذا ارفق بنا فاننا لم ننته منذ العام الماضى من كتابة أجر هذا الدعاء .

و ما ذلك إلا لأن الرجل صدق و التزم ، و علم فعمل ، و صدر دعاؤه من قلب ينبئ عما خلفه من مكنون سليم ، فالاسلام بحق نعمة و نعمة كبيرة ، امتن الله علينا به ، و وفقنا للهداية إليه ، فهو يستحق منا الشكر و العمل المتواصل من أجل توضيحه ونشره ، و من أجل إصلاح القلوب والعقائد و نبذ الخلافات فى أنفسنا أولا و مع إخواننا الآخرين ثانياً، وأن نقصد بعملنا هذا وجه الله تعالى طمعاً فى أجره ، و احتساباً لرضاه .

و القصص و الانطباعات التى علقت بذهنى عن واقع المسلمين ، و انجذاب الناس للاسلام فى بلاد الغرب كثيرة و مثيرة ، و تدعو كل فرد من أبناء المجتمع الاسلامى ، و خاصة من يسافر إلى تلك البلاد إلى أن يعمل جهده و لا يحقرن من المعروف شيئاً ، فكل جهد ينفع و كل توجيه له ثمرة .

و سأختم حديثى معكم أيها الأخوة بحكاية أخبرنى بها أحد الأخوة هناك و هى ذات تأثير عن سبب إسلام أحد القساوسة فى مدينـــة برمنجهام ، حيث تحول من قيادة الكنيسة إلى أن كان إمام المسجد هناك .

التقينا به وكان رجلا قد أعطاه الله بسطة فى الجسم طولا وعرضاً وضخامة ، سألناه عن اسمه فقال : داوْد ، و هذا هو الاسم الذى اخترته لنفسى بعد أن دخلت فى الاسلام ، و اخترته ديناً عوضاً عن النصرانية تيمناً بنبى الله داوْد .

و عن سبب إسلامه قال : كنت قسيساً أتحمس للنصرانية و أدعو إليها ، لكننى لاحظت انصراف الناس فى الآونة الأخيرة عن الكنيسة ، و قلة روادها إلا من الشيوخ و العجائز الذين يحرصون على اصطحاب الأطفال معهم لتمرينهم عليها ، و تحبيبها إلى نفوسهم منذ الصغر ، و لكنهم ما أن يكبروا حتى ينصرفوا عنها ، شأنهم شأن غيرهم .

فصار هذا الهاجس يدور بخلدى ، لأبحث فيه عن أسباب انصراف الناس عن الكنيسة ، و عدم اهتمامهم بالنواحى الدينيـــة ، فأسأل هذا ، و أناقش مع ذاك و أفكر فى نفسى أحياناً أخرى ، لعلى أجد جواباً مقنعاً ، حتى كنت يوماً مع أحد المسلمين أحاول جذبه للنصرانية ، و هو يشرح لى الاسلام و محاسنه و تعاليمه ، فكنت إذا سألتـــه عن شئ فى دينهم لـكى أعجزه جاء الجواب الشافى المقنع فارتاح له .

و إذا سألنى عما لدينا فى النصرانية عجزت أن أجد له جواباً فأقول له اكى أسكته : هكذا قال الرب .

لكن لا يرضى بذلك كما كان يسكت عليه أبناء ملتنا إذا أخبرناهم بمثل هذا الجواب فشعرت بأن فى الاسلام شيئاً غير ما فى النصرانية ، و شعرت أيضاً أن النصارى عندنا يسكتون على مضض ، و أن هذا من أسباب انصرافهم عن الكنيسة التى لا تلبى رغبات نفوسهم بالجواب المقنع ، و لا تخاطب عقولهم و أفكارهم فى عصر أصبح للقناعة و الاقناع دور كبير فى الانجذاب و الارتياح و المتابعة ، من ذلك اليوم و الهواجس تأخذ بنفسى و الأفكار تتنابنى ، حيث جئت لأصيد هذا المسلم و إذا به يصيدنى .

بدأت أدرس الاسلام بخفية حتى لا ينكشف أمرى فتثار حولى الشكوك ، هذا من جانب ، و من جانب آخر فكنت أنوى التماس مداخل انتقد منها الاسلام اكى انتصر لدينى ، و هذه غريزة التعصب لدى كل إنسان .

و لكننى ما ازددت معرفة بالاسلام إلا ازددت تعلقاً به و حباً له ، و إعجاباً بتعاليمه و سموها .

حتى جاء اليوم الذى كنت أمقت فيه النصرانية و ادخل الاسلام عن طواعية : فقد كنت أتحدث مع قس آخر أميركى أبيض اللون ، فامتد بنا النقاش إلى أن غضب على و قال : إن إلهنا نحن البيض لا يغفر لكم أنتم السود ، و كنت من ملونى أميركا ، فتحرك عندى هاجس جديد ، وهو أن هؤلاء عندهم تفرقة عنصرية فى الدنيا و بعد الموت ، و حتى الآلهة عندها أيضاً تفرقة عنصرية و دارت الدنيا فى رأسى و عدت بهاجسى إلى ما عرفت عن الاسلام فاذا هو لا يفرق بين أبيض و لا أسود ، عرفت عن بلال الحبشى و صهيب الرومى و سلمان الفارسى و دورهم فى خدمة الاسلام و اهتمام الاسلام

بهم و مساواتهم بغيرهم من العرب ما داموا فى الاسلام سواء فى الحقوق و الواجبات ، وحضرنى هذا النص من الاسلام « إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، و لا فرق بين أبيض و لا أسود إلا بالتقوى و إن تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة فاسمعوا و أطيعوا ما أطاع الله فيكم .

فأردت أن أجرح كبرياء هذا القس كما جرح كرامتى ، فرميت عليه الصليب و أشعرته بأن ديناً هذه نظرة أبنائه لا أريده ، و إنى سأبحث لنفسى عن دين غيره ،

فخرجت من عنده و اتجهت للمركز الاسلامى فأعلنت إسلامى ، ففرحوا بى فرحاً شديداً و تعهدونى بالتعليم و التوجيه ، و قرروا وضعى بعد مدة إماماً للمسجد ، و أخبركم أنه بحمد الله قد أسلم على يدى مجموعة كبيرة من الأميركيين الذين أتعهدهم و أرعاهم ، وصرت من رواد السجون الناصحين و الداعين للساجين إلى الاسلام و إعلامهم عن محاسنه ، و ما فيه من خير كثير و نعم لا يدركها إلا من وقرت فى قلبه .

و يزداد المساجين رغبة فى الاسلام عندما يعلمون أنى كنت قساً فأسلمت ، بل إن بعضهم قد رآنى من قبل أعظه و أنصحه باسم النصرانية فيسألونى عن السبب فأجيبهم بما يريح نفوسهم و خاصة الملونين منهم .

و لما سألناه عن رأيه فى الاسلام و مستقبله فى بلاد الغرب ؟ ؟ .

قال : إن الاسلام نعمة لايدرك كنهها إلا من دخله مجدداً بعد أن سار فى دين غيره ، فان للاسلام شعوراً غريباً فى داخل النفوس ، يصعب التعبير عنه .

و إن الأمريكيين بصفة خاصة يزداد عددهم ، حيث يبلغون الآن أكثر من مليونين يحتاجون من يهتم بهم و يوجههم و يرعاهم ، و يعرفهم بأمور دينهم و يعينهم على أداء شعائر ربهم .

و أنتم معاشر المسلمين عليكم أمانة كبيرة نحو دينكم ، و نحو المسلمين الذين دخلوه و لم يتعمقوا فيه فهماً و دراسة .

فالاسلام ساقه الله إليكم نعمة ، و امتن الله عليكم بالهداية إليه و معرفته ، و هذه النعمة تستوجب الشكر و أداء حقها .

فشكرها بالثبات عليها و أداء شعائر هذا الدين كما أمر الله بها كاملة غير ناقصة و فى أوقاتها و مناسباتها المحددة لها ، و إيجاد القدوة الصالحة فى البيت و لدى النشء .

و أداء حقها بنشر تعاليم هذا الدين و تعليمها لمن يجهلها و فى مقدمتها اللغة العربية التى لا يمكن استيعاب الدين الاسلامى إلا بها ، فهى وعاء الدين الاسلامى ، فبها نزل القرآن و بها يتعبد المسلم ، و بها يدرك المرء مفهوم تعاليم الاسلام و دلالة المقصود من التشريعات .

و متى تأخرتم معاشر المسلمين عن هـذا أصبحتم كبنى إسرائيل الذين كتموا ما أنزل عليهم ، و لم يبينوه للناس و اشتروا به ثمناً قليلا و استحقوا نقمة الله و عقابه ، كما أوضح القرآن الكريم عنهم فى أكثر من موضع .

و النعم لا تدوم إلا بالشكر كما قال الله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم و لئن كفرتم إن عذابى لشديد » .

تذكرت أثناء حديثه الذى حرك وجدانى ، ولهب مشاعرى ، عن حماسة هؤلاء المسلمين الجدد للاسلام ، و نكوصنا عنه نحن أبناء الاسلام ، قول الشاعر العربى :

إذا كنت فى نعمة فارعها فان المعاصى تزيل النعم
ودارم عليها بشكر الاله فان الاله سريع النقم

و أعظم النعم هى نعمة العقيدة و الارتباط بالخلق سبحانه و بحمده ، و كل نعمة تقصر دون أن تسمو إليها . و قد تتداخل بعض النعم فيغنى بعضها عن بعض ، و يهون بعضها إلى جانب البعض الآخر .

إلا أن نعمة الاسلام الذى ينقذ النفس من الهلاك ، و يريح القلوب و الهواجس ، و يزيد الفؤاد رضاً و قناعة بما قسم الله ، لا تقاس بغيرها من النعم التى تزول طلاوتها بعد امتلاكها

فلذة الاسلام إذا وقر فى القلب ، و حلاوة الايمان إذا سكن الفؤاد ، لذة دائمة ، وطعم لا يحس به إلا فئة معينة من البشر .

و لذا كان من دعاء مالك بن دينار : اللهم أذقنى حلاوة الايمان ، كما كان رسول الله ﷺ يجد فى العبادة لذة و سلوة ، و خاصة الصلاة التى هى عمود الاسلام ، فكان إذا حزبه أمر أو أهمه شئ لجأ للصلاة ، و كان يقول : يا بلال أرحنا بالصلاة ، و هى قرة عينه ﷺ .

فمن نعمة الاسلام ارتباط شعائره بقلب صاحبه ، و حرص على المحافظة عليها و أدائها بنفس راضية ، و قلب منشرح .

و نلمس مثل هذا حرصاً و متابعة فى المسلمين الجدد و خاصة فى بلاد الغرب ، لأنهم عاشوا بادىء حياتهم فى خواء فكرى ، و قلق نفسى ، و تفكك اجتماعى ، و لما دخلوا فى هذا الدين ربطهم بوشائج لم تكن معروفة ، و نمى فيهم خصالا لم تكن معهودة ، و علمهم بأمور عقائدية و تعبدية لا وجود لها فى حياتهم السابقة .

فكان هذا الدور الاسلامى نقلة من حياة إلى حياة و تطوراً من دور إلى دور ، حياة فتحت آفاقهم إلى أشياء جديدة و طرية و ذات روح و معنى عميق ، و دور إيجابى فى الأمور التى وصلت إلى الأذهان و ارتقت بها .

يدرك مثل هذا كل من دخل مع أولئك القوم و غاص فى أعماق نفوسهم ، و تفاعلت معه أحاسيسهم المعبرة عما شاهدوا و لمسوا فى هذا الدين الجديد الذى انتموا إليه، فالعملية ليست انتماء كما هو المعهود لدى بعض الأفراد فى المجتمع الاسلامى ممن عاشوا فى بيئة إسلامية ، و تسموا بأسماء إسلامية ، لكنهم لم يلتزموا بالمنهج الاسلامى ولم يحافظوا فى حياتهم وسلوكهم على الطابع الاسلامى،

فكان الفارق بين هـــذه الفئة و تلك كالفارق بين الشمس و الظل ، أو كالفارق بين الظلمة و الضياء .

الظلمة فى نفوس قوم عرفوا الاسلام انتماء و لم يطبقوه عملا فصح فيهم حديث المصطفى وإعجازه النبوى بالاخبار عما سيحصل فى آخر الزمان بقوله : « يأتى زمان لا يبقى من الاسلام إلا اسمه و لا من القرآن إلا رسمه » .

وضياء فى نفوس تطلعت إلى هذا الاسلام فعرفته نعمة ، فقبضت عليه يد شديدة وعضت إليه بالنواجذ القوية ، فصاروا كالقابض عـــلى الجمر فى زمن يعز فيه من يقبض على دين كما أخبر بذلك الهادى البشير بقوله : « القابض على دينه كالقابض على الجمر » .

و نعمة الاسلام تتبدى عند الانسان، عند ما يكون قد دخل فى غيره ، أو وقع ضحية لمعتقدات و آراء تتباين معه ، فيرى فى الاسلام منقذاً من ظلمه ، و قائداً إلى الهدى بعد الضلال ، و بضدها تتميز الأشياء .

جعلنا الله جميعاً ممن يشعر بنعمة الاسلام و لذته ، و يسير فى منهجه قدوة وعملا و فهماً و إدراكاً ليكون صالحاً فى نفسه ، موجهاً لبنى جلدته ، مرشداً لاخوانه معيناً على الخير .

و الله الهادى سواء السبيل .

تحريف واضح خطير غفل عنه الأكثرون

الأستاذ عمر بن أحمد المليبارى

إن عابد الرسول كافر بلا خلاف ، ومطيع الرسول مسلم كذلك ، و هل من الناس من يرتاب فيه ؟ لا ، أبداً ، ومع ذلك يقول الناس إن معنى العبادة الاطاعة فاذن يكون عابد الرسول مسلماً بزعمهم ، نعوذ بالله من زيغ القلوب .

أرادوا التدخل فى السياسة و الاستيلاء على الحكم ففكروا فى الوسيلة إليه فوسوس إليهم الشيطان أن أسهل الوسائل تفسير العبادة بالاطاعة ، فاذن يكون معنى لا إله إلا الله لامطاع إلا الله ، و يكون معنى لا تعبدوا إلا الله : اطيعوا أوامر الله و لا تطيعوا أوامر غيره ، فيستفاد منه أن من أطاع غير الله كافر ، و هذا و إن يكن يعم كل إطاعة أفردوا عنايتهم بإطاعة الحكام المدنيين فقالوا إن مطيع هؤلاء الحكام عابد لهم و كافر مشرك ، وظنوا أن الناس إذا وفقوا على هذا يستعدون لبذل جهودهم لاقامة الحكومة الالهية ، وبهذه الطريقة انتهى أمرهم إلى التصلب فى تفسير العبادة بالاطاعة وعض نواجذهم عليه .

و قدموا لذلك دلائل كلها كالسراب ، أهمها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله من أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأعمال و الأقوال الظاهرة و الباطنة . . . .

فأقول إن شيخ الاسلام لم يذكر أن معنى العبادة الاطاعة ، و أن الذى ذكره ليس بيان معنى العبادة قطعاً ، فمن ذا الذى يتردد فى بطلان قولنا : عبادة

المسيح اسم جامع لكل ما يحبه المسيح و يرضاه . . . . و عبادة الصنم اسم جامع لكل ما يحبه الصنم و يرضاه . . . وهلم جراً ، و إنما شيخ الاسلام شرح عبادة الله الخاصة شرحاً وافياً شاملا للعبادات الفعلية كالصلاة و الحج و الزكاة ، و العبادات التركية مثل ترك الزنا و الربا وسائر المحرمات ، و العبادات القلبية مثل الرضى القضاء و القدر و التوكل و الصبر و التواضع وحب الله وحب رسوله و الخوف و الرجاء ، و العبادات السلبية القلبية مثل ترك الكبر و الحسد و غيرهما من محرمات القلب ، و ظاهر أن شيخ الاسلام لو كان أراد شرح معنى العبادة المأمور بها و المنهى عنها لذكر غير هذا البيان ، و شيخ الاسلام ذكر هذا البيان حول قوله تعالى : يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم . . . . فلا فلا تجعلوا لله أنداداً ، فلاشك أن الأولى شرح معنى العبادة العامـــة التى يجب إفرادها لله و لا يجوز صرفها لغير الله ، و ياليت شعرى لمـاذا لم يتجـــه نظره إليه ! و الله أعلم .

و احتجوا أيضاً بما ثبت فى القرآن من أن النصارى « اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله » مع ما ثبت فى الحديث الصحيح فى شرح الآية من أنهم كانوا يطيعون أوامر الأحبـار حتى فى تحليل ما حرم الله و تحريم ما أحل الله ، و قد صرح الرسول أن تلك الاطاعة عبادتهم .

فأقول : ليس هذا بيان معنى العبادة ، و إنما هو الحكم على النصارى أن إطاعة الأحبار عبادة ، كما إذا قلنا إن السجود عبادة فلا يراد منه أن معنى العبادة السجود ، و إذا قلنا إن استعداد خليل الله إبراهيم لذبح ابنه عبادة فلا يراد منه أن معنى العبادة ذبح الابن أو الاستعداد له ، و إذا قلنا الركوع عبادة فلا يراد منه أن معنى العبادة الركوع وهلم جرا . . . .

و هذه الجملة فى الحديث « فتلك عبادتهم » لا يستقيم معناها إذا فسرنا العبادة بالاطاعة ، لأن الاشارة تهدف إلى الاطاعة ، « تلك » أى الاطاعة بلاشك « عبادتهم » أى إطاعتهم فصار معنى الجملة هكذا : تلك الاطاعة إطاعتهم، فاتحد المسند و المسند إليه ، و هذا غير صحيح ، و لابد أن يكون المسند و المسند إليه متغايرين .

وجدير بالتنبيه أن النصارى كانو يطيعون ملوكهم وحكامهم ، ولما قال الله : اتخذوا أحبارهم و رهبانهم « لم يقل معه » و ملوكهم » فما سببه ؟ و القوم يزعمون أن إطاعة الملوك و الحكام عبادة لهم و استدلوا لذلك بهذه الآية و ليس فى الآية ذكر الملوك ، فكيف هذا الاستدلال ؟ أقول هذا الاستدلال غير مستقيم، فليس بين الدعوى و الدليل نسبة ، و الحق أن بين إطاعة الأحبار و إطاعة الحكام فرقاً واضحاً ، و ذلك أن إطاعة الأحبار ناشئة من الرجاء و الخوف بالغيب و مشتملة على الدعاء و لذلك تلك الاطاعة عبادة ، و أما إطاعة الملوك فليست كذلك فليست بعبادة .

و من ذا الذى لا يدرى أن المعبود واحد قطعاً و المطاعون كثير ، فكيف تسوون أيها الناس بين العبادة و الاطاعة .

و من ذا الذى لايدرى أن الله نهى عن عبادة غيره و أمر باطاعة غيره، ألا يظهر لكم أيها الناس الفرق بين الاطاعة و العبادة .

و من ذا الذى لا يدرى أن عابد الرسول كافر و مطيع الرسول مسلم ، فكيف سمحت قلوبكم أيها الناس بتفسير العبادة بالاطاعة .

كلا إن العبادة و الاطاعة متغايران . و الله الموفق .

و لا بأس أن نشير إلى شيء من النتائج الخطيرة لهذا التحريف :

١- تكفير المسلمين بغير سلطان من عند الله أو الرسول، فان قوانين الحكم التى لا تعارض ما أنزل الله يجوز قبولها و إطاعة الحكام فيها، و هؤلاء المحرفون يعمون التكفير على كل من أطاع القوانين، و لا يفرقون بين أمور الدنيا و أمور الدين، و قد قال الله تعالى: «و ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذا قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون و عمله، و نجنى من القوم الظالمين»، و لا شك إن امرأة فرعون عاشت مطيعة لأوامر زوجها و قوانين حكومته، ومع ذلك جعلها الله مثلا للمؤمنين، فلله الحمد على هذا التيسير و التخفيف.

٢- هؤلاء المحرفون جرى بينى وبين بعضهم مناظرة: فشرحت أن تفسير العبادة بالاطاعة خطأ كبير و تحريف واضح، فقال ما كل إطاعة تراد و إنما المراد الاطاعة المطلقة يعنى أنه إذا صدر الأمر فلا يجوز للمأمور العصيان أبداً، و لا يسمح له أن يناقش فى الدليل، و لا أن يبدى رأيا بخلافه، هذه هى الاطاعة المطلقة العمياء، و هى العبادة التى لا تجوز إلا لرب العالمين، فسألته ماذا تقولون فيمن أطاع رسول الله بهذه الصورة فقال إنه كافر مشرك معاذ الله.

من ذا الذى لا يدرى أن شهادة أن محمداً رسول الله تقتضى إطاعة الرسول بالاطلاق، قال الله تعالى: «و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم»، «فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً»، فهؤلاء المحرفون بغلوهم وتشديدهم جعلوا شرط الايمان كفراً، معاذ الله.

٢- معروف للجميع قول رسول الله ﷺ فى خطبة حجة الوداع « إلا و إن الشيطان قد ايس أن يعبد فى بلدكم هذا » و قد نقل بعض هؤلاء هذه الخطبة إلى المليبارية فترجم الجملة المذكورة بما معناه إن الشيطان فهم انه لا يطيعه أحد فى عرفة ، فبدا لكل قارىء أن الرسول أعلن أنه لا يكون فى عرفة شئ من المعاصى ، لأن كل معصية ناشئة من إطاعة الشيطان ، و الواقع يكذبه ، فصار ذلك تكذيباً للرسول و هو الصادق المصدوق ، و هذا أمر لا يستطيع مسلم الصبر عليه ، و الخلاصة أن تفسير العبادة بالاطاعة صار سبباً لتكذيب الرسول ، معاذ الله .

ثم إن هؤلاء المحرفين لكلمة الشهادة حرفوا الآيات التى ورد فيها الأمر بعبادة الله و النهى عن عبادة غيره ، مثلا : فسروا قوله تعالى : لا تعبدوا إلا الله ، بقولهم أطيعوا أحكام الله و لا تطيعوا أحكام غيره ، فنشأ منه أن إطاعة أوامر غير الله شرك و هذا أمر جديد لا عهد للمسلمين به .

و إنى أحذر هؤلاء المحرفين أن ينطبق عليهم قوله تعالى: « فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم » فقد أمروا بإفراد الله بالعبادة أولا و قبل كل شئ فبدلوه بإفراد الله تعالى بالحاكمية أولا و قبل كل شئ .

ثم إنهم بعد ما غيروا كلمة التوحيد و آيات التوحيد ابتدعوا أمراً عظيماً لا عهد للمسلمين به ، و ذلك أنهم زعموا أن الصلاة و الصوم و الزكاة و الحج إنما فرضت لتدريب الناس على إقامة الحكومة الالهية و إدارة شئونها ، وما إلى ذلك ، فأقول : إن هذا خسران عظيم ، خسران الدنيا و الآخرة ، فالذى يصلى و يصوم و يزكى و يحج مستهدفاً لما ذكر لا يفوز بشئ منه فى الدنيا و لا ينال ثواب الله فى الآخرة ، و إنما الأعمال بالذات ، و إن مؤسس هذا الحزب بعد

بيان هذا الموضوع أعلن : إن هذه الحقيقة لم يذكرها أحد ممن سبق ، فما أعظم خسارة قوم بدلوا دين الله وجاؤا بما لا يطيقونه فأصبحوا أعداء أنفسهم كالمنتحرين ، أسأل الله الكريم لنا و لهم التوفيق ، و لا حول و لا قوة إلا بالله .

المدلول الصحيح :

و لا شك أن أحسن و أوضح ما ورد فى بيان العبادة و الاولى بالتقديم ما ثبت عن الرسول ﷺ ، لأن الرسول تلقى من عند ربه كما قال تعالى : « ثم إن علينا بيانه » فقد ثبت أنه قال : الدعاء هو العبادة ، و روى أنه قال : الدعاء مخ العبادة ، فقول القائل « اللهم اغننى » أو « اللهم اغفرلى » أو « اللهم ادخلنى الجنة و أعذنى من النار ، أو اللهم اشفنى و عافنى » عبادة ، و كل أمر ينشأ من الرجاء و الخوف بالغيب و يحتوى على الدعاء عبادة ، مثلا شد الرحال إلى بيت الله ابتغاء التقرب إلى الله عبادة لله ، كما أن شد الرحال إلى مقابر الأولياء ابتغاء التقرب إليهم عبادة لهم ، و قراءة القرن ابتغاء وجه الله عبادة له ، و قراءة المولد ابتغاء رضوان الولى عبادة للولى ، و تعظيم الكعبة ابتغاء وجه الله عبادة لله كما أن تعظيم الصليب ابتغاء وجـــه المسيح عبادة للمسيح ، و سبب كل ذلك أن الدعاء كامن فيه و هو الباعث على العمل ، و بسببه صار العمل عبادة ، وإن عمل الرياء كالصلاة ليراها الناس ليست عبادة ، و إطعام المساكين لثناء الناس ليس بعبادة لخلوهما من دعاء الله ، و إن تكن الصلاة و إطعام المساكين على ابتغاء رضوان أولياء الله الأموات فهما عباده للأولياء ، فظهر أن لب الأمر الدعاء ، هذا بيان معنى قول الرسول « الدعاء مخ العبادة » و الله أعلم ، والحمد لله و صلى الله على نبينا محمد و آله و صحبه أجمعين .

و الحمد لله رب العالمين .

أعلام المحدثين و مؤلفاتهم فى السنة

-(٢)-

تأليف : الامام الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوى رحمه الله
نقله من الفارسية و حققه : الأستاذ محمد أكرم الندوى
مدرس بدار العلوم لندوة العلماء

روايات الموطأ :

الرواية الأولى :

هذه الرواية أكثرها رواجاً و اشتهاراً و تداولا بين العلماء ، وهى التى تراد عند إطلاق الموطأ من دون تقييد ، و يتبادر إليها الذهن ، أولها :

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوت الصلاة :

مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوماً ، فدخل عليه عروة بن الزبير ، فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوماً وهو بالكوفة فدخل عليه أبو مسعود الانصارى ، فقال : ما هذا يا مغيرة ، أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ ثم قال بهذا أمرت ، فقال عمر بن عبد العزيز اعلم ما تحدث به يا عروة أو أن جبريل هو الذى أقام لرسول الله ﷺ وقت الصلاة ، قال عروة : كذلك بشير بن أبى مسعود الانصارى يحدث عن أبيه ، ولقد حدثتنى عائشة زوج النبى ﷺ أن النبى ﷺ كان يصلى العصر و الشمس فى حجرتها قبل أن تظهر .

يحى بن يحى المصمودى الأندلسى

نسب يحى :

هو أبو محمد يحى بن يحى بن كثير بن وسلاس (بفتح الواو وسكون السين المهملة و بعد اللام ألف و سين مهملة) ابن شملل (بفتح الشين المعجمة و سكون الميم وفتح اللام الأولى) ابن منقايا (بفتح الميم و سكون النون بعدها قاف معقودة ، و بعد الألف مثاة تحتية بعدها ألف) المصمودى و يقال الصادى نسبة إلى صاد وهى فرع من مصمودة .

إسلام آبائه و دخولهم إلى الأندلس :

أسلم جده منقايا على يد يزيد بن عامر اللاثى ، فهذا هو سبب انتمائهم إلى ليث ، وكثير هو الداخل إلى الأندلس ، وقيل يحى بن وسلاس قدم الأندلس فى جيش طارق بن زياد (١) و أسلم وسلاس أيضاً على يزيد بن عامر اللاثى ، وقيل هو أول من أسلم من آبائه .

سماع يحى و رحلته للطلب :

سمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب فى كتاب الاعتكاف ، شك فى سماعه بها ، وهى باب خروج المعتكف إلى العيد ، و باب قضاء الاعتكاف وباب

---

(١) وهو طارق بن زياد من إفريقية ، فتح جزيرة الأندلس و دوخها و إليه ينسب جبل طارق الذى يعرفه العامة بجبل الفتح فى قبلة الجزيرة الخضراء ، ورحل مع سيده (موسى بن نصير) بعد فتح الأندلس إلى الشام و انقطع خبره ، و كان حسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه ، وحط طارق بجبل طارق المنسوب إليه يوم السبت سنة اثنتين وتسعين (أحمد بن محمد المقرى : نفح الطيب ١/ ٢٣٠ .

النكاح فى الاعتكاف فحدث بها عن زياد بن عبد الرحمن (١) .

سمع الموطأ فى بلده من زياد بن عبد الرحمن قبل أن يشد الرحل إلى مالك ، أصل يحى بن يحى من البربر ، و أسلم جده .

سمع يحى لأول نشأته من زياد بن عبد الرحمن موطأ مالك ، ثم رحل إلى المشرق وهو بن ثمان و عشرين سنة ، فسمع من مالك الموطأ ، و كان لقاؤه لمالك سنة تسع و سبعين ومأة ، السنة التى مات فيها مالك وحضر جنازته (٢) .

وسمع من ابن وهب (٣) وهو من جلة أصحاب مالك موطأه و جامعه ، و أدرك جمعاً من أصحاب مالك .

وكانت له رحلتان من الأندلس سمع فى الأولى من مالك و عبد الله بن وهب و الليث بن سعد المصرى و سفيان بن عيينة (٤) و نافع بن أبى نعيم القارىء (٥) .

---

(١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ٢ / ١٧٩ ، و سيأتى ذكر زياد بن عبد الرحمن .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ، و ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ٢ / ١٧٩ و القاضى عياض : ترتيب المدارك ١ / ٥٢٥ .

(٣) سيأتى ذكره .

(٤) هو سفيان بن عينة بن أبى عمران ميمون الهلالى ، أبو محمد الكوفى ، ثم المكى ، ثقة حافظ فقيه إمام حجة ، إلا أنه تغير حفظه بآخره ، وكان ربما دلس لكن عن الثقات ، من رؤوس الطبقة الثامنة ، و كان أثبت الناس فى عمرو بن دينار ، مات فى رجب سنة ثمان و تسعين و مأة ، و له إحدى و تسعون سنة (ابن حجر : تقريب التهذيب ١ / ٣١٢) .

(٥) وهو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم القارىء المدنى ، مولى بنى ليث أصله

و اقتصر فى الأخرى على ابن القاسم صاحب مالك و صاحب المدونة (١) و به تفقه (٢) .

استوفى فى الرحلة الاولى النقل و الرواية ، و فى الثانية الفقه و الدراسة ، وعاد جامعاً بين الرواية و الدراية إلى الأندلس ، و انتهت إليه الرئاسة بها (٣) .

فضل يحى و نبوغه :

و عادت فتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار (٤) إلى رأيه ، وعيسى بن دينار من جلة أصحاب مالك ، وبيحى و عيسى انتشر مذهب مالك (٥) و كان يحى يفضل بالعقل على علمه ، وقال ابن لبابة (٦) : « فقيه الأندلس عيسى بن دينار

☆ من أصبهان ، و قد ينسب لجده ، صدوق ثبت فى القراءة ، من كبار السابعة ، مات سنة تسع و ستين (ابن حجر : تقريب التهذيب ٢/٢٩٦) .

(١) سيأتى ذكره .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ٣٥٠ ، و ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ١٤٤ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ٣٥٠ .

(٤) وهو عيسى بن دينار بن واقد الغافقى ، أصله من طليطلة ، وسكن قرطبة ، يكنى أبا عبد الله ، رحل فسمع من ابن القاسم ؟ و انصرف إلى الأندلس ، فكانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه فى وقته أحد ، و كانوا يرون أنه مجاب الدعوة ، توفى سنة اثنى عشرة و مأتين (ابن فرحون : تأريخ علماء الأندلس ١ / ٣٣١) .

(٥) ابن فرحون : الديباج المذهب ٣٥٠ .

(٦) وهو محمد بن عمر بن لبابة مولى أبى عثمان بن عبيد الله بن عثمان ، من أهل قرطبة ، كان إماماً فى الفقه ، مقدماً على أهل زمانه فى حفظ الرأى و البصر بالفتيا ، و لم يكن له علم بالحديث ، ولا معرفة بشئ منه ، مات سنة أربع عشرة وثلاث مأة (ابن الفرضى : تأريخ علماء الأندلس ٢/٣٥) .

و عالمها ابن حبيب (١) و عاقلها يحى (٢) .

تلقيب مالك إياه بالعاقل :

و كان مالك يعجبه سمت يحى و عقله ، وسماه العاقل (٣) .

يروى أنه كان فى مجلس مالك مع جماعة من أصحابه. فقال قائل : قد حضر الفيل ، والفيل غريب فى بلاد العرب و لا سيما فى ذلك الزمان ، و قد افتخر بعض العرب برؤيته للفيل و اعتبره شيئاً ميمونا مباركا ، قال أبو الشقمق :

يا قوم إنى رأيت الفيل بعدكم ... فبارك الله فى رؤية الفيل
رأيتـــه وله شئ يحركه ... فكدت أصنع شيئاً فى السراويل

فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا إليه ، ولم يخرج يحى ، فقال له مالك : مالك لا تخرج فتراه لأنه لا يكون بالأندلس ، فقال إنما جئت من بلدى لأنظر إليك و أتعلم من هديك وعلمك ، و لم أجئ لأنظر إلى الفيل ، فأعجب به مالك وسماه عاقل أهل الأندلس (٤) .

(١) وهو عبـــد الملك بن حبيب بن سليمان ابن مرداس السلمى ، يكنى أبا مروان ، كان بالبيرة وسكن قرطبـــة ، و كان مشاوراً مع يحى بن يحى و سعيد بن حسان ، و كان حافظاً للفقه على مذهب المدنيين ، نبيلا فيه ، وله مؤلفات فى الفقه و التواريخ و الآداب كثيرة حسان ، و لم يكن له علم بالحديث ولا كان يعرف صحيحه من سقيمه ، توفى سنة ثمان وثلاثين و مأتين (ابن الفرضى : ١/٢٦٩) .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ٣٥١ ، و أحمد بن محمد المقرى : نفح الطيب ٢ / ٩ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ٣٥١ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ١٤٤ ، ونفح الطيب ٢ / ٩ .

مكانته لدى الأمراء :

وكان مع إمامته و دينه معظماً عند الأمراء مكينا عفيفاً عن الولايات متنزها ، جلت رتبته عن القضاء، فكان أعلى قدراً من القضاة عند ولاة الأمر هناك لزهده فى القضاء و امتناعه منه (١) .

سبب انتشار مذهب مالك فى الأندلس :

قال ابن حزم الأندلسى (٢): مذهبان انتشرا فى مبدأ أمرهما بالرئاسة والسلطان ، مذهب أبي حنيفة (٣) فانه لما ولى قضاء القضاة أبو يوسف يعقوب صاحب أبي حنيفة (٤) كانت القضاة من قبله ، فكان لا يولى قضاء البلدان من أقصى المشرق

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ١٤٤ .

(٢) وهو الامام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد أبو محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم الفارسى الأصل، الأموى القرطبى الظاهرى صاحب التصانيف، ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين و ثلاث مأة ، و كان إليه المنتهى فى الذكاء و الحفظ وسعة الدائرة فى العلوم ، و كان شافعياً ، ثم انتقل إلى القول بالظاهر ، ونفى القول بالقياس ، و تمسك بالعموم و البراءة الأصلية ، و كان صاحب فنون ، فيه دين و تورع و تزهد وتحر للصدق ، و كان أبوه وزيراً جليلا محتشما ، كبير الشأن وكان له كتب عظيمة، و لاسيما كتب الحديث و الفقه ، وله كتاب الاحكام فى أصول الأحكام ، و كتاب المحلى و شرحه المجلى ، و كتاب الفصل فى الملل و النحل ، توفى سنة سبع و خمسين و أربع مأة (الذهبى : تذكرة الحفاظ ٣ / ١٥٤) .

٣) سيأتى ذكره .

٤) هو القاضى أبو يوسف الامام العلامة فقيه العراقيين يعقوب بن إبراهيم

إلى أقصى إفريقية إلا أصحابه و المنتمين إليه و إلى مذهبه ، و مذهب مالك بن أنس عندنا فى بلاد الأندلس ، فان يحى بن يحى كان مكينا عند السلطان ، مقبول القول فى القضاة فكان لا يلى قاض فى أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ، و من كان على مذهبه (١) .

يقول كاتب هذه السطور: إن سبب انتشار مذهب مالك فى بلاد الأندلس والمغرب لدى عامة المؤرخين أن علماء هذه البلاد كانوا يرحلون إلى الحجاز للحج و العمرة ، و كانوا يعودون إلى بلادهم و قد شاهدوا فضل مالك و عظمته وسمته فى العلم و هيبتــه و جلالته ، و كانوا يقصون على الناس من صفاته و أحواله العظيمة حتى نشأوا على تعظيم مالك وحبه و اتباعه ، و أما قبل ذلك فقد كانوا على مذهب الأوزاعى (٢) .

ولم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلها الاسلام من الحظوة وعظم

X الأنصارى الكوفى صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه ،قال المزنى : هو اتبع القوم للحديث ، قال يحى بن معين : ليس فى أصحاب الرأى أكثر حديثاً ولا أثبت من أبى يوسف ، مات سنة ثنتين و ثمانين و مأة (الذهبى : تذكرة الحفاظ ١ / ٢٩٣) .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ١٤٤ .

(٢) وهو شيخ الاسلام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقى الحافظ ، ولد سنة ثمان و ثمانين قال أبو إسحاق الفزارى لو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعى ، وكان يحى الليل صلاة و قرآنا و بكاءاً، وقد كان المنصور يعظم الأوزاعى ويصغى إلى وعظه و يجله ، مات سنة سبع وخمسين و مأة (الذهبى : تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٨) .

القدر و جلالة الذكر ما أعطيـه يحى بن يحى (١) و ذالك فضل الله يؤتيه من يشاء ، و الله ذو الفضل العظيم .

اتباعه لمالك و التزامه بمذهبه :

قال ابن بشكوال (٢) : « كان يحى بن يحى مجاب الدعوة ، و كان قد أخذ فى نفسه و هيئته و مقعده هيئة مالك (٣) .

و كان يفتى بمذهب مالك لا يجاوزه مع أن تقليد مذهب واحد لم يكن شائعاً فى ذلك الزمان ، لا فى الخاصة ولا فى العامة .

وكتبوا أن يحى بن يحى التزم بمذهب مالك إلا فى أربع مسائل ، اتبع فيها الليث ، فكان لا يرى القنوت فى الصبح ولا فى غيرها ، و خالف مالكا فى الأخذ باليمين مع الشاهد فلم ير القضاء به ، وقضى برأى أمينين إذا لم يوجد من أهل الزوجين حكمان ، و رأى كراء الأرض بما يخرج منها على مذهب الليث (٤) و أنكروا عليه هذه المخالفة اليسيرة كذالك لشدة حبهم لمالك و مذهبه :

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ١٤٦ .

(٢) وهو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الأنصارى من أهل قرطبة، كنيته أبو القاسم صاحب التأريخ ، و المسلم له فى حفظ أخبارها و معرفة رجالها ، كان متسع الرواية ، شديد العناية بها عارفا بوجوهها حجة فيما يرويه و يسنده ، مقدماً على أهل وقته فى هذا الشأن ، أسند عن شيوخه نيفاً و أربعمأة كتاب ما بين كبير و صغير ، توفى سنة ثمان و تسعين و خمس مأة (ابن فرحون : الديباج المذهب ١١٤) .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ١٤٦ .

(٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١ / ٥٣٨ .

وفاة يحى بن يحى :

توفى فى رجب سنة أربع و ثلاثين و مأتين ، و كان سنه يوم توفى اثنتين و ثمانين سنة (١) و قبره فى قرطبة يستسقى به (٢) .

زياد بن عبد الرحمن

و أعلم أنه إذ روى يحى بعض الأبواب من الموطأ عن زياد بن عبد الرحمن أردنا أن نثبت نبذة من حياته .

نسب زياد :

هو أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمى المعروف بشبطون ، من ولد حاطب بن أبي بلتعة البدرى صاحب رسول الله ﷺ (٣)

رحلته إلى مالك و نشر مذهبه فى الأندلس :

و كان زياد أول من أدخل الأندلس مذهب مالك ، و كانت له رحلتان إلى الامام مالك (٤) .

ورعه و زهده فى القضاء :

كان واحد زمانه زهداً و ورعاً (٥) أراد الأمير هشام رحمه الله (٦)

---

(١) ابن فرحون : الديباج المذهب ٣٥١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٦/٦ .

(٣) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ١٥٤/١ ، و القاضى عياض : ترتيب المدارك ٣٤٩/١ ، و ابن فرحون : الديباج المذهب ١١٨ .

(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب ١١٨ .

(٥) نفس المصدر ص ١١٨ .

(٦) وهو هشام بن عبد الرحمن الداخل، كان أبوه يوليه فى صباه و يرشحه

زياد بن عبد الرحمن على القضاء فخرج هارباً بنفسه ، فقال هشام : ليت الناس كزياد ، حتى أكفى أهل الرغبة فى الدنيا ، و أمنه فرجع (١) :

أخبار زياد مع الملوك :

ومن غرائب أخباره أنه حضر عند هشام يوماً غضب فيه على خاصة له ، أوصل إليه كتاباً كرهه ، فأمر بقطع يده ، فقال زياد : أصلح الله الأمير ، فان مالك بن أنس حدثنى فى خبر رفعه إلى النبى ﷺ إن من كظم غيظاً يقدر على إنفاذه ، ولاه الله أمناً و إيماناً يوم القيامـــة ، فسكن غضب الأمير ، و قال له أحسنت ، إن مالكا حدثك به ، فأمر الأمير أن يمسك عن يد الخادم و عفا عنه (٢) .

و جاءه كتاب من بعض الملوك بعد مدة ، فكتب فيه ثم طبع الكتاب ، و نفذبه الرسول فقال زياد : أندرون عم سأل صاحب هذا ؟ سأل عن كفتى

للأمر ، و كان هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز ، و لما وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس قال : ليت أن الله تعالى زين موسمنا بمثل هذا ، و من محاسنه أنه جدد القنطرة التى يضرب بها المثل بقرطبة ، و من محاسنه إكمال بناء الجامع بقرطبة ، و أنه أخرج المصدق لأخذ الزكاة على الكتاب و السنة ، توفى سنة ثمانين ومأة بعد سبع سنين و تسعة أشهر من إمارته . و كان من أهل الخير و الصلاح كثير الغزو و الجهاد و عمره أربعون سنة و أربعة أشهر ، ولد سنة ١٣٩ ، (أحمد ابن محمد المقرىء : نفح الطيب ١/٣٣٦ .

(١) ابن الفرضى : تأريخ علماء الأندلس ١/١٥٤ ، و احمد بن محمد المقرىء : نفح الطيب ٢/٤٥ .

(٢) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١/٢٥١ .

ميزان الأعمال يوم القيامة، من ذهب هى أم من ورق، فكتبت إليه: حدثنا مالك عن ابن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه (١).

وفاة زياد:

و توفى سنة أربع و مأتين السنة التى توفى فيها الشافعى (٢).

٢- رواية عبد الله بن وهب

أول هذه الرواية:

أخبرنا مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، و إذا قالوا لا إله إلا الله عصموا منى دمائهم و أموالهم و أنفسهم إلا بحقها و حسابهم على الله

و هذا الحديث تفرد به ابن وهب، لم يروه غيره من أصحاب روايات الموطأ إلا ابن القاسم.

نسب عبد الله بن وهب:

هو ابو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى مولاهم المصرى (٣).

مولده:

كان مولده فى ذى القعدة سنة خمس و عشرين و مأة (٤).

(١) القاضى عياض: ترتيب المدارك ٣٥٢/١.

(٢) ابن الفرضى: تأريخ علماء الأندلس ١٥٥/١.

(٣) القاضى عياض: ترتيب المدارك ٤٢/١، والذهبى: تذكرة الحفاظ ٣٠٤/١.

(٤) ابن فرحون: الديباج المذهب ١٣٣، و ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٦/٣.

طلبه للعلم و رحلته :

روى عن أربعماة عالم ، منهم مالك و الليث و ابن أبي ذئب و يونس بن يزيد (١) و السفيانان (٢) .

(١) وهو يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي أبو يزيد مولى آل أبي سفيان. ثقة ، إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلا ، وفي غير الزهري خطأ من كبار السابعة ، مات سنة تسع و خمسين (ابن حجر : تقريب التهذيب ٣٨٦/٢)

(٢) أي سفيان بن عيينة و سفيان الثوري ، و قد مر ذكر ابن عيينة ، وأما الثوري فهو سفيان بن سعيد بن مسروق الامام شيخ الاسلام سيد الحفاظ أبو عبد الله الثوري ثور مضر ، الكوفي الفقيه ، و قال شعبة و يحى بن معين و جماعة : سفيان أمير المؤمنين في الحديث ، و قال ابن المبارك : كتبت عن ألف و مأة شيخ ما فيهم أفضل من سفيان ، و كان شعبة يقول سفيان أحفظ مني ، قال سفيان : ما استودعت قلبي شيئاً قط فخانني ، قال وكيع : كان سفيان بحراً ، و قال القطان سفيان فوق مالك في كل شئ ، قال مالك إنما كانت العراق تجيش علينا بالدراهم و الثياب ثم صارت تجيش علينا بسفيان الثوري ، يبلغ حديث سفيان ثلاثين ألفاً ، ولد سنة سبع و تسعين ، وطلب العلم و هو حدث ، فان أباه كان من علماء الكوفة ، مات في البصرة في شعبان سنة إحدى و تسعين و مأة ، رضي الله عنه (الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٨٦/١) .

و ابن جريج (١) وآخرين وحفظ على أهل الحجاز ومصر حديثهما (٢) .

روايه شيوخه عنه :

روى عنه شيخه الليث و صرح باسمه ، وقيل إن مالكا روى عنه من ابن لهيعة (٣) حديث العربان (٤) .

فضله و مكانته فى العلم :

كان حجة ، ثقة حافظاً مجتهداً لا يقلد أحداً تفقه بمالك و الليث (٥)

و أدرك من أصحاب ابن شهاب أكثر من عشرين رجلا ، وصحب مالكا عشرين سنة و قالوا لم يكتب مالك بالفقيه لأحد إلا إلى ابن وهب ، و كان يكتب إليه عبد الله بن وهب فقيه مصر و إلى أبى محمد المفتى ، و لم يكن يفعل هذا لغيره (٦)

---

(١) و هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى مولاهم المكى ، ثقة فقيه فاضل ، و كان يدلس و يرسل ، من السادسة ، مات سنة خمسين أو بعدها (ابن حجر : تقريب التهذيب ١/ ٥٢٠) .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٣٢ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/٧٢ .

(٣) هو عبد الله بن لهيعة ابن عقبة الحضرمى أبو عبدالرحمن المصرى القاضى ، صدوق ، من السابعة ، خلط بعد احتراق كتبه ، و رواية ابن المبارك و ابن وهب عنه أعدل من غيرهما ، مات سنة أربع وسبعين ، (ابن حجر : تقريب التهذيب ١/ ٤٤٤) .

(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٣٢

(٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٥ ، وابن فرحون الديباج المذهب ١٣٢ .

(٦) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١ / ٤٢٢ ، و ابن فرحون : الديباج المذهب ١٣٢ .

وما من أحد إلا زجره مالك إلا ابن وهب فانه كان يعظمه ويحبه (١) .

كان فريد دهره فى الحفظ ، حدث بمأة ألف حديث وصنف مأة ألف حديث و عشرين ألف حديث كذا ذكره الذهبي (٢) .

و قال ابن عدى (٣) لا أعلم له حديثاً منكراً (٤) .

و ذكر ابن وهب و ابن القاسم عند مالك ، فقال : ابن وهب عالم و ابن القاسم فقيه (٥) .

يعنى أن ابن القاسم برع فى الفقه و برز و فيه ، و أما ابن وهب فقد كانت له مشاركة فى سائر أبواب العلم من التفسير و السير و الزهد و الرقاق و الفتن و المناقب و غيرها .

قال ابن يونس (٦) : جمع ابن وهب بين الفقه و الحديث

---

(١) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٣٢ .

(٢) راجعت تذكرة الحفاظ للذهبي و فيه حدث بمأة ألف حديث ١/ ٣٠٥ . ولم يذكر الشطر الثانى ، و لكن وجدته فى الكامل لابن عدى ٤/١٥٠ .

(٣) و هو الامام الحافظ الكبير أبو أحمد عبد الله بن عدى بن عبد الله بن محمد ابن المبارك الجرجانى و يعرف أيضاً بابن القطان ، صاحب كتاب الكامل فى الجرح والتعديل ، كان أحد الأعلام ، ولد سنة سبع وسبعين و مأتين ، سئل الدار قطنى أن يصنف كتاباً فى الضعفاء ، فقال : أليس عندك كتاب ابن عدى ، قيل بلى قال : فيه كفاية لا يزاد عليه : قال الخليلى كان عديم النظير حفظا وجلالة ، مات سنة خمسين وستين وثلاث مأة (الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٤٢) .

(٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/ ٦٣ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/٣٦ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ ١/٣٠٥ .

(٦) هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس الكوفى التميمى

و العبادة (١) .

كان قد قسم دهره أثلاثا ، ثلثا فى الرباط و ثلثا يعلم الناس ، و ثلثا فى الحج (٢) .

قال أحمد بن أخى ابن وهب (٣) طلب عباد بن محمد (٤) ليوليه القضاء ، فتغيب فهدم عباد بعض دارنا فبلغ عمى فدعا عليه بالعمى ، فعمى بعد جمعة (٥).

خبره مع بعض السائلين :

وقف على حلقته يوما سائل ، فقال: يا أبا محمد الدرهم الذى أعطيتنى بالأمس زائف فقال يا هذا إنما كانت بأيدينا عارية ، فغضب السائل وقال : صلى الله على

اليربوعى ثقة حافظ ، من كبار العاشرة مات سنة سبع وعشرين ، وهو ابن أربع و تسعين سنة (ابن حجر : تقريب التهذيب ١/٩) .

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٤ .

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/٧٤ .

(٣) هو أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم المصرى ، يكنى أبا عبد الله ، صدوق ، تغير بأخرة ، من الحادية عشرة مات سنة اربع وستين (ابن حجر : تقريب التهذيب ١/ ١٩) .

(٤) هو عباد بن محمد بن حيان البلخى أبو نصر من موالى كندة ، وال من ضحايا فتنة الأمين والمأمون وكانت إقامته بمصر و وليها للمأمون سنة ١٩٦هـ فأقام بالفسطاط ، و كتب الأمين إلى ربيعة ابن قيس الحوفى بالولاية على مصر و أن يحارب عباداً ، فنشبت معارك بين الأميرين و أنصارهما انتهت بالقبض على عباد و إرساله إلى الأمين فقتله ببغداد (جمال الدين يوسف الأتابكى : النجوم الزاهرة ٢/ ١٥٣) .

(٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٦ .

محمد، هذا الزمان الذى كان يحدث به أنه لايلى الصدقات إلا المنافقون من هذه الأمة ، فقام رجل من أهل العراق فلطم المسكين لطمة خر منها لوجهه ، فجعل يصيح يا أبا محمد يا إمام المسلمين يفعل بى هذا فى مجلسك ، فقال ابن وهب : و من فعل هذا ؟ قال العراقى أنا أصلحك الله فعلته للحديث الذى حدثتنا أن النبي ﷺ قال: من حمى لحم مؤمن من منافق (يغتابه) حمى الله لحمه من النار ، و أنت مصباحنا و ضياؤنا ، يغتابك فى وجوهنا ؟ فقال لأحدثكم بحديث ، إن رسول الله ﷺ قال : فى آخر الزمان يكون مساكين يقال لهم الغثاة ، لا يتوضأون للصلاة ، و لا يغتسلون من جنابة ، يخرج الناس من مساجدهم و أعيادهم يسألون الله من فضله ، و يخرجون يسألون الناس يرون حقوقهم على الناس ، و لا يرون لله عليهم حقاً (١) .

ورعه و زهده :

دخل ابن وهب حماما فسمع قارئا يقرأ (و إذ يتحاجون فى النار) فغشى عليه (٢) .

قال ابن وهب جعلت على نفسى كلما اغتبت إنسانا صيام يوم ، فهان علي، فجعلت عليها إذا اغتبت إنسانا على صدقة درهم ، فثقل علي ، وتركت الغيبة (٣) .

وفاته :

و له كتاب معروف بجامع ابن وهب ، قرىء عليه كتاب الأموال من

(١) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١/ ٤٢٩ ، و ابن فرحون : الديباج المذهب ١٣٢ .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٦ .

(٣) القاضى : ترتيب المدارك ١/ ٤٣١ .

جامعه، فأخذه شئ كالغشى، لحمل إلى داره فلم يزل كذلك إلى أن قضى نحبه (١).

مات يوم الأحد لخمس بقين من شعبان سنة سبع و تسعين ومأة وهو ابن ثنتين و سبعين سنة (٢) .

لما جاء نعيه ابن عيينة قال : إنا لله و إنا إليه راجعون ، أصيب المسلمون به عامة ، و أصبت به خاصة (٣) .

رأى بعض الصالحين ليلة مات ابن وهب كأن مائدة العلم رفعت (٤) .

مؤلفـــاته :

و ألف تآليف كثيرة جليلة المقدار عظيمة المنفعة ، منها سماعه على مالك ثلاثون كتابا و موطأه الكبير و موطأه الصغير ، و جامعه الكبير و كتاب الأهوال (٥) و كتاب تفسير الموطأ و كتاب المناسك و كتاب المغازى و كتاب القدر و غيرها من الكتب (٦) .

« يتبع »

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٧/٣ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ ٣٠٥/١ .

(٢) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١/ ٤٣٢ . و ابن خلكان : و فيات الأعيان ٣/ ٣٧ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٦ .

(٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١/ ٤٣٢ .

(٥) وبعضهم يضيفها إلى الجامع (القاضى عياض : ترتيب المدارك ٤٣٣/١) .

(٦) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١/ ٤٣٢ ، و ابن فرحون : الديباج المذهب ١٢٣ .

قواطع الأدلة

فى الرد على من عول على الحساب فى الأهلة

— ٣ —

فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجرى

سئل الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتى المملكة العربية السعودية و رئيس القضاة و الشئون الدينية فى زمانه عن قضاء صيام يوم الجمعة الموافق غرة شوال ، و ذكر السائل أن بعض الناس قال يجب قضاؤه لأن الهلال لم ير ليلة السبت ، فأجاب رحمه الله تعالى ، لا يجب قضاء ذلك اليوم ، بل و لا يجوز لأنه قد ثبت ثبوتاً شرعياً أنه يوم العيد و ذلك بشهادة رجلين عدلين عند قاض من قضاة المسلمين ، وعمل الناس بذلك فى جميع أقطار المملكة و غيرها ، و قد ثبت عن النبى ﷺ فيما أخرجه أبو داود و الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال (الصوم يوم تصومون و الفطر يوم تفطرون و الأضحى يوم تضحون) .

و أما ما زعمه بعض الناس من صغر الهلال و كونه لم ير ليلة السبت فقد قال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم (باب بيان أنه لا اعتبار بكبر الهلال و صغره و أن الله أمده للرؤية فان غم فليكمل ثلاثين) ، و قال أبو وائل شقيق بن سلمة أتانا كتاب عمر بن الخطاب (إن الأهلة بعضها أكبر من بعض فاذا رأيتم الهلال نهاراً فلا تفطروا حتى يشهد رجلان مسلمان أنهما رأياه بالأمس) و ثبت عن النبى ﷺ أنه قال (صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته

وأنسكوا لها فان غم عليكم فأكملوا ثلاثين فان شهد شاهدان فصوموا وأفطروا) و فى معنى هـــذا جملة أحاديث تبين أنه لا اعتبار للحساب و لا لضعف منازل القمر و لا لكبر الأهلة و صغرها و إنما الاعتبار الشرعى بالرؤية الشرعية .

و إذا عرف هذا فمعلوم أن الناس صاموا رمضان ليلة الخميس بعد ثبوت الرؤية شرعاً بشهادة رجلين عدلين ، و لما صاموا تسعة و عشرين يوماً و ثبتت رؤية هلال شوال شرعاً ليلة الجمعة بشهادة رجلين عدلين لزم الناس الفطر بهذا ، فمن تجاوز ما ثبت شرعاً فهو عاص آثم ، أو صاحب شكوك و وساس ، وكلاهما قد جانب الصواب ، و الله الموفق يهـــدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، انتهى جواب الشيخ محمـــد بن إبراهيم رحمه الله تعـالى و فيه رد قوى على صاحب المقـال الباطل .

و أما ما نقله صاحب المقال الباطل عن السبكى أنه قال لا يعتقد القاضى أنه بمجرد شهادة الشاهدين وتزكيتهما يثبت الهلال ، و لا يعتقد أن الشرع أبطل ما يقوله الحساب مطلقاً فلم يأت ذلك .

فجوابه أن يقال هذا كلام باطل مردود بالسنة الثابتة عن النبى ﷺ من قوله وفعله ، فأما الجملة الأولى منه فهى مردودة بما تقدم فى حديث عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال (فان شهـــد شاهدان فصوموا و أفطروا) و فى رواية (فان شهد ذوا عدل فصوموا و أفطروا و أنسكوا) و مردودة أيضاً بما تقدم من حديث الحسين بن الحارث الجدلى أن أمير مكة خطب ثم قال عهد إلينا رسول الله ﷺ أن ننسك للرؤية فان لم نره وشهد شاهدا عـــدل نسكنا بشهادتهما ، و فى الحديث أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما صدق أمير مكة و قال بذلك أمرنا رسول الله ﷺ ، و مردودة أيضاً بما تقدم

فى حديث ربعى بن حراش عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال اختلف الناس فى آخر يوم من رمضان فقدم أعرابيان فشهدا عند النبى ﷺ بالله لأهلا الهلال أمس عشية فأمر رسول الله ﷺ الناس أن يفطروا ، و فى رواية و أن يغدوا إلى مصلاهم ، و رواه ربعى بن حراش أيضاً عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال أصبح الناس صياماً لتمام ثلاثين فجاء أعرابيان فشهدا أنهما أهلا الهلال بالأمس فأمر رسول الله ﷺ الناس فأفطروا ، و رواه ربعى أيضاً من حديث أبى مسعود رضى الله عنه بنحوه .

و مردودة أيضاً بما رواه أبو عمير بن أنس بن مالك عن عمومته من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا غم علينا هلال شوال فأصبحنا صياماً فجاء ركب من آخر النهار فشهدوا عند رسول الله ﷺ أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمرهم رسول الله ﷺ أن يفطروا من يومهم و أن يخرجوا لعيدهم من الغد ، و قد تقدم هذا الحديث و قول الخطابى أن المصير إليه واجب .

و أما الجملة الثانية فهى مردودة بما تقدم فى الحديث الاول عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب الشهر هكذا و هكذا و هكذا) و عقد الابهام فى الثالثة (و الشهر هكذا و هكذا و هكذا) يعنى تمام ثلاثين ، و قد تقدم كلام العلماء على هذا الحديث فى الفائدة الثالثة من فوائد الاحاديث فليراجع ففيه أبلغ رد على السبكى و على من قلده و قال بقوله .

و قبل الختام فانى أنصح اللهيب أن لا يتكلف ما لا علم له به و أن لا ينصب نفسه لمخالفة الأحاديث الثابتة عن النبى ﷺ فان هذا أمر خطير جداً لأنه يتضمن مشاقة الرسول ﷺ و اتباع غير سبيل المؤمنين وقد توعد الله تعالى

من فعل ذلك بأشد الوعيد فقال تعالى (و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم وساءت مصيراً) و قال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) قال الامام أحمد رحمه الله تعالى أ تدرن ما الفتنة ، الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شئ من الزيغ فيهلك ثم جعل يتلو هذه الآية (فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً) .

و هذا آخر ما تيسر إيراده و الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد و على آله و أصحابه و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، و قد كان الفراغ من كتابة هذه النبذة فى يوم الثلاثاء الموافق للثالث و العشرين من شهر شوال سنة ١٤٠٨ﻫ على يد كاتبها الفقير إلى الله تعالى حمود بن عبد الله بن حمود التويجرى غفر الله له و لوالديه و للمؤمنين و المؤمنات و الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

أمور مهمة لدراسة مسألة رؤية الأهلة

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي
رئيس قسم التفسير و أمين مجلس الدراسات الشرعية
جامعة ندوة العلماء لكهنؤ

[ألقي هذا البحث القيم في الندوة العالمية للتقويم الاسلامي العالمي التي عقدت في مدينة بينانك بماليزيا في الفترة ما بين ٨–١٠ يونيو ١٩٨٨م – الموافق ٢٢–٢٤ شوال ١٤٠٨ﻫ و ذلك على دعوة من الدكتور إلياس أستاذ العلوم الفلكية في جامعة العلم بماليزيا ، و قد حضر الندوة نحو ٧٠/ مندوبا من ٢٥/ من بلدان العالم ، ننشره نظراً إلى قيمته العلمية و تعميماً للفائدة] التحرير

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسوله الأمين محمد و آله وصحبه أجمعين ، – لا شك أن لتقدم العلم دوراً كبيراً في توفير أسباب الراحة للحياة البشرية و لكن هناك مسائل كثيرة أنشأها تقدم العلم و التكنولوجيا ربما تسبب قلقاً واضطراباً فكرياً إذا لم يعن بالاعداد المطلوب لمواجهتها نذكرمنا – على سبيل المثال – وسائل الاعلام المتطورة و قيام المراصد الفلكية و ما يصدر عنها من أخبار و تنبؤات ، فان هذه الأشياء تحمل جوانب سلبية تتعلق بحياتنا الشرعية بالاضافة إلى ما فيها من منافع كثيرة ، فثلاحيث يبلغ خبر رؤية الهلال

فى بلد عن طريق الاذاعة تحدث هناك فوضى و تنشأ تساؤلات فى عقول عامة المسلمين ، و هكذا الأمر فى شأن الأخبار الصادرة عن المراصد الفلكية فى كثير من الأحيان .

و من المعلوم أن قضيــة رؤية الهلال ، ليست بمجرد قضية علمية فلكية للمسلمين ، بل الحقيقة أن تعلق أحكام شرعيــة متعددة بها جعلها مسألة دينية شرعية ، فمن المفروض الرجوع إلى الشريعة وحدها فى كل ما يتعلق بمسألة رؤية الهلال ، شأنها فى ذلك كشأن سائر الأحكام التعبدية كالصلاة و الصوم .

فما هى أحكام الشريعة الاسلامية فى هذه المسألة ؟ للجواب على ذلك يحلو لى هنا أ ن اقتطف فقرات مما كتبته فى هذا الموضوع قبل سبعة عشر عاماً .

« لعله مما لا يخفى على من له إلمام بالشريعة الاسلامية أن الاسلام يأمر باختيار الأساليب الفطرية و المناهج الطبيعية فى الأمور كلها ، و هذا مما لا بد منه لكل دين يشمل الناس كافة وذلك لأنه ليس من اللازم توافر علماء القواعد الرياضيــة الدقيقة و أدواتها و أجهزتها فى كل مكان و زمان ، فلو كان مدار الأحكام الشرعية على تلك الأصول العلمية و الأدوات الفنيــة لعجز كثير من الناس بل أكثرهم عن العمل بها بل بقيت كثير من الأحكام غير صالحة للعمل إلى اكتشاف الآلات ، و لما أمكن العمل بهـا مئات من السنين و لذلك فقد روعى فى الشريعة الاسلامية التى يستوى فيها الأسود و الأحمر و الحاضر و الباد أن يكون كل أمر من أوامرها منسجماً مع استعــداد الناس الفطرى العام ، و أرشد فى كل عمل إلى طريقة ميسرة للناس كافة حتى لا يكون هناك تكليف بما لا يطاق ، و لأجل ذلك نرى أن الأحكام المتعلقــة بأوقات مخصوصة — كالصلاة — جعل لها طلوع الشمس و غروبها و استواءها و انحناءها معياراً كما

أن الاحكام المتعلقة بالأشهر بنيت على رؤية الهلال بعين البصر ، لا على وجود الهلال فى الافق ، و ذلك لأن الشمس و القمر ناران يعم ضياؤهما العالم كله ، كما قال تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق » (سورة يونس ٥) و لاجل ذلك نرى أن السنة النبوية أرشدت - بوضوح - إلى الطريقة السهلة الفطرية المنسجمة مع هدى الاسلام العام فى الصوم و الأفطار ، و التى تتخلص فى الاحتراس من التحاكم إلى الأجهزة الفنية و قواعد علم الحساب لاثبات رؤية الهلال ، فما ثبت عنه - ﷺ - أنه قال : صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته ، فان أغمى عليكم فاقدروا له ثلاثين (١) يعنى أنه ليس من المطلوب الاستعانة بالأجهزة الفلكية و القواعد الرياضيـــة كما أنه ليس من المطلوب تحمل المشقة و تكلف رؤية الهلال ، بل المطلوب أن يصوم المسلمون إذا رؤى الهلال بالعين المجردة فى اليوم التاسع و العشرين من شهر شعبان و يفطروا إذا رؤى الهلال فى اليوم التاسع و العشرين من شهر رمضان ، و أما إذا لم ير الهلال - بالعين المجردة - فليكملوا العدة ثلاثين .

و الجدير بالانتباه هنا هو أن الرسول ﷺ بنى دخول الشهر على رؤية الهلال (بالعين المجردة) لا على وجوده فى الأفق و لا على الامكان العقلى لرؤيته ، فان قوله ﷺ - فان أغمى عليكم - يشمل الحالة التى يوجد فيها الهلال فى الأفق و لكن يحول دون رؤيته حائل ، كالغمامة أو الغبار ، و يتعين هذا المعنى من غير شك إذا تأملنا فى لفظ الحديث ما أخرجه أبو داؤد الترمذى ففى الحديث الذى أخرجه أبو داؤد أن رسول الله ﷺ قال « لا و تصوموا حتى

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٥٦ والصحيح لمسلم ج ١ ص ٣٤٧ (طبع الهند)

تروه ثم صوموا حتى تروه ، فان حال دونه الغمامة فأتموا العدة ثلاثين » و فى الحديث الذى أخرجه الترمذى ورد لفظ « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان حال دونه غياية فأكملوا ثلاثين يوما (١) »

و لا شك أن هذه النصوص المأثورة عن النبى ﷺ صريحة فى الدلالة على أن الهلال إذا كان موجوداً فى الأفق و لكن لم يبد و لم ير بالعين المجردة بسبب حائل كالغمامة و نحوها فان الشريعة تأمر — فى هذه الحالة — باكمال ثلاثين يوماً و يعلم من هذا بصراحة أن دخول الشهر و خروجه مبنى شرعاً على رؤية الهلال لا على مجرد وجوده فى الأفق ، أو على إمكان رؤيته ، كما يعلم منه أنه لا يجوز بناء الاحكام الشرعية على الهلال الثابت بالطريقة الحسابية أو بالأجهزة الفنية فقط ، و ذلك لأن الاجهزه الفنية و الطريقة الحسابية إن دلت على شئ فانها تدل على إمكان الرؤية — لا على وقوعها — و هو الأمر الذى عبر عنه فقهاؤنا بـ « توليد الهلال » و « ولادة القمر » ، ويعبر عنه اليوم عند أهل العلم بالهلال الجديد (New Moon) .

و لايضاح ذلك نقول : إن القمر يصل فى حركته الفلكية إلى نقطة يحاذى فيها الشمس نهائيا و تستغرق هذه الحالة دقيقتين أو ثلاثاً ، ثم ينفصل القمر عنها وتطول المسافة بينهما تدريجياً وعندئذ يبدو القمر ، غير أنه لا يرى فى

(١) الجامع للترمذى ج ١ ص ١٠٧ (المكتبة الرحيمية ديوبند الهند) و السنن لأبى داؤد ج ١ ص ٣١٨ (طبع كانفور) و من هنا ثبت — أيضاً — أن تعيين أول رمضان أو يوم العيد — أو أى شهر من الشهور القمرية — بالحساب المسبق لا يصح و لا يعتبر عند الشرع الاسلامى فلا يمكن — شرعاً — دخول رمضان أو انتهاؤه على أساس التعيين السابق .

الأرض إلا بعد مضى عشرين ساعة تقريباً على انفصاله (من الواضح أن الهلال منذ بدوه إلى كونه مرئياً بالعين المجردة لا تتعلق به الأحكام الشرعية إطلاقاً) .

و لأجل ذلك نجد جمهور علمائنا يتفقون على أنه لا يلتفت لاثبات رؤية الهلال إلى الأجهزة الفنية والقواعد الحسابية ، بل العبرة فى ذلك بالرؤية البصرية فقط ، قال العلامة الكبير ابن عابدين الشامى رحمه الله .

« صرح به علماؤنا من عدم الاعتماد على قول أهل النجوم فى دخول رمضان لأن ذلك مبنى على أن وجوب الصوم معلق برؤية الهلال لحديث « صوموا لرؤيته » و توليد الهلال ليس مبنياً على الرؤية بل على قواعد فلكية و هى و إن كانت صحيحة فى نفسها لكن إذا كانت ولادته فى ليلة كذا فقد يرى فيها الهلال وقد لا يرى ، والشارع علق الوجوب على الرؤية لا على الولادة (١) و فى موضع آخر حكى ابن عابدين الاجماع على ذلك فقال ، لا يعتبر قولهم (قول المؤقتين) بالاجماع (٢) .

و قال الحافظ ابن حجر العسقلانى (شارح البخارى) فى صدد هذا ، و إنما بالغ فى البيان ، ليبطل الرجوع إلى ما عليه الحساب و المنجمون (٣) .

و الحقيقة أن الدراسات العلمية الحديثة قد أثبتت سلامة موقف الشريعة الاسلامية و دقة فهم علماء المسلمين و فقهائهم ، إقرأ — على سبيل المثال — ما قاله نائب مدير قسم الفيزيا و الفلكيات بالمعهد الفلكى بالندن للراصد الفلكية فى الرد على رسالة وجهها إليه باحث مسلم :

(١) رد المحتار لابن عابدين ٢٨٩/١ ، ط ديوبند الهند .

(٢) أيضاً ٩٢/٢ .

(٣) نقلا عن المرقاة ٢٤٤/٤ (المكتبة الامدادية ملتان).

« أما ما يتعلق بسؤالك فيما إذا كان علماء الفلكيات و المراصد قد استطاعوا أن يضعوا قاعدة يمكن بها التنبؤ باليقين بتعين الليلة التي يرى فيها الهلال فانى متأسف فى القول بأن الجواب على هذا السؤال ليس إلا سلبيا ، و قال : و الحقيقة أنه ليس من الممكن تحديد قاعدة لرؤية الهلال ، و اعتقده متأسفاً أنه لا توجد طريقة علمية تتوافر فيها شروط الاسلام المفروضـة فى هذه المسألة (فى رؤية الهلال الواقعية) .

و جاء فى الوثيقة الفلكيـة الصادرة من مجلس الدراسات العلمية بالمرصد المعروف بـ « غرين ويش » لا يمكن التنبؤ بموعـد رؤية الهلال فى كل شهر ، و ذلك بسبب فقدان المشاهدات الموثوقة من كل الوجوه و التي يمكن استعمالها لتعيين الشروط الكافيـة لرؤية الهلال إلى أن قال : من الواضح أن أى تنبؤ غير يقيني » .

و لسنا فى شك من أن كل هذه التصريحات تزيدنا إيماناً بقول النبى ﷺ ، « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا و هكذا مرة تسعاً و عشرين و مرة ثلاثين (١) .

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٥٦ و الصحيح لمسلم ج ١ ص ٣٤٧ ، و قال ابن حجر فى شرح هـذا الحديث المراد هنا حساب النجوم و تسييرها فعلق الحكم بالصوم و غيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم فى معاناة حساب التسيير و استمر الحكم فى الصوم ، لو حدث بعدهم من يعرف ذلك ، بل ظاهر السياق يشعر بنفى الحكم بالحساب ويوضحه قوله فى الحديث : فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين ، ولم يقل فاسألوا أهل الحساب (فتح البارى ١٢٧/٤ المكتبة السلفية) .

و من المناسب هنا أن أرد على سؤال ربما ينشأ فى بعض العقول و هو أن الأجهزة والقواعد يؤخذ بها لتحديد دخول أوقات الصلاة والصوم وخروجها فلم يؤخذ بها فى رؤية الهلال ؟

والجواب على هذا السؤال أن هناك فرقا بين أوقات الصلاة وشهر رمضان، فأوقات الصلاة إنما هى ظرف لها، أما شهر رمضان فهو معيار للصوم، و معنى ذلك أن أوقات الصلاة تسعها و تزيد فيبقى وقت زائد إذا صلى الانسان على الطريقـة المسنونة فى وقتها، فمن الممكن دائماً الاحتراز عن الخطأ الذى يحدث بسبب تعيين وقت الصلاة، بالطريقة الحسابية بأن يؤخر أداء الصلاة قليلا عن أول وقتها المعين بالحساب، أما شهر رمضان فلا يمكن أن يقـدم عليه الصوم أو يؤخر عنه يوماً لأنه يستلزم ترك فريضة أو إتيان حرام و من ثم فلا يصح قياس أوقات الصلاة على دخول رمضان و خروجه.

و علاوة على ذلك فان مدار دخول شهر رمضان المبارك شرعاً على رؤية الهلال، و هى أمر عملى خالص و ليس فكرياً، و ذلك لأن القواعد الرياضية أو الأدوات الفلكية لا يتجاوز دلالاتها إمكان الرؤية أما وقوع الرؤية عملا وعدم وقوعها فهذا مما لا يأتى فى نطاق ما تدل عليه الأدوات و القواعد، وهذا الأمر قد ثبت بتصريحات خبراء هذا العلم وقد سبق ذكره، أما أوقات الصلاة والصوم فانها تقوم على حالات الشمس و تأثيراتها و هى تظهر فى كل سنة على مواعيدها المحدودة بشكل ثابت يقينى، و لا يحدث فيها أى تغير و لذلك يكفى فيها تجارب سنة واحدة — لضبط مواعيد الصلاة — للعمر كله.

مكانة العقل فى الاسلام.

وآخيراً أود أن ألفت نظر أهل العلم إلى أمر مهم جداً، وهو أنه من لوازم كون الشريعة الاسلامية مطابقة للفطرة الأصلية و العقل السليم أن لا يكون فيها

حكم يصطدم معها، وقد بحث هذا الموضوع كبار علماء الاسلام فقد عقد الشاطبي في كتابه « الموافقات » عنواناً (كل معنى لا يستقيم مع الأصول الشرعية أو القواعد العقلية لا يعتمد عليه (١) و بناء على ذلك فلعله لا تتعدى الصواب إذا قلنا إنه لا يجوز إثبات رؤية الهلال في اليوم الذي علم و ثبت بداهة و يقيناً أنه لا يمكن فيه رؤية الهلال إطلاقاً ، و سيأتي تفصيل لهذا الاجمال فيما بعد ، إن شاء الله .

و الجدير بالانتباه هنا هو أن هناك فرقاً بين أن يكون أمر فوق مستوى بعض الناس وبين أن يكون ذلك الأمر يتصادم مع العقل، كما أنه يجب ملاحظة أن الجزم بأن أمراً يتصادم مع العقل الصريح و أنه مردود بداهة أمر دقيق جداً ، و لا يجوز لعامة الناس — و لاسيما العقلانيين منهم — أن يتسارعوا إلى المقول في ذلك ولا يجوز أن يوخذ منهم رأى في هذا الموضوع و إلا فان أغلب الأحكام الشرعية ستتعرض منهم لهذا الرأى بل للتحريف والتبديل، ولذلك — فمن الضروري إذاً — ألا يتحاكم في ذلك إلا إلى جماعة أهل العلم و البصيرة الذين جمع الله فيهم مع العلم الراسخ التفقه و العقل السليم و مخافة الله و المسئولية أمامه .

إنه من المعروف أن المستحيل عقلا و عادة لاتقبل فيه رواية ثقة و لا شهادته و خبره ، بل يرد ذلك الخبر و الشهادة إذا ثبت أنهما مستحيلان و متصادمان مع العقل والبداهة ، فقد اتفق علماء أصول الحديث - سلفاً وخلفاً - على هذا المبدأ ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في شرح « نخبة الفكر : من القرائن التي يدرك بها الوضع (في الحديث الشريف) ما يؤخذ من حال الراوي . . . . . و منها ما يؤخذ من حال المروي كأن يكون مناقضاً

(١) فهرس « الموافقات » ١/ د (ط . دار المعرفة ، بيروت - لبنان) .

لنص القرآن أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعى أو صريح العقل » (بحث الحديث الموضوع) .

فى ضوء هذا المبدأ يمكن الجزم بأنه إذا شهد ثقة برؤية الهلال فى اليوم الذى تستحيل فيه لدى العلم و العقل الرؤية ردت شهادته ولم يؤخذ بها ، أما إذا كان الشاهد غير معروف بالثقاقة فرد شهادته أولى .

و لايضاح ذلك نقول مما ثبت — يقيناً وقطعاً — فى أصول الهيئة بالاستقراء و المشاهدات الفلكية أن القمر ينتهى فى آخر كل شهر إلى مرحلة يحاذى فيها الشمس ، و عندئذ لا تمكن رؤيته إلا بعد مضى سبع عشرة (١٧) ساعة على الأقل ، لايكاد يختلف فى ذلك علماء هذا الفن ، و من ثم فان كل من يدعى أنه رأى الهلال (بالعين المجردة) قبل ميلاده ، أو بعده لكن قبل مضى ١٧ ساعة على ميلاده فانه يدعى أمراً يستحيل عند العلم والعقل ولذلك فان دعواه ترد لكونه منافياً لما ثبت بالبداهة ، و يؤيده ما قال ابن بطال — شارح الأحاديث المعروف — فى شرح الحديث النبوى «إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب إلخ » — إنما المعول على رؤية الهلال وإنما لنا أن ننظر فى علم الحساب ما يكون عياناً أو كالعيان — (١) .

و لذا نود أن نلفت نظر أهل العلم إلى ما سبق أن أشرنا إليه من أن الشهادة إذا ثبتت منافاتها مع بداهة العقل لا تقبل شرعاً ، و أخف ما يقال فى تلك الشهادة — فى هذه الحالة — أنها قائمة على الوهم ، و الشهادة القائمة على الوهم مردودة غير مقبولة .

و قد سبق علماؤنا الأقدمون أن صرحوا بأن الشهادة المتنافية مع الحقائق البديهية لا تقبل .

و لعل ما قاله علماء الفلك — من أن الحساب قطعى — مؤيد من الآيات

---

١) عمدة القارى شرح البخارى للعلامة بدر الدين العينى ١٩٩/٥ (دار العامرة) .

القرآنية التي أشير فيها إلى أن الله عزوجل قد جعل الشمس والقمر بحسبان ، لقوله عزوجل « وسخر الشمس والقمر، كل يجرى لأجل مسمى (الرعد) « الشمس والقمر بحسبان » (الرحمن ٥) وقوله والقمر قدرناه منازل .... (إبراهيم٣٣) فاذا تأملنا فيما قاله المحققون من أهل العلم فى تفسير هذه الآيات وجدناهم يؤكدون الجانب الذى أشرنا إليه آنفا ، ففى تفسير قوله تعالى (والشمس والقمر حسباناً) قال الشوكانى جعلهما محل حساب . . و سيرهما على تقدير لا يزيد و لا ينقص (فتح القدير للشوكانى ص ١٤٣ ج ٢) و فى تفسير قوله تعالى « كل يجرى إلى أجل مسمى » قال الشوكانى المراد بالأجل درجاتهما و منازلهما التى تنتهيان إليها لا يجاوزانها (أيضاً ٣/٦٤) و فى تفسير قوله تعالى ، قدرناه منازل » قال الشوكانى: أى قدر مسيره فى منازل، منازل القمر هى المسافة التى يقطعها فى يوم وليلة بحركته الخاصة . . . . ينزل القمر كل ليلة لا يتخطاها (أيضاً ٢/٤٢٥) .

و جملة القول أن من ادعى رؤية الهلال فى الوقت الذى تحيل القواعد ـ الحسابية المبنية على التجربات الثابتة ـ رؤيته فيه حملت دعواه على الوهم إن لم تحمل على الكذب ، و قد حدث نحو ذلك فى صدر الاسلام إذ أقر بعض الناس بوهمهم عندما حمل القاضى شريح شهادة شخصية مرموقة على الوهم و اختار لذلك أسلوباً حكيماً حتى أقر الشاهد نفسه بالوهم ، و قد حكى الشيخ الطنطاوى الجوهرى فى تأليفه (مسألة رؤية الهلال) و قائع متعددة من هذا القبيل ، منها أن شهادة بعض الناس حملت على الوهم أو الكذب سنة ١٣٤٥هـ فردت بسبب بطلانها بموجب الحساب ، و ختاماً يقترح كاتب هذه السطور أن ينظر أولو العلم وأهل الحل والعقد فى أساليب تشديد التحرى فى قبول الشهادة و ردها إذا كانت باطلة فى رأى أهل العلم و البصيرة ممن أكرمهم الله بالورع و التقوى إلى جانب الرسوخ فى هذا العلم ، نفياً للشبهات وجمعاً للقلوب و احتراماً لشعائر الله ـ و الله أعلم .

إطلالة على المجتمع الغربي الحديث :

نظرية « الاباحية » و مفاهيمها

-٤-

بقلم : الأستاذ سلطان أحمد الاصلاحي

تعريب : الأستاذ آفتاب عالم الندوي
مدرس بدار العلوم ندوة العلماء

الاباحية الجنسية و آراء « أجارية رجنيش » فيها :

لا يكتمل الحديث عن الاباحية الجنسية لولم نستعرض آراء أجاريه رجنيش أحد فلاسفة الهند و زعمائها الدينيين الهندوس و الحائز للشهرة العالميـة ، يعرف السيد رجنيش « بالاله » بين معتقديه لكنني استحسنت أن أكتفي بأجارية في اسمه ، وهو أحد الفلاسفة الهندوس ، حاز الصيت العالمي ، تربو تصانيفه ومؤلفاته على خمسمائة مؤلفة في مواضيع مختلفة ، و معظمها تتألف من محاضراته و تبحث في موضوع الجنس ، إن « ما أمرت جنمايو » (Ma Amrit Chinmayo) — و أكبر الظن أنه سيكون أحد معتقديه — جمع آراء رجنيش المبعثرة حول موضوع الجنس في كتاب مختصر ، وهذه المجموعة المطبوعة من كوريا و المنشورة من أمريكا في صورة أنيقة و قشيبة أخاذة هي التي بين أيدينا الآن (١) .

إنجازات أجارية و إنتاجاته الكتابيـة واسعة منتشرة جداً ، و تحتوي على مئات من مواضيع و القضايا غير أن صيته المتصاعد يرجع إلى أنه يعتقـد في

(1) Sex, Quotations From Bhagwan Shree Rajneesh Compiled & Edited By Ma Amrit Chinmayo (Patlear) Published By, Lear Enterprises California Printed in Korea 1981.

الجنس المنطلق (Free Sex) و يتحمس له ، و يتجلى ذلك فعلا من الحياة العملية التى يعيشها أتباعه و معتقدوه ، و لقد أتى عليه وقت عز فيه على مدينة « بونه » من المدن الهندية الغربية تحمل الخلاعة المطردة والانطلاق العارم لاتباع رجنيش و تلاميذه ، مما اضطره إلى مغادرة « زاويتـــه » مع نخبة من أصحابه بكل خفاء و سرية تامـــة ، و لجوئه إلى أمريكا « العالم الحديث » و لكن أمريكا محور الاباحية الجنسية هى أيضاً لم يستطع تحمل آراء رجنيش الجنسية المنطلقة ، فاضطر إلى المغادرة إلى اليونان ، و لكنها أيضاً اعتذرت منه لأجل آرائه المنحرفة الشاذة بوجه خاص ، و أخيراً وصل بعد جولاته الخائبة المتكررة إلى الهند نفسها ، وهو الآن ـ و أنا أكتب هذه السطور ـ قد عمر زاويتـــه القديمة « رجنيش دهم » (Rajnesh Dham) بمدينة « بونه » القريبـــة من بومباى فى ولاية مهاراشترا و اشتغل فى مهمته ، و هو ينفى فى إحدى المناسبات أنه ممن يعتقدون فى الجنس الحر و يدعون إليه ، حيث يقول :

« أنا أتحدث عن حرية الحب ، و العقلية الهندية تتصورها حرية الجنس و الاباحية فيه ، و ذلك داء العقلية الهندية ، لم أتحدث عن الاباحية الجنسية قط لكن جميع الصحف الهندية تفرض على نفسى نظرية الاباحية الجنسية فرضاً ، والناس ينسبون إلى ما يجيش فى صدورهم أنفسهم و أنا منه بريئ (١) ، ولكن المجموعة المعروفة بالجنس المحتوية على آرائه الجنسيـــة التى هى بين أيدينـا تكذب دعواه و ترد عليه ما ينفيه ، و والواقع أن المحتويات التى توجزها وتحملها هذه المجموعة

---

(١) « البواق » الجزء السادس نقلا من « رجنيش تائمس » الهندية بونه يونيو ١٩٨٧م .

لو كشفناها و وسمناها بعض الشئ فانه لا تنكشف منها الاباحيـة الجنسية فحسب بل ستبرز منها تلك الفوضى الجنسية المنطلقة التى تحقر الاباحية الجنسية فى الغرب و تزرى به إزراء .

و أول ما يلفت أنظارنا فى هذا الصدد هو أن أجاريه ربط الجنس « بالروحانيـة » و يرى مولف المجموعة أن أجاريه لا يستهدف من وراء رسالته إلا الحب و العبادة (Prayer) و التى من اولى درجاتهـا الجنس ، و الترتيب فى ذلك أن الجنس أولا و يتبعه الحب ثم تليـه العبادة (١) (Firts Sex Then-Love & then Prayer) - ويقول فى موضع آخر : إن الانسان لا بد له أن يذهب وراء الجنس يوماً ما ، و لكن ذلك يستلزم أن يمر الانسان من خلاله ، و يضيف قائلا : فعلم أن المرور من خلاله إنما هو جزء للذهاب إلى ورائه ، One Has To Go Beyond Sex Oneday But The Way Beyond Goes Through It ... So Going Thraugh It Is Part Of Going Beyoud , (2)

واعل ذلك هو السبب فيما أنه يعتبر الجنس غاية بنفسها Sex Is An end Itself(3)

لا يخفى على أحد أن الانسان يحمل فى طيه بحكم الفطرة بواعث قوية و دواعى أكيدة إلى الروحانية و العبادة ، و إن الحضارة الحديثـة لم تتمكن رغم قصارى جهدها المتواصل طوال مئات من الأعوام و استمدادها من النظريات الجائرة مثل الشيوعية و الاشتراكية لم تتمكن من محو التدين و الروحانية من أذهان الناس و عقولهم ، و من أهم استراتيجية فلسفة رجنيش الجنسيـــة أنه أثار باعثاً قوياً و رغبة ملحة فى الطبائع بربط الجنس بالروحانية ، بحيث إن الانسان مهما تقدم فى هذا المجال و مهما أرضى شهواته لا ينفد شوقه و لا تشفى غلته .

---

(١) « الجنس » المذكور ، فى كلمة التعريف .

(٢) المرجع السابق ص ٦٨ . (٣) المرجع السابق ص ٧٤ .

٢- إنه يوضح هذه النكتة أكثر بفلسفة (Tantra) أى صوت البوق و بذلك يوفر دافعاً قوياً تحقيقاً لوقوع الناس فى حبائل الجنس و غوائله بصورة زائدة ، حيث يقول : لو استطعتم أن تقبضوا على نشاطكم الجنسى روعة الحدة و نور الذكاء (Light of Intelligence) فافعلوا فان ذلك يحوله رأساً على عقب وظهراً لبطن ثم لن يبقى نشاطاً جنسياً بل يتحول شيئاً آخر فى طول الخط و نهاية المطاف ، و عندما يقترن الجنس بالذكاء و يواكبه ذلك حذو النعل بالنعل تتشكل بذلك قوة جديدة و هى التى تسمى بـ (Tantra) أى البواق (١) .

« البواق » الحقيقى هو الحب بكلمة أخرى ، و هو العبادة ليس غير ، و ليست علاقته برأس الانسان و إنما علاقتــه بقلبه و على القلب يفيض البهجة و الانبساط ، و باستخدامــه ينضم الانسان بالفطرة النهائية (Ultimate Nature) ، والمرأة تنعدم فاذا بها تصبح بابا للفطرة النهائية (٢) و يضيف قائلا : إن عمليـة المضاجعة باستخدام « البواق » خشوع و إنابة عميقـة تجلب الراحة و الطمأنينة ، و إن المباشرة و المضاجعــة بهذه الصورة مهما كثرت و تنوعت لن تؤدى إلى ضعف القوة ونفادها بل تزيد المرء قوة و نشاطاً ، وحركة وفعالية و تجعل مزاولة النشاط الجنسى مع الصنف المضاد مبعث توفر القوة و زيادة الامساك و المناعة ، وتفيد التجربة أن الانسان لا يمكن له أن يمارس العملية الجنسية العامــة مراراً و تكراراً حسبما شاء (٣) لكن البواق يجعل ذلك سهلا وميسوراً ، كما أنه يمكن

(١) المرجع السابق ص ٧٠ .

(٢) السابق ص ٧١-٧٢ .

(٣) السابق ص ٧٦ .

المرء من استمراره فى عملية المجامعة طوال ساعات فساعات (١).

و لا يمكن أن نفهم أو ندرك بسهولة ما يذكره رجنيش من مصطلحات ملتوية غامضة مثل « وراء الجنس » و « الفطرة النهائية » و« الانابة العميقة » ولاسيما فى خلفية فلسفة « الوجودية » التى أصابت الفلسفة الهندوكية للحياة فى مقتلها و صميمها و التى تعتقد أن كل شئ صدر من الله و سيندمج فيه ، و مما يزيد الطين بلة أن الانسان كلما حاول و استقطب جهوده لنيل هذه « الحقائق الغامضة الموهمة » ، لا يزداد إلا انغماساً و تورطاً فى مستنقع الجنس و بؤرة شقائها ، و لكن لا مناص منها فان « العبادة » لا ينفتح بابها إلا وراء هذه البؤرة ، إن من أكبر و أهم نقائص و مواضع ضعف رجنيش هى الوجودية وحدها ، و إنه لنموذج حى لهذه الفلسفة المضللة و عبرة لأولى الأبصار (٢).

---

(١) السابق ص ٧٢.

(٢) يستند هذا الرأى للكاتب عن « الاله رجنيش » إلى خطباته المسجلة و اتفق لى سماعها من الشريطة فى كشك الكتب « لزاوية آشرم » فى المعرض الدولى الثامن للكتب الذى انعقد حالياً فى دلهى الجديدة بتاريخ ٧ فبراير ١٩٨٨م يرى فيها الاله رجنش أن بوذه قبل ألفين و نصف عام و محمداً ﷺ و الزعماء الدينيين الآخرين هم مظاهر الله تمثلوا صورته و أنه هو نفسه إحدى حلقة من حلقات هذه السلسلة ، تركز الخطبة بوجه خاص على ان ليس أى شئ بزائل ، بل مصير كل شئ إلى الانضمام « بالحقيقة النهائية » ، و إن ماء البحر أوضح مثال لذلك حيث يتجمع فيه الماء من كل ناحية من نواحى العالم ثم يرتفع من البحر بصورة البخارات و يمطر على السهول و الآطام و على كل بقعة من بقاع العالم ، و تستمر هذه العملية بدون أدنى انقطاع و تخلف.

٣- تدور أحاديثه دائماً حول عظمــة الجنس و تبجيله و لا يهمه كثيراً أن ما هو السبيل إلى التعبير عن الجنس و تقديسه و هل هناك حاجة إلى الزواج و له فروض وقيود ؟ و هو يواصل هجومه على مؤسسات الزواج و يعتبره عبثاً غير طائل ، حيث يقول ، : الزواج الذى لا يقوم على الحب زواج غير أخلاق ، و من الظلم إنتاج الأولاد من تلك الزوجة ، و التعسف كل التعسف أن تعقد الزوجة علاقتها بالزوج الذى لا تحبه و لا تندفع إليه عاطفياً ، (١) و فى موضع آخر يتناول مؤسسة الأسرة بالنقد اللاذع الصريح و يعتبر الأسرة سبباً لمئات من الأدواء و يقوم تصور « المغازلة المثاليــة » (Commune) الذى لا يبتنى على الأسرة و لا يستلزم الزواج و العقود العادية ، و إنما قوامه المشاركة و ائتلاف الأرواح الحرة ، ويدعو رجنيش إلى نبذ المعتقدات الأصولية الرجعية ، و يعتبر من السفاهــة أن يولد ولد أى إنسان بدمه ونطفته فحسب ، فلا فرق عنده بين دم و دم ، دماء جميع الانسان سواسية كأسنان المشط ، و يرى أنه يجب على العقليـة الحديثة أن تختار للولد بذرة صالحة بناءة بدون أن يهمها الطريق التى تحصل بها هذه البذرة ، أما المباشرة فبابها مفتوح على مصراعيه فزاولها مع أى امرأة تحبها و تشغف بها (٢) هذا ، و هو يرفض رفضاً باتاً أن يكون

---

(١) « تنتر سوت » الجزء السـادس نقلا من تائمس « الهندية » يونه ٢٥ يونيو ١٩٨٧م .

(٢) « دى كولدن فيوجر » نقلا من « رجنيش تائمس » « الهندية ١١/نوفمبر ١٩٨٧م .

هناك أى قيد أو حظر أو واجب ومسئولية تعود عليه نحو الجنس والزواج ،
No obligation, no duty, no commitment through it (1)
و هو يستهزء بنظام الاكتفاء بزوجة واحدة السائد فى جميع المجتمعات فى العالم (٢) .

أليس هذا الاستهزاء بمؤسسة الزواج و تناولها بالنقد و الطعن باعثاً على الحياة الجنسية الجامحة و مثيرا لها .

٤- لا حاجة إلى مثل هذه التصنعات فالواقع أن أجاريه رجنيش من الدعاة المتحمسين للجنس الحر ، و إنه يحرض على احتضان الحياة الجنسية الجامحة و التواقع فى أحضانها الناعمة بكل إلحاح و تأكيد ، حيث يرى أن هناك طرقاً مختلفة للتظاهر بالجنس ، منها الاتصال الجنسى مع الصنف المضاد (Hetero Sexual) ، الميل الجنسى إلى المرأة و الرجل على السواء (Bisexual) الاتصال الجنسى لواحد مع واحد ، أو فى صورة جماعية -One to one or) (in a group- فكلها مشروع و للانسان أن يختار منها أيما شاء (٣) و لا بأس عنده باللواط والسحاق بجانب المباشرة مع الصنف المضاد (٤) ، يعتقد أن أخصب و أنسب ما يكون من الزمن لمزاولة النشاط الجنسى للمرأة والرجل كليهما هو زمن السن الثامنة عشرة ، و هو لا يكاد يقضى العجب من أن الفتيان والفتيات تخصص لهم مواضع منفصلة فى الكليات و الجامعات

---

(١) المرجع السابق « الجنس » ص ٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٦٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٩ .
(٤) المرجع السابق ص ٥٠ .

ويمنعهم الشرطة ورئيس الجامعة والعميد من اللقاء الحر وتبادل الحب (١).

و يذكر فى هذا الصدد أشياء أخرى مردها إلى الحياة الجنسية المنطلقة ، مثل أنه يقول : لا تضعف قوة المرأة مهما أكثرت من المباشرة لأنها تستمد القوة من الرجل ، فيمكن أن تتم عملية المباشرة مع امرأة من عشرين إلى ثلاثين مرة فى ليلة واحدة ، بينما ذلك مستحيل لرجل واحد (٢) و يوضحه فى موضع آخر قائلا : لا يستطيع رجل وحيداً أن يرضى شهوة امرأة فان المرأة تقدر على أن تتم معها عملية المجامعة عدة مرات متتابعة ، و الرجل لا يقدر على ذلك مهما أوتى من قوة و ثبات ، المرأة تقوى أن تزاول معها المباشرة ثلاث مرات بالتوالى ، بينما المرأ لا يقدر إلا لمرة واحدة ، بل فوق ذلك إن مجامعة الرجل مع المرأة لمرة واحدة تثير فيها كامن شهوتها و تجعلها مكتملة الشهوة و موفورة النشاط فاذا بها تستعد للجامعة عدة مرات أخرى ، و تحتاج اساعتها إلى رجل آخر ، فهذه مشكلة و حلها الوحيد يكمن فى العملية الجنسية الجماعية (Group Sex) ، و لكن الأسف ان الاتصال الجنسى الجماعى محظور Taboo . (3)

بغض النظر عما نشهده من التناقضات فى تصريحات و آراء رجنيش نحو فلسفة « البواق » فانى أتساءل : هل بقى شئ بعد هذه الدعوات الصريحة المتكررة و الآراء الجنسية المنحرفة نحتاج إليه للحرية الجنسية المطلقة ؟ بل أتقدم خطوة فأقول : إن ذلك يؤيد الاباحيـــة الاجبارية ، و ذلك لأن المرأة عند ما ثارت شهوتها بمجامعة الرجل معها للمرة الأولى حتى احتاجت إلى مجامعات أخرى وتعطل ذلك الرجل المجامع فلو تقدم بعض عشرات من الرجال و تطوعوا لقضاء حاجة

(١) السابق ص ٥٦ (٢) المرجع السابق ص ٢٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٢ .

المرأة الثائرة و إرضاء شهوتهـا الهائجة فلا محالة أنهم سيستحقون الشكر و التقدير لدى أجاريه رجنيش .

ليس من المستلزم أن يوافق قول الانسان فعله لكنه يرجى من الشخصيات الكبرى أن لا تتعارض أقوالها مع أفعالها ، لا تنقص اجاريه رجنيش هـذه الناحية أيضاً فهو يعانى من التناقض المشين فيما بين أقواله و أفعاله ، وهو يعترف نفســه فى مقابلة له قائلا : « لست بطاهر و لا نزيه فى أمر الجنس ، و إنكم تستطيعون أن تلاحظوا لحيتى حيث قد غشيها البياض سريعاً جداً واشتملت شيبا وذالك يرجع إلى أننى عشت حياة جنسية حادة جداً ، وعصرت حوالى مائتى عام فى خمسين عاماً فقط (١) I heve Compressed In So Years almost 200 years

هذه هى الحياة الجنسيه المنطلقة للعصر الحديث التى تمد رواقها و ترفرف بجناحيها على العالم المثقف أجمع وتكسح موجاتها العارمة الشرق والغرب على السواء.

---

(١) « الستريتيد ويكلى آف انديا ٢٩/ سبتمبر ١٩٨٥م نقلا من صحيفة « الرسالة » الشهرية الصادرة من دلهى الجديدة مايو ١٩٨٦م .

(بقية الافتتاحية المنشورة على ص : ۸)

و إذا عصفت الريح كان الرسول ﷺ يقول فيما روته عائشة أم المؤمنين « اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، و أعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشرما أرسلت به »(۱) و إذا سمع صوت الرعد و الصواعق يقول : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك و عافنا قبل ذلك » (۲) .

و كان إذا رأى الهلال يقول: « الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن و الايمان و السلامة و الاسلام و التوفيق لما تحب و ترضى ، ربنا و ربك الله » (۳) وكان إذا أفطر صيامه يقول : « اللهـــم لك صمنا و على رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم » (٤) .

و كان النبي ﷺ إذا أراد سفراً و استوى على بعيره كبر ثلاثا ثم قال : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر و التقوى ، و من العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا ، و أطوعنـــا بعده ، أنت الصاحب فى السفر و الخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسؤ المنقلب فى المال والأهل » و إذا رجع من السفر قالهن ، و زاد فيهن (آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون » (٥) .

وحدث صهيب رضى الله عنه أن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها « اللهم رب السماوات السبع وما أظللن و رب الأرضين وما أقللن ،

(۱) رواه مسلم . (۲) أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمر .
(۳) أخرجه الدارمى عن عبد الله بن عمرو .
(٤) رواه ابن عباس رضى الله عنهما .
(٥) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

و رب الشياطين وما أضللن و رب الرياح وما ذرين ، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » (١) .

و كان الرسول ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال : « يا أرض ربي و ربك الله ، أعوذ بالله من شرك و شرما فيك و شرما خلق فيك و شرما يدب عليك ، أعوذ بالله من أسد و أسود و من الحية و العقرب ، و من ساكن البلد و من والد وما ولد » (٢) .

و كان النبي ﷺ إذا قرب إليه طعاماً يقول : « بسم الله ، و إذا فرغ من طعامه قال : « اللهم أطعمت أسقيت وأغنيت وأقنيت و هديت و أحييت فلك الحمد على ما أعطيت » (٣) و عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان إذ فرغ من طعامه قال : « الحمد لله الذي أطعمنا و سقانا و جعلنا مسلمين » (٤) و إذا أكل رسول الله ﷺ عند أحد دعاه على الطعام فلما فرغ من الطعام دعا للضيف وطلب له من الله البركة و القبول، فعن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة رضى الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبي ﷺ : « أفطر عندكم الصائمون و أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » (٥) .

و قال رسول الله ﷺ فى التثاؤب و العطاس : إن الله يحب العطاس و يكره التثاؤب ، و قال : إذا عطس أحدكم و حمد الله كان حقاً على كل مسلم

(١) رواه النسائي و غيره .

(٢) أخرجه أبو داؤد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

(٣) رواه النسائي . (٤) رواه أبو داؤد و الترمذى .

(٥) رواه أبو داؤد .

سمعه أن يقول يرحمك الله ، و أما التثاؤب فانما هو من الشيطان ، فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فان أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان » (١) .

و عن بريدة رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى السوق قال : « بسم الله اللهم إنى أسألك من خير هذه السوق و خير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها و شرما فيها ، اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة » (٢) .

و إذا نظر رسول الله ﷺ إلى وجهه فى المرآة قال : « الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله و كرم صورة وجهى فحسنها ، وجعلنى من المسلمين » (٣) .

و من الادعية الجامعة التى دعا بها رسول الله ﷺ ما رواه أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء، اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى و إسرافى فى أمرى و ما أنت أعلم به منى ، اللهم اغفر لى جدى و هزلى و خطئى و عمدى ، و كل ذلك عندى ، اللهم اغفرلى ما قدمت و ما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم و أنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير » (٤) و عن زيد بن أرقم رضى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والبخل و الهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسى تقواها و زكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، و من قلب لا يخشع ، و من نفس لا تشبع ، و من دعوة لا يستجاب لها » ، و كان يتعوذ من سيئ الأسقام و الأمراض ، فعن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : « اللهم إنى

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه (٢) أخرجه الترمذى .
(٣) رواه أنس رضى الله عنه . (٤) متفق عليه .

أعوذ بك من البرص و الجنون و الجذام وسيئ الأسقام » و كان يتعوذ من الجوع و الخيانة ، فيقول فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه « اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ، و أعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة » و عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان من دعاء رسول الله ﷺ : « اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك و عزائم مغفرتك و السلامة من كل إثم و الغنيمة من كل بر و الفوز بالجنة و النجاة من النار » (١) .

و كان النبي ﷺ مع ذلك شديد التمسك بالأدعية التى جاءت فى القرآن ، يدعو بها ربه ويخشع بها قلبه ، و يحافظ عليها فى كل حين ، فقد كان عبداً لربه خاشعاً فى معنى الكلمة ، وما من دعاء دعا به أو حدث عنه إلا و تتجلى فيه العبودية بأروع مظاهرها ، و أكمل معانيها ، أنظروا كيف يدعو ربه و قد خذله القوم فى الطائف و تناولوه بالمكروه و الأذى ، « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى و قلة حيلتى و هوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، أنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، غير أن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا و الآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول و لا قوة إلا بك » ومما دعا به فى عرفة : « اللهم إنك تسمع كلامى و ترى مكانى و تعرف سرى و علانيتى ، لا يخفى عليك شئ من أمرى و أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين و ابتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، و أدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته ، و فاضت لك عبرته ، و ذل لك جسمه ، ورغم لك أنفه ،

(١) رواه الحاكم وقال حديث صحيح على شرط مسلم .

اللهم لا تجعلنى بدعائك شقياً ، وكن لى رؤوفاً رحيما يا خير المسئولين و يا خير المعطين » .

هذا عرض سريع -وليس استيعابا- لأدب الدعاء والذكر الذى عاشه النبى ﷺ فى لحظات حياته و اعتنى به اعتناءاً كبيراً ، ذلك لأنه كان يعتبر نفسه عبداً لله ومعلماً للناس أرسله ربه إلى هذه الأمة ، فلم يترك أى ساعة من الحياة إلا وقد تناولها بالاهتمام وأكد أن الانسان المسلم عبد قبل كل شئ، فلا بد من أن لا ينسى عبوديته أمام ربه فى أى حال، و أن يكون على ذكر دائم من الله تعالى فى ليله و نهاره و صباحه و مسائه ، و فى سرائه و ضرائه، و محنته و رخائه، و فى بيته و مسجده ، و فى أعماله و وظائفه ، ومع أهله و أولاده و أصحابه و زملائه ، و فى داخل حياته و خارجها ، و فى صحته و مرضه و فى سفره و حضره و فى كل لحة من لحات حياته ، إنه مهد الطريق للاتصال بالله تعالى اتصالا مباشراً يبوح فيه الانسان بأسراره إليه ، ويبث أشواقه و آماله ، و آلامه و أحلامه إلى ربه ، يناجيه طوراً ، و يبتهل إليه طوراً آخر ، يخشع له تارة و يتضرع أمامه أخرى ، و هكذا يثبت عبوديته له ، و خشوعه إليه ، و خنوعه أمام حكمه و قضائه .

و ما أحلى لنا ونحن هنا فى آخر حديث من أدب النبى ﷺ فى الدعاء أن نختم الكلام بأحسن ما دعا به ربه الرسول ﷺ و المؤمنون الذين يتلون كتاب الله تعالى ، فنقرأ قول الله تعالى ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، و ندعو الله سبحانه فنقول : «ربنا اغفر لنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد و على آله وصحبه و بارك وسلم .

سعيد الأعظمى

صور و أوضاع :

من يدفع إلى محاربة الاسلام من وراء الكواليس

واضح رشيد الندوى

كانت بريطانيا فى التاريخ المعاصر فى مقدمـــة الأعداء الصليبيين للاسلام و المسلمين لأنها تكبدت كثيراً بأيدى المسلمين ، و كان عداؤها للاسلام و المسلمين عداء مكشوفا ؟ لا مجال فيه للريب ، يعرفه كل من يعرف بريطانيا ، و عهدها الاستعمارى، الذى اتخذت فيه إجراءات ووسائل معينة معلومة الهدف، لا مجاملة و لا تورية فيها ، و قد سجل التاريخ تصريحات واضحة للحكام البريطانيين والموجهين للسياسة و التعليم و التربية فى مختلف الأقاليم الاسلامية الخاضعه لها ، وقد أوضح هؤلاء الحكام عداءهم لرسول الاسلام ، و القرآن الكريم ، والسنة ، و لبيت الله الحرام ، و للأمة العربية ، و للأمم الى ساندت الأمة العربية ، و للتاريخ الذى يعتز به المسلمون ، و أنشأوا مراكز لتجسيد هذا العداء و تحقيق أهدافـــه لتربية العقول المريضة ، و تغذيتها بالمواد المشبوهـة ، و تحريضها على أن تساهم فى حملة الكراهية للاسلام و مؤسساته ، و يسعى الحكام فى بريطانيا إلى إيصال الأذهان المسمومة إلى مناطق النفوذ فى العالم الاسلامى ، فتقوم وسائل بريطانيا للاعلام بتشويه سمعة الأذهان الصافية و القيادات الصالحة ، و الدعاية للأذهان المعادية للاسلام ، و تحط من شأن العلماء و الأدباء والشعراء و القصصيين المخلصين الذين يكافحون لبناء المجتمع ، و ترفع شأن الهـــدامين و المخربين و المفسدين و تتوجهم و تزينهم بالألقاب والجوائز لترسيخ مكانتهم فى النفوس ، و تصطاد بهذه الوسائل من كان فى قلبه مرض ، أو ضعف ، أو حب زائد للمال و الجاه .

و قد أنشأت هذه المراكز مكتبة علمية متوازية للمكتبة الاسلامية إذا اعتمد عليها ناشئ، نشأ طبيعياً ضد الاسلام و رسخت فى ذهنه صورة ضراوة الاسلام، والحكم الاسلامى، ولا تزال هذه المكتبة المرجع الأساسى للتعليم فى هذا العصر و لذلك يستمر إنتاجها العلمى، و وجود من يسمى « بالمثقفين » الذين يعجبون القراء بأسلوبهم الحديث، و استنتاجهم العلمى المعاصر و تناولهم للقضايا المعاصرة من جهة الفكر الصليبى، و تشيع كتاباتهم و أفكارهم، بما يبثونه من ضلال فى ثناياهـا.

لقد لقى رشدى فضيحته لأنه فقد رشده و خرج عن إطار الأدب والنزاهة ففضح نفسه، إنه استخدم أسلوبا وقحاً، يعافه كل من له ذوق سليم، فندد به عدد من غير المسلمين، فى الهند، و دول أخرى، و ثارت حوله ضجـــة فى بريطانيا، و امريكا، و أفريقيا، و تصعدت المعارضة إلى حد أرغمه على إلغاء زيارته لأفريقيا، و الآن قرر رشدى الانتقال من بريطانيـا إلى أمريكا، و لا يستقر له مقام، ولا يهدأ له حال، وسيضطر إلى مغادرة أمريكا، لأن أمريكا لا تخلو من أصحاب الضمائر و العقول الناضجة.

كان رشدى من إنتاج المعاهد العلمية التى أسستها بريطانيا خلال حكمها، وقد نال التشجيع الكامل فيها لمشروعة الخبيث، وكانت معه شرذمة من أعداء الاسلام، لكن الرأى العالمى أثر على الجو فى بريطانيا، فضاقت الأرض له، و ستضيق لكل من يخدم أعداء الاسلام من المسلمين، لأن هذا العمل أسوأ من الخيـانة للوطن، إنها خيانة الضمير، وخيانة أمانة الكلمة، لقد وفق المسلمون فى مطاردة هذا الخائن الذى أساء إلى نفسه و أسرته و ملته و بلده، أما ذات الرسول ﷺ فهو أرفع و أضوأ من الشمس و أجمل من القمر، و من أراد أن يناله لا ينال

إلا نفسه ، فواجه رشدى احتجاجا عاما أدى إلى حرمانه من الجائزة السنية التى كان يتوقعها ، و صار رجلا مطارداً ، و يعيش فى خوف تحت حراسة ، إنه لا شك نصر كبير حققه الضمير الانسانى يجب اعترافه و تقديره ، و يتوقع به أن كرامة أصحاب الرسالات السماوية ستصان و تحمى بهذه الصورة و ستبقى فى نجوة من عبث العابثين .

و لكن النصر الحقيق يتحقق بدك الأوكار التى تنمى هذه العقول المريضة و تربى الخونة و المرتزقة فى المجتمع الاسلامى ، لأن البيئة إذا كانت فاسدة ، فانها ستولد الأمراض ، فلا تكفى مكافحة مرض واحد ، أو معالجة مريض واحد ، ولا يعالج الملايريا إلا بتصفية المستنقعات التى تنمى البكتريا ، و ليس من الحكمة قتل الحشرات إذا بقيت المستنقعات و الأوحال .

إن مثل هذا الوضع يسود فى كثير من البلدان التى يستمر فيها نظام التعليم و التربية الذى يجرى على أسس التعليم الاستعمارى ، و يملك زمام أمور التعليم و التربية رجال عقولهم مريضة ، وأذهانهم مسمومة بالمخلفات البريطانية الفكرية .

لقد كانت نشأة رشدى فى مثل هذه المراكز التى تنتمى إلى أعداء الاسلام وأمثال رشدى كثيرون فى البلدان الاسلامية ، و كتاباتهم المضللة حول السيرة ، و القرآن الكريم و التاريخ الاسلامى تظهر حينا بعد حين ، و يتصدى الاسلاميون لها و يبدون استياءهم لها ، وقد أنشأ الحكم البريطانى فى العالم الذى استعمره جواً علمياً معارضاً للاسلام ، و هـــذا الجو العلمى المعارض هو الذى يربى العقول المعادية للاسلام ، إنه موجود فى مصر ، و كثير من البلدان الاسلامية و العربية ، و فى الهند كذلك تتجلى مظاهره فى حملة العداء للاسلام التى تستمر فى البلاد ، ويقودها المثقفون ، و ينضم إليها كثير من المثقفين المسلمين أنفسهم فيهجمون على أنفسهم ، و لا يخجلون .

إن العداء بين المسلمين و غير المسلمين فى معظم أنحاء العالم ناتج عن عداء فكرى و عقلى ، و علمى ، و سيستمر هذا العداء ما دام هذا الجو العلمى الذى أنشأه الحكم البريطانى سائداً ، فقد ادعى أحد الكتاب البريطانيين أنه ألف كتاباً فى السيرة يزيل ثقة المسلمين بالسيرة ، و ادعى كاتب بريطانى أنه ألف كتاباً فى التاريخ يفصل المسلمين عن الهندوس و يستمر الصراع بينهم .

إن هؤلاء الكتاب و المفكرين هم أعداء الانسانية ، ومفسدون فى الأرض ، إنهم يستحقون إجراء « كاسح الأنام » فى المجال العلمى الذى يؤثر فى المجال السياسى و بدون هذا الاجراء الكاسح لا يمكن إقرار السلام فى الأرض .

يشكل هذا الجو العدائى للاسلام فى صفوف العلماء و الباحثين والمتعلمين عقبة كبرى فى سبيل الدعوة الاسلامية و تطبيق نظام الحكم الاسلامى ، لأنه كلما تقدم قائد أو زعيم لتطبيق الشريعة تقدمت جماعة من أعداء النظام الاسلامى الذين نشأوا فى أحضان الفكر الغربى ، و تغذوا بكتب المؤلفين الصليبيين لاحباط هذه المحاولة بدعاية صاخبة ، و قد شاهد العالم هذا التطرف فى قضية اغتيال الرئيس ضياء الحق ، فانه لم يواجه اغتيالا شخصياً بل واجه اغتيالا فكرياً و سياسياً رغم كل ما قام به من عمل لتقدم بلاده و تطويره ، وإصلاحه ، و تلاقى فتاة لا ماضى لها إلا كونها بنت شخصية نشأت و تثقفت فى بريطانيا ، كل ترحيب و حفاوة و تبجيل ، من صفوف أعداء الاسلام و عناية خاصة بل رعاية من الاذاعة البريطانية ، و الصحافة البريطانية .

كان موقف بريطانيا إزاء القضايا الاسلامية موقف عداء سافر معلن عنه ، فيحتم واجب الدول الاسلامية صياغة سلوك معها فى ضوء هذه التجربة .

مطبوعات جـديدة :

بين علم آدم و العلم الحديث

صدر هذا الكتاب عن إدارة الصحافة و النشر برابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بقلم : الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى، الأمين العام للاكاديمية الفرقانية بمدينة بنغلور (الهند) .

وقد جاء هذا الكتاب نتيجة للدراسات التى يقوم بها الأستاذ محمد شهاب الندوى للقرآن الكريم فى ضوء العلوم الكونية و التجارب الانسانية التى سبقت إليها إشارات فى كتاب الله تعالى ، و كل ما سيتوصل إليه علم الانسان مستقبلا إنما هو موجود فى وحى الله تعالى و كتابه الذى نزل على محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

و لقد درس المؤلف فى هذا الكتاب آية الخلافة و ما تحتوى عليه من تعليم الله تعالى لآدم عليه السلام أسماء المسميات التى تعتمد عليها الحياة الانسانية فى رحلتها الطويلة ، و بحث عن اكتشافات العلوم الكونية و علاقتها بعلم الأسماء التى علمها الله سبحانه آدم عليه السلام الذى جعله خليفة فى الأرض .

وقد أثبت المؤلف فى هذا الكتاب أن كتاب الله يبين بكل وضوح وتأكيد أن العلم الذى أرسل به الانسان لأول مرة إلى هذه الدنيا لم يكن علم الدين ولا علم الشريعة ، بل كان علم الأشياء و الموجودات و هو العلم الذى يدعى فى العالم المعاصر بالعلم الجديد و العلم الطبيعى (SCIENCE) و بهذا العلم فضل الله تعالى آدم عليه السلام على سائر الملائكة و جميع الخلق ، كما قد أشار الله تعالى إلى ذلك فى الحوار الذى جرى بينه و بين الملائكة فى موضوع الخلافة :

« و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون و علم آدم الأسماء كلها » (سورة البقرة الآية ٣٠ ، ٣١) .

و ما هذه الأسماء إلا عناوين الأشياء و تعريفاتها و خصائصها و منافعها و مضارها التى لها أهمية بالغة فى مجال الخلافة فى الأرض ، و لا تقوم الخلافة أى سيادة العالم و السلطة على الكينونات إلا بهذا العلم الأساسى، لذلك علم الله تعالى الانسان الأول هذا العلم الهام بعد مشروع استخلاف الانسان على الفور كما تظهر هذه التصورات بأول وهلة من النظرة .

و فى تأييد هذه النظرية ومناصرتها ألف هذا الكتاب فى ضوء كتاب الله تعالى ، نرجو له الازدهار و للمؤلف التوفيق من الله .

صلاة الفجر (مجموعة شعرية)

تكرم الأستاذ الكريم محى الدين عطية باهداء مجموعة من شعره لنا ، واسمها (صلاة الفجر) أصدرتها مؤسسة الرسالة فى بيروت .

هذه المجموعة تقع فى نحو خمسين صفحة و تحتوى على ٣٦ عنواناً من الشعر ، تبتدىء من عنوان « صلاة الفجر » الذى سمى به هذا الديوان ، و هذه أبيات من « صلاة الفجر » :

إذا ما الفضة انتشرت خيوطاً فى ليالينا ... تراقبها مآذننا فتصدح كى تنادينا
نلبيها فيهرب ما تثاقل من مآقينا ... ونلق النسمة العذراء نرشفها و تروينا
تعانقنا ، تقبلنا ، و توقظ خير ما فينا ... و تصحبنا ملائكة إلى المحراب تحمينا
صفوفاً كالسنابل ، نحن ، والترتيل يدنينا ... و يغسل عالق الأدران فى دمنا ويحيينا
و نرفع فى قنوت الفجر كفينا مناجينا ... فتهدف حولنا الأطيار و الأشجار آمينا

مجلة « الرشـاد »

وصل إلينا العدد الأول من المجلد الأول لمجلة « الرشاد » باللغة العربية التي أصدرتها إدارة الدعوة والبحوث الاسلامية بجامعة الرشاد بمدينة أعظم جره الهند.

و رئيس تحريرها و مديرها المسئول فضيلة الشيخ مجيب الله الندوى مدير جامعة الرشاد .

هذا أول عدد لهذه المجلة التي يزمع المسئولون عنها على إصدارها كل ثلاثة أشهر ، و هي تعتنى بالقضايا التعليمية و الاجتماعية و العلمية كما أنها تهدف إلى إيجاد عقلية بناءة و فكر بناء في الشعب المسلم بدل العقلية السلبية و العاطفية ، كما يقول صاحبها في الافتتاحية .

و نحن إذ نهنئ الزميلة العزيزة على أهدافها الغالية التي صدرت من أجلها نتمنى لها ازدهاراً و استمراراً ، و عنوانها .

جامعة الرشاد مدينة أعظم جراه الولاية الشمالية (الهند)

مجلة « صوت السلام »

مجلة عربية إسلامية تصدر كل ثلاثة أشهر من دار العلوم سبيل السلام بمدينة حيدر آباد (الهند) تحت اشراف فضيلة الشيخ محمد رضوان القاسمي ، ومديرها المسئول الشيخ خالد سيف الله الرحماني أما رئيس التحرير فهو الأستاذ السيد حسنين أحمد الندوى و العدد الذي بين أيدينا هو العدد الثالث للمجلد الأول ، يحتوى على عدد من الموضوعات العلمية و الفقهية و التوجيهية .

ولعل المجلة تهدف إلى رفع مستوى اللغة العربية في الهند و تعليمها لأبناء المسلمين كلغة دينية عظيمة و عرض قضاياهم الدينية و الاجتماعية باللغة العربية إلى الناطقين بالضاد و الدول التي لغتها عربية .

نهنئ القائمين بها و عليها و نتمنى لهم التوفيق .

إلى رحمة الله :

الشيخ سعدى المكى فى ذمة الله

توفى فى ١٠/ نوفمبر ١٩٨٨ بمكة المكرمة الشيخ سعيد رحمة الله المعروف بالشيخ سعدى، إثر نوبة قلبية ، فكانت وفاته صدمة لمحبيه ومعارفه كما كانت صدمة لأسرته ، كان الشيخ سعدى من أسرة الشيخ رحمة الله الكيرانوى صاحب « إظهار الحق » الكتاب المعروف فى الرد على النصرانيــة ، و الذى له خدمات جليلة فى مكافحة الخطر الصليبى، وقد استقر بعض أعضاء أسرته فى مكة المكرمة و أنشأوا المدرسة الصولتيـة الاسلاميـة التى انجبت كبار العلماء ، و الدعاة ، و هى تقع بجوار الحرم المكى الشريف .

كان الشيخ سعــدى من رجال الخير المعروفين ، يسهم فى نشر العلوم الاسلامية والدعوة بمساعداته السخية ، وكانت له صلة قرابة بمحدث الهند الكبير العلامة محمد زكريا الكاندهلوى (رحمه الله) فكان مرجعاً لرواد العلم و الدعوة ، و التعليم ، و كانت المدارس الاسلامية فى مختلف بقاع العالم الاسلامى و خاصة بالهند تحظى بعنايته الخاصة ، ذا صلة بندوة العلماء و المدارس التابعــة لها ، وبحركة الدعوة و التبليغ فى الهند وقادتها ، وكانت بينه وبين سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى صلة محبة وإخلاص، نسأل الله له الغفران ، والأجر الجزيل ، و الله لا يضيع أجر المحسنين .

سعادة الشيخ محمد الحمد الشبيلى فى ذمة الله

توفى سعادة الشيخ محمد الحمد الشبيلى سفير المملكة العربية السعودية فى ماليزيا فى الاسبوع الثالث من شهر ربيع الأول ١٤٠٩هـ ، و ذلك بعد ما وفق بالقيام بخدمات باهرة فى المجال الدبلوماسى النزيه ، و بمجال العمل الاسلامى بين البلدين ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

أنشأها :

مؤسس الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

المجلد الثالث والثلاثون العدد العاشر

رجب ١٤٠٩هـ — فبراير ١٩٨٩م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الاسلامي، مؤسسة الصحافة والنشر، ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama,
P. O. Box 93. Lucknow (India)

في هذا العدد

الافتتاحية

التوجيه الاسلامي

الدعوة الاسلامية

دراسات و أبحاث

أبحاث مختلفة

في ذمة الله

صور و أوضاع

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــــة :

المسلمون . . . و غياب الشعور الاجتماعى !

منذ أن غاب الشعور بالنصح الاجتماعى فى قلوب المسلمين تهاجمت عليهم الأهواء و تآمرت ضدهم قوى الشر و الطغيان ، و صاروا لقمة سائغة لكل من أراد أن يفتنهم أو يستعمرهم عقلياً و فكرياً أو يفرض عليهم التزامات خلقية و حضارية لا تتفق و عقائدهم الأساسية فى شئ ، ولعل هنـاك من يظن أن حالة المسلمين الاجتماعية و شعورهم السياسى قد تحسن و اهتماماتهم بالتقدم فى المجالات الحضارية تضاعفت اليوم كثير أجعلهم فى مقدمة الشعوب العالمية التى هى فى طريقهـا إلى الانفتاح و الاتساع فى العلم و الثقافة و الأيدلوجيـات الحضارية ، و التى يعيش الاكتفاء الذاتى فى معظم مرافق الحياة و المجتمع .

قد تكون هذه الظاهرة ميزة عالمية تشمل جميع القطـاعات و المجموعات البشرية فى بلدان العالم الثالث ، التى تتمنى أن تدخل حلبة السباق و تتوافر لديها من الامكانيات و الوسائل و التيسيرات المادية ما يجعلها فى عداد الدول الراقية ، و يوفر لها مكانة عالية فى الحضارة و التصنيع و العلم الحديث، لقد كان هذا واقع اليابان منذ نصف قرن تقريباً ، و قد جندت لتحقيق ذلك كل ما كانت تملكه من إمكانات و قدرات ، و أصبحت الأمة اليابانية يدا واحدة ، تعمل ليل نهـار باستمرار من دون تعب أو يأس ، حتى قدر لها ما يشاهده العالم اليوم من مكنة التصنيع الحضارى ، و تزويد للاسواق العالمية الكبرى بكل ما تطلبـه من بضاعات وسلع و آلات فاخرة على أرقى مستوى الصناعة و التصميم و التقنية ، لم يتم لها ذلك المستوى الصناعى و الحضارى عفواً و من غير دافع عميق و قوى على التقـدم السريع و الوصول إلى أرقى مستوى فى الابتكار الحضارى ، مع

حرص الأمة اليابانية على تعميم عطائها لجميع شعوب العالم و إعادة البناء الحضارى بتصميم أقوى و أجمل بعد ما دمرته الحرب الكونية الثانية ، و من هنا كان لليابان شرف الاسهام فى تحديد الهيكل التقنى و الصناعى العالمى فى ضوء العلوم الحديثة و التجارب الحضارية الجديدة التى أجرتها الدول الراقية الكبرى ذات القنابل الهيدروجنية و الذرية ، و استطاعت فى أقل مدة أن تكون من أقوى الدول فى المجال التصنيعى ، و تفجير طاقات الأمة اليابانية فى صالح الحضارة والعلم الحديث .

ولولا الشعور الاجتماعى العميق و الوعى القوى الذى تمتع به هذا الشعب الأعزل المتخلف ذات يوم فى الشرق ، لما تمكن من توزيع عطائه على المستوى العالمى ، فذلك هو الشعور القوى الذى دفعه إلى مجالات الحياة الصعبة وبعث فيه الهمة العالية للخوض فى غمار التجارب ، و العودة منها بنجاح أكبر ، و أوسع مما كان يحلم به ، وكذلك كل أمة عاشت مثل هذا الشعور الاجتماعى ، وحملت فى نفسها دوافع النصح والخير لأفرادها ، و وحداتها المنوعة ، وحدبت على خلايا الجسم القومى بكافة ألوانها و تعهدتها بالنمو و الصيانة ، كتب لها التقدم و القوة و الازدهار ، و وفقت إلى بث خيراتها بين بنى جلدتها ، وشعوب أخرى غيرهم ، ذاك أن هذا الشعور بالنصح الاجتماعى هو وحده كان كفيلا بأن تزدهر الأمة و تتقدم إلى مجالات الرقى بخطى حثيثة ، وتنضم إلى مصاف البلدان و الأمم القوية الراقية فى العالم .

أما الأمة الاسلامية التى سماها الله تعالى خير أمة أخرجت للناس ، و التى هى سيدة الأمم العالمية ، و تملك من رصيد الخيرات و منابع الايمان و العقيدة ما ليس لدى أى أمة عالمية ، و لا عند أى ديانة و حضارة قديمة ذات تاريخ عريق فى العلوم و الحضارة ، فهى تلك الأمة العظيمة التى تتميز بسمة الاجتماعية فى كل شأن من شئونها ، ولذلك فان النظرة الاجتماعية لا تفارقها فى أى حال من السراء و الضراء و من الشدة و الرخاء ، حتى فى الأمور الفردية التى لا

شأن لها بالمجتمع العام ، و لو لا الوحدة الاجتماعية التى يقوم عليها بناء العقيدة و الايمان ، و التى لا قيمة للفرد بدون الاعتناء بها و من غير الانضمام إليها و التركيز على تشييدها و ترسيخ جذورها ، لولاها لما تميزت أمة الاسلام عن الأمم الأخرى التى لا تملك الأصالة فى الوحدة ، و لا تقوم على أسس متينة من الاجتماعية التى تنبع من العقيدة ومن داخل الضمير و باطن النفس ، لم يكن إخراج الأمة الاسلامية إلا لوظيفة اجتماعية خالصة لا تتحقق إلا بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » .

إذا تأملنا قليلا فى معنى هذا الغرض النبيل الذى أخرجت له هذه الأمة تحقق لدينا أنه من أشرف الغايات التى تتولى لهذه الأمة الكلمة النافذة ، و تمكنها من الخلافة فى الأرض و القيادة للبشر و الوصاية على العالم ، و تملكها القوة و الغلبة تجاه جميع التكتلات السياسية والتجمعات البشرية ، و تتكفل لها بالسعادة و الحياة الهنيئة الآمنة المطمئنة التى لا خوف فيها و لا حزن ، و لا مشكلة فيها و لا مساومة « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون » و قد جرب العالم البشرى مع مجئ الاسلام و توليه قيادة البشر ، أن جميع المشكلات و القضايا والأحقاد و الضغائن و أن جميع الويلات و الشقاوات التى كان يعانى منها إنسان ذلك العصر قد غابت واختفت ، و أن الجاهلية ذابت بكل مخلفاتها و آثارها السيئة ، و حلت محلها السعادة بكل معانى السعادة ، بالأمن و الهدوء و الاستقرار ، و العدل و الرحمة و الحب و الاخوة و النصح و اللين و الاحترام و الايثار و الانفاق و تقدير قيمة الانسان ، المفاهيم التى تحويها كلمة النصح و التناصح ، فقد ورد فى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال : « الدين النصيحة ، قالوا : لمن ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

و تلك هى النصيحة التى جمعت شمل المسلمين و جعلتهم جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى ، و لا شك فان العالم

قد جرب طوال الفترة التي ظل فيها المسلمون متمسكين بالعقيدة الصحيحة السليمة ، و الطاعة الكاملة لله و للرسول ، و ظلوا معتصمين بحبل الله بعيدين عن كل تفرق و خلاف و إيثار مصالح شخصيـــة ، جرب ثمار هذه النصيحة و شاهد أن الانسان كيف يعيش تحت ظلال الرحمة و العدل و الحب و الرخاء و الأمن و العافيــة مستمتعاً من الدين و الدنيا ، و جامعاً بين مصالحهما بقصد و اتزان ، و من هنالك آلت إليه قيادة البشرية و مهمة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و مسئولية ربط الانسان بمركزه الايمانى الأصيل ، و إنقاذه من كل ما يضاد طبيعته من الأنظمة الباطلة و النظرات الخاطئة و القيادات المنحرفة الضالة ، و فعلا تم كل ذلك فى ضوء النهار و ذاق الانسان حلاوة هذا المنهج الكريم ، و شهد بفضله على حياة الانسان و الكون ، و فى هذه الفترة المباركة بالذات كان الاسلام يحكم الحياة و المجتمع ، و شريعة الله ترشدهما إلى ما هو السبيل الأقوم الذى يودى إلى الغاية المنشودة و الغرض الأمثل المطلوب « و لو لا فضل الله عليكم و رحمته ، مازكا منكم من أحد أبداً ، و لكن الله يزكى من يشاء ، و الله سميع عليم » .

و لقد تأثر المسلمون بفعل الظروف المضادة و الحضارات المادية فى العصر الأخير بما كان سبباً لحيدهم عن الطريق ، و انشغالهم بما ليس من شأنهم و بما ليس من رسالتهم ، و من الطريف أن المسلمين كلما أغفلوا أساليب الحياة التى تتكفل بالسعادة المادية تمسك بها أعداؤهم و طبقوها على حياتهم ، فكان لهم نصيب من سعادة و لو فى نطاق مادى محدود غير أن ذلك ما أثار فى نفوسنا أى غيرة على ما فاتنا من تلك الخصال الاسلامية ، وربما لم يخطر ذلك منا على بال ، إن هذا الانزواء إلى ركن ضيق من الحياة الانفرادية و ترك الاهتمام بأمور الدين و الحياة الاجتماعية ، وحصر العناية بالنفس و إحراز المنافع الذاتية و التركيز على المصالح الشخصية يتناقض مع الأخلاق الايمانية ، ويتصادم مع التعاليم الاسلامية و النصيحة التى صرح بها رسول الله ﷺ ، و جعلها الدين ، كما أن ذلك يتنافى

مع الطبيعة الاسلامية للأخلاق و المثل العليا فى حياة المسلم ، و ليس ذلك مما ينحصر ضرره إلى حياة فرد أو أفراد فحسب بل يعم المجتمع بكامله .

و لعل هذه الظاهرة التى فشت فى حياتنا يمكن أن نفسرها بغياب الشعور الاجتماعى ، حيث إن المسلمين انفصلوا عن مركز الوحدة الذى يجب أن تدور حياتهم حوله ، و توزعوا بين فئات يختلف حجمها باختلاف الأجواء و الأهواء، نستطيع أن نرى أمثلة ذلك فى القضايا و الشئون التى يعالجونها على مستويات مختلفة ، و فى دوائر خاصة و عامة ، و مما يثير الدهشة أن نرى فئة من الناس يرتبطون بوسط دينى خالص و يتبنون مبدأ خلقياً واحداً و يتوخون غاية دينية واحدة ، ثم يتوزعون فى تعيين الجهات التى تخدم مصالحهم الشخصيـــة و تحدب على تحقيق مآربهم ، فيعملون فى هذا المجال ، منفصلين عن ذلك المبدأ و الغاية و مقبلين على حاجاتهم الخاصة ، لا يمنعهم عن ذلك وخز ضمير أو رقابة قانون ، و لا يحول دون هذا النشاط خوف عقاب و لا فكر حساب و آخرة ، و لا يخطر عند ذلك على بال أنهم أفراد أمة عظيمـــة ذات مبدأ و رسالة و دعوة ، و أنهم لا يتمتعون بمكانة إلا لأنهم جزء من هــذه الوحدة الكبرى ، أما إذا انفصلوا عنها لأغراض رخيصة و غايات حقيرة انفرادية فلا شأن لهم ، كما أن أوصال الجسم الكبير إذا قطعت و فصلت عنه فقدت قيمتها .

وذلك هو السر فى تسمية المسلمين أمة بل خير أمة أخرجت للناس، وتوجيه الخطاب إليهم كأمة كذلك، إذ أن الأفراد مهما كانوا على درجة عالية و كفاءات عظيمـــة من العلم و المال و الأولاد و لكنهم إذا مارسوا نشاطاتهم فى نطاقهم الشخصى و وضعوا إمكانياتهم و قواهم فى توفير المنافع و المصالح للاهل والأولاد و لمنطقة محدودة و أغراض خاصة فحسب فهل يقدرون على أن يعدوا أنفسهم من ضمن الأمة التى ترتفع على كل تفكير محدود هابط إلى تفكير لا محدود شامل يشمل الكون و الحياة و الانسان جميعاً ، إن الاسلام يعلمنا الارتفاع عن الذات و المصالح إلى التفكير الاجتماعى العام الذى يتنــاول كل مسلم ينتمى إلى أسرة

الاسلام الواسعة ، إنه يطالب منا الأهمية و الشمول و الاعراض عن المحدودية ، ويرى ذلك هو السمة البارزة للمسلم الواعى المخلص الذى لا ينحصر عمله و تفكيره و نشاطه و سعيه وجهاده فى منطقة خاصة أو جهات معينة أو أفراد معنيين ، إنه كالبحر الذى يفسح صدره لكل من الصديق و العدو و ينفعه بمنافعه ، ذلك مثل المؤمن الذى ينصح و ينفع ، و يهتم بالآخرين أكثر من اهتمامه بنفسه ، و قد لفت أنظارنا إلى هذا المعنى حديث النبي المصطفى ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » و « ليس منا من لم يهتم بأمرنا » .

و لعل ما عاشه الانسان قبل الاسلام من اهتمامات ذاتية محدودة هى التى أثارت العداوة و الأحقاد فى القلوب ، و دفعته إلى سفك الدماء و انتهاك الحرمات و نشر الفوضى و الفساد بكل أنواعهما فى المجتمعات البشرية حينذاك ، و لما جاء الاسلام فأول خطوة خطاها النبي ﷺ هى جمع القلوب ، و تأليف النفوس ، و توحيد الشعور بقيمة الحياة ، فقال « لا تجسسوا و لا تنافسوا و لا تحاسدوا و لا تباغضوا و لا تدابروا ، و كونوا عباد الله إخوانا كما أمركم ، المسلم أخو المسلم » وما أن يمتنع المسلم عن هذه الخصال السيئة و يرتبط برباط الأخوة إلا ويمثل الاجتماعية فى حياته بجميع أشكالها ، ويكون سبباً كبيراً للوحدة والتضامن ، و إسعاف العالم فى القضايا و المشكلات التى يعانى منها على جميع المستويات .

ولا شك فان أفراد الأمة الاسلامية اليوم قد غاب عنهم الشعور بالتفكير الاجتماعى الذى يشمل الأمة بكاملها ، و يخدم مصالحها و يصون شملها من كل تفكك و تشتت ، و إن إهمال هذه النقطة المهمة فى حياتنا أثار علينا هموماً و متاعب تتمثل بأشكال متنوعة فى كل بلد و مجتمع يعيش فيه المسلمون ، و ما هذه القضايا و المشكلات الاجتماعية و السياسية و الأخلاقية التى نعانى منها على المستوى العالمى إلا نتيجة لهذا الشعور الانفصالى الذى أصبح شعارنا الجديد .

(و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم) ✿ سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

البحث [illegible]

نموذجان من دعوة خاتم الرسل و حكمته

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

النموذج الأول من دعوته ﷺ على جبل الصفا :

نبدأ و نتخير من هذه المواقف الدعوية الجليلة الرائعة التي هي كلها معجزات، لسيد المرسلين و خاتم النبيين ﷺ ، موقفه ﷺ – هو موقف الأول كداع – على جبل الصفا ، وهو النموذج الأول من دعوته ﷺ ، و أريد أن تستحضروا الجو الذي بدأ فيه رسول الله ﷺ دعوته و تعيشوا تلك المشكلة التي كانت تكتنف هذه الدعوة إلى الله تبارك و تعالى و إلى التوحيد و نبذ الشرك و الوثنية والحياة الجاهلية التي كانوا يحبونها ، و أرجو أن تنتقلوا بعقولكم و تصوراتكم – إن لم تستطيعوا أن تنتقلوا بنفوسكم و بأجسادكم – إلى تلك البيئة التي قام فيها رسول الله ﷺ منذراً و مبشراً و مبلغاً لرسالات ربه .

النبوة هي القنطرة الوحيدة بين عالم الحس و عالم الغيب :

إن الذي كان يريد رسول الله ﷺ أن يقوله لقريش أولا ، و للعرب ثانياً، و لأهل عصره ثالثاً، و العالمين و للجيل البشري كله رابعاً و أخيراً ، إنما كان ذلك يعتمد على شيئين ، على وجود عالم آخر غير هذا العالم المادي الحسي، الذي كانوا فيه، عالم لا يشاهد ولا يقع تحت سيطرة الحواس الخمس التي كانوا يملكونها، ثم كان يعتمد ثانياً على وجود النبوة لأن النبوة هي القنطرة الوحيدة بين عالم الحس الذي نعيشه و بين عالم الغيب ، كل جسر – يصل بينهما – مكسور مهدم، و كل قارب

يقل المسافرون إليه غائب مفقود ، هـــذا عالم — كما قلت لكم — ليس للحواس الخمس و للعقل الذى يتأسس على هذه الحواس الخمس إليه سبيل .

متى يؤدى العقل دوره ؟ :

فالعقل إنما يعتمد على الحواس الخمس ، فكل ما تقدمه إليه الحواس الخمس من محسوساتها و محصولاتها ، و من النتائج التى توصلت إليه، يستخرج منها العقل نتائج خطيرة ، هذا هو شأن العقل، إنما يقوم بناؤه على ركام تقدمه إليه الحواس الخمس البشرية ، وحيث تتعطل هذه الحواس ، يتعطل العقل ، فوظيفـــة العقل تنحصر فى أنه يستخرج من هذه المعلومات التى تقدمها الحواس ، و يتوصل من هذه المقدمات إلى نتائج كبيرة ، فحيث لا مقدمات لا نتائج ، وحيث لا محسوسات لا معقولات ، هذه هى النقطة الحاسمة فى تاريخ الفلسفة و العقل الانسانى ، التى أغفلها كثير من الفلاسفة وكثير من مدعى العقل ، إنهم بحثوا العقل كأنه شئ مستقل ، و كأنه يعمل بنفسه و يشق طريقه بنفسه، ولكن ليس ذلك بصحيح ، فالبحوث الأخيرة التى تهيأت الآن فى نطاق الفلسفة ، أثبتت أن العقل عاجز حيث لا يوجد عمل الحواس ، هنالك يقف العقل حائراً مدهوشاً لا شغل له .

بعد أهل العرب عن النبوات شكل مشكلة كبرى :

فالمشكلة الرئيسية أن أهل العرب بصفة عامة و أهل مكة بصفة خاصة ، كانوا بعيدى العهد بالنبوات و بتصورهم لعالم الغيب ، فقد غابت هذه القنطرة التى كانت تصل بين عالم الغيب و بين عالم الحس ، فلما فقدت هذه القنطرة أصبحوا يجهلون عالم الغيب جهلا كلياً، لذلك يقول القرآن فى أسلوبه المعجز الموجز: «لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون» (١) و يقول : «بل ادارك علمهم فى الآخرة

(١) يس ٦ .

بل هم فى شك منها بل هم منها عمون » (١) و يقول الله تبارك و تعالى فى سورة يونس : « بل كذبوا بما لم يحيطوا به لم ولما يأتهم تأويله » (٢) .

المشكلة أن رسول الله ﷺ أراد أن يخاطب قوماً لم يتعلموا « حروف الهجاء » من الدين :

فالمشكلة الرئيسية أن رسول الله ﷺ أراد أن يوجه دعوته إلى قوم ليس عندهم مفاهيم و تصورات دينية بدائية ، كأنه ما عندهم مفاتيح العلم ، خذوا أكبر ذكى أو عبقرى فوق العادة ، وهو لا يعرف حروف الهجاء للغة ، أو خذوا أحد كبار الأساتذة فى جامعة كامبردج أو فى مختبر من مختبرات أمريكا التى اكتشفت الطاقة الذرية ، وهو لا يعرف « العربية » و قولوا له : عندك يوم بكامله ، تطالع هذه الصحيفة و تقرؤها لنا فى المساء ، ولا يجد أحداً يساعده فى ذلك و يعلمه حروف الهجاء : ألف ، با ، تا ، ثا ، جيم ، إنه لا يستطيع أن يقرأ سطراً واحداً لأنه ما تعلم حروف الهجاء ، و هكذا نسبة المحسوسات إلى المعقولات ، المحسوسات أمام المعقولات كحروف الهجاء للغة المشكلة ، إن الرسول ﷺ أراد أن يخاطب قوماً لم يتعلموا حروف الهجاء ، إن عقولهم الضيقة التى نشأت فى هذا المحيط المحدود ما كانت تسيغ النبوة ، فيجب أن تسيغ النبوة أولا ثم يتقدم الرسول عليه السلام خطوة أخرى .

الأنبياء يكونون من التافه الموجود الشئ العظم المفقود :

عاشت الأمة العربية و سكان هذا الوادى بصفة خاصة مدة طويلة بعيدة عن المفاهيم الدقيقة و المصطلحات العلمية و البحوث اللاهوتية ، و لكنها فاقت و تميزت بسلامة فهمها و سرعة إدراكها وحبها و خضوعها للواقع ، و على ذلك

(١) النمل ٦٦ . (٢) يونس ٣٩ .

اعتمد الرسول ﷺ فى شرح مركز « النبوة » و « النبي » فى هذه الحياة ، وتبرير حقه فى الانذار و الانباء و مخالفة المألوف المعروف المشاهد بالعيان ، و الاخبار بما لا يراه الانسان ، فكان أبلغ من ألف دليل يستند إليه أئمة الكلام و أئمة اللاهوت ، و كانت جميع المراحل التى اجتاز بها الرسول الأعظم ﷺ وجميع الوسائل التى اتخذها و استخدمها فى هذه المهمة المقدسة الدقيقة ، مطابقة للطبيعة و البيئة ، و هكذا الأنبياء لا يلتجئون — فى أداء مهمتهم و تبليغ رسالاتهم — إلى الصناعة و التكلف ، و الاستعارة و الاستيراد ، و يكونون من التافه الموجود ، الشئ العظيم المفقود .

كان الرسول عربياً يعرف عادات العرب :

و لم يكن ذلك عصر الصحافة و الاذاعة ، وعصر آلات نشر الصوت و تضخيمه ، فما هو السبيل إلى حشر سكان الوادى إلى مكان مخصوص فى زمن مخصوص ، وما هو السبيل إلى السيطرة على عقولهم و نفوسهم حتى ينفضوا أيديهم من أشغالهم ، و ملذاتهم ، ويخفوا إلى مكانه فزعين مسرعين ؟ كان الرسول ﷺ عربياً ، يعرف عادات العرب و تقاليدهم و شعاراتهم و تأثيرها فى نفوسهم ومجتمعهم ، و استعان بذلك فى سبيل هذه الغاية التى لا غاية أفضل منها ، اعتاد العرب إذا أحس أحد منهم بخطر ، و بعدو يريد أن يفاجئ و يأخذ القوم على غرتهم ، أو بعدو كامن قاعد بالمرصاد قد غفل عنه أهل البلاد ، أن يرتقى أحدهم قمة جبل أو ربوة و يصرخ بأعلى صوته : « يا صباحاه » ، أو « وا صباحاه » فيفزع القوم و يأخذون عدتهم و يخرجون على بكرة أبيهم لمواجهة الخطر الداهم و العدو المهاجم .

ما هو هذا الخطر الذى كان يقلق مضاجعهم و يحول بينهم و بين راحاتهم و لذاتهم ، و ما مدى تأثيره و ضرره فى حياتهم ، النوع الوحيد من الخطر الذى

كانوا يعرفونه هو العدو فقط ، يقتل منهم كثيراً وينهب أموالهم و يستاق ابلهم و ماشيتهم و يلحق بهم الأضرار .

العدو الذي يعيش في « الداخل »
أضر و أفتك من كل عدو في الخارج :

هانت هذه الأخطار و الاضرار — على ضخامتها و واقعيتها — في عيون الأنبياء والرسل ، إنهم عرفوا أن أكبر خطر هو الجهل بصانع هذا الكون و مدبره و صفاته الحقيقية و حقوقه ، وخطر الحياة الجاهلية التي كان يعيشها أهل ذلك العصر و سكان هذا الوادي و الأخلاق التي اتسم بها هذا المجتمع الجاهلي (يعبدون الاصنام و يأكلون الميتة ، و يأتون الفواحش و يقطعون الأرحام و يسيئون الجوار و و يأكل القوى منهم الضعيف) (١) رأى النبي ﷺ هذا العدو الذي يعيش في نفوسهم و في عقائدهم و أخلاقهم (ليس في الخارج) و كان في نظره ﷺ — أضر و أفتك من كل عدو في الخارج، إن هذا الخطر — الذي نبع و انبثق من داخلهم — أعظم من كل خطر عرفوه في كل حياتهم الجاهلية الطويلة ، و في مجتمعهم العرقي القبلي ، و إن عداوة نفوسهم أشد و أدق من عداوة كل قبيلة منافسة ، و من كل جيش محارب ، و أن أسلوب حياتهم يثير سخط الله القادر القاهر الذي لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب في الأرض الفساد .

أصدق صوت في أصدق مناسبة :

فخرج رسول الله ﷺ وصعد على جبل الصفا — وهو أقرب الجبال إليهم — و نادى بأعلى صوته « يا صباحاه » ، وقد شهد هذا الوادي بأنه كان أصدق صوت في أصدق مناسبة ، لأن مثل هذه المناسبات لم يكن من العادة أن يكذب الانسان

(١) من حديث جعفر بن أبي طالب في مجلس النجاشي ملك الحبشة .

فيها ــ بخلاف هذه المدنية المزورة ــ وقد سمع أهل مكة صيحة معروفة مألوفة تخرج من فم أصدق رجل عرفوه فى بلدهم ، سموه بأنفسهم « الصادق الأمين » و فهموا معناها و مطالبها ، و أمامهم سلسلة طويلة من التجارب و الحوادث ، ولم يتأخروا فى تلبية هذا النداء كما جاء فى كتب السيرة، فاجتمع الناس بين رجل يجئ إليه و بين رجل يبعث إليه رسوله .

كان العرب عقلاء منصفين ، شجعانا صادقين :

فقال رسول ﷺ حين اجتمعوا، يا بنى عبد المطلب، يا بنى كعب ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى؟ كان القوم الذين خاطبهم الرسول العربى ﷺ و وجه إليهم هذا السؤال، أميين غير مثقفين، لم يدرسو الفلسفة وعلم المنطق ولم يألفوا التعمق و التدقيق ، و لكنهم كما قلت ــ كانوا واقعيين عمليين ، رزقهم الله النصيب الأوفر من سلامة الفهم و سرعــة الادراك ، و استعرضوا الواقع و استعرضوا المحيط الذى وقف فيه هذا الخطيب النذير ، و استعرضوا وضعه الطبيعى، رأوا رجلا جربوا عليه الصدق ، و الأمانة والنصيحه وحب الخير، قد وقف على جبل يرى ما أمامه، وهو الذى اشترك فيه مخـاطبوه ، وينظر إلى ما وراء الجبل و السفح المقابل ، و هذا الذى لا يشترك فيه مخاطبوه ، فعرفوا من غير شك و تأمل طويل، أن له الحق أن يتحدث عما فى سفح الجبل المقـابل من عدو رابض وخطر كامن ، وليس لهم حق ــ و قد حال الجبل بينهم و بين السفح المقـابل ــ أن يكذبوه وينفوا رؤيته على أساس أنهم لا يشاركونه فى هذه المشاهدة ، فقد فرق الجبل القائم بين وضعهم و وضع الخطيب النذير ، و أعطاه من فرصة المشاهدة وحق الشهادة ما لم يعطهم ، وكانوا عقلاء منصفين ، شجعانا صادقين، فقالوا نعم، إنك إذا قلت أن وراء الجبل خيلا تريد أن تغير فى الليل أو تغير على غرة منا صدقنا .

الأنبياء يقفون على قمة جبل من النبوة
يطلون منها على دنيا الحس و دنيا الغيب :

و قد نجح رسول ﷺ بحكمة النبوة التى خصه الله بها و بلاغته العربية التى أكرمه الله بها ، و قد صور لهم مركز النبوة و الأنبياء الفريد الدقيق و وضعهم الشاذ ، الذى يستطيعون به أن يشاهدوا ما لا يشاهده أقرانهم و أبناء جنسهم و عصرهم ، و يشهدوا بما لا يشهد به المصلحون و الزعماء عادة ، فقد وقفوا على قمة جبل من النبوة ، يطلون منها على الجانبين ، الجانب الحسى بحكم البشرية ، و الاتصال بعالم الغيب تحت الارادة الالهية ، و بحكم النبوة التى يكرمهم الله بها «إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى» (١) وليس لأذكى إنسان و أعظم عالم و أكبر عاقل أن يكذبهم و ينفى مشاهدتهم على أساس أنه لا يشاركهم فى هذه المشاهدة و لا يرى ما يرونه ، مثل بسيط جدا : أنا واقف أمام هذا الشباك ، و أنتم و جوهكم إلى هذا الجانب ، و أنا أقول الله أكبر ! قد سقط فلان أو خرج فلان ، فهل يجوز لكم أن تكذبونى و أن تنفوا و تقولوا لا ؟ هذا لا يمكن ، هذا غير معقول ، كلكم تعرفون أنكم مدبرون لهذا الجانب ، و مقبلون إلى ذاك الجانب ، و أنا مقبل إلى هذا الجانب و مدبر إلى ذاك الجانب ، فأنا لى حق الشهادة و حق الاخبار بشئ ترونه أنتم ، شئ بسيط ، و معقول و يومى ، وليس لأذكى إنسان أن يكذبه ، ربما يكون منكم أحد أبصر منى ، و أعقل منى ، و لكن رغم هذه الحدة فى البصر لا يجوز له أن يكذب ما أرى .

كذلك ليس لأذكى إنسان و أعظم عالم و أكبر عاقل أن يكذب الأنبياء وينفى مشاهدتهم على أساس أنه لا يشاركهم فى هذه المشاهدة ولا يرى ما يرونه ،

(١) الكهف ١١٠ .

كما لا يجوز لمن وقف فى سفح الجبل أن يكذب من قام على قمته و أخبر بما وراء الجبل و تحدث عما وراء الأكمة (١) .

مكابرة الفلاسفة و الحكماء :

فاذا حاجهم و خاصمهم أسير لحسه قالوا محتجين مستغربين « أتحاجونى فى الله وقد هدان » (٢) و كان العرب الأميون أعقل — فى هذه المرحلة البدائية — من الفلاسفة و الحكماء الذين كذبوا أخبار الرسل و شكوا فى الحقائق التى جاؤا بها على أساس عدم مشاهدتهم و اطلاعهم « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لما يأتهم تأويله » (٣) .

القضية هو الايمان بوجود عالم لا يرى :

ولما تمت هذه المرحلة التى كان لا بد منها، تقدم الرسول ﷺ خطوة ثانية و دخل المرحلة الثانية النهائية، فقال: فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» (٤) .

كان لهم أن يقولوا من أين رأيت هذا العذاب ، بأى شئ تنذرنا ، ولكنه أولا وقف على قمة الجبل ، ثم سألهم هل إذا أخبرتكم بأن هنالك خيلا تريد أن تغير عليكم هل أنتم مصدق ، قالوا : نعم ، هناك قال « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» لأن النبي عليه الصلاة و السلام كان يرى هذا الجانب الخافى للجبل وهو عالم الغيب بالنسبة إليهم و يرى الجانب الأمامى ، فكان يجمع بين هذين العالمين الغيبي المؤقت الجلى بالنسبة إليهم، والعالم الحسى المشهود الممتد أمامهم ، حتى إذا وقفوا فى سفح هذا الجبل لم يروا ذلك العالم الذى يراه الرسول ،

(١) من تعبيرات العرب « من وراء الأكمة » و الأكمة : التل .

(٢) الأنعام ٨٠ . (٣) يونس ٣٩ .

(٤) البداية و النهاية لابن كثير ج ٣ ص ٣٨ .

فهنالك عالم وراء عالم فى الحقيقـة القضية هو الايمان بوجود عالم لا يرى ، فاذا تحقق الايمـان بامكان وجود عالم مهما كان بسيطا ، فتح الطريق ، لأنه إذا ثبت عالم واحد يمكن أن يثبت ألف عالم، فالشق الذى يضغط عليه صاحب الحجة هو الايمان بامكان وجود عالم أو حقائق لا تأتى تحت الحس ولا تبصر ، فاذا آمن إنسان بوجود حقيقة واحدة غيبية فهو مكلف بالايمان بوجود ألف حقيقة.

الخطر الحقيق الذى تناساه أهل مكة و أهل العصر :

قال الرسول ﷺ : « إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» أنذرهم بالخطر الحقيق الدائم الذى يهددهم ، و الذى هو طبيعـة هـذه الحياة التى يحيونها و العقائد التى يدينون بها ، و الأصنام التى يعكفون عليها ، و العادات الظالمـة والأخلاق الجاهلية التى يتمسكون بها و بالاختصار هذه الجاهلية الجهلاء التى يعيشون عليها ، لا إيمان ولا علم ولا عدل ولا تقوى، إن طبيعة هذه الحياة هو الفساد الشامل فى المجتمع ، و المعيشة الضنك ، والقلق النفسى و العذاب الداخلى فى هذه الحياة « ظهر الفساد فى البر و البحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » (١) و كما يقول : « و لنذيقنهم من العـذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » (٢) .

تفرد الأنبياء بمعرفة خواص العقائد والأعمال و الأخلاق و العادات :

إن الرسول — عليه الصلاة و السلام — ما تعرض لبيان ضرر هذه الحياة و المجتمع المادى و الاقتصادى ، أو الادارى و السياسى ، لأن هذا لم يكن من موضوع الرسول و لا من موضوعات الرسالات السماوية ، الهدف الذى يرمى إليه الرسول عليه الصلاة و السلام، هو العذاب الدائم بعد هذه الحياة التى يهون

(١) الروم ٤١ .　　(٢) السجدة ٢١ .

و يصغر أمامه كل ألم « و لعذاب الآخرة أشق » (١) « و لعذاب الآخرة أشد و أبقى (٢) و لعذاب الآخرة أخزى (٣) .

سبيل الأنبياء و المرسلين و سبيل الفاحصين و المكتشفين :

لقد اطلع العلماء و الفاحصون على خواص الأدوية و عرفوا كثيراً من طباع الأشياء و القوى المودعة فى الموجودات، وكونوا العلوم و المعلومات التى انتفع بها الناس و شكروا أصحابها و اعترفوا بفضلهم ، و تفرد الأنبياء بمعرفة ذات الله و صفاته و أحكامه و مرضاته ، و بخواص العقائد و الأعمال و الأخلاق ، صحيحها وسقيمها ، صالحها و فاسدها ، و ما تجر و تستتبع من سعادة و شقاء فى الدنياء ، و ثواب و عقاب و جنة و نار فى الآخرة ، وخصهم الله — بقدر ما يريد — بعلم ما يكون بعد هذه الحياة ، و فى ذلك العالم من حشر ونشر و إنعام و عذاب ، ونعيم وجحيم : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول (٤) .

جواب الأنبياء الأخير :

لقد وقفوا — عليهم السلام — على جبل النبوة يشرفون منها بقدر ما يريد الله على عالم الغيب و الشهادة و يخبرون بما يهجم على هذه البشرية و على هـذه المدينة فى المستقبل القريب والبعيد، وما يكمن لها من خطر وضرر ، ثم ينذرون قومهم شفقة و إشفاقا وحباً و إخلاصاً ، و إذا نازع منازع هذا الحق الطبيعى العقلى ، و هذه البداهة ، وشك أو شكك فى مراكزهم ، المركز الذى خصهم الله به ، قالوا فى نصيحة و إخلاص و تألم و إشفاق : « قل إنما أعظكم بواحدة أن

(١) الرعد ٣٤ .
(٢) طه ١٢٧ .
(٣) حم السجدة ١٦ .
(٤) الجن ٢٦ ، ٢٧ .

تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » (١) وكما قال مؤمن من آل فرعون الذى كان يكتم إيمانه : « فستـذكرون ما أقول لكم ، و أفوض أمرى إلى الله ، إن الله بصير بالعباد » (٢) .

مثال بليغ للحكمة النبوية و البلاغة العقلية :

و أذكر لكم نموذجاً رائعاً آخر ، يختلف كل الاختلاف فى الطبيعة و البيئة و الدوافع التى دفعت إليه ، و لكنها قطعة رائعة و مثـال بليغ للحكمة النبوية ، و البلاغة العقلية — ليست البيانية — فحسب — والقيادة الحكيمة المؤثرة فى أغوار النفوس و أعماق القلوب ، وهى جديرة بأن تكون موضع دراسة مؤرخى النبوات ، و القيادات الروحية ، و علماء البلاغة و أساتذة علم النفس .

إن رسول الله — ﷺ — لما وزع سبايا و مغانم حنين فى الجعرانة على أشراف قريش ، كما تعرفون و قرأتم فى السيرة ، أنه أعطى قريشاً فأجزل لهم العطاء ، أعطى أبا سفيان وعكرمة بن أبى جهل ، و فلانا و فلانا ، و كان نصيب الأنصار فيها قليلا ، اعتماداً على إيمانهم و على حبهم و صلتهم الدقيقة العميقـة الدائمة بالاسلام و نبيه — ﷺ .

هناك تقاول بعض الشباب ، فقالوا : إن رسول — ﷺ — خص بنى قبيلته بأكبر نصيب من العطاء و المغانم ، وبلغ هذا رسول — ﷺ — فحسب له حساباً ،

(١) سبأ ، ٤٦ .

(٢) المؤمن ٤٤ ، أستفيد فى هذه المحاضرة من كتاب المؤلف « النبوة و الأنبياء فى ضوء القرآن » من ص ١٨ إلى ص ٣٦ الطبعة الرابعة دار القلم (دمشق و بيروت) .

لأنه النبي المربی ولیس النبي فقط، فأمر بجمع الأنصار فی حظیرة فاجتمعوا وقال: لا یدخل الحظیرة إلا الأنصار، ولما اجتمعوا کلهم قال لهم:

لله و لرسوله المن و الفضل:

«ما هذه القالة التی بلغتنی عنکم، و جدة و جدتموها علی فی أنفسکم»؟.

فاستحیوا وقالوا: لا شئ یا رسول الله، إنما هم بعض الشباب قد وسوس لهم الشیطان، ثم قال: «أما أتیتکم ضلالا فهداکم الله بی، و عالة فأغناکم الله بی و أعداءاً فألف الله بین قلوبکم؟ قالوا: لله و لرسوله المن و الفضل».

إثارة الایمان و الیقین و الحب الدفین:

ولم یبتدر رسول الله ﷺ بالکلام، بل أراد أن یتکلم بلسانهم فأثار فیهم الشعور الانسانی و ألهمهم المعانی، فقال: «ألا تجیبونی یا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجیبك یا رسول الله، لله و لرسوله المن و الفضل، قال: «و الله لو قلتم لصدقتم و لصدقتکم، أتیتنا مکذباً فصدقناك، و مخذولا فنصرناك، و طریداً فآویناك، و عائلا فواسیناك؟ أی زعیم، و أی زعیم، و أی قائد، و أی مرب، و أی صاحب فضل یستطیع أن یشهد علی نفسه بهذا، و الله لولا أن هذه الکلمات قد وردت فی السیرة النبویة و فی حدیث صحیح، أصله فی الجامع الصحیح للبخاری، و قد ذکره الحافظ ابن القیم فی «زاد المعاد» بسیاق أوسع و أشمل، لو لا أنها قد وردت فی الصحاح و فی کتب السیرة، لما کان لأی مسلم أن ینطق لسانه بهذه الکلمات: أما أتیتنا مکذباً فصدقناك، و مخذولا فنصرناك و طریداً فآویناك»!

أوجدتم علی فی لعاعة من الدنیا؟:

ثم قال بعد أن أثار نفوسهم و أجری عیونهم وفتح الأغلاق من قلوبهم: یا معشر الأنصار! أوجدتم علی فی لعاعة من الدنیا تألفت بها قوماً لیسلموا،

و وكلتكم إلى إسلامكم ! » أنظروا كيف أوجد فى نفوسهم الثقـة التى كانت كفيلة بحسم كل ما ساور نفوسهم — إن كان هنـاك شئ قد ساور نفوسهم — و قال أوجدتم على فى لماعة من الدنيا (و اللماعة خضرة ناعمة) تألفت بها قوماً ليسلموا و وكلتكم إلى إسلامكم، ثم قال الكلمة المثيرة البليغة التى ما يمكن أن تطلق أو تنطلق من فم إلا و تفجر الأنهار و تشق الصخور ، و تأتى بالمعجزات .

الأنصار شعار و الناس دثار :

« أما ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاه والبعير إلى رحالهم و ترجعون برسول الله — ﷺ — إلى رحالكم،و الله لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا و واديا ، و سلكت الأنصار شعباً و وادياً لسلكت شعب الأنصار و واديها ، الأنصار شعـار ، و الناس دثار ، اللهم أرحم الانصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار » .

ثم ماذا كان ؟ كان الشئ المتوقع الطبعى ، هملت عيونهم حتى اخضلت لحاهم ، و قالوا رضينا برسول الله ﷺ قسمة و حظاً » .

أروع نموذج فى الآداب البشرية و الآداب الانسانية :

و الله لو بحثنا — ولى مشاركة فى بعض اللغات غير العربية فضلا عن اللغة الأردية — لو بحثنا فى أدب الأمم و الديانات ، ما وجدنا موعظة أبلغ من هذه الموعظة ، و علماً بالنفس الانسانى أكثر عمقاً و أكثر صدقاً من العلم النبوى .

هذان النموذجان من أروع النماذج التى دونت و سجلت فى الآداب البشرية و المكتبات الانسانية (١)

(١) التعليق على هذه الخطبة النبوية البليغة ، مقتبس من محاضرة الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة ، التى نشرت بعـد بعنوان « حكمة الدعوة و صفة الدعاة » ص ١٩ إلى ٢٣ .

موقف الاستعمار و الصهيونية
من الصحوة الاسلامية

-٢-

فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى
عميد كلية الشريعة ورئيس الدراسات الاسلامية بجامعة قطر

و قالت « فورتشن » فى مقالها :

« إن استفتاء جرى مؤخراً فى الضفة الغربية أظهر أن سكانها - و خاصة المثقفين منهم - يطالبون بالعوده إلى الاسلام ، بعد أن يئسوا من جميع الأنظمة و الايديولوجيات ، التى تنازعت أفكارهم سنوات طويلة » .

و أردفت الصحيفة تقول :

« إن الاسرائيليين يشعرون أنهم يعيشون فى بحر متلاطم ، يسيطر عليه الاسلام ، و أن إسرائيل مهددة بالغرق و الاندثار فى هذا البحر الاسلامى » .

١٢- و فى عددها الصادر فى ١٩٧٩/٧/٨ ، نقلت صحيفة « القبس » الكويتية عن صحيفة « فورتشن » مقالا آخر ، جاء فيه ما يلى :

« إن الاتجاه الدينى فى مصر يرسخ أقدامه يوماً بعد يوم ، فالشباب المصرى مفتون بالصحوة الاسلامية الثورية ، كما أن الفتيات المصريات يبدين اهتماماً متزايداً بالاسلام ، وفى جامعة القاهرة يزيد عدد الطالبات الملتزمات بالزى الشرعى ، و قد يأتى يوم لا تبقى فيه طالبة مصرية واحدة ، إلا و قد ارتدت الزى الشرعى الاسلامى » .

و أردفت صحيفة « فورتشن » تقول :

« إن هناك خطراً كبيراً من أن تتمكن الحركة الاسلامية من العودة إلى التأثير على الحياة السياسية فى مصر ، وهذا الأمر يخيف الرئيس السادات ، الذى عبر عن خوفه بخطابه الشهير فى جامعة الاسكندرية حين قال : إنه لن يسمح للدين بالتدخل فى السياسة .

و هذا الأمر تخشاه ـ أيضاً ـ إسرائيل ، لأنها تعتبر أن الاخوان المسلمين هم من أشد أعدائها ، الذين يهددون وجودها ، لأنهم يرفضون الاعتراف بها ، و يجاهرون بالدعوة إلى إعلان الجهاد المقدس ضدها » .

الاسلام قادم ، و نحن فى خطر عظيم . . . . !

١٣ــ وأول ما نطالع فى ملحق « ها آرتس » عن ظاهرة تزايد اليقظة الاسلامية فى قرى المثلث العربى ، المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، مقالا عنوانه : « الاسلام يعم قرى المثلث فى إسرائيل . . . » .

و جاء فى المقال :

« إن يوم الجمعة من كل أسبوع ، أصبح عيداً لغالبية سكان « باقــة » الغربية ، و هى من أكبر قرى المثلث العربى فى إسرائيل » .

و يردف المقال قائلا :

« إن سكان قرى المثلث لم يكونوا إلى ما قبل أشهر قليلة ، و على مدى الثلاثين عاماً الماضية ، لم يكونو يكترثون أبداً أو يهتمون بيوم الجمعة ، فقد كان يمضى كأى يوم آخر من أيام الاسبوع ، أما الآن ، فقد أصبح ليوم الجمعــة أهمية كبيرة ، إذ ما أن يبدأ مؤذن المسجـــد برفع صوته بالأذان ، حتى يهرع جميع السكان إلى المسجد ، ليؤدوا الصلاة » .

و يمضى المقال قائلا :

« إن من يزور قرية « باقة » الغربية يوم الجمعة ، يشعر أن النشاط فيها قد انتقل من الشارع العام ، و من المتاجر والمساكن و المقاهى ، إلى المساجد الثلاثة التى فى القرية ، و ليست باقة الغربية وحدها ، التى يشعر فيها الزائر بذلك ، بل إنه يشعر بنفس الشعور ، حين يزور قرى قلنسوة ، و كفر قاسم ، و أم الفحم ، و الطيبة ، و كفر قرع ، و الطيرة ، و غيرها من القرى العربية » .

« إن ظاهرة تزايد اليقظة الاسلاميـة فى المناطق ، التى يقطنها عرب فى « إسرائيل » ليست مقتصرة على القرى وحدها ، بل إنها تبرز فى المدن أيضاً ، و خاصة فى عكا ، و إجمالا فان القطاع العربى من إسرائيل يعيش حالياً مرحلة العودة إلى الاسلام ، فقد أخذ الجميع ، و خاصـة الشباب يؤمون المساجد بعد أن كانوا يمضون وقتهم فى المدن الكبرى و المكاهى و النوادى و الاجتماعات الحزبية ، و هذه ظاهرة لم تشهد الأقلية العربية لها مثيلا من قبل » .

وفى نفس ملحق صحيفة « ها آرتس » اليهودية الصادر بتاريخ ١٩٧٩/٧/١٣م ، والذى خصصته كاملا للحديث عن اليقظة الاسلامية بين شباب قرى المثلث العربى بفلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م ، نطالع مقالا آخر تحت عنوان :

« العودة إلى الاسلام من جديد ، أسئلة . . . و تساؤلات . . . » .

يقول المقـال :

« طوال الثلاثين عاماً المنصرمة ، كانت الأقلية العربية فى إسرائيل تمارس نشاطاً سياسياً متخفظاً ، غالباً ما كان تحت مظلة الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، أما الآن فان الأقليه العربية بدأت تتجه إتجاهاً مختلفاً نحو جذورها و أصولها

الدينية ، و لقد أصبحت ظاهرة تزايد اليقظــة الاسلاميــة في صفوف الأقلية العربية ، موضع إهتمام السلطات الرسمية ، التي تنظر ـ بريبة وخوف ـ إليها » .

و يردف المقال قائلا :

« إن ظاهرة تزايد اليقظة الاسلامية بين « عرب إسرائيل ! ! » : أصبحت مصدر قلق أكيد لكل يهودي ، فلقد أصبح كل يهودي يتساءل بقلق و خوف هذه التساؤلات :

ما هي أهداف هؤلاء الشباب ، الذين يعودون إلى الاسلام من جديد..؟!

و من هؤلاء الذين يقفون وراء هذه الظاهرة . . . ؟ !

و هل حركتهم هذه حركة عفوية ، لن تلبث أن تزول أم أنها ستتحول إلى حركة إسلامية ثورية ، كما حدث في مناطق أخرى في الشرق الأوسط . . ؟ !

و قبل أن يبدأ المقال في محاولة الاجابة على هذه التساؤلات ، يشير إلى أن الخطر الحقيق ، الذي تمثله ظاهرة العودة إلى الاسلام بين عرب إسرائيل ، هو « أن الآلاف من الشبـاب ، الذين يعودون إلى الاسلام من جديد ، هم من طلاب المدارس الابتدائية و الثانوية و معاهد المعلمين ، أي أنهم من الجيل المثقف ، و من جيل المستقبل » .

و ينتقل الكاتب بعدئذ إلى الاجابة على التساؤلات حول أهداف اليقظة الاسلاميـة ، و من هم الذين يقفون وراءها ، فيقول : إنه لاحظ أن الكثير من رجال الدين ، الذين لهم نشاط مرموق ، غالباً ما يكونون من أعضاء الحركة الاسلاميـة ، التي يصفها الكاتب اليهودي بقوله :

« إنها حركة دينية متعصبة ، أنشئت في مصر عام ١٩٢٩م ، و انتشرت في أنحاء العالم العربي » .

و يردف المقال قائلا :

« إن النشاط الاسلامی ليس مقتصراً على رجال الدين وحدهم ، بل إن الواعظات المسلمات لهن دور كبير فی تزايد اليقظة الاسلامية بين عرب إسرائيل - حسب تعبيره - ففی قرية « باقة » الغربية مثلا ، تلقی واعظة شابة ، تأتی من نابلس ، دروساً دينية كل يوم ثلاثاء أمام نساء و فتيات القرية ، و قد كان لهذه الدروس أثر كبير فی عودة الكثيرات إلى الاسلام ، و امتلاء المساجد بهن فی الأماكن المخصصة لهن » .

١٤– نشرت صحيفة « القبس » الكويتية فی عددها الصادر فی ١٩٨١/١/١٦ ، أن الجنرال الكسندر هيغ ، وزير خارجية الولايات المتحدة فی عهد الرئيس رولاند ريغان ، قد أكد أنه يؤمن إيماناً عميقاً بأن المساعدات الأمريكية لنظام الرئيس أنور السادات ستعزز قدرته على الصمود أطول مدة ممكنة فی وجه المخاطر الخارجية ، التی تهدده ، بالاضافة إلى الخطر الأعظم ، الذی يتمثل فی تعاظم نفوذ الحركة الاسلامية فی مصر .

١٥– و نقلت صحيفة الشرق الأوسط فی ١٩٨١/٢/٢٨ ، التی تصدر بالعربية فی لندن و جدة فی وقت واحد ، تحليلا بثته وكالة رويتر حول اكتشاف تنظيم الاسلامی فی الفلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ م ، وجاء فی التحليل :

« إن الصحوة الاسلامية التی انتشرت بين سكان الأراضی المحتلة فی فلسطين ، تثير قلق سلطات الاحتلال الاسرائيلی ، و أن هذه السلطات تنظر بقلق بالغ إلى تزايد أعداد المترددين على المساجد ، و خاصة الشباب الذين أصبحوا ينادون – علانية – بضرورة العودة إلى أصول الدين و الاسلام » .

و أنهت وكالة أنباء رويتر تحليلها قائلة :

« إن السلطات الاسرائيلية لا تخفى قلقها من أن تكون هذه الصحوة الدينية بين شباب فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨م ، قد أدت إلى تشكيل منظمات إسلامية شبه سرية على غرار جماعة الاخوان المسلمين » .

١٦- نشرت صحيفة « الرأى » الأردنية فى عددها الصادر فى ١٩٨١/١/٢٠م ، تحليلا نشرته صحيفة « الايكونومست » البريطانية ، جاء فيه :

« بعد أن توقف نهر النيل عن الفيضان ، ظن الناس أن عهد الفيضانات فى مصر قد انتهى ، و لكن ذلك لم يكن صحيحاً ، فان مصر تشهد اليوم فيضاناً عارماً ، و لكن من نوع جديد ، ذلك هو فيضان الاسلام المكافح بقيادة الاخوان المسلمين .

ليس بمقدور السادات و لا النميرى أن يوقفا المد الاسلامى المتصاعد فى مصر و السودان » .

و تختتم « الايكونومست » تحليلها بتوجيه نصيحة مبطنة ، تؤكد فيها أن الوسائل العادية فى محاربة الحركة الاسلامية لن تجدى نفعاً فى القضاء عليهم ، و أنه لا بد من اتباع أسلوب أشد بطشاً و قمعاً ، للفتك بالحركة الاسلامية و القضاء عليها .

وتنهى « الايكونومست » تحليلها بهذه العبارات ، التى تسخر - من خلالها - من الأساليب ، التى كان يتبعها السادات والنميرى فى محاربة الاخوان ، فتقول :

« إن كل محاولات السادات و النميرى لتطويق نشاط الاخوان المسلمين بالأساليب ، التى يتبعانها حالياً ، تبدوا أشبه ما تكون بمحاولة طفل صغير يضع أصبعه فى ثقب صغير فى سد كسد أسوان ، ليمنع انهيار الماء المتدفق من آلاف الثقوب الأخرى فى السد » .

١٧ــ نشرت جريدة « الرأى » الاردنية فى ١٩٨١/٤/١٢م ، ترجمة حرفية لدراسة نشرتها جريدة « يديعوت أحرنوت » فى ملحقها الاسبوعى الأخير ، و نقتطف من الدراسة هذه العبارات :

ــ « إن الحركة السرية ، التى تنشط فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م ، قد رسمت خطواتها بروح الاسلام، ولم تتأثر بأية روح قومية أو وطنية أخرى » .

ــ « الشباب المسلم فى فلسطين بعد أن فقد الآمل فى جميع الحركات العربية ، أصبح يصرخ بأعلى صوته :

« لا عزة و لا قوة ، إلا بالاسلام » .

ــ « إن المساجد التى كانت فى السابق مقراً لتجمع الشيوخ والعجائز، أصبحت اليوم مليئة بالشباب » .

ــ « الفتيات المسلمات يشاركن فى نشاطات الحركة الاسلامية فى فلسطين » .

ــ « الخطب فى المساجد تحولت إلى خطب سياسية ، فيها تحريض واضح ضد الحكم الاسرائيلى » .

ــ « الحركة الاسلامية تتسع و ينتمى إلى صفوفها اليوم ، أكثر من عشرين بالمائة من شباب القرى العربية فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م » .

ــ « دعاة الحركة الاسلامية يقولون لمؤيديهم : إنه من أجل بث روح الاسلام فى فلسطين، فلابد من اللجوء إلى ضرب الاحتلال ومقاومته فى سبيل الله »

١٨ــ نقلت صحيفة « الرأى » الأردنية فى عددها الصادر فى ١٩٨١/٤/١٣ ، نقلا عن صحيفة « يديعوت أحرنوت » ، أن مستشار بيغن للشئون العربية قال :

« لو لم تكتشف هذه الحركة فى الوقت المناسب ، لتعرض أمن إسرائيل و مستقبلها إلى خطر عظيم ، و الآن ، و بعد أن قبضنا على أعضاء الحركة ،

ستعمل على تقوية و تعزيز العناصر « الايجابية » العربيــة ، التى تؤمن بدولة إسرائيل » .

١٩ــ نقلت صحيفة « الرأى » الأردنيــة فى عددها الصادر فى ١٩٨١/٨/١٤م ، عن مجلة « نيوزويك » الأمريكيـة مقابلة ، أجرتها مراسلة النيوزويك فى نيويورك ، السيدة « مارلين ديسنر » مع « أهارون ياريف » أحد مديرى المخابرات الاسرائيليـــة السابقين ، و الرئيس الحـالى لمركز الدراسـات الاستراتيجية فى جامعة تل أبيب .

و من الأسئلة التى وجهت إلى « أهارون ياريف » هذا السؤال :

« هل سيكون بمقدور الاقطار العربية على المدى البعيد أن تزيل إسرائيل » ؟

و كان جواب « أهارون ياريف » كما يلى :

« لا اعتقد أن العرب ـ بأوضاعهم الحالية ـ يستطيعون أن يزيلوا إسرائيل من الوجود ، حتما مع وجود أسلحـــة جديدة و متطورة ، و لكن الأمر قد يصبح أكثر خطورة بالنسبة لاسرائيل فى المستقبل ، إذا نجح المتعصبون المسلمون فى تغيير الاوضاع فى الأقطار العربيـــة لصالحهم ، و لكننا نأمل أن أصدقاءنا الكثيرين سينجحون فى القضاء على خطر المتعصبين المسلمين فى الوقت المناسب » .

٢٠ــ ونشرت صحيفة « السياسة » الكويتية فى عددها الصادر فى ١٩٨١/٨/٣م ، فى رسالتها الاخبارية من بلجيكا ، أن مخابرات حلف الاطلسى أعــدت دراسة عن الأوضاع فى الشرق الأوسط ، أكدت فيها استنتاجات اللجنة الثلاثية ، التى كانت مؤلفة من الرئيس الأمريكى الأسبق نيكسون ، و كيسنجر ، و السياسى الاقتصادى الأمريكى روكفلر ، و التى أشارت إلى أن العالم الاسلامى سيشهد فى منتصف الثمانينات صحوة دينيـــة حقيقية ،

تعمل على هدف مزدوج ، و هو الجهاد لازالة إسرائيل و إزالة النفوذ الأمريكى ، و القضاء على المصالح الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط .

و أكدت دراسة مخابرات حلف الأطلسى ضرورة الاسراع فى اتخاذ الاجراءات المناسبة الحازمة للقضاء على جميع بوادر اليقظة الاسلامية فى المنطقة ، قبل استفحال أمرها .

٢١- نقلت صحيفة « القبس » الكويتية فى عددها رقم ٣٣٨٢ ، الصادر فى ١٢/١٠/١٩٨١م ، نص مقابلة إذاعية ، أجراها راديو إسرائيل مع مناحيم بيغن ، قبل أسبوعين من مقتل السادات ، و فيما يلى أهم ما ورد على لسان مناحيم بيغن فى تلك المقابلة :

« سؤال المذيع : ألا تقلقك المصاعب ، التى تواجه الرئيس السادات من قبل المعارضة ، بسبب معاهدات كامب ديفيد ؟ .

جواب بيغن : إنى أدرك تماما الأخطار ، التى تهدد صديقنا الرئيس أنور السادات ، و لست أنكر أنى حذرته مراراً من أولئك المتعصبين المتطرفين ، الذين يحملون أفكاراً عدائية لاسرائيل ، و يريدون العودة إلى تطبيق قوانين و عادات العصور الوسطى ، بل العصور الحجرية .

وعندما كنت فى أمريكا قام الرئيس السادات بحملة اعتقالات ضد أعدائه من الاخوان المسلمين ، وقد سمعت اعتراضات كثيرة هناك ضد هذه الحملة اعتبارها تتعارض مع التقاليد الديمقراطية ، و لكننى دافعت عن إجراءات السادات بحرارة ، و أقنعت المعترضين بأنه يجب عليهم أن يتناسوا التقاليد الديمقراطية ، حين يتعلق الأمر بالمسلمين ، و قلت للمعترضين إنه لو لم يقم السادات بضرب المعارضين المسلمين فى الوقت المناسب ، فقد كان من غير المستبعد أن يضربوه هم فى أية لحظة » .

٢٢- نقلت صحيفة « الدستور » الأردنية فى عددها الصادر فى ١٩٨١/٩/٩م ، عن صحيفة « الواشنطن بوست » الأمريكية تحليلا سياسياً ، يحتوى كل سطر فيه على تحريش سافر ضد الحركة الاسلامية الجادة فى مصر و فيما يلى أهم فقرات هذا التحليل :

- مع نهاية شهر رمضان تجمهر أكثر من مأة ألف (١) من المسلمين المتطرفين لأداء صلاة العيد فى ساحة مقابلة لقصر عابدين ، حيث يقيم السادات ، و لم يكن الأمر مجرد أداء صلاة ، بقدر ما كان مظاهرة عدائية ، تتحدى السادات و سياسته ، خاصة أنها جاءت فى وقت يستعد فيه السادات للسفر إلى بريطانيا و أمريكا ، مما يعطى انطباعاً بأن مركزه فى مصر أصبح ضعيفاً أمام المعارضة الدينية .

- أن الجماعات الاسلامية المتطرفة تهدف إلى تحويل المجتمع المصرى من مجتمع علمانى إلى جمهورية إسلامية تتبنى حكومتها تعاليم القرآن ، و من الطبيعى أنه إذا قامت هذه الجمهورية الاسلامية فى مصر ، فلن يبق للسادات مكان فى السلطة .

- رغم أن السادات ملأ الجامعات و المعاهد المصرية بالبوليس السرى و برجال المخابرات ، و رغم أنه أصدر تحذيرات شديدة للمتطرفين بعدم التدخل فى الشئون السياسية ، إلا إنه فشل فشلا ذريعاً فى إيقاف تقدم الجماعات الاسلامية و انتشارهم فى الجامعات و المعاهد المصرية ، و إذا

---

(١) الواقع أن المصلين فى هذه المدة كانو حوالى نصف مليون ، فقد إزدحم ميدان عابدين على سعته ، و إزدحمت كل الشوارع المؤدية إليه ، كما شهدت ذلك بنفسى ، و كنت خطيب العيد يومئذ .

أراد السادات أن يتغلب على هذا الخطر ، الذى يتهدد نظامه ، فعليه أن يقوم بعمل أكبر من مجرد إصدار التحذيرات (١) . . . ! ! !

هذه أخبار وأقوال و تصريحات و تحليلات ، نقلتها بحروفها من مصادرها ، دون أن أعقب عليها بكلمة واحدة ، لتتحدث هى القارىء بنفسها ، و إن فيها لعبرة لكل ذى لب ، و ذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

فهل تقنع هذه الأقوال الموثقة كاتبنا أستاذ الفلسفة ، الذى يكابر و يمارى فى أشد الحقائق وضوحاً ، ليعلن — فى جرأة يحسد عليها — أنها من أشد الأساطير فى حياتنا بطلاناً ؟ !

ومتى قلت : هذا الصبح ليل أ يعمى العالمون عن الضياء ؟ ! !

---

(١) اعتمدنا هذه النقول الموثقة من مصادرها على الدراسة الوثائقية ، التى أعدها و نشرها الأخ الفاضل زياد أبو غنيمة ، و نشرتها دار الفرقان فى عمان ، و ينبغى أن يضاف هنا ما كتبه الأستاذ عادل حسين فى صحيفة « الشعب » المصرية التى يتولى رئاسة تحريرها تقريراً و تعبيراً عن موقف أمريكا و اليهود من الصحوة الاسلامية ، من خلال زيارته لأمريكا ، أوائل ١٩٨٧م .

دور الاعلام فى تحريك القلوب

دكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » الرياض)

من يتابع أخبار الصحف و أحاديثها ، و تحقيقاتها ، و من يهتم بما تنشره وكالات الأنباء ، من أنباء عن الفياضات فى السودان ، و نتائج كوارث السيول فى بنجلا ديش ، و ما يحصل فى أرجاء المعمورة هذه الايام من أخبار عن مصائب و كوارث كونيـة تحصل بسبب الفياضات ، أو نتائج الجفاف و القحط فانه يدرك أن وراء ذلك حكمة أرادها الله لتهذيب النفوس ، و إلانة الطبـاع ، حتى تدرك دورها فى الحياة ، والمكانة التى يجب أن تحتلها فى الارتباط ، استجابة لأمر الله جل و علا ، و أداء لمـا أمر الله به بقوله : « و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (الذاريات ، الآيات ٥٦-٥٨) .

فأخبار بنجلا ديش تذكر أن المشردين ، ممن أصبح بدون مأوى زادوا عن خمسة و عشرين مليوناً ، ناهيك بمـا يتبع ذلك من دمار مساكن ، و خراب مزارع ، و تفشى مجاعة ، و انتشار أمراض ، إلى غير ذلك من أمور تستدعى الشفقة ، و تدعو إلى العطف .

و المعلومات عن فياضات السودان تفيد ارتفاع منسوب المياه ، وتغطيتها لمساحات شاسعة و تزايد نسبة الأمطار ، و هلاك الحرث و الحيوانات ، وسقوط مئات الالوف من المساكن مما نتج عنه تفاقم الأزمات الغذائيـة و الاقتصادية ،

و حاجة الناس إلى من يمد إليهم يد المساعدة ، و يعينهم على تخطى الكارثة التى مرت بهم .

أما الراصدون لأحوال هذين البلدين ، فيقولون إن تلك البلاد لم تشهد مثيلا لما نزل عليها من أمطار ، أو فاضت به أنهارها من مياه ، منذ عشرات السنين . . . . و لا يذكر كبار السن أنه قد مر بالبلاد حالة كهذه فى معهودهم الذهنى أو الذكرى .

هذه الأشياء تحتل منزلة الصدارة من الاهتمام الوجدانى ، و الابرازات الاخبارية فى الصحافة العربية و العالمية ، و تستولى على المكان البارز فى المتابعة و الاظهار : خبراً و صورة و نتائج ، و تعليقات من وسائل الاعلام فى كل مكان ، مرئية أومقروءة أو مسموعة ، باعتبار ذلك حدث مهم ، وكارثة يصطلى بنارها أعداد كثيرة من البشر ، زادتهم إلا على ضغث .

ولم تكن تلك الوسائل الاعلامية فى عرضها ـ إلا فئة قليلة منها ، نراها فى بعض البلاد الاسلامية ـ لتهتم بتحريك القلوب ، و إثارة الأسباب ، أو ربط ذلك بحكم أرادها الله ، وأحاسيس ذكر القرآن الكريم ، وسنة رسول الله ﷺ ، الشئ الكثير عنها ، فى دروس تنبه الغافل ، و تحرك القلب الجامد .

إن المأساة الحالية فى بنجلاديش ، وكارثة الفياضات التى نزلت بالسودان كلها تتمثل فى مظاهر عديدة و محسوسة ، يبرز مثلها فى البلاد الشمالية من الكرة الأرضية بالثلوج و الأعاصير ، و فى المناطق الصحراوية بالجفاف و القحط ، وفى هنا و هناك بمظاهر كونيـــة متعددة كالرياح و الصواعق و البراكين ، و ارتفاع الحرارة ، و شدة البرودة ، و غيرها مما يظهر ضعف البشر ، و قلة حيلهم ، أمام أمور هى أقوى من قدراتهم ، و أشر مما يستطيعون السيطرة عليه ، و أن ذلك

قد جاء بإرادة الله العلي القدير، حيث يجب أن تتعلق القلوب، وترتبط الأفئدة، و تسلم الأمور ، فلا راد لقضائه ، فهو سبحانه يفعل ما يشاء و يختار .

و العاقل عند ما يجيل نظره ، و المؤمن عند ما يحكم عقيدته ، فان أمثال هذه الأمور تستولى على مشاعره ، لأنها تترك آثاراً ظاهرة ، و نتائج خفية ، تدمى القلوب ، و تذيب حشاشة الفؤاد ، و تذرف لها الدموع رحمة و شفقة ، فالآثار فى السودان و بنجلاديش يتجلى فيما بين قتيل جرفته المياه ، ومات غرقاً ، أو مشرد فقد المأوى ، و الحياة الهانئة المستقرة بعد أن ضاع منه كل ما يملك من متاع الدنيا و حطامها ، و بين متأثر على فقـد محبوب ، أو متألم من مصيبة حلت به ، فجعلته بعد الصحة مريضاً ، أو بعد الغنى فقيراً معدماً ، أو بعد العز طريداً تائهاً .

أما الأرض و ما عليها من نبات و حيوان و مساكن ، فان أمثال تلك الكوارث تحيله ركاماً ، و تجعله خبرا بعد عين ، و أثراً يحكى واقعاً مؤلماً .

هذا بالنسبة للأمر الظاهر المحسوس ، أما النتائج الخفية فعلمها عند الله ، فقد يكون فيها ما يخفف عن الانسان ، و يطهر نفسه ، و يحركها بعد سكون ، و قد يكون فيها ما هو نذير بما هو أشد ، و تفنيد لعواقب وخيمـة ، كما أخبر جل و علا بآيات كثيرة فى كتابه العزيز ، منها قوله جل و علا : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » سورة النساء ٧٩ » ذلك أن كل آية من آيات الله الكونيـة ، دلالة على قدرته . و برهان على رحمته بعباده ، فالله جل و علا يسوق أمثال تلك لتكون منها العبرة ، و تحل بالناس لتنبه القلوب عند ما تغفل ، وتحرك النفوس عند ما تبتعد عن المنهج السليم الذى ارتضاه الله طريقاً مستقيماً لعباده المخلصين .

عند ذلك تستيقظ الأحاسيس المدركة بعد ما حل بها من جمود ، وتتبصر فى أمرها لترجع إلى جادة الصواب ، و تدرك ما يجب عليها تجاه إخوان فى العقيدة و الدين حلت بهم أمثال هذه الكوارث ، فكوتهم بنارها ، و آلمهم آثار لظاها ، و المثل العربى يقول : ربما صحت الأبدان بالعلل . . . ذلك أن طبيعة النفس البشرية الغفلة ، و الانجذاب إلى المظاهر الدنيوية فتأتى نماذج مما يسوقه الله للناس ، سواء كان ذلك عاماً أو خاصاً ، و سواء حل فى المجتمع أو نزل فى النفس ، ليكون فيه الايقاظ بعد النوم ، و التنبيه لما يصلح النفوس بعد الغفلة ، لأن بصلاحها يستقيم المجتمع ، و تسعد الأمة ، فمن وقعت به الكارثة يجب أن يقلب صفحات حياته ، وعينات من سيرته الذاتية ، ليدرك موطن الخطأ فيتداركه ، وجهة التقصير فيتلافاها : تأسفاً و عملا و تصحيحاً ، و من سمع بها فدوره الاهتمام باخوانه فى الدين ، فمن تربطه بهم وشيجة القربى فى اللغة و العقيدة ، ليواسيهم و يمدهم بما تستطيعه نفسه ، و يشعرهم بمكانة الأخوة التى حددها كتاب الله ، و حثت عليها سنة رسوله الكريم ﷺ فى مثل هذه النصوص : « إنما المؤمنون إخوة » (الحجرات الآية ١٠) ، « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر » .

و وسائل الاعلام المختلفة عند ما تنقل مثل هذه الكوارث : أخباراً و صوراً و تعليقاً ، فان غالبيتها تريد لفت النظر ، وكسب القارىء ، لكى تحقق به رسالتها ، و تملأ به حيزاً لا بد أن يعبأ من مساحتها ، و تجعله فى مكان الصدارة ، لتجذب به من يريد تتبع كل أمر جديد .

و وسائل الاعلام تختلف فى نظرتها إلى مثل هذا النبأ ، و ملاحقتها لأثر أى كارثة ، أو اهتمامها بأسبابها ، و ما يجب أن يستفيده القارىء أو المشاهد من نتائج ، بحسب تأثر الكاتب نفسه ، و انفعالات من يصوغ الخبر أو يعلق عليه .

ذلك أن من رسالة الوسيلة الاعلامية التي يني المهتمون بها مقاييسهم عليها : تقديم الجديد ، و عرض المثير ، و الاهتمام بالسبق في التقديم ، و المتابعة للاحداث ، أما الخلفيات البعيدة ، و المؤثرات العميقة ، و المسببات الروحانية ، فقد لا تحظى بمنزلة رفيعة لدى بعض تلك الوسائل، اللهم إلا إن كان له مردود مادي ، أو هدف بارز يمكن التحرك نحوه .

و بحمد الله فان الصحف عندنا تختلف عن مثيلاتها في كثير من دول العالم بملاحقة الخبر و جذب القارئ إليه عقيدة و شفقة ، و ترغيباً في البذل وتعاطفاً مع الاخوة المسلمين الذين نزلت بهم الكارثة، إذ منذ حلت الفياضات بالسودان، و بدأت الأمطار في بنجلا ديش و وسائل الاعلام هنا تلاحق الخبر بما يدعو إلى الرأفة و الرحمة باخواننا المسلمين هناك ، حيث تنقل أخبار المساعدات ، و تحث على البذل ، و توضح الجهات التي تقدم لها المساعدات في كل مدينة من مدن المملكة ، و تشير إلى اللجان الشعبية التي يتولى أمرها أمراء المناطق ، و ما يقدم لها من صدقات و تبرعات . . فالجزيرة مثلا نشرت في عدد الأحد ٧/ ٢/ ١٤٠٩هـ بأن تبرعات اللجنة الشعبية التي يرأسها سمو الأمير سطام نائب أمير منطقة الرياض بلغت أكثر من عشرة ملايين ريال ، و تبرعات الشمال مليون ريال ، و هذا جزء من كل يأتي نظيره يومياً في كل صحيفة ، و قبل ذلك نشرت أخباراً فردية عن بعض رجال الأعمال ممن جادوا بمبالغ كبيرة إذ واحد دفع نصف مليون ريال ، و آخر قدم المليون كاملا .

و الجميع يتسابقون في تبرعاتهم السخية بدوافع عديدة مثل :

العاطفة الدينية و الامتثال لأمر الله ، بالبذل و العطاء ، واحتساب ما عنده سبحانه من الأجر المدخر ، و ما يدفع به الله عن المرء من مصائب كما أخبر

ﷺ : بأن الصدقة تذهب الخطيئة ، و تدفع ميتة السوء ، ذلك أن المال الذى بأيدى الناس هو مال الله ، و قد جعل الله البشر متحفظين عليه ، لينظر ماذا يعملون فيه ، و قد جاء أمر الله جل و علا بالبذل والعطاء كثيراً و فى نصوص عديدة مثل قوله جل و علا : « و آتوهم من مال الله الذى آتاكم » (سورة النور الآية : ٢٢) و قوله : « و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (سورة الحديد الآية : ٧) .

القدوة برسول الله ﷺ : حيث كان يأمر بالصلاة و الصدقة ، و يحرص على كثرة الدعاء عند كل كارثة تحل بالمسلمين ، كالكسوف و الخسوف حتى ينكشف ما حل ، و الصدقة قبل الخروج للمسجد فى صلاة الاستسقاء و طلب الغيث ، و يدعو عند هبوب الرياح و تكاثر المطر بأن يجعله الله رحمة لا عذاباً .

و فى موقف من المواقف المماثلة نلمس نظرة الاسلام ، و روحه العلمية فى الترابط و المواساة فقد جاء إلى النبى ﷺ وفد من مضر قد أنهكهم الجدب ، و بانت عليهم آثار الكوارث و وسمتهم المجاعة فى منظرهم و مخبرهم ، فبان الأثر فى وجه رسول الله ﷺ ، و عرف أصحابه ما يريد ، و هم أسرع الناس استجابة و أرغبهم فى خير ، بعد أن صعد المنبر وخطب فيهم حاثاً على الصدقة ، وداعياً إلى بذل المعروف ، و مواساة المحتاج ، فما كان منهم إلا سرعة المبادرة بالصدقة ، و التبارى فى تقديم العون ، كل بما يستطيع ، حتى جاء كل فرد منهم بما يقدر عليه لأن أفضل الصدقة جهد المقل . . يربطهم فى ذلك المسجد ، و تجمعهم الاستجابة فى طاعة رسول الله ﷺ ، فما هى إلا لحظات حتى كان بين يديه الكريمتين مال كثير ، و قصاع جزيل ، وطعام وفير ، فبان السرور فى وجه رسول الله ﷺ ، لما رأى من مسارعة أصحابه ، و حرصهم فى الاستجابة لازالة آثار

المحنة عن اخوانهم فى العقيدة ، ومواساة من تربطهم بهم أخوة الدين ، لأن هذا سيفتح باب القدوة الصالحة حتى يرث الله الأرض و من عليها فقال ﷺ : «من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» .

— و كما هو فى كل عصر و مصر يوجد من لا يرق قلبه ، أو تطرف عينه ، لأن القلوب قد أشربت ، فقد امتنع المنافقون عن الاستجابه لنداء رسول الله ، ولم يقدموا شيئاً يعين فى تخطى الأزمة ، ولم يكفوا أذاهم ، بل صاروا يسخرون من فقراء الصحابة لقلة ما قدموا ، و يستهزئون من فاقتهم وضعف مساهماتهم ، و يقولون — كما ذكر ابن كثير فى تفسيره و غيره : «إن الله غنى عنكم أنتم و صدقاتكم أو إن الله غنى عن صدقات هؤلاء» .

فأنزل الله على رسوله قرآناً يتلى ، يرد على أمثال هؤلاء فى كل زمان و مكان : «الذين يلزمون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات و الذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم» [التوبه الآية ٧٩] . . ولذا فان دور المسلمين اليوم ، كما هو مفهوم المسلمين الأوائل بالأمس ، الانفاق و المبادرة ، و تقديم الجهد مهما كان .

— التأسى بالقدوة الصالحة من قيادة هذه البلاد ، فى الدعوة للبذل ، والحث على الخير ، فقد كان خادم الحرمين الشريفين أول المسارعين فى مواساة السودان و شعبه فى محنتهم : بذلا و عطاء ، و اهتماماً إذ مدت الجسور الجوية ، و تواصلت الامدادات الغذائية و العلاجية و الخيام ، إضافة . . التبرعات المالية السخية .

فكانت المبادرة العاجلة من خادم الحرمين الشريفين وفقه الله لكل خير ، مسحة حنان تريح النفوس ، و علاجاً سريعاً يضمد الجراح ، ولفتة حانية أدخلت

البسمة ، و أزالت كثيراً من آثار البؤس ، كما ظهر ذلك على ألسنه المسئولين فى السودان ، و بان صدى ذلك فى أفراد الشعب السودانى .

و ما امتداد اللجان الشعبية إلا دليلا على الاستجابة و الحرص فى تمكين رابطة العقيدة ، و تأصيل جذور الألفة ، بين أبناء الاسلام مهما تباعدت ديارهم ، أو اختلفت ألوانهم و ألسنتهم ، لأن وشائج المحبة يلفهم ، و تعاليم الاسلام توحد شملهم ، كما يلمس ذلك من أمثال هذا النص الكريم « و ألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، و لكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » [الأنفال الآية ٦٢] .

ــ حب الخير المتأصل ــ بحمد الله ــ فى نفوس أبناء هذه البلاد ، و رغبتهم فى المسارعة إلى البذل و المساعدة فى كل عمل خيرى سواء كان فى داخل المملكة أو خارجها ــ شكراً لله على ما أنعم به عليهم ــ ورغبة فى الأجر الموعود فى الآخرة ، و أداء للواجب الذى أمر الله به من صدقة و زكاة . . و هــذه خصال متأصلة ، يجب أن تنمى ، وصفات راسخة فى الجميع ، قادة و قاعدة شعبية ، يحسن أن تذكر فتشكر ، و المسلم الحريص يرى أن من دور وسائل الاعلام ، تحريك المشاعر فى مثل هذه المناسبات ، وتذكير القلوب حتى تسيطر على أحاسيسها ، و دعم ذلك بالقرائن الشرعيــة التى تلامس أوتار القلوب ، و تستجيب لها النفوس ، و توصل العقيدة ، سواء كانت هذه القرائن عقلية أو نقلية ، مع ربط القارىء بدينــه أولا ، و تقريب ذلك الاسترشاد بما جاء فى مصادره من آيات وعبر ، وتوجيهات و إرشادات ، فقد جعل الله جلت قدرته الاستعانة على كل مصيبة بأمرين هامين : الصبر و الصلاة ، كما قال جل وعلا فى سورة البقرة : « و لنبلونكم بشئ من

الخوف والجوع ونقص من الأموال و الأنفس و الثمرات ، وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و أولئك هم المهتدون » .

فالصبر بتحمل المصيبة ، و عدم الشكوى لغير الله ، لأن شكوى الخلق إلى المخلوق مذلة و معصية ، و الصلاة تضرع و عبادة ، و اتجاه لله بجميع الحواس خضوعاً و استسلاماً . .

و من الصبر و الاحتساب الانفاق فى المواساة ، و بذل المعروف للمحتاجين إليه ، ذلك أن المال مما تحرص عليه النفوس، و تتشدد فى طلبه و المحافظة عليه ، و تقديمه بسخاء و طواعية من أهم السبل التى تغيظ أعداء الله من شياطين الأنس و الجن ، لأن هذا الانفاق لم يقصد من ورائه مصالح دنيوية ، أو مداخل شخصية ، و إنما بذل لله ، و رأفة بخلق الله ، و إن على كل من ينبض قلبه بالايمان أن يبادر ، و على كل من أعطاه الله وفراً أن لا يبخل، فان اليد العليا خير من اليد السفلى ، و ما يقدم المرء من خير يجده عند الله رصيداً مدخراً ، و إنما ينصر المسلمون بضعفائهم ، و قد أخبر ﷺ بأن على كل سلامى من الانسان صدقة، وكل يوم تطلع فيه الشمس صدقة ، و إعانة الرجل لأخيه صدقة ، و النعم إذا شكرت بالاستجابة : نطقاً باللسان، و تصديقاً بالجنان ، و ارخاء اليد بالبذل و العطاء دامت على صاحبها ، و بارك الله فيها : نماء و توفيقاً ، و هذا من الزيادة التى أمر الله بها .

أعلام المحدثين و مؤلفاتهم فى السنة

—٣—

تأليف : الامام الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوى رحمه الله

نقله من الفارسية و حققه : الاستاذ محمد أكرم الندوى

مدرس بدار العلوم لندوة العلماء

الراوية الثالثة :

هذه رواية عبد الله بن مسلمة القعنبى ، و قد تفرد برواية الحديث التالى فى موطأه :

أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «لا تطرونى كما أطرى عيسى بن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله و رسوله»

نسبه و مولده :

هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثى أصله مدنى ، و سكن البصرة و توفى بمكة ، ولد بعد الثلاثين و مأة (١) .

شيوخه :

روى عن جماعة ، منهم مالك بن أنس ، والليث بن سعد وابن أبى ذئب والحمادان (٢)

---

(١) الامام الذهبى : تذكرة الحفاظ ٣٥١/١ ، و ابن فرحون : الديباج المذهب ١٣١ .

(٢) أى الامام الحافظ حماد بن سلمة بن دينار و الامام الحافظ حماد بن زيد ابن درهم ، أما الأول فهو حماد بن سلمة بن دينار الامام الحافظ شيخ الاسلام أبو سلمة الربعى مولاهم البصرى النحوى المحدث ، قال

و شعبة (١) و سلمة بن وردان (٢) و شهد ابن معين (٣) باخلاصه فقال : ما

ابن معين : هو أعلم من غيره ، قال شهاب بن معمر : كان حماد ابن سلمة يعد من الأبدال ، قال الذهبي : هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة ، و كان بارعاً فى العربية فقيهاً فصيحاً مفوهاً صاحب سنة ، قال ابن مهدى : لو قيل لحماد بن سلمة ، إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد فى العمل شيئاً ، قال عمرو بن عاصم : كتبت عن حماد بضعة عشر ألف حديث ، قال أحمد بن حنبل : إذا رأيت الرجل ينال من حماد بن سلمة فاتهمه على الاسلام ، توفى بعد عيد النحر سنة سبع وستين و مأة و قد قارب الثمانين (ملخصاً من تذكرة الحفاظ ١٨٣/١) .

وأما الآخر فهو حماد بن زيد بن درهم الامام الحافظ المجود شيخ العراق أبو إسماعيل الأزدى مولاهم البصرى الأزرق الضرير ، قال ابن مهدى : أئم الناس فى زمانهم أربعة : الثورى و مالك و الأوزاعى و حماد بن زيد ، و قال ابن معين : ليس أحد أثبت من حماد بن زيد ، ، قال أبو عاصم : مات حماد بن زيد يوم مات و لا أعلم له فى الاسلام نظيراً فى هيئته و دله ، قال العجلى : كان له أربعة آلاف حديث ، كان يحفظها و لم يكن له كتاب ، مولده سنة ثمان و تسعين ، و مات فى رمضان سنة تسع و سبعين و مأة (ملخصاً من تذكرة الحفاظ ٢٠٦/١) .

(١) هو شعبة بن الحجاج بن الورد الحافظ شيخ الاسلام الأزدى العتكى مولاهم الواسطى نزيل البصرة و محدثها ، كان الثورى يقول : شعبة أمير المؤمنين فى الحديث ، و قال الشافعى : لو لا شعبة لما عرف الحديث بالعراق ، وكان شعبة عباداً زاهداً ، يصوم الدهر ، سمع من أربع مأة

رأينا من يحدث لله إلا وكيعاً و القعنبى (١) ، و القعنبى أثبت النـاس فى الموطأ عند أصحـاب الحديث ، قيل لابن المدينى أصحاب مالك معن ثم القعنبى ، قال القعنبى ثم معن (٢) .

من التابعين ، ولد سنة ثنتين و ثمانين ، قال ابن حنبل : كان شعبة أمة وحده فى هذا الشأن يعنى فى الرجال و بصره بالحديث ، قال الأصمعى : لم ير أحد قط أعلم بالشعر من شعبة ، اتفقوا على موت شعبة سنة ستين و مأة ، (ملخصاً من تذكرة الحفاظ ١/١٧٤) .

(٢) هو سلمة بن وردان الليثى أبو يعلى المدنى ، ضعيف من الخامسة ، مات سنة بضع و خمسين و مأة (ابن حجر : تقريب التهذيب ١/٣١٩) .

(٣) هو يحى بن معين الامام الفرد سيــد الحفاظ أبو زكريا المرى مولاهم البغدادى ، مولده سنة ثمان وخمسين ومأة أخذ عنه أحمد وهناد والبخارى و مسلم و أبو داؤد و أبو زرعــة و خلائق ، قال ابن المدينى : لا نعلم أحداً من لدن آدم عليــه السلام كتب من الحديث ما كتب يحى بن معين ، قال ابن معين : كتبت بيــدى ألف ألف حديث ، قال يحى القطان : ما قدم علينا مثل هذين أحمد بن حنبل و يحى بن معين ، قال أحمــد بن حنبل : يحى بن معين أعلمنا بالرجال ، توفى فى ذى القعدة غريباً بمدينة النبى ﷺ سنة ثلاث وثلاثين و مأتين ، رحمه الله (تذكرة الحفّاظ ٢/٨) .

(١) الامام الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/٣٥ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/٣٢ .

(٢) الامام الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/٣٥١ .

قراءته على مالك :

وصل إلى مالك ، و كان حبيب (١) يقرأ على مالك الموطأ و الناس يسمعون ، و كان القعنبى لا يرضى بقراءة حبيب لعدم تثبته فيما يقرأ ، فما زال حتى قرأ لنفسه على مالك الموطأ (٢) و لزم مالكا عشرين سنة وأخذ عنه (٣) .

فضائل القعنبى :

قدم القعنبى مرة من البصرة إلى المدينة المنورة ، فقال مالك : قوموا بنا إلى خير أهل الأرض (٤) و قيل ما يطوف بهذا البيت أحد أفضل من القعنبى (٥) و كان مجاب الدعوة (٦) .

---

(١) هو حبيب بن أبى حبيب مرزوق كاتب مالك و قارؤه ، و بقراءته سمع الناس الموطأ ، مدنى ، انتقل إلى مصر ، وعده بعضهم فى المصريين ، لأنه توفى بها ، روى عن مالك غير شئ الموطأ و الفقه و كثيراً من الحديث ، و غيره ، ضعفه ابن حنبل و ابن معين و النسائى و أبو حاتم الرازى و كذبوه وذموه ، و قال ابن معين : حبيب الذى بمصر كان يقرأ على مالك و يخطرف للناس و يصفح ورقتين ، سألونى عنه ، فقلت ليس بشئ ، قال مصعب : كان حبيب يقرأ على مالك ، و أنا عن يمين حبيب يقرأ كل يوم ورقتين ، أو ورقتين و نصفاً ، و كان يأخذ فى كل عرضة دينارين من كل إنسان ، فزدناه نحن ، توفى بمصر سنة ثمان عشرة و مأتين (القاضى عياض : ترتيب المدارك ٣٧٨/١) .

(٢) الامام الذهبى : تذكرة الحفاظ ٣٥١/١ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٣١ .

(٤) الامام الذهبى : تذكرة الحفاظ ٣٥١/١ ، و الحافظ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٢/٦ .

(٥) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٣٢ .

(٦) الامام الذهبى : تذكرة الحفاظ ٣٥١/١ .

وفاته :

توفى سنة إحدى و عشرين و مائتين بمكة لست خلون من المحرم (١) .

الراوية الرابعة :

هذه رواية ابن القاسم ، و هو أشهر فقهاء المذهب المالكى ، و أول من دون هذا المذهب ، و تفرد برواية الحديث التالى فى موطأه :

مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى : من عمل عملا أشرك فيـــه معى غيرى ، فهو له كله ، أنا أغنى الشركاء عن الشرك .

قال أبو عمر : ورواه ابن عفير هذا الحديث فى موطأه ، ولم يروه غيرهما .

نسبـه :

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصرى العتقى ، مولاهم ، مولى زيد بن الحارث العتقى (بضم العين المهملة و فتح التاء الفوقية) هو منسوب إلى العبيد الذين نزلوا من الطائف إلى النبى ﷺ لجعلهم أحراراً (٢) .

قال ابن خلكان : و ليسوا من قبيلة واحـــدة ، بل هم من قبائل شتى ، منهم من حجر حمير ، و من سعد العشيرة ، و من كنانة مضر وغيرهم ، و عامتهم بمصر و كان زيد بن الحارث من حجر حمير ، و العتقاء جماع من القبائل كانوا يقطعون على من أراد النبى ﷺ ، فأتى بهم أسرى ، فأعتقهم ، فقيل لهم

(١) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٣٢ .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٤٦ ، و الامام الذهبى : تذكرة الحفاظ ٣٣٦/١ ، و الحافظ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٥٢/٦ .

المتقـاء (١) .

مولده :

كانت ولادته سنة ثلاثين و ماة (٢) .

طلبه للعلم و زهده :

روى عن شيوخ كثيرين و أنفق أموالا عظيمـة فى طلب العلم ، و كان فى الورع و الزهد شيئاً عجباً (٣) و فى حسن الحديث و صحته و إتقانه نادرة من نوادر الدهر (٤) و كان يقول فى دعائه : اللهم امنعنى من الدنيا و امنعها منى ، و كان لا يقبل جوائز السلطان (٥) .

فقهـه :

قال ابن وهب : إن أردت هذا الشأن يعنى فقه مالك فعليك بابن القاسم فانه انفرد به و شغلنا بغيره ، و بهذا الطريق رجح فقهاء المذهب المالكى مسائل المدونة على سائر الروايات (٦) .

و سئل أشهب عن ابن القاسم وابن وهب ، فقال : لو قطعت رجل ابن

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٣٠/٣ .

(٢) و فى التهذيب ٢٥٣/٦ و الديباج ١٤٧ و الوفيات ١٢٩/٣ أن مولده سنة اثنين و ثلاثين و مأة ، و قيل ثلاث و قيل ثمان و عشرين و مأة .

(٣) الامام الذهبى : تذكرة الحفاظ ٣٢٦/١ .

(٤) انظر ترتيب المدارك ٤٣٤/١ .

(٥) الامام الذهبى : تذكرة الحفاظ ٣٢٦/١ .

(٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٤٧ .

القاسم لكانت أفقه من ابن وهب (١) .

و ذهب المحققون إلى أنه كان علم أشهب الجراح و علم ابن القاسم اليبوع و علم ابن وهب المناسك ، و الله أعلم (٢) .

ابتداء طلبه للعلم :

قال ابن القاسم : قيل لى فى المنام : إذا عزمت على الطلب إن أحببت العلم فعليك بعالم الآفاق ، فقلت و من عالم الآفاق ، فقيل لى : مالك (٣) .

فضله و عبادته و ورعه :

و كان ابن القاسم قد قسم دهره أثلاثاً ، كان يقيم بالاسكندرية ستة أشهر يجاهد الكفار من الروم و البربر و الزنج ، و ينفق ثلاثة أشهر فى الحج و زيارة النبى ﷺ ، و يشتغل بالعلم خمسة شهور .

وذكر ابن القاسم لمالك، فقال : عافاه الله ، مثله كمثل جراب مملوء مسكا (٤) .

و كتب الخروقى فى شرح الرسالة تحت الحديث « و من قرأ القرآن فى سبع فذلك حسن » : أن ابن القاسم كان يختم فى رمضان مأتى ختمة، قال أسد ابن الفرات (٥) كان ابن القاسم يختم فى كل يوم وليلة ختمتين فنزل لى حين جئته

(١) المصدر السابق ١٤٧ .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٤٧ .

(٣) المصدر السابق ١٤٧ .

(٤) المصدر السابق ١٤٦ .

(٥) هو أسد بن الفرات بن سنان مولى بنى سليم بن قيس، كنيته أبو عبد الله أوله من نيسابور، سمع من مالك موطأه وغيره، ثم ذهب إلى العراق

عن ختمة رغبة فى إحياء العلم (١) .

وكان عنده ثلاث مأة جلد عن مالك من المسائل أو نحوها (٢) .

وفاته :

و توفى ابن القاسم بمصر سنة إحدى و تسعين و مأة (٣) و رؤى ابن ابن القاسم بعد موته فسئل فأخبر بما لقيه من الخير ، فقيل له بماذا ، قال بركمات ركعتها بالاسكندرية ، فقيل بالمسائل ، قال : لا ، و أشار بيده أى وجدناها هباءاً (٤) .

يقول كاتب هذه السطور : لا يخطرن ببال أحد أن الاشتغال بالعلم ليس بشئ ، و إنما هو الاشتغال بالعبادة ، فان الاشتغال بالعلم نوع من العبادة بل هو أجل عبادة ، لأن النفوس البشرية تختلف فى أشغالها ، فبعضها يؤثر فيها شغل تأثيراً قوياً ، و بعضها يؤثر فيها شغل آخر ، و يظهر أثر ذلك فى عالم البرزخ ، فالأشغال كلها محمودة فى نفسها ، فأحياناً يوفق المرء فى بعض الأشغال القليلة السهلة

☜ فلقى أبا يوسف و محمد بن الحسن و غيرهما ، و أخذ عنه أبو يوسف موطأ مالك ، و تفقه أسد أيضاً بأصحاب أبى حنيفة ، و كانت وفاة أسد فى حصار سرقوسة فى غزوة صقلية و هو أمير الجيش و قاضيه سنة ثلاث عشرة و مأتين ، و قبره و مسجده بصقلية ، مولده سنة خمس و أربعين و مأة بحران (ابن فرحون : الديباج المذهب ٩٨) .

(١) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١/٤٤٠ .

(٢) نفس المصدر ١/٤٣٤ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ١٤٧ .

(٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١/٤٤٦ .

من النية الصالحة ما لا يوفق له فى الأعمال الكثيرة العظيمة ، « و إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم ، قاعدة مقررة فى الدين فافهم.

الرواية الخامسة

هذه رواية معن بن عيسى ، تفرد برواية الحديث التالى :

مالك عن سالم أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلى من الليل ، فاذا فرغ من صلاته ، فان كنت يقظانة يحدث معى ، و إلا اضطجع حتى يأتيه المؤذن .

نسبه :

هو أبو يحى معن بن عيسى بن دينار المدنى القزاز ، كان يبيع القز ، الاشجعى مولى أشجع من كبار أصحاب مالك و متقنيهم (١) .

مكانته لدى مالك :

كان ربيب مالك ، هو الذى قرأ عليه الموطأ للرشيد وابنيه الأمين والمأمون و كان أشد الناس ملازمة لمالك ، سمع من مالك و كتب عنه ، فلما كبر مالك كان يتكئ عليه عند خروجه إلى المسجد حتى قيل له عصية مالك (٢) .

روى عنه البخارى و مسلم و الترمذى و أصحاب الصحاح سمع من مالك أربعين ألف مسألة (٣) .

وفاته :

مات بالمدينة فى شوال سنة ثمان و تسعين و مأة (٤) .

---

(١) الامام الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣٠٤/١ ، و الحافظ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٥٢/١٠ و ابن فرحون : الديباج المذهب ٣٤٧ .

(٢) انظر الديباج المذهب لابن فرحون ٣٤٧ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ٣٤٧ .

(٤) الامام الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣٠٤/١ .

الرواية السادسة

منه رواية عبد الله بن يوسف التنيسى ، نسبة إلى تنيس بالمغرب ، أصله من دمشق ، نزل تنيس (١) تفرد فى موطأه برواية الحديث التالى :

مالك عن ابن شهاب عن حبيب مولى عزوة عن عروة بن الزبير أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أى الاعمال أفضل ، قال : ايمان بالله ، قال فأى الصاقة أفضل ، قال أنفسها ، قال فان لم يجد يا رسول الله ، قال تصنع لصانع أو تعين أخرق ، قال فان لم أستطع يا رسول الله قال : تدع الناس من شرك ، فانها صدقة تتصدقه على نفسك .

قال أبو عمرو ، هذا الحديث رواه ابن وهب أيضاً فى موطأه ، ولا يوجد فى غيرهما .

نسبه :

هو أبو محمد عبد الله بن يوسف الكلاعى الدمشقى التنيسى ، روى عنه البخارى الكثير (٢) .

فضله :

كان ورعاً فاضلا ، وبالغ البخارى وأبو حاتم (٣) فى توثيقه وتعديله (٤) .

---

(١) الحافظ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/٨٦ .

(٢) الحافظ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/٨٦ .

(٣) هو أبو حاتم الرازى الامام الحافظ الكبير محمد بن ادريس بن المنذر الحنظلى أحد الأعلام ، ولد سنة خمس و تسعين ومأة ، و قال : كتبت الحديث سنة تسع و مأتين ، و رحل و هو أمرد ، كتب عن النفيلى نحو أربعة عشر ألفا ، قال موسى بن إسحاق الانصارى القاضى : ما رأيت

الرواية السابعة

هذه رواية يحی بن بكير، و تفرد برواية الحديث التالی :

مالك عن عبد الله بن أبی بكر عن عمرة عن عائشة رضی الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ما زال جبريل يوصينی بالجار حتی ظننت أنه ايورثه .

قال يحی بن بكير : سمعت الموطأ من مالك أربع عشرة مرة ، وفی موطأه أربعون حديثاً ثنائياً ، ليس فيها بين مالك و النبي ﷺ إلا اثنان ، و قد أفردها أهل المغرب فی رسالة مستقلة ، و كانوا يقرأونها علی الشيوخ وقت الاجازة ، و أول هذه الاربعين .

مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر فی ماله و أهله .

نسبه :

هو أبو زكريا يحی بن عبد الله بن بكير المصری المخزومی مولاهم ، صاحب مالك والليث وأكثر عنهما ، روى عنه البخاری وروى مسلم عن رجل عنه(١) .

ثقته و عدالته :

و كل من تردد من أصحاب الحديث فی توثيقه ، فانما لجهله بحاله ، فانه

أحفظ من أبی حاتم ، توفی أبو حاتم فی شعبان سنة سبع وسبعين و مأتين و له اثنتان و ثمانون سنة (الامام الذهبی : تذكرة الحفاظ ١٤٦/٢) .

(٤) الحافظ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٨٧/٦ و الامام الذهبی : تذكرة الحفاظ ٣٧١/١ .

(١) الامام الذهبی : تذكرة الحفاظ ٨/٢ ، و الحافظ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٣٧/١١ .

كان كالشمس فى الصدق و الأمانة ، و تردد أبو حاتم و النسائى فى توثيقه (١) و الحق أنه لا كلام فى إمامته و علمه و صدقه و أمانته ، و إذا كان الامامان البخارى و مسلم قد اعتمدا عليه فلا مجال لأحد أن يتكلم فيه .

وفاته :

مات فى صفر سنة إحدى و ثلاثين و مأتين (٢) .

الرواية الثامنة

هذه رواية سعيد بن عفير ، تفرد برواية الحديث التالى :

أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن اسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن ثابت بن قيس بن شماس أنه قال يا رسول الله : لقد خشيت أن أكون قد هلكت ، قال بم ، قال نهانا الله أن نحمد بما لم نفعل ، و أجدنى أحب الحمد ، و نهانا الله عن الخيلاء وأنا امرؤ أحب الجمال ، و نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك و أنا امرؤ جهير الصوت ، فقال النبى ﷺ يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً و تموت شهيداً ، و تدخل الجنة ، قال مالك ، قتل ثابت بن قيس بن شماس يوم اليمامة شهيداً .

نسبه :

هو عالم الديار المصرية الامام أبو عثمان سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم الأنصارى مولاهم (٣) .

سماعه و فضله :

سمع مالكا و الليث و روى عنه البخارى و طبقته (٤) .

---

(١) المصدران السابقان .

(٢) الحافظ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٣٧/١١ .

(٣) الامام الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٥/٢ .

(٤) المصدر السابق ١٥/٢ .

كان من أعلم الناس بالأنساب و الأخبار الماضية و أيام العرب والتواريخ ، كان فى ذلك كله عجباً ، و كان أديباً فصيحاً ، حاضر الحجة ، لا تمل مجالسته ، و لا ينزف علمه و كان مليح النظم (١) .

مولده و وفاته :

كان مولده سنة ست و أربعين و مأة ، و توفى شهر رمضان سنة ست و عشرين و مأتين (٢) .

الرواية التاسعة

هــذه رواية أبى مصعب الزهرى ، و كتبوا أن الحديث التالى مما تفرد بروايته ، أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ سئل عن الرقاب أيها أفضل قال : أغلاها ثمناً ، و أنفسها عند أهلها .

و لكن قال ابن عبد البر إن هذا الحديث رواه أيضاً يحى بن يحى الليثى.

نسبه :

هو أبو مصعب أحمد بن أبى بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى العوفى شيخ أهل المدينة وقاضيهم ومحدثهم(٣) .

مولده و طلبه للعلم :

ولد سنة خمسين و مأة و لزم مالكا و تفقــه به ، و حدث عن إبراهيم

(١) المصدر السابق ١٥/٢ ، و القاضى عياض : ترتيب المدارك ٤٥٤/١ .

(٢) الامام الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٥/٢ .

(٣) الامام الذهبي : تذكرة الحفاظ ٦٦/٢ ،وابن فرحون : الديباج المذهب ٣٠ .

ابن سعد (١) و روى عنه السنة و لكن بواسطة ، و عاش اثنين و تسعين عاما (٢) .

روايته للموطأ :

آخر ما روى عن مالك موطأ أبى مصعب و موطأ أبى حذافة السهمى و فيهما زيادة على الموطآت نحو من مأة حديث (٣) فليست زيادتهما من قبيل المسودة الممحوة .

فضله :

كان أهل المدينة يرون أنهم لا يزالون ظاهرين على أهل العراق ما دام لهم أبو مصعب الزهرى (٤) .

وفاته :

مات على القضاء فى رمضان سنة اثنتين و أربعين و مأتين (٥) .

الرواية العاشرة

هذه رواية مصعب بن عبد الله الزبيرى (٦) تفرد بروايه الحديث التالى :

---

(١) هو ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أبو اسحاق المدنى نزيل بغداد ، ثقة حجة تكلم فيه بلا قادح ، مات سنة خمس و ثمانين و مأة (الحافظ ابن حجر ، تقريب التهذيب ١/١٣٥) .

(٢) الامام الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/٦٦ .

(٣) المصدر السابق ٢/٦٧ .

(٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١/٥١٢ ، و ابن فرحون : الديباج المذهب ٣٠ .

(٥) المصدران السابقان .

(٦) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن

و لکن وجده ابن عبد البر فی روایة یحي بن بکیر أیضاً :

مالك عن عبد الله بن دینار عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأصحاب الحجر لا تدخلوا علی هؤلاء القوم المعذبین إلا أن تکونوا باکین فان لم تکونوا باکین فلا تدخلوا علیهم أن یصیبکم مثل ما أصابهم :

الروایة الحادیة عشرة

هذه روایة محمد بن المبارك الصوری (١) .

---

* العوام أبو عبد الله القرشی الأسدی روی عن مالك الموطأ و غیر شئ ، و عرف بصحبته ، و روایته فی الموطأ معروفة ، و کان علامة قریش فی النسب و الشعر و الخبر ، شریفاً معظما عند الخاصة و العامة ، شاعراً ظریفاً ، قال ابن معین : هو ثقة توفی لیومین خلوا من شوال سنة ست وثلاثین ومأتین و هو ابن ثمانین سنة (القاضی عیاض : ترتیب المدارك ٣٨٠/١ ، و الحافظ ابن حجر : تهذیب التهذیب ١٦٣/١٠) .

(١) هو محمد بن المبارك بن یعلی القرشی الصوری أبو عبد الله القلانسی سکن دمشق ، سمع إسماعیل بن عباس و مالکا و ابن عیینة و غیرهم ، قال أبو زرعة ، و شهدت جنازته فی شوال سنة خمس عشرة و مأتین وصلی علیه أبو مسهر ، فلما فرغ أثنی علیه و قال یرحمه الله فذکر جیلا ، کان مولده سنة ثلاث و خمسین و مأة ، و کان من العباد ، قال الذهبی : أحادیثه تستنکر ، قال الخلیلی : ثقة ، و قال الذهلی : أفضل من رأیت بالشام (الحافظ بن حجر : تهذیب التهذیب ٤٢٤/٩) .

التيار الاسلامى . . . العقلانى ! !

بقلم الدكتور عبد الحليم عويس
أستاذ بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (بالرياض)

هذه كلمة صادفت من نفس هوى ! !

فى عدد مجلة «المجتمع» الكويتية رقم (٥٢٠) الصادر بتاريخ ١١ جمادى الاولى ١٤٠١هـ ، كتب الأستاذ إسماعيل الشطى تعليقه الاسبوعى حول موضوع (ندوة الابداع بين الاصالة و التبعية) .

و كان مأخذه الثانى على الندوة التى عقدت بالكويت فى الفترة من (٢-٦ جمادى الاولى ١٤٠١هـ) أن أمانة الندوة قـد زعمت أنهـا ستشرك فى الندوة مختلف التيارات ، و هى تعنى أن التيار الاسلامى مشارك فيها .

« غير أننا لا نجد أحداً - و الكلام للأستاذ الشطى - من المفكرين المسلمين المنتمين إلى التيار الاسلامى الحركى قد شارك فى الندوة ، و كانت أمانة الندوة تعنى الدكتور عبد العزيز كامل و الدكتور أحمد كمال أبو المجد اللذين شاركا فى الندوة ببحثين ، و فى الحوار ، فاننا نقول مع احترامنا الشديد لكل من الدكتورين الفاضلين ، أنهما لا يمثلان التيار الاسلامى الحركى ، ولا ينسبان إليه على الرغم من كونهما مفكرين ، لهما مكانتهما الاسلامية ! ! » (انتهى) .

و الحق أن لهذه الفقرة قيمة كبيرة فى رأيى ، إنها تعبير مكتوب عن معان تداولها الكثيرون - مشافهة - دون أن يعلنوها بشئ من الهدوء والاتزان و المراجعة الصحيحة لربع قرن من الزمان تعرض فيه العمل الاسلامى لعواصف وتقلبات جعلت بعض المنعرجات تظهر فيه ، و تشكل لنفسها جداول خاصة .

و لندع جانباً مما كتب ـ بحدة و صراخ ـ ضد بعض الأشخاص ، فكثيراً ما يكون هذا الأسلوب مقللا لأهمية بعض المضامين الصحيحـــة التى يمكن أن تتناثر هناك ، أما فى هذا الموقف فان الكلام يساق بكثير من الروية والاتزان، و بكثير من الجراءة و كذلك ـ فى قول ما يعتقد صاحبه أنه الحق .

هنا وجدنا أنفسنا مندفعين ، للاتكاء على هذه الفقرة فى محاولة رصد ملامح أحد التيارات التى شاءت أن تتميز بأسلوب خاص مستقل ، و أن تتعامل مع الفكر الاسلامى المعاصر ، و العمل الاسلامى المعاصر ، وفق أسلوبهـا ، الذى اختطته لنفسها . . . .

إنها مدرسة ظهرت دون أن تعلن عن نفسها ، أو تؤرخ ليوم ميلادها ، أو ينتظمها شكل من أشكال التجمع ، و كل ما هنـالك أن نوعاً ملموساً من التعاطف والتعاون غير المباشر يقوم بين أعضائها، وأمام كثرة التيارات والمدارس التى توزعت الساحة الاسلامية من طنجة إلى جاكرتا ، وفى ظل الظروف ـ غير الموضوعية ـ التى فرضت على الدائرة الاسلاميـــة فى مجاليها التنظيرى و الحركى ، فى ظل هذا كله ، سادت « الفردية » و « الاجتهادية » غير المنظمة، والشخصية، بل و الانهزامية ، كثيراً من شعب العمل الاسلامى ، بحيث إنه لما اقتربت المحنة من نهايتها ، وهدأت العواصف ـ ولو نسبياً ـ استطاعت العيون أن ترقب بعض المعالم التى تمخضت عنها هذه الظروف غير الطبيعية ، و كان من جملة المعالم ، أو لنقل التيارات التى ظهرت على المسرح ، هـــذا التيار الذى نرصد حركته اليوم ، و نحاول أن نصل إلى التعرف على بعض الخصائص التى تميزه عن غيره .

لـكن فى البداية ، ماذا نسمى هذا التيار ؟

إن هناك شبه إجماع على أنه « لا حركى » فهل نصل إلى تحديد هويته عن طريق « إخراج محترزات التعريف » ، أى عن طريق « السلب » حتى نصل

إلى الايجاب ، الحق أن هذا الطريق ميسور ، و عن طريقه ، سنستطيع - على الأقل - تضييق المسار ، حتى نصل إلى التعريف الايجابى .

و فى البداية قلنا : إنه (لا حركى) ، فهـــذا هو السلب الأول ، أو المحترز الأول .

و أيضاً هو (لا حزبى) و (لا تنظيمى) بل إن مبرر انشقاقه هو إحساسه بأن (التنظيمة) تضيق من حركة فكره ، و من ارتباطاته الرسميـــة و الوظيفية ، و هو يريد لنفسه التجربة و الانطلاق ، ومعظم مفردات هذا التيار كانت (تنظيمية) بالمعنى التنظيمى الكامل ، ومع الضربات والعواصف والظروف العامة التى تعرضت لها الحركة الاسلامية المعاصرة نشأ هذا التفكير الاستقلالى لدى أعضاء هذا التيار .

و ثالثاً ، و كمحاولة من هذا التيار لتدعيم استقلاله ، فانه تميز أيضاً بأنه (لا موقفى) أى أنه لا يتشبث بمنطلقات واضحة ثابتة محـــددة ، يتعامل مع الآخرين من خلالها ، ومن خلالها يحافظ على العناصر الثابتة فى هويته الاسلامية بل إنه يرى أن الاسلاميـــة (صفة عمومية) تصلح للتكيف مع كثير من الهويات و الايديلوجيات الأخرى ، و هى مرنة للدرجة التى تستطيع أن تتنازل عن بعض أساسياتها لتأخذ من الآخرين بعض أساسياتهم ، حتى يقف الجميع على « أرض مشتركة » (١١) .

فبالامكان مد الجسور مع الناصريين المتقوقعين فى دائرة (عبادة الفرد) للوصول إلى أرض مشتركة ، وحتى التعاون الكامل مع المنظر الفكرى للناصرية ، و أتباعه ، يرى هؤلاء أن هذا ممكن ، بل و طيب ! ! .

و بالامكان مد الجسور مع اليساريين ، و التعاون الكامل معهم - فكراً و تطبيقاً - و لا بأس من الوصول إلى (نصف حل) فيكون هناك (يسار إسلامى) ، و (إسلام اشتراكى) و اشتراكيات تسقط إسقاطاً على محمد عليه الصلاة و السلام ، و على عمر ، و أبى بكر ، و المسكين أبى ذر الغفارى ، ولا بأس ، فى أن نركز - فى الاسلام - على الجوانب الاجتماعية ، و نتغاضى عن بقية الخصائص المميزة للاقتصاد الاسلامى ، و النظرية الاجتماعية الاسلامية .

و حتى النصارى ، بالامكان الدخول فى حوار معهم على أساس الأرضية المشتركة ، من حقوق الانسان ، إلى التفرقة العنصرية ، و هلم جرا . . ! !

و حتى اليهود لا خير من الحوار معهم على أساس التفرقة بين مصطلحى (يهودى) و (صهيونى) . . ! !

و رابع ما تتميز به هذه المدرسة (سلباً) أنها مدرسة غير (نصية) أى أن العقل مقدم عندها على النص ، و من الضرورى عندها تضييق دائرة النصوص بكل الطرق الممكنة ، و لها فى ذلك أسلوبان :

١ — رفض الأحاديث النبوية إلا ما كان متواتراً ، و المتواتر كما هو معروف قليل جداً .

٢ — تحديد أهداف عامة الشريعة ، كالعدل مثلا ، و السير فى طريق هذه الأهداف ، متجاوزين النصوص التى توهم — من وجهة نظر عقولهم — المخالفة مع أهداف الشريعة .

و مرة أخرى . . نحاول أن نقلب المائدة (المقلوبة) . . لتستوى على أقدامها ، و تقف فى وضعها الصحيح . .

أجل . . نريد أن ننفي النفي ، و أن نثبت - في المقابل - الخصائص الايجابية التي يتميز بها هذا التيار ، و من ثم ننتهي إلى نقطتين أساسيتين .

* إطلاق مسمى على هذه المدرسة ، بداية للتأريخ لها ، و تتبعاً - بعد ذلك - لحركتها على مسرح العمل الاسلامي . . !!

* تقويم هذه المدرسة تقويماً أولياً ، اعتماداً على ما ظهر - حتى الآن - من مواقفها في الفكر و التطبيق .

و الخصائص الايجابية المميزة لهذه المدرسة تكون - بالتالي - على النحو التالي :

١ - إنها مدرسة (سكونية) ربما أن السكونية صفة قد تنتظم كثيراً من قطاعات المسلمين ، غير المثقفين ، وغير الواعين ، أو من يسمون بالمسلمين الرسميين ، فنحن نؤثر إطلاق صفة (الفكرية) على هذا التيار . . فهو تيار يبالغ في إعطاء الفكر حجماً كبيراً ، قد يشله عن الحركة ، و كأن الفكر وسيلة و غاية . . .

٢ - و هي مدرسة (استقلالية فردية) لا ترى في العمل التنظيمي طريقاً سليما ، و تستق ذلك من تجربتها ، بل إن بعض أعضائها - للأسف - يتخذ موقف رد الفعل ، فيقصر نقده و جهوده للحركة الاسلامية ، دون أن يتبصر القوى و الظروف التي أحاطت بالحركة ، و ضرورة أن تتماسك الحركة في وجه هذه القوى و التيارات المضادة .

٣ - و هي مدرسة (توفيقية) تحاول أن توفق بين الاسلام و بين كثير من المذاهب والاتجاهات . . . و نزعة التوفيق عندما تبدو كمنطلق (أيديلوجي) يتخذ رد فعل حاد ضد من ينعتونهم هم (بالرافضين) أو (الجامدين)

و بحق فان الجسور ممتـــدة بين هذا التيار و سائر الاتجاهات ، حتى مع السلطات الحاكمة ، و الحاكمة - عمداً ومع سبق الاصرار - بغير ما أنزل الله ، وحتى السلطات و الاتجاهات ذات المواقف الواضحة العداء الاسلام، فان هؤلاء لا يعدمون وسيلة لمد الجسور .. .. و إلى الوقوف معهـــم على (أرض مشتركة) ! !

و فى هذا الجانب فان هذا التيار يركز على عدد من القضايا أهمها :

ا - الحرية . . فهى أول الأراضى المشتركة ، والديموقراطية جزء منها بفهم قريب من الفهم الليبرالى .

ب - حقوق الانسان بالمعنى الليبرالى أيضاً .

ج - التطور .. فى الاسلام يتجوز فى الضوابط الأساسية التى وضعها الاسلام للتطور .

د - الجانب الاجتماعى فى الاسلام بفقه قريب من الاشتراكية .

هـ - الاسلام . . كفكر و فلسفة أكثر منه سلوكاً و حضارة .

و - العروبة كقومية ، و عدم تعارضها مع الاسلام .

ز - الاعتزال و العقل قبل النص ،

ح - و لهذه المدرسة محاولات لالغاء جو الردة فى الاسلام .

ط - و لها محاولات - كذلك - لارجاء تطبيق الشريعة - ما أمكن - بحجـــة توفير الحرية و الخبز أولا .

٤ - و آخر ما تتميز به هــــذه المدرسة هو أنها مدرسة (عقلانية) و العقل عندها يتدخل - تقريباً - فى كل أمر من أمور الدين ، و له باع طويل ، و مساحته واسعة ، و التطور هو الأساس ، لأن الحياة - بالطبع - متغيرة - و العناصر الثابتة - فى الاسلام - قليلة جـداً (! !) و دائرة النصوص عندهم محدودة جداً ، و الأفغانى ومحمد عبده و الكواكبى ورفاعة الطهطاوى

وطه حسين . . و ربما (على عبد الرازق) هم الأئمة المتمدون ، أما الأئمة محمد بن عبد الوهاب و حسن البنا وعبد الحميد بن باديس ومصطفى صادق الرافعى و محمد أبو زهرة و أبو الأعلى المودودى و أبو الحسن النـدوى و محمد الغزالى فهم فى درجة متأخرة . . ! !

و مع ذلك فهذا التيار ليس « كتلة واحدة » و إنما شأنه شأن كثير من التيارات . . فان « المفردات » ليست قوالب واحـدة . . بل ثمة خلافات هنـا و هناك تمتد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب . . فمنهم الذى تغلب على ظلاله الكشافة الناصرية ، و منهم اليسارى القومى الذى لا يحتل الاسلام من فكره إلا مكانة محدودة و متأخرة جداً ، بل إن الاسلام لا يعدو فى فكر هـذا (الفرع المحدود) إلا لاهوتية دينية مكرورة ، فالاسلام دين ـ للاخرة ـ كسائر الأديان و لا علاقة لها بالدنيا المتغيرة . .

ومنهم « الليبرالى » الذى لا يعدو ارتباطه بالاسلام عن أن يكون (علمانية إسلامية) أو إسلاما مقولباً بالقالب الرأسمالى . . و منهم الذى يؤمن بالاسلام (فكراً و فلسفة و نظرية) و ليس منهج حياة و رسالة حضارية عظمى . . بل من الممكن أن يتعايش معه بطريقة فكرية و وجدانية داخلية بحتة . .

و على كل حال ، و مهما يكن الخلاف بين أقصى اليمين و أقصى اليسار فى هذا التيار ، فلا شك أنه تيار واحد ، و أنه (مدرسة عقلانيـة) تصبغ الاسلام بعقلانيات متعددة ، و تسقط عليه خلفيات فكرية من هنا و هناك . . إلا أنها كلها تضع للاسلام دائرة محددة ، و تريده أن يمشى فى طريق خاص ، و تحدد له وظيفة لا يجوز فى رأيهم أن يتجاوزها .

يقول الدكتور (محمد عمارة) فى حديثه عن ملامح هذه المدرسة ، وهو يصدد الحديث عن تيار مدرسة الافغانى و محمد عبده و الكواكبى التى يسميها (السلفية العقلانية المستنيرة) . . يقول :

لقد « رأينا هذا التيار سلفياً تماماً فى تصوره للذات الالهية ، و لا يختلف فهمه مع فهم السلفية التقليدية لعقيدة التوحيد الاسلامية . . على حين رأيناه على النقيض منها فى معظم الغايات – فضلا عن الوسائل – فهو يسلك سبيل التصوف الفلسفى ، وليس الطرق الصوفية و شعوذتها ، ويحله من العلوم و الانشطة العقلية مكاناً عليا . . وهو يعلى من شأن العقل ، ويجعله معياراً و ميزاناً حتى بالنسبة النصوص و المأثورات ، حتى لنستطيع أن نقول : إن موقفه من العقل و الفلسفة يجعله الامتداد المتطور لمدرسة المعتزلة ، (العرب و التحدى ص٢٢٤ نشر الكويت) .

ثم يتحدث الكاتب نفسه – بعد ذلك بقليل – عن السلفية المحافظة التى يحاربها فيقول :

« وسلفية المحافظين ، و قريب منها ـ ولا نقول مثلها ـ سلفية الشيخ رشيد رضا و الشيخ حسن البنا ، لاعتمادها على النقل دون العقل ، أو أكثر من العقل ، ولتعميمها ذلك فى شئون الدنيا أيضاً جعلت من التجديد دعوة للعودة إلى مجتمع السلف و نظمه و تشريعاته ، فضلا عن فكره ، فهى عودة إلى السلف ، و إن تفاوتت صراحتها فى هذه الدعوة بين دعاتها فى البادية حيث كانت هذه العودة ليست بالأمر المستحيل ، و بين دعاتها فى الحضر ، كما عند الشيخ البنا ، حيث جعلها الغاية التى تؤدى إليها وسائل مغلفة بالغموض و التعميم » (المرجع السابق ٢٢٧) .

• • •

إننا نجد فى هذا النص أكثر من إيحاء إلى مقومات هذه المدرسة التى تميل إلى الاكتفاء من الاسلام بالجانب العقدى التوحيدى (و هذا بالطبع لا ينتظم كل التيار و إن كان السمة الغالبة) كما أن هذا التيار لا يخفى عبادته للعقل أو تقديمه على النص ، و كذلك لا يخفى موقفه من مجتمع السلف و نظمه

و تشريعاته ، وهو لا يخفى – فى النهاية – ولاءه الكامل للمعتزلة ، ويعتبر نفسه امتداداً لهم ! !

و من هنا يجوز لنا كما أطلقنا عليه اسم : التيار العقلانى ، أن نطلق على أصحابه (المعتزلة الجدد) . . .

• • •

أما تقويمنا لهذا التيار . . . و رأينا من وجهة نظرنا، صواب يحتمل الخطأ . .

فنحن لا نرى فى هذا التيار حركة إسلامية أصيلة . . إنه (رد فعل) شأن كل ردود الأفعال من الايغال فى التطرف يساراً وفى مواجهة المتطرفين يميناً .

ومع احترامنا للدور الفكرى الذى يلعبه، فاننا نراه عاجزاً فى جوانب أساسية:

فهو عاجز عن الاتصال الوثيق بالاسلام عبادة و شريعة و حضارة، وصلته محدودة بهذه الجوانب ، و هى لا ترتفع فى عمقها إلى مستوى صلتـــه بالتيارات الحديثة ، ولا اهتمامه بالفكر المعاصر و معطياته .

وهو عاجز فى مجال الاندماج فى الاسلام، كى يتكلم من الداخل ، وليس من الخارج ، وهو فى هذا المجـال يشبه المستشرقين و الماركسيين الذين يدرسون الاسلام لخدمة أهداف معينة يحددونها سلفاً ثم يلوون عنق الحقائق ، و ينتقون من المواقف و المقولات ، ما يخدم هذه الأهداف فقط ، إن هؤلاء الممثلين لهذا التيار قد انهزموا فى فكرهم و مشاعرهم أمام بعض التيارات المطروحة فى الساحة، فحاولوا أن يجدوا حلا وسطا يجمع بين الاسلام و هذه الأفكار الحديثة .

وهو تيار عاجز فى مجال إعطاء البديل ، اللهم إلا أن يكون البديل هو أن نعيش فقط :

« المنـاقشة » ! !

وليس هناك شئ « للالتزام » أو (العمل المشترك) ! ! و حتى عندما

يتكلم هؤلاء عن (حقوق الانسان) فهم يتكلمون بصفة عامة دون أن يمسوا (حقوق الانسان المسلم) و يستصرخوا الضمير العالمى ، و يدينوه .

و فى التفرقة العنصرية ، يتحدثون عن روسيا و أمريكا دون أن يتحدثوا عن (التفرقة العنصرية) فى أحد بلاد الخليج ، بل إنه هو البلد الذى يعيش معظمهم فيه و يأخذون منه أجورهم و يسيطرون على بعض مجلاته الواسعة الانتشار . . . و هكذا تبدو « التجريدية » الفكرية واضحة فى منهجهم . . كما تبدو التناقضية أيضاً .

• • •

لقد ظهرت حركات عقلية حديثة رفعت راية الاسلام ، و نادت بضرورة أن يعود المسلمون إلى الأخذ بزمام الحضارة . . .

ـ ظهرت حركة مالك بن نبي و أستاذه من قبله عبد الحميد بن باديس فى الجزائر .

ـ وظهرت حركة حمدان الونيس و الطاهر بن عاشور فى تونس .

ـ وظهرت تيارات متعددة داخل إطار حركة الاخوان المسلمين فى مصر والشام .

ـ وظهر تيار أبى الأعلى المودودى فى باكستان و أبى الحسن الندوى فى الهند .

ـ وظهر التيار الاقتصادى الاسلامى الذى مثله بعض المجاهدين مثل الدكتور (عيسى عبده) و الدكتور محمود أبو سعود ، و الأستاذ شوقى شحاتة ، و مدرسة « المسلم المعاصر » و غيرهم .

ـ وظهر التيار الاجتماعى الاسلامى الذى يتصدره الآن الدكتور رشدى فكار وبعض أساتذة الجامعات فى الأزهر وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، و السعودية و المغرب . . و هناك محاولات جادة فى الطريق .

لكن كل هذه التيارات فى إطار الاسلام ، أما تيار الاعتزال الحديث فهو إسقاط خارجى يبحث عن تبرير إسلامى .

نظرة الاسلام إلى الجنس

بقلم : الأستاذ سلطان أحمد اصلاحى
تعريب : الأستاذ آفتاب عالم الندوى
مدرس بدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ

النظرة التى يمتاز بها الاسلام تجاه قضيـــة الجنس ، و الايدولوجية التى يستخدمها فى معالجة هذه القضية الهامة يمكننا أن نوزعها فى ثلاثة عناوين بارزة :

١ـ أهمية الجنس ٢ـ تحديد الجنس ٣ـ تقديس الجنس ،

أهمية الجنس :

إن أول ما يمتاز به الاسلام فى قضية الجنس أنه يقر بحاجة الحياة الانسانية إليه و يعطيه أهميتـــه المطلوبة ، فلا يعتبر النشـــاط الجنسى نفسه ذنباً أو إثماً (Sinful) و لا يعده مظهراً من مظاهر الشهوة الحيوانية (Animal Lust) (١)، يرى الاسلام أن الانســـان أفضل و أمثل خلق الله فى العالم ، و أن المواهب و الصلاحيات التى يحملها فى جوانحه و النوازع و المتطلبات التى تكمن فى طيه أودعها الله فيه و فطره عليها ، و هى تتفق مع طبيعته فى طول الخط ، والجنس أيضاً موهبة وصلاحية عظيمة للكيان الانسانى أودعه الله فيه مثلما أودع المواهب و الصلاحيات الأخرى ، فلا شر فيه أصالة و لا ذنب ، و نستطيع أن ندرك مدى الأهمية التى يحتلها الجنس لدى الدستور الأساسى للاسلام القرآن الكريم

---

(١) كما نجد أن المبشر الفـاضل المسيحى المعروف سينت أوغوستـائن (St Augustine) فى القرن الخامس المسيحى سيطرت آراؤه بشأن الجنس على تفكير أوربا و شغلت بالها طوال ألف سنة ، و سترد تفاصيله فيما بعد فى فصل « أهداف النكاح فى الاسلام » إن شاء الله

بما أنه يورد المرأة، فی مقدمة ملذات الدنيا الطيبة ، كما أن قوة الانسان و غريزته هذه لا تظهر إلا بمباشرة هذا الصنف المضاد ، حيث يقول الله عز و جل :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين، الآية » (آل عمران : ١٤) .

لما خلق الله أبانا آدم خلق معه زوجه ، و شرع المزاولة الجنسية بين الزوجين ، و بذلك توفر ضمان بقاء السلالة البشرية ، حيث يقول :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذی خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيراً و نساء ، الآية » (النساء : ١) .

لم تكن الجنة المترعة من الأنواع المنوعة من النعم و اللذائذ منعشة و لا باعثة على السرور و الارتياح لآدم حتى صادف فيها مرافقة الصنف المضاد ، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم قائلا :

« و قلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها رغداً حيث شئتما ، (الأعراف : ١٩) :

إن الحياة الدينية التی يحتضنها المؤمن فی الدنيا ويتحمل لها المتاعب والمشاق إنما يحمله على ذلك أنه يريد أن يتجنب حياة الذل و الشقاء لجهنم فی الآخرة ، و أن يستحق العيشة الراضية الهادئة فی الجنة ، و لن تتم هذه التسهيلات و النعم للجنة إلا أن العباد المؤمنين رافقتهم أزواج محببات بجانب اللذات و النعم الاخرى ، كما ذكره الله عز و جل فی القرآن الكريم مراراً و تكراراً :

١- و لهم فيها أزواج مطهرة و هم فيها خالدون ، (البقرة : ٢٥) .

٢- وأزواج مطهرة ورضوان من الله و الله بصير بالعباد ، (آل عمران : ١٥)

٣- لهم فيها أزواج مطهرة و ندخلهم ظلا ظليلا ، (النساء : ٥٧) :

٤- ادخلوا الجنة أنتم و أزواجكم تحبرون ، (الزخرف : ٧٠) :

٥- هم و أزواجهم فی ظلال على الأرائك متكئون ، (يسين : ٥٦) .

ولم يكتف القرآن الكريم بذكر هؤلاء الأزواج و حور الجنة ذكراً بسيطاً بل تناول روعتهن و جمالهن ، و دلالهن و غناجهن بشئ كثير من الدقة و التفصيل:

١ـ وعندهم قاصرات الطرف عين ، كأنهن بيض مكنون، (الصافات : ٤٨-٤٩).

٢ـ كذلك و زوجناهم بحور عين ، (الدخان : ٥٤) .

٣ـ متكئين على سرر مصفوفة و زوجناهم بحور عين ، (الطور : ٢٠) .

٤ـ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم و لا جان . . . . . كأنهن الياقوت و المرجان ، (الرحمن : ٥٦-٥٨) .

٥ـ حور مقصورات فى الخيام . . . . . . لم يطمثهن إنس قبلهم و لا جان ، (الرحمن : ٧٠-٧٤) .

٦ـ و حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، (الواقعة : ٢٤) .

و يضيف قائلا و هو ينوه بذكر هولاء الحور :

٧ـ إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً ، (الواقعة : ٣٥-٣٧) .

و ما تم تفصيل الجوائز و الأجور التى سيفوز بها عباد الله الصالحون فى الآخرة فى نهاية سورة « النبأ » ما تم إلا بذكر ما يأتى :

٨ـ و كواعب أترابا ، (النبأ : ٣٣) .

حتى إن القرآن الكريم يعبر فى مناسبة عن هؤلاء الحور بالرزق (الغذاء) ، و إن الأهمية التى يحتلها الغذاء لدى الانسان معروفة لدى الجميع فالحياة بدونه مستحيلة ، و النعم التى يتمتع بها الانسان فى الدنيا ، إنما هى عكس ضئيل لتلك النعم السرمدية للجنة ، فاذا كانت حور الجنة رزق الانسان فذلك هو مكانة الحور و الأزواج الدنيوية أيضاً :

٩ـ و عندهم قاصرات الطرف أتراب ، هذا ما توعدون ليوم الحساب ، إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ، (ص : ٥٢-٥٤) .

بحكم الغريزة الجنسية التى فطر عليها الانسان يتمتع الرجل بنوع من الشبع و التسلية الجنسيـــة بحسن المرأة و جمالها أيضاً ، و الاسلام يقرر هذه الغريزة و يؤيدها ، كان رسول الله ﷺ أتقى الناس و أبرهم ديناً و خلقاً رغم ذلك كان من خصائصه التى تفرد بها دون أحد من أمته أن الله شرع له أن يختار عدة أزواج فى وقت واحد ، و القرآن الكريم يقر بوجود هذه الغريزة الجنسيـة فى النبى ﷺ بجانب وضع الحد لميزته هذه الخاصة به ، حيث يقول :

لا يحل لك النساء من بعد و لا أن تبدل بهن من أزواج و لو أعجبك حسنهن . . . (الأحزاب : ٥٢) .

و فى موضع آخر صرح النبى ﷺ ذلك لنفســه قائلا : حبب إلى من الدنيا النساء و الطيب (١) .

و أضاف الامام أحمد على ذلك فى كتاب « الزهد » : أصبر عن الطعام و الشراب ، و لا أصبر عنهن ، (٢) .

و فى حديث آخر عن النبى ﷺ المرأة خير متاع الدنيا قائلا : « الدنيا متاع و خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، (٣) .

---

(١) النسائى المجلد الثانى ، كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء ، مسند أحمد ١٢٨/٣، ١٩٩ ، ٢٨٥ و سنده حسن و صححه الحاكم ، زاد المعاد فى هدى خير العباد ٢٥٠/٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثامنة سنة ١٤٠٥هـ ، المغنى للعراقى ، إحياء علوم الدين للغزالى : ٣٠/٢ ، المكتبة التجارية الكبرى.

(٢) زاد المعاد : ٢٥٠/٤ .

(٣) صحيح مسلم الثانى ، كتاب الرضاع ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، ابن ماجـــة ، أبواب النكاح ، باب أفضل النساء ، النسائى (الثانى) كتاب النكاح ، باب المرأة الصالحة .

لا أظن بعد ذلك كله أنه بقى شئ يقال فى أهمية الجنس و ضرورته فى الحياة الانسانية .

تحديد الجنس :

يقر الاسلام بأهمية الجنس و ضرورته فى الحياة الانسانية تماماً ، و لكنه لا يرسل النفس على سجيتها لاشباع هذه الغريزة ولا يفلت زمام المرأ يرتع حيث شاء و يرضى شهوته بأى طريق أراد ، بل يضع لذلك سداً منيعاً من رابطة الزواج ، فالانسان لا يستطيع أن يرضى شهوته و يشبع ميوله الجنسية إلا بحليلته التى تم عقده معها بصورة شرعية مضبوطة ، فمن تخطى هذا الحد و ابتغى وراء ذلك فقد عاد وطغى و استحق العقاب الشديد الذى قرره الاسلام له ، كما صرح به القرآن الكريم عند ذكر صفات العباد المؤمنين قائلا :

« و الذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولائك هم العادون . (المؤمنون : ٥ ، ٧) » .

و هذا هو الذى قيل فى موضع آخر فى ذكر صفات المؤمنين المصلين المميزة ، بنفس هذه الكلمات :

« و الذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولائك هم العادون . (المعارج : ٢٩–٣١) » .

و هذا الذى قاله النبى ﷺ بعبارة أخرى كأنها إعادة هذه الآيات ، حيث يقول: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك (١) .

(١) أبو داؤد الثانى كتاب الحمام ، باب التعرى ، الترمذى الثانى — أبواب الاستئذان و الأدب — باب ما جاء فى حفظ العورة ، قال الترمذى هذا حديث حسن ، ابن ماجة ، أبواب النكاح ، باب التستر عند الجماع .

الزنا محرم :

مزاولة النشاط الجنسی و إرضاء الشهوة خارج العلاقة الزوجية زنا و بغاء يحرمه الاسلام و يعده جريمة شنعاء و يحذر أتباعه من مجرد مقاربته فان التحرز من المقاربة أضمن للسعادة و أحصن للفرج ، و القرآن الكريم يصفه فاحشة و سبيلا سيئاً ، حيث يقول :

« ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا (الاسراء : ٣٢) » .

و فی موضع آخر حيث يذكر فيه القرآن الكريم صفات عباد الرحمن الصالحين يعتبر الزنا جريمة تعادل الشرك و القتل ، يقول :

« و الذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التی حرم الله إلا بالحق ولا يزنون و من يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهانا . (الفرقان : ٦٨ — ٦٩) » .

و حديث النبی ﷺ المذكور أدناه يفسر هذه الآية :

عن عبد الله قال قلت يا رسول الله أی الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت ثم أی ، قال أن تقتل ولدك أجل أن يطعم معك ، قلت ثم أی ، قال أن تزانی بحليلة جارك (١) .

« ومعنی تزانی أی تزنی بها برضاها و ذلك يتضمن الزنا و إفسادها علی زوجها و استمالة قلبها إلی الزانی ، و ذلك أفحش وهو مع امرأة الجار أشد قبحاً و أعظم جرماً ، لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه وعن حريمه و يأمن

(١) الجامع الصحيح للبخاری المجلد الثانی كتاب المحاربين ، باب اثم الزناة و قول الله و لا يزنون ، الجامع الصحيح لمسلم ، المجلد الاول ، كتاب الايمان ، باب بيان الشرك أقبح الذنوب و بيان أعظمها بعده .

بوائقه و يطمئن إليه و قد أمر باكرامه و الاحسان إليه فاذا قابل هذا كله بالزنا بامرأته و إفسادها عليه مع تمكنه منها على وجه لا يتمكن غيره منه كان فى غاية من القبح » (١) .

أربع زوجات ، الحد النهائى :

نظرا إلى حوائج الرجل الجنسية الزائدة فان الاسلام قد أباح للرجل فقط أن يتزوج أربعا بشريطة القيام بواجباته نحوهن و وظائفه الأخرى و مراعاة العدل و الانصاف ، و إلا فالأحسن له أن يكتفى بواحدة رغم الحاجة إلى أخرى ، كما يقول القرآن الكريم :

« و إن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا » (النساء : ٣) .

تشير هذه الآية الكريمة إلى الأوضاع و الملابسات التى كانت سائدة زمن نزول القرآن حول نكاح « اليتامى » فقد ثبت فى الصحيح أن عروة سأل عائشة عن هذه الآية فقالت هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل تشركه فى مالها و يعجبه مالها وجمالها و يريد أن يتزوجها ولا يقسط لها فى صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا عن أن ينكحوهن حتى يقسطوا لهن و يعطوهن أعلى سنتهن فى الصداق و امروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن (٢) .

و يشرح الامام أبو بكر الجصاص هذه الآية قائلا :

« (مثنى و ثلاث و رباع) فانه إباحة للاثنتين إن شاء ، و للثلاث إن

(١) شرح النووى للمسلم مع صحيحه : ١ / ٦٣ ، (أصح المطابع ، دهلى) .
(٢) أحكام القرآن للجصاص : ٢ / ٦٠ .

شاء و للرباع إن شاء على أنه مخير بين أن يجمع فی هذه الأعداد من شاء، قال فان خاف أن لا يعدل اقتصر من الأربع على الثلاث فان خاف أن لا يعدل اقتصر من الثلاث على الاثنين فان خاف أن لا يعدل اقتصر على الواحدة»(١).

و يستطرد قائلا :

« فجميع ما أباحته الآية من العدد أربع لا زيادة عليها ، هذا العدد إنما هو للاحرار دون العبيد » (٢).

و هذا نفس ما يقوله الحافظ بن كثير وهو يشرح الآية المذكورة أعلاه :

« (مثنى و ثلاث و رباع) أی انكحوا من شئتم من النساء سواهن إن شاء أحدكم اثنتين ، و إن شاء ثلاثا ، و إن شاء أربعا ، كما قال الله تعالى (جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى و ثلاث و رباع) إن منهم من له جناحان ، و من له ثلاث و منهم من له أربعة ، ولا ينفی ماعدا ذلك فی الملائكة لدلالة الدليل عليـــه ، بخلاف قصر الرجال على أربع ، فمن هـــذه الآية كما قال ابن عباس و جمهور العلمـاء ، لأن المقام مقام امتنان و إباحة فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره » (٣).

و تؤيده الروايات كـذلك ، فقصة الحارث بن قيس معروفة فی ذلك ، حيث يقول : أسلمت و عندی ثمان نسوة ، قال فذكرت ذلك للنبی ﷺ فقـال اختر منهن أربعاً (٤) و يروی كذلك نوفل بن معـاوية أنه أسلم و عنده خمس

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٦٢ .

(٢) السابق ص : ٦٥ .

(٣) تفسير ابن كثير : ١ / ٤٥٠ .

(٤) أبو داؤد المجلد الاول كتاب الطلاق باب فيمن أسلم وعنده نساء أكثر

نسوة فقال له رسول الله ﷺ : اختر أربعا أيتهن شئت و فارق الآخرى (١).

وقصة غيلان بن مسلم الثقفى أيضاً مشهورة فمنه أنه أسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه فأمره النبي ﷺ أن يتخير منهن أربعا (٢).

يقول الامام البيهق وهو يوضح موضع الاستدلال فى الآية :

«فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوغ له رسول الله ﷺ سائرهن فى بقاء العشر و قد أسلمن ، فلما أمره بامساك أربع و مفارقة سائرهن دل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بحال ، فاذا كان هذا فى الدوام فى الاستئناف بطريق الأولى و الأخرى » .

إن رخصة الأكثر من أربع كانت تختص بالنبي الخاتم ﷺ ، ولها مصالحها و حكمها القيمة ، وثبت بالصحيح من البخارى أن عدد نسائه كلها تسعة ، و قد ورد فى بعض ألفاظ البخارى عدد أحد عشر ، بينما روى عن أنس أن رسول ﷺ تزوج بخمس عشرة امرأة ، و دخل منهن بثلاث عشرة ، و اجتمع عنده إحدى عشرة ، ومات من تسع ، ولكن ذلك كان خاصاً بالنبي ﷺ و تفرد به

ﷺ من أربع و مسند أحمد نقلا من اعلام الموقعين عن رب العالمين ص ٤ / ٣٤٣ ، قال ابن كثير لرواية أبى داوٗد ، إسناده حسن ، تفسير ابن كثير : ١ / ١٥١ .

(١) تفسير بن كثير : ١ / ١٥١ نقلا من مسند الشافعى .

(٢) النسائى نقلا من ابن كثير : ١ / ١٥١ ، و الترمذى المجلد الأول ، أبواب النكاح ، باب ما جاء فى الرجل يسلم و عنده عشر نسوة ، و مسند أحمد نقلا من اعلام الموقعين ٤ / ٣٤٣ ، علل البخارى رواية ، الترمذى ، ولكن قال ابن كثير : و هذا التعليل فيه نظر ، ابن كثير ١/ ١٥١ .

دون أحد من أمته ، كما أن القرآن نفسه صرح بذلك :

... خالصة لك من دون المؤمنين . (الأحزاب : ٥٠) .

و يستطرد الله سبحانه مبيناً أنه لا يحل لك أن تنكح امرأة أخرى ، حيث يقول: «لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ مقيتاً» (الأحزاب : ٥٢) .

بناء على هذه الآثار فقد قال الامام الشافعى بكل صراحة :

«إنه لا يجوز لأحد غير رسول الله ﷺ أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة» (١) .

ويقول الحافظ ابن كثير معلقا على قول الشافعى : و هذا الذى قاله الشافعى مجمع عليه بين العلماء (٢) و يستطرد قائلا : و هذا عند العلماء من خصائصه دون غيره من الأمة (٣) .

و يقول العلامة الآلوسى فى تفسيره توضيحاً لذلك :

فالحق الذى لا محيص عنه أنه يحرم الزيادة على الاربع (٤) .

و هذا هو مذهب الامامية و أهل البيت فيما ثبت بالصحيح ، حيث روى عن الامام جعفر صادق صريحاً أنه قال : لا يحل لماء الرجل أن يجرى فى أكثر من أربعة أرحام (٥) .

---

(١) تفسير ابن كثير : ١ / ٤٥٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) السابق ١ / ١٥٠ .

(٤) روح المعانى : ٤ / ١٩٣ .

(٥) المرجع السابق .

العقاب الشديد لجريمة الزنا :

أربع زوجات هو الحد النهائى لاشباع الغريزة الجنسية ، فمن زاول النشاط الجنسى خارج هذه العلاقة الزوجية فان الاسلام يقرر له عقاباً شديداً، و المقترف لهذه الجريمة الشنيعة من الرجال و النساء إن كان غير متزوج فعقابه مائة جلدة ، حيث يقول القرآن الكريم :

« الزانية و الزانى فاجلدوا كل واحد منهما مأته جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ، و ليشهد عذابهما طائفــة من المؤمنين . (النور : ٢) .

و المتزوج من الرجال و النساء عقــابهم الرجم ، فيرجمون حتى يقع بهم الموت ، ورد تفصيل ذلك فى أحاديث الرسول ﷺ ، كما أنه عمل بذلك مراراً، وظل العمل به قائماً زمن الخلافة الراشدة ، ولم يجحد هذا العقاب أحد فى الأمة المحمدية — على صاحبها ألف ألف تحية و سلام — سوى المعتزلة والخوارج (١).

(١) الشرح النووى للمسلم مع المسلم : ٢ / ٦٥ .

صار الجوع دواءاً

التناقض العجيب بين إنسان هذا العصر وأخيه الانسان المنقرض

الدكتور إبراهيم الراوى
دكتوراه فى الطب و الجراحة
بغداد ـ العراق

كان الانسان قديماً يعانى من كوارث المجاعة و سوء التغذية ، و كان يموت سنوياً بالمرض بضعة ملايين من البشر فى العالم نتيجة افتقار الأجسام إلى عناصر الغذاء اللازمة لأدامة الحياة و لتخصيص الأجهزة الجسمية بالمناعـة الطبيعية ضد إصابات الأمراض السارية و المستوطنة و الموجات الوبائية .

كانت معظم وفيات الأطفال فى العالم تحدث فى سن مبكرة من حياتهم و ترجع مسبباتها إلى انحطاط القوى الجسمية نتيجـة فقر الدم و الضعف العام و قلة الكالسيوم فى الدم و سوء التغذية و التى تعود إلى حاجة الناس و عوزهم للغذاء و عدم القـدرة على تغذية أفراد الأسرة بالطعام اللازم الذى يكفى لسد حاجة الأجسام بشكل طبيعى .

كان الانسان قديماً يجوع إلى جانب ما تحتاجه حياته الصعبة من جهود جبارة و إرهاق عضلى للحصول على لقمة العيش تحت قسوة الطبيعة من حرارة الشمس المحرقة أو الثلوج و الأمطار و الأوحال و رداءة الملبس والمسكن ، فكان من أجل الحصول على رغيف خبز يبذل جهوداً عضلية تحتاج و هو يصـارع الحياة القاسية إلى ثلاثة أرغفـة مما يسبب الأمر إلى حرق خلايا جسده لسد الحاجة فى عملية الاحتراق وتوليد الطاقة فتنهار القوى وتتحطم الأجسام ويتعرض

الانسان إلى خطر الأمراض و الفناء عند عدم التوازن بين (صرف الطاقة الجسدية مع تناول الغذاء اللازم) .

إن معظم الذين يموتون باصابات التدرن الرئوى فى العالم هم من الطبقات المعدومة و الكادحين الذين (يعملون كثيراً و يأكلون قليلا) كالحمالين و عمال المناجم و الطبقات المسحوقة من العبيد و المستضعفين الذين سقطوا تحت قسوة الاقطاع و الظلم و التحكم برقاب البشر .

احتياجات الجسم فى التغذية اليومية **Ration Alimentaire**

١ـ السعرات الحرارية للأغذية فى الغرام الواحد .

ـ كل غرام واحد من (البروتين) **Protein** (المواد الزلالية) ينتج (٤) سعرات حرارية كاللحوم و الأسماك و الدجاج و البيض والحليب ومشتقاته و البقول كالفاسوليا ، و الباقلاء و الحمص و اللوبيا .

ـ كل غرام واحد من (المواد الدهنية) ينتج (٩) سعرات حرارية : كالزبدة و السمن و القشطة و الدهن الحر و الشحوم و الزيوت النباتية .

ـ كل غرام واحد من (الكاربو هيدرات) (النشويات و السكريات) ينتج (٤) سعرات حرارية ، المستحصلة من الفواكه والخضراوات والحبوب .

٢ـ احتياجات الجسم من السعرات الحرارية خلال حياة يومية واحدة :

ـ حياة يومية فى راحة بدنية مطلقة تحتاج إلى (١٩٠٠) سعرة حرارية .

ـ إذا كانت الراحة نسبية يحتاج الجسم إلى (٢٤٠٠) سعرة حرارية .

ـ فى حالة الأشغال الخفيفة يحتاج (٣٠٠٠) سعرة حرارية .

ـ فى ممارسة الأشغال المتعبة يحتاج (٣٨٠٠) سعرة حرارية .

ـ أما فى الحياة اليومية لممارسة الأعمال الشاقة و العنيفة فان الجسم يحتاج

خلال (٢٤) ساعة فقط إلى (٦٥٠٠) سعرة حرارية و هذا ما يعادل (١٦٢٥) غرام من الأغذية البروتينية التى يجب أن يتناولها الانسان خلال اليوم الواحد ، أو (٧٢٢) غرام من المواد الدهنية ، أو (١٦٢٥) غرام من الكاربوهيدرات .

٣ــ نسب الأغذية اللازمة لجسم الانسان خلال يوم واحد :

ــ البروتينات : يحتاج الجسم إلى (١) غرام لكل كيلو غرام من وزنه ، فاذا كان وزن الجسم (٧٠) كيلو غراماً فانه يحتاج إلى تناول (٧٠) غرام من المواد الزلالية يومياً .

ــ الدهون : يحتاج إلى (٥٠) غرام يومياً .

ــ الكاربوهيدارات : يحتاج إلى (٢٠٠) غرام يومياً .

هذه النسب تكون فى الحياة اليوميــة الاعتيادية ، و تزداد الحاجة إليها كلما زاد الجهد و الارهاق الجسدى والفكرى و فى حالات المرض و الحمل .

٤ــ الموازنة الغذائية الطبيعية خلال اليوم .

ــ يجب أن تكون نسبة البروتينات فى طعام حياة يوميــة واحدة ١٥٪ من مجموع ما يتناوله الانسان من أغذية .

ــ نسبة المواد الدهنية ٢٠٪ .

ــ نسبة المواد الكاربوهيدارانية ٥٠٪ .

ــ نسبة الماء و الاملاح و السللوز ١٥٪ .

كان البشر فى معظم بلدان العالم و إلى عهد قريب لا يذوقون طعم اللحوم و الرز إلا فى المناسبات و الأعراس و الولائم ، و من شدة الحرمان الذى كان يعانيه الناس وضعوا المثل القديم للاطفال البؤساء الذين لوعتهم المجاعة و العوز

(يفرحون بضيوف أو بخطار أهلهم) وكان طعام الانسان يقتصر على الأصناف الرديئة و الرخيصة و التى ليست لها قيمة غذائية من الوجهة العلمية لسد حاجيات الجسم البشرى من العناصر الرئيسيـــة اللازمة لادامة الجسم فى نموه و عافيته .

كانت الولائم و هجوم الناس على تناول الطعام بشره و تنافس و تزاحم تشكل ما تشبه المظاهرة العنيفة أو المعركة بين الأحياء من أجل التنافس على البقاء.

كان أناس يموتون أثناء الولائم (بالغصة) أو الاختناق بلقمة كبيرة أو قطعـة لحم أو عظم أو امتلاء المعدة فوق طاقتها أو التخمـة الشديدة ، و ذلك عند ازدراد الطعام بسرعة فائقة دون العناية بالمضغ و عدم التأنى بتناول الطعام ، و تصور هذه الأحداث مدى ما كان الانسان قديماً يعانى من آلام المجاعـــة و الحرمان و العوز ، فيموت من الشبع عند زيادة السكر أو ارتفاع الضغط و انفجار الشرايين .

كانت وجبات الطعام تقتصر على لون واحد من الغذاء فقط ، و كان المثال السائد : إن الخبز الحار لا يحتاج إلى ايدام أو غموس (خبز الحار إيدامه فيه) و كان الناس لا يقدمون الخبز إلى أطفـالهم حاراً بل يتركونه ليبيت إلى اليوم التـالى لكيلا يأكلوا الخبز بكميات أكبر ، فيرهقوا دخل الأسرة و يربكوا ميزانية المعيشة (اللذة فى الحار و البركة فى البارد) .

الأدلة الثبوتية فى الوقائع التأريخية للامم :

ليست لدنيا من المصـادر الموثوقة التى تبين ما كانت عليه الأمم السابقة و حالة الانسان من الوجهة المعاشية و توفر القوت لاطعام البشر .

أما عن ماضى أمتنا العربية فلدنيا الأدلة الثابتة التى تصور حياة الناس و ماذا

كانوا يأكلون وكيف عاش أجدادنا الأولون ، بين أيدينا اليوم المصادر التأريخية الصحيحة و الموثوقة التى توضح لنا كل شئ عن سيرة و معيشة و حياة الأولين .

إن الحالة المعاشية لقادة كل أمة يجب أن تكون أكثر رفاهية من المواطن العادى ، فلنرى ماذا كانت معيشة قادة الأمة ، و إذا كان القادة بهذا الحال فما هو حال شعوبهم إذاً .

تروى كتب السيرة النبوية ما يلى :

١ـ كان النبي العربى محمد ﷺ يطوى معظم لياليه جوعاً ، و كان يخفف آلام الجوع بربط حجارة على بطنه .

٢ـ ما شبع رسول الله قط من خبز الشعير طوال حياته ، فاذا كان الرغيف الواحد يشبعه كان لا يجد فى وجبة طعامه أكثر من نصف رغيف .

٣ـ لم توقد النار فى بيت النبي ثلاثة أشهر ، لم توضع قدر على النار ولم يسجر تنور لخبز الخبز ، وكان معظم طعامهم التمر حتى قال ﷺ (ما جاع بيت فيه تمر) .

٤ـ لم تشم رائحة اللحم فى المدينة المنورة إلا قليلا حتى أوصى ﷺ (إذا طبختم اللحم فأكثروا من المرق) ليذوقه عدد أكبر من شعب المدينة .

٥ـ كان النبي يأتى إلى بيته من المسجد بعد صلاة الفجر فيسأل أهله : هل لدينا طعام هذا اليوم ؟ فيجيبون : كلا ! فيقول : (إذاً نويت الصيام تطوعاً) .

٦ـ اعد أحد الصحابة وليمة للنبي فى منزله وكانت وجبة الطعام (كراع شاة) .

٧ـ وحضر النبي ﷺ فى وليمة أخرى كانت من كبريات الولائم و كانت أربعة أصناف (خبز شعير وتمر ولبن و ماء بئر) فبكى النبي و قال : (يأكل محمد أربعة ألوان و جنوده على جبهة الروم قد لا يجدون لوناً واحداً) .

كنت أسير مع زميلي الدكتور أكرم بهجة عام ١٩٥٨ فى جامعة اسطنبول فى طريقنا إلى المطعم فقرأت عليه (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار) فقال متعجباً : ما هذه العظمة فى أجدادنا فى القوة و الرجولة ، هل كانوا يأكلون فى مطاعم تغذى أجسادهم أم ذاقوا طعم الأغذية الحديثة و المستوردة ؟ !) .

٨- الخليفة عمر الفاروق — رئيس أكبر إمبراطورية فى الدنيا — ظهرت تحت عينيه خطوط سوداء ، ويقر حكماء عصره و أطباء اليوم و رجال العلم أن سببها كان يعود إلى سوء التغذية .

٩- كانت أمة العرب تعانى من العوز و الفقر إلى درجة أن جيوشهم عندما وصلت حدود فارس لمهاجمة عرش كسرى و منافسة على ملكه و إسقاط حكمه ، قال الملك لحراس قصره عندما رأى جند الاسلام حفاة عراة : جهزوهم بما يحتاجون من طعام و لباس ليعودوا إلى صحرائهم فان الجوع و الحاجة أفقدتهم عقولهم لجاؤوا من البداوة القاحلة يتحدون عظمة فارس و حضارة المجوس الشامخة .

١٠- كان العرب المقاتلون فى الفتوحات يقطعون آلاف الأميال مشياً على الأقدام عبر الصحارى المخيفة و الجبال الوعرة ، و يركبون البحر المائج يتحدون أمواجه على ألواح خشبية من سفن تسير بقوة العضلات شهوراً طويلة ، جهود عضلية جبارة إلى جانب الغذاء الفقير الذى يقدم للجند المحارب ، وكان بعضهم يستشهد صائماً (من صام يوماً فى سبيل الله مجاهداً ، أبعده الله عن نارجهنم سبعين خريفاً) و كان أحدهم و بيده حفنة من تمر يأكلها لتكون فطوره وغداءه وعشاءه ، ثم سمع نداء الهجوم والبسالة والفداء ،

صارخين بوجه عدوهم (جئناكم نطلب الموت كما تطلبون أنتم الحياة ، فلمن سيكون النصر ؟) فرمى التمرات على الأرض و قال (تقفين حاجباً بينى و بين الجنة حتى انتهى من أكاك) فرمى نفسه فى المعركة فقاتل حتى استشهد) .

إنسان هذا العصر أمام مخاطر التغذية الحديثة و الاسراف

Prodigality — Alimentaires

تضاعفت الأمراض الخطيرة فى هذا الزمن بسبب الشره و تلون أصناف الطعام من جهة وقلة الحركة و النشاط العضلى و استسلام الانسان الحديث للراحة الجسدية و اعتماده على الآلة من جهة أخرى .

قد تصل أنواع الطعام فى الوجبة الغذائية الواحدة إلى أكثر من عشرة أصناف معظمها ذو قيمة غذائية عالية و مركزة التركيب و مصنوعة بطرق فنيـــة حديثة تدعو الآكلين إلى الشوق وفتح الشهية و زيادة تناول كميات كبيرة من الأطعمة الفاخرة بدافع التمتع و التلذذ و الشهوة لا بدافع الاكتفاء الغذائى لسد حاجة الجسم فى التغذية الطبيعية، مما يؤدى الأمر إلى تناول أغذيه متنوعة تملك سعرات حرارية عالية تفوق حاجة الجسم لها بأضعاف المرات ، و يضطر الجسم فى هذه الحالة لخزن الفائض عن الحاجة داقاً جرس الخطر لاستقبال الموت ، الأمراض الخطرة التى تقصر من عمر الانسان فى هذا الزمن بسبب حياة المترفين الذين يأكلون كثيراً و يعملون قليلا وهمهم فى الحياة المتعة و اللذة و الراحة فحسب ، قد لا نجدها فى الأشخاص العاملين و الأجسام الحيوية النشيطة .

و لم تكن هذه الأمراض موجودة فى أسلافنا من الأجداد الأولين الذين كانوا يعملون كثير أو يأكلون قليلا : كالسمنة المفرطة و التضخم و زيادة الوزن الشديد ، و داء البول السكرى ، و تصلب الشرايين، و أمراض القلب ، و الذبحة القلبية ، و الجلطة القلبية و الموت المفاجئ بالسكتة القلبية ، و الجلطة الدماغيـــة

و الشلل النصفي و الموت المفاجئ بالسكتة الدماغيـــة ، و ارتفاع ضغط الدم ، و أمراض المفاصل و داء النقرس .

كان الانسان قديماً لا يعرف ماذا سيأكل غداً ، أما البشر اليوم فتراهم يخططون للمستقبل البعيد ، ما ذا سيأكلون ، و ما هي ألوان الطعـام التي ستكون بحوزتهـــم — و في ذلك فليتنافس المتنافسون — انهماك الانسان بأعمال الادخار لأكبر كمية وأجود نوعية من الأطعمة المعلبة و المجففة و المجمدة ، والبحث بمشقة عن حاجيات غذائية قد تكون صعبـــة الحصول عليها و قد تكون نادرة و باهظة الثمن .

كان الانسان قديماً هادىء البال قرير العين قانع النفس بالقليل راضياً بالفقر و العوز و الحرمان ، وصار البشر اليوم مع ما تفتح لهم من الخير و العيش الرغيد يعاني من داء الشره و القلق و المنافسة على حياة أفضل مهما كان الفضل عالياً لديهم ، أين نحن اليوم من أجدادنا الذين كان شعارهم (إذا أصبح لا يظن أنه يمسي و إذا أمسى لا يظن أنه يصبح ، بحسب ابن آدم من لقيمات يقمن صلبه ، فان كان ولا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) (تقسيم المعدة إلى ثلاثة حصص ، للطعام و للشراب و الثلث الآخير يترك فراغاً ليمين الحجاب الحاجز على التنفس براحة و دون مضايقة .

منذ أقدم العصور عرف الانسان العلاقة بين الأمراض المهلكة و بين الاسراف في الطعـام عندما اكتشف أخطر الاصابات المرضيـــة التي تظهر على أجسام الأغنياء و الأمراء و المترفين ، فمنذ ذلك الحين و الحكماء يراقبون هذه الأمراض التي لا تظهر بين طبقات الفلاحين و الفقراء و الكادحين ، و قد أطلق على هذه الأمراض دولياً اصطلاح (أمراض الملوك) (Kings Diseases) التي

تقلب نعیمهم إلى مأساة و شقاء ، لأن هذه الأمراض مستعصية لا ينفع معها العلاج نتيجة ما تسببه الراحة مع وجبات الغذاء المركزة والترف ورغد العيش من الفتك بالأجسام ونخر الأعضاء وتخريب الأجهزة و المفاصل و الشرايين و العضلات العاطلة عن الحركة (يأكلون كثيراً و يعملون قليلا) .

العرب أساتذة العالم عندما درسوا الانسانية حكمة الصحة الوقائية (اخشوشنوا فان الترف يزيل النعم) (كلوا و اشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين).

يقر جميع الأطباء فی العالم اليوم :

يقرون بوجوب الاحساس بالجوع ساعة على الأقل خلال كل يوم لموازنة التمثيل الغذائی للشحوم و الكاربو هيدرات فی الدم و مخازن الادخار الغذائی فی الجسم و وقاية الجسم عامة والشرايين بصورة خاصة من خطر التشحم والتصلب، وتخفيف الضغط المسلط على الكبد و الجهاز الهضمی من جراء وجبات الغذاء المركزة التی ابتلی بها إنسان هذا العصر مع قلة الحركة والخمول الجسمی فی الاعتماد على وسائط النقل وقلة المشی الذی يعتبر أساس العافية و دوام الصحة و النشاط ، و استعمال الآلات بدلا من تشغيل العضلات فی كل ميادين الحياة المنزلية و الصناعية و الزراعية و الحرفية و استسلام الأجهزة الجسمية للخمول و عدم حاجة الرئتين إلى أخذ شهيق وزفير عميقين فتتعطل أكثر من ثلاثة أرباع الحويصلات الرئوية عن الوظائف الفزيولوجية فلا يصلها الأوكسجين، و من هنا تضعف المناعة وتظهر الاصابات المرضية الفتاكة .

أكثر البشر اليوم قد لا يشعرون بالجوع لعدة أعوام، الأمر الذی يؤدی بهم إلى انتظار زيادة الوزن و الاصابة بالتشحم، و هذا يعتبر بمثابة جرس الانذار لبداية حياة الأمراض و الآلام التی تضاعفت مخاطرها فی العصر الحاضر ، وقبل

أربعة عشر قرناً قال نبينا العربي محمد ﷺ كلمته الحاسمة لهذه المأساة العصرية (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، و إذا أكلنا لا نشبع) (صيام يوم من كل أسبوع صحة العمر) و مترجمة حالياً بجميع لغات العالم ، و معلقة هذه الحكمة على جدران كليات الطب فى جامعات الدنيا و فى المصحات العالمية والمستشفيات الشهيرة فى العالم.

آخر ما أقرته العقول المفكرة فى العالم فى ميادين الطب أن (الجوع) أصبح اليوم أنجح دواء لأخطر أمراض هذا العصر كالسمنة والبول السكرى وضغط الدم و أمراض المفاصل و أمراض القلب و إصابات الكبد و المرارة وأمراض الكلى.

الأجسام الرشيقة تعمر طويلا وتستمر عندها فترة الشباب و الحيوية إلى آخر العمر ، إلا أن الأشخاص المصابين بزيادة الوزن و السمنة المفرطة و التشحم يفقدون نشاطهم فى سن مبكرة من أعمارهم و يصابون بالخمول العضوى و الذهنى و الضعف الجنسى ،و يستسلمون للاصابات المرضية المهلكة التى لا تنفع معها كل أدوية الدنيا ، و قديماً قالوا فى رجال الكسل و فى المترفين و الذين يأكلون كثيراً و يعملون قليلا عندما يصابون بأمراض تنهى نعمـــة الشباب فى زمن مبكر من عمر الانسان :

« لا يصلح العطار ما أفسده الدهر » .

بقية المنشور على ص : ٩٢

٦ ـ مكتوبات أكابر ديوبند ، ٧ ـ الفرائد القاسمية (رسائل الشيخ محمد قاسم النانوتوى من نسخة خطية) ، ٨ ـ سفر نامه حجاز (التلخيص والترجمة لرحلة الشيخ رفيع الدين الفاروقى من تلاميذ الشيخ ولى الله الدهلوى) ٩ ـ مكتوبات حجة الاسلام الشيخ ولى الله الدهلوى مع التحشية و الترجمة بأربعة مجلدات كبار (قيد الطبع) ، دفن رحمه الله بجوار المسجد الذى انقطع فيه إلى العلم و العبادة منذ عدة سنوات ، نسأل الله العلى القدير أن يغفر زلاته ورفع درجاته فى العليين فانه سميع مجيب قريب .

تنبيه على حديث موضوع ورد فى المجلة

بقلم الأستاذ جوفان بن محمد بن مبارك الجوفان
الدارس بالمعهد العالى للقضاء بالرياض المملكة العربية السعودية

لقد اطلعت على العدد الأول من المجلد ٢٣ بتاريخ شهر رمضان من عام ١٤٠٨هـ من هذه المجلة الغراء، و مما لفت إنتباهي إيراد حديث موضوع و نسبته إلى المصطفى ﷺ فى معروض الاستدلال، وهذا مما لا يجوز، ولم يشر الكاتب عفا الله عنا و عنـــه إلى ذلك من بعيد أو قريب بل إنه أورده بشكل يوحى بأنه وارد فى صحيح البخارى وليس كذلك، و الحديث المراد هو حديث «عليكم بالقرع فانه يقوى العقل» ورد فى الصفحة ٨٥ ع ١-م ٢٣ - تحت عنوان «بسطة فى الجسم و العلم» للدكتور إبراهيم الراوى.

فأرجو شاكراً و مقدراً التنبيه على ذلك و التنبيه لمثل ذلك فى المستقبل، و إذا كان من يكتب الموضوع ليس لهم دراية بعلم الحديث أن يستعينوا بعلماء الحديث أو بكتبـــه و هى ميسورة، و الأمر خطير جداً حتى بعد التنبيه عليه، فقد يقرأ هذا العدد كثرة من النـاس و لا يطلعون على العدد الذى ورد فيـــه الاستدراك فيأثم من كان مسئولا عن ورد مثل هذا، و يستمر فى الخطأ من قرأ الخطأ، و الله نسأل المغفرة و السداد، و لمزيد من الافادة أورد لكم بعض أقوال علمائنا الأجلاء حول هذا الحديث الموضوع :

١- قال الحافظ نور الدين بن على بن أبى بكر الهيثمى رحمه الله (فى كتاب مجمع الزوائد و منبع الفوائد، بتحرير الحافظين العراقى و ابن حجر، الجزء الخامس ص ٤٤ الطبعة الثانية ١٩٦٧ - دار الكتب بيروت) قال «باب فى القرع والعدس : عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله ﷺ عليكم بالقرع فانه يزيد فى الدماغ و عليكم بالعدس فانه قدس على لسان سبعين نبياً» رواه الطبرانى و فيه عمرو بن الحصين و هو متروك.

٢- و قال الحافظ جلال الدين عبـــد الرحمن أبى بكر السيوطى ت ٩١١هـ

رحمه الله فى (كتاب الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير، ج ٢ ص ٦٤ دار الكتب العلمية - بيروت) قال « حديث: عليكم بالقرع فانه يزيد فى الدماغ وعليكم بالعدس فانه قدس على لسان سبعين نبياً ، رواه الطبرانى عن واثلة، ضعيف ، وحديث « عليكم بالقرع فانه يزيد فى العقل ويكثر الدماغ رواه البيهقى عن عطاء مرسلا وهو ضعيف ، انتهى كلامه .

- و قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى حفظه الله تعالى (فى كتابه « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء فى الأمة ، ج ١ ص ٥٧ و ٥٨ رقم الحديث ٤٠ ، الطبعة الثالثة المكتب الاسلامى) قال هذا الحديث موضوع، رواه الطبرانى من طريق عمرو بن حصين عن ابن علاثة عن ثور عن مكحول عن واثلة .

- و قال السيوطى فى (« اللآلى » ج ٢ ص ٥١) بعد أن ساقه من هذا الوجه : « و عمرو و شيخه متروكان » .

قلت : ومع هذا فقد أورده فى الجامع الصغير ؛ قال الزركشى فى « اللآلى المنثورة فى الأحاديث المشهورة ، رقم ١٤٣ » « ووجدت بخط ابن الصلاح أنه حديث باطل .

- سئل عنه ابن المبارك فقال : ولا على لسان نبي واحد ، إنه لمؤذ « ينفخ » .

- و ذكره ابن الجوزى فى « الموضوعات » من عدة طرق وحكم عليه بالوضع .

- وكذلك أورد حديث العدس هذا الصنعانى فى « الأحاديث الموضوعة ص ٩ »

- وكذا ابن القيم فقال فى « المنار » ص ٢٠ : « ويشبه أن يكون هذا الحديث من وضع الذين اختاروه على المن و السلوى و أشباههم » .

- و أقره على ، القارى فى « موضوعاته » ص ١٠٧ ، انتهى كلام الألبانى .

٤- و قال - أيضاً - (فى كتاب ضعيف الجامع الصغير و زيادته « الفتح الكبير ج ٤ ص ٤٦) قال بعد أن ذكر الحديثين المتقدمين عن القرع تحت رقم ٣٧٧٦ - ٧٧ كلاهما موضوع .

هذا ما وددت التنبيه عليه شاكراً لكم ، وصلى الله على نبينا محمد و على آله وصحبه وسلم.

الشيخ المفتي نسيم أحمد الفريدي رحمه الله تعالى

توفي العلامة المفتي نسيم أحمد الفريدي رحمه الله في الخامس من شهر ربيع الاول ١٤٠٩هـ / ١٨ - اكتوبر ١٩٨٨م يوم الثلاثاء في مدينـــة أمروهـا (من مديرية مراد آباد بولاية اترابراديش) .

كان رحمه الله من فضلاء العصر و أكثرهم إقبالا على العلم و مناحيه ، من سلالة الشيخ الرباني فريد الدين مسعود الاجودني (ف ٦٧٠هـ/١٢٧١م) أصله من أمروها ولد (١٣٢٩هـ-١٩١١م) و نشأ فيها ، كان أبوه الشيخ حسين أحمد الفريدي (ف ١٣٣٣هـ/١٩١٤م) وجده الشيخ بشير أحمد الفريدي (ف ١٣٣٤هـ/١٩١٥م) قرأ الكتب المنهجية التمهيدية في وطنه ثم تفقه بدار العلوم ديوبند و تخرج بها في الفقه و التفسير والحديث والفرائض و الادب وبرع فيها ، و انخرط أولا بالمدرسة الاشفاقية في مدينة بريلي، ثم عين أستاذاً بدار العلوم الاسلامية في المسجد الجامع بأمروها، وكان بها شيخ الحديث (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م - ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) واستمر بعد إحالة التقاعد يعمل في التأليف مع كونه ضريراً في آخر العمر .

كان رحمه الله محققاً باحثاً وأديباً بارعاً وشاعراً خلاله شعر فيه رقة وأكثره على ألسن الناس خصوصاً ما قرض في مدائح النبي ﷺ ، كان مفتياً بمدينة أمروها و مرجع الناس في الفتوى ، عرض عليه مناصب شتى و لكنه اعتذر و انقطع إلى العلم و الدرس و التدريس و العبادة ، رحل كثيراً في طلب العلم حتى زار مكتبات شخصيـــة صغيرة في القرى و الأرياف ، و عمي في أواخر عمره بسبب كثرة المطالعة و الكتابة ، ومع هذا كلـــه صنف حواشي كثيرة على كتب القدماء و لخص الكتب المفيدة و استكتب مقالات جيدة في تراجم العلماء و سير الأولياء و حذا طريقهم في المعاش ، تولى الوعظ والتبليغ والخطابة والتدريس زمناً طويلا

وكان يتصل بعلماء عصره الكبار فى الربانية و الاتصال بالله حتى اشتهر فى الصلاح و التقوى و الزهد و العبادة ، أسس مدارس ومساجد عديدة فى المدن و القرى ، كان ساذجاً بسيطاً لباسه و معاشه ، يعيش فى زى المساكين عيشة راضية .

كان رحمه الله ورعاً وجيهاً وقوراً حسن الدعابة ذكياً مفرطاً فطيناً فصيحاً متقد الذهن عذب البيان شفيقاً على الناس عزيزاً بين العوام والعلماء ، كان عضوا لمجلس الشورى فى عدة جامعات إسلامية فى الهند ، كندوة العلماء بلكناؤ ، ومدرسة شاهى بمرادآباد و غيرها .

كتب كثيراً فى الصحف و المجلات خصوصاً فى مجلة « الفرقان » الصادرة من لكناؤ بالأردية ، و كان من أجد كتاب مجلة « ثقافة الهند » الفصلية .

كان رحمه الله وافر الاطلاع على كتب السيرة و التراجم و تاريخ ثقافة مسلمى الهند خصوصاً فى القرنين الثانى عشر و الثالث عشر ، و أحد من ارتفع بهم شأن العلماء فى العصر الراهن ، نال من قبل رئيس جمهورية الهند جائزة قومية (١٩٨١م) و تشرف بأداء فريضة الحج فى ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

كان متخصصاً فى البحث والدراسة حول الامام أحمد السرهندى رحمه الله و أسرته و حول شيخ الاسلام ولى الله الدهلوى و أخلافه و أتباعه ، اكتشف أكثر من ٤٠٠/ رسالة خطية للشيخ ولى الله الدهلوى و حققها و صنف حواشى عليها و ترجمها إلى اللغة الأردية قبيل وفاته ، و لكن مع الأسف لم يقدر أن يراها مطبوعة فى حياته ، كذلك جمع مكتوبات العالم الكبير شيخ الحديث أحمد حسن الأمروهى التى لم تطبع بعد ، من أهم تصانيفه و مؤلفاته الخالدة :

١ ـ وصايا الشيخ شهاب الدين السهروردى (مبنية على نسخه خطية) .
٢ ـ تذكرة الشيخ إسمعيل الشهيد الدهلوى ، ٣ ـ تذكرة الشيخ باقى بالله الدهلوى و أولاده و خلفائه ، ٤ ـ مكتوبات الامام أحمد السرهندى مجدد الألف الثانى (مترجمة) ، ٥ ـ مكتوبات الشيخ محمد معصوم السرهندى (مترجمة) .

(البقية على ص : ٨٨) بروفيسور نثار أحمد الفاروقى

صور وأوضاع

بعـــد فوات الأوان

واضح رشيد الندوى

تمر باكستان بمرحلة حاسمة فى تاريخها ، و يتوقف على نتائج هذه التجربة التى تجرى فيهـا مستقبل البلاد ، و قد أصبحت نتائج الانتخابات موضوعاً للبحث و النقاش فى العالم كله لأن المسألة فيها ليست مجرد مسألة الانتقال من الحكم الفردى ، أو الحكم العسكرى إلى الحكم النيابى، بعد إجراءات انتخابات حسب تصور النظام الديموقراطى الغربى ، و إنما هى مسألة الانتقال من حكم الرجل إلى المرأة ، و لم يقف الأمر على هذا الحد ، فقد تعدى الأمر إلى حكم فتاة شابة متحررة ، نشأت فى غير بيئة اسلامية، فتولت الحكم بعد أن فاز حزبها فى الانتخابات بمقاعد أكثر من المقاعد التى حصلت عليها الأحزاب الأخرى ، و لم تحصل لها الأغلبيـة المطلقة التى تؤهلها للحكم بمفردها وإنما تولت الحكم لبروز حزبها كأكبر حزب واحد فألفت الحكومة بتعاون أعضاء مستقلين .

إن مثل هذا الوضع لا يدل على وجود قاعدة متينة للحكم ، لأن مثل هذا الائتلاف الذى يقوم على معاهدات على أساس المصالح لا يدوم كثيراً ، و نحن فى الهند نجرب كثيراً مثل هذه الحكومات الائتلافية و نعرف مصيرها ومسيرها ، فلا تعيش بعض هذه الحكومات الائتلافية إلا مدة يسيرة .

و تدل دراسة سطحية للأصوات على أن حزب الشعب الذى ترأسـه

بينظير بهتو ، بالمشاركة مع أمها نصرت بهتو ، لم يحرز فى الانتخابات إلا حوالى ٣٥ فى المائة من الأصوات، و كانت نسبة الناخبين الذين مارسوا حق التصويت فى الانتخابات حوالى ٥٠ فى المائة ، و لكنه وصل إلى الحكم بمنطق الديموقراطية الغربية ، و قد قبل المسحورون بالديموقراطية هذا المنطق ، و بهـذا المنطق قامت عدة حكومات الأقليات السياسية فى عدة بلدان ديموقراطية .

كان وصول المسز بينظير بهتو ، إلى الحكم صدمـة لكثير من المتابعين للأحداث فى باكستان بالنظر إلى الشعبية التى كان يتمتع بها الرئيس ضياء الحق الذين اغتالته اليد الآثمة ، و كان ضحية للمؤامرة الدولية الحاقدة للاسلام ، و قد ظهرت هذه الشعبية بعد وفاته ، فى أحسن مظهر ، و كانت موضع استجـاب و دهشة لكل من كان يدعى بأن الرئيس ضيـاء الحق حاكم ديكتا تورى غاشم لا يحبه شعبه و إنما يحكم بحكم القوة ، فاعترفت الصحف العالميـة بشعبيته رغم حقدها له ، و حارت العقول برؤية منظر جنازته التى اشترك فيها نصف مليون شخص ، و شوهد مآت من الناس كأنهم فقـدوا أقرب شخص فى أسرهم ، ففاضت العيون ، و علقت الصحف على الحـادثة بحزن عميق ، و نسى النـاس الخلافات التى كانت قد ثارت فى آخر عهد الرئيس ضياء الحق ، و اتفق الأعداء و الأصدقاء على أمانته ، وسماحته ، و كرمه و نبله ، و حكمته و دهائه واجتهاده ، و خدمة بلاده ، رغم خلافات فى بعض القضايا ، و منهج معالجتها .

و لم تظهر شماتة على هذا الحادث إلا من بعض الأوساط فى الهنـد و الاتحاد السوفيتى و الدول الاوربية التى لم تكن مرتاحـة باصلاحاته لاعادة الاسلام إلى الحكم فى البلاد .

و كان المعلقون يعتقدون أن تيار ضياء الحق يجتاح البلاد ، و إن نتـائج

الانتخابات ستتأثر بهذا التيار ، و لكن النتائج ظهرت على عكس ما كان يتوقعه المطلقون ، فكانت بهذا الاعتبار صدمة لكثير من المراقبين .

إننا فى الهند التى تعتبر أكبر بلد ديموقراطى فى العالم، والبلد الذى أصبحت الانتخابات فيها تجربة قديمة ، ويعرف عامة الناس دقائقها ، إننا فى هذا البلد نعرف طبيعة الانتخابات ونعرف العوامل التى تؤثر على النتائج ، و نعرف الخدع والحيل لاستمالة السذج من الناخبين و الوسائل لاظهار نتائج مرغوب فيها بطريق لا يطعن فى منهج الانتخابات و لا تخرج بها النتائج عن شرعيتها ، فلم تكن النتائج مفاجأة لنا ، و لا نقع بذلك فى خداع أن بينظير بهتو تتمتع بشعبية أو أنها حصلت فى الواقع على تأييد الشعب ، إنه لم يحدث شئ من هذا القبيل ، إننا لا نستطيع أن نسلم بأن الشعب الباكستانى المسلم المعروف بغيرته ، و الذى عاش فى ظل حكم الرئيس ضياء الحق الرجل المؤمن الحكيم المخلص ، و عرف ازدهار البلاد فى ذلك العهد ، رغم ظروف قاسية وعدم تعاون الأحزاب السياسية الكبرى ، و الصراعات الداخلية ، و شاهد استعادة البلاد كرامتها و وزنها فى المنابر الدولية ، و إصلاحات اجتماعية فى البلاد ، و نجاح الرئيس ضياء الحق فى معالجة قضية أفغانستان ، و ارغام أكبر دولة فى العالم على الخروج ، مع أن التاريخ المعاصر لا يعرف خروج الاتحاد السوفيتى فى بلد احتله ، و تقدم البلاد فى التكنولوجيا الذرية و تحسين الروابط مع الدول المجاورة ، و رغم القوة الدفاعية ، و الاحترام فى العالم الاسلامى بعد إحدى عشرة سنة من هذا الحكم ، كيف ينقلب الشعب الذى شاهد كل ذلك ، وأعرب عن حزنه بوفاته ، فبكى ، و أشجى القلوب على وفاة زعيمه ، فيختار فتاة لا تحمل تجربة الحكم إلا الانتماء إلى شخص قتل فى القصاص ، و عزل من الحكم على تخريب البلاد ، و إشاعة الظلم و الفساد فيها ، بإرادة الشعب واحتجاجه و خروجه إلى الشوارع ضده .

كل ذلك لم يحدث ، إن ما حدث فى باكستان ، هو عدم فعالية الاحزاب الاسلامية ، و الشخصيات الاسلاميـــة ، و عـدم فهمها الظروف و صلاحيتها للاستفادة منها .

هذه هى قصة الأحزاب اليمينية ، و الاحزاب اليسارية فى كل مكان ، الأحزاب اليمينية رغم وحدة الشعور ، و المبدأ ، ووحدة الهدف منقسمة ، منطوية على الذات ، يعوزهـا الاندفاع ، و الانطلاق ، و التعاون فيما بينها ، تعيش فى حالة التراضى ، والثقة الزائدة بالنفس ولا تسابق مع الزمن ، و انتهاز الفرصة ، فتخسر فى كل سباق مع اليساريين ، لأنهم يستغلون الوقت و نفسيـــة الشعب ، و الموقع ، و يعرفون اللاأرجحيات ، فلا يضيعون الوقت فى الأمور الهامشية ، و الفروع ، و يتناولون قضايا عامـة الناس و يبدون اهتمامهم بها و يقنعونهم على نيتهم لحلها .

إن دراسة نتائج الانتخابات تدل على أن معارضى حزب الشعب فى الأغلبية فان حزب الشعب لم يحرز إلا ٩٩ مقعداً ، وأحرز غيره من الأحزاب و المستقلون ١٢٥ مقعداً لكنهم موزعون متنافسون فيما بينهم مشغولون بالصراعات الداخلية ، فخسروا الحكم ، و أبعدوا عن السلطة رغم أغلبيتهم ، و تنحى عن التصويت عدد كبير من رجال الدين ، لعدم اهتمامهم بقضيـــة الانتخابات و انشغالهم بأعمالهم الدينية ، فكان غيابهم دعما لحزب الشعب ، فكانوا بذلك مؤيدين بصمت للحكم غير الاسلامى ، إن ما حدث فى باكستـان يمكن أن يحدث مثله فى كل بلد إسلامى ، إذا وجدت هذه العناصر ، فنحتاج هذه التجربة إلى دراسة الوضع فى كل بلد ، و اتخاذ عدة له .

إن هذه الحقيقة تنكشف اليوم بتصعد المعارضة لحكم بهتو ، و لكن هذا الادراك بخطورة الانقلاب متأخر لأوانه ، لقد كان الوضع يقتضى موقفاً ذكياً و حكيماً قبل الانتخابات ولكن فات ذلك الوقت، لعدم وجود طبيعة المبادرة ، فى الأحزاب المعارضة لحزب الشعب ، و قد سبب مثل هذا التردد فى اتخاذ موقف صريح موحد ، و إدراك الوضع فى أوانه ، مشاكل فى كثير من البلدان الاسلامية ، و واجه المسلمون خسائر كثيرة نتيجة لهذا التردد فى معرفة طبيعة الخصم و إتخاذ موقف لائق به .

عداوة . . . هل لها نهاية

إن الكراهية و العداء ، و الحقد ، أمراض نفسية توجد فى الأفراد ، لأسباب صحية ، و سلالية ، و أسباب ترجع إلى النشأة ، و قد ترجع إلى تجربة مريرة فى الحياة ، و يتغلب ضغط هذه الأحاسيس على بعض الطباع فيظهر أثرها فى اللسان ، و اليد و الشعور ، و تتغلب بعض الطباع لتحملها و تثقفها على هذه الأحاسيس ، و تمنعها من الظهور باللسان ، أو نقلها إلى العمل فتبقى فى النفس مكبوتة، لكنها أحاسيس مريرة تأكل النفوس ، فاذا وجدت هذه الأحاسيس فى نفس شخص و لم يبذل جهداً للتغلب عليها و لامالتها ، عملت عملها فى إضعاف الثقة بالنفس ، ومنعت الانسان الذى يحملها من العمل الجاد الايجابى ، وصرفته إلى التفكير السلبى ، و العمل السلبى ، و يؤمن بالهدم ، و يشغل فكره بالحرص على إلحاق الضرر بمن يكرهه، وقد يؤدى هذا الشعور السلبى إلى إلحاق الضرر بالذات ، و يتضاعف أثر هذه الكراهية فى الضعفاء و الجبناء الذين لا يجدون سبيلا إلى تسلية نفوسهم بالحاق الضرر إلى من يكرهونهم .

و أدت الكراهية لانسان أو لمجموعة من البشر لسبب من الأسباب إلى قتل و إماتة و إبادة إذا وجد الكاره الحاقد إلى تسلية نفسه سبيلا ، و فى قصة

الشنفرى الشاعر عبرة ، فقد واجه عاقبة وخيمة بعد أن ألحق ضرراً كبيراً بمن كان يكرهـــه ، و فى العصر الحديث أيضاً ترد احيانا أخبار تفيد بوقوع أعمال إجرامية كبيرة قتل فيها شخص واحـد أسرة كاملة للانتقام ، أو الشعور بالنقص ، منها خبر من كولمبيا يفيد بأن شخصاً واحداً قتل أكثر من ٣٦ شخصاً لاارواء غليله ، و قتل شخص آخر فى إحدى البلدان الأوربيـة قبل مدة أكثر من ٣٥ امرأة لأنه كان قد أوذى من قبل امرأة ، فانتقم من أكثر من ٣٥ امرأة ، و قال إنه يجد لذة بقتل النساء ، كذلك ارتكب أحد الأشخاص جريمة قتل عدد كبير من الأطفال لأنه أصيب بأذى من طفل ، أو لأنه فقد طفله ، فانصرف إلى قتل جماعة من الأطفال ، لأنه كان لايحتمل أن يرى وجه طفل .

إنها من طباع السباع والحيوانات أن تنتقم من الجماعة أو الفئة التى ينتمى إليها المعتدى عليها ، فاذا اعتدى أحد على النحل اعتدت النحل على كل إنسان ، حتى المارة فيهم ، كذلك النملة ، و القط ، والكلب ، والقرد و الحيوانات الأخرى تأخذ الثأر إذا ساءها سلوك أحد ، أو ارتاب فيه .

كان موقف اليهود بعد أن ملـكوا السلطة و صلاحية الانتقام بالقوة منذ قيام دولتهم أنهم إذا تعرضوا للهجوم من أفراد أو أطفال من الشعب الفلسطينى أو اللاجئين أو ارتابوا فى عمل من العرب ، شنوا غارة عنيفـة تبيد مآت من الأبرياء ، و تدمر خيـام المشردين من الوطن ، أو إذا أصابتهم صخرة من طفل ، أمطروا على سائر السكان فى المنطقة القنابل ، و لا يستثنون أطفالا و لا نساءاً ، و لا مرضى فى المستشفيات ، و لا مصلين فى المسـاجد ، و كانوا قبل السلطة التى وصلوا إليها على كاهل البريطانيين والأمريكيين ، يكتفون ببث الكراهية للاسلام و المسلمين بأقلامهم ، و يدبرون مؤامرات للايقاع بينهم ، و تشتيت شملهم ، و كانوا وراء عدة مجازر و مآسى وقعت فى تاريخ الاسلام .

كذلك كان موقف الصليبيين قبل تولى السلطة ، كانوا يبثون كراهيتهم للاسلام و المسلمين و نشأت من أجل هـذا العمل أقلام المستشرقين فى الدول الأوربية التى صرفت جل اهتمامها إلى هدم الاسلام علمياً و فكرياً و ثقافياً ، فلما تولى المسيحيون الحكم فى الدول الاسلامية حققوا هذه المشاعر وجسدوها باجراءات تصفية .

تحمل هذه الطبيعة طبيعة الكراهية و الحقد بعض النفوس فى الهند كذلك و لا يعرف أحد مصدر خوفها من الاسلام و المسلمين ، سوى أنهم نشأوا على الكراهية بدراسة كتب المستشرقين ، أوأنهم لقنوا هذه الكراهية من آبائهم ، أو لأنهم أصيبوا بأذى من مسلم فى عهد من العهود ، هم أو آباؤهم ، أو لأنهم يكرهون الحق كقول المشركين عن المسلمين كما جاء فى القرآن الكريم « إنهـم أناس يتطهرون » .

إن المسلمين يعيشون فى أقلية فى الهند ، فى خطر الاستيلاء على مساجدهم ، و مدارسهم ، و فرض الحظر على كل معونة تصل إليهم من أى جهة ، و تثار الشكوك حولهم و يطعن فى كتبهم المقدسة ، و تنال الصحف القومية من دينهم و ثقافتهم ، و تقع اضطرابات حيناً بعد حين ، و لا تعمل الحكومة إلا بمنحهم بعض الحقوق لبقائهم بكرامة ، كأى بلد علمانى متحضر ، و تحاول إزالة شعورهم بالحرمان باجراءات حيناً بعد حين ، ولكن هذا الوضع لا يطيب لبعض النفوس ، فيتهمون الحكومة بأنها موالية للمسلمين ، و يصفون أن الهند بلد لا مكانة فيـه للهندوس رغم كونهم فى الأغلبية ، و أن العلمانية الحقيقية لا تنشأ إلا بتأليف حكومة هندوكية ، و أن المسلمين لا حق لهم فى بلاد الهنادك .

و تبلغ كراهية هؤلاء للاسلام و المسلمين مبلغ تبرئة الانجليز الذين يتفق

المؤرخون على أنهم أصل الداء فى العالم ، فيقول أحــد هؤلاء الحاقدين و هو «بلراج مدهوك» أن المسئول عن القلاقل فى الهند هو القرآن ، لأنه يحث على العنف ، و القتل ، و ليس الانجليز كما يقول بعض الكتاب ، و يقول ما دام القرآن غير محظور يستمر العنف فى الهند، و يتهم الشباب المسلم بأنه أكثر عنفاً و تزمتاً لأنه يطالع القرآن أكثر مما كان شيوخه يطالعونه فى الماضى ، و يقول : إن القرآن يشتمل على أكثر من ٢٠٠ آية تحمل على العنف و القتل .

هــذا ما قاله مدهوك زعيم حزب جن سنكه ، و مثل ذلك يقول : بال تهاكرى ، و بالا صاحب ديورس ، فلا تخلو كلمتهم و حديثهم عن الاسلام والقرآن والمسلمين عن الطعن فيهم، والدعوة إلى حربهم ، وحرمانهم من حقوقهم و حتى فى الاشتراك فى الانتخابات ، و طردهم من البلاد .

هؤلاء الثلاثة لا يعرفون من التاريخ غير اضطهاد المسلمين لغير المسلمين ، و لا من القرآن إلا الدعوة إلى قتل المشركين ، و لا من السيرة إلا الغزوات ، و قتل المشركين ، فيكرهون المسلم كأنه قتل آباءهم و أجدادهم و هكذا الحقــد الدفين لا يهدأ .

« إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءاً و يبسطوا إليكم أيديهم و ألسنتهم بالسوء ، و ودوا لو تكفرون (الآية ٢ الممتحنة) .

العــدد القادم

و هو العــدد الأول للمجلد الرابع و الثلاثين سيصدر - بإذن الله - فى شعبان ١٤٠٩ ﻫ (مارس ١٩٨٩ م) فنرجو القراء أن لا يترقبوا المجلة فى الشهر القادم .

« التحرير »

Phone : 72336
73864

REGD NO. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثاً :

دور الاسلام الاصلاحي
في مجال العلوم الانسانية

بقلم سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى

لا يمكن تقدير قيمة دور الاسلام الاصلاحي البناء حتى إلى حد محدود و الانصاف له بعض الانصاف ، و الشعور بضخامة عمله بعض الشعور ، و فهم الصعوبات و العوائق التي اعترضت له في تحقيق أهدافه وإكمال مهمته ، إلا إذا استعرضنا العالم القديم ، الذى جاء فيه الاسلام يحمل رسالته للبشرية ، و إلا إذا ألقينا بعض الأضواء على الشعوب الرائدة العملاقة التى قادت العالم القديم علمياً و عقلياً و عقائدياً .

هذا ما يعرضه هذا الكتاب

الناشر

دارالصحوة للنشر و التوزيع

القاهرة ، جمهورية مصر العربية

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء

رئيس التحرير : سعيد الأعظمى